

حاشية العلامة الصاوي

على تفسير الجلالين

جلال الدين المحلي (ت: ٨١٦هـ) جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)

تأليف
العالم العلامة القاري بالله تعالى
الشيخ أحمد بن محمد الصاوي المخلوتي
(١١٧٥ - ١٢٤١هـ)

مُحَقَّقٌ عَلَى نَسْخِ خُطْبَةِ نَفِيسَةٍ
وَمَطْبُوعَةٍ قَدِيمَةٍ سَلِيمَةٍ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالسَّبْدِ

شَرَفَ بِحَدِيثِهَا رَاجَعَهَا وَقَدَّمَ لَهَا
مرعي حسن الرشيد الدكتور عبد القادر الحسين

الجزء السادس
سُورَةُ الرَّحْمٰنِ - سُورَةُ الْجِنِّ

دار تحقيق الكتاب
للطباعة والنشر والتوزيع

حاشية العلامة الصاوي

على
تفسير الجلالين

٦

دار تحقيق الكتاب

Title: Hāshiyat al-Şāwī 'alā Tafsīr
al-Jalālayn

Autor: Aḥmad Şāwī, Ġalāl-ad-Dīn
Maḥallī, Ġalāl-ad-Dīn Suyūṭī,

Editor: Mar'ī al-Rashīd

Publisher: Dar Tahkik Al Kitab

Pages: 596 (vol.6)

Year: 2024

Printed in: Lebanon

Edition: 1

الكتاب: حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين.
المؤلف: أحمد الصاوي، جلال الدين المحلي، جلال
الدين السيوطي.

تحقيق: مرعي الرشيد

الناشر: دار تحقيق الكتاب

عدد الصفحات: 596 (المجلد السادس)

سنة الطباعة: 2024

بلد الطباعة: لبنان

الطبعة: الأولى (لونان، ورق شاموا)

©Yayın Hakları DAR TAHKİK AL KİTAB 'a Aittir.

Bu kitabın her türlü yayın hakları Fikir ve Sanat Eserleri Yasası gereğince Dar Tahkik Al Kitab'a aittir.

Dar Tahkik Al Kitab'ın yazılı izni olmadan bu kitabın hiçbir bölümü kopyalanamaz ya da yeniden

üretim sistemine dâhil edilemez(elektronik, fotokopi vd.).

All Rights Reserved. Published by DAR TAHKİK AL KİTAB

No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without written permission of the publisher.

دار تحقيق الكتاب

جميع الحقوق الملكية والفكرية محفوظة لـ دار تحقيق الكتاب
يمنع طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزئاً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو
إدخاله على الحاسب أو نسخه على اسطوانات ليزيرية إلا بموافقة الناشر خطياً.

مؤسسة محمد نوري ناصح

MEHMET NURİ NAS
PUBLISHER OF ISLAMIC BOOKS

1948

ISBN 978-9933-638-15-3



9 789933 638153

DAR TAHKİK AL KİTAB

Büyük Reşit Paşa Caddesi Yümni İş Merkezi

No:16/B D:8 Vezneciler/Fatih/İstanbul/Turkey ☎ : +9 (0212)5190979

Merkez :1.Cadde No:66 MİDYAT/MARDİN ☎ : +9 (0482)4622775

www. tahkikalkitab.com

✉ : info@tahkikalkitab.com



Dar Tahkik Al Kitab, Nursabah Yayıncılık

Matbaacılık Ltd.Şti'nin Tescilli Markasıdır

دار تحقيق الكتاب هي دار تابعة لمؤسسة دار نور الصباح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١)



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا...﴾ الْآيَةُ فَمَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنُ - مُبْتَدَأٌ - ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خَبَرُهُ، ﴿الْعَزِيزِ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿الْحَكِيمِ﴾ فِي صُنْعِهِ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الزُّمَرِ

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لَذَكَرَ لَفْظَ (الزمر) فِيهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾، ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾، وَسَيَأْتِي أَنَّ الزمر جمعُ زُمْرَةٍ، وَهِيَ الطائفةُ، وَتُسَمَّى أَيْضًا بِ: سُورَةِ الْغُرَفِ؛ لَذَكَرَ الْغُرْفَ فِيهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾. وَرَوَى: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ قِضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ.. فَلْيَقْرَأْ سُورَةَ الْغُرَفِ^(١)، وَرُودُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ لَا يَنَامُ حَتَّى يَقْرَأَ (الزمر) وَ(بَنِي إِسْرَائِيلَ)^(٢).

قَوْلُهُ: (إِلَّا ﴿قُلْ يَعْبادِي﴾... إلخ) فَإِنَّهَا نَزَلَتْ فِي وَحْشِيٍّ قَاتَلَ حَمْزَةَ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ بِالْمَدِينَةِ، وَظَاهِرُهُ: أَنَّهَا آيَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ سَبْعُ آيَاتٍ: هَذِهِ الْآيَةُ، وَسُتُّ بَعْدَهَا، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا آيَتَانِ: هَذِهِ الْآيَةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ...﴾ الْآيَةُ، فَتَحْصُلُ أَنَّ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ: قِيلَ: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةً، وَقِيلَ: إِلَّا آيَتَيْنِ، وَقِيلَ: إِلَّا سَبْعًا.

قَوْلُهُ: (وَهِيَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ) وَقِيلَ: ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ.

قَوْلُهُ: (﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ﴾) أَي: إِنْزَالُ الْقُرْآنِ كَائِنٌ وَحَاصِلٌ مِنَ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ، نَزَلَ رَدًّا لِقَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، وَلِقَوْلِهِمْ: ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سبا: ٨].

(١) رواه القرطبي في «تفسيره» (٢٣٢/١٥) عن وهب بن منبه.

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٠)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٤٨) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ

﴿٢﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا مُحَمَّد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِـ(أَنْزَلَ) - ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ مِنْ الشَّرْكَ أَيْ: مُوَحِّدًا لَهُ.

﴿٣﴾ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ الْأَصْنَامَ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ وَهُمْ كُفَّارٌ مَكَّةَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا﴾... إلخ﴾ شروعٌ في بيان تَشْرِيفِ الْمُنْزَلِ عَلَيْهِ إثر بيان شأن المنزَّل من حيث كونه من عند الله.

قوله: ﴿﴿الْكِتَابَ﴾﴾ هو عين الكتاب الأول؛ لأنَّ المعرفة إذا أُعيدت معرفةً كانت عيناً.

قوله: (متعلق بـ«أنزل») أي: والباء سببية، والمعنى: بسبب الحق الذي أنت عليه وإثباته وإظهاره.

قوله: ﴿﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾﴾ تفريع على قوله: ﴿﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾﴾... إلخ، والخطابُ له والمراد ما يشمل جميع أمته.

قوله: ﴿﴿مُخْلِصًا﴾﴾ حال من فاعل (اعبد)، و﴿الدِّينَ﴾: مفعولٌ لاسم الفاعل.

قوله: (أي: موحِّدًا له) أي: مفرداً له بالعبادة والإخلاص؛ بآلاً تقصدَ بعملك ونيَّتَ غير ربِّك.

قوله: ﴿﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ﴾﴾... إلخ (ألا): أداة استفتاح، والجملة مستأنفةٌ مُقرَّرةٌ لما قبلها من الأمر بالإخلاص.

قوله: ﴿﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾﴾... إلخ اسم الموصول: مبتدأ، و﴿اتَّخَذُوا﴾: صلته، والخبر

محذوف، قدره المفسر بقوله: (قالوا)، وقوله: ﴿﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾﴾... إلخ مَقُولٌ لَدُنْكَ الْقَوْل، وقوله:

﴿﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾﴾... إلخ: استئنافٌ بيانيٌّ واقعٌ في جواب سؤال مقدَّر، تقديره: ماذا يحصل

لهم؟ وهذا هو الأحسن، وقيل: إنَّ خبر المبتدأ هو قوله: ﴿﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ﴾﴾... إلخ، وقوله: ﴿﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾﴾ حالٌ من فاعل ﴿اتَّخَذُوا﴾ على تقدير القول؛ أي: قائلين: ما نعبدهم... إلخ.

قوله: (الأصنام) قدره؛ إشارةً إلى أن ﴿اتَّخَذُوا﴾ تنصب مفعولين، الأول محذوف.

قوله: (وهم كفار مكة) تفسيرٌ للموصول.

مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾: قُرْبَى، مَصْدَرٌ بِمَعْنَى تَقْرِيْبًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرِينَ النَّارَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ فِي نِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ، ﴿كَفَّارٌ﴾ بِعِبَادَتِهِ غَيْرِ اللَّهِ.

﴿٤﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿كَمَا قَالُوا﴾: ﴿أَتَّخِذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨] ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا غَيْرَ مَنْ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَعُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: (قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾... إلخ) أي: فكانوا إذا قيل لهم: من خلقكم، ومن خلق السماوات والأرض، ومن ربكم؟ فيقولون: الله، فيقال لهم: وما معنى عبادتكم الأصنام؟ فيقولون: لتقربنا إلى الله زلفى، وتشفع لنا عنده.

قوله (مصدر) أي: مؤكِّدٌ ملاقٍ لِعَامِلِهِ فِي الْمَعْنَى، والتقدير: لِيُزَلِّفُونَا زُلْفَى، أو ليقربونا قُرْبَى.

قوله: (وبين المسلمين) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمَقَابِلَ مَحْذُوفٌ.

قوله: (فيدخل المؤمنون الجنة) أي: فالمراد بالحكم: تمييز كل فريقٍ عن الآخر.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ أي: لا يُؤَفِّقُ لِلْهُدَى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ؛ أي: مجبولٌ على الكذب

والكفر في علمه تعالى.

قوله: (في نسبة الولد إلى الله) أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي﴾... إلخ توطئةٌ

لقوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ﴾... إلخ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَتَمَّةِ مَا قَبْلَهُ، وَحِينَئِذٍ يُقَالُ: كَاذِبٌ فِي نِسْبَةِ الْإِلَهِةِ لِغَيْرِهِ تَعَالَى.

قوله: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: لو تعلَّقت إرادته باتِّخَاذِ وَلَدٍ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ

والتقدير، وَالْآيَةُ إِشَارَةٌ إِلَى قِيَاسِ اسْتِثْنَائِيٍّ حَذَفَتْ صُغْرَاهُ وَنَتِيجَتُهُ، وَتَقْرِيرُهُ أَنْ يُقَالَ: لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَصْطَفِ مِنْ خَلْقِهِ شَيْئًا، فَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا.

قوله: (غير مَنْ قالوا) أي: غير المخلوق الذي قالوا في شأنه: إنه ابن الله.

سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى

والمسيح ابن الله، ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد، ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ لِحَلِّقِهِ.

﴿٥﴾ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿خَلَقَ﴾ - ﴿يُكَوِّرُ﴾: يُدْخِلُ ﴿اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فَيَزِيدُ، ﴿وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ﴾ يُدْخِلُهُ ﴿عَلَى اللَّيْلِ﴾ فَيَزِيدُ، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ فِي فَلَكِهِ ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (تنزيهاً له عن اتخاذ الولد) أي: لأنه ممتنع عقلاً ونقلاً؛ أمّا عقلاً: فلأنه يلزم أن يكون الولد من جنس خالقه، وكونه جنساً منه يستلزم حدوث الخالق، وهو باطل، وأمّا نقلاً: فقد تواترت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والكتب السماوية على أن الله تعالى لم يتخذ ولداً.

قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ هذا بيان لتنزيهه في الصفات إثر بيان تنزيهه في الذات؛ لأن الوحدة تنافي المماثلة فضلاً عن الولد، والقهارية تنافي قبول الزوال المحوج إلى الولد، وإلا... لكان مقهوراً، تعالى الله عن ذلك.

قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ تفصيلٌ لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالالوهية، واتصافه بالصفات الجليلة.

قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ﴾ من التكوير، وهو في الأصل: اللَّفُّ واللفُّ، يقال: كَوَّرَ العمامة على رأسه؛ أي: لفّها ولواها، ثم استعمل في الإدخال والإغشاء، فكأنَّ الليل يغشى النهار، والنهار يغشى الليل.

قوله: (فيزيد) تقدّم أن مُنتهى الزيادة أربعة عشر ساعة، ومنتهى النقص عشر ساعات، فالزيادة أربع ساعات تارة تكون في الليل، وتارة تكون في النهار^(١).

قوله: (ليوم القيامة) أي: ثمَّ ينقطع جريانه؛ لانتقال العالم من الدنيا؛ فإنَّ تسخير الشمس والقمر إنما كان في الدنيا لمصالح العالم، فلما انتقل العالم.. فقد فرغت مصالحه.

أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ

﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالبُ على أمرِهِ الْمُتَقَمُّ مِنْ أَعْدَائِهِ، ﴿الْغَفَرُ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ.
 ﴿٦﴾ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أَي: آدَمَ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: حَوَّاءَ، ﴿وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ﴾: الإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمَ وَالضَّأْنَ وَالْمَعَزَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَرُ﴾ إنما صُدِّرَتِ الجملة بحرف التَّيْبَةِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَمَالِ الْإِعْتِنَاءِ بِمُضْمُونِهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: تَبَّهُوا يَا عِبَادِي؛ فَإِنِّي الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِي، السَّتَّارُ لَذُنُوبِ خَلْقِي، فَلَا تَشْرِكُوا بِي شَيْئاً، وَأَخْلِصُوا عِبَادَتَكُمْ لِي.

قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هذا من جملة أدلة توحيده وانفراده بالعزة والقهر وجميع صفات الألوهية.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ إن قلت: إن (ثم) للترتيب، فيقتضي أن خلق الذرية قبل خلق حواء، وهو خلاف المعروف المشاهد، وأجيب بثلاثة أجوبة:

الأول: أن (ثم) لمجرد الإخبار، لا لترتيب الإيجاد.

الثاني: أن المعطوف تعلّق بمعنى (واحدة) و(ثم) عاطفة عليه، كأنه قال: خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ كَانَتْ مَتَّوَحَّدَةً لَمْ يَخْلُقْ نَظِيرَهَا، ثُمَّ شَفَعَتْ بِزَوْجٍ.

الثالث: أن معنى ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق دفعة واحدة؛ لأنَّ الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالذّرِّ، ثُمَّ أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق، ثُمَّ رَدَّهم إِلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ خَلَقَ مِنْهُ حَوَّاءَ.

قوله: ﴿وَانزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ... إلخ﴾ إنما عبّر عنها بالنزول؛ لأنها تَكُونَتْ بِالنَّبَاتِ وَهُوَ غِذَاءٌ لَهَا، وَالنَّبَاتُ بِالْمَاءِ الْمَنْزَلِ، فَهُوَ يَسْمَى عَنْدهم بِالتَّدرِيجِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَدَّ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ لِبَاسًا...﴾ [الأعراف: ٢٦] الآية.

وقيل: إنَّ الإنزال حقيقة؛ لما روي: أَنَّ الله خَلَقَ الْأَنْعَامَ فِي الْجَنَّةِ، ثُمَّ أَنْزَلَهَا فِي الْأَرْضِ كَمَا قِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]؛ فَإِنَّ آدَمَ لَمَّا أَهْبَطَ إِلَى الْأَرْضِ... نَزَلَ مَعَهُ الْحَدِيدُ.

ثُمَّ نَبِّئَ أَزْوَاجَ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

﴿ثُمَّ نَبِّئَ أَزْوَاجَ﴾ من كُلِّ زَوْجَانِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، كما بَيَّنَّ في سُورَةِ (الأنعام)، ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلَقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نُطْفًا ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مُضْغًا، ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظُلْمَةُ الْبَطْنِ وَظُلْمَةُ الرَّحِمِ وَظُلْمَةُ الْمَشِيمَةِ، ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ثُمَّ نَبِّئَ أَزْوَاجَ﴾ الزوج: ما معه آخر من جنسه، ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر.

قوله: (كما بَيَّنَّ في سورة «الأنعام») أي: في قوله: ﴿ثُمَّ نَبِّئَ أَزْوَاجَ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ...﴾ [الأنعام: ١٤٣] الآيات.

قوله: ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ هذا بيانٌ لكيفية الخلق الدَّالَّةُ على باهر قُدْرته تعالى.

قوله: ﴿خَلَقًا﴾ مصدر لـ ﴿يَخْلُقْكُمْ﴾، وقوله: ﴿مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ صفة لـ ﴿خَلَقًا﴾.

قوله: (أي: نُطْفًا... إلخ) فيه قصورٌ وعكس ترتيب الإيجاد^(١)، فالمناسب أن يقول: أي: حيواناً سوياً من بعد عِظامٍ مكسوةٍ لحماً من بعد عِظامٍ عارية من بعد مُضْغٍ من بعد عَلَقٍ من بعد نُطْفٍ.

قوله: ﴿فِي ظُلُمَاتٍ﴾ بدل اشتمال من ﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ بإعادة الجارِّ، ولا يضر الفصل بين البديل والمبدل منه بالمصدر؛ لأنه من تَمَّةِ العامل، فليس بأجنبي.

قوله: (وظلمة المشيمة) أي: فهي داخل الرحم، وهو داخل البطن.

والمشيمة: بوزن (كريمة)، وأصلها: مَشِيمَةٌ بسكون الشين وكسر الياء، نُقِلَتْ كسرة الياء إلى الساكن قبلها، وهي غِشاءٌ ولد الإنسان، ويقال لها: الغلاف والكيس، ويقال لها من غير ولد الإنسان: السَّلا.

قوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ مبتدأ، و﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: خبران له، وجملة ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ خبرٌ ثالث.

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ جملة مستأنفة، نتيجة ما قبله؛ أي: فحيث ثَبَتَ أنه ربنا وله الملك نتج منه أنه لا إله إلا هو.

(١) عبارة العلامة الجمل: فيه قصور وعدم موافقة ترتيب الآية. «فتوحات» (٣/٦٢١).

فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ

فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴿٦﴾ عَنْ عِبَادَتِهِ إِلَى عِبَادَةِ غَيْرِهِ؟!

﴿٧﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴿٦﴾ وَإِن أَرَادَهُ مِنْ بَعْضِهِمْ،
﴿وَإِن تَشْكُرُوا﴾ اللَّهُ فَتُؤْمِنُوا ﴿يَرْضَهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ﴾ أي: تُمنعون.

قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ﴾ أي: له الغنى المطلق، فلا يفتقر إلى ما سواه.

قوله: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي: لا يفعل فعل الراضي؛ بأن يُثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل السّاخط؛ بأن ينهى عنه، ويعاقب فاعله ويذمه عليه.

قوله: ﴿وَإِن أَرَادَهُ مِنْ بَعْضِهِمْ﴾ أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين الرضا والإرادة، بل قد يرضى ولا يريد، وقد يريد ولا يرضى، وإنما التلازم بين الأمر والرضا، خلافاً للمعتزلة القائلين بالتلازم بين الرضا والإرادة، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة، ومن هنا قال العلماء: إن الأمور أربعة: تارة يأمر ويريد وهو الإيمان من المؤمنين، وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم، وتارة يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار، وتارة يريد ولا يأمر وهو الكفر من الكفار.

وحكي: أن رجلاً من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة، فقال المعتزلي: سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال السني: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال المعتزلي: أيريد ربك أن يُعصى؟ فقال السني: أيعصى ربنا قهراً؟ فقال المعتزلي: أرايت إن منعني الهدى وحكم عليّ بالردى؛ أحسن إليّ أم أساء؟ فقال السني: إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فالملك يفعل في ملكه كيف يشاء، فبهت المعتزلي^(١).

قوله: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: لأنه سبب لقوزكم بسعادة الدارين، لا لانتفاعه به، تعالى الله عن ذلك.

(١) انظر القصة بين القاضي عبد الجبار والأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني عند الإمام الباجوري في «شرحه للجوهرة»

لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ

- بِسُكُونِ الْهَاءِ وَضَمُّهَا مَعَ إِشْبَاعٍ وَدُونِهِ - أَي: الشُّكْرُ ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نَفْسُ ﴿وَازِرَةٌ وَزَرَ﴾ نَفْسِ ﴿أُخْرَى﴾ أَي: لَا تَحْمِلُهُ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فِي الْقُلُوبِ.

﴿٨﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ: تَضَرَّعَ ﴿مُنِيبًا﴾: رَاجِعًا ﴿إِلَيْهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بسكون الهاء... إلخ) أي: فالقراءات ثلاث سبعيات^(١).

قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (أي: لا يحمل شخص إثم كفر شخص آخر، وما ورد: من أن الدال على الشر كفاعله^(٢).. فمعناه: أن عليه إثم فعله وإثم دلالة، ولا شك أن دلالة من فعله، فال الأمر إلى أن عتابه على فعله لا على فعل غيره.

وقوله: ﴿وَازِرَةٌ﴾ أي: وأما غير الوازنة فتحمل وزر غيرها، بمعنى: أن من كان ناجياً وأذن له في الشفاعة يشفع في غيره، فيتتفع المشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلماً، وأما الكافر فلا ينتفع بشفاعة مسلم ولا كافر.

قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتِ الصُّدُورِ﴾ (علة لقوله: ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: يخبركم بأعمالكم؛ لأنه علم بما في القلوب فضلاً عن غيرها.

قوله: (أي: الكافر) أشار بهذا إلى أن (أل) في ﴿الْإِنْسَانَ﴾ للعهد.

قوله: ﴿ضُرٌّ﴾ المراد به جميع المكاره، كانت في نفسه أو ماله أو أهله.

قوله: ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: تاركاً عبادة الأصنام؛ لعلمه بأنها لا تقدر على كشف ما نزل به.

(١) قرأ نافع وعاصم ويعقوب وحمزة بضم الهاء من غير صلة، والمكي وابن ذكوان والكسائي وابن وردان وخلف في اختياره بالضم مع الصلة، والسوسي وابن جمار بإسكانها، ولدوري أبي عمرو وجهان: الإسكان والضم مع الصلة، ولهشام وجهان أيضاً: الإسكان والضم من غير صلة. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٧٤).

(٢) رواه بهذا اللفظ الديلمي في «الفردوس» (٣١٢١) من حديث عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «ومن دعا إلى ضلالة.. كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلّٰهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ

ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً ﴿٨﴾ : أعطاه إنعاماً ﴿٨﴾ : تَرَكَ ﴿٨﴾ : مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ ﴿٨﴾ : يَتَضَرَّعُ ﴿٨﴾ : إِلَيْهِ مِن قَبْلُ ﴿٨﴾ وهو الله، ف(ما) في مَوْضِع (مَنْ)، ﴿٨﴾ : وَجَعَلَ لِلّٰهِ أَنْدَادًا ﴿٨﴾ : شُرَكَاءَ ﴿٨﴾ : لِيُضِلَّ ﴿٨﴾ - بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا - ﴿٨﴾ : عَنْ سَبِيلِهِ ﴿٨﴾ : دِينَ الْإِسْلَامِ، ﴿٨﴾ : قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ﴿٨﴾ : بَقِيَّةَ أَجْلِكَ، ﴿٨﴾ : إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ .

﴿٩﴾ : أَمَّنْ ﴿٩﴾ - بِتَخْفِيفِ الْمِيمِ - ﴿٩﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أعطاه إنعاماً) أي: أعطاه على سبيل الإنعام والإحسان، ف(إنعاماً) مفعول لأجله؛ لأن التحويل هو: إعطاء النعم على سبيل التفضيل والإحسان من غير مقتضى لها.

قوله: (وهو الله) أشار بذلك إلى أن (ما) موصولة بمعنى (الذي) مراداً بها الله تعالى^(١)، ويصح أن يراد بها الضُّرُّ، والمعنى: نسي الضر الذي كان يدعو لكشفه، ويصح أن تكون (ما) مصدرية، والمعنى: نسي كونه داعياً من قبل تحويل النعمة، والأظهر ما قاله المفسر.

قوله: (﴿لِيُضِلَّ﴾) اللام للعاقبة والضرورة.

قوله: (بفتح الياء وضَمُّها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾) الأمر للتهديد، وفيه إشعارٌ بَقُوطِهِ من التَّمَتُّعِ في الآخرة.

قوله: (بقية أجلك) أشار بذلك إلى أن ﴿قَلِيلًا﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: زماناً قليلاً.

قوله: (﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾) أي: ملازمها ومعدودٌ من أهلها على الدوام.

قوله: (﴿أَمَّنْ هُوَ قَتِيتُ﴾) هو من تمام الكلام المأمور بقوله، وحينئذٍ: فالمعنى قل للكافر: أَمَّنْ

هو قاتٌ... إلخ.

قوله: (بتخفيف الميم) أي: والهمزة للاستفهام الإنكاري، و(مَنْ): موصولة مبتدأ، خبره

محذوف، قدره بقوله: (كَمَنْ هو عاصٍ).

(١) وهذا عند مَنْ يجيز إطلاق (ما) على أولي العلم؛ كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. انظر «الفتوحات» (٦٢٢/٣).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء؛ أي: ليفعل الضلال بنفسه، والباقون بضمها؛ أي: لم يقع بضلاله في نفسه حتى يحمل غيره عليه، فمفعوله محذوف. انظر «الدر المصون» (٤١٤/٩).

هُوَ قَتْنٌ ءَانَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾

﴿هُوَ قَتْنٌ﴾: قائم بوظائف الطاعات ﴿ءَانَاءُ اللَّيْلِ﴾: ساعاته، ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها، ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ﴾: جنة ﴿رَبِّهِ﴾: كمن هو عاصٍ بالكفر أو غيره، - وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، (فأم) بمعنى (بل) والهمزة - ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل، ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾: يتعظ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ءَانَاءُ اللَّيْلِ﴾ جمع إني بالكسر والقصر ك: معى وأمعاء^(١).

قوله: (ساعاته) أي: أوله وأوسطه وآخره، وفي الآية دليل على أفضلية قيام الليل على النهار؛ لما في الحديث: «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون»^(٢)، وقال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة.. فليره الله في ظلمة الليل^(٣).

قوله: (وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾) أي: بالتشديد، وعليها: (فأم) داخله على (مَنْ) الموصولة، فأدغمت الميم في الميم، وترسم على هذه القراءة ميماً واحدة وهمزة متصلة بالنون كقراءة التخفيف؛ اتباعاً لرسم المصحف، والإعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير، وقوله: (بمعنى: بل) أي: التي للإضراب الانتقالي، وقوله: (والهمزة) أي: التي للاستفهام الإنكاري، والقراءتان سبعيتان^(٤).
قوله: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: وهم المؤمنون العارفون بربهم، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: وهم الكفار.

قوله: (أي: لا يستويان) أشار به إلى أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: أصحاب القلوب الصافية، والآراء السديدة، وخصهم لأنهم المنتفعون بالتذكر.

(١) وتقدم للمصنف رحمه الله أن (آناء) إما جمع أنى ك: عصاً، أو إني ك: معى، أو أني ك: ظبي، أو إني ك: جنل، أو إني ك: جزو.

(٢) أخرجه أبو حنيفة في «مسنده» من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه. انظر «شرح المسند» لملا علي القاري (ص ٥٥٧).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (٢٣٩/١٥).

(٤) قرأ الحرمين: نافع وابن كثير بتخفيف الميم، والباقون بتشديدها. انظر «الدر المصون» (٩/٤١٤).

قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ

﴿١٠﴾ قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ ﴿١﴾ أَي: عَذَابِهِ بِأَنْ تُطِيعُوهُ، ﴿لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بِالطَّاعَةِ ﴿حَسَنَةٌ﴾ هِيَ الْجَنَّةُ، ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فَهَاجِرُوا إِلَيْهَا مِنْ بَيْنِ الْكُفَّارِ وَمُشَاهِدَةِ الْمُنْكَرَاتِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ﴾... إلخ) (١) أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأوامر لنفسه ولأُمَّته؛ زيادةً في الحثِّ لهم على التجرُّد لطاعة الله تعالى، واجتنابِ الشُّكوك والأوهام.

قوله: (بأن تُطِيعوه) أي: تمتثلوا أوامره، وتجتنبوا نواهيه، وهو تفسير للتقوى التي هي جعلُ العبدِ بينه وبين العذاب وقايةً.

قوله: ﴿الَّذِيْنَ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿أَحْسَنُوا﴾: صلته، و﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾: متعلق ب﴿أَحْسَنُوا﴾، و﴿حَسَنَةٌ﴾: مبتدأ مؤخرٌ.

قوله: (هي الجنة) أي: بجميع ما فيها من النِّعيم المقيم، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

قوله: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ جملةٌ من مبتدأ وخبر، وهي حاليةٌ.

قوله: (فهَاجِرُوا لها... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد بالأرض أرضُ الدنيا، والمعنى: مَنْ تَعَسَّرت عليه التقوى في محلٍّ.. فليهاجر إلى محلٍّ آخر يتمكَّن فيه من ذلك؛ إذ لا عُذر في التفريط أصلاً، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطاً في صحة الإسلام، فلمَّا فُتِحَتْ مكة نُسِخَ كونه شرطاً، وصارت تَعَتْرِيهَا الأحكام؛ فتارةً تكون واجبةً؛ كما إذا هاجر من أرضٍ لا يَتيسَّر له فيها إقامة دينه لأرضٍ ينظم (٢) فيها دينه، ويُقيم شعائره، وتارةً تكون مندوبةً؛ كما إذا هاجر من أرضٍ لا أخيار بها لأرضٍ بها أخيار يجتمع عليهم للإرشاد، وتارةً تكون مكروهةً؛ كما إذا هاجر من أرضٍ بها الأخيار وأهل العلم والصَّلاح لأرضٍ لا أخيارَ بها ولا عِلْم ولا عمل، وتارةً تكون محرَّمةً؛ كما إذا هاجر من أرضٍ يَأْمَنُ فيها على دينه لأرضٍ لا يَأْمَنُ فيها عليه.

(١) اتفقوا في القراءة على حذف الياء وصلّاً ووقفاً، مراعاة للرسم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٧٥).

(٢) في (ط ٢): (يتعلَّم).

إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾

﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ﴾ على الطَّاعَةِ وما يُتَكَلَّوْنَ بِهِ ﴿أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بِغَيْرِ مِكْيَالٍ وَلَا مِيزَانٍ. (١١ - ١٣) ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ مِنَ الشُّرْكِ، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ﴾ أَي: بِأَنْ ﴿أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ﴾ هذا ترغيبٌ في التقوى المأمور بها.

قوله: (على الطاعات) أي: أو عن المعاصي.

قوله: (وما يُتَكَلَّوْنَ بِهِ) أي: وَمِنْ جَمَلَتِهِ مَفَارِقَةُ الْوَطَنِ الْمَأْمُورُ بِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةُ﴾.

قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: لِمَا وَرَدَ: «تُنْصَبُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَهْلِ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْحَجِّ، فَيُؤَفَّوْنَ بِهَا أَجُورُهُمْ، وَلَا تُنْصَبُ لِأَهْلِ الْبَلَاءِ، بَلْ يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الْأَجْرُ صَبًّا، حَتَّى يَتَمَنَّى أَهْلُ الْعَافِيَةِ فِي الدُّنْيَا أَنَّ أَجْسَادَهُمْ تُقَرَّضَ بِالْمَقَارِضِ مِمَّا يَذْهَبُ بِهِ أَهْلُ الْبَلَاءِ مِنَ الْفَضْلِ»^(١).

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾... إلخ) الْحِكْمَةُ فِي هَذَا الْإِخْبَارِ: إِعْلَامُ الْأُمَّةِ بِأَنْ يَتَّصِفُوا بِهِ وَيَلْزَمُوهُ؛ فَإِنَّ الْعَادَةَ أَنَّ الْمُتَّصِفَ بِخَلْقٍ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِ أَوْ يَعْرِضُ بِالْأَمْرِ بِهِ... يُوَثِّرُ فِي غَيْرِهِ، كَمَا قِيلَ: حَالُ رَجُلٍ فِي أَلْفٍ رَجُلٍ أَنْفَعُ مِنْ قَالِ أَلْفٍ رَجُلٍ فِي رَجُلٍ.

قوله: (من هذه الأمة) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ مُطْلَقًا، فَأُجَابَ: بِأَنَّ الْأَوَّلِيَّةَ بِحَسَبِ سَبْقِ الدَّعْوَةِ^(٢).

قوله: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ﴾ سبب نزولها: أَنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا الَّذِي أَتَيْتَنَا بِهِ، أَلَا تَنْظُرُ إِلَى مَلَّةِ أَيْبِكَ وَجَدِكَ وَقَوْمِكَ فَتَأْخُذُ بِهَا؟! فَتَزَلْتَ^(٣).

فَالْمَقْصُودُ مِنْهَا: زَجْرُ الْغَيْرِ عَنِ الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّهُ ﷺ إِذَا كَانَ خَائِفًا مَعَ كَمَالِ طَهَارَتِهِ وَعَظَمَتِهِ... فغَيْرِهِ أَوْلَى، وَذَلِكَ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ؛ حَيْثُ يُخْبِرُونَ غَيْرَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُتَّصِفُونَ بِهِ؛ لِيَكُونُوا مِثْلَهُمْ، لَا الْمُلُوكُ وَالْمُتَجَبِّرِينَ؛ حَيْثُ يَأْمُرُونَ غَيْرَهُمْ بِمَا لَمْ يَتَّصِفُوا بِهِ.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٨٢٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩١/٣) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

(٢) أو يقال: المعنى: أَنَّ الْإِخْلَاصَ لَهُ السَّبْقَةُ فِي الدُّنْيَا؛ فَمَنْ أَخْلَصَ كَانَ سَابِقًا، فَالْأَوَّلُ أَمْرٌ بِالْعِبَادَةِ مَعَ الْإِخْلَاصِ، وَالثَّانِي بِالسَّبْقِ، فَلَا خِلَافَ جِهَتَيْهِمَا نَزْلًا مِنْزِلَةً الْمُخْتَلِفِينَ، فَصَحَّ عَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ. انظر «تفسير النسفي» (١٥٩/٣).

(٣) انظر «زاد المسير» (١١/٤).

قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ

(١٤ - ١٦) ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ مِنَ الشِّرْكِ، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غَيْرِهِ فِيهِ تَهْدِيدٌ لَهُمْ وَإِذَانٌ بِأَنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بِتَخْلِيدِ الْأَنْفُسِ فِي النَّارِ وَبِعَدَمِ وُصُولِهِمْ إِلَى الْحُورِ الْمُعَدَّةِ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ لَوْ آمَنُوا، ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾: الْبَيِّنُ، ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾:
حاشية الصاوي

قوله: (فيه تهديد لهم) أي: من حيث الأمر.

قوله: (وإيدان) أي: إعلام.

قوله: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا﴾ خبر (إن).

قوله: ﴿وَأَهْلِيَهُمْ﴾ أي: أزواجهم وخدمتهم يوم القيامة؛ لما ورد: أن الله تعالى جعل لكل إنسان منزلاً وأهلاً في الجنة؛ فمن عمل بطاعة الله.. كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله.. دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله، فخسر نفسه وأهله ومنزله^(١).

وقيل: المراد: أهلهم في الدنيا؛ لأنهم إن كانوا من أهل النار.. فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم، وإن كانوا من أهل الجنة.. فقد ذهبوا عنهم ذهاباً لا رجوع بعده.

قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: حين يدخلون النار.

قوله: (بتخليد الأنفس) راجع لقوله: ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾، وقوله: (بعدم وصولهم إلى الحور العين... إلخ) راجع لقوله: ﴿وَأَهْلِيَهُمْ﴾ على سبيل اللّف والنّشر المرتّب.

قوله: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ أي: الذي لا خطأ فيه، وتصدير الجملة بأداة التنبيه إشارة إلى فظاعته وشناعته.

قوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ﴾: خبر مقدم، و﴿ظُلَلٌ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾: حال.

(١) رواه الخازن في «تفسيره» (٥٣/٤) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاَنْقُوتَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ
أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى

طباق ﴿مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ مِنَ النَّارِ، ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين
ليَتَّقُوهُ، يَدُلُّ عليه: ﴿يَعْبَادُ فَاَنْقُوتَ﴾.

(١٧ - ١٨) ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ﴾: الأوثان ﴿أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا﴾: أقبلوا ﴿إِلَى اللَّهِ
لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بِالْجَنَّةِ،
حاشية الصاوي

قوله: (طباق) أي: قطع كبار، وإطلاق الظلل عليها تهكُّم، وإلا.. فهي محرقة، والظلة بقي
من الحر.

قوله: ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أي: لغيرهم وإن كان فراشاً لهم؛ لأنَّ النار دركات؛ فما كان فراشاً
لجماعة يكون ظلةً لآخرين^(١).

قوله: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: فالحكمة في ذكر أحوال أهل النار تخويف المؤمنين
منها؛ ليتقوها بطاعة ربهم.

قوله: (يدلُّ عليه) أي: على الوصف المقدر وهو قوله: (المؤمنين).

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلْعُوتَ﴾... إلخ قيل: نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم؛ سألوا أبا بكر رضي الله عنه، فأخبرهم بإيمانه،
فأمَّنوا^(٢).

قوله: (الأوثان) هذا أحد أقوال في تفسيره، وقيل: هو الشيطان، وقيل: كلُّ ما عُبدَ من دون الله
تعالى، وقيل غير ذلك.

قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بِالْجَنَّةِ أي: على ألسنة الرسل، أو على ألسنة الملائكة عند حضور
الموت، وفي الحقيقة البشرية تحصل لهم في الدنيا بالثناء عليهم بصلح أعمالهم، وعند الموت،

(١) أو أنه من باب: إطلاق اسم أحد الضدين على الآخر، أو أن الظلة التحتانية لما كانت مشابهة للظلة الفوقانية
في الإيذاء والحرارة.. سميت باسمها؛ لأجل المماثلة والمثابة، والمراد: إحاطة النار بهم من جميع الجهات.
انظر «السراج المنير» (٤٣٨/٣).

(٢) ذكره البغوي في «تفسيره» (١١٣/٧) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما.

فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾: أصحاب العقول.

﴿١٩﴾ ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَا مَلَأَنَ جَهَنَّمَ...﴾ الآية [الأعراف: ١٨]، ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ﴾: تُخْرِجُ ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ - جواب الشرط، وأُقيم فيه الظاهر مقام المضمَر،

حاشية الصاوي

وعند الوضع في القبر، وعند الخروج من القبر، وعند الوقوف للحساب، وعند المرور على الصراط؛ ففي كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان.

قوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي﴾^(١) أي: الموصوفين باجتناب الأوثان والإنابة إلى الله تعالى، والإضافة لتشريف المضاف.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قيل: المراد: يستمعون الحسن والقبيح؛ فيتحدثون بالحسن، ويكفون عن القبيح، وقيل: يسمعون القرآن وغيره، فيتبعون القرآن، وقيل: يسمعون القرآن وأقوال الرسول، فيتبعون المحكم ويعملون به، ويتركون المتشابهة ويُفوضون علمه لله تعالى، وقيل: يسمعون العزيمة والرخصة، فيأخذون العزيمة، ويتركون الرخصة، وكلٌ صحيح.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ أي: الموصوفون بتلك الأوصاف.

قوله: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾... إلخ) يحتمل أن (مَنْ) شرطية، وجوابها قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ كما قال المفسر، وأعيدت الهمزة؛ لتأكيد معنى الإنكار، ولطول الكلام، وأقيم الظاهر مقام المضمَر؛ أي: أفأنت تُنْقِذُه؟ ويحتمل أنها موصولة مبتدأ، والخبر محذوف، تقديره: أنت لا تنفعه، فجملة قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ مستقلة مؤكدة لما قبلها.

وهذه الآية نزلت في حق أبي لهب وولده، ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان، وقد كان حريصاً على إيمانهم^(٢).

(١) قرأ يعقوب بإثبات الياء وقفًا، والباقون بحذفها مطلقًا. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٧٥).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/١٢).

لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّيْنَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.....

والهمزة للإنكار -، والمعنى: لا تقدر على هدايته فتُنقِذُهُ مِنَ النَّارِ.

﴿٢٠﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا رَبَّهُمْ ﴿١﴾ بِأَن أَطَاعُوهُ ﴿٢﴾ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّيْنَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٣﴾ أي: مِنْ تَحْتِ الْغُرْفِ الْفُوقَانِيَّةِ وَالتَّحْتَانِيَّةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (والهمزة) أي: الأولى، والثانية تأكيد لها.

قوله: (للإنكار) أي: الاستفهام الإنكاري.

قوله: (والمعنى: لا تقدر على هدايته... إلخ) أشار بهذا إلى أَنَّ قوله: ﴿أَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ مجازٌ مرسلٌ؛ حيث أطلق المسبَّب وأراد السبب؛ لأنَّ الإدخال في النار مسبَّبٌ عن الضلال ترك^(١) الهدى، كأنه قال: أأنت تهدي من أضلَّ الله وجعل له النار بسبب ضلاله؟

وجعلها السمرقندي في «حواشي رسالته» استعارةً بالكناية؛ حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول في النار على طريق المكنية في المرگب، وحذف المرگب الدالَّ على المشبه به، ورمز له بذكر شيء من لوازمه وهو الإنقاذ، وفيه إشكالٌ، انظر بسطه في «حاشيتنا على رسالة البيان» لأستاذنا الشيخ الدردير^(٢).

قوله: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوْا﴾ أي: وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة، المخاطبون بقوله: ﴿يَعْبَادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقَوْا رَبَّكُمْ﴾... الآية، و(لكن) ليست للاستدراك^(٣)، وإنما هي للإضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى.

قوله: ﴿هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ﴾ مقابل قوله في حق أهل النار: (لهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل)^(٤).

(١) في (ط٢): (وترك).

(٢) والإشكال هو: أنه بعد التصريح بقوله: ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ لا يصح أن تكون مكنية، بل هي تصريحية، والإنقاذ ترشيح. انظر «حاشية الصاوي على تحفة الإخوان» (ق٣٤).

(٣) لأنه لم يأت نفي كقوله: ما رأيت زيدا لكن عمراً، بل هو لترك قصة إلى قصة مخالفة للأولى؛ كقولك: جاءني زيد لكن عمرو لم يأت. «فتوحات» (٣/٦٢٦).

(٤) كذا في الأصول، وسياق الآية: ﴿هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ﴾.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ - مَنْصُوبٌ بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّرِ - ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ﴾ : وَعْدُهُ .

﴿٢١﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : تَعَلَّمَ ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾ : أَدْخَلَهُ أُمْكِنَةً نَبْعٍ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ : يَبْيَسُ ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ : فُتَاتًا ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾ : تَذَكِيرًا ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ يَتَذَكَّرُونَ بِهِ لِذِلَالَتِهِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ .

﴿٢٢﴾ ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ فَاهْتَدَى

حاشية الصاوي

قوله : (بفعله المقدر) أي : وتقديره : وعدهم الله وعداً .

قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ... إلخ استئنافٌ مَسْوقٌ لبيان تمثيل الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضمحلالها بما ذكر من أهوال الزرع ؛ تحذيراً من زخارفها والاعتراض بها .
قوله : (أدخله أمكنة نبع) أي : فمراؤه بالينابيع : الأمكنة التي أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد ؛ بحيث تكون قريبة من وجه الأرض ، وتطلق الينابيع على نفس الماء الجاري على وجه الأرض ، وكلُّ صحيح .

قوله : ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾ صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها .

قوله : ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ﴾ أي : من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ، واختلاف تلك الألوان إما في ثماره ، أو في عوده ، ومراده بالزرع : كلُّ ما يستنبت .
قوله : (فُتَاتًا) أي : متفتتاً وتمرّقاً .

قوله : ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ ... إلخ الهمزة داخلة على محذوف ، والفاء عاطفة عليه ، والتقدير : أكلُّ الناس سواءً فمن شرح الله صدره ... إلخ ، والاستفهام إنكاري ، و(من) : اسمٌ موصولٌ مبتدأ ، خبره محذوفٌ ، قدره المفسر بقوله : (كمن طبع ... إلخ) ، وهذه الآية مرتبة على قوله : ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١) .

(١) كذا في الأصول ، والآية قبلها : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ .

فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا

﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كَمَنْ طُبِعَ عَلَى قَلْبِهِ؟ دَلَّ عَلَى هَذَا ﴿فَوَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَي: عَنْ قَبُولِ الْقُرْآنِ، ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنٌ. ﴿٢٣﴾ ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا﴾ - بَدَلٌ مِّنْ ﴿أَحْسَنَ﴾ - أَي: قُرْآنًا ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ أَي: يُشَبِّهُ بَعْضُهُ بَعْضًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾﴾ أَي: نُورِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِهْتِدَاءِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ.. انْشَرَحَ وَانْفَسَحَ»، فَقِيلَ: مَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «الْإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالتَّأَهُبُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ»^(١).

قوله: (دَلَّ عَلَى هَذَا) أَي: الْمَقْدَّرُ.

قوله: (كَلِمَةُ عَذَابٍ) أَي: كَلِمَةُ تَفِيدُ الْعَذَابَ لِلْمَخَاطَبِ بِهَا.

قوله: (أَي: عَنْ قَبُولِ الْقُرْآنِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (مِنْ) بِمَعْنَى (عَنْ)، وَفِي الْكَلَامِ مَضَافٌ مَحذُوفٌ، وَيَصَحُّ أَنْ تَبْقَى (مِنْ) عَلَى بَابِهَا لِلتَّعْلِيلِ؛ أَي: قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَجْلِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ لِفَسَادِ قُلُوبِهِمْ وَخَسْرَانِهَا، وَمِنَ الْمَعْلُومِ الْمَشَاهِدُ: أَنَّ الْأَطْعِمَةَ الْفَاخِرَةَ تَكُونُ دَاءً لِبَعْضِ الْمَرْضَى، وَمِنْ هُنَا قَوْلُ بَعْضِ الْعَارِفِينَ^(٢): [الوافر]

بِذِكْرِ اللَّهِ تَزْدَادُ الذُّنُوبُ وَتَنْطَوِّسُ الْبَصَائِرُ وَالْقُلُوبُ

قوله: ﴿﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾﴾... إلخ) سَبَبُ نَزُولِهَا: أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَصَلْ لَهُمْ بَعْضُ مَلَلٍ، فَقَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: حَدِّثْنَا حَدِيثًا حَسَنًا، فَنَزَلَتْ^(٣).

(١) رَوَاهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ» (٣١٥)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي «الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ» (٣٨٩) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) ذَكَرَهُ الْإِمَامُ الشَّعْرَانِيُّ فِي «قَوَاعِدِ الصُّوفِيَّةِ» (٨٦/١)، وَقَدْ يَكُونُ مَرَادُ الْعَارِفِ بِالذِّكْرِ: الذِّكْرَ حَالِ الشُّهُودِ وَالْحَضُورِ مَعَ الْمَوْلَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لِأَنَّ الْعَارِفِينَ يَعْدُونَ الذِّكْرَ لِأَهْلِ الشُّهُودِ ذَنْبًا، وَلِأَنَّ مِنْ أَدَبِ أَهْلِ الْحَضْرَةِ الصَّمْتُ عَنْ الْعِبَارَاتِ بِاللِّسَانِ، فَمَنْ لَمْ يَصْمَتْ.. وَقَعَ فِي سُوءِ الْأَدَبِ.

(٣) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٦٢٠٩) عَنْ سَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مَثَانِي نَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ

في النظم وغيره، ﴿مَثَانِي﴾: ثُنَيَّ فِيهِ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ وَغَيْرُهُمَا، ﴿نَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾: تَرْتَعِدُ عِنْدَ ذِكْرِ وَعِيدِهِ ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾: يَخَافُونَ ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾: تَطْمَئِنُّ ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أَي: عِنْدَ ذِكْرِ وَعِيدِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (في النظم) أي: اللفظ، وقوله: (وغيره) أي: المعنى كالبلغة والدلالة على المنافع، قال البوصيري رحمته الله في هذا المعنى^(١): [البسيط]

رَدَّتْ بَلَاغُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا رَدَّ الْغَيُورِ يَدَ الْجَانِي عَنِ الْحُرْمِ
فَمَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ مِنَ الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

واعلم: أَنَّ في هذه الآية أثبت أَنَّ القرآن مُتَشَابِهٌ، وفي آية أخرى أثبت أنه مُحْكَمٌ، وفي آية أخرى أَنَّ بعضَهُ مُحْكَمٌ، وبعضُهُ مُتَشَابِهٌ، ووجه الجمع بينهما: أَنَّ المراد بالمتشابه في آية الاقتصار عليه: ما أشبه بعضَهُ بعضاً في اللفظ والمعنى من حيث البلاغة وحسن الترتيب، وبالمحكم في آية الاقتصار عليه: ما لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبالمتشابه في آية الجمع: ما خفي معناه، وبالمحكم: ما ظهر معناه، وتقدّم هذا الجمع^(٢).

قوله: ﴿مَثَانِي﴾ جمع مَثْنَى، من: التثنية بمعنى: التكرير، ووصف به المفرد وهو (الكتاب)؛ لأنَّ الكتاب جملة ذات تفاصيل، تثني وتكرّر؛ نظير قولك: الإنسان عُرووقٌ وعظامٌ وأعصابٌ.

قوله: (وغيرهما) أي: كالقصص والأحكام.

قوله: ﴿نَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ أي: تنقبض وتتجمّع من الخوف.

قوله: (عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن (إلى) ^(٣) بمعنى (عند).

قوله: (تَطْمَئِنُّ) أي: تسكن وتستقر.

قوله: (أي: عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن (إلى) بمعنى (عند)، فالتضمين في الحرف، وهو أحد وجهين، والآخر: ضَمَّنَ (تَلِينُ) معنى (تسكن) فعَدَّاهُ بِ(إلى)، والمفسّر قد جمع بينهما.

(١) في قصيدته «البردة» المشهورة.

(٢) انظر (١/٤٧٠).

(٣) كذا في الأصول، والصواب: (من)؛ كما في «الفتوحات» (٣/٦٢٨) عن العلامة الكرخي.

ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي
بُوجْهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِن قَبْلِهِمْ فَالْتَهُمُ الْعَذَابُ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الْكِتَابُ ﴿هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾.
﴿٢٤﴾ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾: يَلْقَى ﴿بُوجْهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أَشَدَّهُ بِأَن يُلْقَى
فِي النَّارِ مَغْلُولَةً يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ كَمَن أَمِنَ مِنْهُ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كُفَّارِ
مَكَّةَ: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جَزَاءُهُ.

﴿٢٥ - ٢٦﴾ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رُسُلَهُمْ فِي إِتْيَانِ الْعَذَابِ، ﴿فَالْتَهُمُ الْعَذَابُ
مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾:

حاشية الصاوي

والحاصل: أَنَّ الله تعالى بيَّن حال المؤمن عند سَمَاعِ الْقُرْآنِ، فحالة ذكر الوعيد يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْخَوْفُ،
فيتصاغَرُ، وفي حال ذكر الوعد يَغْلِبُ عَلَيْهِ الرَّجَاءُ، فيَتَّسِعُ صَدْرُهُ، وتطمئنُّ نَفْسُهُ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ
وَالرَّجَاءَ مَصْحُوبَانِ لِلْعَبْدِ كَجَنَاحِي الطَّائِرِ؛ إِنْ عَدِمَ أَحَدَهُمَا... سقط.

قوله: (أي: الْكِتَابُ) أي: الْمَوْصُوفُ بِتِلْكَ الصِّفَاتِ.

قوله: ﴿هُدَىٰ اللَّهُ﴾ أي: سَبَبٌ فِي الْهُدَى، أَوْ بُلُغٌ فِيهِ حَتَّى جُعِلَ نَفْسَ الْهُدَى.

قوله: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي﴾ الْهَمْزَةُ دَاخِلَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَيْهِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَكَلَ النَّاسُ
سِوَاءَ فَمَن يَتَّقِي... إلخ. (مَنْ): اسْمٌ مُّوَصُولٌ مُّبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ بِقَوْلِهِ: (كَمَنْ
أَمِنَ مِنْهُ).

قوله: (مَغْلُولَةٌ يَدَاهُ) أي: وَفِي عُنُقِهِ صَخْرَةٌ مِنْ كِبَرِيَّتِ مِثْلِ الْجِبَالِ الْعَظِيمَةِ، فَتَشْتَعِلُ النَّارُ فِيهَا
وَهِيَ فِي عُنُقِهِ، فَحَرُّهَا وَوَهْجُهَا عَلَى وَجْهِهِ، لَا يُطِيقُ دَفْعَهَا عَنْهُ؛ لِلْأَغْلَالِ الَّتِي فِي يَدِهِ وَعُنُقِهِ.

قوله: ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ التَّعْبِيرُ بِالْمَاضِي لِتَحَقُّقِ الْحَصُولِ.

قوله: (أي: كُفَّارِ مَكَّةَ) الْأَوْضَحُ أَنَّ يَقُولُ: (أي: الْكُفَّارُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ).

قوله: (أي: جَزَاءُهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

قوله: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ بَيَانٌ لِّحَالِ الْمَكْذِبِينَ قَبْلَهُمْ، وَمَا حَصَلَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا

مِن الْعَذَابِ.

فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا

مِنْ جِهَةٍ لَا تَخْطُرُ بِإِلَهُمِ، ﴿فَإِذَا قَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ﴾: الذُّلُّ وَالْهَوَانُ مِنَ الْمَسْخِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ
﴿فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا﴾ أَي: الْمُكَذِّبُونَ ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عَذَابَهَا مَا كَذَّبُوا.
﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾: جَعَلْنَا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَعِظُونَ، ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ - حَالٌ مُؤَكَّدَةٌ - ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أَي: لَبْسٍ وَاخْتِلَافٍ
﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الْكُفْرَ.

﴿٢٩﴾ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ﴾ لِلْمُشْرِكِ وَالْمُوحِدِ ﴿مَثَلًا رَجُلًا﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿مَثَلًا﴾ -

حاشية الصاوي

قوله: (لا تخطر ببالهم) المراد بالجهة: السبب؛ أي: أتاهاهم العذاب بسبب لا يخطر ببالهم؛
كاللواط في قوم لوط مثلاً.

قوله ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: يصدقون ويؤمنون، وقوله: (ما كذبوا) جواب (لو).

قوله: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا﴾ اللام موطئة لقسم محذوف^(١)، ومعنى (ضربنا): بيّنا ووضحنا.

قوله: (حال مؤكدة) أي: لفظ ﴿قُرْءَانًا﴾، وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطئة
بالنسبة لما بعدها^(٢)؛ كما تقول: جاء زيد رجلاً صالحاً.

قوله: ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ نعت لـ ﴿قُرْءَانًا﴾، أو حال أخرى.

قوله: (أي: لبس واختلاف) فمعناه صحيح ولا لبس ولا تناقض فيه.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ علة لقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

قوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾... إلخ) المعنى: اضرب يا محمد لقومك هذا المثل، واذكره لهم؛

لعلهم يؤمنون.

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، وتقدم هذا كثيراً للمصنف رحمه الله.

(٢) لأن الحال في الحقيقة (عربياً)، و(قرآنًا) توطئة له، ويجوز أن يكون منصوباً على المدح؛ لأنه لما كان نكرة امتنع
إتباعه للقرآن، أو ينتصب بـ (يتذكرون) أي: يتذكرون قرآنًا. انظر «الدر المصون» (٩/٤٢٤).

فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾: مُتَنَازِعُونَ سَيِّئَةُ أَخْلَاقِهِمْ، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾: خَالِصًا ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ - تَمْيِيزٌ - أَي: لَا يَسْتَوِي الْعَبْدُ لِرَجْمَاعَةٍ وَالْعَبْدُ لِوَاحِدٍ؛ فَإِنَّ الْأَوَّلَ إِذَا طَلَبَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ مَالِكِيهِ خِدْمَتَهُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ تَحَيَّرَ فِيمَنْ يَخْدُمُهُ مِنْهُمْ، وَهَذَا مَثَلٌ لِلْمُشْرِكِ، وَالثَّانِي مَثَلٌ لِلْمُوحِّدِ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وَحْدَهُ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أَي: أَهْلُ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مَا يَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ فَيُشْرِكُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مُتَشَكِّسُونَ﴾ التَّشَاكُّسُ: التَّخَالُفُ وَالتَّشَاجُرُ مَعَ سُوءِ الْخُلُقِ، وَمِثْلُهُ: التَّشَاخُصُ؛ بِخَاءٍ بَدَلِ الْكَافِ.

قوله: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ بِالْأَلِفِ بَعْدَ السَّيْنِ مَعَ كَسْرِ اللَّامِ، وَتَرْكُهَا مَعَ فَتْحِ السَّيْنِ وَاللَّامِ، قَرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، فَالْأُولَى: اسْمُ فَاعِلٍ، وَالثَّانِيَّةُ: مُصَدَّرٌ، وَصِفُوا بِهِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، وَقَرَأَ شَذَوذًا بِكَسْرِ السَّيْنِ وَسُكُونِ اللَّامِ^(١).

قوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ الْإِسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ بِمَعْنَى النِّفْيِ.

قوله: (تَمْيِيزٌ) أَي: مَحْوَلٌ عَنِ الْفَاعِلِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَسْتَوِي مَثَلُهُمَا وَصِفَتُهُمَا.

قوله: (أَي: لَا يَسْتَوِي الْعَبْدُ لِرَجْمَاعَةٍ) هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الْمَحْسُوسُ لِلْمُشْرِكِ الَّذِي يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ، فَقَوْلُهُ: (لِرَجْمَاعَةٍ) أَي: سَيِّئَةُ أَخْلَاقِهِمْ، وَقَوْلُهُ: (وَالْعَبْدُ لِوَاحِدٍ) هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الْمَحْسُوسُ لِلْمُوحِّدِ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَقَوْلُهُ: (فَإِنَّ الْأَوَّلَ... إلخ) تَقْرِيرٌ لِلْمَثَلِ الْأَوَّلِ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلثَّانِي؛ لِوُضُوحِهِ.

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أَي: عَلَى عَدَمِ اسْتِوَاءِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ.

قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: مَعَ بَيَانِ ظُهُورِهِ، وَهُوَ إِضْرَابٌ انْتِقَالِيٌّ مِنْ بَيَانِ عَدَمِ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَذْكُورِ إِلَى بَيَانِ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

(١) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو: (سَالَمًا) بِالْأَلِفِ وَكَسْرِ اللَّامِ، وَابْنُ الْقَاسِمِ: (سَلَمًا) بِفَتْحِ السَّيْنِ وَاللَّامِ، وَابْنُ جُبَيْرٍ بِكَسْرِ السَّيْنِ وَسُكُونِ اللَّامِ. انْظُرْ «الدر المصون» (٩/٤٢٥).

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ

(٣٠ - ٣١) ﴿إِنَّكَ﴾ - خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ - ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾: سَتَمُوتُ وَيَمُوتُونَ، فلا شِمَاتَةَ بِالمَوْتِ، نَزَلَتْ لَمَّا اسْتَبْطَؤُوا مَوْتَهُ ﷺ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيُّهَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَكُمْ مِنَ المَظَالِمِ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ﴾. ﴿٣٢﴾ ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أَحَدٌ ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾: بِالْقُرْآنِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ العامة على التشديد، وهو مَنْ سيموت، وأمَّا المَيِّتُ - بالتخفيف - فهو مَنْ فارقتهُ الرُّوحُ بالفعل^(١).

قوله: (فلا شِمَاتَةَ بالموت) الشِمَاتَةُ: الفرحُ ببلية العدو.

قوله: (نزلت لما استبظؤوا موته... إلخ) أي: وذلك أنهم كانوا يَنتظرون موته، فأخبر الله تعالى بأنَّ الموتَ يعمُّهم، فلا معنى لِشِمَاتَةِ الفاني بالفاني.

قوله: (أيُّهَا النَّاسُ) أي: مؤمنهم وكافرهم، وقوله: ﴿تَخَصِّصُونَ﴾ أي: يُخَاصِمُ بعضكم بعضاً، فَيُقْتَصُّ للمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ؛ لما روي: أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مِنَ المَفْلَسِ؟» قالوا: المَفْلَسُ فِينَا مَنْ لا درهم ولا متاعَ له، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ المَفْلَسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَوَاتٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ مَالَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضَى مَا عَلَيْهِ... أَخِذْ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^(٢).

قوله: (أي: لا أَحَدٌ) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: ﴿فَمَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: ومن جملة الكذبِ على الله الكذبُ على رسوله؛ بأن يقول مثلاً: قال رسول الله كذا، أو هذا شرعه، والحال أنه لم يكن قاله، ولم يكن شرعه.

(١) وعلى هذه التفرقة جماعةٌ من الفقهاء والأدباء، وعندي فيه نظر؛ فإنهم صرحوا بأن الميت - مخفف الياء - مأخوذٌ ومخفَّفٌ من الميت المشدد، وإذا كان مأخوذاً منه... فكيف يُصَوَّرُ الفرق بينهما في الإطلاق؟! «تاج العروس» (١٠١/٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

إِذْ جَاءَهُ^{٣٢} النَّاسُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ^{٣٣} أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿إِذْ جَاءَهُ^{٣٢} النَّاسُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَا وَى ﴿لِّلْكَافِرِينَ﴾؟ بلى .

(٣٣ - ٣٤) ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ هو النَّبِيُّ ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ^{٣٣}﴾ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، فـ(الَّذِي) بِمَعْنَى (الَّذِينَ)، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشُّرَكَاء، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لِأَنفُسِهِمْ بِإِيمَانِهِمْ .

﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذْ جَاءَهُ^{٣٢}﴾ ظرفٌ لـ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾، والمعنى: كَذَّبَ بالصدق وقت مجيئه .

قوله: (بلى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى، والمعنى: في جهنم مَثْوًى للكافرين؛ لأنَّ (بلى) يجاب بها النفي، ويُصيرُه إثباتاً؛ كما تقدَّم .

قوله: (فـ«الذي» بمعنى «الذين»): أي: بالنسبة للصلة الثانية؛ ولذا رُوعي معناه، فُجِّعَ في قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، وروعي لفظها في قوله: ﴿جَاءَ... وَصَدَّقَ﴾ .

قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: كلُّ ما يشتهون من وقت حضور الموت؛ كالأمن من الفتنات عنده^(١)، ومن فتنة القبر وعذابه، ومن هَوَلِ الموقف... إلى غير ذلك .

قوله: (لأنفسهم) متعلق بـ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾، وفيه إشارة إلى أنَّ إحسانَ الإنسان لنفسه، وثمرته عائدةٌ عليها، فلا يعود على الله نفعٌ محسنٍ، ولا ضررٌ مسيءٍ، تعالى الله عنه .

والإحسان للنفس يكون بطاعة الله والالتجاء إليه، وبذل المعروف للخلق محبةً في الخلق، وبهذا تكون النفس عزيزةً، ومن أعزَّ نفسه.. أعزَّه الله، وبضدّها تتميَّز الأشياء .

قوله: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: يسَّرَ الله لهم ذلك ليكفروا... إلخ، واللام: للعاقبة والصيرورة، وهو تفصيل لقوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ .

(١) كذا جمعه في الأصول، ولعل الأولى (فُتَّان) كـ(زُفَّان)، وفي الحديث عند أبي داود في «سننه» (٣٠٧٠): «المسلم أخو المسلم يتعاونان على الفتن» يروى بضم الفاء وفتحها، فالضم: جمع فتن؛ أي: يُعاون أحدهما الآخر على الذين يُضلون الناس عن الحق ويفتنونهم، وبالفتح هو الشيطان، لأنه يفتن الناس عن الدين. انظر «تاج العروس»، مادة (ف ت ن)، و«النهاية» لابن الأثير (٤١٠/٣) .

أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ.....

(أسوأ) و(أحسن) بِمَعْنَى السَّيِّئِ وَالْحَسَنِ.

(٣٦ - ٣٧) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النَّبِيُّ؟ بلى، ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الْخِطَابُ لَهُ ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الْأَصْنَامَ أَنْ تَقْتُلَهُ أَوْ تَخْبِلَهُ، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ: غَالِبٍ عَلَى أَمْرِهِ، ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾ مِنْ أَعْدَائِهِ؟ بلى.

﴿٣٨﴾ وَلَئِنْ - لَا مُقَسِّمَ -
حاشية الصاوي

قوله: (بمعنى: السيئ والحسن) أي: ف(أفعل) التفضيل ليس على بابه، وهو جوابٌ عما يقال: مقتضاه: أنه يُكْفَرُ عنهم الأسوأ فقط، ويُجَازَوُا على الأحسن فقط، ولا يُكْفَرُ عنهم السيئ، ولا يُجَازَوُا^(١) على الحسن.

قوله: ﴿عَبْدَهُ﴾ أي: رسول الله ﷺ، وقيل: المراد به: الخالص في العبودية لله، وهو الأتم، ويؤيده قراءة (عباده) بالجمع، وهي سبعة أيضاً^(٢)، والمعنى: أن مَنْ أخلص لله في عبادته.. كفاه ما أهمه في دينه ودُنياه وآخرته.

قوله: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ يصح أن تكون الجملة حالية، والمعنى: أن الله كافيك في كلِّ حالٍ حتى في حال تخويفهم لك، ويصح أن تكون مستأنفة.

قوله: (أو تخيله) أي: تُفْسِدُ أعضاءه، وتُذهِبُ عقله.

قوله: ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾ أي: ينتقم من أعدائه لأوليائه، وتأخير قوله: (بلى)؛ للإشارة إلى أنه راجع لقوله: ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾ أيضاً.

(١) كذا في (أ) بحذف النون في الموضعين، على لغة التخفيف المعروفة، وفي (ط) بإثباتها، وهي ظاهرة.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجمع، وقرأ الباقون بالانفراد، وقيل: قراءة الجمع محمولة على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإن قومهم قصدوهم بالسوء؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾، وكفاهم الله تعالى شرَّ مَنْ عاداهم. انظر «السراج المنير» (٤٨٨/٣).

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ

﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ؟﴾ لا، ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ؟﴾ لا، - وفي قراءة بإضافة فيهما - ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾: يَتَّقُ الْوَاقِفُونَ.

﴿٣٩﴾ - ﴿٤٠﴾ ﴿قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (أي: فلا جواب لهم غيره؛ لقيام البراهين الواضحة على أنه المنفرد بالخلق والإيجاد).

قوله: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ...﴾ (إلخ) (رأى): متعدية لمفعولين: الأول قوله: ﴿مَا تَدْعُونَ﴾، والثاني قوله: ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ...﴾ (إلخ)، وقوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِي...﴾ (إلخ): جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثاني، وجوابها محذوف؛ لدلالة المفعول الثاني عليه، وتقديره: لا كاشف له غيره. قوله: ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ (قدّمه؛ لأنّ دفعه أهم، وخصّ نفسه؛ لأنه جواب لتخويله من الأصنام).

قوله: ﴿هَلْ هُنَّ﴾ (عبر عنها بضمير الإناث؛ تحقيراً لها، ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث؛ كالكالات والعزّى ومناة).

قوله: (وفي قراءة بإضافة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ (أي: كافّي، فلا التفت لغيره).

قوله: (بتق الواثقون) أي: يعتمد المعتمدون.

قوله: ﴿قُلْ يَنْقُورِ أَعْمَلُوا﴾ (إلخ) هذا الأمر للتهديد.

(١) قرأ أبو عمرو بالتنوين ونصب (ضره) و(رحمته)، وهو الأصل في اسم الفاعل. والباقون بإضافة وهو تخفيف.

إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا

حَالَتُكُمْ، ﴿إِنِّي عَمِلْتُ﴾ على حالتي، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَنْ﴾ - مَوْصُولَةٌ مَفْعُولُ الْعِلْمِ - ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ﴾: يَنْزِلُ ﴿عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾: دَائِمٌ هُوَ عَذَابُ النَّارِ، وَقَدْ أَخْزَاهُمْ اللَّهُ بِبَدْرِ.

﴿٤١﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِـ (أَنْزَلَ) - ﴿فَمَنِ اهْتَكَيْ فَلِنَفْسِهِ﴾ اهْتِدَاؤُهُ، ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فَتُجْبِرُهُمْ عَلَى الْهُدَى.

﴿٤٢﴾ ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا

حاشية الصاوي

قوله: (حالتكم) أي: وهي الكفر والعناد، وفيه تشبيه الحال بالمكان؛ بجامع الثبوت والاستقرار في كل.

قوله: (مفعولة العلم) أي: لأنها بمعنى (عرف) فتتصب مفعولاً واحداً.

قوله: ﴿يُخْزِيهِ﴾ أي: يُهَيِّئُهُ وَيَذُلُّهُ.

قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ أي: لمصالح الناس في معاشهم ومعادهم.

قوله: (متعلق بـ «أنزل») ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال؛ إمّا من فاعل (أنزل)، أو من مفعوله.

قوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ هذا تسليّة له ﷺ، والمعنى: ليس هداهم بيدك

ولا في ضمانتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه، وإنما هو بيدنا؛ فإن شئنا.. هديناهم، وإن شئنا.. أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال.

قوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يقبض الأرواح عند حضور آجالها، فالنفس

والروح شيء واحد على التحقيق^(١)، وذلك القبض؛ ظاهراً بحيث ينعدم التمييز والإحساس، وباطناً بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة.

(١) وروي عن سيدنا ابن عباس ؓ: أن في ابن آدم نفساً وروحاً، بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والحياة، فيتوفيان عند الموت، وتتوفى النفس وحدها عند النوم. فأثبت ﷺ =

وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

﴿وَيَتَوَفَّى﴾ (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أي: يَتَوَفَّاها وقتَ النَّوْمِ، ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقتِ مَوْتِها، والمُرْسَلَةُ نفسُ التَّمْيِيزِ تَبْقَى بِدُونِها نفسُ الحَيَاةِ بِخِلَافِ العَكْسِ،
حاشية الصادى

قوله: ﴿وَيَتَوَفَّى﴾ (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أشار بهذا إلى أَنَّ الموصول معطوفٌ على (الأنفس) مسلَّطٌ عليه (يتوفى)، والمعنى: يقبض الأرواح التي لم تحضُر آجالها عند نومها ظاهراً؛ بحيث ينعدم التمييز والإحساس، لا باطناً؛ فإنَّ الحَيَاةَ والنَّفْسَ والحركة باقية؛ ولذا عَرَفُوا النوم بأنه فطرةٌ طبيعيَّةٌ تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسَّه الحركة، وعقله الإدراك، وأمَّا في حالة اليقظة فالروح سارية في الجسد ظاهراً وباطناً؛ لأنها جسمٌ لطيف شفاف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها، وقيل: مَقَرُّها القلب، وشعاعها مقوِّمٌ للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج، فأصلها في وسطه، ونورُها سارٍ في جميع أجزائه.

قوله: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ أي: لا يردُّها إلى جَسَدِها، وتحيا حياة دنيوية.

قوله: (أي: وقت مَوْتِها) ظاهره: أن قوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ راجعٌ لقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾ فقط، ويصحُّ رجوعه له وللذي قبله، ويُرَادُ بـ(الأجل المسمَّى) في الممسوك: النفخة الثانية.

قوله: (نَفْسُ التَّمْيِيزِ) أي: والإحساس.

قوله: (نَفْسُ الحَيَاةِ) أي: والحركة والنَّفْسَ.

قوله: (بخلاف العكس) أي: فمتى ذهبَت نفسُ الحَيَاةِ لا تبقى نفسُ التَّمْيِيزِ والإحساس.

واعلم: أنه اخْتَلَفَ هل في الإنسان روحٌ واحدةٌ، والتَّعَدُّدُ باعتبار أوصافها، وهو التحقيق، أو رُوحان؛ إحداهما: رُوح اليقظة التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد... كان الإنسان متيقِّظاً، فإذا أخرجت منه نام الإنسان ورأت تلك الروحُ المناماتِ، والأخرى: رُوحُ الحَيَاةِ

= في ابن آدم شيئين وسمى أحدهما نفساً، والآخر روحاً، وجعل نسبة الروح إلى النفس كنسبة الشعاع إلى الشمس في كونه متعلقاً بها وأثراً لها، وعلى ما ذكره المصنف ليس في ابن آدم إلا شيء واحد. «فتوحات» (٦٣٢/٣) وأطال في مناقشة الأقوال وتوجيهها.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾: دلالات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾: فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْقَادِرَ عَلَى ذَلِكَ قَادِرٌ عَلَى الْبَعْثِ، وَقَرِيشَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي ذَلِكَ.

﴿٤٢﴾ ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنامَ إِلَهَةً ﴿شُفَعَاءَ﴾: عِنْدَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ، ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿أَيُّ شَفَعُونَ﴾ وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ﴿مِنْ الشَّفَاعَةِ﴾ وَغَيْرِهَا، ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنْكُمْ تَعْبُدُونَهُمْ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ؟ لَا.

﴿٤٤﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ أي: هُوَ مُخْتَصٌّ بِهَا فَلَا يَشْفَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دُونَ إِلَهَتِهِمْ ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: نَفَرَتْ وَانْقَبَضَتْ

حاشية الصاوي

التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حيًا، فإذا فارقت مات، فإذا رجعت إليه حيي؟ وكلامُ المفسرٍ محتملٌ للقولين.

قوله: (المذكور) أي: من التَّوْفِي والإمساك والإرسال.

قوله: (وقريش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ إضراباً انتقاليًا.

قوله: (أي: الأصنام) بيانٌ للمفعول الأول.

قوله: (أيشفعون) أشار بهذا إلى أَنَّ الهمزة داخلة على محذوف، والواو عاطفة عليه.

قوله: (لا) أشار به إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: (أي: هو مختص) جوابٌ عمّا يقال: مقتضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى مع أنه قد

جاء في الأخبار أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالشَّهَدَاءِ شَفَاعَاتٍ، فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْمَعْنَى: لَا يَمْلِكُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا اللَّهُ، وَشَفَاعَاتُ هَؤُلَاءِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَرِضَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

قوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: تُرَدُّونَ فَيُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ (إذا): مَعْمُولَةٌ لِقَوْلِهِ: ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾.

قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ بِمَعْنَى: يا الله ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعَهُمَا، ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾: ما غاب وما شُهِد، ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ.

﴿٤٧﴾ - ﴿٤٨﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا﴾: ظَهَرَ ﴿لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾: يَظُنُّونَ، حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: لنسيانهم حقَّ الله تعالى، وهذه الآية تجرُّ بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات.
قوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ﴾ أي: التَّجَيُّ إلى ربِّك بالدعاء والتضرع؛ فإنه القادرُ على كلِّ شيء.
قوله: (أي: يا الله) أي: فحُذِفَتْ ياءُ النداء، وعُوِّضَ عنها الميم، وشُدَّتْ لتكون على حرفين كالمعوِّض عنه.

قوله: (اهْدِنِي) هذا هو المقصود بالدعاء، وتَمَامُ تلك الدعوة النبويَّة على ما ورد: «اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ» يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١).
قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾... إلخ بيان لغاية شدَّة ما ينزل بهم.
قوله: ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ أي: بالمذكور من الأمرين.
قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ظرفٌ لـ (افتدوا).
قوله: ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾... إلخ كلامٌ مستأنفٌ، أو معطوف على قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾... إلخ.

(١) رواه مسلم (٧٧٠) عن سيدتنا عائشة ؓ.

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ
ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.
﴿٤٩﴾ ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾: الْجِنْسَ ﴿ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ﴾: أَعْطَيْنَاهُ ﴿نِعْمَةً﴾: إِنْعَامًا
﴿مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾: مِنَ اللَّهِ بِأَنِّي لَهُ أَهْلٌ، ﴿بَلْ هِيَ﴾: الْقَوْلَةُ ﴿فِتْنَةٌ﴾:
بَلِيَّةٌ يُبْتَلَىٰ بِهَا الْعَبْدُ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أَنَّ التَّخْوِيلَ اسْتِدْرَاجٌ وَامْتِحَانٌ.
﴿٥٠﴾ - ﴿٥١﴾ ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: مِنَ الْأُمَمِ كَقَارُونَ وَقَوْمِهِ الرَّاغِبِينَ بِهَا،
﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: ﴿٥٠﴾ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي: جَزَاؤُهَا، ﴿وَالَّذِينَ
ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ﴾: أي: قُرَيْشٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي: الأعمال السيئة حين تُعْرَضُ عليهم صَحَائِفُهُمْ.
قوله: (الجنس) أي: فهو إخبارٌ عن الجنس بما يفعله غالب أفرادِهِ.
قوله: (إنعاماً) أي: تفضلاً وإحساناً.
قوله: ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ من الله... إلخ) أي: أو مِنِّي بوجوه كسبه، أو أَنِّي أُعْطِيتُهُ بسبب محبة الله
لي وفلاحي.
قوله: (أي: القولة) أشار بذلك إلى أَنَّ الضمير عائدٌ على القولة، وقيل: عائدٌ على النعمة،
والمعنى: أَنَّ النعمة فتنة؛ أي: امتحان واختبار؛ هل يشكر عليها أو يكفرها؟
قوله: (أَنَّ التَّخْوِيلَ) أي: إعطاء النعم تفضلاً وإحساناً.
قوله: (الراضين بها) أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْمَهُ لَمْ يَقُولُوهَا بالفعل، وإنما نُسِبَتْ لَهُمْ مِنْ حَيْثُ
رضاهم بها.
قوله: ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾: أي: جزاء أعمالهم السيئة.
قوله: ﴿مِن هَؤُلَاءِ﴾: بيان لـ(الذين ظلموا).

سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَعْبادِي

﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾: بِفَاتَيْنِ عَذَابِنَا، فَقَحِطُوا سَبْعَ سِنِينَ ثُمَّ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ.

﴿٥٢﴾ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امْتِحَانًا، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ لِمَن يَشَاءُ ابْتِلَاءً، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بِهِ.

﴿٥٣﴾ ﴿قُلْ يَعْبادِي

حاشية الصاوي

قوله: (فقحطوا سبع سنين) أي: أوائل سني الهجرة حتى أكلوا الحَبِيفَ والعظمَ المحرَّقَ.

قوله: (ثم وُسِّعَ عليهم) أي: استدراجاً لهم، لا رضاً عليهم.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: القائلون: إنما أوتيته على علم عندي.

قوله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ أي: وإن كان لا حيلة له ولا قوة، طائعاً أو عاصياً.

قوله: ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي: لمن يشاء وإن كان قوياً شديداً، طائعاً أو عاصياً، فليس لبسط الرزق الدنيوي ولا لقبضه مدخل في محبة الله ولا بُغْضِهِ، بل بحكمته تعالى.

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: المذكور.

قوله: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾... إلخ) سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ بعث إلى وحشي قاتل حمزة يدعوهُ إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أنه مَنْ قَتَلَ أو أَشْرَكَ أو زنى... يلقَ أثاماً، يضاعفُ له العذاب، وأنا فعلت ذلك كله، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾، فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلني لا أقدر عليه، فهل غير ذلك؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، قال وحشي: أراني بعد في شبهة؛ أيغفر لي أم لا؟ فنزلت هذه الآية، فقال وحشي: نعم، الآن لا أرى شرطاً، فأسلم^(١).

(١) رواه عطاء عن ابن عباس، وفيه نظر، وهو بعيد الصحة، والمحمفوظ في إسلامه غير هذا، وأنه قدِمَ مع رسل الطائف، فأسلم من غير اشتراط. انظر «زاد المسير» (٣/٣٢٩).

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ﴿٥٣﴾ - بِكسر النون وفتحها، وقرئ بضمها -: تَيَاسُوا

حاشية الصاوي

وهذه الآية عامّة لكلّ كافر وعاصٍ؛ لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومن ثمّ قيل: إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى.

وفيها من أنواع المعاني والبيان أمورٌ حسنٌ؛ منها: إقباله تعالى على خلقه، ونداؤه إيّاهم. ومنها: إضافتهم إليه إضافةً تشريف.

ومنها: الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾.

ومنها: إضافة الرحمة لأجل أسمائه، الجامع لجميع الأسماء والصفات، وهو لفظ الجلالة.

ومنها: الإتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة ب(إن) وضمير الفصل في قوله: ﴿وَإِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾؛ للإشارة إلى أنه تعالى لا وصف له مع عباده إلا الغفران والرحمة. ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنّ الله تعالى لما شدّد على الكفار التشديد العظيم في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا...﴾ الآية، أتبعها بذكر عظيم غفرانه ورحمته لمن آمن؛ ليجمع العبد بين الرجاء والخوف.

قوله: ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: فرطوا في الأعمال الصالحة، وارتكبوا سيئ الأعمال وأكثروا منه.

قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ إن قلت: إنّ في هذا إغراءً بالمعاصي واتكالا على غفرانه تعالى، وهو لا يليق.

أجيب: بأنّ المقصود تنبيه العاصي على أنه ينبغي له أن يُقدّم على التوبة، ولا يقنط من رحمة الله، وليس ذلك إغراءً بالمعاصي، بل هو تظمين للعصاة، وترغيب لهم في الإقبال على ربهم.

قوله: (بكسر النون وفتحها) أي: من باب: (جَلَسَ) و(سَلِمَ)، وهما سبعيتان^(١).

قوله: (وقرئ بضمها) أي: من باب: (دخل)، وهي شاذّة.

(١) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي بكسر النون، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٥٥).

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

﴿مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لِمَنْ تَابَ مِنَ الشَّرِكِ، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.
 (٥٤ - ٥٥) ﴿وَأَنِيبُوا﴾: ارْجِعُوا ﴿إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾: أَخْلِصُوا الْعَمَلَ ﴿لِلَّهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ بِمَنْعِهِ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا،
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ أي: إشراكاً أو غيره، وهو مُقَيَّد بالتوبة كما قال المفسر؛ لأنَّ بها يخرج العاصي من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه؛ كما في الحديث: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»^(١)، وأما مَنْ مات مسلماً ولم يَتُبْ من ذنوبه.. فأمره مَفُوضٌ لِرَبِّهِ؛ إِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ بِقَدْرِ جُرْمِهِ، ثُمَّ يُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، وَأَمَّا مَنْ مات مشركاً.. فلا يُغْفَرُ لَهُ بِنَصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، ومن هنا قيل: رحمة الله غلبت غضبه؛ لأنَّ دار الغضب مخصوصةٌ بمن مات مشركاً، بخلاف دار الرحمة فهي لمن عدا ذلك.

قوله: (لمن تاب من الشرك) إنما خصَّ الشرك؛ لأنَّ التوبة منه مقبولةٌ قطعاً بنصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان: قيل: مقبولة ظناً، وقيل: قطعاً، والفرق: أنَّ تعذيب العاصي تطهيراً، وتعذيب الكافر غضب، فمآل العاصي للجنة وإن طالت مدَّته في النار؛ لأنَّ مُعَامَلَتَهُ بِالْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، بخلاف الكافر فمُعَامَلَتُهُ بِالْعَدْلِ.

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ تعليلٌ لما قبله، وهذان الوصفان يكونان لمن تاب؛ فالغفرانُ نجاته من النار، والرَّحْمَةُ دخوله الجنة.

قوله: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾ أتى بهذه الآية عقب التي قبلها؛ لثلاث يتكَلَّ العاصي على الغفران ويترك التوبة والرجوع إلى الله، فأفاد أنَّ الرجوع إلى الله والإقبال عليه مطلوبٌ، ومَنْ ترك ذلك فله الوعيدُ العظيم.

قوله: (إِنْ لَمْ تَتُوبُوا) راجعٌ لقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾.

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ.....

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو القرآن، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيائه بوقته.

(٥٦ - ٥٩) فبادرُوا قَبْلَ ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَةٍ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: على لسان أحسن نبيٍّ وهو محمد ﷺ، وهذا معطوفٌ على قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا﴾، والمعنى: ارجعوا إلى ربكم، والزموا أوامرَ أحسن كتابٍ أنزل إليكم ونواهيته، وهذا الخطاب عامٌّ للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة، ولكن مَنْ أدركه التكليف كُلفَ باتِّباعه، ومَنْ لم يُدرکه؛ بأن كان متقدِّماً عليه.. يلزمه اتِّباعه لو فُرضَ أنه أدركه، ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم أنه إن ظهر محمد وأحدهم حيًّا.. يلزمه اتِّباعه، وفي الحديث: «لو أدركني موسى.. ما وسعني إلا اتِّباعي»^(١)، وحينئذٍ فالمعنى: اتَّبِعُوا يا عبادي من أوَّل الزمان لا آخره أحسنَ كتابٍ أنزل إليكم من ربكم، فالمكلف بهذا الخطاب مَنْ أدركه ومَنْ لم يُدرکه، لكن مَنْ لم يُدرکه مكلفٌ به لولا مانع الموت؛ ولذا كُلف به من بقي حيًّا حتى أدركه كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام.

قوله: (القرآن) تفسیرٌ لـ ﴿أَحْسَنَ﴾؛ فإنَّ ما أنزل إلينا من ربِّنا كتبٌ كثيرةٌ، وأحسنها القرآن، وهذا كلُّه على ما فهم المفسِّر، وقيل: معنى ﴿أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ...﴾ إلخ أي: من القرآن، وهو أوامره دون نواهيته، أو عزائمه دون رخصه، أو ناسخه دون منسوخه، أو ما هو أعمُّ، والخطاب لخصوص هذه الأمة، فتدبَّر.

قوله: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ معمولٌ لمحذوفٍ، قدَّره المفسِّر بقوله: (بادرُوا قبل أن تقول... إلخ)، وقدَّره غيره: (كراهة - أو مخافة - أن تقول نفس... إلخ)^(٢)، وحينئذٍ: فيكون مفعولاً لأجله، وهو أسهل مما قدَّره المفسِّر. والمراد: نفسُ الكافر، ونكَّرها؛ للتَّحقير.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٤)، والبخاري في «شرح السنة» (١٢٦) عن سيدنا جابر بن عبد الله ؓ.

(٢) قال الزمخشري: كراهة أن تقول، والحوافي: أنذرناكم مخافة أن تقول، ونكَّرت (نفس)؛ لأنه أريد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر، أو أريد الكثير. انظر «البحر المحيط» (٤١٧/٧).

عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَنِي
لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

أصله: يا حَسْرَتِي، أي: نَدَامَتِي ﴿عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: طَاعَتِهِ، ﴿وَإِنْ﴾ - مُخَفَّفَةٌ
مِنَ الثَّقِيلَةِ - أي: وَإِنِّي ﴿كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ بِدِينِهِ وَكِتَابِهِ، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَنِي﴾
بِالطَّاعَةِ فَاهْتَدَيْتُ ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ عَذَابَهُ، ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي
كَرَّةً﴾: رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: الْمُؤْمِنِينَ،

حاشية الصاوي

قوله: (أصله: يا حَسْرَتِي) أي: فقلبت الياء ألفاً، فهي في محلٍّ جرٍّ، ونداؤها مجازيٌّ؛
أي: هذا أوانك فاحضري.

قوله: (أي: طَاعَتِهِ) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بالجنب: الطاعةُ مجازاً؛ لأنَّ الجنب في الأصل:
الجهةُ المحسوسة، ويرادفه الجانبُ، فشَبَّهَت الطاعةُ بالجهة؛ بجامع تعلق كلِّ بصاحبه؛ لأنَّ الطاعةَ
لها تعلقٌ بالله تعالى، والجهة لها تعلقٌ بصاحبها.

قوله: ﴿وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ الجملةُ حَالِيَّةٌ، والمعنى: فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَأَنَا سَاخِرٌ.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولَ﴾... إلخ (أو): لِلتَّنَوُّعِ فِي مَقَالَةِ الْكَافِرِ.

قوله: (بالطاعة) وفي نسخة: (بألطافه) أي: إسعافه، ولو قال: (بآياته)... لكان أظهر.

قوله: ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (إمّا معطوفٌ على (كَرَّةً) فيكون من جملة المتمنّئ، والفاء عاطفةٌ

للفعل على الاسم الخالص؛ نظير قول الشاعر^(١): [البسيط]

لَوْلا تَوَقُّعُ مُعْتَرِّ فَأَرْضِيَهُ مَا كُنْتُ أَوْثَرُ إِثْرَاباً عَلَى تَرَبٍّ

ويكون إضمارُ (أَنْ) جائزاً لا واجباً، قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وَإِنْ عَلَى إِسْمٍ خَالِصٍ فِعْلٌ غُطِفَ تَنْصِبُهُ (أَنْ) ثَابِتاً أَوْ مُنْحَذَفٌ

(١) نسبه ابن مالك في «شرح الكافية» (٣/١٥٥٨) لرجل من طيئ، وهو عند غيره بلا نسبة، و(إثراباً): مصدر أترب

الرجل: إذا استغنى، والترب بفتحتيْن هو: الفقر والحاجة.

(٢) «الخلاصة»، باب: (إعراب الفعل).

بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ ءَايَتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾

فيُقال له مِنْ قِبَلِ اللَّهِ: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ ءَايَتِي﴾: الْقُرْآنُ وَهُوَ سَبَبُ الْهِدَايَةِ، ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾: تَكَبَّرْتَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بِنِسْبَةِ الشَّرِيكِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ، ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾: مَا وَى ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ؟ بَلَى.

حاشية الصاوي

أو منصوبٌ في جواب التمني، ويكون مرتباً على التمني، والفاء للسببية، وإضمارُ (أن) واجبٌ. قوله: (فيُقال له... إلخ) جواباً لمقالته الثانية، وأُخِرَ عن الثالثة؛ لِيَتَّصِلَ كَلَامُ الْكَافِرِ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَلَمْ تُؤَخَّرِ الْمَقَالَةُ^(١) عَنِ الثَّالِثَةِ؛ لِثَلَا يَكُونَ مُخَالَفَةً لِلتَّرْتِيبِ الْوُجُودِيِّ؛ فَإِنَّ الْكَافِرَ أَوَّلًا يَتَحَسَّرُ، ثُمَّ يَحْتَجُّ بِحُجَجٍ وَاهِيَةٍ، ثُمَّ يَتَمَنَّى الرَّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا.

إِنْ قُلْتَ: إِنْ (بَلَى) يَجَابُ بِهَا النَّفْيُ، وَلَا نَفْيَ فِي الْآيَةِ.

أَجِيبَ: بِأَنَّ الْآيَةَ مُتَضَمِّنَةٌ لِلنَّفْيِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَوْ أَنَّكَ اللَّهُ هَدَيْتَنِي﴾: لَمْ يَهْدِنِي.

قوله: (وهي سبب الهداية) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْهِدَايَةِ: الْوَصُولُ بِالْفِعْلِ، وَأَمَّا إِنْ أُرِيدَ بِالْهِدَايَةِ مَطْلَقُ الدَّلَالَةِ.. فَالآيَاتُ نَفْسُهَا دَالَّةٌ.

قوله: (بنسبة الشريك... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمُرَادَ: كَذْبُ يُوَدِّي لِلْكَفْرِ، وَإِلَّا... فَظَاهِرُ الْآيَةِ يَعْمُ كُلَّ كَذْبٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَحِينَئِذٍ: فِيهَا تَحْذِيرٌ وَتَخْوِيفٌ لِمَنْ يَتَعَهَّدُ الْكَذْبَ عَلَى اللَّهِ؛ كَالِإِفْتَاءِ بِغَيْرِ الشَّرْعِ، وَرَوَايَةِ الْحَدِيثِ بِالْكَذْبِ.

قوله: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ الجملة حَالِيَّةٌ إِنْ جُعِلَتِ الرَّؤْيَةُ بَصَرِيَّةً^(٢)، أَوْ مَفْعُولٌ ثَانٍ إِنْ جُعِلَتْ عِلْمِيَّةً.

قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾... إلخ هذا تقريرٌ لَاسْوَدَادِ وَجُوهِهِمْ.

(١) أي: الثانية، وهي كذلك في (ط٢).

(٢) وهو أولى؛ لِأَنَّ كَوْنَ الْوُجُوهِ وَالْوَانِهَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْبَصَرِ أَظْهَرُ مِنْ كَوْنِهِمَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتِ الْقَلْبِ. «فتوحات» (٣/ ٦٤٠) عن شيخه العلامة الأجهوري.

وَيُجِى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿٦١﴾ وَيُجِى اللَّهُ ﴿مِنْ جَهَنَّمَ﴾ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: بِمَكَانِ فَوْزِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ بِأَنْ يُجْعَلُوا فِيهِ، ﴿لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. ﴿٦٢﴾ - ﴿٦٣﴾ ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾: مُتَصَرِّفٌ فِيهِ كَيْفَ يَشَاءُ، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِمَا
حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ أي: جَعَلُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَقَايَةً، وهو الإيمان، وهذه تقوى العامة، وتقوى الخواصَّ فعلُ الطاعات وتركُ المعاصي، وتقوى خواصَّ الخواصَّ عدمُ خُطُورِ الغيرِ بِيَالِهِمْ. قوله: ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ (الباء: سببية متعلقة بـ(ينجي))، وفي قراءة سبعة أيضاً: (بمفازاتهم) جمعاً باعتبار الأشخاص^(١).

قوله: (أي: بِمَكَانِ فَوْزِهِمْ) أي: بِمَكَانِ ظَفَرِهِمْ بِمَقْصُودِهِمْ، والمعنى: يُنْجِي اللهُ الْمُتَّقِينَ بِسَبَبِ دُخُولِهِمْ فِي مَكَانِ ظَفَرِهِمْ بِمَقْصُودِهِمْ، وهو الجنة. قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُسْتَأْنَفَةً مَفْسُورَةً لِمَفَازَتِهِمْ) فلا محلَّ لها من الإعراب^(٢)، ويحتمل أن تكون حاليةً من قوله: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾. قوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ هذا دليلٌ لما قبله، ودخل في الشيء الجنة وما فيها، والنَّارُ وما فيها، فلا مُشَارَكَةَ لَهِ فِي خَلْقِهِ.

قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ المقاليد: جمعُ مَقْلَدٍ، أو مَقْلِيدٍ، والكلام كنايةٌ عن شِدَّةِ التَّمَكُّنِ والتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ الْأَرْضِ، وروى عن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد فقال: «تفسيرُها: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأوَّلُ والآخِرُ، والظَّاهِرُ والباطِنُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، يَحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٣)، فهذه الكلماتُ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، مَنْ تَكَلَّمَ بِهَا فُتِّحَتْ لَهُ.

(١) وبها قرأ حمزة والكسائي وشعبة. انظر «السراج المنير» (٤٥٨/٣).

(٢) أي: لأنها استئناف بياني، كأنه قيل: وما مفازتهم؟ فقال: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ﴾.

(٣) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٠٠).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ

مِنَ الْمَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهِمَا، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا... إلخ﴾، وما بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ.

﴿٦٤﴾ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ - (غَيْر) مَنْصُوبٌ بِـ ﴿أَعْبُدُ﴾ الْمَعْمُولُ لِـ ﴿تَأْمُرُونِي﴾ بِتَقْدِيرِ (أَنْ)، بَنُونٍ وَاحِدَةٍ وَبَنُونَيْنِ، بِإِدْغَامٍ وَفَكٍّ..

(٦٥) - (٦٦) ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾: وَاللَّهُ ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ﴾ يَا مُحَمَّدُ

فَرَضاً حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (من المطر... إلخ) بيانٌ للخزائن.

قوله: (متصل بقوله: ﴿وَيُنَجِّي﴾) أي: فهو معطوفٌ عليه من عطْفِ اسْمِيَّةٍ عَلَى فِعْلِيَّةٍ، وَلَا مَانِعَ فِيهِ.

قوله: (المعمول لـ ﴿تَأْمُرُونِي﴾) أي: والأصل: أتاْمُرُونِي بِأَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ، قَدْ مَفْعُولُ (أَعْبُد) عَلَى (تَأْمُرُونِي) الْعَامِلِ فِي عَامِلِهِ، وَحُذِفَتْ (أَنْ).

قوله: (بنون واحدة) أي: مخففة مع فتح الياء لا غير، وهذه النون نون الرفع، كُسِرَتْ لِلْمُنَاسَبَةِ، وَاسْتُغْنِيَ بِهَا عَنْ نون الوقاية.

قوله: (بإدغام) أي: مع فتح الياء وسكونها، وقوله: (وفكٍّ) أي: مع سكون الياء لا غير، فإلْقَاءُ أَرْبَعِ سَبْعِيَّاتٍ^(١).

قوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾... إلخ) اللام: مُوطِئَةٌ لِقِسْمٍ مَحْذُوفٍ^(٢)؛ أي: وَاللَّهُ لَقَدْ أُوحِيَ، وَنَائِبُ الْفَاعِلِ قَوْلُهُ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ... إلخ﴾، وَالْمَعْنَى: أُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْكَلَامُ^(٣).

قوله: (فرضاً) أي: عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيرِ وَفَرَضِ الْمَحَالِ، وَهُوَ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مَقْدَّرٍ: كَيْفَ يَقَعُ الشَّرْكُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ عِصْمَتِهِمْ؟ وَقِيلَ: الْمَقْصُودُ بِالْخُطَابِ: أَمُّهُمْ؛ لِعِصْمَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ.

(١) قرأ ابن كثير بإدغام نون الرفع في نون الوقاية وفتح الياء، وأرسلها الباقون، وقرأ نافع: (تَأْمُرُونِي) بنون خفيفة وفتح الياء، وابن عامر: (تَأْمُرُونِي) بالفك وسكون الياء. انظر «الدر المصون» (٩/٤٤١).

(٢) اللام واقعة في جواب قسم مقدر؛ كما قدره المصنف رحمه الله.

(٣) لأنَّ الْجُمْلَةَ الَّتِي يُرَادُ بِهَا لَفْظُهَا يَحْكُمُ لَهَا بِحَكْمِ الْمَفْرَدَاتِ.

لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.....

﴿لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهِ ﴿٦٦﴾ وَحَدَهُ ﴿فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إِنْ عَامَهُ عَلَيْكَ.

﴿٦٧﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ: مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ،

حاشية الصاوي

إن قلت: كان مقتضى الظاهر: لئن أشركتم، فما وجه إفراد الخطاب؟

أجيب: بأن المعنى: أوجي إلى كل واحدٍ منهم: لئن أشركت... إلخ؛ كما يقال: كسانا الأمير حلة؛ أي: كسا كل واحدٍ منا حلة.

قوله: ﴿لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ من باب: (تعب)، وقرئ شذوذاً من باب: (ضرب)^(١).

قوله: ﴿وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ عطف مسبب على سبب، وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثاني، وهو ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ﴾، والقسم الثاني وجوابه جواب عن القسم الأول، وهو ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى﴾، وحذف جواب الشرط وهو (إن أشركت) للقاعدة^(٢).

قوله: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ﴾ عطف على محذوف، والتقدير: فلا تُشرك بل الله... إلخ.

قوله: ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ أي: على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته؛ لأن الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقي النعم.

قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إن قلت: إن مفهوم الآية يقتضي أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته، ومقتضى قوله ﷺ: «سبحانك، ما عرفناك حق معرفتك»، وقوله: «سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته»: أنه لا يعلم الله إلا الله، فكيف الجمع بينهما؟

أجيب: بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها، المكلف بتحصيلها، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التي فرضت عليهم، وهي تنزيهه عن النقائص، ووصفه بالكمالات، والحديث محمول على المعرفة التي لم تُفرض على العباد، وهي معرفة الحقيقة والكنه، فتدبر.

(١) كذا في «المصباح»، مادة (ح ب ط).

(٢) وهي: إذا اجتمع الشرط والقسم... حذف جواب الآخر منهما، واستغنيت بجواب المتقدم، قال ابن مالك:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملزَم

وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينُهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

أو ما عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ حِينَ أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ - حال - أي: السَّبع ﴿قَبْضَتُهُ﴾ أي: مَقْبُوضَةٌ لَهُ، أي: فِي مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ﴾: مَجْمُوعَاتٌ ﴿يَمِينُهُ﴾: بِقُدْرَتِهِ ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَهُ.

﴿٦٨﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

حاشية الصاوي

فَتَحَصَّلَ: أَنَّ الْعَجْزَ عَنِ الْإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ، وَالْبَحْثُ عَنِ الذَّاتِ إِشْرَاكٌ، وَلَمْ يَكْلَفْنَا اللَّهَ إِلَّا بِأَنْ نَنْزِّهَهُ عَمَّا سِوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قوله: (أو: ما عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ) مَفْهُومُهُ: أَنَّهُمْ عَظَّمُوهُ لَا حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَهُوَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ مُعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ الْإِلَهُ الْأَكْبَرُ الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ.

قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ الجملة حَالِيَّةٌ مِنْ لَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَالْمَعْنَى: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ تَعْظِيمِهِ وَالحَالُ أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَقَدَّمَ الْأَرْضَ؛ لِمُبَاشَرَتِهِمْ لَهَا، وَمَعْرِفَتِهِمْ بِحَقِيقَتِهَا.

قوله: (أي: فِي مُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةُ الْقَبْضِ، بَلِ الْمُرَادُ التَّصَرُّفُ وَالْمُلْكُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، بِخِلَافِ أُمُورِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ لِلْعَبْدِ فِيهَا أَمْلَاكًا ظَاهِرِيَّةً، وَقِيلَ: إِنَّهُ كُنَايَةٌ عَنْ انْعِدَامِهَا بِالْمَرَّةِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ، وَيُقَالُ فِي الطَّيِّ مِثْلُ ذَلِكَ.

قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾... إلخ) التَّعْبِيرُ فِي هَذَا وَمَا بَعْدَهُ بِالْمَاضِي؛ لِتَحَقُّقِ وَقْعِهِ، أَوْ لِكَوْنِهِ وَاقِعًا فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى أَزْلًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا ظَهَرَ فَهُوَ جَارٍ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ. وَالنَّافِخُ إِسْرَافِيلُ، وَجَبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ، وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

و﴿الصُّورِ﴾ بِالسُّكُونِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ^(١)، وَهُوَ الْقَرْنُ، فِيهِ ثَقَبٌ بَعْدَ جَمِيعِ الْأَرْوَاحِ، وَلَهُ ثَلَاثُ شُعَبٍ: شُعْبَةٌ تَحْتَ الثَّرَى تَخْرُجُ مِنْهَا الْأَرْوَاحُ وَتَتَّصِلُ بِأَجْسَادِهَا، وَشُعْبَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ مِنْهَا يُرْسِلُ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ إِلَى الْمَوْتَى، وَشُعْبَةٌ فِي فَمِ إِسْرَافِيلَ، وَهُوَ مُلْكٌ عَظِيمٌ، لَهُ جَنَاحٌ بِالشَّرْقِ، وَجَنَاحٌ بِالمَغْرِبِ، وَالْعَرْشُ عَلَى كَاهِلِهِ، وَقَدَّمَاهُ قَدْ نَزَلْتَا عَنِ الْأَرْضِ السُّفْلَى مَسِيرَةَ مِئَةِ عَامٍ.

(١) قرأ زيد بن علي وقتادة بفتحها جمع «صورة»، وهذه ترد قول ابن عطية: إن الصور هنا يتعين أن يكون القرن، ولا يجوز أن يكون جمع صورة. انظر «الدر المصون» (٩/٤٤٤).

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

النَّفخة الأولى، ﴿فَصَعِقَ﴾: مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾
مِنَ الْحُورِ وَالْوِلْدَانِ وَغَيْرِهِمَا،
حاشية الصاوي

قوله: (النَّفخة الأولى) ظاهرُ المفسِّر أنَّ النفخ مرتَّان: نفخة الصَّعق، ونفخة البعث، وهو ظاهر الآيَةِ، وقيل: إِنَّ النفخ ثلاث مرَّات؛ فالنفخةُ الأولى تَطُول ويكون بها الزلزلة وتسير الجبال وتكوير الشمس وانكدار النجوم وتسخير البحار، والنَّاسُ أحياءٌ وَالْهُونُ^(١) ينظرون إليها، فتذهل كلُّ مرضعة عمَّا أرضعت، وتضع كلُّ ذات حملٍ حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، وهي المعنيَّة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

والنفخةُ الثانيةُ يكون بها الصَّعق، وعندها يموت كلُّ مَنْ كان حيًّا حياةً دنيويَّةً، وأمَّا مَنْ كان حيًّا حياةً أُخرويَّةً.. فإنه يُغشى عليه.

والنفخةُ الثالثةُ نفخةُ القيام، وبين هاتين النَّفختين أربعون سنة على الصحيح؛ لتستريح الأرض من الهول الذي حصل لها، وفي تلك المدة تمطر السَّماء، وتنبت الأرض، ولا شيء^(٢) على ظهرها من سائر المخلوقات.

قوله: (مات) أي: مَنْ كان حيًّا في الدنيا، وَيُغشى على مَنْ كان ميتاً من قبلُ لَكَنَّهُ حيًّا في قبره؛ كالأنبياء والشهداء.

قوله: (مِنَ الْحُورِ... إلخ) أي: فهو استثناءٌ مِنَ الصَّعق بمعنى: الموت، ويستثنى منه بمعنى: الغشي والدَّهْشِ موسى عليه السلام؛ فإنه لا يغشى عليه، بل يبقى متيقِّظاً ثابتاً؛ لأنه صَعِقَ في الدنيا في قصَّة الجبل؛ فلا يصعق مرة أخرى.

قوله: (وغيرهما) أي: كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت؛ فإنهم لا يموتون بالنفخة الأولى، وإنما يموتون بين النفختين؛ لما روي: أن رسول الله ﷺ تلا ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ...﴾ الآية، فقالوا: يا نبيَّ الله؛ مَنْ هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، فيقول الله لملك الموت: يا ملك الموت؛ مَنْ بقي مِنْ خلقي؟ - وهو أعلم - فيقول: يا رب؛

(١) الوَلَّةُ: ذهابُ العقل والتَّحِيرُ من شدة الوجد. «المختار»، مادة (ول ه).

(٢) في (ط ٢): (ولا حي).

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جَمِيعُ الْخَلَائِقِ الْمَوْتَى ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾: يَنْتَظِرُونَ مَا يُفَعَّلُ بِهِمْ.

حاشية الصاوي

بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وميكائيل وعبدك الضعيف ملك الموت، فيقول الله تعالى: خُذْ نَفْسَ إِسْرَافِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَيَخْرُجَانِ مِيتَتَيْنِ كَالطَّوْدَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ، فيقول: مَتَّ يَا مَلِكَ الْمَوْتِ، فَيَمُوتُ، فيقول الله لجبريل: يَا جَبْرِيلُ؛ مَنْ بَقِيَ؟ فيقول: تَبَارَكَتْ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَجْهَكَ الْبَاقِي الدَّائِمُ، وَجَبْرِيلَ الْمَيِّتِ الْفَانِي، فيقول: يَا جَبْرِيلُ؛ لَا بَدَّ مِنْ مَوْتِكَ، فَيَقَعُ سَاجِدًا يَخْفِقُ بِجَنَاحِيهِ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ رَبِّي، تَبَارَكَتْ وَتَعَالَيْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ^(١).

قوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ أي: بعد أربعين سنة على الصحيح، وَقَرَبَ نَفْخَةُ الْقِيَامِ تَأْتِي سَحَابَةٌ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ فَتُمْطَرُ مَاءٌ خَائِرًا كَالْمَنِيِّ، فَتَنْبِتُ أَجْسَامَ الْخَلَائِقِ كَمَا يَنْبِتُ الْبَقْلُ، فَتَتَكَمَّلُ أَجْسَامُهُمْ، وَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ؛ فَإِنَّهُ يَبْقَى مِثْلَ عَيْنِ الْجَرَادَةِ لَا يَدْرِكُهُ الطَّرْفُ، فَتَرْكَبُ عَلَيْهِ أَجْزَاؤُهُ، فَإِذَا تَمَّ وَتَكَامَلَ.. نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ انشَقَّ عَنْهُ الْقَبْرُ، ثُمَّ قَامَ خَلْقًا سَوِيًّا، وَفِي النَفْخَةِ الثَّانِيَةِ يَقُولُ: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطَّعَةُ، وَالْأَعْضَاءُ الْمُتَمَرِّقَةُ، وَالشُّعُورُ الْمُنْتَشِرَةُ؛ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، فَيَجْتَمِعْنَ، ثُمَّ يَنَادِي: قُومُوا لِلْعَرْضِ عَلَى الْجِبَارِ، فَيَقُومُونَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ...﴾ [القمر: ٧] الْآيَةُ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ.. تُتَلَقَّى الْمُؤْمِنُونَ بِمَرَاقِبٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، وَيَمْشِي الْمَجْرُمُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ حَامِلِينَ أَوْزَارَهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ رُودًا﴾ [مريم: ٨٦]، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ بِالرَّفْعِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، خَبَرٌ عَنِ الضَّمِيرِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ، وَخَبَرِ الضَّمِيرِ قَوْلُهُ: ﴿يَنْظُرُونَ﴾^(٢).

قوله: (مَا يَفْعَلُ بِهِمْ) أَي: مِنَ الْحِسَابِ وَالْمُرُورِ عَلَى الصِّرَاطِ وَإِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ أَوْ النَّارَ.

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٦٠٩)، وابن راهويه في «مسنده» (١٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، وفيهما: أَنْ آخِرَ مَنْ يَمُوتُ مَلِكُ الْمَوْتِ.

(٢) وبها قرأ زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٤٤٥/٩).

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ

﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ: أَضَاءَتْ ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حِينَ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، ﴿وُضِعَ الْكِتَابُ﴾: كِتَابُ الْأَعْمَالِ لِلْحِسَابِ، ﴿وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ أَي: بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ يَشْهَدُونَ لِلرُّسُلِ بِالْبَلَاغِ، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أَي: الْعَدْلِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ المراد بالأرض: الأرض الجديدة المُبَدَّلَةُ التي يُحْشَرُ الناس عليها.

قوله: (حين يتجلى) أي: حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونها حقيقة؛ لما في الحديث: «سَتَرُونَ رَبَّكُمْ لَا تَمَارُونَ فِيهِ كَمَا لَا تَمَارُونَ فِي الشَّمْسِ فِي الْيَوْمِ الصَّاحِ»^(١)، وهذا النور يخلقه الله تعالى، فتضيء به الأرض، وليس من نُور الشمس والقمر، وهو مخصوصٌ بمن يرى الله تعالى في القيامة، وهم المؤمنون.

قوله: ﴿وُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أي: أُعْطِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ.

قوله: ﴿وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ أي: وذلك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْمَعُ الْخَلَائِقَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ لِكُفَّارِ الْأُمَمِ: أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ؟ فَيُنْكِرُونَ وَيَقُولُونَ: مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَسْأَلُ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ عَنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: كَذَبُوا، قَدْ بَلَّغْنَاهُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ الْبَيِّنَةُ - وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ - إِقَامَةً لِلْحُجَّةِ، فَيَقُولُونَ: أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ تَشْهَدُ لَنَا، فَيُؤْتِي بِأَمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَشْهَدُونَ لَهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا، فَتَقُولُ الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ: مَنْ أَيْنَ عَلِمُوا وَإِنَّمَا كَانُوا بَعْدُنَا؟ فَيَسْأَلُ هَذِهِ الْأُمَّةَ فَيَقُولُونَ: أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا، وَأَنْزَلْتَ عَلَيْنَا كِتَابًا أَخْبَرْتَنَا فِيهِ بِتَبْلِيغِ الرُّسُلِ وَأَنْتَ صَادِقٌ فِيمَا أَخْبَرْتَ، ثُمَّ يُؤْتِي بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَسْأَلُهُ اللَّهُ عَنْ أُمَّتِهِ، فَيُزَكِّيهِمْ وَيَشْهَدُ بِصِدْقِهِمْ^(٢).

قوله: (أي: العدل) أي: بالنسبة للكافرين، وأما المؤمنون.. فحكمهم فيهم بالفضل.

(١) رواه بلفظه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٣٣٥/٢١)، وفي «صحيح البخاري» (٧٤٣٤)، و«مسلم» (٦٣٣): عن جرير، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إِنكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلِبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ.. فَافْعَلُوا».

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قصة سيدنا نوح عليه السلام وإنكار قومه.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

﴿٧٠﴾ ﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

﴿٧١﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِعُنْفٍ ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: جماعاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.

قوله: (أي: عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه؛ إذ لا مشاركة بين القديم والحادث.

قوله: (فلا يحتاج إلى شاهد) أي: لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها، وإنما الشهود وكتابة الأعمال لحكم عظيمة؛ منها: إقامة الحجّة على من عاند، وقد أشار صاحب «الجوهرة» لهذا بقوله^(١): [الرجز]

وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلَمُ وَالكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ حِكْمٍ
لَا لَاحْتِيَاجَ وَبِهَا الْإِيمَانُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ

قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ) هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أُجْمِلَ في قوله: ﴿وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾.

قوله: (بعنف) أي: شدّة؛ لأنهم يُضْرَبُونَ من خلف بالمقامع، ويُسْحَبُونَ من أمام بالسلاسل والأغلال.

قوله: ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ المراد: دارُ العذاب بجميع طباقها.

قوله: ﴿زُمَرًا﴾ جمع زُمْرَةٍ؛ من: الزَّمْرِ، وهو الصوت؛ سَمُوا بذلك؛ لأنّ الجماعة لا تخلو غالباً عنه.

قوله: (جماعات مُتَفَرِّقَة) أي: فوجاً فوجاً؛ كما في آية: ﴿كُلَّمَا أَلْفَتْهَا فُوجٌ﴾ [الملك: ٨]، والمعنى: كلُّ أُمَّةٍ على حِدَةٍ.

(١) انظر شرح المصنف على «الجوهرة» (ص ٣٩٠).

حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ - جَوَابُ ﴿إِذَا﴾ - ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾: القرآن وغيره، ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الآية [الأعراف: ١٨] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٧٢﴾ ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾: مُقَدِّرِينَ الْخُلُودَ، ﴿فِئَسَ مَثْوَى﴾: مَأْوَى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جَهَنَّمَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ حتى: ابتدائية، تُبْتَدَأُ بعدها الجمل.

قوله: ﴿فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ أي: لِيَتَلَقَّوْا حرارتها بأنفسهم.

قوله: (جواب ﴿إِذَا﴾) أي: باتفاق.

قوله: ﴿رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من جنسكم.

قوله: (القرآن) أي: بالنسبة لأمة محمد ﷺ، وقوله: (وغيره) أي: بالنسبة لبقية الأمم.

قوله: ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أضاف اليوم لهم؛ باعتبار انحصار شدته فيهم، وليس المراد به يوم القيامة جميعه؛ فإنه مختلف باعتبار الأشخاص، فيكون نعيماً وسروراً للمؤمنين، وشدة وعذاباً للكافرين.

قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ إقرار بما وقع منهم، وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى؛ طمعاً في النجاة، فلمَّا قامت الْحُجَجُ عليهم وتحتم الأمر بعذابهم.. رأوا أنَّ الإنكار لا فائدة فيه، فأقروا، وبالجمله: فالقيامه مواطن، تارة يُنكرون، وتارة تقرُّ أعضاؤهم، وتارة يقرون بالسنتهم.

قوله: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أظهر في محل الإضمار؛ إشارة لسبب استحقاقهم العذاب، وهو الكفر.

قوله: (مقدِّرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿خَالِدِينَ﴾ حالٌ مقدَّرة؛ وذلك لأنَّهم عند الدخول ليسوا خالدين، وإنما هم مُنتظرون ومقدِّرون الخلود.

قوله: ﴿فِئَسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أظهر في محل الإضمار؛ إشارة إلى بيان سبب كفرهم الذين استحقوا به العذاب، وقوله: (جهنم) هو المخصوص بالذم.

وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾

﴿٧٣﴾ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بِلُطْفٍ ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ - الواو فيه للحال بتقدير (قد) - ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾ - حال - ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾: مُقَدَّرِينَ الْخُلُودَ فِيهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ (آخر وعد المؤمنين؛ ليحسن اختتام السورة به؛ ليكون آخر الكلام بشري المؤمنين).

قوله: (بلطف) أشار بذلك إلى أن السَّوقَ في الموضعين مختلف؛ فسَّوقُ الكفار سَوقُ إهانة وانتقام، وسَّوقُ المؤمنين سَوقُ تشريف وإكرام، وفي المعنى: سَوقُ المؤمنين سوق مراكبهم؛ لأنهم يذهبون راكبين، فيُسْرَعُ بهم إلى دار الكرامة والرضوان، فشَّتَانِ بين السَّوقَيْنِ، وهذا من بديع الكلام، وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدلُّ على الهوان في حق جماعة، وعلى العزَّ والرضوان في حق آخرين.

قوله: ﴿زُمَرًا﴾ (أي: جماعاتٍ على حسب قربهم ومراتبهم).

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ (حَتَّى): ابتدائية.

قوله: (الواو فيه للحال) والحكمة في زيادة الواو هنا دون التي قبلها: أنَّ أبواب السجن مُغلقة إلى أن يجيئها صاحبُ الجريمة، فتفتح له ثم تُغلق عليه، فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح فإنها تُفْتَحُ انتظاراً لمن يدخلها.

قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ عطف على قوله: ﴿جَاءُوهَا﴾.

قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ (أي: سلمتم من كلِّ مكروه، وقوله: ﴿طِبْتُمْ﴾ (أي: طهَّرتُم من دنس المعاصي؛ لما ورد: أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينا، يشرب المؤمنون من إحداها، فتطهر أجوافهم، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ سَرَبًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، ثم يغتسلون من الأخرى، فتطيب أجسادهم، فعندها يقول لهم خَزَنَتُهَا: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١).

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٢٤٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٨٠) عن سيدنا علي عليه السلام.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾

وَجَوَابُ ﴿إِذَا﴾ مُقَدَّرٌ، أَي: دَخَلُوهَا، وَسَوِّفُهُمْ وَفَتَحَ الْأَبْوَابَ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ تَكْرِمَةً لَهُمْ، وَسَوِّقُ الْكُفَّارِ وَفَتَحَ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ لِيَبْقَى حَرْهَا إِلَيْهِمْ إِهَانَةً لَهُمْ.

﴿٧٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ - عَطَفْتُ عَلَى (دَخَلُوهَا) الْمُقَدَّرُ - ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بِالْجَنَّةِ، ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أَي: أَرْضَ الْجَنَّةِ، ﴿نَتَبَوَّأُ﴾: نَنْزِلُ ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لِأَنَّهَا كُلُّهَا لَا يُخْتَارُ فِيهَا مَكَانٌ عَلَى مَكَانٍ، ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الْجَنَّةُ.

حاشية الصاوي

قوله: (وجواب ﴿إِذَا﴾ مُقَدَّرٌ) هذا أحد أقوال ثلاثة^(١)، وقيل: إِنَّ جوابها قوله: ﴿وَفُتِحَتْ﴾ والواو زائدة، وقيل: هو قوله: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ والواو زائدة.

قوله: (وسوفهم) مبتدأ، و(تكرمة): خبره، وكذا ما بعده.

قوله: ﴿وَقَالُوا﴾ (أَي: بعد استقرارهم في الجنة).

قوله: ﴿الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ (أَي: حَقَّقَهُ لَنَا فِي قَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مریم: ٦٣]).

قوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ (أَي: مَلَكَهَا لَنَا نَتَصَرَّفُ فِيهَا تَصَرَّفَ الْوَارِثِ فِيمَا يَرِثُهُ، وَقَدْ كَانَتْ لِأَدَمَ وَحْدَهُ، فَأَخَذَهَا أَوْلَادُهُ إِرْثًا مِنْهُ وَقِيلَ: الْمَرَادُ: أَوْرَثْنَا أَرْضَ الْجَنَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْكَفَّارِ لَوْ آمَنُوا، وَالْأَقْرَبُ: أَنَّ الْمَرَادَ: مَلَكَهَا إِيَّاهَا كَالْمِيرَاثِ؛ فَإِنَّهُ مَلِكٌ بِلَا ثَمَنِ، وَلَا شُبْهَةَ لِأَحَدٍ فِيهِ، فَكَذَلِكَ مَنَازِلُ الْجَنَّةِ).

قوله: (لَا يُخْتَارُ فِيهَا مَكَانٌ عَلَى مَكَانٍ) أَي: بَلْ يَرْضَى كُلُّ إِنْسَانٍ بِمَكَانِهِ الَّذِي أُعِدَّ لَهُ؛ بَحِثْ لَوْ أُطْلِقَ لَهُ الْإِخْتِيَارُ لَا يَخْتَارُ غَيْرَهُ؛ لِزَوَالِ الْحَقْدِ وَالْحَسَدِ مِنَ الْقُلُوبِ، وَهَذَا جَوَابٌ عَمَّا قِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ مَعَ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ لَهُ مَحَلٌّ مُعَدٌّ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى غَيْرِهِ؟

وَأَجِيبَ أَيْضًا: بِأَنَّ الْمَعْنَى: يَخْتَارُ فِي مَنَازِلِهِ مَا يَشَاءُ؛ لَمَا وَرَدَ: إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ لَهُ جَنَّةٌ لَا تَوْصِفُ سَعَةً وَلَا حَسَنًا، فَيَتَبَوَّأُ مِنْ جَنَّتِهِ حَيْثُ يَشَاءُ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِ غَيْرُهَا.

قوله: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (هَذَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى؛ زِيَادَةٌ فِي سُرُورِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَقَوْلُهُ: (الْجَنَّةُ) هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ).

(١) قَدَّرَهُ الزَّجَاجُ فِي «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابِهِ» (٤/٣٦٤): حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ.. دَخَلُوهَا، فَحَذَفَ (دَخَلُوهَا)؛ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ دَلِيلًا عَلَيْهِ، وَقَدَّرَهُ الزَّمْخَشَرِيُّ: اطْمَأْنَأُوا، وَقَدَّرَهُ الْمَبْرَدُ: سَعِدُوا.

وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٧٥﴾ ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ﴾ - حال - ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْهُ، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ - حال مِنْ ضَمِير ﴿حَافِينَ﴾ - ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مُلَابِسِينَ لِلْحَمْدِ، أَي: يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ ﴿بِالْحَقِّ﴾ أَي: الْعَدْلِ، فَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرُونَ النَّارَ، ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خُتِمَ اسْتِقْرَارُ الْفَرِيقَيْنِ بِالْحَمْدِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، بل ولكل مؤمن؛ زيادة في السرور؛ لأن رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم؛ لاتحاد روحانيتهم مع الإنس، وأما في الدنيا فمفزع؛ لأن النوع الإنساني ضعيف، مكبل بأنواع الشهوات والحجب؛ فلا يستطيع رؤية المقربين.

قوله: ﴿حَافِينَ﴾ أي: محيطين مصطفين بحافته وجوانبه.

قوله: (أي: يقولون: سبحان الله وبحمده) أي: تلذذاً؛ لأن منتهى درجاتهم الاستغراق في تسبيحه تعالى وتقديسه.

قوله: (ختم استقرار الفريقين... إلخ) أي: كما ابتداء ذكر الخلق بالحمد في قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؛ ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغي حمده في مبدأ كل أمر ونهايته.

قوله: (من الملائكة) أي: أو من جميع الخلق؛ فإن جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة، ويجدون لذلك الحمد لذّة عظيمة؛ لزوال الحجاب عنهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.





حاشية الصاوي

سُورَةُ غَافِلٍ

وُتَسَمَّى سورة المؤمن؛ لقوله في أثنائها: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾، وسورة الطَّوْلِ؛ لافتتاحها به في أوصاف الباري تعالى.

واعلم: أنه ورد في فضل الحواميم أحاديث كثيرة؛ منها: قوله ﷺ: «الحواميمُ دِيباج القرآن»^(١).

ومنها: «لكلُّ شيءٍ ثمرةٌ، وإنَّ ثمرة القرآن ذوات ﴿حَم﴾»، هنَّ روضاتُ حِسانٍ مُخَصَّباتُ مُتجاورات، من أحبَّ أن يَرْتَعَ في رياض الجنة.. فليقرأ الحواميم»^(٢).

ومنها: «مثل الحواميم في القرآن كمثل الحِبرَات في الثياب»^(٣)، ومنها: «لكلُّ شيءٍ لبابٌ، وللبابُ القرآن الحواميم»^(٤).

ومنها: «الحواميم سبع، وأبواب النار سبع: جَهَنم، والحميمة، ولظى، والسعير، وسقر، والهاوية، والجحيم؛ فكل ﴿حَم﴾ تقف يوم القيامة على باب من هذه الأبواب، فتقول: لا يدخل النار مَنْ كان يؤمن بي ويقرؤني»^(٥)، فتحصل أنه يقال: حواميم، وآل حم، وذوات حم، خلافاً لمن أنكر الأول^(٦).

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٣٨/٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ؓ موقوفاً.

(٢) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٢٣).

(٣) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٦٢/٨)، والحبرَات: أثوابٌ يمانية من قطن أو كتَّان مخططة، قال الأزهري: ليس حبرة موضعاً أو شيئاً معلوماً، إنما هو وشيٌّ معلوم.

(٤) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ٢٥٤) عن سيدنا ابن عباس ؓ موقوفاً، واللباب: الخالص.

(٥) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٥٠) عن الخليل بن مرة مرسلًا.

(٦) وهو الجواليقي؛ كما نقله عنه تلميذه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٢٩/٤) قال: (وقرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي قال: من الخطأ أن تقول: قرأت الحواميم، وليس من كلام العرب).

﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾

مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ...﴾ الْآيَتَيْنِ، خَمْسٌ وَثَمَانُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حَمَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ. ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنُ - مُبْتَدَأٌ - ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ - خَبْرُهُ - ﴿الْعَزِيزِ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (مكية) أي: وكذا بقية الحواميم.

قوله: (إِلَّا ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾... إلخ) الصواب أن يقال: (إِلَّا ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي عَائِدَتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ...﴾ الْآيَتَيْنِ)، وَأَوَّلُ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿لَخَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الْآيَةِ؛ لِأَنَّ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ هُمَا الْمَدْنِيَّتَانِ، خِلَافًا لِمَا يُوْهَمُهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: (خمس وثمانون) وقيل: ثنتان وثمانون.

قوله: (﴿حَمَّ﴾) بسكون الميم في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بضم الميم وفتحها وكسرها؛ فالأوّل على أنه خبرٌ لمحذوف، والثاني على أنه مفعولٌ لمحذوف ومُنْعٍ من الصرف لِلْعَلَمِيَّةِ والتأنيث، أو شبه العجمة، والثالث على أنه مبنيٌّ على الكسر، مبتدأٌ خبرُهُ محذوف؛ أي: هذا محلّه مثلاً^(١).

قوله: (الله أعلم بمراده) تقدّم أنّ هذا القول في مثل هذا الموضع أسلم، وقيل: اسمٌ من أسماء الله تعالى، وقيل: مفاتيح خزائنه، وقيل: اسم الله الأعظم، وقيل: مفاتيح السور، وقيل: كلّ حرف منه يُشير إلى كلّ اسمٍ من أسمائه تعالى مبدوءٌ بذلك الحرف؛ فالحاء افتتاح اسمه حميد وحليم وحكيم وهكذا، والميم افتتاح اسمه مالك ومجيد ومنان وهكذا؛ لما روي: أنّ أعرابياً سأل النبي ﷺ: ما (حم) فإنّا لا نعرفها في لساننا؟ فقال النبي ﷺ: «بدءُ أسماء وفواتحُ سور»^(٢).

قوله: (العزیز فی ملكه)^(٣) أشار بذلك إلى أنه من: عزّ بمعنى: قهر وغلب.

(١) قرأ الزهري برفع الميم، وابن أبي إسحاق وعيسى بفتحها، بالمنع من الصرف؛ لأنه ليس في الأوزان العربية وزن (فاعيل) بخلاف الأعجمية، نحو: قابيل وهابيل، وقرأ أبو السمال بكسرها. انظر «الدر المصون» (٩/٤٥٢).

(٢) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٨/٣٢٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) في (أ): (العزیز فی ملكه)، والمثبت من «الفتوحات».

﴿٣﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ لَّهُمْ، - مَصْدَر - ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾
لِلْكَافِرِينَ، أي: مُشَدِّدُهُ ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: الإِنْعَامِ الوَاسِعِ، وهو مَوْصُوفٌ عَلَى الدَّوَامِ بِكُلِّ
مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ، فإِضَافَةُ الْمُشْتَقِّ مِنْهَا لِلتَّعْرِيفِ كَالْأَخِيرَةِ،

(٢) وهو شجر المقل.

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلْدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾: المَرَجُّ.

﴿٤﴾ ﴿مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، ﴿فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْيَلْدِ﴾ لِلْمَعَاشِ سَالِمِينَ؛ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُمُ النَّارُ.

﴿٥﴾ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾ كَعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرَهُمَا ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾: يَقْتُلُوهُ، ﴿وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: يُزِيلُوا ﴿بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ بِالْعِقَابِ﴾، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ لَهُمْ؟ أَي: هُوَ وَاقِعٌ مَوْقَعَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يصح أن يكون حالاً؛ لأنَّ الْجُمْلَ بعد المعارف أحوال، ويصح أن يكون مستأنفاً.

قوله: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: فيجازي كلَّ أحدٍ بعمله.

قوله: ﴿مَا يُجَدِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: في إبطالها والطعن فيها، وهذا هو الجدال المذموم، وأمَّا الجدال في نصر آيات الله بالحجج القاطعة الذي هو وظيفة الأنبياء ومن على قدمهم.. فهو ممدوح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَدَلْتُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

قوله: ﴿فَلَا يَغْرُزُكَ تَقْلُبُهُمْ﴾... إلخ الفاء واقعة في جواب شرط مقدّر، تقديره: إذا علمت أنهم كفارٌ.. فلا تحزن ولا يغرك إمهالهم؛ فإنهم مأخوذون عن قريب، وهذا تسلية له ﷺ.

قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ أي: قبل أهل مكة، وهو تسلية له ﷺ أيضاً.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أي: من بعد قوم نوح.

قوله: ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ أي: يتمكنوا من إصابته بما أرادوه به.

قوله: (أي: هو واقعٌ موقعه) أي: فهو عدلٌ منه سبحانه وتعالى.

وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ

﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴿٦﴾ أَي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ [هود: ١١٩] الآية ﴿٦﴾ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿كَلِمَتُ﴾ - .

﴿٧﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ ﴿٧﴾ - مُبْتَدَأٌ - .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ (أي: كما وقع للأمم السابقة).

قوله: ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ (أي: وجبت وثبتت، والمعنى: مثل ما وقع وحصل للمكذِّبين قبل هؤلاء يحصل لهؤلاء في الآخرة، وإكرامهم في الدنيا بالنعم إنما هو ببركتك يا محمد).

قوله: (بَدَلٌ مِنْ ﴿كَلِمَتُ﴾) (أي: بدل كل من كل إن أريد بلفظ الكلمة خصوصاً قوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾، أو بدل اشتمال إن فسرت الكلمة بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ إلخ، ولا شك أن الكلمة بهذا المعنى مشتملة على قوله: ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

قوله: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ﴾ (مبتدأ) أي: اسم الموصول مبتدأ، و﴿يَجْمَلُونَ﴾: صلته، وقوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾: اسم الموصول معطوف على الموصول قبله، و﴿حَوْلَهُ﴾: صلته، والتقدير: والذين حوله، وليس معطوفاً على الضمير في ﴿يَجْمَلُونَ﴾؛ لإيهامه أنَّ مَنْ حَوْلَهُ حاملٌ أيضاً.

واعلم: أنَّ حملة العرش أعلى طبقات الملائكة وأولهم وجوداً، وهم في الدنيا أربعة، وفي يوم القيامة ثمانية، ورد: أنَّ لكلِّ ملك منهم وجهٌ رجل، ووجهٌ أسد، ووجهٌ ثور، ووجهٌ نسر، وكلُّ وجهٍ من الأربعة يسأل الله الرزق لذلك الجنس، ولكلِّ واحد منهم أربعة أجنحة: جناحان على وجهه؛ مخافة أن ينظر إلى العرش فينصدع، وجناحان يصفق بهما بالهواء^(١).

يروى: أنَّ أقدامهم في تخوم الأرض السفلى، والأرضون والسموات إلى حُجَزِهِمْ^(٢)، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون أطرافهم، وهم أشدُّ خوفاً من أهل السابعة، وأهلها أشدُّ خوفاً من أهل السادسة وهكذا.

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/٦٠٠)، ورجاله ثقات إلا أنه من الإسرائيليات؛ إذ رواه وهب من قوله، وهو مشهور برواية الأخبار الإسرائيلية. انظر «المطالب العالية» (١١/٥١٨).

(٢) أي: محلُّ عقد الإزار، والحديث رواه ابن راهويه في «مسنده» (١٠) من حديث الصور المعروف عند المحدثين، وهو حديث طويل جداً.

وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ.....

﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ - عَطَفَ عَلَيْهِ - ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ - خَبَرُهُ - ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ : مُلَابِسِينَ لِلْحَمْدِ،
أي: يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ : تَعَالَى بِبَصَائِرِهِمْ، أي: يُصَدِّقُونَ
حاشية الصاوي

والعرش: جوهرة خضراء، وهو من أعظم المخلوقات خلقاً، ويكسى كل يوم من ألف لون من
النور.

قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ أي: وهم الكَرُوبِيُّونَ^(١) سادات الملائكة.

قال وهب: إِنَّ حَوْلَ العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صَفٌّ خَلْفَ صَفٍّ، يطوفون
بالعرش، يقبل هؤلاء ويُدبر هؤلاء، يكبر فريق ويُهَلِّل فريق، ومن وراء هؤلاء سبعون ألف صف
قيام، أيديهم إلى أعناقهم واضعين لها على عواتقهم، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم.. رفعوا
أصواتهم فقالوا: سبحانك اللهم وبحمدك، ما أعظمك وأجلك! أنت الله لا إله غيرك، والخلق كلُّها
إليك راجعون، ومن وراء هؤلاء مئة صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى، ليس منهم
أحدٌ إلا يسبح بتسبيح لا يُسَبِّحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم ثلاث مئة عام، وما بين شحمة أذن
أحدهم إلى عاتقه أربع مئة^(٢).

قوله: (أي: يقولون: سبحان الله وبحمده) أي: لما ورد: «أَنَّ حملة العرش يكونون يوم القيامة
ثمانية، أربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على علمك وحلمك، وأربعة
يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على عَفْوِكَ بعد قدرتك»^(٣).

قوله: (ببصائرهم) جوابٌ عمّا يقال: إِنَّ وصفهم بالتسبيح يغني عن وصفهم بالإيمان، فما فائدة
ذكره عقبه؟ فأجاب: بأنَّ التسبيح من وظائف اللسان، والإيمان من وظائف القلب، فأفاد فائدة لم
تكن في الأول، فذكره للاعتناء بشأنه.

(١) مأخوذ من: كَرَبَ: بمعنى: دَنَا وَقَرَّبَ، فهو كَارِبٌ، وهم المُقَرَّبُونَ، ويقال لكل حيوان وثيق المفاصل: إنه لمكرب
الخلق، إذا كان شديد القوى، والأول أشبه. انظر «النهاية» لابن الأثير (٤/١٦١).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/١٤٠).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/٥٥) من حديث هارون بن رثاب الأسدي.

وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ

بِوَحْدَانِيَّتِهِ، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يَقُولُونَ: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أَي: وَسِعَ رَحْمَتُكَ كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمُكَ كُلَّ شَيْءٍ، ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: دِينَ الْإِسْلَامِ، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾: النَّارِ.

(٨ - ٩) ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾: إِقَامَةٍ ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ - عَظُفٌ عَلَى (هُمْ) فِي ﴿وَأَدْخِلْهُمْ﴾ أَوْ فِي ﴿وَعَدْتَهُمْ﴾ - ﴿مِنْ ءَابَائِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: يطلبون المغفرة لهم، وحكمة طلبهم المغفرة لهم: أنهم تكلموا في بني آدم حيث قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فلما وقع منهم ذلك.. أمرهم الله بالاستغفار لهم؛ جبراً لما وقع منهم، ففيه تنبيه على أن مَنْ تكلم في غيره ينبغي له أن يستغفر له.

قوله: (يقولون) أي: في كيفية الاستغفار لهم، وهذه الجملة المقدرة حال من ضمير (يستغفرون).

قوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ﴾... إلخ) قدّم هذا بين يدي الدعاء توطئة له؛ للإشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة، ولا يتردد في الدعاء؛ فإنه مانع من الإجابة.

قوله: ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ قدّم الرحمة على العلم؛ لأنّ المقام للدعاء، والرحمة مقصودة فيه بالذات، وإلا.. فالعلم سابق عليها.

قوله: (من الشرك) أي: وإن كان عليهم ذنوب.

قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ أي: بأن آمنوا.

قوله: ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ أي: اجعل بينهم وبينه وقاية تمنعهم منه؛ بأن توفّقهم لصالح الأعمال.

قوله: ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ﴾... إلخ) أي: بأن مات على غير الكفر، فيدخل فيه أهل الفترة والمجانين.

وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ.....

وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ فِي صُنْعِهِ، ﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أَي: عَذَابُهَا، وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ ﴿مِنْ قَبْلِ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ يَمُقُّونَ أَنْفُسَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ، ﴿لِمَقْتُ اللَّهِ﴾ إِيَّاكُمْ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: زوجاتهم؛ لما ورد: «إذا دخل المؤمن الجنة.. قال: أين أبي؟ أين أمي؟ أين ولدي؟ أين زوجتي؟ فيقال: إنهم لم يعملوا عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم، فإذا اجتمع بأهله في الجنة.. كان أكمل لِسُروره وَلَذَّتِهِ»^(١).

قوله: ﴿فِي﴾ (وَأَدْخَلَهُمْ) أي: وهو أولى؛ لأنه يُصَيِّرُ الدعاء لهم بالدخول صريحا، بخلافه على ﴿وَعَدْتَهُمْ﴾ فإنه ضمني.

قوله: ﴿وَفِيهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ الضمير راجع للآباء والأزواج والذرية.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ التنوين عوض عن جملة مأخوذة من السياق، والتقدير: يوم إذ تُدْخِلُ مَنْ تَشَاءُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ تَشَاءُ النَّارَ، وهو يوم القيامة.

قوله: ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: ما ذكر من الرحمة ووقاية السيئات.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ شروع في ذكر أحوال الكفار بعد دخولهم النار إثر بيان أنهم من أصحاب النار.

قوله: (وهم يمقتون أنفسهم) أي: يُبْغِضُونَهَا، ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد، فيقول الواحد منهم لنفسه: مقتك الله يا نفسي، فتقول الملائكة لهم وهم في النار: لمقتُ الله إِيَّاكُمْ إذ أنتم في الدنيا وقد بَعَثَ إِلَيْكُمْ الرسل فلم تؤمنوا.. أشدُّ من مقتكم أنفسكم اليوم.

قوله: ﴿لِمَقْتُ اللَّهِ﴾ أي: بُغْضُهُ، والمراد: لازمُهُ وهو الانتقام والتعذيب؛ لأنَّ حقيقته محالة في حق الله تعالى.

فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ

(١٤ - ١٥) ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾: اعبُدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: مِنَ الشِّرْكِ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: إِخْلَاصَكُمْ مِنْهُ. ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾: أَي: اللَّهُ عَظِيمُ الصِّفَاتِ أَوْ رَافِعُ دَرَجَاتِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: خَالِقُهُ، ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾: الْوَحْيَ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: أَي: قَوْلِهِ ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ﴾: يُخَوِّفُ الْمُلْقَى عَلَيْهِ النَّاسَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ يُطلق الدعاء على الطلب حقيقةً، وليس مراداً هنا بإجماع؛ بقرينة ما قبله وما بعده، وعلى العبادة مجازاً كما هنا، من باب: تسمية الكل باسم جزئه؛ لأنَّ الدعاء من جزء العبادة، وسميت العبادة دعاءً؛ لأنه أعظم أجزائها؛ لما في الحديث: «الدعاء معُ العبادة»^(١).

قوله: ﴿مُخْلِصِينَ﴾ حالٌ من فاعل (ادعوا)، وأشار بذلك إلى أنَّ الإنسان مأموراً بالعبادة ظاهراً، وبإخلاصٍ قلبه من أنواع الشُّك والشرك الأكبر والأصغر؛ فقوله: (من الشرك) عامٌّ في الشرك الأكبر وهو الكفر، والأصغر وهو الرياء.

قوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ مُبالغة فيما قبله؛ أي: اعبدوه وأخلصوا له قلوبكم، هذا إذا رضي الكافرون بذلك، بل ولو كرهوا وقاتلوكم ومانعوكم من عبادته.

قوله: (أي: الله عظيم الصفات) أشار بذلك إلى أن (رفيع) صفةٌ مشبهة، خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو منزَّه في صفاته عن كلِّ نقص، وقوله: (أو رافع) أشار به إلى أنَّ (فعيل) صيغة مبالغة مُحوّلة عن اسم الفاعل.

قوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ (الوحي) سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يسري في القلوب كسريان الروح في الجسد؛ ولذا كان لا يطرأ على النبي النسيان.

قوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بيانٌ لـ ﴿الرُّوحَ﴾، أو حالٌ منه.

قوله: (أي: قوله) وقيل: المرادُ بالأمر: القضاء.

قوله: (الملقَى عليه) هو فاعل الإنذار، وهو كنايةٌ عن الموصول في قوله: ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾، والمفعول الأول محذوفٌ، قدَّره المفسر بقوله: (الناس)، والمفعول الثاني هو قوله: ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾.

يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ
الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ - بِحَذْفِ الْيَاءِ وَإِثْبَاتِهَا -: يَوْمُ الْقِيَامَةِ لِتَلَاقِي أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْعَابِدِ
وَالْمَعْبُودِ وَالظَّالِمِ وَالْمَظْلُومِ فِيهِ .

(١٦ - ١٧) ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾: خَارِجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ، ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾
لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ يَقُولُهُ تَعَالَى وَيُجِيبُ نَفْسَهُ؟ ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ أَي: لِخَلْقِهِ

حاشية الصاوي

قوله: (بحذف الياء) أي: وصلاً ووقفاً، وقوله: (وإثباتها) أي: وصلاً ووقفاً، أو وصلاً فقط،
فالقراءات ثلاثٌ سبعيات^(١).

قوله: (لتلاقي أهل السماء) علةٌ لتسميته يومَ التَّلَاقِ.

قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ (بدلٌ من ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ بدل كلٍّ من كل، ويكتب (يوم) هنا
وفي (الذاريات) في قوله: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ منفصلاً؛ لأنَّ ﴿هُمْ﴾ مرفوعٌ بالابتداء فيهما،
فالمناسبُ القطعُ، وأمَّا في غير هذين المحلَّين نحو: ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]، ﴿يَوْمَهُمُ
الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥].. فيكتب موصولاً؛ لأن (هم) مجرورٌ، فالمناسبُ وصله.

قوله: (خارجون من قبورهم) أي: ظاهرون لا يستترون بشيء؛ لكون الأرض إذ ذاك قاعاً
صَفَصَفاً؛ لما في الحديث: «يحشرون حفاةً عراةً غُرلاً»^(٢).

قوله: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ (الحكمةُ في تخصيص ذلك اليوم مع أنَّ الله لا يخفى عليه
شيءٌ في سائر الأيام: أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا أنهم إذا استترُوا بالحيطان مثلاً لا يراهم الله،
وفي هذا اليوم لا يتوهمون هذا التَّوَهُّمَ).

قوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (هذا حكايةٌ لما يقع من السؤال والجواب حيثُذ، وهو كلامٌ مستأنفٌ
واقِعٌ في جواب سؤال مُقدَّر، كأنه قيل: ماذا يكون حيثُذ؟ فقيل: يقال: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ... إلخ﴾.

قوله: (يقوله تعالى) قيل: في يوم القيامة؛ كما ورد: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءٍ مِثْلَ

(١) أثبت ياء (التلاقي) وصلاً ووقفاً ابن كثير، وأثبتها في الوقف دون الوصل من غير خلاف ورش، وحذفها الباقون
وصلاً ووقفاً، إلا قالون فإنه روي عنه وجهان: وجه كُورَش، ووجه كالباقين. انظر «الدر المصون» (٩/٤٦٤).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٧)، ومسلم (٢٨٦٠) عن سيدنا ابن عباس ؓ.

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ
يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يُحَاسِبُ
جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي قَدْرِ نِصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا لِحَدِيثِ ذَلِكَ.

﴿١٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، - مِنْ (أَزَفَ الرَّحِيلُ): قَرُبَ - ﴿إِذِ الْقُلُوبُ﴾
تَرْتَفِعُ خَوْفًا ﴿لَدَى﴾: عِنْدَ ﴿الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ﴾: مُمْتَلِئِينَ غَمًّا، - حَالٍ مِنْ ﴿الْقُلُوبِ﴾

حاشية الصاوي

الفضة، لم يُعَصَّ الله عليها، فيؤمرُ منادٍ ينادي: لمن الملك اليوم؟ فيقول العبادُ مؤمنهم وكافرهم: لله
الواحد القهار، فيقول المؤمنون هذا الجوابُ سروراً وتلذذاً، ويقول الكافرون غمًّا وانقياداً
وخضوعاً^(١).

وقيل: بين النفختين حين تَفْنَى جميع الخلائق ويبقى الله وحده؛ فلا يرى غير نفسه، فيقول:
لِمَن الملك اليوم؟ فيجيب نفسه بعد أربعين سنة: الله الواحد القهار؛ لأنه بقي وحده، وقهر خلقه^(٢).
قوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾... إلخ) مِنْ تَمَةِ الْجَوَابِ، أَوْ لِحَاكِيَةِ مَا يَقُولُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَقِبَ
جَوَابِ الْخَلْقِ.

قوله: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (لَا): نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، ﴿ظُلْمَ﴾: اسْمُهَا، وَ﴿الْيَوْمَ﴾: خَبَرُهَا.

قوله: (فِي قَدْرِ نِصْفِ نَهَارٍ) أَي: لَا يَشْغَلُهُ حِسَابُ أَحَدٍ عَنْ أَحَدٍ، بَلْ كُلُّ إِنْسَانٍ يَرَى أَنَّهُ
هُوَ الْمَحَاسِبُ.

قوله: (مِنْ: أَزَفَ الرَّحِيلِ) مِنْ: بَابُ (تَعَبَ) أَي: دَنَا وَقَرُبَ.

قوله: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ﴾ بدل من ﴿الْآزِفَةِ﴾، وَ﴿الْقُلُوبُ﴾: مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ: ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾،
وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، قَدَرَهُ بِقَوْلِهِ: (تَرْتَفِعُ).

قوله: ﴿الْحَنَاجِرِ﴾ جمع حُنْجُورٍ ك: حُلُقُومٍ وَزناً وَمَعْنَى، أَوْ جَمْعُ حَنْجَرَةٍ.

(١) رَوَاهُ ابْنُ النَّحَّاسِ فِي «إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٢٢/٤)، وَقَالَ: إِنَّهُ أَصَحُّ مَا قِيلَ فِي الْآيَةِ عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

(٢) وَهَذَا الْقَوْلُ ظَاهِرٌ جَدًّا؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ إِظْهَارَ انْفِرَادِهِ تَعَالَى بِالْمَلِكِ عِنْدَ انْقِطَاعِ دَعَاوِي الْمَدْعِينَ، وَانْتِسَابِ
الْمُنْتَسِبِينَ؛ إِذْ قَدْ ذَهَبَ كُلُّ مَلِكٍ وَمَلِكَةٍ، وَمُتَكَبَّرٍ وَمَلِكَةٍ، وَانْقَطَعَتْ نَسَبُهُمْ وَدَعَاوِيهِمْ، وَدَلَّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ الْحَقُّ عِنْدَ
قَبْضِ الْأَرْوَاحِ وَطَيِّ السَّمَاءِ: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟». «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (٣٤٠/١٨).

مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا.....

عُومِلَتْ بِالْجَمْعِ بِالْيَاءِ وَالنُّونَ مُعَامَلَةً أَصْحَابِهَا - ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾: مُجِبٌّ ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ لَا مَفْهُومٌ لِلْوَصْفِ؛ إِذْ لَا شَفِيعَ لَهُمْ أَصْلًا ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠]، أَوْ لَهُ مَفْهُومٌ بِنَاءٍ عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّ لَهُمْ شُفَعَاءَ، أَي: لَوْ شَفَعُوا فَرَضًا لَمْ يُقْبَلُوا.
﴿١٩﴾ ﴿يَعْلَمُ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بِمُسَارَقَتِهَا النَّظَرَ إِلَى مُحَرَّمٍ، ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾: الْقُلُوبَ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يَعْبُدُونَ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ - بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ - ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وَهُمْ الْأَصْنَامُ ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ فَكَيْفَ يَكُونُونَ شُرَكَاءَ اللَّهِ؟
حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ حِمِيمٍ﴾ (مِنْ): زائدة في المبتدأ.

قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (أَي: يُؤْذَنُ لَهُ فِي الشَّفَاعَةِ فَيُقْبَلُ).

قوله: (إِذْ لَا شَفِيعَ أَصْلًا) أَي: لَا مُطَاعَ وَلَا غَيْرَهُ.

قوله: (أَي: لَوْ شَفَعُوا... إلخ) تفسير للمفهوم على الوجه الثاني.

قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ (خَبَرٌ رَابِعٌ عَنِ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ بِ(رَفِيعٍ) وَمَا بَعْدَهُ، وَالْإِضَافَةُ عَلَى مَعْنَى (مِنْ) أَي: الْخَائِنَةُ مِنَ الْأَعْيُنِ).

قوله: (بِمُسَارَقَتِهَا النَّظَرَ إِلَى مُحَرَّمٍ) وَمِنْ جُمْلَةٍ ذَلِكَ: الرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَى الْمَرْأَةِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ غَضَّ بَصَرَهُ، فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ غَفْلَةً.. تَجَسَّسَ بِالنَّظَرِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ غَضَّ بَصَرَهُ.

قوله: ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (أَي: عَنِ الْعِبَادِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ).

قوله: (أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ) تفسير للواو فِي ﴿يَدْعُونَ﴾.

قوله: (بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ) أَي: فَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾ (مِنْ بَابِ التَّهْكِيمِ بِهِمْ؛ إِذْ الْجَمَادُ لَا يُوصَفُ بِقَضَاءٍ وَلَا بَغَيْرِهِ).

(١) قرأ نافع وهشام: (تدعون) بالخطاب للمشركون، والباقون بالغيبة إخباراً عنهم بذلك. انظر «الدر المصون» (٩/٤٦٨).

إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم، ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم.

﴿٢١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ - وفي قراءة: ﴿منكم﴾ - ﴿قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ عذابه.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ وعيدٌ لهم على أفعالهم وأقوالهم؛ أي: فيُجازيكم بها.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة.. أردفه بتخويفهم بأحوال الدنيا فقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا... إلخ﴾؛ لأنَّ العاقل من اعتبر بغيره، والهمزة داخله على محذوف؛ أي: أضلُّوا ولم يسيروا؟ إلخ، وقوله: ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾... إلخ ﴿كَيْفَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ مقدَّم، و﴿عَاقِبَةُ﴾: اسمها، والجملة في محل نصب على المفعولية، وقوله: ﴿كَانُوا﴾... إلخ جواب ﴿كَيْفَ﴾، والواو: اسم (كان)، والضمير للفصل، و﴿أَشَدَّ﴾: خبرها.

قوله: ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ يجوز أن يكون منصوباً في جواب الاستفهام، وأن يكون مجزوماً نسقاً على ما قبله.

قوله: ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: حالٌ من قبلهم من الأمم المكذبة لرسولهم كعاد وثمود وأضرابهم.

قوله: ﴿وفي قراءة: «منكم»﴾ أي: بالالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وهي سبعة^(١).

قوله: ﴿وَأَنَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عطف على ﴿قُوَّةً﴾.

قوله: ﴿من مصانع﴾ أي: أماكن في الأرض تخزن فيها المياه كالصهاريج.

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ... إلخ﴾ خبر ﴿كَانَ﴾ مقدَّم، و﴿وَاقٍ﴾: اسمها مؤخر على زيادة (من)، و﴿مِنْ اللَّهِ﴾: متعلق ب﴿وَاقٍ﴾، و(من) فيه: ابتدائية، ومفعول ﴿وَاقٍ﴾ محذوف، قدره بقوله: (عذابه)، و(كان) للاستمرار؛ أي: ليس لهم واق أبداً.

(١) وبها قرأ ابن عامر. انظر «الدر المصون» (٤٧٠/٩).

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ
وَقَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ
الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا

﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ: بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ، ﴿فَكَفَرُوا﴾
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

﴿٢٣ - ٢٥﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بُرْهَانٍ بَيِّنٍ ظَاهِرٍ ﴿إِلَىٰ﴾
فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَرُونَ فَقَالُوا: ﴿هُوَ سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ﴾: بِالصُّدُقِ
﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: أخذهم بسبب أنهم كانت... إلخ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ﴾... إلخ) شروع في ذكر قصة موسى مع فرعون، وحكمة تكرارها
وغيرها: تسليته ﷺ، وزيادة في الاحتجاج على مَنْ كفر من أمته.

قوله: ﴿وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ قيل: المراد به نفس الآيات، فالعطف مرادف، وإنما التغاير باعتبار
العنوانين، وقيل: المراد به: بعض الآيات، وهو العصا واليد، وحينئذٍ: فيكون من عطف الخاص
على العام، والنكته: الاعتناء بهما.

قوله: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَرُونَ﴾ خصَّهم بالذكر؛ لأنهم الرؤساء؛ فإن فرعون كان ملكاً،
وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، وإنما جمعه الله معهما؛ لأنه شاركهما في الكفر
والتكذيب في آخر الأمر وإن آمن أولاً؛ فإن فعله آخرًا دلَّ على أنه مطبوعٌ على الكفر كإبليس.

قوله: ﴿فَقَالُوا﴾ نسبة القول لقارون باعتبار آخر الأمر.

قوله: ﴿هُوَ سِحْرٌ﴾ أشار بذلك إلى أنَّ ﴿سِحْرٌ﴾ خبرٌ لمحذوف، و﴿كَذَابٌ﴾ عطف
على ﴿سِحْرٍ﴾، والمعنى: ساحرٌ فيما أظهر من المعجزات، كذَّابٌ فيما ادَّعاه أنه من عند الله.

قوله: ﴿قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) أي: أعيذوا عليهم ما كنتم تفعلونه بهم،
فهذا القتلُ غيرُ القتلِ الأول؛ لأنَّ فرعون بعد ولادة موسى أمسك عن قتل الأولاد، فلمَّا بعث الله

نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾

استَبْقُوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: هَلَاكِ.

(﴿٢٦﴾ - ﴿٢٧﴾) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُونَهُ عَنْ قَتْلِهِ، ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ لِيَمْنَعَهُ مِنِّي؛ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ مِنْ عِبَادَتِكُمْ إِنِّي فَتَتَّبِعُونَهُ، ﴿وَأَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ مِنْ قَتْلِ وَغَيْرِهِ.

حاشية الصاوي

موسى وعجز عن مُعارضته.. أعاد القتل في الأولاد؛ ليمتنع الناس من الإيمان، ولثلا يكثر جمعهم فيكيده، فأرسل الله عليهم أنواع العذاب؛ كالضفادع والقمل والدم والطوفان، إلى أن خرجوا من مصر، فأغرقهم الله تعالى، وجعل كيدهم في نحورهم.

قوله: (واستبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ﴾) أي: بناتهم للخدمة.

قوله: (هلاك) أي: ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئاً.

قوله: (لأنهم كانوا يكفونه عن قتله) في حكمة منعهم له عن قتله وجوه:

أولها: أن المانع له من قتله الرجل المؤمن الآتي ذكره، فكان صاحب سر فرعون، وكان يتحيل في منع فرعون من قتله.

ثانيها: أنهم منعه من قتله احتقاراً له، فكانوا يقولون: إنه ساحر ضعيف، فإن قتلته قالت الناس: إنهم قتلوه لعجزهم عن مُعارضته.

ثالثها: خوفهم على فرعون؛ لأنهم كانوا يعلمون أنه إن تعرّض لموسى بسوء.. أخذ حالاً.

رابعها: ليشغل عنهم بمخاصمة موسى؛ لأن شأن الملوك إذا لم يجدوا مَنْ يشتغلوا به تعرّضوا لرعاياهم.

قوله: (﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾) اللام: للأمر، وهو أمر تعجيز في زعم فرعون.

قوله: (فتتبعونه) المناسب أن يحذف النون.

وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

- وفي قراءة ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى بفتح الياء والهاء وضَمُّ الدَّالِ -، ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لِقَوْمِهِ وقد سَمِعَ ذلك: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة... إلخ) تحصّل أن القراءات أربعٌ سبعيّات: رفع (الفساد) ونصبه مع الواو، أو (أو)^(١).

قوله: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ﴾ بإدغام الدال في التاء وإظهارها، قراءتان سبعيّتان^(٢).

قوله: ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ لم يسمّ فرعون، بل ذكره في ضمن المتكبرين؛ لتعميم الاستعاذة والتقيح على فرعون أنه متكبر متجبر.

قوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾ لما التجأ موسى إلى مولاه تعالى.. قيّض له مَنْ يخاصمُ عنه هذا اللعين، قال ابن عباس: لم يكن من آل فرعون مؤمنٌ غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي قال لموسى: ﴿إِنَّكَ أَلَمَلًا يَأْتِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ...﴾ إلخ^(٣).

وفي الحديث: «الصّديقون حبيب النجار مؤمن آل يس، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَنْقَتُلُونْ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾»، والثالث أبو بكر الصديق، وهو أفضلهم^(٤)، وكان اسم الرجل حزقيل، وقيل: شمعان بفتح المعجمة بوزن: سلمان.

(١) قرأ الكوفيون (أو أن) بد (أو) التي للإبهام، والباقون بواو النسق على تسلط الحرف على التبديل وظهور الفساد معاً، وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص: (يُظْهِر) بضم الياء وكسر الهاء من: أظهر، وفاعله ضمير موسى عليه السلام، (الفساد) نصباً على المفعول به، والباقون بفتح الياء والهاء من: ظهر، (الفساد) رفعاً بالفاعلية. انظر «الدر المصون» (٤٧١/٩).

(٢) قرأ أبو عمرو والأخوان بإدغام الدال مع التاء وإظهارها، والباقون بالإظهار فقط. انظر «المرجع السابق».

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٢٦٦/١٠)، وقيل: هذا الرجل هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَتَنَبَّأُ قَالَ يَمُوسَى﴾. انظر «تفسير القرطبي» (٢٤٩/١٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٥٥/٢)، وأبو نعيم في «معركة الصحابة» (٣٤٠)، وفيهما: (والثالث علي بن أبي طالب، وهو أفضلهم)، وسياق المصنف عند الخطيب في «السراج المنير» (٤٧٩/٣)، ونقله =

يَكْفُرُ إِيمَانَهُ أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ

- قيل: هو ابن عمه - ﴿يَكْفُرُ إِيمَانَهُ أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ أي: لأن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضَرَرُ كَذِبِهِ، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ عَاجِلًا، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مُشْرِكٌ ﴿كَذَابٌ﴾: مُفْتَرٍ.

﴿٢٩﴾ ﴿يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلَكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾: غَالِبِينَ

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: ابن عمه) وقيل: كان من بني إسرائيل يكتُم إيمانه من آل فرعون.

قوله: (أي: لأن ﴿يَقُولُ﴾... إلخ) أي: لأجل هذا القول من غير تأمل وتفكير.

قوله: (﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾) الجملة حالية من فاعل ﴿يَقُولُ﴾.

قوله: (﴿بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾) أي: إن لم يُصِيبْكُمْ كُلُّهُ فلا أَقْلَ من أن يصيبكم بعضُهُ إن تعرَّضتم

له بسوء.

قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾) هذا من الكلام الموجه إلى موسى وفرعون؛

فالأول معناه: أن الله هدى موسى إلى الإتيان بالمعجزات، ومن كان كذلك فلا يكون مسرفاً كذاباً، فموسى ليس بمسرفٍ ولا كذاب.

والثاني معناه: أن فرعون مسرفٌ في عزمه على قتل موسى، كذابٌ في ادِّعائه الألوهية،

وحينئذٍ: فالله لا يهدي مَنْ هذا وصفُهُ.

قوله: (﴿يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلَكُ﴾... إلخ) أي: فلا تُفسدُوا أمركم، ولا تتعرَّضُوا لبأس الله بقتل

هذا الرجل.

= في «الفتوحات» (١٢/٤) عن القرطبي، وقال صاحب «روح البيان» (١٧٦/٨): يمكن أن يقال: لا مخالفة بين هاتين الروايتين؛ لما أن المراد تفضيل أبي بكر في الصديقية، وتفضيل علي في السبق وعدم صدور الكفر عنه ولو لحظة، فافضلية كل منهما من جهة أخرى.

فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ
الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَتَقَوَّمُ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ﴿٣٢﴾

- حال - ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: أرض مصر، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾: عذابه إن قتلتم أوليائه،
﴿إِنْ جَاءَنَا﴾؟ أي: لا ناصر لنا، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا
بما أشير به على نفسي وهو قتل موسى، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾: طريق الصواب.
(٣٠ - ٣١) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يسوم
حزب بعد حزب، ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ - ﴿مِثْلَ﴾ بدل من ﴿مِثْلَ﴾
قبله - أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾.
(٣٢ - ٣٣) ﴿وَيَتَقَوَّمُ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من الضمير في ﴿لَكُمْ﴾.
قوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ أي: بعد أن سمع تلك النصيحة ولم يقبلها.
قوله: (أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي) أي: فلا أظهر لكم أمراً وأكتم عنكم غيره.
قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ أي: ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى.
قوله: (أي: يوم حزب بعد حزب) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى
الجمع؛ أي: أيامها^(١).
قوله: (أي مثل جزاء... إلخ) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف.
قوله: (عادة) تفسير للدأب، والمعنى: جزاء الأمر الذي اعتادوه واستمروا عليه، وهو كفرهم.
قوله: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ أي: فلا يعاقبهم بغير ذنب.
قوله: ﴿وَيَتَقَوَّمُ إِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾... إلخ) لما خوفهم بالعذاب الدنيوي... شرع
يخوفهم بالعذاب الأخروي.

(١) وذلك لأن الأحزاب لم ينزل بها العذاب في يوم واحد، بل نزل بها في أيام مختلفة مترتبة، ويدل لهذا التفسير قوله:
﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ وهؤلاء لم يهلكوا في يوم واحد. «فتوحات» (١٣/٤) عن شيخه العلامة الأجهوري.

يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

- بِحَذْفِ الْيَاءِ وَإِثْبَاتِهَا - أي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَكْثُرُ فِيهِ نِدَاءُ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ وَبِالْعَكْسِ، وَالنَّدَاءُ بِالسَّعَادَةِ لِأَهْلِهَا وَبِالشَّقَاوَةِ لِأَهْلِهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ، ﴿يَوْمَ تُؤْلَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ إِلَى النَّارِ، ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: مِنْ عَذَابِهِ ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾: مانع، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (بحذف الياء) أي في الوصل والوقف، وقوله: (وإثباتها) أي: في الوصل والوقف، فالقراءات أربعٌ سبعياتٌ، وهذا في اللفظ، وأمّا في الخط فمحذوفةٌ لا غير^(١).

قوله: (وغير ذلك) من جملته أن يُنادَى: أَلَا إِنَّ فُلَانًا سَعِدَ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا، وَفُلَانٌ^(٢) شَقِيَ شَقَاوَةً لَا يَسْعُدُ بَعْدَهَا أَبَدًا، وَأَنْ يُنَادَى حِينَ يَذْبَحُ الْمَوْتُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ؛ خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ؛ خُلُودٌ بِلَا مَوْتٍ، وَأَنْ يُنَادِيَ الْمُؤْمِنُ: ﴿هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾، وَيُنَادِي الْكَافِرُ: ﴿بَلَّغْنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِي﴾، وَأَنْ يُنَادِيَ بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا تَقَعُ فِي هَذَا الْيَوْمِ.

قوله: ﴿مُدْبِرِينَ﴾ عَنْ مَوْقِفِ الْحِسَابِ إِلَى النَّارِ) أي: لَأَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا زَفِيرَ النَّارِ أَدْبَرُوا هَارِبِينَ، فَلَا يَأْتُونَ قَطْرًا مِنَ الْأَقْطَارِ إِلَّا وَجَدُوا الْمَلَائِكَةَ صُفُوفًا، فِيرْجَعُوا^(٣) إِلَى مَكَانِهِمْ.

قوله: ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مَبْتَدَأٌ، وَمَنْ: زَائِدَةٌ، وَ﴿مِنْ اللَّهِ﴾: مَتَعَلِّقٌ بِ﴿عَاصِرٍ﴾.

قوله: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ وَحَذْفِهَا فِي الْوَقْفِ، وَبِحَذْفِهَا فِي الْوَصْلِ مَعَ حَذْفِهَا فِي الْخَطِّ عَلَى كُلِّ^(٤).

(١) أثبت الياء وصلًا ووقفًا ابن كثير، وأثبتها في الوقف دون الوصل من غير خلاف ورش، وحذفها الباقون وصلًا ووقفًا، إلا قالون فإنه روي عنه وجهان: وجه كورش، ووجه كالباقين. انظر «الدر المصون» (٩/٤٦٤).

(٢) كذا في الأصول، على القطع، وفي «الفتوحات» (٤/١٤): (ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة... إلخ).

(٣) كذا في الأصول، بحذف النون، وهي لغة مشهورة، والقطر بالضم: الجانِبُ والناحية.

(٤) قرأ ابن كثير في الوقف بالياء بعد القاف، والباقون بغير ياء، وأنفقوا على التنوين في الوصل. انظر «السراج المنير»

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ

﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ ﴿٣٤﴾ أي: قبل موسى، وهو يوسف بن يعقوب في قول عُمَرَ إلى زَمَنِ موسى، أو يوسف بن إبراهيم بن يوسف بن يعقوب في قول، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾ مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: مُشْرِكٌ ﴿مُرْتَابٌ﴾: شاكٌّ فيما شهدَتْ بِهِ الْبَيِّنَاتِ.

﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ: مُعْجَزَاتِهِ - مُبْتَدَأٌ - ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: بُرْهَانٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾... إلخ المتبادر أنه من كلام الرجل المؤمن، وقيل: من كلام موسى.

قوله: (عُمَرَ إلى زمن موسى) هذا القول لم يوافقه عليه أحد من المفسرين؛ لأن بين يوسف وموسى أربع مئة سنة، فالصواب أن يقول: (عُمَرَ إلى زمن فرعون)؛ فإن فرعون أدركه وعُمَرَ إلى أن أدرك موسى. (وعمر) بوزن: (خرج) ^(١) و(نصر) و(ضرب)، وهو لازم ويتعدى بالتضعيف.

قوله: (أو يوسف بن إبراهيم) أي: فيوسف هذا سبط يوسف بن يعقوب، أرسله الله إلى القبط، فأقام فيهم عشرين سنة نبياً.

قوله: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ﴾ أي: فما زالت أصولكم.

قوله: (أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره) أتى بهذا؛ دفعاً لما يتبادر من ظاهر الآية أنهم كانوا مؤمنين بيوسف وندموا على فراقه، بل كانوا كفاراً به، وانقيادهم له خوفاً من سطوته بهم، وطمعاً في جاهه الدنيوي.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾... إلخ من كلام الرجل المؤمن، وقيل: ابتداءً كلام من الله

تعالى.

(١) كذا في الأصول، وفي «القاموس» أنه بوزن (فِرِحَ ونَصَرَ وضَرَبَ)، وانظر «الفتوحات» (١٤/٤).

أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ
جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

﴿أَنَّهُمْ كَبُرَ﴾ جِدَالُهُمْ - خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ - ﴿مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾: يَخْتِمُ ﴿اللَّهُ﴾ بِالضَّلَالِ ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ﴾ - بِتَنْوِينِ ﴿قَلْبٍ﴾ وَدُونِهِ -، ومتى تَكَبَّرَ الْقَلْبُ تَكَبَّرَ صَاحِبُهُ وَبِالْعَكْسِ، وَ(كُلُّ) عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ لِعُمُومِ الضَّلَالِ جَمِيعِ الْقَلْبِ، لَا لِعُمُومِ الْقُلُوبِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنَّهُمْ﴾ (صفة لـ ﴿سُلْطَنٍ﴾).

قوله: (خبر المبتدأ) هذا أحسن الأعراب في هذا المقام^(١)، وقوله: ﴿مَقْتًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل؛ أي: كبر مقتّ جدالهم، و﴿عِنْدَ﴾ ظرف لـ ﴿كَبُرَ﴾، ومقت الله إيّاهم: سخطه وإنزال العذاب بهم.

قوله: (مثل إضلالهم) المناسب أن يقول: (مثل ذلك الطبع).

قوله: (بتنوين «قلب» ودونه) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (ومتى تكبّر القلب... إلخ) أشار بذلك إلى التوفيق بين القراءتين؛ لأنه يلزم من اتصاف القلب بالكبر اتصاف الشخص به؛ لأنّ القلب سلطان الأعضاء؛ فمتى فسد... فسدت.

قوله: (لِعُمُومِ الضَّلَالِ جَمِيعِ الْقَلْبِ) أي: جميع أجزائه، فلم يبق فيه محلّ يقبل الهدى، وهذا خلاف القاعدة في (كل)؛ فإنّ قاعدتها: أنها إذا دخلت على نكرة مفردة أو مجموعة أو معرفة مجموعة... تكون لعموم الأفراد، وإذا دخلت على معرفة مفردة... تكون لعموم الأجزاء، وهنا قد دخلت على النكرة المفردة، فكان حقّها أن تكون لعموم الأفراد، وإنما أريد هذا المعنى وإن كان مخالفاً للقاعدة؛ للمبالغة في وصول الضلال لقلوبهم وتمكّنه منها.

(١) ولكن لا بدّ من حذف مضاف؛ ليعود الضمير من (كبر) عليه، والتقدير: حالّ الذين يجادلون كبر مقتاً، وهذا الوجه واحد من الأعراب العشرة التي ذكرها السمين في «الدر المصون» (٤٧٨/٩).

(٢) قرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتنوين (قلب)، وصفاً للقلب بالتكبر والجبروت؛ لأنهما ناشتان منه وإن كان المراد الجملة، كما وصف بالإثم في قوله: ﴿فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾، والباقون بإضافة (قلب) إلى ما بعده؛ أي: على كل قلب شخص متكبر. انظر «الدر المصون» (٤٨١/٩).

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنْ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ...

(٣٦ - ٣٧) ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنْ ابْنُ لِي صَرَحًا﴾ : بِنَاءً عَالِيًا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ : طَرَفُهَا الْمُوصِلَةُ إِلَيْهَا، ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ - بِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى ﴿أَبْلُغُ﴾، وَبِالنَّصْبِ جَوَابًا لـ ﴿ابْنِ﴾ - ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أَي : مُوسَى ﴿كَذِبًا﴾ فِي أَنَّ لَهُ إِلَهًا غَيْرِي. قَالَ فِرْعَوْنُ ذَلِكَ تَمْوِيهَا، ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ : حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾) أي : مُعْرَضًا عَنْ كَلَامِ الْمُؤْمِنِ .

قوله : (بِنَاءً عَالِيًا) أي : مَفْرَدًا طَوِيلًا ضَخْمًا ، وَتَقَدَّمتْ قِصَّتُهُ فِي سُورَةِ (الْقَصَصِ) ^(١) .

قوله : (طَرَفُهَا) أي : أَبْوَابُهَا الْمُوصِلَةُ إِلَيْهَا ، وَحِكْمَةُ التَّكَرُّارِ فِي (أَسْبَابِ) : التَّفْخِيمُ وَالتَّعْظِيمُ ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا أُبْهِمَ ثُمَّ وُضِّحَ . . كَانَ أَدْخَلَ فِي تَفْخِيمِ شَأْنِهِ .

قوله : (عَطْفًا عَلَى ﴿أَبْلُغُ﴾) أي : فَيَكُونُ دَاخِلًا فِي حَيْزِ التَّرْجِي .

قوله : (وَبِالنَّصْبِ جَوَابًا لـ ﴿ابْنِ﴾) أي : فَهُوَ مَنْصُوبٌ بِـ (أَنْ) مُضْمَرَةٌ بَعْدَ الْفَاءِ ؛ كَقَوْلِهِ ^(٢) : [الرَّجْزُ]

يَا نَاقُ سِيرِي عَنَقًا فَمَسِيحًا إِلَى سُلَيْمَانَ فَتَسْتَرِيحًا

وَقِيلَ : إِنَّهُ مَنْصُوبٌ فِي جَوَابِ التَّرْجِي ^(٣) . وَالْقَرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ ^(٤) .

قوله : ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾) أي : أَنْظَرَ إِلَيْهِ وَأَظْلَعَ عَلَى حَالِهِ .

قوله : (تَمْوِيهَا) أي : تَلْبِيسًا وَتَخْلِيطًا عَلَى قَوْمِهِ ، وَإِلَّا . . فَهُوَ يَعْرِفُ وَيَعْتَقِدُ أَنَّ مُوسَى صَادِقٌ

فِي جَمِيعِ مَا قَالَه .

قوله : ﴿وَكَذَلِكَ﴾) أي مِثْلَ ذَلِكَ التَّزْيِينِ .

(١) انظر (١٤٨/٥-١٤٩) .

(٢) من الشواهد المشهورة، وهو لأبي النجم العجلي كما في «شرح الشواهد الكبرى» للعينى (١٨٦٨/٤) .

(٣) وهو قول الكوفيين؛ أجازوا النصب في جواب الترجي حملاً له على التمني، ودفعه ابن هشام في «مغني اللبيب» (ص ٦٢٣) بتوجيه النصب إما بالعطف على معنى (لعلني أن أبلغ)، أو على (الأسباب) على حدّ:

ولبس عباة وتقر عيني

(٤) قرأ حفص بنص العين، والباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (٤٨٣/٣) .

وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

طريق الهدى - بفتح الصاد وضمها - ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾: خسار.
 (٣٨ - ٤٠) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِي﴾ - بإثبات الياء وحذفها -
 ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ تقدم، ﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَّعٌ﴾: تمتع يزول،
 ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن
 ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴿٤٠﴾ - بضم الياء وفتح الخاء وبالعكس -
 ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح الصاد وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).
 قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ﴾ هو الرجل المؤمن، وقيل: المراد به موسى عليه السلام.
 قوله: ﴿اتَّبِعُونِي﴾ أي: امثلوا ما أمركم به.
 قوله: (بإثبات الياء وحذفها) أي: وهما سبعيتان، وهذا في اللفظ، وأما في الخط فهي محذوفة
 لا غير؛ لأنها من ياءات الزوائد^(٢).
 قوله: (تمتع يزول) أي: تمتع قليل يسير لا بقاء له.
 قوله: ﴿دَارُ الْقَرَارِ﴾ أي: الثبات، فلا تحوّل عنها.
 قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ أي: ولم يتب منها.
 قوله: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الجملة حالية.
 قوله: (بضم الياء... إلخ) أي: وهما سبعيتان^(٣).
 قوله: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: وما ورد: من أن الحسنه بعشر أمثالها، فهذا في ابتداء

(١) ضم الصاد الكوفيون ويعقوب، وفتحها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٨٠).

(٢) أثبت الياء وصلًا قالون وأبو عمرو وأبو جعفر، وحذفها الباقون. انظر المرجع السابق.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بضم الياء وفتح الخاء، والباقيون بفتح الياء وضم الخاء. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٨٥).

وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
بِلا تَبِعَة.

(٤١ - ٤٤) ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾: الغالب على أمره، ﴿الْفَقِيرِ﴾ لِمَنْ تَابَ. ﴿لَا جَرَمَ﴾:

حاشية الصاوي

الأمر عند المحاسبة، فإذا تمَّ الحساب.. تفضل الله على عباده بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

قوله: (بغير تبعة) أي: فرزق أهل الجنة لا يتوقف على دفع ثمن، بل يتنعمون نعيماً خالياً من العلل، صافياً من الكدر، جعلنا الله من أهل الجنة بمنه وكرمه.

قوله: ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ﴾... (إلخ) أتى بالواو في النداء الأول والثالث؛ لأنه كلام مستقل مستأنف، وتركها من الثاني؛ لأنه من تعلقات الكلام الأول، والعطف يقتضي المغايرة، وقوله: ﴿مَا لِي﴾ أي: أي شيء يثبت لي، ف﴿مَا﴾: مبتدأ، والجار والمجرور خبر عنه، وقوله: ﴿أَدْعُوكُمْ﴾ حال، والاستفهام للتعجب، ومحطُّ العجب هو قوله: ﴿وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾، كأنه قال: أعجب من هذه الحال؛ أدعوكم إلى النجاة والخير، وتدعونني إلى النار والشر!

قوله: ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ﴾... (إلخ) هذا بدل من قوله: ﴿تَدْعُونِي﴾ الأولِ بدل مفصل من مجمل.

قوله: ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: بوجوده، والمراد: نفي المعلوم من أصله.

قوله: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ﴾ راجع لقوله: ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ﴾.

قوله: ﴿إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ﴾ أي: إلى عبادته، وامثال أوامره، واجتناب نواهي.

قوله: ﴿لَا جَرَمَ﴾: نافية، و﴿جَرَمَ﴾: فعل ماض بمعنى: حق، وقوله: ﴿أَنَا تَدْعُونِي﴾

فاعله، والمعنى: حق ووجب عدم استجابة دعوة الهتك.

أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ

حَقًّا ﴿أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ لِأَعْبُدَهُ ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ﴾ أَي: استجابة دعوة ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾: مَرَجَعْنَا ﴿إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ ﴿٤٣﴾ فَتَذَكَّرُونَ﴾ إِذَا عَايَنْتُمْ الْعَذَابَ ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، قَالَ ذَلِكَ لَمَّا تَوَعَّدُوهُ بِمُخَالَفَتِهِ دِينَهُمْ.

(٤٥ - ٤٦) ﴿فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ بِهِ مِنَ الْقَتْلِ، ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿ثَالِ فِرْعَوْنَ﴾: قَوْمِهِ مَعَهُ

حاشية الصاوي

قوله: (حقًا) مفعول^(١) لمحذوف دلّ عليه (لا جرم)، والمعنى: حقّ ما تدعونني إليه حقًا، وهي كلمة في الأصل بمنزلة (لا بدّ)، ثمّ تحوّلت إلى معنى القسم.

قوله: ﴿أَنَّمَا تَدْعُونِي﴾ ﴿ما﴾: اسم موصول، فحقّها أن تفصل من النون، وإنما وصلت بها تبعًا للمصحف.

قوله: (أي: استجابة دعوة) أي: لا شفاعة لها دنيا ولا أخرى، وقيل: المعنى: ليست له دعوة إلى عبادته؛ لأنّ الأصنام لا تدّعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادة نفسها، وفي الآخرة تتبرأ من عبّادها.

قوله: ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ (أي: من النصيحة).

قوله: (لما توعّدوه) أي: ففرّ هاربًا إلى جبل، فأرسل فرعون خلفه ألفًا ليقتلوه، فوجدوه يصلي والوحوش صفوفًا حولّه، فأكلت السّباع بعضهم، ورجع بعضهم هاربًا، فقتله فرعون^(٢).

قوله: ﴿فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ (أي: شدائد مكرهم، وقد نجّى الله تعالى ذلك الرجل مع موسى من الغرق أيضًا).

قوله: (معه) أي: ولم يصرّح به؛ لأنه أولى منهم بذلك.

(١) أي: مطلق، وقد تقدّم في سورة (هود) مزيد بيان عن (لا جرم)، انظر (٣/٢٧٢).

(٢) عقوبة على عدم قتلهم لذلك الرجل المؤمن. «فتوحات» (٤/١٨).

سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا

﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾: العَرَقُ. ثُمَّ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: يُحَرِّقُونَ بِهَا ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾: صباحاً ومساءً، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يُقَالُ: ﴿أَدْخِلُوا﴾ يَا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ - وفي قراءة: بِفَتْحِ الهمزة وكسرِ الخاء أمرٌ لِلْمَلَائِكَةِ - ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عَذَابَ جَهَنَّمَ.

﴿و﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ يَتَحَاجُّونَ﴾: يَتَخَاصِمُ الْكُفَّارُ ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (ثم ﴿النَّارُ﴾) أتى بـ(ثم)؛ إشارة إلى أنه كلامٌ مستأنفٌ، و﴿النَّارُ﴾: مبتدأ، وجملة ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: خبره، والمعنى: تُعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة على النار؛ لما روي: «أنَّ أرواح الكفار في جوف طير سود، تغدو على جهنم وتروح كلَّ يوم مرتين، فذلك عرضها»^(١).

قوله: (﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾) إما معمولٌ لـ(أَدْخِلُوا)^(٢)، أو لمحذوفٍ تقديره: يقال لهم يوم تقوم الساعة: ادخلوا، وعليه درج المفسر.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعيةٌ أيضاً، فعلى القراءة الأولى: يكون ﴿آلَ﴾ منادى على حذف ياء النداء، وعلى الثانية: يكون مفعولاً لـ﴿أَدْخِلُوا﴾^(٣).

قوله: (عذاب جهنم) تفسير للأشد؛ فإنه أشدُّ ممَّا كانوا فيه؛ لأنَّ ذاك عرضٌ، وهذا دخولٌ واستيطانٌ.

قوله: (﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾) تفصيلٌ للتخاصم.

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مُصنّفه» (٥٤/٧) من حديث هذيل بن شرحبيل، وفيه: (أرواح آل فرعون) بدل (أرواح الكفار).

(٢) على ما مشى عليه المفسر من قراءة غير الكسائي وحزمة ونافع وحفص؛ بوصل الهمزة.

(٣) قرأ الكسائي وحزمة ونافع وحفص: (أدخلوا) بقطع الهمزة؛ أمراً من: أدخل، والباقون: (ادخلوا) بهمزة وصل.

انظر «الدر المصون» (٤٨٥/٩).

فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّْا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا
إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ
يُخَفِّفْ عَنَّْا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِيَكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ

جمع (تابع)، ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنَّْا نَصِيبًا﴾: جزءاً ﴿مِّنَ النَّارِ﴾؟

(٤٨ - ٥٠) ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾
فأدخل المؤمنين الجنة والكافرين النار. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ
يُخَفِّفْ عَنَّْا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِّنَ الْعَذَابِ﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي: الخزنة تهكماً: ﴿أَوْلَمْ تَكُنْ
تَأْتِيَكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فكفروا بهم،
حاشية الصاوي

قوله: (جمع تابع) ك: خَدَم وخَادِم.

قوله: (دافعون) أشار بذلك إلى أن ﴿مُغْنُونَ﴾ مضمّن معنى: دافعون، فنصب ﴿نَصِيبًا﴾، ويصح
أن يضمّن معنى: حاملون، و﴿مِّنَ النَّارِ﴾: صفة لـ ﴿نَصِيبًا﴾.

قوله: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ أي: فلو استطعنا لدفعنا عن أنفسنا؛ فكيف ندفع عنكم؟!

قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ أي: فلا يغني أحدٌ عن أحدٍ شيئاً.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ أي: من الضعفاء والمستكبرين جميعاً حين حصل لهم اليأس من
تحمل بعضهم عن بعض.

قوله: ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ أتى بالظاهر في محلّ الضمير؛ تقيحاً عليهم، أو لبيان محلّهم فيها.

قوله: ﴿يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ أي: يخفف عنّا شيئاً من العذاب في يوم^(١)، وقوله: (أي: قدر
يوم) أشار بذلك إلى أنه ليس في الآخرة ليلٌ ولا نهارٌ.

قوله: ﴿قَالُوا أَوْلَمْ تَأْتِيَكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾... إلخ) المقصود من ذلك: إلزامهم الحجّة، والتوبيخ
على تفريطهم.

قوله: ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: أتونا فكذبناهم، وتقدّم أنهم قبل الدخول يُنكرون، وبعده يُقرّون.

(١) فيكون (يوماً) ظرفاً لـ (يخفف)، ومفعول (يخفف) محذوف؛ كما قدره المصنف، ويجوز أن يكون (من العذاب)
هو المفعول لـ (يخفف)، و(من): تبعيضية، و(يوماً) ظرفاً. انظر «السراج المنير» (٣/٤٨٨).

قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَتُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ

﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾: أنتم فإننا لا نشفع للكافرين، قال تعالى: ﴿وَمَا دُعَتُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: انعدام.

(٥١ - ٥٢) ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: جمع (شاهد) وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالكذب. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ - بالياء والتاء - ﴿الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾: عذرهم لو اعتذروا، حاشية الصاوي.

قوله: (فإننا لا نشفع لكافر) أي: لئحتّم خلوده في النار، فالشفاعة لا تفيد شيئاً.

قوله: (انعدام) أي: من الإجابة.

قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾ أي: بالحجة والظفر على الأعداء وإن وقع لهم بعض امتحان، فالعبرة بالعواقب وغالب الأمر.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، والمعنى: ننصرهم في الدنيا والآخرة.

قوله: (جمع شاهد) أي: ويصح أن يكون جمع (شهيد)، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١].

قوله: (وهم الملائكة) أي: والأنبياء والمؤمنون، أما الملائكة.. فهم الكرام الكاتبون، يشهدون بما شاهدوا، وأما الأنبياء.. فإنهم يحضرون يوم القيامة يشهدون على أممهم، وأما المؤمنون من أمة محمد ﷺ.. فتشهد على باقي الأمم يوم القيامة.

قوله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ بدل من (يوم) الأول.

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما سبعيتان^(١).

قوله: (لو اعتذروا) جواب عما يقال: مقتضى الآية أنهم يذكرون أعداءهم إلا أنها لا تنفعهم، وحينئذ: فيكون بينها وبين الآية الأخرى وهي ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] تناف، فأجاب: بأن معنى (لو اعتذروا) فرضاً، لا تنفعهم معذرتهم، فهذه الآية على سبيل الفرض والتقدير.

(١) قرأ نافع والكوفيون بياء التذكير، وغيرهم بقاء التأنيث. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٨١).

وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ

﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: البُعْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الْآخِرَةُ أَي: شِدَّةُ عَذَابِهَا. (٥٣ - ٥٤) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾: التَّوْرَةُ وَالْمُعْجِزَاتِ، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴿الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةُ ﴿هُدًى﴾: هَادِيًا ﴿وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾: تَذَكُّرَةٌ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ.

﴿٥٥﴾ ﴿فَأَصْبِرْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِنَصْرِ أَوْلِيَائِهِ ﴿حَقٌّ﴾ وَأَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ، ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ﴾ لِيُسْتَنَّ بِكَ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ هذا مرَّتَبٌ عَلَى قوله: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾، فهذا من النصر الدنيوي الموصِّل للنصر الآخروي.
قوله: (من بعد موسى) أي: إلى نزول عيسى، فاتاه الله الإنجيل ناسخةً لبعض أحكام التوراة.
قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾ لم يعبر عنه في جانب بني إسرائيل بالهدى كما عبر في جانب موسى؛ إشارةً إلى أنه لم يكن هدىً لجميعهم، بل هدىً لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ، ووبالٍ لِمَنْ طغى وكفر.
قوله: (هاديًا) أشار بذلك إلى أن ﴿هُدًى﴾ حالٌّ من ﴿الْكِتَابَ﴾، وكذا قوله: ﴿وَذِكْرَى﴾.
قوله: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ هذا نتيجة ما قبله؛ أي: إذا علمت أن الله ناصرٌ لرسله في الدنيا والآخرة.. فاصبر حتى يأتِكَ النَّصْرُ مِنْ رَبِّكَ.

قوله: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ﴾ أي: اطلب المغفرة من ربك لذنبك، والمقصود من هذا الأمر: تعليمُ الأُمَّةِ ذلك، وإلَّا.. فرسول الله ﷺ معصومٌ من الذنوب جميعها، صغائر أو كبائر، قبل النبوة وبعدها على التحقيق، كجميع الأنبياء، وإلى هذا أشار المفسر بقوله: (لِيُسْتَنَّ بِكَ) أي: يُقْتَدَى بِكَ.
وأجيب أيضاً: أنَّ الكلام على حذف مضاف، والتقدير: واستغفر لذنب أمتك، وإنما أضيف الذنب له؛ لأنه شفيعٌ لهم، وأمرهم متعلِّقٌ به، فإذا لم يسع في غفرانه في الدنيا.. أتعبه في الآخرة، قال تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكلُّ هذا تشريفٌ لهذه الأمة المحمدية، فقد تشرفت بأمورٍ منها: أن نبيها مأمورٌ بالاستغفار لها، ومنها: صلاةُ الله وملائكته عليها، وغير ذلك.

وَسَيَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانِ أَتَنَّهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

﴿وَسَيَحْ﴾: صَلَّ مُتَلَبِّسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾: الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانِ﴾: بُرْهَانِ ﴿أَتَنَّهُمْ﴾: مَا ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾: تَكَبُّرٌ وَطَمَعٌ أَنْ يَعْلُوا عَلَيْكَ، ﴿مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾: فَاستَعِذْ مِنْ شَرِّهِمْ ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِأَقْوَالِهِمْ ﴿الْبَصِيرُ﴾ بِأَحْوَالِهِمْ.

حاشية الحَاوِي

وأجيب أيضاً: بأنَّ المراد بالذنب: خلافُ الأولى، وسمِّي ذنباً بالنسبة لمقامه، من باب: حسناتُ الأبرار سيئاتُ المقرَّبين.

قوله: (صلِّ) إنما فسَّرَ التَّسْبِيحَ بالصلاة؛ لقريئة قوله بعد: ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾.

قوله: (وهو بعد الزوال) أي: وفيه أربع صلوات: الظهر والعصر، والمغرب والعشاء، وقوله: ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾ أي: وهو من الفجر إلى الزوال، وفيه صلاةٌ واحدةٌ، وهي الصبح؛ فلذلك قال: (الصلوات الخمس).

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ﴾... إلخ) بيانٌ لتفصيل أنَّ جدالهم ناشئٌ من الحقد الذي في صُدُورِهِمْ، وفيما تقدَّم بيَّن عاقبةَ جدالهم، وما أعدَّ لهم في نظيره^(١).

قوله: ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانِ أَتَنَّهُمْ﴾ (وصفٌ كاشفٌ؛ إذ يستحيل المجادلة في آيات الله بسلطان.

قوله: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ﴾) خبر ﴿إِنَّ﴾.

قوله: ﴿مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ﴾ هذا وعدٌ حسنٌ من الله تعالى بأنَّ المتكبر لا يبلغ ما أمَّله بكبره، وإنما يُجَعَلُ كيدُهُ في نَحْرِهِ.

قوله: ﴿فَاستَعِذْ بِاللَّهِ﴾ أي: تحصَّن بالله من كيدهم، والتَّجَىءُ إليه في دفع مَكْرِهِمْ.

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾) تعليلٌ لما قبله.

(١) أي: في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانِ أَتَنَّهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٌ﴾.

لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿٥٧﴾ ونَزَلَ فِي مُنْكَرِي الْبَعْثِ: ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ابتداءً ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مَرَّةً ثَانِيَةً وَهِيَ الْإِعَادَةُ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أَي: الْكُفَّار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ، فَهُمْ كَالْأَعْمَى، وَمَنْ يَعْلَمُهُ كَالْبَصِيرِ.

﴿٥٨﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَ﴾ لَا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وَهُوَ الْمُحْسِنُ، ﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾ - فِيهِ زِيَادَةٌ (لَا) - ﴿قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾: يَتَعَطَّوْنَ - بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ﴾ (أَي: سَبْعًا طَبَقًا، عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَشَاهِدِ).

قوله: (ابتداءً) أَي: مِنْ غَيْرِ سَبْقٍ مِثَالِ.

قوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ (أَي: أَعْظَمُ بِحَسَبِ الْعَادَةِ، وَإِلَّا... فَالْكَلُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ تَعَالَى لَا تَفَاوُتُ فِيهِ بَيْنَ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، بَدْءًا وَإِعَادَةً).

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (أَي: وَالْأَقْلُ يَعْلَمُهُ، وَهُوَ مَنْ آمَنَ).

قوله: (فهم كالأعمى... إلخ) هَذَا نَتِيجَةُ مَا قَبْلَهُ، وَهُوَ دُخُولُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى... إلخ﴾.

قوله: ﴿و﴾ لَا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا... إلخ﴾ رَاجِعٌ لِلْبَصِيرِ، وَقَوْلُهُ ﴿وَلَا الْمُسِيءُ﴾ رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿الْأَعْمَى﴾ عَلَى سَبِيلِ الْفَتْحِ وَالتَّشْرِيشِ، وَهُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ.

قوله: (فيه زيادة «لا») أَي: لِلتَّوْكِيدِ؛ لَطَوِيلُ الْكَلَامِ بِالصَّلَةِ.

قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَ﴾ (قَلِيلًا): صِفَةُ لِمَوْصُوفٍ مُحْذُوفٍ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ؛ أَي: يَتَذَكَّرُونَ تَذَكُّرًا قَلِيلًا، وَ﴿مَّا﴾: زَائِدَةٌ لِلتَّوْكِيدِ الْقَلَّةِ.

قوله: (بالياء والتاء) أَي: فَهْمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

(١) قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ بِنَاءِ الْخَطَابِ، وَبِالْبَاقُونَ بِيَاءِ الْغِيَةِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٩/٤٩٣).

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّنُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

أي: تذكّرهم قليل جداً. ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّنُهُ لَا رَيْبَ﴾: شكّ فيها ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون بها.

﴿٦٠﴾ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: اعبدوني أيّكم،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: تذكّرهم قليلاً) هكذا بالنصب على الحال، والخبر محذوف، والتقدير: يحصل حال كونه قليلاً.

قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ أي: لوضوح الأدلة على حصولها.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها) أي: جحداً وعناداً، والأقل يؤمنون؛ لقيام الدليل العقلي والشرعي على أنه تعالى قادرٌ على كل شيء، وأخبر على السنة رسله أنه كما بدأنا يُعيدنا؛ فلو جُوز تخلفه.. للزم إمّا كذب خبره تعالى أو عجزه، وكلاهما محال، تنزّه الله عنه.

قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الدعاء في الأصل: السؤال والتضرع إلى الله تعالى في الحوائج الدنيوية والأخروية الجليلة والحقيرة، ومنه: ما ورد: «ليسأل أحدكم ربّه حاجته كلّها حتى في شسع نعله إذا انقطع»^(١).

وقوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أي: أجبكم فيما طلبتم؛ لما ورد: «إذا قال العبد: يا رب.. قال الله له: لبيك يا عبدي»^(٢).

إن قلت: إن قوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ وعدٌ بالإجابة، ووعدّه لا يتخلف، مع أنه مشاهد أنّ الإنسان قد يدعو ولا يُستجاب له.

أجيب: بأن الدعاء له شروط، فإذا تخلف بعضها.. تخلفت الإجابة؛ منها: إقبال العبد بكليته على الله وقت الدعاء؛ بحيث لا يجعل في قلبه غير ربّه، وألاً يكون لمفاسد، وألاً يكون فيه قطيعة رحم، وألاً يستعجل الإجابة، وأن يكون موقناً بها، فإذا كان الدعاء بهذه الشروط.. كان حقيقاً

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار في «مُسْنَدِهِ» (٢٠٢/٣)، وأبو حفص ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (١٤٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

بِقَرِينَةٍ مَا بَعْدَهُ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ - بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّ الْخَاءِ
وَبِالْعَكْسِ -

حاشية الصاوي

بالإجابة، فإمّا أن يعجلها له، وأمّا أن يؤخرها له، فالإجابة على مراده تعالى، وحينئذ: فالذي ينبغي
للإنسان أن يدعوا الله تعالى، ويفوض له الأمر في الإجابة؛ ولذا ورد: «ما من رجل يدعو الله تعالى
بدعاء إلا استجيب له؛ فإمّا أن يعجل له في الدنيا، وإمّا أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه
من ذنوبه بقدر ما دعا؛ ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم أو يستعجل»، قالوا: يا رسول الله؛ وكيف
يستعجل؟ قال: «يقول: دعوتُ فما استجاب لي»^(١).

والدعاء من خصائص هذه الأمة؛ لما حكي عن كعب الأبحار قال: أُعْطِيَتْ هذه الأمة ثلاثاً لم
يُعْطَهُنَّ أُمَّةٌ قَبْلَهُمْ إِلَّا نَبِيٌّ، كان إذا أرسل نبيّاً.. قيل له: «أنت شاهدٌ على أمتك»، وقال تعالى لهذه
الأمة: ﴿لَنَكُونَنَّ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكان يقال للنبي: «ليس عليك في الدين من
حرج»، وقال تعالى لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وكان يقال للنبي:
«ادعني أستجب لك»، وقال لهذه الأمة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]^(٢).

وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازاً، من إطلاق الخاص وإرادة العام، وهما تفسيران
للدعاء هنا، مشى المفسر على الثاني، وعبر عنها بالدعاء؛ إشارة إلى أن المقصود من العبادة الذلُّ
والخضوع والفقر والمسكنة، والدعاء مشعرٌ بذلك.

قوله: (بقريئة ما بعده) أي: وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي... إلخ﴾، فتحصل
أنّ في الآية تفسيرين: أحدهما حقيقة، والثاني مجاز، اختار المفسر الثاني؛ لوجود القرينة، ويصحُّ
إرادة الحقيقة؛ لأنها الأصل.

قوله: (بفتح الياء وضم الخاء) أي: والقراءتان سبعيتان^(٣).

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٤/٣م) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حكاه عن كعب الأبحار القرطبي في «تفسيره» (٣٢٧/١٥)، ورواه مرفوعاً الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول»
(١٢٤/٤) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٣) قرأ ابن كثير وشعبة ورؤيس وأبو جعفر بضم الياء وفتح الخاء، وغيرهم بفتح الياء وضم الخاء. انظر «البدور الزاهرة»
(ص ٢٨١).

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ
اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَيْ تَتُفَكُّونَ ﴿٦٢﴾

﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ : صَاغِرِينَ .

﴿٦١﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ : إِسْنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ
مَجَازِيٌّ لِأَنَّهُ يُبْصَرُ فِيهِ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ : اللَّهُ
فَلَا يُؤْمِنُونَ .

﴿٦٢﴾ - ﴿٦٥﴾ : ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآلَيْ تَتُفَكُّونَ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله : (صاغرین) أي : أذلاء ، فَمَنْ أَنْفَ وَاسْتَكْبَرَ فِي الدُّنْيَا .. أَلَيْسَ ثَوْبُ الذُّلِّ فِي الْآخِرَةِ ،
وَمَنْ تَوَاضَعَ وَتَذَلَّلَ فِي الدُّنْيَا .. أَلَيْسَ ثَوْبُ الْعِزِّ وَالْفَخْرِ فِي الْآخِرَةِ ، فَبَابُ الذُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ مِنْ أَعْظَمِ
الْأَبْوَابِ الْمَوْصِلَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ؛ لَمَّا حَكَمِي عَنْ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرَّفَاعِيِّ أَنَّهُ قَالَ : طَرَقَتِ الْأَبْوَابُ
الْمَوْصِلَةُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَوَجَدْتُهَا مَزْدَحِمَةً إِلَّا بَابَ الذُّلِّ وَالْإِنْكَسَارِ^(١) ، وَوَرَدَ : أَنَّ دَاوُودَ سَأَلَ رَبَّهُ
فَقَالَ : يَا رَبَّنَا ؛ كَيْفَ الْوَصُولُ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « يَا دَاوُودَ ؛ خَلِّ نَفْسَكَ وَتَعَالَى » .

قوله : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلِيلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ... (إلخ) هذا من جملة الأدلة على باهر قدرته تعالى ،
كَأَنَّهُ قَالَ : لَا يَلِيقُ مِنْكُمْ أَنْ تَتْرَكُوا عِبَادَةَ مَنْ هَذِهِ أَفْعَالُهُ .

قوله : (مجازي) أي : عقلي ، من : إِسْنَادُ الشَّيْءِ إِلَى زَمَانِهِ .

قوله : ﴿لَذُو فَضْلٍ﴾ : أي : جود وإحسان .

قوله : ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ : أي : وهم الكفار ، وَكَانَ حَقًّا عَلَى النَّاسِ جَمِيعِهِمْ
أَنْ يَشْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى وَيُوحِّدُوهُ .

قوله : ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ﴾ : الإِشَارَةُ : مُبْتَدَأٌ ، وَ﴿اللَّهُ﴾ ، وَ﴿رَبُّكُمْ﴾ ، وَ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ، وَ﴿لَا
إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ : أَخْبَارٌ أَرْبَعَةٌ لَهُ .

قوله : ﴿فَآلَيْ تَتُفَكُّونَ﴾ : من : الْأَفْكَ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، وَهُوَ الصَّرْفُ ، وَأَمَّا الْإِفْكَ بِالْكَسْرِ ..
فَهُوَ الْكَذِبُ .

كَذَلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَحَدُّونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ

كَيْفَ تُصَرِّفُونَ عَنِ الْإِيمَانِ مَعَ قِيَامِ الْبُرْهَانِ؟! ﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ﴾ أي: مِثْلُ إِفْكِ هَوْلَاءِ إِفْكِ ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾: مُعْجَزَاتِهِ ﴿يَحَدُّونَ﴾ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً: سَقْفًا ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ: اعْبُدُوهُ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَذَلِكَ يُؤْفِكُ﴾... إلخ) هذا تسلية له ﷺ، والمعنى: لا تحزن يا محمد؛ فلا خصوصية لأمتك، بل مَنْ قبلهم كذلك.

قوله: (أَفْكِ الذين) بضم الهمزة، فعل ماض مبني للمجهول، وأشار بذلك إلى أَنَّ المضارع بمعنى الماضي، وأتى به مضارعاً؛ استحضاراً للصورة الغريبة.

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾) هذا من جملة أدلة توحيده، وقوله: ﴿قَرَارًا﴾ أي: محل قرار؛ أي: سكون مع كونها في غاية الثقل لا ممسك لها إلا قدرة الله تعالى.

قوله: ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾) أي: صَوَّرَكُمْ أحسنَ تصويرٍ؛ حيث جعلكم مُنتصبي القامة، بادي البشرة، مُتناسبي الأعضاء، تمشون على رجلين، وجعل محلَّ المواجهة من أعلى، ومحلَّ الأقدام من أسفل، فسبحان الحكيم العليم.

قوله: ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾) أي: المستلذات ملبساً ومطعماً ومركباً.

قوله: ﴿ذَلِكَُمُ﴾) أي: الفاعلُ لذلك كله، واسم الإشارة: مبتدأ، و﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾: خبران

له.

قوله: ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾) أي: الحياة الذاتية التي لا فناء لها ولا انقضاء.

قوله: (اعبدوه) تقدّم أنه أحدُ تفسيرين، ويصح إرادة الآخر وهو السؤال والتضرّع، والمعنى: إذا علمتم أَنَّ الله مالك الملك المتصرف فيه دون غيره.. فاسألوه في جميع ما تحتاجون؛ لأنَّ خير الدنيا والآخرة عنده دون غيره.

مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ^{٦٥} الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^{٦٥} قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ^{٦٦} هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ

﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ مِنَ الشِّرْكِ، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾: دلائل التوحيد ﴿مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مُخْلِصِينَ﴾﴾ حال، وقوله: ﴿﴿الَّذِينَ﴾﴾ مفعول للمخلصين، والمعنى: غير مشركين غيره، لا ظاهراً ولا باطناً.

قوله: ﴿﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴾ يحتمل أنه من كلام العباد، فهو مقول لقول محذوف حال، والمعنى: قائلين ذلك؛ لما ورد عن ابن عباس: (من قال: لا إله إلا الله... فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين)^(١)، فهو إشارة إلى أن العبد لا يُوجَرُ على الحمد ولا يعدُّ به شكوراً إلا إذا كان موحداً، وأمّا الكافر فعمله يذهب هباءً منثوراً، ويحتمل أنه مستأنف من كلامه تعالى؛ تعليماً لعباده كيفية الحمد.

قوله: ﴿﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾﴾... إلخ) أمر الله تعالى نبيه بأن يخاطب قومه بذلك؛ زجراً لهم حيث استمروا على عبادة غير الله بعد ظهور الأدلة العقلية والنقلية.

قوله: ﴿﴿لَمَّا جَاءَنِي﴾﴾ أي: حين جاني.

قوله: (دلائل التوحيد) الأدلة العقلية والنقلية.

قوله: ﴿﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾﴾... إلخ) إما من: الإسلام بمعنى: الانقياد، أو بمعنى: الخُلوص، وعلى كلٍّ فالمفعول محذوف، تقديره على الأول: أسلم أمري له، وعلى الثاني: أخلص قلبي من عبادة غيره تعالى.

قوله: ﴿﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾﴾... إلخ) لما ذكر فيما تقدّم من جملة أدلة توحيده أربعة

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٣٩/٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩٤).

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخاً
وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ

بِحَلْقِ أَبِيكُمْ آدَمَ مِنْهُ، ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: دَمٌ غَلِيظٌ، ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ بِمَعْنَى: أَطْفَالاً، ﴿ثُمَّ يُبْقِيَكُمْ﴾ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ: تَكَامُلَ قُوَّتِكُمْ مِنَ الثَّلَاثِينَ سَنَةً إِلَى الْأَرْبَعِينَ، ﴿ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخاً﴾ - بِضَمِّ الشَّيْنِ وَكُسْرِهَا -، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قَبْلَ الْأَشُدِّ وَالشُّيُوخَةِ، فَعَلَ ذَلِكَ بِكُمْ لِيَتَعِيشُوا

حاشية الصاوي

أشياء من دلائل الآفاق، وهي الليل والنهار، والأرض والسماء، وثلاثة من دلائل الأنفس، وهي التصوير وحسن الصورة ورزق الطيبات.. ذكر هنا كيفية خلق الأنفس ابتداءً وانتهاءً.

قوله: (بخلق أبيكم آدم... إلخ) أي: فالكلام على حذف مضاف، ويصح إبقاء الكلام على ظاهره باعتبار أن أصل النطفة الغذاء، وهو ناشئ من التراب.
قوله: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ أي: بعد مضي أربعين يوماً.

قوله: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ أجمل هنا في المراتب، وفصلها في سورة (المؤمنون) في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ... إلخ﴾ [المؤمنون: ١٢]، فهنا حذف مرتبتين: المضغة، والعظم العاري عن اللحم.

قوله: (بمعنى: أطفالاً) إنما أوله بالجمع؛ لتحصل المطابقة بين الحال وصاحبها؛ فَإِنَّ ﴿طِفْلاً﴾ حال من الكاف في ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾، فالحال مفردة لفظاً، جمعٌ معنى؛ لأنَّ لفظ الطفل يقع على المذكر والمؤنث، والمفرد والجمع، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ [النور: ٣١].

قوله: ﴿ثُمَّ يُبْقِيَكُمْ﴾ لِيَبْلُغُوا) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿لِيَبْلُغُوا﴾ متعلقٌ بمحذوف، وهو معطوف على قوله: ﴿يُخْرِجُكُمْ﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ لِيَكونُوا﴾ معطوف على ﴿لِيَبْلُغُوا﴾.

قوله: (بضم الشين وكسرهما) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (فعل ذلك بكم لتعيشوا) قدره؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَلِيَبْلُغُوا﴾ معطوفٌ على محذوف، وهما علتان، والمعلول ما تقدّم من الأفعال الصادرة منه تعالى.

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم الشين، والباقون بكسرهما. انظر «السراج المنير» (٣/ ٤٩٥).

وَلْيَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى ﴿٦٧﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُ يُصَرَّفُونَ

﴿وَلْيَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى﴾: وقتاً محدوداً، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: دلائل التوحيد فتؤمنون.
 ﴿٦٨﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾: أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ - بِضَمِّ النُّونِ وَفَتْحِهَا بِتَقْدِيرِ (أَنْ) - أي: يُوجَدُ عَقِبَ الْإِرَادَةِ الَّتِي هِيَ مَعْنَى الْقَوْلِ الْمَذْكُورِ.
 (٦٩ - ٧٢) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿أَنَّهُ﴾: كَيْفَ ﴿يُصَرَّفُونَ﴾ عن الإيمان؟

حاشية الصاوي

قوله: (وقتاً محدوداً) أي: وهو وقت الموت.
 قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ معطوف على قوله: ﴿يَبْلُغُوا﴾، ويصح أن يكون معطوفاً على محذوف، تقديره: فعل ذلك لتدبروا ولعلكم تعقلون.
 قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ هذا نتيجة ما قبله، وقوله: ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ مرتب على ما تقدّم، والمعنى: مَنْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ أَفْعَالُهُ.. عُلِمَ أَنَّهُ لَا يَعْسُرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يَتَوَقَّفُ إِلَّا عَلَى تَعْلُقِ إِرَادَتِهِ بِهِ.

قوله: (بِضَمِّ النُّونِ) أي: على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: فهو يكون.
 قوله: (وَفَتْحِهَا) أي: فهو منصوب بـ(أَنْ) مضمرة وجوباً بعد فاء السببية الواقعة في جواب الأمر^(١)، والقراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور) الأوضح أن يقول: وهذا القول المذكور كناية عن سرعة الإيجاد، فالمعنى: إن أراد إيجاد شيء.. وَجَدَ سَرِيعاً مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ عَلَى شَيْءٍ، وَإِلَّا.. فَكَلَامُ الْمَفْسَّرِ يَقْتَضِي أَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ: فَإِذَا أَرَادَ إِيجَادَ شَيْءٍ.. فَإِنَّمَا يَرِيدُ إِيجَادَهُ فَيُوجَدُ، وَهَذَا لَا مَعْنَى لَهُ.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾... إلخ هذا تعجب من أحوالهم الشنيعة، وبيان لعاقبة أمرهم.

(١) وهذا مما روعي فيه ظاهر اللفظ من غير نظر للمعنى؛ أي: أنه قد وجد في اللفظ صورة أمر فنصبتنا في جوابه بالفاء، وأما إذا نظرنا إلى جانب المعنى.. فإن ذلك لا يصح؛ لوجود ذكرها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٢/٨٩).

(٢) نصب النون الشامي، ورفعها غيره. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٨١).

الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي
أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْبَعْثِ وَهُمْ
كُفَّارٌ مَكَّةَ، ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عُقُوبَةُ تَكْذِيبِهِمْ ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ - ﴿إِذِ﴾ بِمَعْنَى
(إِذَا) - ﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾ - عَطْفٌ عَلَى ﴿الْأَغْلُلُ﴾ فَتَكُونُ فِي الْأَعْنَاقِ، أَوْ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ مَحذُوفٌ
أَي: فِي أَرْجُلِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا﴾ إِمَّا بَدَلٌ مِنَ الْمَوْصُولِ قَبْلَهُ، فَهُوَ فِي مَحَلِّ جَرٍّ، أَوْ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ
أَوْ رَفْعٍ عَلَى الذَّمِّ^(١).

قوله: (من التوحيد) أي: وسائر الكتب والشرائع.

قوله: ﴿إِذِ﴾ بِمَعْنَى «إِذَا» جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنْ (سَوْفَ) لِلْاِسْتِقْبَالِ، وَ(إِذَا) لِلْمَاضِي، وَحِينَئِذٍ:
فَلَا يَصِحُّ تَعَلُّقُ الْمَاضِي بِالْمُسْتَقْبَلِ، فَأَجَابَ: بِأَنَّهَا مُسْتَعْمَلَةٌ فِي الْاِسْتِقْبَالِ مَجَازًا، وَالْمَسْوُوعُ الْإِشَارَةُ
إِلَى أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مُحَقَّقٌ وَوَاقِعٌ^(٢).

قوله: (عطف على ﴿الْأَغْلُلُ﴾) أي: وقوله: ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ خبرٌ عنهما.

قوله: (أو مبتدأ... إلخ) أي: وَجُمْلَةٌ ﴿يُسْحَبُونَ﴾ حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكْنِ فِي الظَّرْفِ، أَوْ
مُسْتَأْنَفَةٌ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ سَوْالٍ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: فَمَاذَا حَالُهُمْ؟ فَقِيلَ: ﴿يُسْحَبُونَ﴾^(٣) فِي الْحَمِيرِ.

(١) عبارة السمين في «الدر المصون» (٩/٤٩٤): (قوله: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا﴾: يجوز فيه أوجه: أن يكون بدلاً من
الموصول قبله، أو بياناً له، أو نعتاً، أو خبراً مبتدأً محذوف، أو منصوباً على الذم، وعلى هذه الأوجه فقوله:
﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ جملة مُسْتَأْنَفَةٌ سَبَقَتْ لِلتَّهْدِيدِ، وَيجوز أن يكون مبتدأً، والخبر الجملة من قوله: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾،
ودخول الفاء فيه واضح).

(٢) ولا حاجة إلى إخراج (إِذَا) عن موضوعها، بل هي باقية على دلالتها على الماضي، وهي منصوبة بقوله: ﴿فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ﴾ نصب المفعول به؛ أي: فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الأغلال في أعناقهم؛ أي: وقت سبب الأغلال،
وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا، كأنه قيل: سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الأغلال في أعناقهم،
وهو وجه واضح، غاية ما فيه التصرف في (إِذَا) بجعلها مفعولاً بها، ولا يضر ذلك؛ فإنَّ المعربين غالب أوقاتهم
يقولون: منصوب بـ(اذكر) مقدراً، ولا يكون حينئذٍ إلا مفعولاً به؛ لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي،
وجوزوا أن يكون منصوباً بـ(اذكر) مقدراً؛ أي: اذكر لهم وقت الأغلال ليخافوا وينزجروا. انظر «الدر المصون»
(٩/٤٩٥).

يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ.....

أَوْ خَبَرُهُ -: ﴿يُسْحَبُونَ﴾ أي: يُجَرَّوْنَ بِهَا ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: جَهَنَّمَ، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يُوقَدُونَ.

(٧٣ - ٧١) ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ تَبْكِيتًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعَهُ
وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾: غَابُوا ﴿عَنَّا﴾ فَلَا نَرَاهُمْ، ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ
شَيْئًا﴾ أَنْكَرُوا عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ أَحْضَرَتْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أي: وَقُودُهَا، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مِثْلَ إِضْلَالِ هَؤُلَاءِ
حاشية الصاوي

قوله: (أَوْ خَبَرُهُ ﴿يُسْحَبُونَ﴾) أي: وعليه فالرابط محذوف، قدَّره بقوله: (بها)، فتحصَّل
أنَّ المعنى: أنَّ الأغلال والسلاسل تكون في أعناقهم ويُسْحَبُونَ في جهنم على وجوههم، وهذا
على الإعرابين الأولين، وعلى الثالث فالمعنى: أنَّ الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم،
ويسحبون في جهنم، وكلُّ صحيح.

قوله: (أي: جهنم) وقيل: الحميم: الماء الحار.

قوله: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يعذبون بأنواع العذاب.

قوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ التعبير بالماضي لتحقيق الوقوع.

قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ترسم (أين) مفصولة من (ما).

قوله: (وهي الأصنام) تفسير لـ (ما).

قوله: ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ هذا في أوَّل الأمر يتبرَّؤون من عبادة الأصنام؛ لرجاء
أنه ينفعهم، فهو إضرابٌ عن قوله: ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾، وهذا قبل أن تُقَرَّنَ بهم آلهتهم.

قوله: (ثم أحضرت) جوابٌ عمَّا يقال: إن حمل الآية على هذا الوجه يخالف قوله تعالى:
﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، فأجاب: بأنهم
أولاً تفضل عنهم آلهتهم ويتبرَّؤون، ثم تُحْضَرُ وتُقَرَّنَ بهم.

يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا تُرِيدُكَ

المُكذِّبِينَ ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾، ويُقال لهم أيضاً: ﴿ذَلِكُمْ﴾ العَذَابُ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ مِنَ الْإِشْرَاكِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تَتَوَسَّعُونَ فِي الْفَرَحِ. ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى﴾: مَاوَى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾. ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِعَذَابِهِمْ ﴿حَقٌّ فَكَيْمَا تُرِيدُكَ﴾ - فِيهِ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةُ مُدْغَمَةٌ و(مَا) زَائِدَةٌ تُؤَكِّدُ مَعْنَى الشَّرْطِ أَوَّلَ الْفِعْلِ، وَالنُّونُ تُؤَكِّدُ آخِرَهُ -
حاشية الصاوي

قوله: (ويقال لهم أيضاً) أي: توبيخاً.

قوله: (تتوسعون في المعاصي) أي: تُظْهِرُونَ السُّرُورَ فِي الدُّنْيَا بِالْمَعْصِيَةِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ وَضِيَاعِهِ فِي الْمَحْرَمَاتِ، فَالْمَرْحُ: شِدَّةُ الْفَرَحِ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ ذِمًّا فِي الْكُفَّارِ يَجْرُ بِذِيلِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ تَوَسَّعَ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، فَلَهُ مِنْ هَذَا الْوَعِيدِ نَصِيبٌ.

قوله: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ عطف على قوله: ﴿ذَلِكُمْ... إلخ﴾، داخلٌ في حَيْزِ الْقَوْلِ الْمَقْدَّرِ.

قوله: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ لم يقل: فبئس مدخل المتكبرين؛ لأنَّ الدَّخُولَ لَا يَدُومُ، وَإِنَّمَا يَدُومُ الثَّوَاءُ؛ وَلِذَا خَصَّهُ بِالذَّمِّ.

قوله: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (هَذَا تَسْلِيَةٌ مِنْ اللَّهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَوَعْدٌ حَسَنٌ بِالنَّصْرِ لَهُ عَلَى أَعْدَائِهِ).

قوله: (بعذابهم) أي: وسمي وعداً بالنظر لكونه نصراً للنبي، فهو في الحقيقة وعدٌ ووعدٌ.

قوله: (فيه) خبر مقدَّم، و(إِنْ) الشرطية مبتدأ مؤخَّر، وقوله: (مدغمة) حال من (إِنْ)، ولم يذكر المدغم فيه، وهو (مَا) الزائدة، وقوله: (تؤكد معنى الشرط) أي: التعليق، وقوله: (أول الفعل) حال من (مَا) الزائدة، والمعنى: حال كونها واقعةً في أَوَّلِ فِعْلِ الشَّرْطِ، وقوله: (والنون تؤكد) أي: تؤكد الفعل، فحذف المؤكِّد بالفتح، وقوله: (آخره) حالٌ من النون؛ أي: حال كونها واقعةً في آخر الفعل، فتحصل أنَّ هُنَا مُؤَكِّدِينَ - بِالْكَسْرِ - وَهَمَا: (مَا) وَالنُّونُ، وَمُؤَكِّدِينَ - بِالْفَتْحِ - وَهَمَا: التَّعْلِيقُ، وَفِعْلُ الشَّرْطِ.

بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ

﴿بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ به من العذاب في حياتك، - وجواب الشرط محذوف أي: فذاك -
﴿أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم، ﴿فَالَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ فنُعَذِّبُهُمْ أَشَدَّ الْعَذَابِ، فالجواب
المذكور للمعطوف فقط.

﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ مفعول ﴿نُرِيَّتَكَ﴾ الثاني، والكاف: مفعول أول.

قوله: (وجواب الشرط) أي: الأول.

قوله: ﴿أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ﴾ عطف على قوله: ﴿نُرِيَّتَكَ﴾.

قوله: (فالجواب المذكور للمعطوف فقط) أي: ولا يصح أن يكون جواباً عن الأول؛ لأن من
المعلوم أن جواب الشرط مسبب عن فعله، ولا يحسن أن يكون انتقام الله منهم في الآخرة مسبباً عن
رؤية النبي ﷺ تعذيبهم في الدنيا. وفي الحقيقة: قوله: ﴿فَالَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ دليل الجواب، والجواب
محذوف أيضاً، والتقدير: فلا يفوتهم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾... إلخ) هذا تسليّة له ﷺ، كأن الله تعالى يقول له: إنا قد
أرسلنا من قبلك رسلاً، وآتيناهم معجزات، وجادلهم قومهم، وصبروا على أذاهم، فتأس بهم.
وقوله: ﴿رُسُلًا﴾ المراد بهم: ما يشمل الأنبياء.

قوله: ﴿مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أي: ذكرنا لك قصصهم وأخبارهم في القرآن، وهم خمسة
وعشرون.

قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ أي: لم نذكر لك قصصهم؛ تخفيفاً ورحمةً بأمّتك؛
لئلا يعجزوا عن حفظه، وبهذا التقرير اندفع ما قد يتوهم أن النبي ﷺ مُساوٍ لأمته في عدم علم ما عدا
الخمس والعشرين، فتحصل أن النبي ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى علم جميع الأنبياء تفصيلاً، كيف
لا وهم مخلوقون منه، وصلّوا خلفه ليلة الإسراء في بيت المقدس؟ ولكنّه من العلم المكتوم،
وإنما ترك بيان قصصهم للأمم؛ رحمةً بهم، فلم يكلفهم إلا بما يطيقون.

وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

رُويَ أَنَّهُ تَعَالَى بَعَثَ ثَمَانِيَةَ آلَافِ نَبِيِّ، أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لِأَنَّهُمْ عَبِيدُ مَرْبُوبُونَ، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بِنُزُولِ الْعَذَابِ عَلَى الْكُفَّارِ ﴿قُضِيَ﴾ بَيْنَ الرُّسُلِ وَمُكَذِّبِيهَا ﴿بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أَي: ظَهَرَ الْقَضَاءُ وَالْخُسْرَانُ لِلنَّاسِ، وَهُمْ خَاسِرُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ قَبْلَ ذَلِكَ.

حاشية الصاوي

قوله: (روي) في عبارة غيره: (قيل)، والصحيح: ما روي عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسول الله؛ كم عدَّةُ الأنبياء؟ قال: «مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً؛ الرسلُ من ذلك ثلاث مئة وخمسة عشر، جمًّا غفيراً»^(١).

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ أي: ما صحَّ وما استقام.

قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بإرادته.

قوله: (مربوبون) أي: مملوكون، والمملوك لا يستطيع أن يأتي بأمرٍ إلا بإذن سيِّده، وهذا ردُّ على قريش؛ حيث قالوا للنبي ﷺ: اجعل لنا الصفا ذهباً، وغير ذلك مما تقدَّم تفصيله في سورة (الإسراء)^(٢).

قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: حُكْمه وقضاؤه، والمعنى: ظهر وبرز حُكْمُهُ بنزول العذاب بهم.

قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ الحكمة في ختم هذه الآية بـ(المبطلون)، وختم السورة بـ(الكافرون): أَنَّهُ ذَكَرَ هُنَا الْحَقَّ، فَكَانَ مُقَابَلَتَهُ بِالْبَاطِلِ أَنْسَبَ، وَهَنَّاكَ ذَكَرَ الْإِيمَانَ، فَكَانَ مُقَابَلَتَهُ بِالْكَفْرِ أَنْسَبَ.

قوله: (أي: ظهر القضاء... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إنهم خاسرون من قبل يوم القيامة، فأجاب: بأنَّ المراد: ظهر الأمر الذي كان مخفياً.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢٦٦/٥).

(٢) انظر (٨٣-٨٥/٤).

اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

(٧٩ - ٨١) ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا، والظاهر والبقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ من الدر والنسل والوبر والصوف، ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد، ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: السفن في البحر ﴿تُحْمَلُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ وَتُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ﴿تُنْكِرُونَ﴾؟ - استفهام توبيخ، وتذكير (أي) أشهر من تأنيته -.

(٨٢ - ٨٣) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.....

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: الإبل خاصة) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية.

قوله: ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا...﴾ (إلخ) هذه الآية نظير قوله تعالى في (النحل): ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ...﴾ الآية [النحل: ٥].

قوله: ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر... (إلخ) أفرد الحمل عما قبله؛ لكونه مزية عظيمة، وقرن بينها وبين الفلك؛ لما بينهما من شدة المناسبة، حتى سميت الإبل سفائن البر.

وعبر بالاستعلاء هنا في جانب الفلك، وفي قصة نوح عبر بالظرفية حيث قال تعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ [هود: ٤١]؛ لما قيل: إن سفينة نوح كانت مغطاة، فظاهرها كباطنها، فالخلق مطروفون فيها، وما عداها فالشأن فيها أنها غير مغطاة، فالخلق على ظاهرها.

قوله: ﴿فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ...﴾ (إلخ) «أي»: منصوب بـ ﴿تُنْكِرُونَ﴾، قُدم لكونه له صدر الكلام.

قوله: (وتذكيره أشهر من تأنيته) أي: فلم يقل: آية آيات الله؟ وذلك لأن التفرقة في الأسماء الجامدة بين المؤنث والمذكر غريب، وهي في (أي) أغرب؛ لإبهامها.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ (إلخ) الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أعجزوا فلم يسيروا... إلخ؟، والاستفهام إنكاري، وتقدم نظيره غير مرة.

كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا آغَفَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ

كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ ﴿ مِنْ مَصَانِعَ وَقُصُورَ ﴾، ﴿فَمَا آغَفَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ﴿: الْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ ﴾ ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكُفَّارُ ﴿بِمَا عِنْدَهُمْ﴾ أي: الرُّسُلُ ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾ فَرَحَ اسْتِهْزَاءً وَضَحْكًا، مُنْكَرِينَ لَهُ، ﴿وَحَاقَ﴾: نَزَلَ ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: العذاب.

﴿٨٤﴾ - ﴿٨٥﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شِدَّةَ عَذَابِنَا ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ - نَصَبُهُ عَلَى الْمَصْدَرِ بِفَعْلٍ مُقَدَّرٍ مِنْ لَفْظِهِ -
حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ كلامٌ مستأنفٌ مبينٌ لمبدأ أحوالهم وعواقبها.

قوله: ﴿وَءَاثَارًا﴾ عطف على ﴿قُوَّةً﴾.

قوله: ﴿مِنْ مَصَانِعَ﴾ أي: أماكن تخزن فيها المياه كالصهاريج.

قوله: ﴿وَالْقُصُورَ﴾ أي: الأماكن المرتفعة.

قوله: ﴿فَمَا آغَفَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (ما) الأولى: نافية أو استفهامية، والثانية: موصولة أو مصدرية.

قوله: ﴿فَرِحَ اسْتِهْزَاءً﴾ أي: سخرية؛ حيث لم يأخذوه بالقبول، ويمثلوا أمر الله، ويجتنبوا نواهيه، يدلُّ على هذا المعنى قوله: ﴿وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

قوله: ﴿أي: العذاب﴾ أي: فكانوا يعدُّونهم به لو لم يؤمنوا، فيستهزئون بالعذاب الموعود به، قال تعالى حكاية عن أهل مكة: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٢].

قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿بِفَعْلٍ مُقَدَّرٍ مِنْ لَفْظِهِ﴾ أي: والتقدير: سنَّ الله تعالى بهم سنة من قبلهم.

الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: فِي الْأُمَمِ أَنْ لَا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ وَقَدْ نَزُولُ الْعَذَابِ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾: تَبَيَّنَ خُسْرَانُهُمْ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَهُمْ خَاسِرُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ قَبْلَ ذَلِكَ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ أي: مَضَتْ وَسَبَقَتْ.

قوله: ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ أي: وَقَدْ رُؤِيتُهُمُ الْعَذَابَ.

قوله: (تَبَيَّنَ خُسْرَانُهُمْ) أي: ظَهَرَ مَا كَانَ خَافِيًا، وَهُوَ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مَقْدَّرٍ كَالَّذِي قَبْلَهُ.





﴿حَمْدٌ ١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلَتْ ءَايَتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا



مَكِّيَّةٌ، ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿حَمْدٌ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ. ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿كَتَبْتُ﴾ - خَبَرُهُ - ﴿فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ﴾: بُيِّنَتْ بِالْأَحْكَامِ وَالْقِصَصِ وَالْمَوَاعِظِ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ فَصَّلَاتِ

مُبْتَدَأٌ، وَ(ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ آيَةً) خَبَرٌ أَوَّلٌ، وَ(مَكِّيَّةٌ) خَبَرٌ ثَانٍ، وَتَسْمَى أَيْضاً: سُورَةُ حَمِ السَّجْدَةِ، وَسُورَةُ الْمَصَاحِيحِ، وَسُورَةُ السَّجْدَةِ.

قوله: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ) تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَسْلَمَ.

قوله: (﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾) خَصَّ هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ نَزُولَ الْقُرْآنِ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ النِّعَمَ مِنْ مَظْهَرِ تَجَلِّيِ الرَّحْمَةِ، فَالْقُرْآنُ نِعْمَةٌ بَاقِيَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قوله: (مُبْتَدَأٌ) أَي: وَسَوْغُ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ عَمَلُهُ فِي الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ بَعْدَهُ عَلَى حَدٍّ: وَرَغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ.

قوله: (﴿كَتَبْتُ﴾) خَبَرُهُ أَي: وَ﴿فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ﴾ نَعَتْ لِلْخَبَرِ.

قوله: (بُيِّنَتْ بِالْأَحْكَامِ) أَي: مَيِّزَتْ وَوَضَّحَتْ لَفْظاً وَمَعْنَى؛ فَالْلَفْظُ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ، مُعْجَزٌ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَالْمَعْنَى كَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْقِصَصِ وَالْأَحْكَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمَخْتَلِفَةِ، فَإِذَا تَأَمَّلْتَ فِي الْقُرْآنِ تَجَدَّ بَعْضُ آيَاتِهِ مُتَعَلِّقًا بِذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَبَعْضُهَا مُتَعَلِّقًا بِعَجَائِبِ خَلْقِهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا، وَبَعْضُهَا مُتَعَلِّقًا بِالْمَوَاعِظِ وَالنِّصَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى ^(١): [الْبَسِطُ]

فَلَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا وَلَا تُسَامُ مِنَ الْإِكْثَارِ بِالسَّامِ

(١) كما في قصيدته «البردة» المشهورة.

لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي
أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ

- حالٌ من ﴿كُتِبَ﴾ بِصِفَتِهِ - ﴿لَقَوْمٍ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿فُصِّلَتْ﴾ - ﴿يَعْلَمُونَ﴾ : يَفْهَمُونَ ذَلِكَ وَهُمْ
العَرَبُ، ﴿بَشِيرًا﴾ - صِفَةُ ﴿قُرْآنًا﴾ - ﴿وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعَ قَبُولِ.
﴿٥﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ لِلنَّبِيِّ : ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ : أُغْطِيَةٌ ﴿مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ

حاشية الصاوي

قوله : (حالٌ من ﴿كُتِبَ﴾) أي : كلٌّ من ﴿قُرْآنًا﴾ و﴿عَرَبِيًّا﴾، فتكون حالاً مؤسّسة، ويصح
أن يكون الحال لفظ ﴿قُرْآنًا﴾ و﴿عَرَبِيًّا﴾ صِفَتُهُ.
قوله : (بصفتَهُ) أي : الكتاب، والمعنى : أنَّ المسوَّغَ لمجيء الحال منه مع كونه نكرةً وصفهُ بما
بعده.

قوله : (مُتَعَلِّقٌ بِ﴿فُصِّلَتْ﴾) أي : والمعنى : بُيِّنَتْ ووضّحت لهؤلاء.

قوله : (يفهمون ذلك) أي : تفاصيل آياته.

قوله : (وَهُمُ الْعَرَبُ) أي : وإنما خُصُّوا بالذكر؛ لأنهم يفهمونها بلا واسطة؛ لكون القرآن نزل
بلغتهم، وأمّا غيرهم.. فلا يفهم القرآن إلا بواسطتهم.

قوله : (صفة ﴿قُرْآنًا﴾) ويصح أن يكونا حالين من ﴿كُتِبَ﴾، وهذا على قراءة الجمهور، وقري
شذوذاً على أنه خبرٌ لمحدوف؛ أي : هو بشيرٌ ونذيرٌ، أو نعت لـ ﴿كُتِبَ﴾^(١).

قوله : ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾) أي : تكبراً وعناداً، واستفيد منه : أنَّ الأقلَّ لم يُعْرِضْ، بل خضع
وانقاد وآمن، وذلك كأبي بكر وأضرابه.

قوله : ﴿وَقَالُوا﴾) معطوفٌ على ﴿فَأَعْرَضَ﴾، وقوله : ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾ جمع كِنَان، وهو
ما تجعل فيه السهام، ويسمى جَعْبَةً - بفتح الجيم - ويجمع على : جَعَابٍ.

قوله : ﴿مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾) «ما» : واقعة على التوحيد، والفعل مرفوع بضمة مقدّرة على الواو،
والفاعل مستتر تقديره : أنت، و(ما) : مفعوله.

(١) وبالرفع قرأ زيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٩ / ٥٠٦).

وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾

وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ: ثَقُلٌ، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾: خِلَافٌ فِي الدِّينِ، ﴿فَاَعْمَلْ﴾: عَلَى دِينِكَ ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾: عَلَى دِينِنَا.

﴿٦ - ٨﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾
بِالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ ۖ وَوَيْلٌ﴾ - كَلِمَةُ عَذَابٍ - ﴿لِّلْمُشْرِكِينَ﴾
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ (شَبَّهُوا أَسْمَاعَهُمْ بِأَذَانٍ فِيهَا صَمٌّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَمُجُّ الْحَقَّ وَلَا تَمِيلُ إِلَى اسْتِمَاعِهِ).

قوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ (مِنْ: لَابْتِدَاءُ الْغَايَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْحِجَابَ نَاشِئٌ مِنْ جِهَتِنَا، فَلَا نَسْتَطِيعُ التَّوَصُّلَ لِمَا عِنْدَكَ، وَالْحِجَابُ نَاشِئٌ مِنْ جِهَتِكَ، فَلَا تَسْتَطِيعُ التَّوَصُّلَ لِمَا عِنْدَنَا، فَنَحْنُ مَعْذُورُونَ فِي عَدَمِ اتِّبَاعِكَ؛ لَوْجُودِ الْمَانِعِ مِنْ جِهَتِنَا وَمِنْ جِهَتِكَ.
قوله: (خِلَافٌ) أَي: مُخَالَفَةٌ فِي الدِّينِ.

قوله: ﴿فَاَعْمَلْ﴾ عَلَى دِينِكَ أَي: اسْتَمِرَّ عَلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ (أَي: مُسْتَمِرُّونَ عَلَى دِينِنَا).

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (هَذَا رَدٌّ لِمَا زَعَمُوا مِنَ الْحِجَابِ، كَأَنَّهُ قَالَ: دَعَاكُمُ الْحِجَابُ بَاطِلَةٌ لَا أَصْلَ لَهَا؛ لِأَنِّي بَشَرٌ مِنْ جَنْسِكُمْ، تَعْرِفُونَ حَالِي وَطَبْعِي، وَأَعْرِفُ حَالَكُمْ وَطَبْعَكُمْ، فَلَسْتُ مَغَايِرًا لَكُمْ حَتَّى يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ حِجَابٌ وَتَبَائِنٌ، وَلَسْتُ بِدَاعٍ لَكُمْ إِلَى شَيْءٍ لَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ وَالْأَسْمَاعُ، بَلْ أَنَا دَاعٍ لَكُمْ إِلَى تَوْحِيدِ خَالِقِكُمْ وَمُوجِدِكُمُ الَّذِي قَامَتْ عَلَيْهِ الْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ وَالنَّقْلِيَّةُ.
قوله: ﴿فَاَسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ ضَمَّنَهُ مَعْنَى (تَوَجَّهُوا) فَعَدَّاهُ (بِإِلَى).

قوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ (أَي: مِمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْعَقِيدَةِ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِقَامَةَ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِالْإِسْتِغْفَارِ وَالنَّدَمِ عَلَى مَا مَضَى؛ بِحَيْثُ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ لِلْكَفْرِ كَمَا يَكْرَهُ الْوُقُوعُ فِي النَّارِ.
قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَسَوْغُ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ قَصْدُ الدُّعَاءِ).

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَيْنَكُمْ

الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ - تَأْكِيدٌ - ﴿كَافِرُونَ﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ : مَقْطُوعٌ .

﴿٩﴾ قُلْ أَيْنَكُمْ - بِتَحْقِيقِ الهمزة الثانية، وتسهيلها،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ إنما خصَّ منع الزكاة، وقرَّنه بالكفر بالآخرة؛ لأنَّ المال آخر الروح، فإذا بذله الإنسان في سبيل الله.. كان دليلاً على قوته وثباته في الدين، قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ اتِّغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي: يشبِّتون أنفسهم؛ ولذا كان ﷺ يُؤَلِّف حديث العهد بالإيمان بالمال، وقاتل أبو بكر مانعي الزكاة بعد وفاته ﷺ؛ ففي هذه الآية تخويفٌ وتحذيرٌ للمؤمنين من منع الزكاة، وتحضيضٌ على أدائها.

وقال ابن عباس: هم الذين لا يقولون: لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد.

فإن قلت: على تفسير الجمهور يُشكل بأن الآية مكيَّة، والزكاة فُرِضت بالمدينة، فلم يكن هناك أمرٌ بالزكاة حتى يذمَّ مانعها. والجواب: أن المراد بالزكاة: صرفُ المال في مرضي الله.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾... إلخ ذكر تعالى وعد المؤمنين إثر وعيد المشركين؛ جرياً على عادته سبحانه وتعالى في كتابه.

قوله: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع) أي: بل هو دائمٌ مستمرٌ بدوام الله، وهذا أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل: غير منقوص، وقيل: غير مَمْنون به عليهم؛ فلا يعدد الله ولا ملائكته عليهم النعم في الجنة ويطلبهم بشكرها؛ لانقطاع التكليف بالموت، وأيضاً: نفوس أهل الجنة مطهَّرة فلا تزال تشكر الله تعالى وإن كان غير مطلوبٍ منهم؛ تِلْذِذاً وفرحاً بنعم الله تعالى، ولأنَّ الجنة دار ضيافة مولانا تعالى، والكريم لا يُعَدِّد نعمه على أضيافه.

قوله: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ﴾ قدَّم الاستفهام على التأكيد؛ لأنَّ له صدر الكلام، وهو استفهام إنكارٍ وتشنيع، و(إنَّ) واللام لتأكيد الإنكار، والمعنى: أنتم تعلمون أنه لا شريك له في العالم العلوي والسفلي؛ فكيف تجعلون له شريكاً من النوع الإنساني؟!

لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَعَلَّوْنَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾

وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأولى - ﴿لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الأحد والاثنيين، ﴿وَتَتَعَلَّوْنَ لَهُ أَندَادًا﴾: شركاء، ﴿ذَلِكَ رَبُّ﴾: مالك ﴿الْعَالَمِينَ﴾: جمعُ عالم وهو ما سوى الله، وجميع لاختلاف أنواعه

حاشية الصاوي

قوله: (وإدخال ألف... إلخ) المناسب أن يقول: (وتركه)؛ لأن القراءات السبعية هنا أربع، لا اثنتين كما يؤهمه كلامه^(١).

قوله: ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق يوماً فسماه الأحد، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً فسماه الخميس، فخلق الأرض يوم الأحد والاثنيين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت^(٢). وهذا هو الصحيح، وقد مشى عليه المفسر، وقيل: إنَّ مبدأ الخلق السبت^(٣).

قوله: ﴿وَتَتَعَلَّوْنَ لَهُ أَندَادًا﴾ عطفٌ على ﴿تَكْفُرُونَ﴾ عطفٌ سببٍ على مسبب.

قوله: ﴿ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ اسم الإشارة عائدٌ على الموصول، وأتى بالخطاب مفرداً؛ إشارةً إلى أنَّ المخاطب فردٌ غير مُعيَّن.

قوله: (وجميع... إلخ) جوابٌ عما يقال: إنه جنسٌ يصدق على كلِّ ما سوى الله، والجمع لا بدُّ أن يكون له أفرادٌ ثلاثة فأكثر، فأجاب: بأنه جميعٌ باعتبار أنواعه.

(١) قرأ قالون وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام، وأدخلوا بين الهمزة المحققة والمسهلة ألفاً، وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير إدخال، والباقون بتحقيقهما من غير إدخال. انظر «السراج المنير» (٣/٥٠٥).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/١٣٦٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/٥٠)، وفيهما بعد خلق الجبال يوم الثلاثاء: (ولذلك يقول الناس: إنه يوم ثقيل).

(٣) كما في «صحيح مسلم» (٢٧٨٩) عن سيدنا أبي هريرة، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله عزَّ وجلَّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدوابَّ يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل».

وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ

بالباء والنون تغليبا للعقلاء.

﴿١٠﴾ - ﴿وَجَعَلَ﴾ - مُسْتَأْنَفٌ، وَلَا يَجُوزُ عَطْفُهُ عَلَى صِلَةِ (الَّذِي) لِلْفَاصِلِ الْأَجْنَبِيِّ - ﴿فِيهَا رُوسَى﴾: جِبَالاً ثَوَابِتٌ ﴿مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾ بِكَثْرَةِ الْمِيَاهِ وَالزُّرُوعِ وَالصُّرُوعِ، ﴿وَقَدَّرَ﴾: قَسَمَ ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ لِلنَّاسِ وَالْبَهَائِمِ ﴿فِي﴾ تَمَامِ ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أَي: الْجَعْلُ وَمَا ذُكِرَ مَعَهُ حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

قوله: (بالباء والنون) إشارة لسؤال آخر؛ فلو أتى بالواو.. لكان أوضح، وحاصل هذا السؤال: أن هذا الجمع خاصٌ بالعقلاء، والعالم غالبه غير عاقل، فأجاب بقوله: (تغليبا... إلخ).
قوله: (مستأنف... إلخ) هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضةٌ بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمع المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغتر في التابع ما لا يغتر في المتبوع، فالأولى إسقاط هذه العبارة كما هو في بعض النسخ، وقوله: (للفاصل) أي: وهو قوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ... إلخ﴾؛ فإنه معطوف على ﴿تَكْفُرُونَ﴾، فليس من أجزاء الصلة.

قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ الحكمة في قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾: أنه تعالى لو جعل لها رواسي من تحتها.. لتوهم أنها هي التي أمسكتها عن النزول، فجعل الله الجبال فوقها؛ ليعلم الإنسان أن الأرض وما عليها ممسوكٌ بقدرة الله تعالى.

قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ قال محمد بن كعب: (قدَّرَ الأقوات قبل أن يخلق الخلق والأبدان)^(١)، فخصَّ كلَّ قوتٍ بقطرٍ من الأقطار، وأضاف القوت إلى الأرض؛ لكونه متولداً منها وناشئاً فيها، وذلك أنه تعالى جعل كلَّ بلدةٍ مُعَدَّةً لنوعٍ من الأشياء المطلوبة، حتى إن أهل هذه البلدة يحتاجون إلى الأشياء الموجودة في تلك البلد وهكذا، فصار ذلك سبباً لرغبة الناس في التجارات واكتساب الأموال، وجميع ما خلقه الله لا ينقص عن حاجة المحتاجين ولو زادت الخلق أضعافاً، وإنما ينقص توصل بعضهم إليه، فلا يجد له ما يكفيه، وفي الأرض أضعافٌ كفايته.

قوله: ﴿فِي﴾ تَمَامِ ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف؛ دفعاً لما يتوهم أن الأيام ثمانية: يومان في خلق الأرض، وأربعة في خلق الأقوات، ويومان في خلق السماوات، فينافي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق: ٣٨].

سَوَاءٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

في يوم الثلاثاء والأربعاء، ﴿سَوَاءٌ﴾ - منصوبٌ على المصدر - أي: استوتِ الأربعة استواءً لا تريد ولا تنقص، ﴿لِلْسَّائِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

﴿١١﴾ ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾: قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾: بُخَارٌ مُرْتَفِعٌ ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا﴾ إلى مُرَادِي مِنْكُمَا ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ - في موضع الحال - أي: طائعتين أو مكرهتين،
حاشية الصاوي

والحكمة في تقدير هذه المدة مع أنه تعالى قادرٌ على خلق كلِّ في قدر لَمحة: تعليمُ العباد التمهّل والتأنّي في الأمور، والبعد من العجلة.
قوله: (في يوم الثلاثاء) بفتح الثاء وضمّها.

قوله: ﴿لِلْسَّائِلِينَ﴾ متعلق بـ﴿سَوَاءٌ﴾، والمعنى: مُستوية للسائلين؛ أي: جواب السائلين فيها سواء، لا يتغيّر لسائل بزيادة ولا نقص.
قوله: (قصد إلى السماء) أي: أراد، والمعنى: تعلّقت إرادته بخلق السماوات.

قوله: ﴿وَهِيَ دُخَانٌ﴾ المرادُ به: بخارُ الماء، وذلك أنَّ العرش كان على الماء قبل خلق السماوات والأرض، ثمَّ أحدث الله في ذلك الماء اضطراباً، فأزید وارتفع، فبقي على وجه الماء، فخلق منه اليبوسة وأحدث منه الأرض.

قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا﴾... إلخ) اختلف في قول الله للأرض والسماوات وجوابهما له؛ فقيل: هو حقيقة، وأجابنا بلسان المقال، ولا مانع منه؛ لأنَّ القادر لا يُعجزه شيءٌ، فخلق فيهما الحياة والعقل والكلام وتكلمتا، ويؤيِّده ما روي: أنه نطق من الأرض موضع الكعبة، ونطق من السماء بحداثتها، فوضع الله فيهما حرمة^(١).

وقيل: إن معنى القول في حقِّ الله تعالى ظهورُ تأثير قدرته، وكلاهما^(٢) كناية عن الطاعة والانقياد.

(١) عزاه الماوردي في تفسيره «النكت والعيون» (١٧٣/٥) إلى أبي النصر السكسكي.

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: (وكلامهما)، ويوضحه ما عند غيره من المفسرين: (وفي قولهما وجهان: أحدهما: أنه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا وأجابا.. قائم مقام قولهما، الثاني: أنهما تكلمتا بذلك). انظر «تفسير القرطبي» (٣٩٧/١٨).

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ

﴿قَالَتَا أَتَيْنَا﴾ بِمَنْ فِيْنَا ﴿طَائِعِينَ﴾ فِيهِ تَغْلِيْبُ الْمَذْكُورِ الْعَاقِلِ، أَوْ نُزِّلَتَا لِخَطَابِهِمَا مَنَزِلَتَهُ.

﴿فَقَضَيْنَهُنَّ﴾ ﴿١٢﴾ - الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى السَّمَاءِ لِأَنَّهَا فِي مَعْنَى الْجَمْعِ الْآيِلَةُ إِلَيْهِ -
أَي: صَيَّرَهَا ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ، فَرَّغَ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْهُ،
وَفِيهَا خَلَقَ آدَمَ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَقُلْ هُنَا: سَوَاءٌ، وَوَافَقَ مَا هُنَا آيَاتِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (فيه تغليبُ المذكر العاقل) أي: حيث جمعوا جمعه.

قوله: ﴿فَقَضَيْنَهُنَّ﴾ تفصيل لتكوين السماء.

قوله: (أي: صيَّرها ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ (قضى) مُضْمَنٌ معنى (صَيَّرَ) فـ ﴿سَبْعَ﴾
مفعول به^(١).

قوله: (وفيها خلق آدم) ظاهره: أنَّ آدم خلق في نفس اليوم الذي خُلقت فيه السماوات،
وهو خلاف المشهور من أنَّ بين خلق آدم وخلقها ألوفاً من السنين.

وأجيب: بأنَّ المراد: أنه خلق في مثل ذلك اليوم؛ كما تقول: ولد محمد يوم الاثنين، وتوفي
يوم الاثنين.

قوله: (ووافق ما هنا... إلخ) أي: بتقدير المضاف السابق، والمشهور: أنَّ الأيام الستة بقدر
أيام الدنيا، وقيل: كلُّ يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا، فتكون الستة أيام بقدر ستة آلاف سنة.
إن قلت: إنَّ اليوم عبارة عن الليل والنهار، وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها، وقبل خلق
السماوات لا يُعقل حصول اليوم فضلاً عن تسميته بالأحد ونحوه.

أجيب: بأنَّ الله تعالى قَدَّرَ مقداراً خلق فيه الأرض وسمَّاه الأحد والاثنين، ومقداراً خلق فيه
الأقوات وسمَّاه الثلاثاء والأربعاء، وهكذا، فالتسمية للمقادير التي خلقت فيها تلك الأشياء.

(١) ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من مفعول (قضاهن) أي: قضاهنَّ معدودة، و(قضى) بمعنى: صنع، وأن يكون
تمييزاً، قال الزمخشري: «ويجوز أن يكون ضميراً مُبهماً مفسراً بـ (سبع سماوات) على التمييز» يعني بقوله: «مبهماً»:
أنه لا يعود على السماء؛ لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، بخلاف كونه حالاً أو مفعولاً ثانياً، وأن يكون
بدلاً من (هن) في (فقضاهن). قاله مكي. انظر «الدر المصون» (٩/٥١٣).

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (١٢)
فَإِنْ أَعْرَضُوا

﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ الذي أمر به مَنْ فيها مِنَ الطاعةِ والعبادةِ، ﴿وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوحٍ﴾: بِنُجُومٍ ﴿وَحِفْظًا﴾ - مَنْصُوبٌ بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّر - أي: حَفِظْنَاهَا مِنْ اسْتِزْوَاقِ الشَّيَاطِينِ السَّمْعَ بِالشُّهُبِ، ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿الْعَلِيمِ﴾ بِخَلْقِهِ.
(١٣ - ١٤) ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي: كُفَّارٌ مَكَّةَ عَنِ الْإِيمَانِ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ

حاشية الصاوي

بقي شيء آخر، وهو أن ما هنا يقتضي أن الأرض خلقت قبل السماوات، فيخالف آية (النازعات) المفيدة أن الأرض خلقت بعد السماوات، قال تعالى: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ إلى أن قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠].

وأجيب: بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً في يومين كُرويةً، ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها، فخلق الجميع في ستة أيام، والدحي^(١) بعد ذلك، فلا تناقض، واستشكل ذلك الرازي، وأجاب عنه بما لا طائل تحته^(٢).

قوله: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (الوحي كناية عن التكوين).

قوله: (الذي أمر به من فيها... إلخ) وقيل: المعنى: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وأفلاكها، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة، والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد والثلج.

قوله: (بفعله المقدر) أي: وهو معطوف على ﴿زَيْنًا﴾.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور بتفاصيله.

قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ مرتب على قوله فيما تقدم: ﴿قُلْ أَيْتُكُمْ لَتَكْفُرُنَّ... إلخ﴾، والمعنى: بين يا محمد لقومك طريق الرشاد، وأظهر لهم الحجج القاطعة الدالة على ذلك، فإن أعرضوا بعد إقامة الحجج وبيان الهدى.. فخوفهم بعذابٍ مثل عذاب مَنْ تقدمهم من الأمم؛ لأنه جرت عادة الله تعالى

(١) كذا في الأصول، وهي لغة في الدحو، قال في «المصباح»، مادة (د ح ي): (دحا الله الأرض يدحوها دحواً: بسطها، ودحاها يدحاها دحياً لغةً).

(٢) انظر «مفاتيح الغيب» (٢٧/٤٥٧).

فَقُلْ أُنذَرْتُكُمْ صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ

﴿فَقُلْ أُنذَرْتُكُمْ﴾: خَوَّفْتُكُمْ ﴿صَعِقَةً مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ أي: عذاباً يُهْلِكُكُمْ مِثْلَ الَّذِي أَهْلَكَهُمْ، ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

ألا يعذب أمة إلا بعد طلوع شمس الحق لهم، وإعراضهم عنه، وفي قوله: ﴿أَعْرَضُوا﴾ التفات من خطابهم بقوله: ﴿أَيْتَكُمْ﴾ إلى الغيبة؛ إشارة إلى أنهم كما أعرضوا جُوزُوا بالإعراض والالتفات من خطابهم؛ لأنَّ الخطاب شأن مَنْ يُرَجَى إقباله، وهم ليسوا كذلك. قوله: ﴿فَقُلْ أُنذَرْتُكُمْ﴾ عبّر بالماضي؛ إشارة إلى تحقيقه وحصوله.

قوله: ﴿صَعِقَةً﴾ هي في الأصل: الصيحة التي يحصل بها الهلاك، أو قطعة نار تنزل من السماء، معها رعدٌ شديدٌ، والمراد هنا: العذاب المهلك، وقرئ شذوذاً: (صعقة) بغير ألف مع سكون العين في الموضعين^(١).

وقوله: ﴿مِثْلَ صَعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ التشبيه في مُطلق الهلاك وإن كان هلاك عاد وثمود عامّاً، وهلاك هذه الأمة خاصٌّ ببعض أفرادهم، فهو تشبيه جزئيّ بكليّ، وبهذا اندفع ما قد يقال: إنَّ العذاب العام لا يأتي لهذه الأمة؛ لما ورد في الأحاديث الصحيحة مِنْ أَمْنِ الأمة من ذلك^(٢).

وأجيب أيضاً: بأنه لا يلزم من التخويف الحصول بالفعل، وحينئذ فالمعنى: أنتم ارتكبتم أموراً تستحقون عليها ما نزل بعادٍ وثمود.

قوله: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ﴾ ظرف لـ ﴿صَعِقَةً﴾ الثانية، والمعنى: صَعَقْتَهُمْ وقت مجيء رسلهم إليهم، والضمير في ﴿جَاءَهُمْ﴾ عائذ على عاد وثمود، وقوله: ﴿الرُّسُلُ﴾ المراد بهم: هود وصالح ومن قبلهما من الرسل، وهم نوح وإدريس وشيث وآدم، لكن مجيء هود وصالح لهاتين القبيلتين حقيقيّ، ومجيء مَنْ قبلهما لهاتين القبيلتين باعتبار اللزوم؛ لأنَّ كلَّ رسولٍ قد جاء بالتوحيد، وتكذيب واحدٍ تكذيب للجميع.

(١) وهي قراءة ابن الزبير والنخعي والسلمي وابن مُحِصَن. انظر «الدر المصون» (٩/٥١٤).

(٢) كما روى الإمام مُسْلِم في «صحيحه» (٢٨٩٠) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثَنَتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا يُهْلِكُ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَا يُهْلِكُ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا».

أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً

أي: مُقْبِلِينَ عَلَيْهِمْ وَمُدْبِرِينَ عَنْهُمْ، فَكَفَرُوا كَمَا سَيَأْتِي، وَالْإِهْلَاكَ فِي زَمَنِهِ فَقَطْ، ﴿أَنْ﴾
أي: بِأَنْ ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ﴾ عَلَيْنَا ﴿مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾
عَلَى زَعْمِكُمْ ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿١٥﴾ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا﴾ لَمَّا خُوفُوا بِالْعَذَابِ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: لَا أَحَدٌ؛ كَانَ وَاحِدُهُمْ يَقْلَعُ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ مِنَ الْجَبَلِ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مقبلين عليهم) أي: وهم هود وصالح، وقوله: (ومدبرين عنهم) أي: وهم الرسل الذين تقدّموا على هود وصالح، وهو لفٌّ ونشرٌ مرّتبٌ.

قوله: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا﴾... إلخ) يصح أن تكون (أن) مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، أو مصدرية، أو تفسيرية، وكلام المفسر يُشير للمعنيين الأولين؛ حيث قدّر الباء، و(لا): ناهية في الأوجه الثلاثة، ويصح أن تكون نافية أيضاً في الوجه الثاني، والفعل منصوبٌ بـ(أن)، حذفت منه النون للناصب، و(لا) النافية لا تمنع عمل (أن) في الفعل.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: عاد وثمود لهود وصالح.

قوله: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ أي: إنزال ملائكته بالرسالة، فمفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوف، والمعنى: لو شاء ربنا إرسال رسولٍ.. لجعله ملكاً لا بشراً، وهذا توصلٌ منهم لإنكار الرسالة؛ لزعمهم أنها لا تكون للبشر.

قوله: (على زعمكم) أي: وإلا.. فهم يُنكرون رسالتها.

قوله: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: تعظّموا على أهلها، واستعلّوا فيها، وهذا شروع في حكاية ما يخص كل طائفة من القبائح والعذاب بعد الإجمال في كفرهم.

قوله: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ أي: فنحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بقوّتنا، قال ابن عباس: إنّ أطولهم كان مئة ذراع، وأقصرهم كان ستين ذراعاً^(١).

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُصْزُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا تُمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا
الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَعْقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَكَانُوا يَنْتَقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ

﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾: أَشَدُّ ﴿وَهُمْ لَا يُصْزُونَ﴾ بِمَنْعِهِ عَنْهُمْ.

﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾ ﴿وَأَمَّا تُمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ﴾: بَيَّنَّا لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾:

اخْتَارُوا الْكُفْرَ ﴿عَلَى الْهُدَىٰ﴾ فَأَخَذَتْهُمْ صَعْقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ ﴿الْمُهِينِ﴾ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾
وَنَجَّيْنَا مِنْهَا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْتَقُونَ﴾ اللَّهُ.

﴿١٩﴾ - ﴿٢٠﴾ ﴿وَاذْكُرْ﴾ يَوْمَ يُحْشَرُ - بِالْبَاءِ، وَالنُّونِ الْمَفْتُوحَةُ وَضَمُّ الشَّيْنِ وَفَتْحُ الْهَمْزَةِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَمَّا تُمُودٌ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ شروع في ذكر أحوال الطائفة الثانية.

قوله: ﴿بَيَّنَّا لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى﴾ أي: فالمراد بالهداية: الدلالة، لا الوصول بالفعل.

قوله: ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ أي: الإيمان.

قوله: ﴿الْمُهِينِ﴾ أي: الموقع في الإهانة والذل.

قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي: من الكفر وتكذيب نبيهم.

قوله: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: مع صالح، وكانوا أربعة آلاف، وتقدّم في (الأعراف) أنه

نجا مَنْ كان مع هود، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [الأعراف: ٧٢] وكانوا أربعة
آلاف أيضاً كما تقدّم لنا في سورة (هود)^(١).

قوله: ﴿وَاذْكُرْ﴾ يَوْمَ يُحْشَرُ (يَوْمَ): ظرفٌ معمولٌ لمحدوفٍ، قدّره المفسّر بقوله: (اذْكُرْ).

قوله: (بِالْبَاءِ) أي: مع فتح الشين، ورفع ﴿أَعْدَاءُ﴾ على أنه نائب فاعل.

قوله: (وفتح الهمزة) أي: من ﴿أَعْدَاءُ﴾ على أنه مفعول، والفاعل على كلِّ هو الله تعالى،

والقراءتان سبعيتان^(٢).

(١) انظر (٢٩٤/٣).

(٢) قرأ نافع بنون مفتوحة وضَمُّ الشين على البناء للفاعل وهو الله تعالى، والباقون بياء الغيبة مضمومة وفتح الشين على
البناء للمفعول. انظر «السراج المنير» (٥١٢/٣).

أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ
وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: يُسَاقُونَ، ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا﴾ - زائدة - ﴿جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ﴾ المرادُ بهم: كلُّ مَنْ كان من أهل الخلود في النار مطلقاً، من أوّل الزمان لآخره.
قوله: ﴿إِلَى النَّارِ﴾ المرادُ: موقفُ الحساب، وإنما عبّر عنه بالنار؛ لأنها عاقبةُ حشرهم.
قوله: ﴿يُسَاقُونَ﴾ وفسره البيضاوي بحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا^(١)، ولا ينافي ما قال المفسّر؛ فإنَّ المراد: يُسَاقَ آخرهم ليلحق أولهم، فيحصل الاجتماع والازدحام حتى يكون على القدم ألف قدم.

قوله: (زائدة) أي: للتأكيد، وإنما أُكِّد؛ لأنهم يُنكرون مضمون الكلام.
قوله: ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾... إلخ) أي: بأن يخلق الله فيها النطق والفهم والإدراك كاللسان، فتقرّ بما فعلته من المعاصي حقيقةً، وهو التحقيق.
وقيل: النطقُ كنايةٌ عن ظهور المعاصي على تلك الجوارح؛ كظهور التّانة على فُروج الزّناة، ونحو ذلك^(٢).

وقيل: النطق من غير فهم ولا إدراك؛ عن أنس بن مالك قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «ما تدرون ممّ أضحك؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «من مخاطبة العبد ربّه، فيقول: يا ربّ؛ ألم تُجِرْنِي مِنَ الظلم؟ فيقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أُجيز اليوم على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، وبالكرام الكاتبين البرّة عليك شهوداً، قال: فيختم على فيه ويُقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثمَّ يُخَلَّى بينه وبينها فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا؛ فعنك كنّت أناضل»^(٣).

قوله: ﴿وَجُلُودُهُمْ﴾ المراد بها: مُطلق الجوارح، فيكون من عطف العامّ على الخاصّ، وقيل:

(١) «تفسير البيضاوي» (٦٩/٥).

(٢) وقد ردّ العلامة الغماري هذا القول وأبطله من وجوه خمسة، ذكرها في كتابه «بدع التفاسير» (ص ١٢٢).

(٣) رواه مُسلم (٢٩٦٩).

وَقَالُوا لِيُجْلُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَإِيهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ

﴿٢١﴾ وَقَالُوا لِيُجْلُوهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴿٢١﴾ أي: أراد نطقه، ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَإِيهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله تعالى كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله بأنَّ القادر على إنشائكم ابتداءً وإعادة بكم بعد الموت أحياء قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ ﴿٢٢﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توفقوا بالبعث،

حاشية الصاوي

المراد بالجلود: خصوصُ الفروج، ويكون التعبير عنها بالجلود من باب الكناية، ويكون هذا في شهادة الزنا، وحيث: فالآية فيها الوعيد الشديد على إتيان الزنا، والأقرب الأول.

قوله: ﴿وَقَالُوا لِيُجْلُوهُمْ﴾ أي: توبيخاً وتعجباً من هذا الأمر الغريب.

قوله: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾... إلخ) أي: جواباً لهم واعتذاراً عما صدر منهم.

قوله: ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أي: تُردُّون إليه بالبعث، وعبر بال مضارع مع أنَّ المقالة بعد الرجوع بالفعل؛ لأنَّ المراد بالرجوع البعث وما يترتب عليه من العذاب الدائم، والعذاب مُستقبلٌ بالنسبة لمقاتلهم.

قوله: (قيل: هو) أي: قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾... إلخ.

قوله: (كالذي بعده) أي: وهو قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ﴾.

قوله: (وموقعه) أي: مناسبة قوله: ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ﴾، ووجهُ مناسبته له في المعنى: أنه يقربه من العقول من حيث إنَّ القادر على الإبداء والإعادة قادرٌ على إنطاقها.

قوله: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ﴾ أي: تستخفون من هؤلاء الشهود، وهو لا يكون إلا بترك الفعل بالكلية؛ لأنها ملازمةٌ للإنسان في حركاته وسكناته.

قوله: (من ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾) أشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ في محلِّ نصبٍ بنزع الخافض، ويصحُّ أن يكون مفعولاً لأجله، والتقدير: مخافة أن يشهد... إلخ.

وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَصْبِحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ﴾ عند استتاركم ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(٢٣ - ٢٤) ﴿وَذَلِكُمْ﴾ - مبتدأ - ﴿ظَنُّكُمْ﴾ - بدلٌ منه - ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ - نعتٌ، والخبر -: ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾: منزل ﴿لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا﴾: يطلبوا العتبي أي: الرضا ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾: المرضييين.

حاشية الصاوي

قوله: (عند استتاركم) أي: من الناس.

قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا﴾ المراد به: ما أخفوه عن الناس من الأعمال، فظنوا أن علم الله مساوٍ لعلم الخلق، فكلُّ ما ستره عن النَّاس لا يعلمه الله.

قوله: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ﴾... إلخ) اعلم: أن الظنَّ قسمان: حسنٌ، وقبيحٌ؛ فالحسن: أن يظنَّ العبد المؤمن بالله عزَّ وجلَّ الرحمة والإحسان والخير؛ ففي الحديث: «أنا عند ظنِّ عبدي بي»^(١)، والقبيح: أن يظنَّ بالله نقصاً في ذاته أو صفاته أو أفعاله.

قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ نتيجة ما قبله.

قوله: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ إن قلت: إنَّ النار مأوى لهم صبروا أو لا؛ فما وجه

التقيد بالصبر؟

وأجيب: بأنَّ في الآية حذفاً، والتقدير: فإن يصبروا أو لا يصبروا... فالنار مَثْوًى لهم، وإنما حذف المقابل؛ للعلم به؛ لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر... فهي لهم مع عدمه بالأولى، بخلاف الدنيا؛ فإنَّ الإنسان مع الصبر ربَّما تخفَّ مُصيبته، أو يُعوَّض خيراً، ومع عدمه يزداد فيها، ويغضب الله عليه.

قوله: (أي: الرضا) وقيل: العتبي: الرجوع إلى ما يحبون.

قوله: (المرضيين) أي: المرضي عليهم^(٢).

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) عداه (على) استغناء بها عن (عن)، كما قال الشاعر:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

وَقُضِّضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ فَرَزَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ

﴿٢٥﴾ ﴿وَقُضِّضْنَا﴾ : سَبَّيْنَا ﴿لَهُمْ قُرْآنَهُ﴾ مِنَ الشَّيَاطِينِ ﴿فَرَزَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الشَّهَوَاتِ ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ بِقَوْلِهِمْ : لَا بَعَثَ وَلَا حِسَابَ، ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بِالْعَذَابِ وَهُوَ : ﴿لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ الْآيَةُ [مود: ١١٩]

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَقُضِّضْنَا لَهُمْ﴾ (أي: لِكْفَارِ مَكَّة، ومعنى (سَبَّيْنَا): هَيَّأْنَا وَبَعَثْنَا، والمعنى: سَبَّيْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُ يُلَازِمُونَهُمْ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهِمْ اسْتِيلَاءَ الْقَيْضِ، وهو قَشْرُ الْبَيْضِ عَلَى الْبَيْضِ.

قوله: ﴿فَرَزَيْنَا لَهُمْ﴾ (أي: مِنَ الْقَبَائِحِ.

قوله: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا... إلخ) وقيل: مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَمَا خَلْفَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، قَالَ الْقَشِيرِيُّ: إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ سُوءٍ أَوْ قُرْآنٍ سُوءٍ يَحْمِلُونَهُ عَلَى الْمَخَالَفَاتِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَيْهَا، وَمِنْ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ، وَأَشْرُّ مِنْهُ النَّفْسُ، وَبَشَرُ الْقَرِينِ، يَدْعُوهُ الْيَوْمَ إِلَى مَا فِيهِ الْهَلَاكُ، وَيَشْهَدُ عَلَيْهِ غَدًا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ أَوْ قُرْآنٍ خَيْرٍ يُعِينُونَهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَيَحْمِلُونَهُ عَلَيْهَا، وَيَدْعُونَهُ إِلَيْهَا^(١).

وفي الحديث: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَهُ شَرًّا... قَيْضٌ لَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ شَيْطَانًا؛ فَلَا يَرَى حَسَنًا إِلَّا قَبَّحَهُ عِنْدَهُ، وَلَا قَبِيحًا إِلَّا حَسَّنَهُ»^(٢)، وعن عائشة قالت: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْوَالِي خَيْرًا... جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صَدَقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ... جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنِّهُ»^(٣)، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْبَطَانَةِ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحْضُهُ عَلَيْهِ، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى»^(٤).

قوله: ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ (أي: ثَبَتَ وَتَحَقَّقَ).

(١) «لَطَائِفُ الْإِشَارَاتِ» (٣/ ٣٢٥) بِتَصْرِفٍ.

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ» (٤٧٧)، وَالْأَجُرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (٥٦٥) عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِلَفْظٍ: «إِذَا أَرَادَ بَعْدَ شَرٍّ... قَيْضٌ لِلَّهِ لَهُ شَيْطَانٌ قَبْلَ مَوْتِهِ بِعَامٍ؛ يَفْتَنُهُ وَيَصْده وَيُضِلُّهُ، حَتَّى يَمُوتَ حِينَ يَمُوتَ وَهُوَ شَرٌّ مَا كَانَ، وَيَقُولُ النَّاسُ: مَاتَ فُلَانٌ وَهُوَ شَرٌّ مَا كَانَ».

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (٢٩٣٢) مَرْفُوعًا.

(٤) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٧١٩٨)، وَفِيهِ: (إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ: بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ... إلخ).

فَ أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾

﴿فَ﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ حَلَّتْ﴾: هَلَكْتَ ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾. (٢٦ - ٢٧) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عِنْدَ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾: ائْتُوا بِاللَّغَطِ وَنَحْوِهِ وَصِيحُوا فِي زَمَنِ قِرَاءَتِهِ؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ فَيَسْكُتُ عَنِ الْقِرَاءَةِ. قَالَ تَعَالَى فِيهِمْ:
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَ أَمْرٍ﴾ حال من الضمير في ﴿عَلَيْهِمْ﴾، والمعنى: كائنين في جملة أُمم.

قوله: ﴿قَدْ حَلَّتْ﴾ صفة لـ ﴿أَمْرٍ﴾.

قوله: (هَلَكْتَ) المناسب أن يقول: (مَضَتْ).

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ تعليلٌ لاستحقاقهم العذاب.

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من كفار مكة، وإنما قالوا ذلك؛ لأنه لما كان النبي ﷺ يقرأ.. يَسْتَمِيلُ الْقُلُوبَ بِقِرَاءَتِهِ، فيصغي إليها المؤمن والكافر، فخافوا أن يتَّبِعَهُ النَّاسُ^(١).

قوله: ﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ اللُّغُو: الكلامُ الذي لا فائدة فيه، وهو بفتح الغين في قراءة العامة، من: لَغِيَ كـ(فَرَح)، وقرئ شذوذاً بضم الغين^(٢)، من: لَغَا يَلْغُو ك: دَعَا يَدْعُو، ومنه حديث: «أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَوْتُ»^(٣).

قوله: (باللغط) بسكون الغين وفتحها، وهو كلامٌ فيه جَلْبَةٌ واختلاطٌ.

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ أي: في القول، فإذا غلبتموه سكتم؛ لأنه لم يكن مأموراً حينئذٍ بقتالهم.

قوله: (قال تعالى فيهم) أي: في شأنهم.

(١) روى الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥/٢) عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ وهو بمكة إذا قرأ القرآن.. يَجْهَرُ بِهِ، فكان المشركون يَطْرُدُونَ النَّاسَ عَنْهُ، ويقولون: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون.

(٢) وهي قراءة قتادة وأبي حنيفة وأبي السمال والزعفراني وابن أبي إسحاق وعيسى. انظر «الدر المصون» (٥٢٣/٩).

(٣) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، بلفظ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ.. فَقَدْ لَغَوْتُ»، وسياق المصنف رحمه الله عند النسائي في «الكبرى» (١٧٢٧).

فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ
 اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءٌ

﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أقبَح جزاء عملهم.
 ﴿٢٨﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الشديد وأشوأ الجزاء ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزة الثانية
 وإبدالها واواً - ﴿النَّارُ﴾ - عطف بيان للجزاء المُخْبِرِ بِهِ عَنْ ﴿ذَلِكَ﴾ - ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾
 أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءً﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: استمروا على الكفر وماتوا عليه.

قوله: (أي: أقبَح جزاء عملهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف؛ دفعاً لما
 قد يتوهم أنهم يجزون بنفس عملهم الذي عملوه في الدنيا كالكفر مثلاً، والمعنى: أن المستهزئين
 برسول الله يُجَازَوْنَ بأقبَح جزاء على أعمالهم، وفي هذه الآية وعيدٌ لكل مَنْ يفعلُ اللَّغْظَ في حال
 قراءة القرآن، ويشوشُ على القارئ، ويخلط عليه؛ فإنه حرامٌ بإجماعٍ إن لم يقصد إبطال النفع بالقرآن
 كراهةً فيه، وإلا... فهو كافرٌ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من الأمرين كما قال المفسر.

قوله: (بتحقيق الهمزة الثانية) أي: الكائنة أول ﴿أَعْدَاءِ﴾، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (عطف بيان) هذا أحدُ أوجهٍ في إعرابها، ويصح أن يكون بدلاً من ﴿جَزَاءً﴾، ورُدَّ:
 بأنَّ البديل يصح حُلُولُ المبدل منه محلّه، وهنا لا يصح؛ لأنه يصير التقدير: ذلك النار، ويصح
 أن يكون مبتدأ و﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ خبره، ويصح أن يكون خبرَ مبتدأ محذوفٍ.

قوله: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ في الكلام تجريدٌ، وهو أن ينتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمراً آخرَ موافقاً
 له في تلك الصفة على سبيل المبالغة؛ فقد انتزع من النار داراً أخرى سَمَّاها دارَ الخلد، والمعنى:
 أن الدار نفسُها هي الخلد^(٢).

(١) أبدل الهمزة الثانية واواً خالصةً المديان والمكي والبصري ورويس، وحققها الباقون. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٨٣).

(٢) وقيل: الآية على معناها، وليس فيها تجريد، والمراد: أن لهم في النار المشتعلة على الدركات داراً مخصوصةً، وهي
 في وسط النار، تُسمَّى دار الخلد، هم فيها خالدون. انظر «تفسير أبي السعود» (١٢/٨)، و«الفتوحات» (٤٢/٤).

يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا

- مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّرِ - ﴿يَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾: الْقُرْآنِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي النَّارِ: ﴿رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ أَي: إِبْلِيسَ
وَقَابِيلَ سَنَّا الْكُفْرَ وَالْقَتْلَ، ﴿تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ فِي النَّارِ؛ ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أَي: أَشَدَّ
عَذَابًا مِنَّا.

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ مِمَّا وَجَبَ عَلَيْهِمْ،

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّرِ) والتقدير: يُجْزَوْنَ جَزَاءً.

قوله: ﴿يَمَا كَانُوا﴾ (الباء: إمَّا زائدة، أو ضَمَّنَ ﴿يَجْحَدُونَ﴾ معنى (يكفرون) فعَدَّاه بالباء.

قوله: (فِي النَّارِ) حال من فاعِل (قال).

قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ (أصله: (أَرَيْنَا)؛ الرَّاءُ فاءُ الكلمة، والهمزةُ الثانيةُ عيناها، والياءُ لامُها، حذفت
الياءُ؛ لبناء الفعل على حَذْفِهَا، ونُقِلَتْ حَرَكَةُ الهمزة للساكن قبلها، فسقطت الهمزة وصار وزنه:
(أَفْنَا)، وهي بَصْرِيَّةٌ تَعَدَّتْ بِالْهَمْزَةِ لِلْمَفْعُولِ الثَّانِي الَّذِي هُوَ الْأَسْمُ الْمُوصُولُ، ومفعولها الأولُ
الضمير، والمعنى: صَيَّرْنَا رَائِينَ بِأَبْصَارِنَا.

قوله: ﴿مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ (أَي: لِأَنَّ الشَّيْطَانَ عَلَى قِسْمَيْنِ: جَنِّيٍّ، وَإِنْسِيٍّ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى:
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وَقَدَّمَ الْجِنَّ لِأَنَّهُمْ أَصْلُ الضَّلَالِ.
قوله: (سَنَّا الْكُفْرَ وَالْقَتْلَ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرْتَّبٌ؛ فَقَابِيلُ قَتَلَ أَخَاهُ هَابِيلَ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ،
وإِبْلِيسُ أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ.

قوله: ﴿تَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ (أَي: إمَّا حَقِيقَةً، فَيَكُونَانِ أَشَدَّ عَذَابًا مِنَّا، فَتَشْتَفِي قُلُوبُنَا،
أَوْ هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ كَوْنِهِمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ).

قوله: ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (أَي: فِي دَرَكَاتِ النَّارِ).

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ...﴾ (إِلخ) شُرُوعٌ فِي بَيَانِ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ إِثْرَ بَيَانِ وَعِيدِ
الكَافِرِينَ، وَالْمَعْنَى: قَالُوا: رَبُّنَا اللَّهُ؛ اعْتِرَافًا بِرُبُوبِيَّتِهِ، وَإِقْرَارًا بِوَحْدَانِيَّتِهِ.

قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ (أَي: ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ بِأَنْ فَعَلُوا الْمَأْمُورَاتِ، وَاجْتَنَبُوا الْمَنْهِيَّاتِ، وَدَامُوا

تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾
نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عِنْدَ الْمَوْتِ ﴿أَنْ﴾: بَأَنْ ﴿لَا تَخَافُوا﴾ مِنَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ،
﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ عَلَى مَا خَلَفْتُمْ مِنْ أَهْلِ وَوَلَدٍ فَتَحْزَنُ نَخْلُفُكُمْ فِيهِ، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
تُوعَدُونَ﴾.

(٣١) - (٣٢) ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أَي: نَحْفَظُكُمْ فِيهَا

حاشية الصاوي

على ذلك إلى الممات؛ قال عمر بن الخطاب: الاستقامة: أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تزوغ
زوغان الثعلب^(١).

قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق^(٢).

قوله: (عِنْدَ الْمَوْتِ) أَي: أَوْ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْقَبْرِ، وَلَا مَانِعَ مِنَ الْجَمْعِ، وَالْمَرَادُ: مَلَائِكَةُ
الرَّحْمَةِ تَأْتِيهِمْ بِمَا يَشْرَحُ صُدُورَهُمْ، وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ الْخَوْفَ وَالْحُزْنَ.
قوله: ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا﴾ (أَنْ): مَخَفَّةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، أَوْ مُصَدِّرَةٌ، أَوْ مُفَسِّرَةٌ، وَكَلَامُ الْمُفَسِّرِ
يَحْتَمِلُ الْمَعْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ.

والخوف: هُمْ يَلْحَقُ النَّفْسَ لِتَوَقُّعِ مَكْرُوهِهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَالْحُزْنُ: هُمْ يَلْحَقُهَا لِفَوَاتِ نَفْعٍ
فِي الْمَاضِي.

قوله: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾ أَي: وَهِيَ دَارُ الْكَرَامَةِ الَّتِي فِيهَا مِنَ النَّعِيمِ الدَّائِمِ وَالشُّرُورِ مَا لَا عَيْنٌ
رَأَتْ، وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

قوله: ﴿الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أَي: فِي الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ وَعَلَى أَلْسِنَةِ الرُّسُلِ.

قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾... إلخ) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَهُوَ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْلَاهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمَعْنَى: كُنَّا أَوْلِيَائَكُمْ
فِي الدُّنْيَا، وَنَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ؛ فَلَا تُفَارِقُكُمْ حَتَّى تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

(١) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٢٣)، وفيه: (ولم يروغوا روغان الثعلب) بدل قوله: (ولا تزوغ
زوغان الثعلب)، وَالزَّوْعَانُ: الْجَوْرُ فِي الْمَنْطِقِ، وَمَا فِي «المجالسة»؛ أَنْسَبَ بِالْمَعْنَى، وَرَوَّغَانَ الثَّعْلَبُ: ذَهَابَهُ يَمَنَةً
وَيَسْرَةً فِي سُرْعَةِ خُدَيْعَةٍ، فَهُوَ لَا يَسْتَقِرُّ فِي جِهَةٍ.

(٢) انظر «زاد المسير» (٥١/٤).

وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: نَكُونُ مَعَكُمْ فِيهَا حَتَّى تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾: تَطْلُبُونَ، ﴿نَزَّلًا﴾: رِزْقًا مُهَيَّئًا - مَنْصُوبٌ بِ(جَعَلَ) مُقَدَّرًا - ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أي: الله.

(٣٣ - ٣٥) ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لَا أَحَدَ أَحْسَنُ قَوْلًا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا تَدْعُونَ﴾ من الدعاء بمعنى: الطلب، وهو أعمُّ من الأول، والمعنى: لكم كلُّ ما تَشْتَهُونَ وكلُّ ما تَطْلُبُونَ ولو لم يكن مشتهًى؛ كالرُّتَبِ العُلْيَا والفضائل السَّيِّئَة.
قوله: (منصوبٌ بـ«جعل» مقدراً) ويصح أن يكون حالاً من قوله: ﴿مَا تَدْعُونَ﴾.

قوله: ﴿مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ متعلق بـ﴿تَدْعُونَ﴾، أو صفة لـ﴿نَزَّلًا﴾، وخصَّ هَذَيْنِ الوصفين دون (شديد العقاب) مثلاً؛ إشارةً إلى مزيد السرور لهم وإكرامهم، وأنه تعالى يعاملهم بالمغفرة والرحمة، ويتجلَّى لهم بأوصاف الجمال دون أوصاف الجلال.

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾... إلخ) قيل: نزلت هذه الآية في رسول الله ﷺ؛ لأنه هو الذي جمَعَ تلك الأوصاف؛ لأنَّ الداعين إلى الله تعالى أقسام: فمنهم: الدَّاعُونَ إلى الله بالتوحيد قولاً كالأشعريِّ والماتريدي ومن تبعهما إلى يوم القيامة، وفعلاً كالمجاهدين.

ومنهم: الدَّاعُونَ إلى الله تعالى بالأحكام الشرعية، كالأئمة الأربعة ومن على قدميهم.
ومنهم: الدَّاعُونَ إلى الله تعالى بِزَوَالِ الْحُجُبِ الْكَائِنَةِ عَلَى الْقُلُوبِ لِمَشَاهِدَةِ عِلَامِ الْغُيُوبِ؛ بحيث يكون دائماً في حضرة الله، ليس في قلبه سِوَاهُ، كالجُنَيْدِ وَأَصْرَابِهِ مِنَ الصُّوْفِيَّةِ أَهْلِ الْحَقِيقَةِ.
ومنهم: مَنْ يَدْعُو إلى الله بالإعلام بأداء الفرائض كالمؤذنين. وهذه الأقسامُ مجموعةٌ في النبي عليه الصلاة والسلام، متفرقةٌ في أصحابه، ثم انتقلت منهم إلى مَنْ بعدهم، وهكذا إلى يوم القيامة؛ لقوله في الحديث الشريف: «لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم مَنْ خالفهم حتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

مَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بالتوحيد) أي: وفروعه، وإنما خصّه؛ لأنّه رأسُ الأمور وأساسُها.

قوله: ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أي: امثّل أوامر ربّه، واجتنب نواهيه، وحيث كان داعياً إلى الله مع اتصافه بالعمل الصالح.. كان قوله مقبولاً، ويؤثر في القلوب، وأمّا مَنْ كان بخلاف ذلك.. فلا يكون قوله مقبولاً، ولا يؤثر في القلوب، ولا تنبغي صحبته، قال العارف: لا تصحب مَنْ لا يُنْهَضُ حاله، ولا يدلُّك على الله مقاله^(١)، وقال بعضهم^(٢): [المقارب]

أَتَنْهَى النَّاسَ وَلَا تَنْتَهِي مَتَى تَلْحَقُ الْقَوْمَ يَا لَكْغُ؟

وَيَا حَجَرَ السَّنِّ أَمَا تَسْتَجِي تَسُنُّ الْحَدِيدَ وَلَا تَقْطَعُ

فَمَنْ لَمْ يُؤْثِرْ كَلَامُهُ فِي نَفْسِهِ.. فلا يؤثّر في غيره بالأولى، قال بعضهم^(٣): [الكامل]

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّغْلِيمِ

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ

إِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غِيَّهَا فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ

فَهُنَاكَ يُسْمَعُ مَا تَقُولُ وَيُسْتَفَى بِالْقَوْلِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّغْلِيمُ

لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ عَارٌ عَلَيْكَ - إِذَا فَعَلْتَ - عَظِيمٌ

وبالجملة: فالدعوة إلى الله لا تنفع إلا من قلب ناصح، وأعظمُ الداعين إلى الله تعالى الأولياء المسلكون، الذين يوصلون الخلق إلى طريق الحق، وهم موجودون في كلِّ زمن، غير أنه لا يجتمع

(١) من حكم الإمام ابن عطاء الله السكندري رحمه الله تعالى. انظر «إيقاظ الهمم» (ص ٥٧).

(٢) حكاهما الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٢١/٣٦) من شعر ابن تومرت، وحكاهما بنحوهما أيضاً الحافظ الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٨/١) لأحمد الغزالي في عظة لأخيه حُجَّة الإسلام صاحب «الإحياء»، واللَّكَّع: اللثيم ذليل النفس.

(٣) هو أبو الأسود الدؤلي على الذي رجَّحه البغدادي في «خزانة الأدب» (٥٦٧/٨) نقلاً عن اللخمي في «شرح أبيات الجمل».

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴿٣٤﴾ فِي جُزْئِيَّتِهِمَا لِأَنَّ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ، ﴿ادْفَعْ﴾ السَّيِّئَةُ ﴿بِالَّتِي﴾ أَي: بِالْحَصْلَةِ الَّتِي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كَالْغَضَبِ بِالصَّبْرِ، وَالْجَهْلِ بِالْحِلْمِ، وَالْإِسَاءَةَ بِالْعَفْوِ، ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

بِهِمْ وَلَا يَعْرِفُهُمْ إِلَّا مَنْ لَحَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِفَضْلِهِ؛ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: الْأَوْلِيَاءُ عَرَائِشُ مُخَدَّرَةٍ، وَلَا يَرَى الْعَرَائِشَ الْمَجْرُمُونَ^(١). نَفَعَنَا اللَّهُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ.

قوله: ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: تَحَدَّثْنَا بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، وَفَرَحًا بِالْإِسْلَامِ.

قوله: ﴿وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يَحْتَمِلُ أَنْ (لَا) زَائِدَةٌ لِلتَّوَكِيدِ؛ لِأَنَّ الْإِسْتِوَاءَ لَا يَكُونُ مِنْ وَاحِدٍ، بَلْ مِنْ اثْنَيْنِ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ مَعَ السَّيِّئَةِ، بَلْ الْحَسَنَةُ خَيْرٌ، وَالسَّيِّئَةُ شَرٌّ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ (لَا) أَصْلِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: لَا تَسْتَوِي مَرَاتِبُ الْحَسَنَاتِ، بَلْ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ، وَلَا تَسْتَوِي مَرَاتِبُ السَّيِّئَاتِ، بَلْ بَعْضُهَا أَعْلَى مِنْ بَعْضٍ؛ فَأَعْلَى النَّاسِ مَنْ ارْتَكَبَ أَعْلَى الْحَسَنَاتِ، وَأَدْنَى النَّاسِ مَنْ ارْتَكَبَ أَعْلَى السَّيِّئَاتِ، وَهَذَا مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ.

قوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي: حَيْثُ فُعِلَتْ مَعَكَ سَيِّئَةٌ.. ادْفَعْهَا بِخَصْلَةٍ هِيَ أَحْسَنُ.

قوله: (كَالْغَضَبِ بِالصَّبْرِ... إلخ) أي: أَعْلَى الْمَرَاتِبِ أَنْ تَعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَقَدْ كَانَ هَذَا خَلْقَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾... إلخ (إِذَا): فَجَائِيَّةٌ، ظَرْفٌ لِمَعْنَى التَّشْبِيهِ، فَعَامِلُهَا مَعْنَوِيٌّ مُؤَخَّرٌ، وَاعْتَفَرَ تَأْخِيرَ عَامِلِهَا الْمَعْنَوِيِّ؛ لِأَنَّهُ يُعْتَفَرُ فِي الظُّرُوفِ مَا لَا يُغْتَفَرُ فِي غَيْرِهَا، وَ﴿الَّذِي﴾: مَبْتَدَأٌ، وَ﴿بَيْنَكَ﴾: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿عَدَاوَةٌ﴾: مَبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَالْجُمْلَةُ صِلَةُ الْمَوْصُولِ، وَ﴿كَأَنَّهُ﴾... إلخ: خَبَرُ الْمَوْصُولِ، وَالْمَعْنَى: فَإِذَا فَعَلْتَ مَعَ عَدُوِّكَ مَا ذُكِرَ.. فَاجَأَكَ فِي الْحَضْرَةِ انْقِلَابُهُ وَصَيُورُورَتُهُ مُشَابَهًا فِي الْمَحَبَّةِ لِلصَّدِيقِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ مِنْهُ عَدَاوَةً.

قوله: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ الْحَمِيمُ: يَطْلُقُ عَلَى الْمَاءِ الْحَارِّ، وَعَلَى الْقَرِيبِ الَّذِي تَهْتَمُّ لِأَمْرِهِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

(١) مِنْ كَلَامِ سَيِّدِي أَبِي يَزِيدَ الْبُسْطَامِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا نَقَلَهُ الْإِمَامُ الْقَشِيرِيُّ فِي «رِسَالَتِهِ» (٢/ ٤١٨)، وَفِيهَا: (وَلَا يَرَى الْعَرَائِشَ إِلَّا الْمَحْرَمُونَ).

وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ

أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، - ف﴿الَّذِي﴾ مبتدأ و﴿كَانَهُ﴾ الخبر، و﴿إِذَا﴾ ظرف لمعنى التشبيه - . ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي: يؤتى الخصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ﴾: ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿وَإِنَّمَا﴾ - فيه إدغام نون (إن) الشرطية في (ما) الزائدة - ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي: يصرفك عن الخصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ - جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف - أي: يدفعه عنك
حاشية الصاوي

قوله: (فيصير عدوك كالصديق القريب) هذا تفسير لمعنى (الولي الحميم)؛ فالولي: القريب، والحميم: القريب الصديق، فهو أخص من الولي، قال بعضهم في وصفه^(١): [الرجز]

إِنْ أَحَاكَ الْحَقُّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ

وَمَنْ إِذَا رَبُّ الزَّمَانِ صَدَعَكَ شَتَّ فِيكَ شَمْلُهُ لِيَجْمَعَكَ

قوله: (في محبته) هذا هو وجه الشبه.

قوله: (إذا فعلت ذلك) أي: الإحسان للعدو.

قوله: (التي هي أحسن) الأوضح أن يقول: (وهي مقابلة الإساءة بالإحسان).

قوله: (ثواب ﴿عَظِيمٍ﴾) وقيل: المراد بالحظ: الخلق الحسن، وكمال النفس.

قوله: ﴿وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ﴾ ... إلخ) المراد بالنزغ: الوسوسة، والمعنى: وإن يؤسوس لك الشيطان بترك ما أمرت به.. فاستعذ بالله؛ أي: اطلب التحصن من شره. ومن جملة وسوسته الغضب؛ فإنه ربما يحمله على ارتكاب منهجي عنه، فإذا حصل عنده.. فليدفعه بالاستعاذة، فإن لم يزُل.. فليدفعه بالسكوت، ثم بالجلوس إن كان قائماً، ثم بالاضطجاع إن كان جالساً، فإن لم يزُل بعد ذلك.. ذهب من المكان الذي هو به.

(١) البيتان مما نسب لسيدنا علي عليه السلام؛ كما في «الإحياء» (١٧١/٢)، وللخليفة المأمون؛ كما في «ربيع الأبرار» للزمخشري (١٩٥/٥)، وانظر «عيون الأخبار» (٧/٣).

إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَتَيْنَا بِكُفْرٍ فَآلَافٍ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾

﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِلْقَوْلِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ.

(﴿٣٧﴾ - ﴿٣٨﴾) ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربعة ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَتَيْنَا بِكُفْرٍ عن السُّجود لله وحده، ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فالملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يُصَلُّونَ ﴿لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: لا يَمْلُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبله، وفي هذه الآية دليل على استعمال التَّعَوُّذَاتِ في الصباح والمساء؛ لأنَّ الإنسان بينهما لا يخلو من نزغات شيطانية؛ فلذلك ورد في الأحاديث وفي كلام العارفين كثرة التَّعَوُّذِ في هذين الوقتين، فتدبر.

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿اللَّيْلُ﴾ وما عطف عليه: مبتدأ مؤخَّر، والمعنى: من دلائل قدرته وانفراده بالألوهية الليل... إلخ أي: كلٌّ من هذه الأربع.

قوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ خصَّهما بالذكر؛ لأنَّ الكفار عبَّدهما من دون الله.

قوله: (أي: الآيات الأربعة) وإنما عبَّر عنها بضمير الإناث مع أنَّ غالبها مذكَّر، والعادة تغليب المذكَّر لا العكس؛ نظراً للفظ (الآيات)؛ فإنَّ مفردة (آية)، وهو مؤنَّث.

قوله: ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي: تُفردونه بالعبادة، فاتركوا عبادة غيره.

قوله: ﴿فَإِنْ أَتَيْنَا بِكُفْرٍ﴾ أي: تكبَّروا وعاندوا؛ حيثُ جعلوا ما به الهدى والدلالة على توحيد الله إلهاً معبوداً.

قوله: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ علةٌ لجواب الشرط المحذوف، والتقدير: فلا تنعدم العبادة؛ لأنَّ الذين... إلخ. والعندية عنديَّة مكانةٌ وشرفٌ، لا مكان، فهو كما تقول: عند الملك من الجند كذا وكذا.

قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ هذا من مجازاة الكفار، وإلَّا... فلو ترك جميع الخلق عبادته... لم ينقص من ملكه شيء؛ لما في الحديث: «يا عبادي؛ لو أنَّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجلٍ واحدٍ... ما نقص ذلك في ملكي شيئاً»^(١).

وَمِنْ ءَايَتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا

﴿٣٩﴾ وَمِنْ ءَايَتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً: يَابِسَةٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تَحَرَّكَتْ ﴿وَرَبَتْ﴾: انْتَفَخَتْ وَعَلَتْ، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ مِنْ (الْحَدِّ) وَ(لَحَدَ) ﴿فِي ءَايَتِنَا﴾: الْقُرْآنِ بِالتَّكْذِيبِ ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فَنُجَازِيهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَتِهِ﴾ خبرٌ مقدَّم، و(أَنَّ) وما دخلت عليه: في تأويل مصدر، مبتدأ مؤخر، والتقدير: ومن آياته رؤيتك الأرض... إلخ.

قوله: (يَابِسَةٌ) أي: فالأرض الخاشعة هي: الغبراء التي ليس بها نباتٌ، استُعير لها حال الخاشع، وهو الذلُّ والتَّقصُر.

قوله: ﴿اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي: تحرَّكت حركةً عظيمةً شديدةً بسرعة، وارتفع ترابُّها وعلا، فالآيةُ باقيةٌ على أصلها، خلافاً لمن قال: إِنَّ فِيهَا قَلْبًا، والتقدير: ربت واهتزَّت^(١).

قوله: ﴿لَمُحْيِ الْمَوْتِ﴾ أي: يبعثهم.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَتِنَا﴾ أي: يميلون عن الاستقامة في الدين، ويطعنون في آياتنا بالتحريف واللغو والأكاذيب.

قوله: (مِنْ: أَلْحَدَ وَلَحَدَ) أشار بذلك إلى أَنَّ هُنَا قَرَاءَتَيْنِ سَبْعِيَّتَيْنِ، وهما: ضَمُّ الْيَاءِ وَكَسْرُ الْحَاءِ؛ مِنْ: (أَلْحَدَ) رِبَاعِيًّا، وَفَتْحُ الْيَاءِ وَالْحَاءِ؛ مِنْ: (لَحَدَ) ثَلَاثِيًّا، مِنْ بَابِ: (نَفَعَ)^(٢). وَالْإِلْحَادُ: الْمِيلُ وَالْعُدُولُ، وَمِنْهُ: أَلْحَدَ فِي الْقَبْرِ؛ لِأَنَّهُ أَمِيلٌ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْهُ.

قوله: (فَنُجَازِيْكُمْ) أي: بأعمالكم^(٣).

(١) ويكون المعنى: (اهتزت) أي: بالنبات، و(رَبَتْ) أي: انتفخت وعلت قبل أن تنبت، قال مجاهد: أي: تَصَعَّدَتْ عن النبات بعد موتها. انظر «تفسير القرطبي» (١٥/٣٦٥).

(٢) قرأ حمزة بفتح الياء والحاء، والباقون بضم الياء وكسر الحاء. انظر «السراج المنير» (٣/٥٢٠).

(٣) كذا في الأصول بالخطاب، وفي نُسخ «الجلال»: (فَنُجَازِيْهِمْ) أي: بأعمالهم.

أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
 مِنْ خَلْفِهِ.....

﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد لهم.

(٤١ - ٤٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾: نُجَازِيهِمْ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾: مَنِيع. ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: أي: ليس قبله كتابٌ يُكَذِّبُهُ حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا﴾ عدل عن مقتضى الظاهر؛ حيث لم يقل: أَمْ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛ تصريحاً بحصول الأمن لهم، وانتفاء الخوف عنهم.

قوله: (تهديدٌ لهم) أي: للكفار، وزيادة مسرةً للمؤمنين.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ) خبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، قدره المفسر بقوله: (نُجَازِيهِمْ)، وهو أحد أعاريب، وهو أسهلها، وقيل: إنه جملة ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ﴾... إلخ، والعائد محذوف، والتقدير: لا يأتيه الباطل منهم، والمعنى: لا يبلغون مرادهم فيه، بل هو محفوظ منهم، وقيل: إن الخبر قوله: ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾... إلخ، والعائد محذوف، والتقدير: ما يقال لك في شأنهم، وقيل غير ذلك^(١).

قوله: ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ظرف لقوله: ﴿كَفَرُوا﴾.

قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ الجملة حالية من (الذكر)، والمعنى: كفروا بالقرآن حين جاءهم والحال أنه كتابٌ يردُّ المعارضَ ويقهره، قال البوصيري^(٢): [البسيط]

كَمْ جَدَلْتَ كَلِمَاتِ اللَّهِ مِنْ جَدَلٍ فِيهِ وَكَمْ خَصَمَ الْبُرْهَانَ مِنْ خَصِمٍ

قوله: (منيع) فاعل بمعنى: فاعل؛ أي: مانع المعارض عن الخوض فيه، ويصح أن يُفسَّرَ (العزیز) بـ: عديم المثال.

قوله: (أي: ليس قبله كتابٌ يُكَذِّبُهُ... إلخ) أي: لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات، بل

(١) في خبر (إن) ستة أقوال، ذكرها السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٥٣٠).

(٢) كما في قصيدته المشهورة «البردة».

تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ
وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ؕ ...

ولا بعده، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله المَحْمُودُ في أمره. ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ من التَّكْذِيبِ ﴿إِلَّا﴾ مثلُ ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ لِلْكَافِرِينَ.

﴿٤٤﴾ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذِّكْرَ ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا﴾: هَلَا ﴿فُصِّلَتْ﴾: بُيِّنَتْ ﴿آيَاتُهُ﴾ حَتَّى نَفْهَمَهَا، ﴿أَفُورَانٌ﴾ أَعْجَمِيٌّ وَ﴿عَرَبِيٌّ﴾؟! - اسْتَفْهَامُ انْكَارٍ مِنْهُمْ،

حاشية الصاوي

جميع ما فيه صدق مطابق للواقع، ليس بعده كتاب أصلاً، وليس قبله ما يقدر فيه، وفي كلام المفسر لفٌ ونشرٌ مُشَوَّشٌ، فقوله: (ليس قبله) راجع للخلف، وقوله: (ولا بعده) راجع لما بين يديه.

قوله: ﴿مِّنْ حَكِيمٍ﴾ (الحكيم هو: الذي يضع الشيء في محله).

قوله: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾... إلخ (شروع في تسليته ﷺ على ما يُصِيبه من أذى الكفار).

قوله: (مِن التَّكْذِيبِ) أي: من أجل حصوله ووقوعه.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾... إلخ (هذا هو المَقُول، والمعنى: ما يقال لك من أجل حصول التَّكْذِيبِ ووقوعه منهم إلا قولاً مثل ما قيل للرسول من قبلك، وهو ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾... إلخ^(١)).

قوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ (لِقَوْلِهِمْ: هَلَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ الْعَجَمِ^(٢)).

قوله: ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي: بِلِسَانِ نَفْهَمُهُ، وهو لِسَانُ الْعَرَبِ، وقوله: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾... إلخ (جملة مُسْتَقْلَةٌ عن جملة مَقُولِهِمْ، والمعنى: أَنَّهُمْ طَلَبُوا أَوَّلًا نَزُولَهُ بِلُغَةِ الْعَجَمِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ أي: جَاءَتْ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، وَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ لَوْ جَاءَهُمْ بِلُغَةِ الْعَجَمِ... لَادَّعَوْا التَّنَافِي بَيْنَ كَوْنِهِ بِلُغَةِ الْعَجَمِ وَكَوْنِ الْجَائِي بِهِ عَرَبِيًّا، وَغَرَضُهُمْ بِذَلِكَ انْكَارُ كَوْنِ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَلَى أَيِّ حَالٍ).

(١) ويجوز أن يكون المعنى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ أي: ما يقول لك كفار قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: إلا مثل ما قال لهم كفار قومهم من الكلمات المؤذية، والمطاعن في الكتب المنزلة. انظر «تفسير النسفي» (٢/٢١٧).

(٢) نقله العلامة الجمل في «الفتوحات» (٤/٤٧) عن «حاشية الكرخي على الجلالين».

قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ

بِتَحْقِيقِ الهمزة الثانية وقلبها ألفاً بإشباع ودونه - ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِفَاءٌ﴾ من الجهل، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾: ثقلٌ فلا يسمعون، ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه، ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما يُنادى به.

﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التَّوْرَةَ ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ كَالْقُرْآنِ،

حاشية الصاوي

والأعجمي يُقال للكلام الذي لا يفهم، وللمتكلم به، والياء للمبالغة في الوصف؛ كأحمري. و(أعجمي) خبرٌ لمحذوف، قدره المفسر بقوله: (أقرآن... إلخ)، وكذا قوله: ﴿وَعَرَفِي﴾.

قوله: (بتحقيق الهمزة الثانية) أي: من غير ألفٍ بينهما، وقوله: (وقلبها ألفاً) أي: ممدودة مدّاً لازماً، وهاتان قراءتان، وقوله: (بإشباع ودونه) فالإشباع هو: إدخال ألفٍ بين المحققة والمسهلة، وعدمه هو ترك الإشباع، وبقيت قراءة خامسة سبعة أيضاً، وهي إسقاط الهمزة الأولى^(١).

قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدّقوا به وأدعوا له.

قوله: ﴿وَشِفَاءٌ﴾ (من الجهل) أي: ومن الأمراض الحسية والمعنوية، الظاهرية والباطنية.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿فِي ءَاذَانِهِمْ﴾ خبرٌ مقدّم، و﴿وَقْرٌ﴾ مبتدأ مؤخر، والجملة خبر المبتدأ الأول.

قوله: (فلا يسمعون) أي: لوجود الحجاب على قلوبهم؛ فلا يوفقون لاتباعه.

قوله: (أي: هم كالمنادى... إلخ) أي: فالكلام فيه استعارة تمثيلية؛ حيث شبه حالهم في عدم قبول المواعظ، وإعراضهم عن القرآن وما فيه بحال من يُنادى من مكان بعيد، والجامع عدم الفهم في كل.

قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ، سيق لبيان أن الاختلاف في شأن الكتب عادة

(١) قرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية مع إدخال ألفٍ بينهما، وابن كثير وابن ذكوان وحفص ورؤيس بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية من غير إدخال، ولورش وجهان: أحدهما: كابن كثير، والآخر: إبدالها حرف مدٍّ مع الإشباع للساكنين، وهشام بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية، وروح وشعبة والأخوان وخلف بتحقيق الأولى والثانية من غير إدخال. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٨٤).

وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بِتَأْخِيرِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ لِلْخَلَائِقِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ أَي: الْمُكَذِّبِينَ بِهِ ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقِعٌ فِي الرَّيْبَةِ.

﴿٤٦﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عَمِلَ، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أَي: فَضَرَّرُ إِسَاءَتِهِ عَلَى نَفْسِهِ، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أَي: بِذِي ظُلْمٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠].

حاشية الصاوي

قديمة، غيرُ مُخْتَصَّ بِقَوْمِكَ، وَهُوَ تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ، وَالْمَعْنَى: لَا تَحْزَنْ عَلَى اخْتِلَافِ قَوْمِكَ فِي كِتَابِكَ؛ فَقَدْ اخْتَلَفَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ.

قوله: ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ أَي: عَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ أَي: مِنْ أَجْلِ الْمَخَالَفَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿مُرِيبٍ﴾ أَي: مُوْهِبٍ شَكًّا آخَرَ.

قوله: ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ عَمِلَ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ خَبَرًا لِمَحْذُوفٍ؛ أَي: فَعَمَلُهُ الصَّالِحَ لِنَفْسِهِ، وَالْجُمْلَةُ عَلَى كُلِّ حَالٍ جَوَابُ الشَّرْطِ إِنْ جُعِلَتْ (مَنْ) شَرْطِيَّةً، أَوْ خَبَرٌ لَهَا إِنْ جُعِلَتْ مَوْصُولَةً، وَكَذَا يُقَالُ فِي الْجُمْلَةِ بَعْدَهَا.

قوله: (أَي: بِذِي ظُلْمٍ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْآيَةَ لَمْ تَنْفِ أَصْلَ الظُّلْمِ، فَأُجَابَ: بِأَنَّ (ظُلَامَ) صِغَةً نَسْبَةً لَا مِبَالِغَةَ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ بِمَنْسُوبٍ لِلظُّلْمِ؛ ك: تَمَّارٌ وَخَبَّازٌ؛ أَي: مَنْسُوبٌ لِلتَّمُورِ وَالْخَبْزِ.

إِنْ قُلْتُ: إِنَّ الظُّلْمَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَقْلًا؛ لِأَنَّهُ التَّصَرُّفُ فِي مِلْكِ الْغَيْرِ، وَلَا مِلْكَ لِأَحَدٍ مَعَهُ؛ فَكَيْفَ يَتَصَوَّرُ إِثْبَاتُهُ حَتَّى يَحْتَاجَ لِنَفْيِهِ؟

أَجِيبُ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالظُّلْمِ الْمَنْفِيِّ فِي الْآيَةِ تَعْذِيبُ الْمَطِيعِ، لَا حَقِيقَةُ الظُّلْمِ، وَإِنَّمَا سَمَّاهُ ظُلْمًا؛ تَفْضِيلًا مِنْهُ وَإِحْسَانًا، كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: لَا أَدْخُلُ أَحَدًا النَّارَ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ، فَإِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ.. كُنْتُ ظَالِمًا، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ، عَلَى حَدِّ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فَتَدَبَّرْ.

إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا
بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ

﴿٤٧﴾ ﴿إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تكون لا يعلمها غيره، ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَةٍ﴾
- وفي قراءة: ﴿ثَمَرَاتٍ﴾ - ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾: أوعيتها - جمع ﴿كِمٍّ﴾ بكسر الكاف - إلا بعلمه،
﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: الله يردُّ علم جواب السؤال عن الساعة، وهذه الآية بمعنى
قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْعَتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فالمعنى: تعيين وقت
مجيئها لا يعلمه إلا الله تعالى، وتقدّم ذلك عند قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]^(١).

قوله: (لا يعلمه غيره) أخذ الحصر من تقديم الجار والمجرور، والمعنى: لا يُفيد علمه غيره
تعالى؛ فلا يُنافي أن رسول الله ﷺ لم يخرج من الدنيا حتى اطلع على ما كان وما يكون
وما هو كائن، ومن جملته وقت الساعة، ولكن أمر بكتمانه؛ فلا يفيد السائل عنه شيئاً^(٢).
قوله: ﴿مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾ المراد الجنس، وقوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً، والجمع
ظاهر^(٣).

قوله: (جمع «كِمٍّ» بكسر الكاف) أي: وهو ما يغطي الثمرة من النور والزهر، ويجمع أيضاً
على: (أَكْمَامَةٍ) و(كِمَامٍ)، وأما ما يُغطي اليد من القميص.. فبالضم، وجمعه: (أكمام)، وقيل:
ما يغطي الثمرة بالضم والكسر، وما يُغطي اليد بالضم فقط.

قوله: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ﴾... إلخ) أي: يعلم قدر أيام الحمل وساعاته، وكونه ذكراً
أو أنثى، واحداً أو متعدداً، وغير ذلك، ويعلم وقت وضعه ومكانه.

قوله: ﴿إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ استثناء مفرغ من عموم الأحوال، والتقدير: وما يحدث شيئاً من خروج
ثمرة أو حمل حامل أو وضعها إلا ملتبساً بعلمه، فقد حذف من الأولين؛ لدلالة الثالث عليه.
إن قلت: قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف، وبعض الكهنة والمنجمين.

(١) انظر (٥/٢٧٤).

(٢) وهو الذي نقله الإمام اللقاني في «هداية المريد لجوهرة التوحيد» (٢/٩٧٥) عن جمع.

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحفص بآلف بعد الراء جمعاً، والباقيون بغير ألف أفراداً. انظر «السراج المنير» (٣/٥٢٣).

أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ
وَوَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٤٨﴾

أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا ءَاذَنَّاكَ: أَعْلَمْنَاكَ الْآنَ ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ أَي: شَاهِدٍ بِأَنَّ لَكَ شَرِيكَاً.
﴿٤٨﴾ وَضَلَّ: غَابَ ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾: يَعْبُدُونَ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ
الْأَصْنَامِ، ﴿وَوَظَنُوا﴾: أَيَقْنُوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾: مَهْرَبٍ مِنَ الْعَذَابِ، - وَالنَّفْسِ
فِي الْمَوْضِعَيْنِ مُعَلَّقٌ عَنِ الْعَمَلِ، وَجُمْلَةُ النَّفْيِ سَدَّتْ مَسَدَ الْمَفْعُولَيْنِ -.

حاشية الصاوي

أُجِيب: بِأَنَّ صَاحِبَ الْكُشْفِ عِلْمُهُ بِالْهَامِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لِبَعْضِ جَزْئِيَّاتِ فَقَطْ، وَأَمَّا الْكُهَنَةُ
وَالْمَنْجُمُونَ.. فَعِلْمُهُمْ مُسْتَنَدٌ لِأُمُورٍ ظَنِّيَّةٍ قَدْ تَصِيبُ، وَالْغَالِبُ عَلَيْهَا الْخَطَأُ.
قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ (أَي: بَزَعْمَكُمْ، وَفِيهِ تَقْرِيعٌ وَتَهَكُّمٌ بِهِمْ.
قوله: ﴿قَالُوا﴾ (أَي: يَقُولُونَ، وَعَبَّرَ بِالْمَاضِي؛ لِتَحَقُّقِ الْوُقُوعِ.
قوله: (الآن) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ الْإِنْشَاءَ، لَا الْإِخْبَارَ عَمَّا سَبَقَ، فَالْجُمْلَةُ خَبَرِيَّةٌ لَفْظاً،
إِنْشَائِيَّةٌ مَعْنَى، وَيَصِحُّ أَنْ يَرَادَ الْإِخْبَارُ؛ لِتَنْزِيلِهِمْ عِلْمَهُ تَعَالَى بِحَالِهِمْ مَنْزِلَةً إِعْلَامَهُمْ بِهِ، فَأَخْبَرُوا
وَقَالُوا: أَذْنَاكَ.

قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾ (أَي: غَابَ نَفْعُهُمْ عَنْهُمْ؛ فَلَا يَشْفَعُونَ لَهُمْ، وَلَا يَنْصُرُونَهُمْ،
وَهَذَا فِي الْمَحْشَرِ، وَأَمَّا فِي النَّارِ فَيُجْمَعُونَ مَعَهُمْ.
قوله: ﴿مِنْ نَجِيصٍ﴾ (أَي: فِرَارٍ وَمَهْرَبٍ مِنَ النَّارِ.
قوله: (وَالنَّفْيِ) أَي: وَهُوَ (مَا)، وَقَوْلُهُ (فِي الْمَوْضِعَيْنِ) أَي: وَهُمَا ﴿مَا مِنَّا﴾ وَ﴿مَا لَهُمْ﴾.
قوله: (مُعَلَّقٌ عَنِ الْعَمَلِ) التَّعْلِيقُ: إِبْطَالُ الْعَمَلِ لَفْظاً لَا مُحَلّاً، وَالْعَامِلُ الْمَعْلُوقُ هُوَ (أَذْنُ) وَ(ظَنُّ).

قوله: (وجملة النفي) أَي: فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

قوله: (سَدَّتْ مَسَدَ الْمَفْعُولَيْنِ) أَي: الْأَوَّلِ وَالثَّانِي لَ(ظَنُّوا)، وَالثَّانِي وَالثَّلَاثَ لَ(أَذْنَا)؛ فَإِنَّهُ يَتَعَدَّى
لِلثَّلَاثَةِ ك: أَعْلَمَ، وَأَرَى، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ الْكَافُ.

لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَتَوْسَّ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْأَةٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

﴿٤٩﴾ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ أي: لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما، ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والشدة ﴿فَيَتَوْسَّ قَنُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين.

﴿٥٠﴾ وَلَيْنَ ﴿- لَمْ قَسَمَ -﴾ أَذَقْنَهُ ﴿: آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾: غنى وصحة ﴿وَمِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرْأَةٍ﴾: شدة وبلاء ﴿مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: بعلمي، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ﴾ المراد به جنس الكافر؛ كما يأتي في المفسر.

قوله: ﴿مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ المصدر مضاف لمفعوله.

قوله (وغيرهما) أي: كالولد ونحوه من خير الدنيا.

قوله: ﴿فَيَتَوْسَّ قَنُوطٌ﴾ خبران لمبتدأ محذوف؛ أي: فهو.

قيل: اليأس والقنوط مترادفان، وجميع بينهما للتأكيد، وقيل: اليأس: قطع الرجاء من رحمة الله، والقنوط: إظهار آثاره على ظاهر البدن، ويطلق اليأس على العلم؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِئِشَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الرعد: ٣١]. (ويئس): من باب: (فهم)، (قنط): من باب (جلس) أو (دخل) أو (طرب).

قوله: (وما بعده) أي: وهو قوله: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَهُ﴾ إلى قوله: ﴿لَلْحُسْنَى﴾، وأما قوله: ﴿فَلْيُنَبِّئَنَّ... إلخ﴾ تصريح في الكافرين، لا يحتاج للتنبيه عليه.

قوله: ﴿لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوف لسدّ جواب القسم مسدّه؛ للقاعدة المذكورة في قول ابن مالك^(١): [الرجز]

واخذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملترزم

قوله: (أي: بعلمي) أي: بما لي من الفضل والعمل والشجاعة والتدبير.

قوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ أي: تقوم.

وَلَيْن رُجِعْتُ إِلَى رَيْحٍ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنَيِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُدِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

وَلَيْن - لَامٌ قَسَم - ﴿رُجِعْتُ إِلَى رَيْحٍ إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى﴾ أي: الجنة، ﴿فَلَنُنَيِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُدِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد، - واللام في الفعلين لَامٌ قَسَم - .
﴿٥١﴾ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ الجنس ﴿أَعْرَضَ﴾ عن الشُّكْرِ ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾: ثنى عطفه مُتَبَخِّرًا، - وفي قراءة بِتَقْدِيمِ الهمزة - ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَيْن رُجِعْتُ إِلَى رَيْحٍ﴾ أي: كما تقول الرسلُ على فرض صدقهم. وقد أَكْثَرَتْ هذه الجملة بأمور؛ زيادةً في التعتُّ منها: القسم، و(إن)، وتقديمُ الظرف، والجار والمجرور.

قوله: ﴿فَلَنُنَيِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جوابٌ لقول الكافر: (ولئن رجعت... إلخ).

قوله: (الجنس) أي: من حيث هو، مُسْلِمًا أو كَافِرًا، ولكنه مُشْكَلٌ بالنسبة للكافر؛ فإنه تقدَّم أنه عند مسِّ الشرِّ كان يؤوساً قنوطاً، وهنا أفاد أنه ذو دعاء عريض؛ فيقتضي أنه راج، فحصل بين الآيتين التناقض.

وأجيب: بأنه يُمكن حملُ ما تقدَّم على أناسٍ ذُونِ آخرين، أو على الكلِّ لكن الأوقات مختلفة؛ فبعضُ الأوقات يكونون آيسين، وبعضُ الأوقات يكونون راجين.

قوله: ﴿وَنَسَا بِجَانِبِهِ﴾ بتقديم الألف على الهمزة بوزن: (قال)، وقوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً، وقوله: (بتقديم الهمزة) أي: على الألف بوزن: (رمى)، والنون مقدَّمة على كليهما^(١).

قوله: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ أي: فهو ذو دعاء.

قوله: (كثير) أشار بذلك إلى أنَّ العَرَضَ يُطلق على الكثرة كالطول؛ يُقال: أطال فلان الكلام، وأعرَضَ في الدعاء: إذا أكثر.

(١) قرأ أبو جعفر وابن ذكوان بتقديم الألف على الهمزة، والباقون بتقديم الهمزة على الألف. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٨٥).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ
بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ ﴿أَي: الْقُرْآنُ﴾ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿كَمَا قَالَ النَّبِيُّ﴾، ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ ﴿مَنْ﴾: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾: خِلَافٍ ﴿بَعِيدٍ﴾ عَنِ الْحَقِّ، أَوْقَعَ هَذَا مَوْقِعَ (مِنْكُمْ) بَيَانًا لِحَالِهِمْ.

﴿٥٣﴾ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ: أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ النَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ، ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ (رأى): في الأصل عِلْمِيَّةٌ أَوْ بَصَرِيَّةٌ، أُطْلِقَ الْعِلْمُ أَوْ الْإِبْصَارُ وَأُرِيدَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ وَهُوَ الْخَبَرُ، ثُمَّ أُطْلِقَ الْاسْتِفْهَامُ عَنِ الْعِلْمِ وَالْإِبْصَارِ وَأُرِيدَ مِنْهُ طَلَبُ الْإِخْبَارِ، فِيهِ مَجَازَانٌ^(١).

قوله: (كما قال النبي) المناسب إسقاطه^(٢).

قوله: (أي: لا أحد) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ.

قوله: (أَوْقَعَ هَذَا) أي: قوله: ﴿مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

قوله: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ الضمير عائدٌ على كَفَّارِ مَكَّةَ، والمعنى: سنري كَفَّارَ مَكَّةَ دلائلَ قدرتنا حالَ كونها في الآفاق؛ جمع أَفُقٍ؛ ك: أَغْنَاقٍ وَغُنُقٍ، ويُقال: أَفُقٍ بفتح الحين ك: جَبَلٍ وَأَجْبَالٍ.

قوله: (من النيرات) أي: الشمس والقمر والنجوم، وقوله: (والأشجار والنبات) أي: والرياح والأمطار والجبال والبحار، وغير ذلك من العجائب العلوية والسفلية.

قوله: ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: كخلقهم أولاً نُطْفَأَ ثُمَّ عَلِقَ ثُمَّ مُضْغاً ثُمَّ عِظَماً، ثُمَّ بعد تمام مُدَّتِهِمْ فِي الْبُطُونِ يَخْرُجُهُمْ إِلَى فِضَاءِ الدُّنْيَا ضِعَافاً، ثُمَّ يُعْطِيهِمُ الْقُوَّةَ شَيْئاً فِشْئاً وَهَكَذَا.

(١) استعمالُ (رأى) التي بمعنى (علم) أو (أبصر) في الإخبار، واستعمالُ الهمزة التي هي لطلب الرؤية في طلب الإخبار. «فتوحات» (٥١/٤) نقلاً عن الشهاب.

(٢) لأن تقديره ليس ضرورياً. «فتوحات» (٥١/٤) نقلاً عن شيخه العلامة الأجهوري.

حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾

من لَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَبَدِيعِ الْحِكْمَةِ، ﴿حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ﴾ الْمُنَزَّلُ مِنْ اللَّهِ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ، فَيُعَاقِبُونَ عَلَى كُفْرِهِمْ بِهِ وَبِالْجَائِي بِهِ، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾ - فاعِلٌ ﴿يَكْفِ﴾ - ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ - بدلٌ منه - أي: أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ فِي صِدْقِكَ أَنَّ رَبَّكَ لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ مَا؟

حاشية الصاوي

واستشكل ظاهر الآية: بأنَّ السَّيْنَ تَدُلُّ عَلَى تَخْلِيصِ الْمَضَارِعِ لِلِاسْتِقْبَالِ، مَعَ أَنَّهُمْ مُشَاهِدُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الْحَالِ.

أُجِيب: بأنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مِضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ: سَنَرِيهِمْ عَوَاقِبَ آيَاتِنَا وَأَسْرَارَهَا؛ ففِيهِ وَعْدٌ لِلْمُعْتَبِرِ، وَوَعِيدٌ لغيرِهِ؛ لِأَنَّ حِكْمَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ النَّظَرُ وَالتَّأَمُّلُ وَالاعتِبَارُ، فَمَنْ اعتَبَرَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ.. فَقَدْ سَعِدَ، وَمَنْ تَرَكَ.. فَقَدْ شَقِيَ.

قوله: (من لَطِيفِ الصَّنْعَةِ وَبَدِيعِ الْحِكْمَةِ) من ذلك: مَا خَلَقَهُ وَأَبْدَعَهُ فِي نَفْسِ الْإِنْسَانِ؛ كَالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ يَدْخُلُ مِنْ مَكَانٍ وَاحِدٍ، وَيَتَمَيَّزُ ذَلِكَ خَارِجاً مِنْ مَكَانَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، لَا يَخْتَلِطُ أَحَدُهُمَا بِالْآخَرِ، وَالبَصَرُ فَإِنَّهُ يُنْظَرُ بِهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ، وَالسَّمْعُ فَإِنَّهُ يُفْرَقُ بِهِ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وهذا مَا قَرَّرَ بِهِ الْمَفْسِّرُ الْآيَةَ، وَهناك اِحْتِمَالَاتٌ أُخْرَى مِنْهَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الْآيَاتِ): مَا أَخْبَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْحَوَادِثِ الْآتِيَةِ، وَالْمُرَادَ بِ(الْآفَاقِ): فَتْحُ الْقُرَى لَهُ وَلِخُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ الَّذِي لَمْ يَتَيَسَّرْ مِثْلُهُ لِأَحَدٍ مِنْ خُلَفَاءِ الْأَرْضِ قَبْلَهُمْ، وَالْمُرَادَ بِ(أَنْفُسِهِمْ): فَتْحُ مَكَّةَ وَمُلْكُهَا، وَقَدْ تَحَقَّقَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَخُلَفَائِهِ مِنْ بَعْدِهِ.

ومنها: أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الْآيَاتِ): وَقَائِعُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَالْمُرَادَ بِ(أَنْفُسِهِمْ): مَا حَصَلَ لَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، وَمِنْهَا غَيْرُ ذَلِكَ.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ﴾... إلخ) الهمزة داخلية على محذوف، والواو عاطفة عليه، والتقدير: أَتَحْزَنُ عَلَى إِنْكَارِهِمْ وَمُعَارَضَتِهِمْ لَكَ وَلَمْ يَكْفِكَ رَبُّكَ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِي، وَالْبَاءُ زَائِدَةٌ فِي الْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ مُحْذَوْفٌ، تَقْدِيرُهُ: يَكْفِيكَ، وَ(أَنَّ) وَمَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ: فِي تَأْوِيلِ مَصْدَرٍ، بَدَلٌ مِنَ الْفَاعِلِ بَدَلٌ كُلٌّ مِنْ كُلٍّ، وَالْمَعْنَى: أَتَحْزَنُ عَلَى كُفْرِهِمْ وَلَمْ يَكْفِكَ شَهَادَةُ رَبِّكَ لَكَ وَعَلَيْهِمْ؟

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ (٥٤)

﴿٥٤﴾ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ﴾: شَكٌّ ﴿مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ لإنكارِهِم البعث، ﴿أَلَّا إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ علماً وقُدرةً، فيُجازِيهِم بِكُفْرِهِم.



حاشية الصاوي

والمفسّر قرّر الآية بتقرير آخر، والمؤدّي واحد؛ حيث جعل الآية إخباراً عن حالهم، وعليه فالمعنى: ألم يعتبروا ويكفهم شهادة ربّك لك بالصدق وعليهم بالتكذيب؟

قوله: (لإنكارهم البعث) أي: بالسنتهم، والمعنى: أنّ الدليل لنا على كونهم في شكٍّ من لقاء ربهم إنكارهم بالسنتهم للبعث، ولا يقال: إنّ عندهم جزم^(١) في قلوبهم بعدم البعث؛ لأننا نقول: لا دليل لهم عليه حتى يحصل الجزم بالأوهام ووساوس شيطانه، والحجة القطعية إنما هي على البعث، وهكذا سائر عقائد الكفر، فتدبّر.

قوله: ﴿﴿أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾﴾ تسليّة له ﷺ، والمعنى: لا تحزن على كفرهم؛ فإنّ الله محيطٌ بكلّ شيء؛ فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ومن لازمه أنه يُجازيهم؛ فلذلك قال المفسّر: (فيجازيهم).



(١) كذا في الأصول؛ بالرفع، فيكون اسم (إن) ضمير شأن محذوفاً؛ كقوله عليه الصلاة والسلام: «إنّ من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوّنون»، كما رواه النسائي في «المجتبى» (٢١٦/٨)، والأصل: إنه؛ أي: الشأن. انظر «مغني اللبيب» (ص ٥٦).

﴿حَمْدٌ ١﴾ عَسَقٌ ٢ ﴿كَذَلِكَ



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...﴾ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ، ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حَمْدٌ ١﴾ عَسَقٌ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ.

(٣ - ٤) ﴿كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الْإِيحَاءِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الشُّورَى

بالتعريف، وتسمّى أيضاً: سورة (شورى) من غير تعريف، وسورة (حم عسق)، وسورة (عسق)، وسورة (حم سق).

قوله: ﴿إِلَّا ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾...﴾ (إلخ) وقيل: أول المدني ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ﴾، وينتهي إلى ﴿عَلَيْكُمْ يَذَاتِ الضُّدُورِ﴾، وقيل: فيها من المدني أيضاً قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾.

قوله: ﴿﴿حَمْدٌ ١﴾ عَسَقٌ﴾ أجمع القُراء على أنَّ ﴿حَمْدٌ﴾ مفصولة عن ﴿عَسَقٌ﴾ في الخط، وعلى أنَّ ﴿كَهَيْعَصَ﴾ متصلة ببعضها، والحكمة في ذلك: أنَّ ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾ فُصِّلَتْ لما قيل: إنهما اسمان للسورة، وأيضاً: ليطابق سائر الحواميم.

قوله: (أي: مثل ذلك الإيحاء) أشار بذلك إلى أنَّ الكاف في محل نصب على المفعولية المطلقة، والمعنى: يُوحى إليك وإلى الذين من قبلك إيحاءً مثل ذلك الإيحاء في المعنى؛ لما ورد عن ابن عباس: ليس من نبيٍّ صاحب كتاب إلا وقد أُوحي إليه ﴿حَمْدٌ عَسَقٌ﴾^(١).

(١) انظر «تفسير البغوي» (٧/ ١٨٤).

يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ
.....

﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَ﴾ أَوْحَى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ﴾ - فاعِلُ الإيحاء - ﴿الْعَزِيزُ﴾ في مُلْكِهِ،
﴿الْحَكِيمُ﴾ في صُنْعِهِ. ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾
على خَلْقِهِ، ﴿الْعَظِيمُ﴾: الْكَبِيرُ.

﴿٥﴾ ﴿تَكَادُ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - ﴿السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ - بِالنُّونِ، وفي قِرَاءَةِ بِالتَّاءِ وَالتَّشْدِيدِ -

حاشية الصاوي

ووجهُ المشابهة: أَنَّ الموحى به في الكل يرجع لأمر ثلاثٍ: التوحيد، والنبوة، والبعث، فهذا
القدر مُشتركٌ بين القرآن وغيره من الكتب.

قوله: ﴿﴿يُوحِي إِلَيْكَ﴾﴾ جمهور القراء على أنه بالياء مبنياً للفاعل، و﴿اللَّهُ﴾ فاعله، وقرأ ابن كثير
بالبناء للمفعول، ونائب الفاعل: إما ضميرٌ عائد على ﴿كَذَلِكَ﴾، أو الجارُّ والمجرور، وقوله: ﴿اللَّهُ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فاعل بفعل محذوف، كأنه قيل: مَنْ يُوحِيه؟ فقيل: يوحيه الله؛ نظير: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ)^(١)، وُقرئ شذوذاً بالنون مبنياً للفاعل، ولفظ الجلالة بدلٌ من الضمير
في (نُوحِي) الواقع فاعلاً^(٢).

قوله: ﴿﴿و﴾﴾ أَوْحَى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾﴾ أشار بذلك إلى أن ﴿يُوحِي﴾ مستعملٌ في حقيقته
ومجازه، فهو مستعملٌ في المستقبل بالنظر لما لم يُنزل عليه من القرآن حينئذٍ، وفي الماضي بالنظر
لما أنزل عليه بالفعل، وبالنظر لما أنزل على الرسل السابقين.

قوله: (فاعل الإيحاء) أي: على قراءة الجمهور، وأما على قراءة البناء للمفعول.. فهو فاعل
بفعل محذوف، وعلى قراءة النون.. فهو بدلٌ من ضمير (نُوحِي).

قوله: ﴿﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾﴾ على خلقه) أي: المنزَّه عن صفات خلقه.

قوله: ﴿﴿الْعَظِيمُ﴾﴾ أي: المنفرد بالكبرياء والعظمة.

قوله: (بالنون... إلخ) ظاهره: أن القراءات أربعٌ من ضرب اثنين في اثنين، وليس كذلك،

(١) في قراءة ابن عامر وشُعْبة بفتح باء (يُسَبِّحُ) مبنياً للمفعول؛ فإن التقدير: يُسَبِّحُهُ رِجَالٌ. انظر «مغني اللبيب»
(ص ٧١٠).

(٢) وبها قرأ أبو حيوة والأعمش وأبان. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٣٧).

مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ.....

﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ أي: تَنَشَّقُ كُلُّ وَاحِدَةٍ فَوْقَ الَّتِي تَلِيهَا مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي: مُلَاحِظِينَ لِلْحَمْدِ، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،

حاشية الصاوي

بل هي ثلاثة فقط سَبْعِيَّاتٍ؛ لِأَنَّ مِنْ قَرَأَ ﴿تَكَادُ﴾ بِالتَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ يُجَوِّزُ فِي (يَنْفَطِرْنَ) الْوَجْهَيْنِ، وَمَنْ قَرَأَ (يَكَادُ) بِالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ.. لَا يَقْرَأُ (يَنْفَطِرْنَ) إِلَّا بِالتَّاءِ مَعَ التَّشْدِيدِ^(١).

قوله: (أي: تَنَشَّقُ كُلُّ وَاحِدَةٍ) أي: تَسْقُطُ السَّابِعَةُ فَوْقَ السَّادَةِ، وَالسَّادَةُ فَوْقَ الْخَامَةِ، وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَسْقُطَ الْجَمِيعُ فَوْقَ الْأَرْضِ، فَتَنَشَّقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا، وَالتَّقْيِيدُ بِالْفَوْقِيَّةِ أُبْلَغُ فِي مَزِيدِ الْهَيْبَةِ وَالْجَلَالِ.

قوله: (فَوْقَ الَّتِي تَلِيهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿فَوْقِهِنَّ﴾ عَائِدٌ عَلَى السَّمَوَاتِ، وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى فِرْقِ الْكَفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ، أَوْ عَلَى الْأَرْضِيِّينَ؛ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِ الْأَرْضِ^(٢).

قوله: (مِنْ عَظَمَتِهِ تَعَالَى) أي: فَالسَّمَاوَاتُ تَكَادُ تَنَشَّقُ وَتَخْرُ؛ خَوْفًا مِنَ الْجَلَالِ النَّاشِئِ عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿أَتَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ (مَرْيَمَ)^(٣).

قوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾... (إِلَخ) هَذَا كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، سَبَقَ لِبَيَانِ فَضْلِ بَنِي آدَمَ.

قوله: (مِنْ الْمُؤْمِنِينَ) أي: وَالْمُرَادُ بِالْمَلَائِكَةِ: حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَمَنْ حَوْلَهُ؛ بِدَلِيلِ مَا تَقَدَّمَ فِي (غَافِرٍ)، فَحَمَلُ الْمَطْلُوقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ^(٤).

وقيل: الْمُرَادُ: مَطْلُوقُ الْمَلَائِكَةِ، وَبِـ(مِنْ فِي الْأَرْضِ) الْعُمُومُ، فَيَشْمَلُ جَمِيعَ الْحَيَوَانَاتِ، وَالْمُرَادُ بِالِاسْتِغْفَارِ: طَلَبُ الْأَرْزَاقِ وَدَفْعُ الْبَلَاءِ، وَكُلُّ صَحِيحٌ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: أَنْصَحَ عِبَادَ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةِ، وَأَعَشَّ عِبَادَ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ الشَّيَاطِينَ^(٥).

(١) قَرَأَ نَافِعٌ وَالْكَسَائِيُّ بِالْيَاءِ التَّحْتِيَّةِ، وَالْبَاقُونَ بِالْفَوْقِيَّةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَنْفَطِرْنَ﴾ قَرَأَهُ شُعْبَةُ وَأَبُو عَمْرٍو بَعْدَ الْيَاءِ بَنُونَ سَاكِنَةً وَكَسَرَ الطَّاءَ مُخَفَّفَةً، وَالْبَاقُونَ بَعْدَ الْيَاءِ بَتَاءً فَوْقِيَّةً مُفْتُوحَةً وَفَتْحَ الطَّاءِ مُشَدَّدَةً. انظر «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٣/٥٢٧).

(٢) ذَكَرَ الْأَوْجُهَ الثَّلَاثَةَ الْعَلَامَةُ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ فِي «الدَّرِّ الْمَصُونِ» (٩/٥٣٩).

(٣) انظر (٤/٢٤٥).

(٤) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، وَانظر (٦/٦١).

(٥) مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ كَمَا رَوَاهُ عَنْهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢١/٢٥٨).

أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ
 ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِمْ.

﴿٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ اللَّهِ حَفِظَ﴾: مُحَصَّنٌ عَلَيْهِمْ لِيُجَازِيَهُمْ، ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ تُحْصِلُ الْمَطْلُوبَ مِنْهُمْ، مَا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.

﴿٧﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مِثْلَ ذَلِكَ الْإِيحَاءِ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ﴾: تُخَوِّفُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ...﴾ (إلخ) ﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح يُؤتى بها لتأكيد ما بعدها، وقد وصف سبحانه وتعالى نفسه بالمغفرة والرحمة، وأكد ذلك بـ(ألا) الاستفتاحية، و(إن)، والجملة الاسمية؛ تفضلاً منه وإحساناً؛ للإشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه.

قوله: (أي: الأصنام) تفسير للمفعول الأول، فهو محذوف، والثاني هو قوله: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾، والمعنى: والذين اتخذوا الأصنام آلهةً مَعْبُودَةً قائلين: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، يدل عليه الآية الأخرى^(١).

وأما الأولياء بمعنى: المتوليين خدمة ربهم وتولاهم بمحبته ومعرفته.. فمحببتهم والتعلق بهم من جملة طاعة الله؛ لأنهم الوسيلة لنا إلى الله ورسوله، وليست محبتنا لهم وتوكلنا بهم شركاً إلا إذا كانت على وجه العبادة كالسجود مثلاً، واعتقاد أنهم يؤثرون بذواتهم في نفع أو ضرر، خلافاً للخوارج الضالين المضللين؛ حيث زعموا أن كل من توسل إلى الله بأحد سواه فهو مشرك.

قوله: ﴿اللَّهُ حَفِظَ﴾ (أي: ضابط لهم وأعمالهم؛ فلا يغيب عنه شيء منها، ولا يفلتون منه، فهذه الآية توبيخ للكفار، وتسلية له ﷺ).

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ يصح أن يكون مفعولاً مطلقاً لـ ﴿أَوْحَيْنَا﴾، و﴿قُرْآنًا﴾: مفعول به، والتقدير: وأوحينا إليك قرآنًا عربياً إحياء كذلك، واسم الإشارة عائد على الإحياء المتقدم في قوله: ﴿كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ...﴾ (إلخ)، ويصح أن يكون مفعولاً به، و﴿قُرْآنًا﴾: حال، والتقدير: وأوحينا إليك مثل ذلك الإحياء حال كونه قرآنًا عربياً.

(١) في سورة (الزمر): ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَنْبَغُ لَهُمْ إِنْ يَخِذُوا إِلَى اللَّهِ فَلْيُحْكَمْ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

أَمْ الْفُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

﴿أَمْ الْفُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: أهل مكة وسائر الناس، ﴿وَنُذِرَ﴾ الناس ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ أي: يوم القيامة تُجمع فيه الخلائق، ﴿لَا رَيْبَ﴾: شك ﴿فِيهِ فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾: النار.

﴿٨﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿٨﴾ أي: على دين واحد

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْ الْفُرَى﴾ سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها أوَّل بلدٍ خلقها الله وشرفها؛ ولذا بعث لها أصل الخلق وأشرفهم، وهو سيِّدنا محمد ﷺ.

قوله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من كلِّ جهة، فهو مَبْعُوثٌ لسائر أهل الأرض، بل وأهل السماء^(١). وإنما اقتصر على الإنذار وإن كان مَبْعُوثاً بالبشارة أيضاً؛ لأنه في ذلك الوقت لم يكن محلٌّ للبشرى؛ لأنَّ الخلق في ذلك الوقت كفَّارٌ.

قوله: ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ هو المفعول الثاني، والأوَّل محذوفٌ، قدَّره المفسِّر بقوله: (الناس) عكس الفعل الأوَّل؛ فإنه قد ذكر المفعول الأوَّل، وحذف الثاني، تقديره: العذاب؛ ففي الآية احتباك؛ حيث حذف من كلِّ نظير ما أثبتَّه في الآخر.

قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حال من ﴿يَوْمَ الْجَمْعِ﴾.

قوله: ﴿فَرِيقٌ﴾ إمَّا مبتدأ في كلِّ خبره الجارُّ والمجرور بعده، والمسبوغُ للابتداء بالنكرة وقوعها في معرض التفصيل وهو الأوَّل، أو مبتدأ خبره محذوف، تقديره: منهم، أو خبرٌ لمبتدأ محذوف؛ أي: هم.

قوله: ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾ المراد بها: دار الثواب، فتعُمُّ جميع الجنان، وقوله: ﴿وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ المراد به: دار العذاب بجميع طباقها؛ فالجنة لمن لم يتَّصف بالكفر من الثقلين إنساً وجناً، والنار لمن اتَّصف بالكفر من المكلفين إنساً وجناً.

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مفعول ﴿شَاءَ﴾ محذوفٌ، وتقديره: جعلهم أُمَّةً واحدةً، والمعنى:

(١) كما رجَّحه جمع مُحَقِّقُونَ كالسبكي ومَن تبعه، ونقله عنهم الإمام المحقق ابن حجر الهيتمي في «تحفته» (٢٥/١)، ثم نقل عن البارزي أنه قال: (أرسل حتى للجُمادات بعد جعلها مُدركة، وفائدة الإرسال للمعصوم وغير المكلف: طلب إذعانها لِشرفه، ودخولهما تحت دعوته، واتباعه تشريعاً له على سائر المرسلين).

وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ

وهو الإسلام، ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا
نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

﴿٩﴾ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ - (أم) مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بل)
التي للانتقال، والهمزة للإنكار - أي: ليس المتخذون أولياء ﴿فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي: الناصر
حاشية الصاوي

أَنَّ الأمر كله لله؛ فلا يُسأل عما يفعل، فحكمته سبقت بأن خلق جنة وخلق لها أهلاً، وخلق ناراً
وخلق لها أهلاً.

قوله: (وهو الإسلام) أي: أو الكفر.

قوله: ﴿وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ أي: يفضله وإحسانه، وهم فريق الجنة.

قوله: ﴿وَالظَّالِمُونَ﴾ أي: وهم فريق النار، وهو مقابل قوله: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾، وكان
مقتضى الظاهر أن يقال: (ويدخل من يشاء في غضبه)، وعدل عنه إلى ما ذكر؛ إشارة إلى دفع توهم
أَنَّ لهم شافعاً ونصيراً في الآخرة، وأمّا دخولهم في الغضب.. فأمرٌ معلومٌ لا يحتاج للنص عليه.

قوله: (الكافرون) تفسيراً لـ (الظالمون)، فالمراد بالظلم: الكفر، وأمّا الظالمون بمعنى: العاصين
بغير الكفر.. فلهم نصير يدفع عنهم العذاب؛ لما في الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(١).

قوله: (التي للانتقال) أي: من بيان المسبب لبيان السبب؛ فاتخاذهم الأصنام آلهة سبب
في دخولهم النار.

قوله: (وهمزة الإنكار) هذا أحد أوجه في (أم) المنقطعة، وهو أنها تُقدَّر بـ (بل) والهمزة،
ويصحُّ تقديرها بـ (بل) وحدها، أو الهمزة وحدها.

قوله: (أي: ليس المتخذون أولياء) أي: فالنفي منصبٌ على المفعول الثاني.

قوله: ﴿فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أي: المعبود بحق، المتولّي أمورَ الخلق، والجملة المعرفة الطرفین
تفيد الحصر؛ فلا معبود بحق إلا الله تعالى.

(١) رواه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وابن ماجه (٤٣١٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

لِلْمُؤْمِنِينَ - والفاء لمجرد العطف - ﴿وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ﴾ مع الكفار ﴿فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الدين وغيره ﴿فَحُكْمُهُ﴾ مردود ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ، قُلْ لَهُمْ: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع.

حاشية الصاوي

إن قلت: مقتضى الحصر هنا أن لفظ (الولي) لا يتَّصف به المخلوق، ومقتضى آية ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] أنه يتَّصف به المخلوق؛ فكيف الجمع بينهما؟

أجيب: بأن معنى (الولي) هنا: المعبود بحق، وذلك لا يتَّصف به غيره تعالى، وأمّا الولي في تلك الآية.. فمعناه: المنهيك في طاعة الله تعالى، المتولي الله أموره، وتقدّم ذلك^(١).

قوله: (والفاء لمجرد العطف) أي: عطف ما بعدها على ما قبلها، وردّ بذلك على الزمخشري القائل: إنَّ الفاء واقعة في جواب شرط مُقدَّر؛ أي: إن أرادوا أولياء بحق.. فالله هو الولي، قال أبو حيان: لا حاجة إلى هذا التقدير؛ لتمام الكلام بدونه^(٢).

قوله: ﴿وَمَا أَخْلَقْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما: مبتدأ، شرطية أو موصولة، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾: بيان لـ(ما)، وقوله: ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ خبر المبتدأ.

قوله: (وغيره) أي: كأمر الدنيا.

قوله: (يفصل بينكم) أي: فيدخل المحقّ الجنّة، والمبطل النار.

قوله: ﴿ذَلِكُمُ﴾ اسم الإشارة: مبتدأ، أُخْبِرَ عنه بأخبار أولها: لفظ الجلالة، وآخرها: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾.

قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أي: فوّضتُ أموري.

(١) انظر (٢٢٢/٣).

(٢) انظر «الكشاف» (٢١٦/٤)، و«البحر المحيط» (٤٨٨/٧).

فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ

﴿١١﴾ ﴿فَاطَرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: مُبْدِعُهُمَا، ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾: حَيْثُ خَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ، ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾: ذُكُورًا وَإِنَاثًا، ﴿يَذُرُوكُمْ﴾ بِالْمُعْجَمَةِ: يَخْلُقُكُمْ ﴿فِيهِ﴾: فِي الْجَعْلِ الْمَذْكُورِ، أَي: يُكْثِرُكُمْ بِسَبَبِهِ بِالتَّوَالُدِّ، وَالضَّمِيرُ لِلْإِنْسَانِيِّ وَالْأَنْعَامِ بِالتَّغْلِيبِ،

حاشية الصاوي

قوله: (مُبدِعُهُمَا) أي: على غير مثالٍ سابقٍ.

قوله: ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: من جِنْسِكُمْ، وقوله: ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: نساءً.

قوله: (حَيْثُ خَلَقَ حَوَاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ) أي: اليسرى وهو نائم، فلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَرَأَاهَا سَكَنَ وَمَالَ إِلَيْهَا، وَمَدَّ يَدَهُ لَهَا، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَهْ يَا آدَمَ، قَالَ: وَلِمَ وَقَدْ خَلَقَهَا اللَّهُ لِي؟ فَقَالُوا: حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَهَا، قَالَ: وَمَا مَهْرُهَا؟ قَالُوا: حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، وَفِي رِوَايَةٍ: لَمَّا رَامَ آدَمَ الْقُرْبَ مِنْهَا.. طَلَبَتْ مِنْهُ الْمَهْرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ؛ وَمَاذَا أُعْطِيهَا؟ فَقَالَ: يَا آدَمَ صَلِّ عَلَى حَبِيبِي مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عِشْرِينَ مَرَّةً، فَلَمَّا فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ خَطَبَ اللَّهُ لَهُ خُطْبَةَ النِّكَاحِ، ثُمَّ قَالَ: اشْهَدُوا يَا مَلَائِكَتِي وَحَمَلَةُ عَرْشِي أَنِّي زَوَّجْتُ أُمَّتِي حَوَاءَ مِنْ عَبْدِي آدَمَ^(١).

والضلع: بوزن (عَنْبٍ) و(جَمَلٍ)؛ فَالضَّادُ مَكْسُورَةٌ، وَاللَّامُ إِمَّا مَفْتُوحَةٌ أَوْ سَاكِنَةٌ، وَفَعْلُهُ: ضَلَعَ مِنْ بَابِ (تَعَبَ): اعْوَجَّ، وَمِنْ بَابِ (نَفَعَ): مَالَ عَنِ الْحَقِّ.

قوله: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ أي: أصنافاً.

قوله: (أي: يُكْثِرُكُمْ بِسَبَبِهِ) أشار بذلك إلى أَنَّ (فِي) لِلْسَّبَبِيَّةِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿فِيهِ﴾ عَائِدٌ عَلَى الْجَعْلِ الْمَأْخُوذِ مِنْ ﴿جَعَلَ﴾.

قوله: (والضمير للأناسي) أي وهو الكاف في ﴿يَذُرُوكُمْ﴾.

قوله: (بالتغليب) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ جَمَعَ بَيْنَ الْعَاقِلِ وَغَيْرِهِ فِي ضَمِيرٍ وَاحِدٍ؟ فَكَانَ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنَّ يُقَالُ: يَذُرُوكُمْ وَيَذَرُوهَا.

(١) أوردتهما الحافظ القسطلاني في «المواهب اللدنية» (١/ ٥٠)، ونحوه ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص ٣٠٧)، وخطبة النكاح في «شرح المواهب» للزرقاني (١/ ١٠٢).

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ - الكاف زائدة لَأَنَّهُ تَعَالَى لَا مِثْلَ لَهُ - ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِمَا يُقَالُ،
﴿الْبَصِيرُ﴾ لِمَا يُفَعَّلُ.

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِمَا

حاشية الصاوي

قوله: (الكاف زائدة) أي: للتأكيد، وهذا أحد أجوبة عن سؤال مقدّر، وهو أَنَّ ظاهر الآية يُوهم ثبوت المثل له تعالى، وهو محال؛ لأنه يصير التقدير: ليس مثل مثله شيء، فنفي المماثلة عن مثله، فثبت أَنَّ له مثلاً ولا مثل له، وأيضاً: يلزم عليه التناقض؛ لأنه إذا كان له مثل فلمثله مثل، وهو هو، مع أَنَّ إثبات المثل لله تعالى مُحال^(١).

فأجاب المفسّر: بأنَّ الكاف زائدة، والتقدير: ليس مثله شيء، وهذا الجواب أسهل الأجوبة في هذا المقام.

وأجيب أيضاً: بأن (مثل) زائدة، وردّ: بأنَّ زيادة الأسماء غير جائزة، وأيضاً: يلزم عليه دخول الكاف على الضمير، وهو لا يجوز إلا في الشعر.

وأجيب أيضاً: بأنَّ المثل بمعنى: الصفة، وحينئذٍ فالتقدير: ليس مثل صفته شيء.

وأجيب أيضاً: بأنَّ الكاف أصلية، والكلام من قَبِيلِ الكناية؛ كقولهم: مثلك لا ييخل، وليس لأخ^(٢) زيد أخ، فنفي المماثلة عن المثل مبالغة في نفيها عنه هو؛ لأنَّ العرب تُقيم المثل مقام النفس^(٣).

قوله: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جمع (مَقْلَدٍ)، أو (مَقْلِيدٍ)، أو (إِقْلِيدٍ).

(١) قال العلامة السمين: (وهذه طريقة غريبة في تقرير الزيادة، وهي طريقة حسنة فيها حسن صناعة). انظر «الدر المصون» (٥٤٤/٩).

(٢) كذا في الأصل على لغة النقص، والأشهر الإعراب بالحروف كما في (ط٢): (لأخي).

(٣) فتقول: مثلي لا يقال له هذا؛ أي: أنا لا يُقال لي هذا. وقال الراغب: المثل: أعظم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أن النَّدَّ يُقال لما يشارك في الجوهر فقط، والشَّبه: يُقال فيما يشاركه في الكيفية، والمساوي: يُقال فيما يشاركه في الكمية فقط، والشكل: يُقال فيما يشاركه في القدر والمساحة، والمِثْلُ: عامٌّ في جميع ذلك؛ ولهذا لما أراد الله تعالى نفي الشبيه من كلِّ وجوَّ خَصَّهُ بالذكر، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾. «فتوحات» (٥٨/٤)، وانظر «تفسير الراغب» (١١٣/١).

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا

من المَطَرِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهِمَا، ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾: يُوسِّعُهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امْتِحَانًا، ﴿وَيَقْدِرُ﴾: يُضَيِّقُهُ لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴿هُوَ أَوَّلُ أَنْبِيَاءِ الشَّرِيعَةِ،﴾

حاشية الصاوي

قوله: (من المطر... إلخ) بيانٌ للخزائن، وقوله: (وغيرهما) أي: كالجواهر المستخرجة من الأرض.

قوله: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ تعليلٌ لما قبله.

قوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ الخطاب لأمة محمد ﷺ، والمعنى: بيّن لكم وجعل لكم ديناً قوياً واضحاً، تطابقت على صحته الأنبياء والرسل من قبل، وهو تفصيلٌ لما أجمل أولاً في قوله: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾.

قوله: ﴿مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾... إلخ) خصّ هؤلاء بالذكر؛ لأنهم أكابرُ الأنبياء وأولو العزم وأصحابُ الشرائع المعظمة المستقلة المتجددة، فكان كلٌّ من هؤلاء الرسل له شرعٌ جديد، وأمّا من عداهم من الرسل... إنما كان يُبعث بتبليغ شرع من قبله؛ فمن بين نوح وإبراهيم - وهما هود وصالح - بُعثا بتبليغ شرع نوح، ومن بين إبراهيم وموسى بُعثوا بتبليغ شرع إبراهيم، وكذا من بين موسى وعيسى بُعثوا بتبليغ شرع موسى، وإنما لم يذكر من قبلهم؛ لأنه لم يكن قبل نوح أحكامٌ مشروعة؛ لأنّ آدم كان شرعهُ التوحيد ومصالح المعاش، واستمرّ ذلك الأمر إلى نوح، فبعثه الله تعالى بتحريم الأمّهات والبنات والأخوات، ووظف عليه الواجبات، وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك الأمر يتأكد بالرسول، ويتناصر بالأنبياء واحداً بعد واحد، وشرعة إثر شرعة، حتى ختمها الله بخير الملل ملّةً، على لسان أكرم الرسل نبينا ﷺ، فتبيّن بهذا أنّ شرعنا معشر الأمة المحمدية قد جمّع جميع الشرائع المتقدمة.

قوله: (هو أولُ أنبياء الشريعة) أي: فهذا حكمة بذّته بنوح، وأيضاً: لتقدّمه في الزمان.

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ
كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ
يُنِيبُ ﴿١٣﴾

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ هَذَا
هُوَ الْمَشْرُوعُ الْمُوصَى بِهِ وَالْمُوحَى إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ، ﴿كَبُرَ﴾: عَظُمَ ﴿عَلَى
الْمُشْرِكِينَ مَا نَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ مِنَ التَّوْحِيدِ، ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾: إِلَى التَّوْحِيدِ ﴿مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾: يُقْبِلُ إِلَى طَاعَتِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أتى بالاسم الموصول الذي هو أصل الموصولات، وعبر
في جانبه ﷺ بالإيحاء؛ تعظيماً لشأنه، ورداً على المشركين المنكرين بعثته ﷺ؛ حيث قالوا: لست
مرسلاً.

قوله: ﴿أَنْ أَقِمُوا الدِّينَ﴾ الأوضح أَنَّ (أَنْ) تفسيريّة بمعنى (أَي)، ويصح أن تكون مصدرية إمّا
في محل رفع خبر لمحذوف، تقديره: هو إقامة الدين، أو في محل نصب بدل من مفعول ﴿شَرَعَ﴾،
والمراد بإقامة الدين: تعديل أركانه وحفظه، والمواظبة عليه.

قوله: (هو التوحيد) بيان للمراد من الدين الذي اشترك فيه هؤلاء الرسل، وأما قوله: ﴿وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فهو أعم من ذلك؛ فإنَّ المراد به جميع الشريعة أصولاً وفروعاً، وإنما اقتصر على
التوحيد؛ لأنه رأس الدين وأساسه.

قوله: ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: شقَّ عليهم.

قوله: (مِن التوحيد) اقتصر عليه؛ لأنه عماد الدين، وإلا... فما يدعوههم إليه عامٌّ يشمل جميع
الأصول والفروع.

قوله: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ﴾ من الاجتباء، وهو اصطفاء الله العبد، وتوفيقه لما يرضاه،
وتخصيصه بالفيوضات الربانية.

قوله: ﴿مَنْ يُنِيبُ﴾ ضمَّنه معنى (يُقْبِلُ) أو (يميل) فعَّاه به (إلى).

وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ

﴿١٤﴾ ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين بأن وَحَّدَ بَعْضٌ وَكَفَرَ بَعْضٌ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بِالتَّوْحِيدِ ﴿بَغْيًا﴾ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بِتَأخيرِ الْجَزَاءِ ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بِتَعْذِيبِ الْكَافِرِينَ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ الضمير عائدٌ على أهل الأديان المتقدمين من أوّل الزمان لآخره؛ كما قال المفسّر، والمرادُ بأهل الأديان: أُمَمُ الأنبياء المتقدمين كأُمَّة نوح، وأُمَّة هود، وأُمَّة صالح وغيرهم، وأخذ المفسّر العموم من مجموع روايات عن ابن عباس وغيره؛ ففي رواية عنه: أن المراد بهم: قريش، والمراد بـ(العلم): محمّد، دليله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، وفي رواية عنه: أن المراد بهم: أهل الكتاب؛ بدليل قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وفي رواية غيره: أن المراد: أُمَمُ الأنبياء المتقدمين^(١).

قوله: ﴿أَلْعَلِمُ﴾ بالتوحيد) أي: بأن قامت عليهم الحجج والبراهين من النبي المرسل إليهم.

قوله: ﴿بَغْيًا﴾ مفعول لأجله؛ أي: تَفَرَّقُوا من أجل حصول البغي بينهم الذي هو الحسد والعناد في الكفر.

قوله: (بتأخير الجزاء) أي: إلى يوم القيامة، وأمّا الدنيا فليست دار جزاءٍ لشقي ولا سعيد.

إن قلت: إن كفار الأمم الماضية قد نزل بهم أنواع من العذاب؛ كالصّيحة والخسف والمسح وغير ذلك.

أجيب: بأنه ليس بجزاء، بل هو علامة الجزاء والخزي.

قوله: ﴿أُورِثُوا﴾ فعلٌ مبني للمفعول، والفاعل الله تعالى.

قوله: (وهم اليهود والنصارى) تفسير لـ ﴿الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾، وحينئذٍ فالمراد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾:

(١) انظر الروايات عن سيدنا ابن عباس وغيره في «تفسير القرطبي» (١٢/١٦).

لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ

﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ : مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿مُرِيبٌ﴾ : مُوقِعٌ فِي الرِّيبَةِ .

﴿١٥﴾ ﴿فَلِذَلِكَ﴾ التَّوْحِيدِ ﴿فَادْعُ﴾ يَا مُحَمَّدُ النَّاسَ ، ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ عَلَيْهِ ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴿فِي تَرْكِهِ﴾ ، ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾
حاشية الصاوي

التوراة والإنجيل ، والضمير في ﴿بَعْدِهِمْ﴾ عائذٌ على أصولهم المتفرقين في الحق ، وقيل : معنى ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ : مِنْ قَبْلِهِمْ ، ويكون الضمير حيثئذ عائذاً على مُشْرِكِي مَكَّةَ .

وقيل : المراد بـ ﴿الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ﴾ : مُشْرِكُو الْعَرَبِ ، والمراد بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ : الْقُرْآنَ ، والضمير في ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ عائذٌ على اليهود والنصارى .

قوله : ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ المراد به هنا : مطلقُ التَّردُّدِ والتَّحْيِيرِ .

قوله : ﴿مُوقِعٌ فِي الرِّيبَةِ﴾ أي : الشُّبُهَاتِ والضَّلَالَاتِ .

قوله : ﴿فَلِذَلِكَ﴾ الجارُّ والمجرور متعلِّقٌ بـ ﴿ادْعُ﴾ ، والتقدير : فادع الناسَ لذلك التوحيد .

قوله : ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ الاستقامة : لزوم المنهج القويم .

قوله : ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ أي : مِنْ تَقْوَى اللَّهِ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وعبادته حَقَّ الْعِبَادَةِ ، ومن هنا شاب رسول الله ﷺ وقال : «شَيْبَتَنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»^(١) ، فسبُّ شَيْبَةٍ : خَوْفُهُ مِنْ عَدَمِ قِيَامِهِ بِمَا أَمَرَ بِهِ ، ولكن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُ وعن أُمَّتِهِ بقوله : ﴿فَأَلْفَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦] .

وقوله : ﴿كَمَا أُمِرْتُ﴾ الكاف بمعنى : مِثْلٍ ، والمعنى : استقم استقامةً مِثْلَ الَّذِي أُمِرْتُ بِهِ ؛ أي : موافقةً له .

قوله : ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي : حيث قالوا : اعبد آلهتنا سنةً ونحن نعبد إلهك سنةً^(٢) .

قوله : ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ بيانٌ لـ ﴿مَا﴾ ، والمعنى : آمَنْتُ بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : ﴿كُلُّ ءَامَنٍ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وَكُنْتُمْ بِهِ﴾ . الخ [البقرة : ٢٨٥] .

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٧) عن سيدنا ابن عباس ؓ بلفظ : «شَيْبَتَنِي هُودٌ ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كورت» .

(٢) كما رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٦٦٢/٢٤) في سبب نزول سورة (الكافرون) .

يَتَّبِعُكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَالِيهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحَنُّهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

أي: بِأَن أَعْدَلَ ﴿يَتَّبِعُكُمْ﴾ فِي الْحُكْمِ، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ فَكُلُّ
يُجَازَى بِعَمَلِهِ، ﴿لَا حُجَّةَ﴾: خُصُومَةٌ ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هَذَا قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْجِهَادِ، ﴿اللَّهُ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ فِي الْمَعَادِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾: الْمَرْجِعُ.

﴿١٦﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ﴾: يُجَادِلُونَ ﴿فِي﴾ دِينِ ﴿اللَّهِ﴾ نَبِيِّهِ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ﴾
بِالْإِيمَانِ لِظُهُورِ مُعْجَزَتِهِ وَهُمْ الْيَهُودُ، ﴿جَحَنُّهُمْ دَاحِضَةٌ﴾: بَاطِلَةٌ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

حاشية الصاوي

وقوله: (أي: بأن أعدل) أشار بذلك إلى أن اللام بمعنى الباء، و(أن) المصدرية مقدرة، والفعل
منصوبٌ بها.

قوله: (فكلُّ يُجَازَى بعمله) أي: من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: (هذا قبل أن يُؤمر بالجهاد) أشار بذلك إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ الآية [التوبة: ٢٩]، وقيل: ليست منسوخة، بل المراد من الآية:
أن الحقَّ قد ظهر، والحُجج قامت، فلم يبقَ إلا العناد، وبعد العناد لا حجة ولا جدل.

قوله: ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ أي: فيُجَازَى كلُّ أحدٍ بعمله من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ الكلام على حذف مضاف، والمفعول محذوفٌ كما أشار
لذلك المفسر.

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ﴾ أي: من بعد دخول الناس في دينه، وأجابوا دعوته، فالسين
والتاء زائدتان.

قوله: (وهم اليهود) تفسيرٌ للموصول.

قوله: ﴿دَاحِضَةٌ﴾ من: الإِدْحَاضِ، وهو الإِزْلاقُ، يقال: دَحَضْتُ رَجُلَهُ؛ أي: زَلَقْتُ، والمرادُ
هنا: الإِبْطَالُ.

قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أي: في الآخرة.

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ ﴿١٨﴾ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ

﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ: الْقُرْآنَ ﴿بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أَنْزَلَ﴾ - ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: الْعَدْلَ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: يُعْلِمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾: أَي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾، - و﴿لَعَلَّ﴾ مُتَعَلِّقٌ لِلْفِعْلِ عَنِ الْعَمَلِ، أَوْ مَا بَعْدَهُ سَدَّ مَسَدَ الْمَفْعُولَيْنِ ..

﴿١٨﴾ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يَقُولُونَ: مَتَى تَأْتِي؟ ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّهَا غَيْرُ آتِيَةٍ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: خَائِفُونَ ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (متعلق بـ﴿أَنْزَلَ﴾) أي: والباء للملابسة.

قوله: (﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل) أي: وسمي العدل ميزاناً؛ لأن الميزان يحصل به الإنصاف والعدل، فهو من: تسمية المسبب باسم السبب، وإنزاله الأمر به، وقيل: المراد بالميزان: نفسه الذي يوزن به، والمراد بإنزاله: إنزال الإلهام بعمله والأمر بالوزن به، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينكم بكتاب الله.

قوله: (﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾) الاستفهام إنكاري، والمعنى: لا سبب يوصلك للعلم بقربها إلا الوحي الذي ينزل عليك.

قوله: (أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾) قدر المضاف؛ ليصح الإخبار بالمدكر عن المؤنث^(١).

قوله: (أو ما بعده سَدَّ مَسَدَ المفعولين) أي: الثاني والثالث، وأما الأول فهو الكاف، ويتعين جعل (أو) بمعنى الواو.

قوله: (﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾) أي: فلا يُشْفِقُونَ منها، وقوله: (﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾) أي: فلا يستعجلون بها؛ ففي الآية احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر. قوله: (﴿أَنَّهَا الْحَقُّ﴾) أي: كائنة وحاصلة لا محالة.

(١) أو لأنَّ (الساعة) في معنى الوقت، أو البعث، أو على معنى النسب؛ أي: ذات قُرب، وذكر الفراء أنهم التزموا التذكير في (قريب) إذا لم يُرَدَّ قُربُ النسب؛ قصداً للفرق. انظر «الدر المصون» (٩/ ٥٤٧)، و«معني اللبيب» (ص ٦٦٦).

فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ

يُجَادِلُونَ ﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

﴿١٩﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ ﴿بَرَّهُمْ وَفَاجِرِهِمْ، حَيْثُ لَمْ يُهْلِكْهُمْ جُوعًا بِمَعَاصِيهِمْ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِي السَّاعَةِ﴾ أي: في إتيانها.

قوله: ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ أي: عن الاهتداء.

قوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ أي: حَفِيٌّ بِهِمْ، وقيل: بَارٌّ بِهِمْ، وقيل: رَفِيقٌ بِهِمْ، وقيل: معناه: لَطِيفٌ بِهِمْ فِي الْعَرَضِ وَالْمَحَاسِبَةِ، وقيل: يَلْطَفُ بِهِمْ فِي الرِّزْقِ مِنْ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ جَعَلَ رِزْقَكَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ لَمْ يَدْفَعْهُ إِلَيْكَ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ فَتُبْذَرُهُ، وقيل: اللطيف: مَنْ إِذَا لَجَأَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِهِ.. قَبْلَهُ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَطَّلِعُ عَلَى الْقُبُورِ الدَّوَارِسِ، فيقول الله عزَّ وجلَّ: انْمَحَتْ آثَارُهُمْ، وَاضْمَحَلَّتْ صُورُهُمْ، وَبَقِيَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، وَأَنَا اللَّطِيفُ، وَأَنَا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ خَفُّوا عَنْهُمْ»^(١).

وقيل: اللَّطِيفُ: الَّذِي يَنْشُرُ مِنْ عِبَادِهِ الْمُنَاقِبَ، وَيَسْتَرُ عَلَيْهِمُ الْمَثَالِبَ، وَمِنْهُ حَدِيثُ: «يَا مَنْ أَظْهَرَ الْجَمِيلَ وَسَتَرَ الْقَبِيحَ»^(٢)، وقيل: هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ الْقَلِيلَ، وَيَبْذُلُ الْجَزِيلَ، وقيل: هُوَ الَّذِي يَجْبِرُ الْكَسِيرَ، وَيُسِّرُ الْعَسِيرَ، وقيل: هُوَ الَّذِي لَا يُخَافُ إِلَّا عَدْلُهُ، وَلَا يُرْجَى إِلَّا فَضْلُهُ، وقيل: هُوَ الَّذِي يُعِينُ عَلَى الْخِدْمَةِ، وَيَكْثُرُ الْمُدْحَةُ، وقيل: هُوَ الَّذِي لَا يُعَاجِلُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ، وقيل: هُوَ الَّذِي لَا يَرُدُّ سَائِلَهُ، وَلَا يُؤْسِرُ أَمَلَهُ، وقيل: هُوَ الَّذِي يَعْفُو عَنْ يَهْفُو، وقيل: هُوَ الَّذِي يَرْحَمُ مَنْ لَا يَرْحَمُ نَفْسَهُ، وقيل: هُوَ الَّذِي أَوْقَدَ فِي أَسْرَارِ الْعَارِفِينَ مِنَ الْمَشَاهِدَةِ سَرَاجًا، وَجَعَلَ لَهُمُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ مِنْهَا جَاءَ، وَأَجْزَلَ لَهُمْ مِنْ سَحَابٍ بَرٌّ مَاءً ثَجَاجًا.

وبالجملة: فَهَذَا الْاسْمُ جَامِعٌ لِمَعَانِي الْأَسْمَاءِ الْجَمَالِيَّةِ؛ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْإِكْثَارُ مِنْ ذِكْرِهِ، سَيِّمًا إِذَا قَصَدَ بِذِكْرِهِ رِضَا رَبِّهِ؛ فَإِنَّ لَهُ السَّعَادَةَ دُنْيَا وَآخِرَى، وَيُكْفَى هُمُومَهُمَا؛ لِمَا وَرَدَ: «اعْمَلْ لَوَجْهِ وَاحِدٍ.. يَكْفِيكَ كُلُّ الْأَوْجِهَةِ»^(٣).

(١) كَذَا أورد القرطبي في «تفسيره» (١٦/١٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (١/٥٤٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/١٤٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ضمن دعاء طويل.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/٤٩)، والسيوطي في «الجامع الصغير» (٢٨٩٤)، وقوله: (يكفيك كلُّ الأوجه) لم =

وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ

مِنْ كُلِّ مِنْهُمْ مَا يَشَاءُ، ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ عَلَى مُرَادِهِ، ﴿الْعَزِيزُ﴾: الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ.
﴿٢٠﴾ ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بِعَمَلِهِ ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أَي: كَسْبَهَا وَهُوَ الثَّوَابُ ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بِالتَّضْعِيفِ فِيهِ الْحَسَنَةُ إِلَى الْعَشْرَةِ وَأَكْثَرَ،
حاشية الصاوي

قوله: (من كل منهم) بيان لـ(من)، والمعنى: أن الذي يشاء رزقه هو كل منهم^(١).
قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾... إلخ) الحرث في الأصل: إلقاء البذر في الأرض، ويُطلق على الزرع الحاصل منه، ثم استعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها على سبيل الاستعارة؛ حيث شُبِّهَتْ ثمرات الأعمال بالغلل الحاصلة من البذر؛ بجامع حصول العمل والتعب في كل؛ فإنَّ مَنْ أَتَعَبا نفسه أيام البذر، واشتغل بالحرث والزرع.. أراحها ووجد الثمرات أيام الحصاد، فكذلك مَنْ أَتَعَبا نفسه في الدنيا وعمل ابتغاء وجه ربِّه.. فإنه يجد ثمرات أعماله في الآخرة، ومنها هنا حديث: «الدنيا مزرعة للآخرة»^(٢)، وهذه الآية عامَّةٌ لبيان حال المخلص في عمله لوجه الله، والذي يطلب بعمله أعراض الدنيا، ذكراً أو أنثى؛ لأنَّ (من) من صيغ العموم، وقوله: (بعمله) المراد به: خدمته في الدنيا، صلاةً أو صوماً أو غيرهما؛ كالسعي على العيال، وحينئذٍ: فالمدار على النية الحسنة؛ إذ بها تصير العادات عبادات.
قوله: (الحسنة) منصوبٌ بالمصدر الذي هو (التضعيف).

= يَجْزِمُهُ فِي جَوَابِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ السَّبِيَّةَ، بَلِ الْمُرَادُ الِاسْتِثْنَاءُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَمْ أَعْمَلْ لَوَجْهِ وَاحِدٍ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَكْفِيكَ.

(١) فلا تنافي بين قوله: (من يشاء) وبين التعميم الذي ذكره في (عباده)، وقوله: (ما يشاء) أي: الله؛ من أنواع الرزق، فهو وإن كان يرزق كلَّ ذي روح لكنَّه فاوت بين المرزوقين في الرزق؛ قلةً وكثرةً، وجنساً ونوعاً؛ لإحكمة يعلمها هو.
«فتوحات» (٦١/٤) عن شيخه العلامة الأجهوري.

(٢) قال الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٣٥١): (لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في «الإحياء»، وفي «الفردوس» بلا سند عن ابن عمر مرفوعاً: «الدنيا قنطرة الآخرة؛ فاعبروها ولا تعمروها»، وفي «الضعفاء» للعقيلي، و«مكارم الأخلاق» لأبي بكر بن لال من حديث طارق بن أشيم رفعه: «نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لآخرته» الحديث).

وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ

﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ بِلا تَضْعِيفٍ مَا قُسِمَ لَهُ، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿لَهُمْ﴾: لِكُفَّارِ مَكَّةَ ﴿شُرَكَاءُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾... إلخ) أي: بعمله وخدمته، والمعنى: من صرف نيته للدنيا وجعل عمله وخدمته لها.. نُعْطِيهِ مَا قُسِمَ لَهُ مِنْهَا، وبعد ذلك ليس له في الآخرة حَظٌّ ولا نصيبٌ، فالذي ينبغي للشخص أن يسعى فيما يرضي ربه، ويقصد بعمله وجه خالقه وسيده، يحصل له غنى الدنيا والآخرة، ومن معنى هذه الآية حديث: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله.. فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها.. فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١)، وحديث: «أوحى الله إلى الدنيا: يا دنيا؛ من خدمني.. فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه»^(٢).

قوله: (ما قسم له) مفعول ﴿نُؤْتِيهِ﴾.

قوله: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي: حظ في النعيم.

واعلم: أنَّ المقام فيه تفصيل؛ فإن تجرَّد عمله للدنيا وقَدَّمَ السعي فيها على الإيمان.. فهو مَحْدَدٌ في النار، وليس له في الآخرة نعيمٌ أصلاً، وأمَّا إن كان التفريط فيما عدا الإيمان - كأن يراني بعمله قصداً لطلب الدنيا - فهو مسلمٌ عاصٍ، له نعيمٌ في الآخرة غيرٌ كاملٍ.

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ قدَّرها المفسر بـ(بل) التي لانتقال من قصة إلى قصة، وقدَّرها غيره بـ(بل) والهمزة التي للتوبيخ والتقريع^(٣)، وهو مُتَّصِلٌ بقوله: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾.

(١) رواه البخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) رواه الشهاب القضاعي في «مسنده» (٣٢٥/٢) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ: «يا دنيا اخدي من خدمي، وأنعي يا دنيا من خدمك».

(٣) انظر «تفسير البيضاوي» (٨٠/٥).

شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ

هُم شَيَاطِينُهُمْ ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشُّرَكَاءُ ﴿لَهُمْ﴾: لِلْكَفَّارِ ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ الفاسِدِ ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كَالشُّرِكِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ، ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: الْقَضَاءُ السَّابِقُ بِأَنَّ الْجَزَاءَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّعْذِيبِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤْلِمٌ.

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خَائِفِينَ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ فِي الدُّنْيَا مِنَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يُجَازَوْا عَلَيْهَا، ﴿وَهُوَ﴾ أي: الْجَزَاءُ عَلَيْهَا ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا مَحَالَةَ، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾: أَنْزَلَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ دُونَهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (هُم شَيَاطِينُهُمْ) أي: الذين شاركوهم في الكفر والعصيان.

قوله: (﴿شَرَعُوا لَهُمْ﴾) إسناده الشرع إلى الشياطين مجاز؛ من: الإسناد للسبب؛ لأنها سبب إضلالهم.

قوله: (﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾) أي: حُكِمَ بَيْنَ الْكَفَّارِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ بِأَنْ يَعْذِبَ الْكَفَّارَ، وَيُثِيبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ حَكَمَ اللَّهُ وَقَضَى فِي سَابِقِ أَزْلِهِ أَنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قوله: (﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾) خطابٌ لكلٍّ من تَنَاطَى مِنْهُ الرُّؤْيَا.

قوله: (﴿مُشْفِقِينَ﴾) حال؛ أي: حَالُ كَوْنِهِمْ خَائِفِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهَذَا الْخَوْفُ زِيَادَةُ عَذَابٍ لَهُمْ، وَأَمَّا الْمُنْجِي.. فَهُوَ الْخَوْفُ فِي الدُّنْيَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

قوله: (أَنْ يُجَازَوْا عَلَيْهَا) أشار بذلك إلى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أي: مِنْ جَزَاءِ مَا كَسَبُوا.

قوله: (لَا مَحَالَةَ) أي: أَشْفَقُوا أَوْ لَمْ يَشْفَقُوا.

قوله: (﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾) مبتدأ، خبره ﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾.

قوله: (أَنْزَلَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ دُونَهُمْ) أي: فَرُوضَةُ الْجَنَّةِ أَعْلَاهَا وَأَطْيَبُهَا، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ فِي الْجَنَّةِ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا فِي الْأَعْلَى وَلَا فِي الْأَطْيَبِ.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ مِنَ الْبَشَارَةِ - مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا - بِهِ ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أَي: عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ - اسْتِثْنَاءٌ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ظرفٌ لـ ﴿يَشَاءُونَ﴾، والعنديَّةُ مجازيَّةٌ.

قوله: ﴿الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ أي: الذي لا يُوصَفُ؛ لأنَّ الله تعالى بجلاله وعظمته وصفه بالكبر؛ فمن ذا الذي يستطيع أن يصفه من الحوادث؟!

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، و﴿الَّذِي يُبَشِّرُ﴾ خبره، والعائد محذوف، قدره المفسر بقوله: (به)، حذف الجار فأتصل الضمير^(١)، وهذا على الصحيح من أنها اسم موصول، وأمَّا على رأي يونس من أنها مصدرية^(٢)؛ فلا يحتاج إلى عائد، والتقدير عنده: ذلك تبشيرُ الله عباده.

قوله: (مِنَ الْبَشَارَةِ) أي: وهي الخبر السار.

قوله: (مُخَفَّفًا وَمُثَقَّلًا) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٣).

قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: قل يا مُحَمَّدٌ لأُمَّتِكَ: لا أطلب منكم أجرًا في نظير تَبْلِيغِي الرِّسَالَةَ وتبشيري إِيَّاكُمْ، ولا خصوصيَّةَ لِهَـ ﷺ بذلك، بل جميع الأنبياء لا يسألون الأجرة؛ لأنَّ سؤال الأجرة على الأمور الأخرويَّة نقصٌ في حقِّ غير الأنبياء؛ فأولى الأنبياء.

قوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال:

(١) والأصل: (يُبَشِّرُ بِهِ)، ثم (يُبَشِّرُهُ)، ثم حذف الضمير المنصوب.

(٢) وقوع (الذي) مصدرية قال به يونس والفراء والفارسي، وارتضاه ابن خروف وابن مالك، وردّه أبو حيان؛ لأنه إثبات للاشتراك بين الاسم والحرف بغير دليل، وقد ثبتت اسمية (الذي) بكونها فاعلة ومفعولة ومجرورة ومبتدأة، وتثنى وتجمع وتؤنث، ويعود عليها الضمير؛ فلا نعدل عن هذا الحكم المقطوع به لشيء لا يقوم عليه دليل، بل ولا شبهه. انظر «مغني اللبيب» (ص ٧٠٩)، و«التذيل والتكميل» (٣/ ١٣٥).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين مُشددة، والباقون بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وضمَّ الشين مُخففة، مِن: بَشَرَهُ. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٣٧).

مُنْقَطِع - أي: لَكِنْ أَسْأَلُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا قَرَابَتِي الَّتِي هِيَ قَرَابَتُكُمْ أَيْضاً،

حاشية الصاوي

الأول: عن ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ وَسَطَ النَّسَبِ مِنْ قُرَيْشٍ، لَيْسَ بَطْنٌ مِنْ بَطُونِهِمْ إِلَّا وَقَدْ وَلَدَهُ، وَكَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثَلَّ لَا أَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أَي: مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ، وَالْمَعْنَى: إِنْ لَمْ تَتَّبِعُونِي.. فَاحْفَظُوا حَقَّ الْقُرْبَى، وَصِلُوا رَحِمِي، وَلَا تُؤْذُونِي، يَعُودُ^(١) عَلَيْكُمْ نَفْعُهَا؛ لَمَّا فِي الْحَدِيثِ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ مَنْ وَصَلَنِي، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي»^(٢)، فَثَمَرَتُهُ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ لَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

الثاني: عَنْهُ أَيْضاً: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ لَمْ يَكُنْ فِي يَدِهِ سَعَةٌ، فَقَالَتِ الْأَنْصَارُ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هَذَاكُمْ، وَهُوَ ابْنُ أَخْتِكُمْ، وَأَجَارَكُمْ^(٣) فِي بَلَدِكُمْ؛ فَاجْمَعُوا لَهُ طَائِفَةً مِنْ أَمْوَالِكُمْ، فَفَعَلُوا ثُمَّ أَتَوْهُ بِهَا، فَرَدَّهَا عَلَيْهِمْ، وَنَزَلَتِ الْآيَةُ، وَحِينَئِذٍ: فَالْخَطَابُ لِلْأَنْصَارِ.

الثالث: عَنْ الْحَسَنِ: أَنَّ مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ تَجْعَلُوا مُحِبَّتَكُمْ وَمَوَدَّتَكُمْ مُحْضُورَةً فِي التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِطَاعَتِهِ وَخِدْمَتِهِ، لَا لَغَرَضٍ دُنْيَوِيٍّ^(٤).

ف(القربى) على الأول: القرابة بمعنى: الرحم، وعلى الثاني: بمعنى: الأقارب، وعلى الثالث: بمعنى: القُرب والتَّقَرُّب.

واعلم: أَنَّ طَلَبَ الْأَجْرِ عَلَى التَّبْلِيغِ لَا يَجُوزُ لِوَجْهِهِ؛ الْأَوَّلُ: تَبَرُّي الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعاً مِنْهُ. الثَّانِي: أَنَّ التَّبْلِيغَ وَاجِبٌ، وَطَلَبُ الْأَجْرِ عَلَى أَدَاءِ الْوَاجِبِ لَا يَلِيْقُ بِأَفْرَادِ الْأُمَّةِ فَضْلاً عَنْ الْأَنْبِيَاءِ.

الثالث: أَنَّ النَّبَوَّةَ أَمْرُهَا عَظِيمٌ، وَالدُّنْيَا وَإِنْ عَظُمَتْ حَقِيرَةٌ، لَا تَزُنْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَا يَلِيْقُ طَلَبُ الْخَسِيسِ فِي دَفْعِ الشَّرِيفِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

إِنْ قُلْتَ: حَيْثُ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَمَا مَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ فِي الْآيَةِ؟

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَمْ يَقْصِدِ السَّبِيَّةَ، بَلْ أَرَادَ الرِّفْعَ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ.

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧٥٦٣) عَنْ سَيِّدِنَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» (٢٥٥٥).

عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِلَفْظٍ: «تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ».

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّهَا: (وَجَارَكُمْ فِي بَلَدِكُمْ) كَمَا هُوَ فِي الْمَصَادِرِ الْمَذْكُورَةِ.

(٤) انْظُرِ الْأَقْوَالَ الثَّلَاثَةَ فِي «زَادَ الْمَسِيرَ» (٦٤/٤)، وَ«السَّرَاجُ الْمُنِيرُ» (٥٣٧/٣).

وَمَنْ يَقَرِّفْ حَسَنَةً

فَإِنَّ لَهُ فِي كُلِّ بَطْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَرَابَةً، ﴿وَمَنْ يَقَرِّفْ﴾: يَكْتَسِبُ ﴿حَسَنَةً﴾: طَاعَةً.....

حاشية الصاوي

أجيب بجوابين: الأول: أن هذا من تأكيد المدح بما يُشبه الذم، على حد قول الشاعر^(١):

[الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فالمعنى: لا أطلب إلا هذا، وهو في الحقيقة ليس بأجر؛ لأن المودة بين المسلمين واجبة، خصوصاً في حق أشرفهم، وحينئذ: فيكون الاستثناء متصلاً بالنظر للظاهر.

الثاني: أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر، وحينئذ: فالكلام تم عند قوله: ﴿قُلْ لَا أَشْتَكُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾، ثم قال: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْنِ﴾ أي: أذكركم قرابتي.

والمراد بقرابته؛ قيل: فاطمة وعلي وابناهما، وقيل: هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس؛ لما روي عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ أنه قال: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، قيل لزيد بن أرقم: فمن أهل بيته؟ فقال: هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس^(٢). وقيل: هم الذين تحرم عليهم الزكاة، وقيل غير ذلك.

فتحصّل: أن الخطاب على القول الأول لقريش، وعلى الثاني للأنصار، والعبرة بعموم اللفظ؛ لأن رَحِمَ النَّبِيِّ رَحِمٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ؛ لقوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، فمحبّة أهل البيت فيها السعادة والسيادة، دنيا وأخرى، والمرء يُحْشَرُ مع من أحبّ.

وقوله: ﴿فِي الْقُرْنِ﴾ الظرفية مجازية، والمعنى: إلا المودة العظيمة المحصورة في القربى، وإنما لم يُعَدَّهَا باللام؛ لثلاثي توهم زيادة اللام، فيكون الكلام خالياً من البلاغة، فالتعبير بـ(في) للمبالغة؛ إشارة إلى أنهم جعلوا محلاً للمودة وهم لها أهل.

قوله: (فإن له في كل بطن) أي: قبيلة.

قوله: (من قريش) أي: وهم أولاد النضر بن كنانة، أحد أجداده ﷺ.

قوله: ﴿حَسَنَةً﴾ فسرّها ابن عباس بالمودة لآل محمد ﷺ.

(١) وهو النابغة الذبياني، كما في «ديوانه» (ص ٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢٤٠٨) بنحوه، والسائل له حصين بن سبرة.

نَزَدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحْيِي الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ

﴿نَزَدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ بِتَضْعِيفِهَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ لِلذُّنُوبِ ﴿شَكُورٌ﴾ لِلْقَلِيلِ فَيُضَاعِفُهُ.

﴿٢٤﴾ ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بِنِسْبَةِ الْقُرْآنِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ ﴿فَإِنْ يَشِإِ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾: يَرْبِطُ ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ بِالصَّبْرِ عَلَى أَذَاهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ وَغَيْرِهِ، وَقَدْ فَعَلَ، ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ الَّذِي قَالُوهُ، ﴿وَيُحْيِي الْحَقَّ﴾: يُثَبِّتُهُ ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ الْمُنْزَلَةِ عَلَى نَبِيِّهِ، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فِي الْقُلُوبِ.

﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (بتضعيفها) أي: من عشرة إلى سبعين إلى سبع مئة، إلى غير ذلك.

قوله: ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل) أي: ويُثَبِّب عليه.

قوله: (وقد فعل) أي: ختم على قلبه ﷺ بأن صبره على ما ذكر، فدلّ كلامه على أن مشيئة الختم هنا مقطوعٌ بوقوعها.

قوله: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ كلامٌ مستأنفٌ غير داخل في حيِّز الشرط؛ لأنه تعالى يَمْحُو الْبَاطِلَ مطلقاً.

قوله: ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: القرآن.

قوله: (بما في القلوب) أشار بذلك إلى أنه أطلق المحلَّ وأراد الحال.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ التوبة: الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة، ولها شروط ثلاثة: الإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على ألا يعود إليها أبداً؛ فإن كانت المعصية متعلقةً بحق آدميٍّ.. فيزاد على هذه الثلاثة رابعٌ وهو استسماح صاحب الحق، وكففي عند مالك براءة المجهول؛ فلا يُشترط عنده أن يعيّن له ذلك الحق، فإذا تاب بالشروط وقدّر الله عليه الوقوع في الذنب مرةً أخرى.. فإنه يتوب ولا يقنط من رحمة الله تعالى، ولا ترجع عليه ذُنُوبه التي تاب منها.

وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَتَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَنَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَنَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنْزِلُ

مِنْهُمْ، ﴿وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ المُتَابِ عَنْهَا، ﴿وَتَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ - بِأَلْيَاءِ وَالتَّاءِ -، ﴿وَنَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يُجِيبُهُمْ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ، ﴿وَنَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٨﴾) ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ جَمِيعُهُمْ ﴿لَبَغَوْا﴾ جَمِيعُهُمْ أَي: طَغَوْا
﴿فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنْزِلُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (منهم) أشار بذلك إلى أَنَّ (عن) بمعنى (من)، والقبول بمعنى الأخذ.

قوله: (المتاب منها) أي: ويصح أَنَّ المراد: ولو لم يَتَّبِ منها؛ فَمِنْ صفاته تعالى أنه يقبل توبة التائب، ويعفو عن سيئات مَنْ لم يَتَّبِ؛ إذ لا يسأل عَمَّا يفعل.
قوله: (بالياء والتاء) فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (يُجِيبُهُمْ إِلَى مَا يَسْأَلُونَ) أشار بذلك إلى أَنَّ السَّيْنَ والتَّاء زائدتان، والموصول مفعولٌ به، والفاعل ضميرٌ يعود على الله تعالى.

قوله: ﴿لَبَغَوْا﴾ جَمِيعُهُمْ دفع بذلك ما يُقال: إِنَّ البغي حاصلٌ بالفعل؛ فكيف يصح انتفاؤه؟ فأجاب: بأنَّ اللازم المنتفَى هو بغي جميعهم، والملزوم بَسَطَ الرزق للجميع، وإلا... فبغى البعض وبَسَطَ الرزق للبعض حاصلٌ في كلِّ زمنٍ.

قوله: (أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾) أي: لأنَّ الله تعالى لو سَوَّى في الرزق بين جميع عباده... لا ممتنع كون البعض محتاجاً للبعض، وذلك يُوجبُ خرابَ العالم وفسادَ نظامه، فأفعال الله تعالى لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله فعلها، فقد يعلم من حال عبده أنه لو بسط عليه الرزق... قاده ذلك إلى الفساد؛ فيزوي عنه الدنيا مصلحةً له؛ ففي حديث أنس عن رسول الله ﷺ فيما يرويه

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بقاء الخطاب إقبالاً على الناس عامة، وهذا خطاب للمشركين، وقرأ الباقر بالغيبة نظراً إلى قوله تعالى: ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾، وقال تعالى بعد: ﴿وَنَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٤٠).

يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا

- بِالتَّخْفِيفِ وَضِدِّهِ - مِنَ الْأَرْزَاقِ ﴿يَقْدِرُ مَا يَشَاءُ﴾ فَيَسْطُهَا لِبَعْضِ عِبَادِهِ دُونَ بَعْضٍ، وَيَنْشَأُ
عَنِ الْبَسْطِ الْبَغْيِ، ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ: الْمَطَرُ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا
قَنَطُوا﴾: يَتَّسُوا مِنْ نُزُولِهِ،

حاشية الصاوي

عن ربِّه تبارك وتعالى: «إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَسْأَلُنِي الْبَابَ مِنَ الْعِبَادَةِ وَإِنِّي عَلِيمٌ أَنِّي لَوْ أُعْطِيتُهُ
إِيَّاهُ.. لَدَخَلَهُ الْعَجَبُ فَأَفْسَدَهُ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغَنَى، وَلَوْ أَفْقَرْتَهُ..
لَأَفْسَدَهُ الْفَقْرَ، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرَ، وَلَوْ أَغْنَيْتُهُ.. لَأَفْسَدَهُ الْغَنَى، وَإِنِّي
لَأُدْبِرُ عِبَادِي؛ لِعَلَّمِي بَقُلُوبِهِمْ؛ فَإِنِّي عَلِيمٌ خَبِيرٌ»، ثُمَّ قَالَ أَنَسُ: اللَّهُمَّ؛ إِنِّي مِنْ عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
لَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا الْغَنَى؛ فَلَا تُفْقِرْنِي بِرَحْمَتِكَ^(١).

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: (فَيَسْطُهَا لِبَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ) أَي: وَيَسْطُهَا لِلْبَعْضِ أحياناً، وَيُضَيِّقُهَا عَلَيْهِ أحياناً؛ فَلَا يُسْأَلُ
عَمَّا يَفْعَلُ.

قوله: ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ تعليل لما قبله، والمعنى: عَلِيمٌ بِالْبَوَاطِنِ وَالظَّوَاهِرِ.

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٣).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ الْعَامَّةُ عَلَى فَتْحِ النُّونِ، وَقُرْئَ شَذُوذاً بِكسْرِ النُّونِ^(٤)، وَمُضَارَعَهَا
بِفَتْحِ النُّونِ، وَبِهِ قُرْئَ فِي الْمَتَوَاتِرِ؛ فَتَحَصَّلَ أَنَّهُ فِي الْمُضَارَعِ قُرْئَ بِالْوَجْهِينِ قِرَاءَةً سَبْعِيَّةً،
وَفِي الْمَاضِي لَمْ يُقْرَأْ فِي السَّبْعِ إِلَّا بِالْفَتْحِ، وَالْكَسْرُ قِرَاءَةٌ شاذَّةٌ وَإِنْ كَانَ لُغَةً فِيهِ.

(١) رواه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٧/١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩٥/٧)، وقول سيدنا أنس عند
القرطبي في «تفسيره» (٢٨/١٦).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. انظر «السراج المنير»
(٥٤١/٣).

(٣) قرأ نافع وابن عامر وحزمة والكسائي بفتح النون وتشديد الزاي، والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي. انظر
«السراج المنير» (٥٤٢/٣).

(٤) وبه قرأ يحيى بن وثاب والأعمش، وهي لغة، وعليها قُرِئَ: ﴿يَقْنَطُ﴾، ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ بفتح النون في المتواتر؛
كما نبّه المصنف. انظر «الدّر المصون» (٥٣٣/٩).

وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يَبْسُطُ مَطَرَهُ، ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: الْمُحْسِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ، ﴿الْحَمِيدُ﴾: الْمَحْمُودُ عِنْدَهُمْ.

﴿٢٩﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾ خَلَقَ ﴿مَا بَيْنَهُمَا﴾: فَرَّقَ وَنَشَرَ ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هِيَ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ لِلْحَشْرِ ﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (يبسط مطره) أشار بذلك إلى أَنَّ المطر سُمِّيَ باسمين: الغيث؛ لأنه يُغِيث من الشدائد، والرحمة؛ لأنه رحمة وإحسانٌ لِلْخَلْقِ، ويصح أن يُرَادَ بِالرَّحْمَةِ: الْبَرَكَاتُ؛ أَي: بَرَكَاتُ الْغَيْثِ وَمَنَافِعُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ، وَحِينَئِذٍ: فَيَكُونُ عَطْفُهُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنْ عَطْفِ الْمَسْبُوبِ عَلَى السَّبَبِ.

قوله: (المحمود عندهم) أي: وعند جميع المخلوقات، وإنما خَصَّ الْمُؤْمِنِينَ؛ تَشْرِيفاً لَهُمْ.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: دلائل قُدْرَتِهِ، وَعَجَائِبُ وَحْدَانِيَّتِهِ.

قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: فَإِنَّهُمَا بِذَاتِهِمَا وَصِفَاتِهِمَا يَدُلُّانِ عَلَى اتِّصَافِ خَالِقِهِمَا بِالْكَمَالَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا...﴾ الْآيَةُ [ق: ٦].

قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مُسَلَّطٌ عَلَيْهِ ﴿خَلَقَ﴾، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ رَفْعٍ، عَطْفٌ عَلَى ﴿خَلَقَ﴾.

قوله: (هي ما يدب على الأرض) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمُرَادَ: فِي أَحَدِهِمَا، فَهُوَ مِنْ إِطْلَاقِ الْمَثْنَى عَلَى الْمَفْرَدِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٢٢] وَإِنَّمَا يَخْرُجَانِ مِنْ أَحَدِهِمَا وَهُوَ الْمِلْحُ، وَهَذَا أَسْلَمَ وَأَحْسَنُ مِمَّا قِيلَ: إِنَّ الْآيَةَ بَاقِيَةٌ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ حَيَوَانَاتٍ فِي السَّمَاوَاتِ يَمْشُونَ فِيهَا كَمَشْيِ الْإِنْسَانِ عَلَى الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بَعِيدٌ مِنَ الْأَفْهَامِ؛ لِكَوْنِهِ عَلَى خِلَافِ الْعُرْفِ الْعَامِ.

قوله: ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ متعلق بـ﴿جَمْعِهِمْ﴾، و﴿قَدِيرٌ﴾ خبر الضمير، والمعنى: وَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى جَمْعِهِمْ فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فَتَمَّى أَرَادَ اللَّهُ شَيْئًا... أَبْرَزَهُ بِقُدْرَتِهِ.

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

- في الضمير تغليب العاقل على غيره ..

﴿٣٠﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ - خطاب للمؤمنين - ﴿مِّنْ مُّصِيبَةٍ﴾: بليّة وشدة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبتم من الذنوب، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تراول بها، ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها فلا يجازي عليه،
حاشية الصاوي

قوله: (في الضمير) أي: وهو قوله: ﴿عَلَىٰ جَمْعِهِمْ﴾، ولو لم يُردّ التغليب.. لقال: (على جمعها).

قوله: (خطاب للمؤمنين) أي: وأما مصائب الكفار في الدنيا.. فتعجيل لبعض العقاب لهم.
قوله: ﴿مِّنْ مُّصِيبَةٍ﴾ بيان لـ(ما)، وقوله: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ جواب الشرط إن جعلت (ما) شرطية، أو خبر المبتدأ إن جعلت موصولة، وقرئت بالفاء؛ لما في المبتدأ من معنى الشرط، وهذا على ثبوت الفاء، وأما على قراءة حذفها.. فالأولى جعلها خبراً و(ما) موصولة، وجعلها شرطية يلزم عليه حذف الفاء في جوابه، وهو شاذ، والقراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ من تمة قوله: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، والمعنى: أن الذنوب قسمان: قسم تعجل العقوبة عليه في الدنيا بالمصائب، وقسم يعفو عنه فلا يعاقب عليه بها، وما يعفو عنه أكثر.

قال علي بن أبي طالب: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير.. فأني شيء يبقى بعد كفارته وعفوه؟!^(٢) وقد روي هذا المعنى مرفوعاً عنه ﷺ عن النبي ﷺ، قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ؟ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾... الآية، «يا علي؛ ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا.. فيما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يُثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا.. فإله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوه»^(٣).

(١) قرأ نافع وابن عامر (بما) دون فاء. والباقون (فبما) بإثباتها. انظر «الدر المصون» (٥٥٤/٩).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٣٠/١٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٨٥/١).

وهو تعالى أكرم من أن يُثَنَّى الجزاء في الآخرة، وأمّا غير المُذنبين فما يُصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

حاشية الصاوي

وقال الحسن: لما نزلت هذه الآية.. قال النبي ﷺ: «ما من اختلاج عرق، ولا خدش عود، ولا نكتة حجر إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»^(١).

وقال الحسن: دخلنا على عمران بن حصين، فقال رجل: لا بدّ أن أسألك عمّا أرى بك من الوجع، فقال عمران: يا أخي؛ لا تفعل، فوالله إني لأحبّ الوجع، ومن أحبه كان أحبّ الناس إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، فهذا ممّا كسبت يدي، وعفو ربي عمّا بقي أكثر.

وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها.. إلا بذنب لم يكن الله ليغفره إلا بها، أو لنيل درجة لم يكن ليوصله إليها إلا بها.

وروي: أنّ رجلاً قال لموسى: يا موسى؛ سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها، ففعل موسى، فلمّا نزل إذا هو بالرجل قد مرّق السبع لحمه وقتله، فقال موسى: يا ربّ؛ ما بال هذا؟ فقال الله تعالى: «يا موسى؛ إنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله، فأصبته بما ترى؛ لأجعله وسيلة له في نيل تلك الدرجة»^(٢).

قوله: (وهو تعالى أكرم... إلخ) متعلّق بقوله: ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، فكان المناسب تقديمه بـ«بلصقه».

قوله: (من أن يُثَنَّى الجزاء في الآخرة) أي: من أن يعيدَ الجزاء بالعقوبة في الآخرة؛ لأنّ الكريم لا يُعاقب مرّتين.

قوله: (وأمّا غير المُذنبين) أي: كالأنبياء والأطفال والمجانين.

قوله: (لرفع درجاتهم) وقيل في الأطفال: إنّ مصائبهم لتكفير سيئات أبويهم، وفي الحقيقة: رفع درجات لهم، وتكفير لأبائهم.

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٣/١٢) عن الحسن مُرسلاً، والطبري في «تفسيره» (٥٣٩/٢١) عن قتادة، ولم يذكر فيه الحجر.

(٢) انظر الأخبار الثلاثة في «تفسير القرطبي» (٣١/١٦).

وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾

﴿٣١﴾ وَمَا أَنْتُمْ يا مُشْرِكُونَ ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ اللهُ هَرَبًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فَتَفُوتُونَهُ، ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يَدْفَعُ عَذَابَهُ عَنْكُمْ.

(﴿٣٢﴾ - ﴿٣٤﴾) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ﴾: السُّفُنُ ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾: كَالجِبَالِ فِي الْعِظَمِ،

حاشية الصاوي

قوله: (يا مشركين) كذا في النسخ التي بأيدينا، والصواب: (يا مشركون)؛ لأنَّ المنادى يُبْنَى على ما يُرْفَعُ به، وهو يُرْفَعُ بالواو.

قوله: ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ (الله) أي: فَارِّينَ مِنْ عَذَابِهِ.

قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أي: أدلَّةٌ توحيدِهِ وعجائبُ قُدْرَتِهِ.

قوله: ﴿الْجَوَارِ﴾ بحذف الياء خطأ؛ لأنها من ياءات الزوائد، وإثباتها في اللفظ وصلاً ووقفًا، وحذفها كذلك، أربع قراءات سبعيات^(١).

قوله: (السفن) استشكل: بأنَّ ظاهر الآية يُوهم حذف الموصوف وإبقاء صفته، مع أنَّ الجري ليس من الصفات الخاصة بالموصوف وهو السفن، وحينئذٍ: فلا يجوز حذفه؛ لعدم علمه، قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وَمَا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عُقْلٌ يَجُوزُ حَذْفُهُ، وَفِي النَّعْتِ يَقِلُّ

أجيب: بأنَّ محلَّ الامتناع: إذا لم تَجْرِ الصِّفَةُ مَجْرَى الْجَوَامِدِ؛ بأنَّ تغلبَ عليها الاسمِيَّةُ؛ كالأبطح والأبرق والأجرع^(٣)، وإلا.. جاز حذف الموصوف؛ ولذلك فسر ﴿الْجَوَارِ﴾ بـ(السفن)، ولم يقل: (أي: السفن الجارية).

(١) أثبت الياء وصلاً نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، وفي الحالين ابن كثير ويعقوب، وحذفها الباقون مطلقاً. انظر «البدور الزاهرة» (٢٨٧).

(٢) «الخلاصة»، باب النعت.

(٣) أسماء أماكن، والأبطح في الأصل: المكان المنبطح، والأجرع: المكان المستوي من الرمل، والأبرق: ما فيه لون مختلف، وهو الحمرة والبياض.

إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ﴾ : يَصِرْنَ ﴿رَوَاكِدَ﴾ : ثَوَابِتَ لَا تَجْرِي ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ : إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿هُوَ الْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ فِي الشَّدَّةِ وَيَشْكُرُ فِي الرَّخَاءِ﴾، ﴿أَوْ يُوقِفَهُنَّ﴾ - عَطَفَ عَلَى ﴿يُسْكِنِ﴾ - أَي : يُغْرِقُهُنَّ بِعَصْفِ الرِّيحِ بِأَهْلِهِنَّ، ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ أَي : أَهْلُهُنَّ مِنَ الذُّنُوبِ، ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مِنْهَا فَلَا يُغْرِقُ أَهْلَهُ.

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَيَظْلِلْنَ﴾ بفتح اللام في قراءة العامة؛ من : (ظَلِلَ) بكسرها كـ (عَلِمَ)، وقرئ شذوذاً : ﴿فَيُظْلِلْنَ﴾ بكسر اللام؛ من : (ظَلَّ) بفتحها كـ (ضَرَبَ) ^(١).

قوله : (أَي : يَصِرْنَ) أشار بذلك إلى أنَّ المراد من (ظَلَّ) الصيرورة في ليلٍ أو نهارٍ، وليس المراد معناها، وهو اتِّصاف المخبر عنه بالخبر نهاراً.

قوله : ﴿رَوَاكِدَ﴾ جمع راكد، يقال : رَكَدَ الماء ركوداً - من باب (قعد) - : سَكَنَ، ويوصف به الرِّيحُ والسفينة وكلُّ شيء يسكن بعد تحرُّكه.

قوله : ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أَي : كثير الصبر على البَلَايا، عظيم الشكر على العطايا.

قوله : (عَطَفَ عَلَى ﴿يُسْكِنِ﴾) أَي : فالمعنى : إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَرْكَدْنَ، أَوْ يَعْصِفُهَا فَيُغْرِقْنَ، ولا مفهوم له، بل قد يُغْرِقُهَا اللهُ بسببٍ آخر؛ كَقُلْعِ لَوْحٍ أَوْ غير ذلك.

قوله : (بِعَصْفِ الرِّيحِ بِأَهْلِهِنَّ) أَي : اشتدادها، وإنما قِيْدَ به وإن كانت أسبابُ الغرق كثيرة؛ نظراً للشأن والغالب.

قوله : (أَي : أَهْلُهُنَّ) تفسيرٌ للواو في ﴿كَسَبُوا﴾ العائد على أهل السفن، المعلوم من السياق.

قوله : ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ قرأ العامة بالجزم عطفاً على جواب الشرط، واستشكل : بأنه يلزم عليه دخول العفو في حيز المشيئة مع أنه إخبارٌ عن العفو من غير شرط المشيئة.

وأجيب : بأنَّ الجزم من حيث الصورة الظاهرية، لا من حيث المعنى، وقرئ شذوذاً : (وَيَعْفُو) بالرفع والنصب ^(٢)؛ أمَّا قراءة الرفع.. فهي محتملة لوجهين : الأول : الاستئناف، الثاني : الجزم،

(١) وهي قراءة قتادة؛ كما نقله العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٥٥٦/٩).

(٢) قرأ الأعمش (ويعفو) بالواو، وقرأ بعض أهل المدينة بالنصب. انظر «الدر المصون» (٥٥٧/٩).

وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ

﴿٣٥﴾ - بِالرَّفْعِ مُسْتَأْنَفٌ، وَبِالنَّصْبِ مَعْطُوفٌ عَلَى تَعْلِيلٍ مُقَدَّرٍ - أَي: يُغْرِقُهُمْ لِيَسْتَقِمَ مِنْهُمْ وَيَعْلَمَ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾: مَهْرَبٌ مِنَ الْعَذَابِ، - وَجُمْلَةٌ النَّفْيِ سَدَّتْ مَسَدَ مَفْعُولِي (يَعْلَمُ)، وَالنَّفْيُ مُعَلَّقٌ عَنِ الْعَمَلِ ..

﴿٣٦﴾ - ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ - خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ - ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ أَثَاثِ الدُّنْيَا ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا ثُمَّ يَزُولُ، ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ
حاشية الصاوي

وزيدت الواو للإشباع، كزيادتها في (من يتقي ويصبر)^(١)، وأما قراءة النصب.. فهو على إضمار (أن) بعد الواو، قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وَالْفِعْلُ مِنْ بَعْدِ الْجَزَا إِنْ يَفْتَرِنَ بِأَلِفَا أَوْ الْوَائِ بِثَلَاثٍ قَمِنْ
وهذا نظير ما قيل في قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]^(٣).

قوله: (منها) أي: الذنوب، أو السفن.

قوله: (بالرفع مُسْتَأْنَفٌ) أي: وهو يَعْلَمُ، وقوله: (وبالنصب) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٤).

قوله: (ليستقيم منهم) أي: بالغرق، وهو تعليلٌ للإغراق.

قوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ﴾ (ما): شَرْطِيَّةٌ مَفْعُولٌ ثَانٍ لـ ﴿أُوتِيتُمْ﴾، والأوّل: ضمير المخاطبين به نائب الفاعل، و﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ بيان لـ (ما)، وقوله: ﴿فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ جملةٌ مِنْ مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، جوابُ الشرط.

قوله: (من أثاث الدنيا) أي: منافعها؛ من مأكَلٍ ومشربٍ وملبسٍ ومنكحٍ ومركبٍ وغير ذلك، واحدة: أَثَاثَةٌ، وقيل: لا واحدَ له من لفظه.

قوله: (ثم يزول) أخذه من قوله: (متاع)؛ لأنَّ المتاع هو ما يُتَمَتَّعُ بِهِ تَمَتُّعاً يَنْقُضِي.

(١) بإثبات ياء (يتقي) في قراءة قبل.

(٢) «الخلاصة»، باب (عوامل الجزم).

(٣) في آخر سورة (البقرة)، ويكون قد عطف هذا المصدر المؤول من (أن) المضمرة والفعل على مصدر متوهم من الفعل قبله، تقديره: أو يقع إيباقٌ وعفو عن كثير.

(٤) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٥٥٨/٩).

خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ الْإِيمَانَ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ - وَيُعْطَفُ عَلَيْهِمْ - :
(﴿٣٧﴾ - ﴿٣٩﴾) ﴿وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ الْإِيمَانَ وَالْفَوَاحِشَ﴾ : مُوجِبَاتِ الْحُدُودِ - مِنْ عَطَفِ
الْبَعْضِ عَلَى الْكُلِّ - ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ : يَتَجَاوَزُونَ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: اتَّصَفُوا بِالْإِيمَانِ وَمَاتُوا عَلَيْهِ.
قوله: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يَعتقدون أن لا ملجأ لهم من الله إلا إليه، ولا ضارٌّ ولا نافعٍ
سواه.

والتوكلُ بهذا المعنى شرطٌ في صحة الإيمان، وأما إن أُريدَ به تفويضُ الأمورِ إليه، والاعتمادُ
عليه في جميع ما ينزل بالشخص.. فليس شرطاً في صحته، بل هو وصف كامل الإيمان، وليس
مراداً هنا؛ لأنَّ ما عند الله من الثواب يكون لِعُموْمِ المؤمنين.
قوله: (ويعطف عليه) أي: على قوله: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قوله: ﴿يَحْنَبُونَ الْإِيمَانَ﴾ هي كلُّ ما ورد فيها حدٌّ أو وعيدٌ.
قوله: (من عطف البعض على الكل) مرادُه: عطفُ الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ من الكبائر ما فيه
الوعيدُ ولا حدٌّ فيه؛ كالغيبة والنميمة والعجب والرياء.

قوله: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا﴾... إلخ (إذا): ظرفٌ منصوبٌ بـ﴿يَغْفِرُونَ﴾، مجردٌ عن معنى الشرط،
و﴿مَا﴾: صلة، و﴿هُمْ﴾: مبتدأ، و﴿يَغْفِرُونَ﴾: خبره، والجملة معطوفةٌ على الصلة، والتقدير:
والذين يَحْتَنِبُونَ وهم يغفرون عطفَ جملةٍ اسميةٍ على فعليةٍ، ويصح أن تكون ﴿إِذَا﴾ شرطية،
و﴿مَا﴾: صلة، و﴿غَضِبُوا﴾: فعل الشرط، و﴿هُمْ﴾: تأكيدٌ للواو، و﴿يَغْفِرُونَ﴾: جواب الشرط،
وأما جعل ﴿هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ جملةً من مبتدأ وخبر، جواب الشرط.. فسادٌ؛ لِخُلُوهُ مِنَ الْفَاءِ، ولا ينبغي
حملُ التنزيلِ عليه.

والمعنى: أن من مكارم الأخلاق التَّجَاوُزَ والحلمَ عند حُصولِ الغضب، ولكن يُشترط أن يكون
الحلمُ غيرَ مُخلٍّ بالمروءة، ولا واجباً، وإلا.. فالغضب مطلوبٌ؛ كما إذا انتهكت حرمة الله..
فالواجبُ الغضبُ لا الحلمُ، وعليه قول الإمام الشافعي: من استغضب

وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ : أجبوه إلى ما دعاهم إليه من التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ : أدأموها، ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الذي يبدؤ لهم ﴿شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ وَلَا يَعَجَلُونَ،
حاشية الصاوي

ولم يغضب فهو حمار^(١). وقال الشاعر^(٢): [الطويل]

إِذَا قِيلَ: حِلْمٌ قُلٌّ: فَلِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلٌ
وبالجملة: فكلُّ مقامٍ له مقالٌ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ معطوفٌ على الموصول المتقدم، وهذه الآية نزلت في الأنصار، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان، فاستجابوا له، ونَقَبَ عليهم اثني عشر نقيباً قبل الهجرة.
قوله: (أجابوه إلى ما دعاهم... إلخ) أي: على لسان رسوله ﷺ، وأشار المفسر إلى أنَّ السين والتاء زائدتان.

قوله: ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: أدَّوْهَا بِشُرُوطِهَا وَأَدَابِهَا.

قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ الشُّورى: مصدر (شاورته) أي: شاركته في الرأي؛ كـ(البشرى)، وكانت الأنصار قبل قدوم النبي ﷺ إذا أرادوا أمراً.. تشاوروا فيه، ثُمَّ عملوا عليه، فَمَدَحَهُمَ اللهُ تعالى به وأمره ﷺ بذلك، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾؛ تَأْلِيفاً لِقُلُوبِ أَصْحَابِهِ، وذلك في الأمور الاجتهادية كالحروب ونحوها، ولم يكن يُشاورهم في الأحكام؛ لأنها مُنزلة من عند الله تعالى، وكانت الصحابة بعده ﷺ يَتَشَاوَرُونَ في المهمَّات من أمور الدين والدنيا، وأوَّلُ ما تشاور فيه الصحابةُ الخلافةُ؛ لأنَّ النبيَّ لم يَنْصُصْ عليها، فوقع بينهم اختلافٌ، ثُمَّ اجتمعوا وتشاوروا، فقال عمر: نَرْضَى لِدُنْيَانَا ما رَضِيَ النَّبِيُّ لِدِينِنَا. واختلَفُوا في ميراث الجد.

وبالجملة: فالشورى أمرها عظيمٌ، قال الحسن: ما تشاورَ قومٌ قط إلا هُدُوا إلى أرشد أمورهم، وفي الحديث: «إِذَا كَانَ أَمْرًاؤُكُمْ خِيَارُكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سَمَحَاءُكُمْ، وَأَمْرُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ.. فَظَهَرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَاطِنِهَا، وَإِنْ كَانَ أَمْرًاؤُكُمْ شَرَارُكُمْ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بَخْلَاءُكُمْ، وَأَمْرُكُمْ إِلَى نَسَائِكُمْ.. فَبَطَنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا»^(٣).

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٩/١٤٣)، وتماهه: (وَمَنْ اسْتَرْضَى فَلَمْ يَرْضَ.. فهو شيطان).

(٢) البيت للمنتبي بنحوه، انظر «شرح ديوانه» للواحدي (ص ٣٦).

(٣) رواه الترمذي (٢٢٦٦) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وفيه: (من بطنها) بدل (من باطنها).

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾: أعطيناهاهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله. ومن ذكر صنف، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾: الظلم ﴿هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ صنف، أي: يَنْتَقِمُونَ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ بِمِثْلِ ظُلْمِهِ كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سُمِّيتِ الثَّانِيَةُ سَيِّئَةً لِمُشَابَهَتِهَا لِلْأُولَى فِي الصُّورَةِ، وهذا ظاهر فيما يُقْتَضَى فِيهِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ، قال بعضهم: وإذا قال له: أخزأك الله فيجيبه: أخزأك الله، ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ عن ظالمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الْوَدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْفُو عَنْهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أي: في وجوه البر، وكانوا يُقَدِّمُونَ غيرهم عليهم، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

قوله: (ومن ذكر صنف) أي: المؤمنون المتقدمون، فيحتمل أن الله تعالى جعل المؤمنين صنفين: صنفٌ يَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمْ، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، وصنفٌ يَنْتَقِمُونَ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ، وقد ذكرهم الله في قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩].

قوله: ﴿هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ هي في الإعراب كقوله: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾، سواء بسواء، ويزيد هنا أنه يصح أن يكون ﴿هُمْ﴾ توكيداً للضمير المنصوب في ﴿أَصَابَهُمْ﴾، وحينئذٍ: ففيه الفصل بين المؤكِّد والمؤكَّد بالفاعل^(١).

قوله: (وهذا) أي: قوله: ﴿مِثْلُهَا﴾، وقوله: (من الجراحات) أي: وغيرها من سائر الحقوق التي يمكن استيفاؤها.

قوله: (قال بعضهم) هو مجاهدٌ والسُّدِّيُّ^(٢).

قوله: ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ الفاء: للتفريع؛ أي: إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة.. فالأولى العفو والإصلاح؛ لتعذر المماثلة غالباً.

قوله: ﴿وَأَصْلَحَ﴾ الْوَدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْفُو عَنْهُ أشار بذلك إلى أن الإصلاح من تمام العفو، وفيه تحريضٌ وحثٌ على العفو؛ فَإِنَّ أَمْرَهُ عَظِيمٌ، وفيه تفويض الأمر إلى الله تعالى، والله لا يُخَيِّبُ مَنْ فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَيْهِ.

(١) والظاهر أنه غير ممنوع. انظر «الدر المصون» (٩/٥٦٢).

(٢) كما في «السراج المنير» (٣/٥٤٦).

فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾
 إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
 وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ

﴿فَاجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إن الله يأجره لا محالة، ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أي: البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه.

﴿٤١ - ٤٢﴾ ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ أي: ظلم الظالم إياه ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾: مؤاخذه، ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾: يعملون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بالمعاصي، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

﴿٤٣﴾ ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وَغَفَرَ﴾: تجاوز، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الصبر والتجاوز

حاشية الصاوي

قوله: (أي: البادئين بالظلم) أي: الذين فعلوا الظلم ابتداءً.

قوله: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ اللام: للابتداء، و(من): شرطية، وجملة ﴿فَأُولَئِكَ﴾... إلخ جواب الشرط، أو موصولة مبتدأ، وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ خبره، ودخلت الفاء؛ ليشبه الموصول بالشرط.

قوله: (أي: ظلم الظالم إياه) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للمفعول، وفي هذه الآية إشارة إلى أن للمظلوم أن يأخذ حقه ممن ظلمه بنفسه، وهو جائز بشرط ألا يزيد على حقه، وأن يأمن من ولاة الأمور، وأن يكون حقه ثابتاً.

قوله: ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ أي: لأنهم فعلوا ما هو جائز لهم.

قوله: ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ قيد به؛ إشارة إلى أن البغي قد يكون مصحوباً بالحق؛ كما إذا أخذ حقه مع التجاوز فيه.

قوله: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾... إلخ عطف على قوله: ﴿وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾، وجملة ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾... إلخ اعتراض، وكرر الصبر اهتماماً به، وترغيباً فيه، وإشارة إلى أنه محمود العاقبة، وهو أولى إن لم يترتب عليه مفسدة، وإلا... كان الانتصار أولى^(١).

(١) كما إذا احتيج إلى كَفِّ زيادة البغي وقطع مادة الأذى، وعن النبي ﷺ ما يدل عليه، وهو أن زينب أسمعت عائشة رضي الله عنها بحضرته، فكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: «دُونِكِ فانتصري» خرَّجه مسلم في «صحيحه» بمعناه. «تفسير القرطبي» (٤٤/١٦).

لَمِنْ عَزِمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلِ ﴿٤٤﴾ وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ.....

﴿لَمِنْ عَزِمِ الْأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها بمعنى المطلوبات شرعاً.

﴿٤٤﴾ ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إيَّاه، ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُوا هَلْ إِلَى مَرَدٍّ﴾ إلى الدنيا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: طريق.

﴿٤٥﴾ ﴿وَتَرْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعِينَ﴾: خائفين متواضعين ﴿مِنْ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: ضعيف النظر مُسَارِقَةً، - (مِنْ) ابتدائية أو بمعنى الباء، - ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة لو آمنوا، - والموصول خبرُ حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَمِنْ عَزِمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من الأمور التي أمر الله بها وأكد عليها.

قوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ أي: يمنع عنه الهدى.

قوله: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ﴾ خطابٌ لكل من تتأتى منه الرؤية، وهي بصرية، والجملة بعدها حال.

قوله: ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ عبر عنه بالماضي؛ إشارةً لتحقيق الوقوع.

قوله: ﴿يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ حال، وكذا قوله: ﴿خَشِيعِينَ﴾.

قوله: (أي: النار) أي: المعلومة من دلالة العذاب عليها.

قوله: ﴿مِنْ الدُّلِّ﴾ متعلق بـ ﴿خَشِيعِينَ﴾ أي: من أجل الذل.

قوله: (مُسَارِقَةً) أي: يُسَارِقُونَ النظر إليها؛ خوفاً منها، وذلاً في أنفسهم.

قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ظرفٌ لـ ﴿خَسِرُوا﴾ والقول واقعٌ في الدنيا، أو ظرفٌ لـ (قال) فهو واقعٌ

يوم القيامة، وعبر بالماضي لتحقيق الوقوع.

قوله: ﴿بِتَخْلِيدِهِمْ فِي النَّارِ...﴾ إلخ) لفٌّ ونشْرٌ مرتَّبٌ.

أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾

(إِنَّ) .، ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾: دائم، هو مِنْ مَقُولِ اللَّهِ تعالى .

﴿٤٦﴾ ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره يَدْفَعُ عَذَابَهُ عَنْهُمْ، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾: طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة .

﴿٤٧﴾ ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾: أجيبوه بالتَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ هو يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: إنه إذا أَتَى بِهِ لَا يَرُدُّهُ، ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ﴾ تَلْجَأُونَ إِلَيْهِ ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: إنكار لِذُنُوبِكُمْ .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ﴾ خبرٌ مُقَدَّم، و﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾: اسمها مؤخَّر، و﴿مِنْ﴾: زائدة، و﴿يَنْصُرُونَهُمْ﴾: صفة لـ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ .

قوله: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ السين والتاء: زائدتان؛ كما أشارَ لَهُ المفسِّرُ بقوله: (أجيبوه)، والمعنى: أجيبوا داعيَ رَبِّكُمْ وأطيعوه فيما يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ .

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ (إلخ) أي: أطيعوا في الدنيا التي هي ظَرْفٌ لِلْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا جَاءَ . . لَا يَرُدُّهُ اللَّهُ؛ ففِيهِ وَعِيدٌ لِلْكَافِرِينَ .

قوله: (لا يَرُدُّهُ) أشارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَنْ اللَّهُ﴾ متعلِّقٌ بِ﴿مَرَدَّ﴾ .

قوله: ﴿مِنْ مَلْجَأٍ﴾ أي: مفرٌّ ومهرب .

قوله: (إنكار لِذُنُوبِكُمْ) أي: لأنها مكتوبةٌ في صحائفكم، تشهدُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ وَالْجَوَارِحُ، وَالْمَرَادُ: إنكارٌ نافعٌ، وإلَّا . . فالكفارُ أَوَّلًا يُنْكِرُونَ الذُّنُوبَ؛ طمعاً في العفو، ثُمَّ إِذَا لَمْ يَجِدُوا مخلصاً . . يقرُّون . وما قاله المفسِّرُ أَوْضَحُ ممَّا قاله غيره: أَنَّ المرادَ بِالنَّكِيرِ: الناصر الذي ينصرهم؛ لِإِغْنَاءِ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ مَلْجَأٍ﴾ عَنْهُ ^(١) .

(١) وهو قول مجاهد؛ كما في «تفسير القرطبي» (٤٧/١٦) .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

﴿٤٨﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾: تحفظ أعمالهم بأن توافِقَ المطلوب منهم، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهد، ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾: نعمة كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ﴾ - الضمير للإنسان باعتبار الجنس - ﴿سَيِّئَةٌ﴾: بلاء ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: قدموه، وعبر بالأيدي لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ هذه الجملة تعليل للجواب المحذوف، والتقدير: فلا تحزن، أو لا عتاب عليك، أو لا تكلف بشيء؛ لأننا ما أرسلناك... إلخ.

قوله: (بأن توافِق) أي: أعمالهم الصادرة منهم، وقوله: (المطلوب منهم) أي: الأعمال المطلوبة منهم كالإيمان والطاعة، والمعنى: لم نرسلك لتخلق الهدى في قلوبهم، وتجعل أعمالهم موافقة للوجه الذي طلبناه منهم.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهد) اسم الإشارة عائد على الحصر، والمعنى: أن هذا الحصر منسوخ؛ لأنه بعد الأمر بالجهد عليه البلاغ والقتال.

قوله: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾... إلخ) الحكمة في تصدير النعمة بـ(إذا)، والبلاء بـ(إن): الإشارة إلى أن النعمة مُحَقَّقة الحصول، بخلاف البلاء؛ لأن رحمة الله تغلب غضبه.

قوله: ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ أي: فرح بطرٍ وتكبر.

قوله: (الضمير) أي: في ﴿تُصِيبُهُمْ﴾.

قوله: (باعتبار الجنس) أي: الاستغراق، فجمعه باعتبار المعنى.

قوله: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ في ذلك إشارة إلى أن المصيبة تكون بسبب كسب المعاصي، والنعمة تكون بمحض فضل الله، قال تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩]؛ فالواجب على الإنسان إذا أعطاه الله نعمة.. أن يشكره عليها، ويصرفها فيما يرضيه، وإذا أصيب بمصيبة.. فليصبر عليها، ويحمده عليها، فلعلها تكون كفارة لما اقترفه.

لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

(٤٩ - ٥٠) ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مِنَ الْوَلَادِ ﴿إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ﴿٥٠﴾ أَي: يَجْعَلُهُمْ ﴿ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فَلَا يِلْدُ وَلَا يُولَدُ لَهُ، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَخْلُقُ ﴿قَدِيرٌ﴾ عَلَى مَا يَشَاءُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يتصرف فيهما كيف يشاء.

قوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: من حيوانات وغيرها.

قوله: ﴿يَهَبُ﴾ من: (وَهَبَ) كـ (وَضَعَ)، والمصدر: وَهَبًا بسكون الهاء وفتحها، وَهْبَةٌ، والاسم: الموهب والموهبة بكسر الهاء فيهما، وهو العطاء من غير مُقابلٍ ولا عوضٍ.

قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أي: الآباء والأمهات.

قوله: (من الأولاد) متعلق بـ ﴿يَهَبُ﴾، لا بيان لـ (مَنْ)؛ لأنها عبارة عن الآباء والأمهات.

قوله: ﴿إِنثًا﴾ قَدَمَهُنَّ؛ إشارة إلى أنه تعالى يفعل ما يشاء، لا ما يشاؤه عباده؛ فالإناث مِمَّا يَشَاؤُهُ هو، ونَكَرَهُنَّ؛ لانحطاط رُبَّتِهِنَّ عن الذكور؛ ولذا عَرَّفَ الذكور، وقَدَمَهُمْ آخِرًا.

قوله: (أي: يجعلهم ﴿ذَكَرًا وَإِنثًا﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿ذَكَرًا وَإِنثًا﴾ مفعول ثانٍ لـ (يُزَوِّجُ)، والمعنى: يجعل الأولاد ذكرًا وإناثًا حال كونهم مُزدوجين^(١).

قوله: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ ﴿مَنْ﴾: واقعة على الرجل والمرأة، فقوله: (فلا يلد)

أي: إذا كان امرأة^(٢)، وقوله: (ولا يولد له) أي: إذا كان رجلاً، فالعقيم هو: الذي لا يُولد له، ذكرًا أو أنثى، وفعله من باب (فَرَحَ) و(نَصَرَ) و(كَرَّمَ).

وقال ابن عباس: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا﴾ يُريد لوطاً وشعيباً عليهما السلام؛ لأنهما لم يكن

لهما إلا البنات، ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ يُريد إبراهيم عليه السلام؛ لأنه لم يكن له إلا الذكور، ﴿أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا﴾ يريد محمداً ﷺ؛ فإنه كان له من البنين ثلاثة على الصحيح: القاسم،

(١) وقيل: ﴿ذَكَرًا وَإِنثًا﴾ حال، وهي حال لازمة، وسَوَّغَ مجيئها كذلك: أنها بعد ما يجوز أن يكون الأمر على خلافه؛

لأن معنى (يزوجهم): يقرنهم. انظر «الدر المصون» (٩/٥٦٥).

(٢) والتذكير باعتبار لفظ (من)، وفي نسخة: (فلا تلد) بالتاء الفوقية، وهي ظاهرة. «فتوحات» (٤/٧٩).

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ

﴿٥١﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يُوحِيَ إِلَيْهِ ﴿وَحْيًا﴾ في المنام أو بإلهام، ﴿أَوْ﴾ إِلَّا ﴿مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ بِأَنْ يُسَمِعَهُ كَلَامَهُ وَلَا يَرَاهُ،
حاشية الصاوي

وعبد الله، وإبراهيم، ومن البنات أربع: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ يريد يحيى وعيسى عليهما السلام اه^(١). ولكن حمل الآية على العموم أولى؛ لأنَّ المراد بيانُ نفاذ قدرته تعالى في الكائنات كيف يشاء.

قوله: ﴿أَنْ يُكَلِّمَهُ﴾ ﴿أَنْ﴾ وما دخلت عليه: في تأويل مصدر اسم ﴿كَانَ﴾^(٢).

قوله: ﴿إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحْيًا﴾ أشار بذلك إلى أنَّ ﴿وَحْيًا﴾ منصوب على الاستثناء المفرغ، خلافاً لِمَنْ قال: إنه منقطع؛ نظراً لظاهر اللفظ؛ فإنَّ الوحي ليس بتكليم^(٣).
والوحي: الإشارةُ والرسالة والكتابة وكلُّ ما ألقِيَتْه إلى غيرك ليعلمه، ثمَّ غلب استعماله فيما يُلقَى إلى الأنبياء.

قوله: (في المنام) أي: فرؤيا الأنبياء حقٌّ، وذلك كما وقع للخليل حين أُمِرَ بذبح ولده في المنام، ورسول الله حين رأى أنه يدخل مكة، فَصَدَّقَ الله رؤياهما، وقوله: (أو بالإلهام) أي: الإلقاء في القلوب لا بواسطة ملك، وقد يقع الإلهام لغير الأنبياء كالأولياء، غير أنَّ إلهام الأولياء لا مانع من اختلاط الشيطان به؛ لأنهم غير معصومين، بخلاف الأنبياء؛ فإلهامهم محفوظ منه.

قوله: ﴿أَوْ﴾ إِلَّا ﴿مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ أشار بذلك إلى أنَّ ﴿مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ معطوفٌ على ﴿وَحْيًا﴾ باعتبار مُتعلِّقه، تقديره: إلا أن يُوحى إليه أو يكلمه.

قوله: (ولا يراه) أشار بذلك إلى أنَّ المراد من الحجاب لازمته، وهو عدم الرؤية، والحجاب وصفُ العبد، لا وصفُ الربِّ.

(١) كذا نقله عنه الخطيب في «السراج المنير» (٣/ ٥٥٠)، وردّه الغماري في كتابه «بدع التفاسير» (ص ١٢٣)، وقال: (هذا التأويل باطل؛ لأنه تخصيص للآية بدون دليل، ثم تخصيصها بهؤلاء الأنبياء دون غيرهم... لا دليل عليه، ثم العقيم من تزوج ولم يولد له، ويحيى وعيسى لم يتزوجا أصلاً).

(٢) على أنها ناقصة، وتحتل أيضاً أن تكون تامة، أو زائدة. انظر «مغني اللبيب» (ص ٧٢٦).

(٣) وهو ما ذهب إليه أبو البقاء في «التيان» (٢/ ١١٣٥).

أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

كما وَقَعَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿أَوْ﴾ إِلَّا أَنْ ﴿يُرْسِلَ رَسُولًا﴾: مَلَكًا كَجِبْرِيلَ، ﴿فَيُوحِيَ﴾ الرَّسُولُ إِلَى الْمُرْسَلِ إِلَيْهِ أَي: يُكَلِّمُهُ ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿مَا يَشَاءُ﴾ اللَّهُ، ﴿إِنَّهُ عَلَى﴾ عَنْ صِفَاتِ الْمُحَدِّثِينَ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي صُنْعِهِ.

(﴿٥٢﴾ - ﴿٥٣﴾) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ إِيحَاتِنَا إِلَى غَيْرِكَ مِنَ الرُّسُلِ ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (كما وقع للسيد موسى) أي: في جميع مناجاته؛ كما تقدّم مفصلاً.

قوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ برفع اللام وكذلك (يُوحِي)، ونصبهما، قراءتان سبعيتان^(١)؛ فالرفع خبر لمحذوف؛ أي: وهو يُرسل، والنصب على أنه معطوف على ﴿وَحَيًّا﴾ بإضمار (أن)، قال ابن مالك^(٢): [الرجز]

وإن على اسم خالصٍ فعلٌ عطفٌ تنصبُهُ (أن) ثابتاً، أو منحذف

قوله: (كجبريل) أدخلت الكاف غيره كإسرافيل ومَلَك الجبال؛ فإنَّ الله تعالى أرسل كلاً إلى رسول الله ﷺ^(٣).

قوله: ﴿إِنَّهُ عَلَى﴾ عن صفات المحدّثين) أي: منزّة ومقدّس عنها.

قوله: ﴿حَكِيمٌ﴾ (في صنعه) أي: يضع الشيء في محله.

قوله: (أي: مثل إيحائنا إلى غيرك... إلخ) التشبيه في مُطلق الإيحاء والإرسال؛ لأنه ﷺ وقع له الكلام والرؤية، بخلاف باقي الأنبياء، فهو من تشبيه الأكمل بالكمال؛ بسابقية الكامل في الوجود، فالحصر المتقدم بالنسبة للأنبياء غير نبيّنا ﷺ؛ فلا يقال: إن الآية تدلُّ على أنَّ الوحي مُنحصرٌ في هذه الثلاثة، ولا يشمل الكلام مشافهةً، مع أنه وقع لرسول الله ﷺ.

(١) قرأ نافع: «يرسل» برفع اللام، وكذلك (فيوحى) فسكنت ياؤه، والباقون ينصبهما. انظر «الدر المصون» (٩/٥٦٦).

(٢) «الخلاصة»، باب: (إعراب الفعل).

(٣) أما إرسال إسرافيل... فرواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٤٤٧) عن سيدنا ابن عباس ؓ، وأما إرسال ملك الجبال... فرواه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) عن سيدتنا عائشة ؓ.

رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَكْكِتُبُ وَلَا إِلَيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ

يا مُحَمَّد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآنُ بِهِ تَحْيَا الْقُلُوبُ، ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الَّذِي نُوحِيهِ إِلَيْكَ، ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي﴾ تَعْرِفُ قَبْلَ الْوَحْيِ إِلَيْكَ ﴿مَا أَكْكِتُبُ﴾: الْقُرْآنُ ﴿وَلَا إِلَيمَنُ﴾ أَي: شَرَائِعُهُ وَمَعَالِمُهُ، - وَالنَّفْيُ مُعْلَقٌ لِلْفِعْلِ عَنِ الْعَمَلِ، أَوْ مَا بَعْدَهُ سَدٌّ مَسَدِّ الْمَفْعُولَيْنِ - ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ أَي: الرُّوحَ أَوْ الْكِتَابَ

حاشية الصاوي

قوله: (هو القرآن) هذا أحدُ تفاسير في (الروح)، وقيل: الرحمة، وقيل: الوحي، وقيل: الكتاب، وقيل: جبريل.

قوله: (به تحيا القلوب) أي: فشبه القرآن بالروح من حيث إنَّ كلاً به الحياة؛ فالقرآن به حياة الأرواح، والروح بها حياة الأشباح.

قوله: ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ﴿مِّنْ﴾: تَبْعِيضِيَّةٌ حَالٌ، وَالْمَعْنَى: حَالٌ كَوْنِ هَذَا الْقُرْآنِ بَعْضَ مَا نُوحِيهِ إِلَيْكَ؛ لِأَنَّهُ وَرَدَ: أَنَّهُ أُعْطِيَ الْقُرْآنُ وَمِثْلُهُ مَعَهُ^(١).

قوله: ﴿مَا أَكْكِتُبُ﴾ الكلام على حذف مضاف؛ أي: جواب ما الكتاب؟ والمعنى: جواب هذا الاستفهام.

قوله: ﴿وَلَا إِلَيمَنُ﴾ إن قلت: إنَّ الأنبياء لم تُحَجَّبْ أرواحُهم بدخولها في الأشباح عن التَّوْحِيدِ الْأَصْلِيِّ الْكَائِنِ فِي يَوْمِ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، بل بعض الأولياء كذلك؛ فكيف يُقال في حقِّ نبيِّنا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا إِلَيمَنُ﴾ مع أنه كان يتعبَّد قبل البعثة، وحاشاهُ أن يَعْبُدَ اللَّهَ مع جهله بمعبوده؟!

أجاب المفسِّر: بأنَّ الكلام على حذف مضاف؛ أي: شرائع الإيمان ومَعَالِمُهُ؛ كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقراءة والصهر، والمرادُ بالإيمان: الإسلام. قوله: (والنفي مُعْلَقٌ) صوابه: الاستفهام؛ لأنه مُتَأَخَّرٌ عَنِ النَّفْيِ، وَهُوَ الْمَعْلَقُ لِلْفِعْلِ عَنِ الْعَمَلِ لَفْظًا.

قوله: (أو ما بعده) (أو): بمعنى الواو.

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤) عن سيدنا المقدم بن معدي كرب، وفيه (الكتاب) بدل (القرآن).

تُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿تُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ : تَدْعُو بِالْوَحْيِ إِلَيْكَ ﴿إِلَى صِرَاطِ﴾ : طَرِيقِ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ : دِينِ الْإِسْلَامِ، ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ : مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ : تَرْجِعُ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَهْدِي بِهِ﴾ (صفة لـ ﴿تُورًا﴾، وسمي نوراً؛ لأنَّ بالنور الاهتداء في الظلمات الحسيَّة، فكذا القرآن يُهْتَدَى به في الظلمات المعنويَّة، والمراد: الهداية الموصلة؛ بدليل قوله: ﴿مَن نَّشَاءُ﴾.

قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ (أي: تدلُّ، والمفعول محذوف؛ أي: كلَّ مكلفٍ، فتحصل أن المعنى: أنت يا محمَّد عليك البلاغ والدلالة وإقامة الحُجَج، ونحن نخلق الهداية والتوفيق في قلب مَنْ نختاره مِنْ عِبَادِنَا.

قوله: (هي^(١) الإسلام) أي: وسمي طريقاً؛ لأنه يحصل به الوصول إلى المقصود كالطريق الحسي.

قوله: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ﴾ (بدل من ﴿صِرَاطِ﴾ الأول، بدل معرفة من نكرة.

قوله: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (﴿أَلَا﴾: أداة استفتاح يؤتى بها للاهتمام بما بعدها، والجار والمجرور: متعلق بـ ﴿تَصِيرُ﴾ قَدِّم للحصر، وأتى بهذا الجملة عقب التي قبلها إشارة إلى أنَّ كلَّ شيء من الله وإلى الله، فأفاد بالجملة الأولى: أنَّ جميع ما في السماوات وما في الأرض مملوكٌ له وناشيءٌ منه، وأفاد بالجملة الثانية: أنَّ جميع هذه الأشياء مرجعُها إليه في كلِّ ذرَّةٍ ولمحةٍ؛ فلا غنى لها عنه تعالى.

والمراد من المضارع الدَّوامُ، والمعنى: شأنه رُجوع الأمور إليه تعالى، وليس المراد حقيقةً؛ لأنَّ الأمور متعلِّقة به في كلِّ وقتٍ، فإذا علمت ذلك.. فكلُّ شيء لا يستغني عن الله تعالى طرفَةً عينٍ، قال العارف الشاذلي: (ولا تَكِلْنَا إلى أنفسنا طرفَةً عينٍ ولا أقلَّ من ذلك)^(٢)، فإذا شاهد

(١) كذا في (أ) تفسير للطريق، وفي (ط) (٢): (دين الإسلام).

(٢) قطعة من ورده المبارك المسمَّى بالحزب الكبير أو حزب البرّ.

حاشية الصاوي

الإنسان ذلك.. أوره مقام المراقبة، ورؤية عجز نفسه، واضطرابها وافتقارها إلى مالها، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

فائدة: قال سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف، فلم يبق منه إلا قوله: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾، وغرق مصحف، فانمحي كله إلا قوله: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾. انتهى^(١).



(١) كما في «تفسير القرطبي» (١٦/٦٠).

﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا



مَكِّيَّة، وقيل: إِلَّا ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا...﴾ الآية، تِسْعٌ وَثَمَانُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بِمُرَادِهِ بِهِ، ﴿وَالْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿الْمُبِينِ﴾: الْمُظْهِرِ طَرِيقَ الْهُدَى وما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ.

(٣ - ٤) ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾: أَوْجَدْنَا الْكِتَابَ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾: بِلُغَةِ الْعَرَبِ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْخُرُوفِ

سُمِّيَتْ بِاسْمِ كَلِمَةٍ مِنْهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَزُخْرُفًا﴾.

قَوْلُهُ: (مَكِّيَّة) أَي: كُلُّهَا حَتَّى هَذِهِ الْآيَةُ، بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ سُؤَالَ نَفْسِ الرِّسْلِ، وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةً الْإِسْرَاءِ لِبَيْتِ الْمَقْدَسِ، فَتَكُونُ مَكِّيَّةً؛ لِكَوْنِهَا قَبْلَ الْهَجْرَةِ.

قَوْلُهُ: (وَقِيلَ: إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسَلَّ مَنْ أَرْسَلْنَا...﴾ (إِلَخ) أَي: بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: وَاسْأَلْ مِنْ أَمَمِ رُسُلِنَا، وَالْمُرَادُ بِهِمْ: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

قَوْلُهُ: ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ هَذَا هُوَ الْمَقْسَمُ بِهِ، وَالْمَقْسَمُ عَلَيْهِ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وَهُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ؛ حَيْثُ جَعَلَ الْمَقْسَمَ وَالْمَقْسَمَ عَلَيْهِ مِنْ وَادٍ وَاحِدٍ، كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: لَيْسَ عِنْدِي أَعْظَمُ مِنْ كَلَامِي حَتَّى أَقْسِمَ بِهِ.

قَوْلُهُ: (أَوْجَدْنَا الْكِتَابَ) أَي: صَيَّرْنَاهُ مَقْرُوءًا؛ أَي: مَجْمُوعًا سُورًا مَوْصُوفَةً بِكَوْنِهَا عَرَبِيَّةً؛ رَحْمَةً مِنَّا وَتَنْزِيلًا لِعِبَادِنَا؛ لِعَجْزِهِمْ عَنْ شَهُودِ الْوَصْفِ الْقَائِمِ بِنَا، فَحُدُوثُهُ مِنْ حَيْثُ قِيَامُهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ، وَقَدَمُهُ مِنْ حَيْثُ وَصَفُ اللَّهِ بِهِ، وَقَدْ تَنَزَّهَ وَصْفُهُ عَنِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ وَالْجَمْعِ وَالتَّفْرِقِ، فَتَدَبَّرْ، وَدَفَعْ بِذَلِكَ مَا قِيلَ: إِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى حَدُوثِ الْقُرْآنِ مِنْ وَجْهِ ثَلَاثَةٍ:

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون معانيه، ﴿وَإِنَّهُ﴾: مثبت ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾: أصل الكتاب أي: اللوح المحفوظ، ﴿لَدَيْنَا﴾ - بدل -: عِنْدَنَا ﴿لَعَلِيَّ﴾: على الكتاب قبله، ﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حكمة بالغة.

﴿٥﴾ أَفَنَضْرِبُ:

حاشية الصاوي

الأول: أنها تدلُّ على أنَّ القرآن مجعولٌ، والمجعولُ هو المصنوع والمخلوق، والثاني: أنه وصفه بكونه قرآنًا، والمجموعُ بعضُهُ لبعضِ مصنوعٌ، والثالث: وصفه بكونه عربيًّا، والعربيُّ ما كان بلُغة العرب، وذلك يدلُّ على أنه مجعولٌ.

وأجاب الرازي أيضاً عن ذلك: بأنَّ هذا الذي ذكرتموه حقٌّ؛ لأنكم استدللتم بهذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات المتعاقبة محدثةً، وذلك معلوم بالضرورة، وليس لكم منازع فيه^(١). قوله: (وإنه مثبت... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ الجارَّ والمجرور خبر (إنَّ)، وقوله: ﴿لَعَلِيَّ﴾ خبر ثانٍ، واعتُرض بأنه يلزم عليه تقديم الخبر الغير المقرُّون باللام على المقرُّون بها، وفي جوازه خلافٌ، فالأحسنُ: أنَّ الجارَّ والمجرور متعلق بـ(عليَّ)، ولا يقال: إنَّ لام الابتداء لها صدر الكلام^(٢)؛ لأنه يُقال: محلُّ ذلك في غير باب (إن) كما قال ابن هشام في «مُغْنِيهِ»؛ لأنها فيه مؤخَّرة من تقديم؛ ولهذا تسمَّى المرحلة^(٣).

قوله: (بدلٌ) أي: من الجارَّ والمجرور، وقوله: (عندنا) تفسيرٌ لـ﴿لَدَيْنَا﴾.

قوله: ﴿لَعَلِيَّ﴾ أي: رفيع الشأن على غيره من الكتب.

قوله: ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ الهمزة داخلَةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه، تقديره: أنْهملكم فنضرب... إلخ، والاستفهام إنكارٌ؛ بدليل قولِ المفسِّر في آخر العبارة: (لا)، والمعنى: لا نُهملكم برفع الوحي ومنع إنزال القرآن، ونُعجل الهلاك من أجل كونكم قومًا مُسرِّفين، بل نتَّمُّ نورنا بتمام الإنزال لعبدنا، ﴿فَمَنْ تَكَّ فَإِنَّمَا يَنْكُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠].

(١) انظر «تفسير الرازي» (٦١٧/٢٧).

(٢) فيمتنع تعلق الجار والمجرور بما دخلت عليه.

(٣) «مغني اللبيب» (ص ٣٠٤).

عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾

نُمِسْكَ ﴿عَنْكُمْ الذِّكْرَ﴾: القرآن ﴿صَفْحًا﴾: إمساكاً فلا تُؤْمَرُونَ ولا تُنْهَوْنَ لِأَجْلِ ﴿أَنْ
كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾: مُشْرِكِينَ؟ لا.

(٦ - ٨) ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ وَمَا ﴿كَانَ﴾ يَأْتِيهِمْ: أتاَهُمْ ﴿مِنْ
نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومك بك،
حاشية الصاوي

قوله: (نُمِسْكَ) أي: عن إنزاله لكم.

قوله: ﴿صَفْحًا﴾: أشار المفسر إلى أنه مفعولٌ مطلقٌ مُلاقٍ لعامله - وهو (نضرب) -
في المعنى^(١).

قوله: (فلا يُؤْمَرُونَ ولا يُنْهَوْنَ) أي: بل يصيرون كالبهائم.

قوله: ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ بكسر الهمزة على أنها شرطية، وفتحها على أنها تعليلية،
قراءتان سبعيتان، لكن يرد على القراءة الأولى أن (إن) تُفيد الشك مع أن إسرافهم محقق، ويجاب: بأنه
يؤتى بها في مقام التحقيق قصداً لتجهيل المخاطب، بجعله كأنه مترددٌ في ثبوت الشرط شاكٌ فيه^(٢).

قوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾ (كم): خبرية بمعنى: عدداً كثيراً، مفعولٌ مقدمٌ لـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾، و﴿مِنْ
نَبِيِّ﴾: تمييز لها، و﴿فِي الْأَوَّلِينَ﴾ متعلقٌ بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ أي: في الأمم الأولى.

قوله: (أتاَهُمْ) أشار بذلك إلى أن المضارع بمعنى الماضي، وعبر عنه بالمضارع استحضاراً
للصورة العجيبة.

قوله: ﴿مِنْ نَبِيِّ﴾ أي: رسول؛ بدليل قوله: ﴿أَرْسَلْنَا... إلخ﴾.

(١) ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من الفاعل؛ أي: صافحين، وأن ينتصب على المصدر المؤكد لمضمون
الجملة، فيكون عامله محذوفاً، نحو: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾، قاله ابن عطية، وأن يكون مفعولاً من أجله، وأن يكون منصوباً
على الظرف. انظر «الدر المصون» (٥٧٣/٩).

(٢) قرأ نافع والأخوان بالكسر على أنها شرطية، وأجاب الزمخشري عن الإيراد: بأنه من الشرط الذي يصدر عن المدل
بصحة الأمر والتحقيق لثبوته، كقول الأجير: إن كنتُ عملتُ لك عملاً فوقني حقي، وهو عالم بذلك، ولكنه يُخيل
في كلامه أن تفريطك في إيصال حقي فعلٌ من له شك في استحقاقه إياه تجهيلاً له، وقيل: المعنى على المجازاة،
والمعنى: أنضرب عنكم الذكر صفحاً متى أسرفتم؛ أي: إنكم غير متروكين من الإنذار متى كنتم قوماً مُسْرِفِينَ.
وقرأ الباقون بالفتح على العلة؛ أي: لأن كنتم. انظر «الدر المصون» (٥٧٤/٩).

فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾

وهذا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ، ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾: مِنْ قَوْمِكَ ﴿بَطْشًا﴾: قُوَّةٌ، ﴿وَمَضَى﴾: سَبَقَ فِي آيَاتٍ ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: صِفَتُهُمْ فِي الْإِهْلَاكِ، فَعَاقِبَةُ قَوْمِكَ كَذَلِكَ.

﴿٩﴾ وَلَيْنَ - لَمْ قَسَمَ - ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ - حُذِفَ مِنْهُ نُونُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي النُّونَاتِ، وَوَاوُ الضَّمِيرِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنِينَ - ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وهذا تسليّة له) أي: قوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾، والمعنى: تسليّ^(١) يا محمّد ولا تحزن؛ فإنه وقع للرسل قبلك ما وقع لك.

قوله: ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ صفة لموصوف محذوف مفعول ل(أهلكنا).

قوله: ﴿بَطْشًا﴾ تمييز؛ أي: أهلكنا قوماً أشدّ من قومك من جهة البطش، وهو شدّة الأخذ.

قوله: (سبق في الآيات) أي: في القرآن غير مرّة.

قوله: (صفتهم في الإهلاك) وإنما سمي مثلاً لغيرته؛ فإنّ المثل في الأصل: كلامٌ شبه مضر به بمورده لغيرته.

قوله: (وعاقبة قومك كذلك) أي: الهلاك، فاصبر على أذى قومك كما صبر من قبلك من الرسل على أذى قومهم، وفي هذه الآيات تعلیمٌ للأمة أن يصبروا على من آذاهم؛ لينالوا العزّ الأكبر تأسيّاً بنبيّهم.

قوله: (لام قسم) أي: وقوله: ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ جوابه، وجواب الشرط محذوفٌ لدلالة جواب القسم عليه، وهذا على القاعدة في اجتماع الشرط والقسم من حذف جواب المتأخّر.

قوله: (حذف منه نون الرفع) أي: لتوالي النونات، ثمّ حذفت الواو لالتقاء الساكنين ووجود الدليل عليها وهو الضمة.

قوله: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ كرّر الفعل للتوكيد، وإلّا... فيكفي أن يقال: (العزير العليم)،

(١) كذا في الأصول؛ بإثبات الألف، على حدّ قراءة قبل: (إنه من يتقي ويصبر) بإثبات الياء وجزم (يصبر). وانظر

«معني اللبيب» (ص ٦٢١).

الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ

آخِرُ جَوَابِهِمْ، أي: الله ذو العِزَّة والعِلْم. زاد تعالى:

(١٠ - ١١) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾: فراشاً كالْمَهْدِ لِلصَّبِيِّ، ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾: طُرُقاً ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم في أسفاركم، ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: أي: بِقَدَرٍ حاجتكم إليه ولم يُنزله طوفاناً، ﴿فَأَنشَرْنَا﴾: أَحْيَيْنَا بِهِ، بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ ﴿﴾: أي: مِثْلَ هَذَا الإِحْيَاءِ ﴿تُخْرَجُونَ﴾: مِن قُبُورِكُمْ أَحْيَاءً.

(١٢ - ١٤) ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾: الْأَصْنَافَ ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ﴾: السُّفْنَ

حاشية الصاوي

وهذا الجواب مطابق للسؤال من حيث عجزه، ولو روعي صدره.. لجيء بجمله ابتدائية بأن يُقال: (هو العزيز العليم) مثلاً.

قوله: (آخِرُ جوابهم) أي: أنَّ ما ذُكِرَ آخِرُ جواب الكفار، وأمَّا قوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ إلى قوله: ﴿لَسُقْلُونَ﴾.. فهو من كلامه تعالى؛ زيادة في توبيخهم على عدم التوحيد.

قوله: (كالْمَهْدِ للصبي) أي: الفرش له؛ أي: ولو شاء لجعلها مُتَحَرِّكة لا يثبت عليها شيء، ولا يمكن الانتفاع بها، فمن رحمته أن جعل الأرض قَارَةً مُسَطَّحَةً ساكنة.

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي: بحيث تَسْلُكُونَ فيها إلى مقاصدكم، ولو شاء لجعلها سَدًّا ليس فيها طرق، بحيث لا يُمكنكم السَّير فيها كما في بعض الجبال.

قوله: (أي: بِقَدَرٍ حاجتكم) أي: فليس بقليلٍ فلا تَتَنَفَّعون به، ولا كثيرٌ فيَضُرُّكم.

قوله: ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ في الكلام التَّفَاتُ من الغَيِّبة للتكلم.

قوله: ﴿تُخْرَجُونَ﴾ أي: فإلْقَادُ عَلَى إِحْيَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَ مَوْتِهَا بِالْمَاءِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْخَلْقِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

قوله: (الأصناف) أي: الأشكال والأنواع؛ كالحُلُو والحامض، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى.

قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلُكِ﴾ أي: خَلَقَ لَكُمْ مَوَادَّ السُّفَنِ كالخشب وغيره، وألهمكم صَنَعَتَهَا، وصَيَّرَهَا لَكُمْ فِي الْبَحْرِ لِتَتَنَفَّعُوا بِهَا.

وَالْأَنْعَمَ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ

﴿وَالْأَنْعَمَ﴾ كالإبل - حُذِفَ العائد اختصاراً، وهو مجرور في الأول أي: فيه، منصوب في الثاني -، ﴿لِيَسْتَوُوا﴾: لِيَسْتَقِرُّوا ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ - ذَكَرَ الضَّمِيرَ وَجَمَعَ الظَّهْرَ نَظْراً لِلْفِظِّ (ما) ومعناها - ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (كالإبل) إن قلت: إنه لم يبق شيء من الأنعام يُركب سوى الإبل، فالكاف استقصائية، إلا أن يقال: المراد بالأنعام: ما يُركب من الحيوان، وهو الإبل والخيول والبغال والحمير؛ لأنَّ المقام للامتنان بالركوب.

قوله: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ مفعولٌ لـ(جعل)، و﴿مِنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَمِ﴾: بيانٌ له.

قوله: (حذف العائد اختصاراً... إلخ) أي: والمعنى: جعل لكم من الفلك ما تركبون فيه، ومن الأنعام ما تركبونها، فهو مجرورٌ في الأول بـ(في)، منصوبٌ في الثاني بالفعل^(١).

قوله: ﴿لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ اللام: للتعليل، أو للعاقبة والصَّيرورة مُتعلقة بـ(جعل).

قوله: (ذَكَرَ الضَّمِيرَ) أي: المضاف إليه، وقوله: (وجمع الظهر) أي: الذي هو المضاف، وقوله: (نظراً للفظ «ما»... إلخ) لفٌّ ونشْرٌ مرتَّب، والمناسبُ أن يقول: أفرد الضمير وجمع الظهر... إلخ، ولو روعي معناها فيهما لقليل: (على ظهورها)، ولو روعي لفظها لقليل: (على ظهره).

قوله: ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾ أي: يَقلوبكم.

قوله: ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على ما تركبون؛ ففيه مُراعاة لفظ (ما)، وكذا في قوله: ﴿سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾.

قوله: ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي﴾... إلخ) أي: تقولوا بألسنتكم؛ لِتَجْمَعُوا بين القلب واللسان.

(١) لعل الأولى تقدير العائد في الأول منصوباً أيضاً؛ كما في «الدر المصون» (٥٧٦/٩): (أي: ما تركبونه، وركب بالنسبة إلى الفلك يتعدى بحرف الجر ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ﴾، وفي غيره بنفسه، قال: ﴿لِتَرْكَبُوا﴾، فغلب هنا المتعدي بنفسه على المتعدي بواسطة؛ فلذلك حذف العائد؛ لما هو مُقرَّرٌ في علم العربية أن الضمير المنفصل لا يجوز حذفه؛ فلا يُقال: (الذي جلست زيد) على معنى: (جلست إليه). وانظر «بدع التفاسير» (ص ١٢٧).

لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾: مُطِيقِينَ، ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: لَمُنْصَرِفُونَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿هَذَا﴾ أي: المركوب من سفينة ودابة، وظاهر الآية أنه يقول ذلك عند ركوب السفينة أو الدابة وهو الأولى، وقال بعضهم: إن هذا مخصوص بالدابة، وأما السفينة فيقول فيها: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ بَحْرَهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَمَقُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾... الآية، وفي الحديث: كان ﷺ إذا وضع رجله في الركاب قال: «باسم الله»، فإذا استوى على الدابة قال: «الحمد لله على كل حال، سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾^(١).

فإذا كان الإنسان يريد السفر. زاد: «اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال، اللهم؛ إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والحدور بعد الكور، وسوء المنظر في الأهل والمال». ومعنى (الحدور بعد الكور): الفرقة بعد الاجتماع.

وورد: أن الإنسان إذا قرأ الآية عند ركوبه الدابة.. تقول الدابة: «بارك الله فيك من مؤمن، خففت عن ظهري، وأطعت ربك، أنجح الله حاجتك»، فالذي ينبغي للإنسان ألا يدع ذكر الله خصوصاً في هذه المواطن؛ فإنه معرض فيها للتلف، فكم من راكب دابة عثرت به أو طاح عن ظهرها فهلك، وكم من راكب سفينة انكسرت به فغرق، وحينئذ: فمُنْقَلِبُهُ إِلَى اللَّهِ غير مُنْقَلِبٍ من قضائه، فيكون مُسْتَعِدًّا لقضاء الله بإصلاح نفسه^(٢).

قوله: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ الجملة حالية، وهو من: الإقران، أو المقارنة.

قوله: (لَمُنْصَرِفُونَ) أي: من الدنيا إلى دار البقاء، فتذكر بالحمل على السفينة والدابة الحمل على الجنازة، فالآية مُبْهَئَةٌ بالسير الدنيوي على السير الأخروي؛ ففيه إشارة للرد على مُنْكَرِي البعث.

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٩٩) عن سيدنا علي رضي الله عنه.

(٢) لأنه لما كان الركوب مباشرة أمر محظور واتصالاً بأسباب من أسباب التلف.. أمر ألا ينسى عند اتصاله به موته، وأنه هالك لا محالة، فمُنْقَلِبُهُ إِلَى اللَّهِ عز وجل غير مُنْقَلِبٍ من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعداً للقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه. انظر «تفسير القرطبي» (٦٧/١٦).

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾

﴿١٥﴾ ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾: حَيْثُ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ لِأَنَّ الْوَلَدَ جُزْءٌ مِنَ الْوَالِدِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ الْقَائِلَ مَا تَقَدَّمَ ﴿لَكُفُورٌ مُبِينٌ﴾: بَيِّنٌ ظَاهِرٌ الْكُفْرِ.

﴿١٦﴾ ﴿أَمْ﴾ - بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ، وَالْقَوْلُ مُقَدَّرٌ - أَي: أَتَقُولُونَ: ﴿أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ لِنَفْسِهِ ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾: أَخْلَصَكُمْ ﴿بِالْبَنِينَ﴾ اللَّازِمِ مِنْ قَوْلِكُمْ السَّابِقِ، فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْمُنْكَرِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ﴾... إلخ) هذا مرتبطٌ بقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾... إلخ، والمعنى: أَنَّهُمْ يَنْسُبُونَ الْخَلْقَ لِلَّهِ تَعَالَى وَمَعَ ذَلِكَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ لَهُ شَرِيكَاً، فَالْمَقْصُودُ التَّأَمُّلُ فِي عُقُولِ هَؤُلَاءِ الْكُفَرَةِ حَيْثُ لَمْ يَضْبُطُوا أَحْوَالَهُمْ.

قوله: (لَأَنَّ الْوَلَدَ جُزْءُ الْوَالِدِ) أَي: لِأَنَّهُ خَارِجٌ مِنْ مُخِّهِ وَعِظَامِهِ، وَهَذَا مُنَافٍ لِقَوْلِهِمْ: ﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾؛ لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْوَالِدِ أَنْ يَكُونَ مَرْكَباً، وَالْإِلَهَ لَيْسَ بِمَرْكَبٍ، بَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَشَأْنُ الْخَالِقِ أَنْ يَكُونَ مُخَالَفاً لِمَا خَلَقَهُ، وَالْوَلَدُ لَا يَدُّ وَأَنْ يَكُونَ مِمَّاثِلاً لَوَالِدِهِ؛ لِأَنَّهُ جُزْءٌ مِنْهُ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ الْوَلَدَ عَلَى اللَّهِ مُحَالٌ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَرَةَ حَالُهُمْ مُتَنَاقِضٌ غَيْرٌ مُضْبُوطٌ.

قوله: (بَيِّنٌ) أَشَارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ ﴿مُبِينٌ﴾ مِنْ: (أَبَانَ) اللَّازِمَ، وَيَصَحُّ أَنْ يَقْدَرَ مِنْ: (أَبَانَ) الْمُتَعَدِّي بِمَعْنَى: مُظْهِرُ الْكُفْرِ.

قوله: (بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ) أَي: وَالتَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ، وَتَقْدَّرُ بِ(بَلْ)، أَوْ بِهَا وَالْهَمْزَةُ؛ فَفِيهَا ثَلَاثَةُ أَوْجِهٍ كَمَا تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ.

قوله: (لِنَفْسِهِ) مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أَتَّخَذَ﴾.

قوله: (أَخْلَصَكُمْ) أَي: خَصَّكُمْ.

قوله: (اللَّازِمُ) بِالنَّصْبِ نَعَتْ لِقَوْلِهِ: ﴿وَأَصْفَنَكُمْ﴾ الْمَعْطُوفُ عَلَى ﴿أَتَّخَذَ﴾ الْوَاقِعُ مَقُولاً لِقَوْلٍ مُحذُوفٍ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ قَالُوا: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ مَعَ كَرَاهَةِ نِسْبَتِهَا لَأَنْفُسِهِمْ وَمَحَبَّةِ نِسْبَةِ الْبَنِينَ لَهُمْ، فَلَزِمَ مِنْهُمْ قَالُوا: وَالْبَنُونَ لَنَا.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي

﴿١٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ﴿١﴾ جَعَلَ لَهُ شَبَهَا بِنِسْبَةِ الْبَنَاتِ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْوَلَدَ يُشَبِّهُ الْوَالِدَ، الْمَعْنَى: إِذَا أُخْبِرَ أَحَدُهُمْ بِالْبِنْتِ تُوَلَّدَ لَهُ ﴿ظَلَّ﴾: صَارَ ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾: مُتَغَيِّرًا تَغْيِيرًا مُغْتَمًّا ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مُمْتَلِئٌ غَمًّا، فَكَيْفَ يَنْسُبُ الْبَنَاتَ إِلَيْهِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ؟!

﴿١٨﴾ أَوْ ﴿٢﴾ - هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ وَوَاوُ الْعَطْفِ بِجُمْلَةٍ - أَي: يَجْعَلُونَ لِلَّهِ ﴿مَنْ يَنْشَأُ فِي

حاشية الصاوي

قوله: (فهو من جملة المنكر) أي: لعطفه على ﴿أَتَخَذَ﴾ الداخِلِ عليه (أم) التي هي بمعنى همزة الإنكار.

قوله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ﴾... إلخ) كلامٌ مستأنفٌ، تقريرٌ لما قبله، وزيادةٌ توبيخٌ لهم، وترقُّ في الرد عليهم.

قوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾ (ما): مَوْصُولَةٌ وَاقِعَةٌ عَلَى الْأَنْثَى؛ بِدَلِيلِ الْآيَةِ الْأُخْرَى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى﴾ [النحل: ٥٨]، و﴿ضَرَبَ﴾: بِمَعْنَى (جَعَلَ)، وَالْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ مَحْذُوفٌ هُوَ الْعَائِدُ؛ أَي: ضَرْبَهُ، وَ﴿مَثَلًا﴾ هُوَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي.

قوله: (شبهًا) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمَثْلَ بِمَعْنَى: الشَّبه؛ أَي: الْمَشَابِهَ، وَلَيْسَ بِمَعْنَى: الصِّفَةِ الْغَرِيبَةِ.

قوله: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (الجملة حالية).

قوله: ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ﴾ قرأ العامة بفتح الياء وسكون النون من: (نشأ)، وبضم الياء وفتح النون وتشديد الشين مبنياً للمفعول؛ أي: يُرَبَّى، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً: (يُنشأ) بضم الياء مخففاً، و(يُنشأ) ك(يُقَاتل) مبنياً للمفعول^(١).

قوله: (همزة الإنكار... إلخ) أي: إنهما كلمتان لا كلمة واحدة هي (أو) التي للعطف،

(١) قرأ الأخوان وحفص بالبناء للمفعول مع التشديد، وقرأ الجحدري كذلك إلا أنه خَفَّفَ الشين، أخذه من (أنشأه)، والحسن: (يُنشأ) ك(يُقَاتل) مبنياً للمفعول، والمفاعلة تأتي بمعنى (الإفعال) كالمُعَالاة بمعنى: الإِعْلَاء. انظر الدر المصون (٥٧٩/٩).

الْحَلِيَّةُ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ

الْحَلِيَّةُ: الزَّيْنَةُ ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: مُظْهِرُ الْحُجَّةِ لِضَعْفِهَا بِالْأُنُوثةِ.
 ﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا: حَضَرُوا ﴿خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ﴾ بِأَنَّهُمْ إِنَاثٌ، ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ عَنْهَا فِي الْآخِرَةِ، فَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا الْعِقَابُ.
 ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ: أَي: الْمَلَائِكَةُ، فِعْبَادُنَا إِيَّاهُمْ بِمَشِيئَتِهِ فَهُوَ رَاضٍ حَاشِيَةُ الصَّادِقِ

فَتَحْصُلُ أَنَّ (مَنْ) مَعْمُولَةٌ لِمَحْذُوفٍ مَعْطُوفٍ بِوَائِ الْعُطْفِ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: أَيْجْتَرِوْنَ وَيُسَيِّوْنَ الْأَدَبَ وَيَجْعَلُونَ مِنْ يَنْشَأُ... إلخ؟

وقوله: (الزينة) أي: إِنَّ الْأُنثَى تَزِينُ فِي الزَّيْنَةِ لِتَقْصِصِهَا؛ إِذْ لَوْ كَمَلَتْ فِي نَفْسِهَا... لَمَا احتاجت لِلزَّيْنَةِ.

قوله: ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾: الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى تَقْرِيرِ دَعْوَاهُ وَإِقَامَةِ الْحُجَّةِ؛ لِنَقْصَانِ عَقْلِهِ وَضَعْفِ رَأْيِهِ، فَقَلَّمَا تَكَلَّمَتْ امْرَأَةٌ تَرِيدُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِحُجَّةٍ لَهَا إِلَّا تَكَلَّمَتْ بِالْحُجَّةِ عَلَيْهَا.

قوله: (مُظْهِرُ الْحُجَّةِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مِنْ (أَبَانَ) الْمُتَعَدِّي، وَسَابِقًا أَفَادَ أَنَّهُ مِنْ (أَبَانَ) اللَّازِمِ، وَهَذَا اسْتِعْمَالَانِ.

قوله: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ... إلخ﴾ المرادُ بِالْجَعْلِ: الْقَوْلُ وَالْحُكْمُ، وَهُوَ بَيَانُ نَوْعِ آخَرٍ مِنْ كُفْرِيَّاتِهِمْ؛ لِأَنَّ نِسْبَةَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ أَكْمَلُ الْعِبَادِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَى اللَّهِ لِلْأُنُوثةِ الَّتِي هِيَ وَصْفٌ خَسِئٌ... كُفْرٌ.

وردَ: أَنَّهُمْ لَمَّا قَالُوا ذَلِكَ سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَا يُدْرِيكُمْ أَنَّهَا إِنَاثٌ؟»، قَالُوا: سَمِعْنَا مِنْ آبَائِنَا وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكْذِبُوا، فَتَزَلَّ: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾^(١).

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ... إلخ﴾ مَفْعُولٌ ﴿شَاءَ﴾ مَحْذُوفٌ؛ أَي: عَدَمَ عِبَادَةِ الْمَلَائِكَةِ مَا عَبَدْنَاهُمْ، وَهَذَا اسْتِدْلَالٌ مِنْهُمْ بِنَفْيِ مَشِيئَتِهِ عَدَمَ الْعِبَادَةِ عَلَى امْتِنَاعِ النَّهْيِ عَنْهَا؛ لِزَعْمِهِمْ أَنَّ الْمَشِيئَةَ

مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنْتُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ
مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا

بها، قال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ المَقُولِ مِنَ الرِّضَا بِعِبَادَتِهَا ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يَكْذِبُونَ فِيهِ، فَيَتَرْتَّبُ عَلَيْهِمُ الْعِقَابُ بِهِ.

(٢١ - ٢٢) ﴿أَمْ أَنْتُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ أي: الْقُرْآنَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ أي: لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ، ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: مِلَّةٌ، ﴿وَإِنَّا﴾ مَا شُونَ حاشية الصاوي

مُتَّحِدَةٌ مَعَ الرِّضَا، وَهُوَ فَاسِدٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَرِيدُ مَا لَا يَرْضَاهُ، فَهُوَ بَيَانٌ لَّنَوْعٍ آخَرَ مِنْ كُفْرِيَّاتِهِمْ، فَتَحْصُلُ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمَقَالَاتٍ ثَلَاثٍ: هَذِهِ، وَقَوْلُهُمْ: الْمَلَائِكَةُ إِنَاثٌ، وَالْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ.

قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ قَالَ هُنَا بَلْفِظُ ﴿يَخْرُصُونَ﴾، وَفِي (الْجَانِيَّةِ) بَلْفِظُ ﴿يَطْنُونَ﴾^(١)؛ لِأَنَّ مَا هُنَا مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ﴾... الْآيَةِ، وَهَذَا مَحْضُ كَذِبٍ، فَنَاسِبُهُ ﴿يَخْرُصُونَ﴾، وَمَا فِي (الْجَانِيَّةِ) مُتَّصِلٌ بِخُلْطِهِمُ الصَّدْقَ بِالْكَذِبِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُمْ: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ صَدَقٌ، وَإِنْكَارُهُمُ الْبَعْثَ وَقَوْلُهُمْ: ﴿وَمَا يُلْكَا إِلَّا الْأَذْهَرُ﴾ كَذِبٌ، فَنَاسِبُهُمْ ﴿يَطْنُونَ﴾.

قوله: ﴿أَمْ أَنْتُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ﴾ (تَنْوِيعٌ فِي الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، مُرْتَبِطٌ بِقَوْلِهِ: ﴿أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ﴾).

قوله: (أَي: لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ الهمزة لِلْإِنْكَارِ.

قوله: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا﴾... (إِلخ) أَي: لَمْ يَأْتُوا بِحُجَّةٍ عَقْلِيَّةٍ وَلَا نَفْثِيَّةٍ، بَلْ اعْتَرَفُوا بِأَنَّهُ لَا مُسْتَنْدَ لَهُمْ سِوَى تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ.

قوله: ﴿أُمَّةٍ﴾ قَرَأَ الْعَامَّةُ بِضَمِّ الهمزة بِمَعْنَى: الطَّرِيقَةُ وَالْمِلَّةُ، وَقُرِئَ شَدُوذًا بِكسرها بِمَعْنَى: الطَّرِيقَةُ أَيْضًا، وَبِالْفَتْحِ: الْمَرَّةُ مِنَ (الْأَمِّ) وَهُوَ الْقَصْدُ^(٢).

قوله: (مَا شُونَ) أَشَارَ بِتَقْدِيرِ هَذَا إِلَى أَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ خَبَرُ (إِنْ)، وَعَلَيْهِ: فَيَكُونُ ﴿مُهِتَدُونَ﴾ خَبَرًا ثَانِيًا^(٣).

(١) الْآيَةُ بِتَمَامِهَا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُلْكَا إِلَّا الْأَذْهَرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَطْنُونَ﴾.

(٢) قَرَأَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالْكَسْرِ، وَابْنُ عَبَّاسٍ بِالْفَتْحِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٥٨١/٩).

(٣) وَيجوز أن يكون الظرف صِلَةً لِّلْمُهِتَدُونَ. انْظُرْ «تَفْسِيرُ أَبِي السَّعُود» (٤٣/٨).

عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاؤُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾

﴿عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ بِهِمْ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ غَيْرَ اللَّهِ.

﴿٢٣﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرِيْبٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا: ﴿مُتَنَعِّمُوهَا مِثْلَ قَوْلِ قَوْمِكَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: مِلَّةٌ، ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾: مُتَّبِعُونَ. ﴿٢٤ - ٢٥﴾﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿أَتَتَّبِعُونَ ذَٰلِكَ﴾ وَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ ءَابَاؤُكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ أَنْتَ وَمَنْ قَبْلَكَ ﴿كَافِرُونَ﴾، قَالَ تَعَالَىٰ تَخْوِيفاً لَهُمْ: ﴿فَأَنقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أَي: مِنَ الْمُكْذِبِينَ لِلرُّسُلِ قَبْلَكَ، ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿مُّهْتَدُونَ﴾﴾ قاله هنا بلفظ ﴿﴿مُّهْتَدُونَ﴾﴾، وفيما بعده بلفظ ﴿﴿مُّقْتَدُونَ﴾﴾؛ تَفَنُّناً.

قوله: ﴿﴿وَكَذَٰلِكَ﴾﴾ أي: والأمر كما ذُكِرَ؛ من عَجَزَهم عن الحُجَّةِ، وتمسَّكهم بالتقليد، وقوله: ﴿﴿مَا أَرْسَلْنَا﴾﴾ استئنافٌ مبينٌ لذلك، دالٌّ على أَنَّ التقليد فيما بينهم ضلالٌ قديمٌ ليس لِأَسْلَافِهِمْ أيضاً مستندٌ غيره، وفيه تسليةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ.

قوله: ﴿﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾﴾ جمع (مُتْرَفٍ) اسم مفعول، وتفسيرُ المفسِّر له باسم الفاعل تفسيرٌ باللازم.

قوله: (مِثْلَ قَوْلِ قَوْمِكَ) مفعولٌ مطلقٌ، نعتٌ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: قولاً مثل قول قومك، وقوله: ﴿﴿إِنَّا وَجَدْنَا﴾﴾ مقول القول.

قوله: ﴿﴿قُلْ﴾﴾ لهم) خطابٌ للنبي ﷺ؛ أي: قل لقومك يا مُحَمَّدٌ... إلخ

قوله: ﴿﴿بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ﴾﴾... إلخ) أي: بدينٍ أهدى وأصوب مما وجدتم... إلخ أي: من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، والتعبيرُ بالترُّسُلِ معهم وإرخاء العِنانِ.

قوله: ﴿﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾﴾ أي: فلا تكثرث بتكذيب قومك لك؛ فإنَّ عاقبتهم كغيرهم من المكذِبين.

وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ لِاَيِّهِ وَقَوْمِهٖ اِنِّىۤ بَرّٖءٌ مِّمَّا تَعْبُدُوْنَ ﴿٢٦﴾ اِلَّا الَّذِى فَطَرَنِيۤ فَاِنَّهُۥ سَيِّدِيۤنِ ﴿٢٧﴾

(٢٦ - ٢٧) ﴿و﴾ اذكر ﴿اِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ لِاَيِّهِ وَقَوْمِهٖ اِنِّىۤ بَرّٖءٌ﴾ أي: بَرِيءٌ ﴿مِمَّا تَعْبُدُوْنَ﴾ ﴿اِلَّا الَّذِى فَطَرَنِيۤ﴾: خَلَقَنِي ﴿فَاِنَّهُۥ سَيِّدِيۤنِ﴾: يُرْشِدُنِي لِدِينِهِ.

حاشية الصاوي

قوله: (واذكر) قدره؛ إشارة إلى أنَّ الظرف معمولٌ لمحذوف، وسيأتي أنَّ قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ متعلقٌ بذلك المحذوف.

قوله: ﴿لِاَيِّهِ﴾ تقدّم الخلاف في كونه أباه حقيقةً أو عمّه، وتوجيه كلٍّ من القولين مفصلاً^(١).
قوله: ﴿بَرّٖءٌ﴾ العامة على فتح الباء والراء بعدها ألف فهمزة، مصدرٌ وقع موقع الصفة، وهي (بريء)؛ فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وقرئ شذوذاً بضم الباء وكسرهما بوزن (طوال) و(كرام)^(٢).

قوله: ﴿اِلَّا الَّذِى فَطَرَنِي﴾ يحتمل أنَّ الاستثناء منقطعٌ بناءً على أنهم كانوا يعبدون الأصنام فقط، ويحتمل أنه متصلٌ بناءً على أنهم كانوا يُشركون مع الله غيره، وذلك أنهم كانوا يعبدون النمرود، ويحتمل أنَّ (إلا) صفة بمعنى (غير)^(٣).

قوله: (يرشدني لديني) أي: يدلّني على أحكامه من صلاةٍ وغيرها، ودفع بذلك ما يقال: إنَّ الهداية حاصلَةٌ له؛ لكونه مجبولاً على التوحيد من ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]؛ فكيف يعبر بالمضارع فضلاً عن اقترانه بالسين؟! فأجاب بما ذكر، نظير ما أجاب به عن قوله: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا آِلٰهَ اِلَّيْنُ﴾ [الشورى: ٥٢]^(٤).

وأجيب أيضاً: بأنَّ السين زائدة، والمضارع للدلالة على الاستمرار، والمعنى: يُدِمنِي على الهدى.

وأجيب أيضاً: بأنَّ المعنى: سَيُثَبِّتُنِي على الهداية.

(١) انظر (٢/٣٩٥).

(٢) وبها قرأ الزعفراني وابن المنادي. انظر «الدر المصون» (٩/٥٨٢).

(٣) على أن تكون (ما) في ﴿مِمَّا تَعْبُدُوْنَ﴾ نكرة موصوفة، تقديره: إني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني. انظر «الكشاف» (٤/٢٥٠).

(٤) انظر (٦/١٨٢).

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِثَيْنِ

﴿٢٨﴾ ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمة التوحيد المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّ سَيِّدِينَ﴾ ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾: ذُرِّيَّتُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهِمْ مَنْ يُوحِّدُ اللَّهَ، ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ إِلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ أَيُّهُمْ.

﴿٢٩﴾ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَآبَاءَهُمْ﴾ وَلَمْ أَعْجَلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: الْقُرْآنُ، ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾: مُظْهِرٌ لَهُمُ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾: الْقُرْآنُ ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا: هَلَّا ﴿نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِثَيْنِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: كلمة التوحيد... إلخ) تفسير للضمير البارز، والضمير المستتر يعود على إبراهيم، والمعنى: أَنَّ إِبْرَاهِيمَ وَصَّى بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ عَقِبَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ...﴾ الآية [البقرة: ١٣٢].

قوله: (أي: أهل مكة) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ﴾... إلخ مُتَعَلِّقٌ بِ(اذكر) الذي قَدَّرَهُ، والمعنى: اذكر يا محمد ما ذَكَرَ؛ لِيَحْصُلَ عَنْدهم الرُّجُوعُ إِلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ.

قوله: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ للتوبيخ والتفريع على ما حصل منهم من عدم الاتباع، واسم الإشارة عائدٌ على المشركين الكافرين في زمنه ﷺ.

قوله: (ولم أعجلهم بالعقوبة) أي: بل أعطيتهم نعماً عظيمة، وحرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء؛ فلم يشكروا، بل ازدادوا طغياناً، فأمهلتهم ولم أعجل لهم الانتقام.

قوله: ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ غايةٌ لمحدوف، والتقدير: بل مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ، فاشتغلوا بذلك التمتع حتى جاءهم... إلخ.

قوله: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ﴾... إلخ هذا من جملة شبههم الفاسدة التي بنوا عليها إنكار نبوته ﷺ، وذلك أنهم قالوا: إِنَّ الرِّسَالَةَ مَنْصَبٌ شَرِيفٌ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِرَجُلٍ شَرِيفٍ، وَهَذَا صَدَقٌ غَيْرُ أَنَّهُمْ غَلَطُوا

عَظِيمٌ ﴿٣١﴾ أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ

مِنْ آيَةٍ مِنْهُمَا ﴿عَظِيمٌ﴾ أَي: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِمَكَّةَ أَوْ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ بِالطَّائِفِ.
 ﴿٣٢﴾ ﴿أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾: السُّبُورَةُ ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
 فَجَعَلْنَا بَعْضَهُمْ غَنِيًّا وَبَعْضَهُمْ فَقِيرًا، ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ﴾ بِالْغِنَى

حاشية الصاوي

في دعواهم أَنَّ الرجل الشريف هو الذي يكون كثير المال والجاه، ومحمدٌ ليس كذلك؛ فلا تليق به رسالة الله، وليس كذلك، بل العبرة بتعظيم الله لا بالمال والجاه، فليس كلُّ عظيم المال والجاه معظماً عند الله تعالى.

قوله: (من آيةٍ منهما) أي: من إحدى القريتين.

قوله: (أي: الوليد بن المغيرة) أي: وقد استمرَّ كافراً حتى هلك.

قوله: (وعُروة بن مسعود) أي: وقد هداه الله للإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، وكان النبي ﷺ يُشَبِّهُ عيسى بن مريم عليه السلام به ﷺ^(١).

قوله: ﴿أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ﴾ الاستفهام إنكاريٌّ وتعجبٌ من حالهم وتحكُّمهم.

قوله: ﴿رَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ تُرْسَمُ بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ هُنَا وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِيمَا يَأْتِي: ﴿وَرَحِمْتُ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] اتِّبَاعاً لِرَسْمِ الْمَصْحُفِ، وَهَذَانِ مَوْضِعَانِ تُرْسَمُ فِيهِمَا بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ، ثَالِثُهَا فِي (البقرة): ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، رَابِعُهَا فِي (الأعراف): ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، خَامِسُهَا فِي (هود): ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ [هود: ٧٣]، سَادِسُهَا فِي (مريم): ﴿رَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٢]، سَابِعُهَا فِي (الروم): ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٥٠]، وَمَا عَدَاهَا يُرْسَمُ بِالْهَاءِ، وَلِلْقَرَاءِ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ السَّبْعَةِ فِي الْوَقْفِ طَرِيقَانِ: فَمِنْهُمْ: مَنْ يَقِفُ بِالْهَاءِ كَسَاثِرِ الْهَاءَاتِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْأَسْمَاءِ ك: فَاطِمَةُ وَقَائِمَةٌ، وَمِنْهُمْ: مَنْ يَقِفُ بِالتَّاءِ؛ تَغْلِيظاً لِّجَانِبِ الرَّسْمِ^(٢).

قوله: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أَي: فَجَعَلْنَا هَذَا غَنِيًّا وَهَذَا فَقِيرًا، وَهَذَا مَالِكًا وَهَذَا مَمْلُوكًا، وَهَذَا قَوِيًّا وَهَذَا ضَعِيفًا؛ لَا اسْتِيقَامَةَ نِظَامِ الْعَالَمِ، لَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى سَعَادَةِ وَشَقَاوَةِ.

(١) كما رواه مسلم في «صحيحه» (١٦٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله ؓ.

(٢) وَقَفَ بِالْهَاءِ الْمَكِّيُّ وَالْبَصْرِيَّانِ وَالْكَسَائِيُّ، وَغَيْرُهُمْ بِالتَّاءِ. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩٣).

فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ

﴿فَوْقَ بَعْضِ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ﴾ الغني ﴿بَعْضًا﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾: مُسَخَّرًا في العمل له بالأجرة، - والياء للنسب، وقرئ بكسر السين - ﴿وَرَحِمْتُ رَيْكَ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدنيا.

﴿٣٣﴾ - ﴿٣٥﴾ ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾
حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ اللام للتعليل؛ أي: إنَّ القصد من جعل الناس مُتفاوتين في الرزق؛ لِيَتَّعِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ولو كانوا سواءً في جميع الأحوال.. لم يَخدم أحدٌ أحداً، فيُفضي إلى خراب العالم وفساد نظامه.

قوله: (والياء للنسب) أي: نسبته للسُّخْرَةِ، وهي العمل بلا أجرة. إذا علمت ذلك.. فقول المفسر: (بالأجرة) تقييدٌ بالنظر لصحة التعليل، ويصحُّ أن يكون من السخرية التي هي بمعنى الاستهزاء، والمعنى: لِيَسْتَهْزِئَ الغني بالفقير، وعليه: فتكون اللام للعاقبة والصيرورة^(١).

قوله: (وقرئ بكسر السين) أي: قراءة شاذة هنا؛ جرياً على عادته في التعبير عن الشاذ (بـقرئ)، وعن السَّبعي (وفي قراءة)، وأما ما في «المؤمنون» و«ص» فكسر السين فيها قراءة سبعة، ففرق بين ما هنا وما في السورتين المتقدمتين^(٢).

قوله: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي: والعظيم مَنْ حازها وهو النبي ﷺ وَمَنْ تبعه، لا مَنْ حاز الكثير من المال.

قوله: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ﴾... إلخ) الكلام على حذف مضاف؛ أي: ولولا خوف أن يكون الناس... إلخ كما أشار المفسر فيما يأتي، والأوضح أن يقول: لولا رغبة الناس في الكفر

(١) في (ب) زيادة: (فتحصل أن السخرة إما أن يريد منها الاستعمال بأجرة، أو قهراً بغيرها، أو الاستهزاء، وكل واقع، والحكمة اقتضته).

(٢) وقرأ بالكسر عمرو بن ميمون وابن مُحِيسَن وأبو رجاء وابن أبي ليلى والوليد بن مسلم وخلائق. انظر «الدر المصون» (٥٨٤/٩).

سُقْفًا مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبَاسُوتَهُمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

- بَدَل مِّن ﴿لِّمَن﴾ - ﴿سُقْفًا﴾ - بِفَتْحِ السَّيْنِ وَسُكُونِ الْقَافِ، وَبِضْمِهِمَا جَمْعًا - ﴿مِّنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾ كَالدَّرَجِ مِّنْ فَضَّةٍ ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾: يَعْلُونَ إِلَى السَّطْحِ، ﴿وَلِبَاسُوتَهُمْ أَبْوَابٌ﴾ مِّنْ فَضَّةٍ، ﴿و﴾ جَعَلْنَا لَهُمْ ﴿سُرُرًا﴾ مِّنْ فَضَّةٍ، جَمْعُ (سَرِير) ﴿عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ذَهَبًا، الْمَعْنَى: لَوْلَا خَوْفُ الْكُفْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْ إِعْطَاءِ الْكَافِرِ مَا ذُكِرَ، لِأَعْطَيْنَاهُ ذَلِكَ لِقِلَّةِ خَطَرِ الدُّنْيَا عِنْدَنَا وَعَدَمِ حَظِّهِ فِي الْآخِرَةِ فِي النَّعِيمِ، ﴿وَإِن﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ - ﴿كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا﴾ - بِالتَّخْفِيفِ (مَا) زَائِدَةٌ، وَبِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَى (إِلَّا) (فَإِنْ) نَافِيَةٌ - ﴿مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يُتَمَتَّعُ بِهِ فِيهَا ثُمَّ يَزُولُ، ﴿وَالْآخِرَةُ﴾: الْجَنَّةُ ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

حاشية الصاوي

إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لجعلنا... إلخ؛ لأنه تعالى لا يُوصف بالخوف؛ ففرّق الله الدنيا بين المؤمن والكافر على حسب ما قدره لهم في الأزل.

إن قلت: لِمَ لَمْ يُوسَّعِ الدنيا على المسلمين حتى يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام؟ فالجواب: لأنَّ الناس حينئذٍ يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهو إيمان المنافقين؛ فما قدره الله خيراً؛ لأنَّ كلَّ من دخل الإيمان فإنما يقصدُ رضا الله فقط.

قوله: (بَدَل مِّن ﴿لِّمَن﴾) أي: بَدَلِ اشتمال.

قوله: (وَبِضْمِهِمَا جَمْعًا) أي: على وزن (رُهْن) جمع (رَهْن)، فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿وَمَعَارِجَ﴾ جمع (مَعْرَج) بفتح الميم وكسرهما، وهو السُّلَّم.

قوله: ﴿و﴾ جَعَلْنَا لَهُمْ ﴿سُرُرًا﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿سُرُرًا﴾ معمولٌ لمَحذوفٍ معطوفٍ على

قوله: (جَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ) عطفَ جمل.

قوله: ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذَهَبًا، وَقِيلَ: الزُّخْرُفُ: الزَّيْنَةُ.

قوله: (مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ) أي: مُهْمَلَةٌ؛ لوجود اللام في حيزها.

قوله: ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: إِنَّ الْجَنَّةَ تَكُونُ لِكُلِّ مُوَحِّدٍ، قَالَ كَعْبٌ: وَجَدْتُ

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح السين وسكون القاف بالإفراد على إرادة الجنس. والباقون بضمّتين. انظر الدر

وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾

(٣٦ - ٣٧) ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ : يُعْرِضُ ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي : الْقُرْآنِ ﴿نُفِضَ﴾

نُسِبَ ﴿لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ لا يُفَارِقُهُ،

حاشية الصاوي

في بعض كُتُبِ الله المنزلة: لولا أن يحزنَ عبدي المؤمن.. لكَلَلْتُ رأس عبدي الكافر بالإكليل ولا يَنْصَدِع ولا يَنْبُضُ منه عِرْقٌ لَوْجَع؛ أي: لا يَتَحَرَّكُ^(١). وفي الحديث: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر»^(٢)، وورد: «لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جناح بعوضة.. ما سقى كافراً منها شربة ماء»^(٣)، قال البقاعي: (ولا يبعدُ أن يكون ما صار إليه الفسقة والجبابرة من زُخْرَفَةِ الأبنية وتذهيبِ السقوف وغيرها من مبادئ الفتنة؛ بأن يكونَ الناس أمةً واحدةً في الكفر قرب الساعة، حتى لا تقوم الساعة على من يقول: «الله»، أو في زمن الدجال؛ لأنَّ من يبقى إذ ذاك على الحقِّ في غاية القِلَّة؛ بحيث إنه لا عِدَادَ له في جانب الكفرة؛ لأنَّ كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وإن خرج مخرج الشرط؛ فكيف بملك الملوك سبحانه؟! انتهى^(٤).

قوله: ﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾ (من: العشى، وهو الإعراض والتغافل، ويُطلق على ضعيف البصر، وفعله: (عشا يَعِشُو) ك: دعا يدعو).

قوله: (يُعرض) أي: يتعامى ويتغافل، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أضاف الذكر إلى هذا الاسم؛ إشارةً إلى أنَّ الكافر بإعراضه عن القرآن سدَّ على نفسه باب الرحمة، ولو اتبعه.. لَعَمَّتْهُ الرحمة.

قوله: ﴿نُفِضَ﴾ (جواب الشرط، وفعله قوله: ﴿يَعِشْ﴾ مجزوم بحذف الواو، والضممة دليل عليها).

قوله: ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (أي: في الدنيا؛ بأن يمنعه من الحلال، ويَحْمِلْهُ على فعل الحرام،

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٨٨/١٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٦) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) عن سيدنا سهل بن سعد ؓ.

(٤) انظر «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٤٢٧/١٧).

وَلِإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ

﴿وَلِإِنَّهُمْ﴾ أي: الشَّيَاطِينِ ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ أي: العَاشِينَ ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: طَرِيقِ الْهُدَى،
﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ - في الْجَمْعِ رِعَايَةٌ مَعْنَى (مَنْ) ..

(٣٨ - ٤٠) ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ الْعَاشِي بِقَرِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿قَالَ﴾ لَهُ: ﴿يَا﴾ - لِلتَّنْبِيهِ - ﴿لَيْتَ﴾

حاشية الصاوي

وينهاه عن الطاعة، ويأمره بالمعصية، أو في الآخرة إذا قام من قبره؛ لما ورد: «إذا قام من قبره شُفِعَ
بشيطان لا يزال معه حتى يُدخله النار، وأن المؤمن يُشْفَعُ بملك حتى يقضي الله بين خلقه»^(١)،
والأولى العموم.

قوله: ﴿وَلِإِنَّهُمْ﴾ جمع الضمير؛ مُرَاعَاةً لِمَعْنَى الشَّيْطَانِ، كما أفرد أولاً في قوله: ﴿فَهُوَ﴾؛
مُرَاعَاةً لِلْفُظْهِ.

قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الجملة حَالِيَّةٌ؛ أي: يَعتقدون أنهم على هدى، وهو بمعنى
قوله تعالى: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَقِيٍّ آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

قوله: (في الجمع) أي: في المواضع الثلاثة الأول؛ أي: ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾، ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾،
﴿أَنَّهُمْ﴾، وقوله: (رعاية معنى «من») أي: بعد أن رُوِيَ لفظها في ثلاثة أيضاً: الضمير المستتر
في ﴿يَعْتَشُ﴾، والضميرانِ المجرورانِ باللام في ﴿نَقِصَ لَهُ﴾، ﴿فَهُوَ لَهُ﴾، وسيأتي مُرَاعَاةُ لفظها
في موضعين: المستتر في (جاء) و(قال)، ثم مُرَاعَاةُ معناها في ثلاثة مواضع: ﴿وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ
ظَلَمْتُمْ أَتْكُمْ﴾.

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ بالإنفراد والتثنية، قراءتان سبعيتان؛ فعلى الأولى فاعل (جاء) ضمير
مستتر يعود على العاشي، وعلى الثانية الفاعل ضمير التثنية^(٢).

قوله: (بقريته) أي: مع قريته.

قوله: ﴿يَا﴾ للتنبيه) ويصح أن تكون للدعاء والمنادى محذوف، تقديره: قَرِين.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٩٠ / ١٦) عن المهدوي.

(٢) قرأ أبو عمرو والأخوان وحفص: (جاءنا) بإسناد الفعل إلى ضمير مفرد يعود على لفظ «مَنْ» وهو العاشي، وحينئذ
يكون هذا ممَّا حُجِّلَ فيه على اللفظ ثم على المعنى، ثم على اللفظ، والباقون: (جاءنا) مُسْتَدًّا إلى ضمير تثنية، وهما
العاشي وقريته. انظر «الدر المصون» (٥٨٦ / ٩).

بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنسُ الْقَرِينَ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرًا فِي
الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴿٣٨﴾ أي: مثل بُعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَنسُ الْقَرِينَ﴾ أنت لي،
قال تعالى: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ﴾ أي: العاشين تَمْنِيكُمْ وَنَدْمُكُمْ ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: تَبَيَّنَ لَكُمْ
ظُلْمُكُمْ بِالْإِشْرَاكِ فِي الدُّنْيَا، ﴿أَنْكُرًا﴾ مَعَ قُرْنَائِكُمْ ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ عِلَّةٌ بِتَقْدِيرِ اللَّامِ
لِعَدَمِ النَّفْعِ، - و﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْيَوْمِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ اسم ﴿لَيْتَ﴾ مؤخر، وفيه تغليبُ المشرق على المغرب.

قوله: (أي: مثل ما بين المشرق والمغرب) أي: في أنهما يجتمعان ولا يقربان منه؛ لأنهما
ضِدَّانِ.

قوله: (أنت) هو المخصوص بالذم.

قوله: (قال تعالى) الماضي بمعنى المضارع؛ لأنَّ هذا القول يحصل في الآخرة.

قوله: (أي: العاشين) تفسيرٌ للكاف، وقوله: (تَمْنِيكُمْ وَنَدْمُكُمْ) تفسيرٌ للضمير المستتر، فهو
إشارةٌ إلى أنه فاعل (يَنْفَعُ)، وهو معلومٌ من السياق، دلَّ عليه قوله: ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾... إلخ،
وبعضهم قال: إنَّ الفاعل هو ﴿أَنْكُرًا﴾ وما في حيزها، والتقدير: لن يَنْفَعَكُمْ اليوم اشتراككم
في العذاب، وأتى بهذا دفْعاً لما قد يُتوهم من أنَّ عموم المصيبة يُهَوِّنُها كمصائب الدنيا؛ فإنها
إذا عَمَّتْ هَانَتْ، بل في الآخرة عمومها موجبٌ لعظمتها وهولها.

قوله: (أي: تَبَيَّنَ لَكُمْ) أي: الآن في الآخرة، دفع بذلك ما يُقال: إنَّ الظلم وقع في الدنيا
و(اليوم) عبارةٌ عن يوم القيامة و﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ (اليوم)؛ فكيف يُبدل الماضي من الحال؟ فأجاب:
بأنَّ المراد: تَبَيَّنَ الظلم وظهوره، وذلك يكون يوم القيامة.

قوله: (و﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْيَوْمِ﴾) أي: بَدَلٌ كُلٌّ مِنْ كُلٍّ^(١).

(١) إن قلت: إن (إِذْ) للمضي، و(اليوم) للحال؛ فكيف يُبدلُ منه؟ فلا يجوز البديل ما دامت (إِذْ) على موضوعها من
الماضي؛ فإن جعلت لمطلق الزمان جاز، لكنه لم يُعهد فيها أن تكون لمطلق الزمان، بل هي معهودة لزمان خاص
بالماضي؟ ويُجاب: بأن الدنيا والآخرة مُتصلتان، وهما سواء في حكم الله تعالى وعلمه، ف﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ (اليوم)، حتى
كانه مُستقبل، أو كأنَّ (اليوم) ماضٍ. «فتوحات» (٩٠/٤) نقلاً عن العلامة الكرخي، و«الدر المصون» (٥٩١/٩).

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين أي: فهم لا يؤمنون.
 (﴿٤١﴾ - ﴿٤٢﴾) ﴿فَإِمَّا﴾ - فيه إدغام نون (إن) الشرطيّة في (ما) الزائدة - ﴿نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾
 بأن نُمِيتَكَ قبلَ تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ في الآخرة، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتِكَ ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ﴾: على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾: قادرون.
 (﴿٤٣﴾ - ﴿٤٤﴾) ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِنَّكَ﴾

حاشية الصاوي

إن قلت: إن ﴿يَفْعَلْكُمْ﴾ عاملٌ في ﴿الْيَوْمَ﴾ و﴿إِذْ﴾ مع أنه مُستقبل^(١)، و﴿الْيَوْمَ﴾ ظرفٌ حالِي و﴿إِذْ﴾ ظرفٌ ماضِي؛ فكيف يعمل المُستقبل في الحال والماضي؟
 أجيب: بأن عمله في الحال من حيث إنه قريبٌ من الاستقبال، وتقدّم أن الماضِي مؤوّل بالحال.

قوله: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي؛ أي: أنت لا تُسمعهم؛ كما أشار له المفسّر، وهذه الآية نزلت لما كان يجتهد في دعائهم وهم لا يزدادون إلا تصميماً على الكفر.
 قوله: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عطف على ﴿الْعَمَى﴾، ويكفي في العطف تغايرُ العُنوان، وإلا.. فالأوصاف الثلاثة مجتمعة في كلِّ كافرٍ.

قوله: ﴿بِأَنْ نُمِيتَكَ قبلَ تعذيبهم﴾ أي: نَقْبَضُكَ إلينا قبل انتقامنا منهم.
 قوله: ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ أي: فلا يُعجزوننا، وقد وقع بهم العذاب على يده في الدنيا، وعلى أيدي أتباعه بعد موته إلى يوم القيامة، ولعذابُ الآخرة أشدُّ.

قوله: ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ أي: دُمْ على الاستمساك.

قوله: ﴿إِنَّكَ﴾... إلخ) تعليل للأمر بالاستمساك.

(١) لاقتراانه بـ(لن) التي لنفي المستقبل.

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

عَلَى صِرَاطٍ ﴿٤٣﴾ : طَرِيق ﴿٤٣﴾ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ ﴿٤٤﴾ لَشَرَفِ ﴿٤٤﴾ لِقَوْمِكَ ﴿٤٤﴾ لِنُزُولِهِ بِلُغَتِهِمْ، ﴿٤٤﴾ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٥﴾ عَنْ الْقِيَامِ بِحَقِّهِ .

﴿٤٥﴾ وَسْأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ﴿٤٥﴾ أَي: غَيْرَهُ ﴿٤٥﴾ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ قِيلَ: هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ بِأَنْ جَمَعَ لَهُ الرُّسُلَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ أُمَمٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَلَمْ يَسْأَلْ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَمْرِ بِالسُّؤَالِ التَّقْرِيرَ لِمُشْرِكِي قُرَيْشٍ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ وَلَا كِتَابٌ بِعِبَادَةٍ غَيْرِ اللَّهِ .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿٤٤﴾ وَلِقَوْمِكَ ﴿٤٤﴾ أَي: قُرَيْشٍ خُصُوصًا، وَلِغَيْرِهِمْ عُمُومًا، فَهُوَ شَرَفٌ لِكُلِّ مَنْ تَبِعَهُ، وَهَذِهِ الْآيَةُ نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠] .
قوله: ﴿٤٥﴾ مِنْ رُسُلِنَا ﴿٤٥﴾ بَيَانٌ لِمَنْ .

قوله: ﴿٤٥﴾ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ﴿٤٥﴾ ... إلخ) أَي: حَكَمْنَا بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَأَنْزَلْنَا ذَلِكَ فِي كُتُبِنَا؟
قوله: (قِيلَ: هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ) أَي: مِنْ غَيْرِ تَقْدِيرٍ، فَهُوَ مَأْمُورٌ بِسُّؤَالِ الْمُرْسَلِينَ أَنْفُسِهِمْ، وَهَذَا عَلَى أَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ .

قوله: (بأن جمع له الرسل ... إلخ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّهُ مُتَأَخَّرٌ فِي الْبَعْثِ عَنِ الرُّسُلِ؛ فَكَيْفَ يُؤَمَّرُ بِسُّؤَالِ مَنْ لَمْ يَلْقَهُ؟

قوله: (وقيل: المراد: أمم ... إلخ) أَي: فَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالْمَعْنَى: اسْأَلْ أُمَّمَ مَنْ أَرْسَلْنَا، وَقَوْلُهُ: (أَي: أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ) تَفْسِيرٌ لـ (أُمَّم)، وَهَذَا عَلَى أَنَّ الْآيَةَ مَدَنِيَّةٌ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ إِنَّمَا كَانُوا فِي الْمَدِينَةِ .

قوله: (ولم يسأل على واحد من القولين) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ زَيْدٍ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى - وَهُوَ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدَسِ - بَعَثَ اللَّهُ لَهُ آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَجَبْرِيلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَذَّنَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ تَقَدَّمَ فَصَلِّ بِهِمْ، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. قَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: سَلْ يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا؛ أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ؟ فَقَالَ ﷺ: قَدْ اكْتَفَيْتُ .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا

(٤٦ - ٤٨) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته

حاشية الصاوي

والقول الآخر لغير ابن عباس: أنهم صلّوا خلفه ﷺ سبعة صفوف؛ المرسلون ثلاثة صفوف، والنبِيُّونَ أربعة صفوف، وكان يلي ظهرَ رسول الله ﷺ إبراهيمُ الخليل، وعلى يمينه إسماعيل، وعلى يساره إسحاق، ثم موسى، ثم سائر المرسلين، فصلّى بهم ركعتين، فلما انفتل قام فقال: إِنَّ رَبِّي أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَسْأَلَكُمْ؛ هل أرسل أحداً منكم بدعوة إلى عبادة غير الله تعالى؟ فقالوا: يا محمد؛ إنا نشهد أنا أرسلنا أجمعين^(١) بدعوة واحدة: أن لا إله إلا الله، وأن ما يعبدون من دونه باطل، وأنت خاتم النبيين وسيّد المرسلين، قد استبان ذلك بإمامتك إيانا، وأنه لا نبيّ بعدك إلى يوم القيامة إلا عيسى ابن مريم؛ فإنه مأمورٌ أن يتبع أثرك^(٢).

قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى﴾... إلخ) الحكمة في ذكر تلك القصة والتي بعدها عقب ما تقدّم من مقالات الكفار: تسليته ﷺ؛ فإن موسى وعيسى وقع لهما من قومهما ما وقع لمحمد ﷺ من قوميه من التعبير بقلّة المال والجاه.

قوله: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ أي: معجزاتنا التسع، والباء: للملابسة.

قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في القصة اختصارٌ قد بيّن في سورة (طه) و(القصص)، والمعنى فقال: إني رسول رب العالمين؛ ليؤمن به، وترسل معي بني إسرائيل.

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ مرّتب على مقدّر؛ أي: فطلبوا منه آية تدلّ على صدقه، يدلّ عليه ما تقدّم في (الأعراف): ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا﴾... إلخ [الأعراف: ١٠٦].

(١) كذا في الأصول بنصب (أجمعين) على الحال؛ كما أجازاه ابن درستويه، وصحّحه ابن مالك في «شرح التسهيل» (٢٩٥/٣)، ومنه في الحديث: «فصلّوا جلوساً أجمعين» فيمن روى بالنصب، خلافاً للبصريين؛ لأن ألفاظ التوكيد معارف.

(٢) ذكر القولين القرطبي في «تفسيره» (٩٥/١٦).

إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ

﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ ﴿٤٧﴾ مِنْ آيَاتِ الْعَذَابِ كَالطُّوفَانِ - وهو ماءٌ دَخَلَ بُيُوتَهُمْ وَوَصَلَ إِلَى حُلُوقِ الْجَالِسِينَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ - وَالْجَرَادِ ﴿٤٨﴾ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا: قَرِيبَتِهَا الَّتِي قَبْلَهَا ﴿٤٨﴾ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ عَنْ الْكُفْرِ.

(٤٩ - ٥٠) ﴿وَقَالُوا﴾ لِمُوسَى لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ: ﴿يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ﴾ أَي: الْعَالِمُ الْكَامِلُ؛ لِأَنَّ السَّحْرَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ عَظِيمٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ ﴿٤٧﴾: فَجَائِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: حِينَ جَاءَهُمْ بِالْآيَاتِ فَاجْزَوْا الْمَجِيءَ بِهَا بِالضَّحْكِ وَالسَّخِرَةِ مِنْ غَيْرِ تَأْمُلٍ وَلَا تَفَكُّرٍ.

قوله: (وَالْجَرَادِ) أَي: وَالْقُمَّلُ وَالضَّفَادِعُ وَالدَّمُ، كُلُّ وَاحِدَةٍ تَمُكُّ سَبْعَةَ أَيَّامٍ عَلَيْهِمْ، فَيَسْتَجِيرُوا^(١) بِمُوسَى، فَيَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى، فَيَكْشِفُهُ عَنْهُمْ، فَيَمَكُثُونَ بَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ وَالْآخَرِ شَهْرًا وَيَعُودُونَ لَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطُّغْيَانِ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ السَّنِينَ الْمَجْدِبَةَ، فَاسْتَجَارُوا ثُمَّ عَادُوا لِلطُّغْيَانِ، ثُمَّ دَعَا اللَّهَ، فَكُشِفَتْ عَنْهُمْ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمُ بِالطَّمَسِ، فَطُمِسَتْ أَمْوَالُهُمْ، فَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِ مُوسَى وَقَوْمِهِ، فَانْتَقَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ بِالْغَرَقِ.

قوله: ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾: الْجُمْلَةُ صِفَةٌ لـ ﴿آيَةٍ﴾، وَالْمَعْنَى: إِلَّا هِيَ بِالْغَةِ الْغَايَةِ فِي الْإِعْجَازِ؛ بَحِثْ يَظُنُّ النَّاطِرُ فِيهَا أَنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ غَيْرِهَا.

قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (أَي: عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ).

قوله: (لَأَنَّ السَّحْرَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ عَظِيمٌ) أَي: فَقَصِّدُوا بِذَلِكَ تَعْظِيمَهُ لَا نَقْصَهُ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي سُورَةِ (الْأَعْرَافِ) حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿قَالُوا يَكُونُ أَدْعُ لَنَا رَبِّكَ﴾... إلخ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ نَادَوْهُ بِاسْمِهِ، وَهَذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُمْ نَادَوْهُ بِـ ﴿يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ﴾؛ فَكَيْفَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؟

أَجِيب: بِأَنَّ الْخُطَابَ تَعَدَّدَ، وَإِنَّمَا لَمْ يَلْمَهُمْ عَلَى ذَلِكَ؛ رَجَاءً أَنْ يُؤْمِنُوا، وَاسْتِقْصَارًا لِعُقُولِهِمْ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِحَذْفِ نُونِ الرِّفْعِ تَخْفِيفًا، وَهِيَ لُغَةٌ مَشْهُورَةٌ.

حاشية الصاوى

(٢) ويحتمل أن تكون (هذه) مبتدأ، والواو: للحال، و(الأنهار): صفة لاسم الإشارة، أو عطف بيان، و(تجري): الخبر، والجملة حالٌ من ياء (لى). انظر «الدر المصون» (٥٩٦/٩).

أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا

وَحِينَئِذٍ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا﴾ أي: موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: ضَعِيفٌ حَقِيرٌ، ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: يُظْهِرُ كَلَامَهُ؛ لِلثَّغَنَةِ بِالْجَمْرِ الَّتِي تَنَاوَلَهَا فِي صِغَرِهِ.

﴿٥٣﴾ ﴿فَلَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾: إِنْ كَانَ صَادِقًا ﴿أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ﴾: جَمْعُ (أَسْوِرَةٍ) كـ (أَغْرِبَةٍ) جَمْعُ (سِوَارٍ)، كَعَادَتِهِمْ فَيَمَنُ يُسَوِّدُونَهُ أَنْ يُلِيسُوهُ أَسْوِرَةَ ذَهَبٍ وَيُطَوَّقُونَهُ طَوَقَ ذَهَبٍ، ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مُتَتَابِعِينَ يَشْهَدُونَ بِصِدْقِهِ.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٦﴾ ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾: اسْتَفْزَرَ فِرْعَوْنُ ﴿قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ﴾: فِيمَا يُرِيدُ مِنْ تَكْذِيبِ مُوسَى، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا:

حاشية الصاوي

قوله: (وَحِينَئِذٍ) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾... إلخ مُسَبَّبٌ عَنِ الْمَعَادِلِ الْمَحْذُوفِ.

قوله: (حَقِيرٌ) أي: لِأَنَّهُ يَخْدُمُ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ لَهُ مَلِكٌ وَلَا نَفَازٌ أَمْرٍ.

قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الجملة إمَّا عطف على جملة ﴿هُوَ مَهِينٌ﴾، أو حال، أو مُسْتَأْنَفَةٌ.

قوله: (لِلثَّغَنَةِ) بضم اللام، وهي أن تصيرَ الراء غيناً أو لاماً، أو السين ثاءً.

قوله: (الَّتِي تَنَاوَلَهَا فِي صِغَرِهِ) أي: حِينَ لَطَمَ فِرْعَوْنُ عَلَى وَجْهِهِ، فَاعْتَمَّ لَذَلِكَ وَأَرَادَ قَتْلَهُ، فَمَنْعَتْهُ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ: إِنَّهُ صَغِيرٌ لَا يَعْرِفُ التَّمْرَةَ مِنَ الْجَمْرِ، فَأَتَى لَهُ بِتَمْرٍ وَجَمْرٍ، فَأَرَادَ أَخْذَ التَّمْرَةِ، فَحَوَّلَ جَبْرِيلُ يَدَهُ، فَأَخَذَ الْجَمْرَةَ، فَأَثَرَتْ فِي لِسَانِهِ، وَقَدْ حَلَّهَا اللَّهُ حِينَ أَرْسَلَهُ، وَإِنَّمَا وَصَفَهُ فِرْعَوْنُ بِهَا الْآنَ؛ اسْتَصْحَاباً لِّمَا كَانَ يَعْرِفُ مِنْهُ^(١).

قوله: ﴿فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: مِنْ عِنْدِ مُرْسِلِهِ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ الْمَلِكُ حَقِيقَةً.

قوله: (اسْتَفْزَرَ فِرْعَوْنُ ﴿قَوْمَهُ﴾) المعنى: اسْتَخَفَّ فِرْعَوْنُ عُقُولَ قَوْمِهِ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ تِلْكَ الشَّبْهَةَ الْوَاهِيَةَ الَّتِي أَثْبَتَ بِهَا أَلُوْهِيَّةَ نَفْسِهِ وَكَذَبَ مُوسَى، فَطَاعُوهُ.

قوله: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا﴾ أصله: (أَسَفُونَا) بهمزيْن، أُبْدِلَتِ الثَّانِيَةُ أَلْفًا.

أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا

أَغْضَبُونَا ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا: جَمَعَ (سَالَف) كـ (خَادِمٍ وَخَدَم) أَي: سَابِقِينَ عِبْرَةً ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ بَعْدَهُمْ يَتِمَثَّلُونَ بِحَالِهِمْ فَلَا يُقَدِّمُونَ عَلَى مِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

﴿٥٧﴾ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾: جُعِلَ ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حِينَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: رَضِينَا أَنْ تَكُونَ آلِهَتُنَا مَعَ عِيسَى لِأَنَّهُ عَبْدٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ،
حاشية الصاوي

قوله: (أَغْضَبُونَا) أَي: حَيْثُ بِالْعُورِ فِي الْعِنَادِ وَالْعَصِيَانِ.

قوله: ﴿أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أَي: عَاقَبْنَاهُمْ.

قوله: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تَفْسِيرٌ لِلانْتِقَامِ، وَقَدْ أَهْلَكُوا بِجِنْسِ مَا تَكَبَّرُوا بِهِ؛ فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ افْتَخَرَ بِشَيْءٍ وَتَعَزَّزَ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ.. أَهْلَكَهُ اللَّهُ بِهِ.

قوله: ﴿وَمَثَلًا﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿سَلَافًا﴾، وَالْمُرَادُ بِ(الْآخِرِينَ): الْمَتَأَخِّرِينَ^(١) فِي الزَّمَانِ وَهِيَ الْأُمَّةُ الْمَحْمُودِيَّةُ.

قوله: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ سَبَبُ نَزْلِهَا: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ الْآيَةُ [الأنبياء: ٩٨].. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ - وَكَانَ قَبْلَ أَنْ يُسْلَمَ -: أَهَذَا لَنَا وَلِآلِهَتِنَا أَمْ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «هُوَ لَكُمْ وَلِآلِهَتِكُمْ وَلِجَمِيعِ الْأُمَمِ»، فَقَالَ: قَدْ خَصَمْتُكَ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، أَلَيْسَتْ النَّصَارَى يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ، وَالْيَهُودُ يَعْبُدُونَ عَزِيرًا، وَبَنُو مَلِيحٍ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ؛ فَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ فِي النَّارِ.. فَقَدْ رَضِينَا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ وَآلِهَتُنَا مَعَهُمْ؟ فَسَكَتَ انْتِظَارًا لِلوَحْيِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ أُلْزِمَ الْحُجَّةَ، فَضَحِكُوا وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ^(٢). إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ.. تَعْلَمُ الْاِقْتِصَارَ الْوَاقِعَ مِنَ الْمَفْسَّرِ فِي الْقِصَّةِ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَبِإِيقِ الْكَلَامِ يَقْتَضِي الرِّفْعَ خَبْرًا لِّلْمُرَادِ.

(٢) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (١٢/١٥٣) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ أي: المُشْرِكُونَ ﴿مِنْهُ﴾: مِنَ الْمَثَلِ ﴿يَصِدُّونَ﴾: يَضْحَكُونَ فَرَحًا بِمَا سَمِعُوا.

﴿٥٨﴾ ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ أي: عِيسَى؟ فَنَرَضَى أَنْ تَكُونَ آلِهَتُنَا مَعَهُ، ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: الْمَثَلِ ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾: خُصُومَةٌ بِالْبَاطِلِ لِعِلْمِهِمْ أَنَّ (مَا) لِغَيْرِ الْعَاقِلِ فَلَا يَتَنَاولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾: شَدِيدُو الْخُصُومَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾﴾: ﴿إِذَا﴾: فُجَائِيَّةٌ، والمعنى: فاجأ ضَرَبَ المَثَلِ صُدُودَهُمْ وفرحهم.

قوله: ﴿﴿يَصِدُّونَ﴾﴾ بضم الصاد وكسرهما، من باب: (ضَرَبَ) و(رَدَّ)، قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (فرحاً بما سمعوا) أي: أَنَّ محمداً صار مغلوباً بهذا الجدل.

قوله: ﴿﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾﴾... إلخ) تفصيلٌ لِجِدَالِهِمْ، والمعنى: أَنَّهُمْ قَالُوا: آلِهَتُنَا خَيْرٌ عندك أم عيسى؛ فَإِنْ كَانَ فِي النَّارِ.. فَلَتَكُنْ آلِهَتُنَا مَعَهُ؟

وقوله: ﴿﴿ءَالِهَتُنَا﴾﴾ بتحقيق الهمزتين، أو تسهيل الثانية بغير إدخال ألفٍ بينهما، فهما قراءتان سبعتان فقط، وقرئ شذوذاً بهمزة واحدة بعدها ألفٌ على لفظ الخبر^(٢).

قوله: (فَنَرَضَى أَنْ تَكُونَ... إلخ) هذا تفريعٌ على الشُّقِّ الثاني.

قوله: ﴿﴿إِلَّا جَدَلًا﴾﴾ مفعول من أَجَلِه؛ أي: لِأَجْلِ الْجِدَالِ والمراء.

قوله: (لَعَلَّهُمْ أَنَّ «مَا» أي: الْوَاقِعَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾﴾، وَعَلِمَهُمْ ذَلِكَ؛ لِكُونَ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ، وَلُغَةُ الْعَرَبِ أَنَّ (مَا) تَكُونُ لِغَيْرِ الْعَاقِلِ، وَ(مَنْ) لِلْعَاقِلِ.

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي بضم الصاد، والباقون بكسرهما. انظر «الدر المصون» (٩/٦٠٠).

(٢) قرأ أهل الكوفة بتحقيق الهمزة الثانية، والباقون بتسهيلها بين يمين، ولم يُدخل أحدٌ من القراء الذين من قاعدتهم الفصل بين الهمزتين بألف.. ألفاً؛ كراهةً لتوالي أربعة مُتَشَابِهَاتٍ، وأبدل الجميع الهمزة الثالثة ألفاً، وأكثر أهل العصر يقرؤون هذا الحرف بهمزة واحدة بعدها ألفٌ على لفظ الخبر، ولم يقرأ به أحدٌ من السبعة فيما قرأت به، إلا أنه روي أَنَّ ورشاً قرأ كذلك في رواية أبي الأزهري، وهي تحتل الاستفهام كالعامة، وإنما حذف أداة الاستفهام؛ لدلالة (أَمْ) عليها وهو كثيرٌ، وتحتل أنه قرأه خيراً محضاً، وحيثُ: تكون (أَمْ) منقطعة، فتقدَّر (بَلْ) والهمزة. انظر «الدر المصون» (٩/٦٠١).

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا

(٥٩ - ٦٠) ﴿إِنْ﴾ : ما ﴿هُوَ﴾ : عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بِالنَّبُوَّةِ ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بِوُجُودِهِ مِنْ غَيْرِ أَبٍ ﴿مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أَي : كَالْمَثَلِ لِغَرَابَتِهِ يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا يَشَاءُ ، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ : بِدَلِكُمْ ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ بِأَنْ نُهْلِكَكُمْ .

(٦١ - ٦٢) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أَي : عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ : تُعْلَمُ بِنُزُولِهِ ﴿فَلَا تَمْتَرُ بِهَا﴾ أَي : تَشْكُرُ فِيهَا - حُذِفَ مِنْهُ نَوْنُ الرَّفْعِ لِلْجَزْمِ وَوَاوُ الضَّمِيرِ لِالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ -

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ رَدُّ عَلَيْهِم ، والمعنى : ما عيسى إِلَّا عَبْدٌ مَكْرَمٌ مَنَعَهُ عَلَيْهِ بِالنَّبُوَّةِ ، لَا إِلَهَ وَلَا ابْنُ إِلَهٍ .

قوله : (بوجوده من غير أب) أي : فهو نظيرُ آدمَ في خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ أَبَوَيْنِ .

قوله : ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ خطابٌ لقريشٍ ، والمعنى : إِنَّا أَغْنِيَاءُ عَنْكُمْ وَعَنْ عِبَادَتِكُمْ ؛ فَلَوْ نَشَاءُ لَأَهْلَكْنَاكُمْ وَجَعَلْنَا بِدَلِكُمْ مَلَائِكَةً يَعْبُدُونِي^(١) فِي الْأَرْضِ .

قوله : (بدلكم) أي : فهو نظيرُ قوله تعالى : ﴿أَرْضِيئُكُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [التوبة : ٣٨] ، وقول الشاعر^(٢) : [الرجز]

جَارِيَةٌ لَمْ تَأْكُلِ الْمُرَقَّقَا وَلَمْ تَذُقْ مِنَ الْبُقُولِ الْفُسْتُقَا

ويصح أن تكونَ (مِنْ) تَبْعِيضِيَّةٌ ، والمعنى : لو نَشَاءُ لَجَعَلْنَا بِعِضِّكُمْ مَلَائِكَةً يَخْلُفُونَكُمْ فِيهَا ؛ بِأَنْ يُحَوَّلَ بِعِضُّكُمْ إِلَى صُورَةِ الْمَلَائِكَةِ ، أَوْ يَلِدَ بِعِضِّكُمْ مَلَائِكَةٌ .

قوله : ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ﴾ أَي : نَزُولُهُ عَلَامَةٌ عَلَى قُرْبِ السَّاعَةِ ، فَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ ، وَاللَّامُ بِمَعْنَى (عَلَى) .

(١) حذف النون تخفيفاً لغة مشهورة .

(٢) هو أبو نخيلة - بالنون والخاء المعجمة - واسمه يعمر بن حزن بن زائدة ، شاعرٌ مُحَسَّنٌ متقدمٌ ؛ كما في «شرح شواهد المغني» (٧٣٥/٢) ، ونسبه بعضهم لرؤية بن العجاج ؛ كما في «ديوانه» (ص ١٨٠) ، وفيه : (سُرِّيَّةٌ) بدل (جارية) .

وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾

﴿٦٠﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿اتَّبِعُونَ﴾ على التَّوْحِيدِ ﴿هَذَا﴾ الذي أَمَرْتُكُمْ بِهِ ﴿صِرَاطٌ﴾: طَرِيقُ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ: يَصْرِفَنَّكُمْ عَنْ دِينِ اللَّهِ ﴿الشَّيْطَانُ﴾ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ: بَيِّنُ الْعَدَاوَةِ.

(٦٣ - ٦٤) ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالمُعْجَزَاتِ وَالشَّرَائِعِ ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: بِالنُّبُوَّةِ وَشَرَائِعِ الْإِنْجِيلِ ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾: مِنْ أَحْكَامِ التَّوْرَةِ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ، فَبَيَّنَ لَهُمْ أَمْرَ الدِّينِ ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ: طَرِيقُ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَاتَّبِعُونَ﴾ (أي: امثلوا ما أَمَرْتُكُمْ بِهِ).

قوله: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ (معطوف على (اتَّبِعُونِي)، فهو مقول القول، وقيل: من كلام الله تعالى، والمعنى: اتَّبِعُوا يا عبادي هُدًى أو رسولي وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ... إلخ.

قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى﴾ (أي: أُرْسِلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ).

قوله: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ (معطوف على قَوْلِهِ: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾؛ أي: وَجِئْتُكُمْ لِأُبَيِّنَ، ولم يترك العاطف؛ إشارةً إلى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، إِشْعَاراً بِالْإِهْتِمَامِ بِالْقَلَّةِ حَتَّى يُجْعَلَ كَأَنَّهُ كَلَامٌ بِرَأْسِهِ.

قوله: ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ (أي: فَبَيَّنَ لَهُمْ أَمْرَ الدِّينِ، وَهُوَ بَعْضُ مَا يَخْتَلَفُونَ فِيهِ؛ لِأَنَّ اخْتِلَافَهُمْ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَتَكْشُباتِ الدُّنْيَا، وَالْأَنْبِيَاءُ بُعِثُوا لِبَيَانِ الدِّينِ، لَا لَصَنَائِعِ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا تُؤْخَذُ عَنْ أَهْلِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»^(١)).

قوله: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (أي: فِيمَا أُمِرُوا بِهِ).

(١) رواه مسلم (٢٣٦٣) عن سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قَضِيَّةِ تَأْيِيرِ النَّخْلِ.

فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٥﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴿﴾ فِي عِيسَى أَهْوِ اللَّهُ أَوْ ابْنُ اللَّهِ أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ - كَلِمَةُ عَذَابٍ - ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كَفَرُوا بِمَا قَالُوهُ فِي عِيسَى ﴿مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾: مُؤْلِمٌ.

﴿٦٦﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ ﴿﴾ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ، أَي: مَا يَنْتَظِرُونَ ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿السَّاعَةَ﴾ - ﴿بَغْتَةً﴾: فَجَاءَةً ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بِوَقْتِ مَجِيئِهَا قَبْلَهُ.

﴿٦٧﴾ - ﴿٧٠﴾ (٧٠ - ٦٧) ﴿الْأَخِلَّاءُ﴾ عَلَى الْمَعْصِيَةِ فِي الدُّنْيَا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ - مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ -: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾: الْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَلَى طَاعَتِهِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ (أَي: تَفَرَّقُوا مِنْ بَيْنِ مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى) (١).

قوله: (أَهْوِ اللَّهُ) هَذِهِ مَقَالَةٌ فَرَقَتْ مِنَ النَّصَارَى تُسَمَّى الْيَعْقُوبِيَّةَ.

قوله: (أَوْ ابْنُ اللَّهِ) هَذَا قَوْلٌ فَرَقَهُ مِنْهُمْ أَيْضاً تُسَمَّى الْمَرْقُوسِيَّةَ.

قوله: (أَوْ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ) هُوَ قَوْلٌ فَرَقَهُ مِنْهُمْ أَيْضاً تُسَمَّى الْمَلِكَانِيَّةَ، وَقَالَتْ فَرَقَةٌ: إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَإِنَّمَا كَفَرَتْ بِيَعْتِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَقَالَتْ الْيَهُودُ: إِنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيِّ؛ فَإِنَّهُ ابْنُ زَنَّا، لَعَنَهُمُ اللَّهُ.

قوله: (كَلِمَةُ عَذَابٍ) أَي: كَلِمَةٌ مَعْنَاهَا الْعَذَابُ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ خَبَرُهُ.

قوله: (أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ) هَذَا تَوَعُّدٌ لَهُمْ بِالْعَذَابِ إِثْرَ بَيَانِ فَرَحِهِمْ بِجَعْلِ الْمَسِيحِ مَثَلًا.

قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: (عَلَى الْمَعْصِيَةِ) أَي: وَعَلَيْهِ فَيَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مُنْقَطِعًا، وَيَصَحُّ أَنْ الْمُرَادُ بِ(الْأَخِلَّاءِ): الْأَحْبَابُ مُطْلَقًا، فَيَكُونُ الْإِسْتِثْنَاءُ مُتَصِلًا.

قوله: (مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿بَعْضُهُمْ﴾) أَي: وَالْفَصْلُ بِالْمُبْتَدَأِ لَا يَضُرُّ.

(١) هَذَا مَبْنِي عَلَى أَنَّهُ بُعِثَ لِجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَحَزَّبُوا فِي أَمْرِهِ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي الْآيَةِ لَخُصُوصِ النَّصَارَى بِنَاءً عَلَى أَنَّهُ بُعِثَ لَهُمْ فَقَطْ. «فَتْوَاهُ» (٩٦/٤).

يَعْبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾

فإنَّهم أصدقاء، ويُقال لهم: ﴿يَعْبَادٍ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا - نَعْتُ لـ ﴿عِبَادِي﴾ - ﴿بِآيَاتِنَا﴾: الْقُرْآنِ ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ - مُبْتَدَأٌ - ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾: زَوْجَاتُكُمْ ﴿تُحْبَرُونَ﴾: تُسَرُّونَ وَتُكْرَمُونَ - خَبَرُ الْمُبْتَدَأِ ..

حاشية الصاوي

قوله: (فإنَّهم أصدقاء) أي: وَيَشْفَعُونَ لِبَعْضِهِمْ، وَيَتَوَدَّدُونَ كَمَا كَانُوا فِي الدُّنْيَا.

قوله: (ويقال لهم) أي: تَشْرِيفًا وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَرَدَّ: أَنَّهُ يُنَادِي مَنَادٍ فِي الْعَرَصَاتِ: يَا عِبَادِي؛ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْفَعُ أَهْلَ الْعَرِصَةِ رُؤُوسَهُمْ، فيقول المُنَادِي: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، فَيُنْكَسُ أَهْلُ الْأَدْيَانِ رُؤُوسَهُمْ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ^(١).

قوله: ﴿يَعْبَادٍ﴾: الْإِضَافَةُ لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّكْرِيمِ، وَالْبَاءُ إِمَّا سَاكِنَةً أَوْ مَفْتُوحَةً أَوْ مَحْذُوفَةً، ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ سَبْعِيَّاتٍ^(٢).

وقد ناداهم الله تعالى بأربعة أمور: الأول: نفي الخوف، والثاني: نفي الحزن، والثالث: الأمرُ بدخول الجنة، والرابع: البشارة بالسُّرُورِ في قوله: ﴿تُحْبَرُونَ﴾.

قوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾: بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ، وَ﴿عَلَيْكُمْ﴾: خَبَرُهُ، وَقُرْئَ شَذُودًا بِالضَّمِّ أَوْ الْفَتْحِ دُونَ تَنْوِينٍ^(٣).

قوله: ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾: أي: مُخْلِصِينَ فِي أَمْرِ الدِّينِ.

قوله: (زوجاتكم) أي: الْمُؤْمَنَاتُ.

قوله: (تُسَرُّونَ) أي: يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى وُجُوهِكُمْ.

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٧٧/١٩) عن مقاتل ومَعمر بن سليمان.

(٢) قرأ شعبة بفتح الباء في الوصل، وسكنها نافع وأبو عمرو وابن عامر، وحذفها الباقون وقفًا ووصلًا. انظر «السراج المنير» (٥٧٢/٣).

(٣) قرأ ابن محيصن دون تنوين على حذف مضاف وانتظاره: (لا خوف شيء)، والحسن وابن أبي إسحاق بالفتح على (لا) التبرئة، وهي عندهم أبلغ. انظر «الدر المصون» (٦٠٤/٩).

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ

(٧١ - ٧٢) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾: بِقِصَاصٍ ﴿مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾: جَمْعُ (كُوب) وهو إِنَاءٌ لَا عُروَةَ لَهُ لِيَشْرَبَ الشَّارِبُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنفُسُ﴾
حاشية الصاوي

قوله: (بِقِصَاصٍ) جمع (قَصْعَة)، وهي: الإناء الذي يُشَبَّعُ العشرة، وأكبر منها الجَفَنَةُ، والصحفة: ما يُشَبَّعُ الخمسة، والميكلة: ما يُشَبَّعُ الرجلين أو الثلاثة.

ورد: أنه يَطُوفُ على أدنى أهل الجنة منزلة سبعون ألف غلامٍ بسبعين ألف صحفةٍ من ذهب، يُغَدَى عليه بها، في كلِّ واحدةٍ منها لونٌ ليس في صاحبتيها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يُشَبَّعُ بعضه بعضاً، ويُرَاحُ عليه بمثلها، ويَطُوفُ على أرفعهم درجةً كلَّ يوم سبع مئة ألف غلام، مع كل غلام صحفةٌ من ذهب فيها لونٌ من الطعام ليس في صاحبتيها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، لا يُشَبَّعُ بعضه بعضاً^(١).

قوله: (جمع كُوب) أي: ك: عُود وأعواد.

قوله: (لا عُروَةَ لَهُ) أي: ليس له محلٌّ يُمْسِكُ منه.

قوله: (فِيَشْرَبُ الشَّارِبُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ) أي: لأنَّ العُروَةَ تَمْنَعُ مِنْ بَعْضِ الْجِهَاتِ.

وروي: أنهم يُؤْتَوْنَ بالطعام والشراب، فإذا كان في آخر ذلك.. أُتُوا بالشراب الطهور، فَتَضُمُّرُ لذلك بَطُونُهُمْ، وَتَقْيِضُ عِرْقاً مِنْ جُلُودِهِمْ أَطِيبٌ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، قال تعالى: ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]^(٢).

قوله: ﴿وَفِيهَا﴾ أي: الجنة.

قوله: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ﴾ أي: مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَعْقُولَةِ وَالْمَسْمُوعَةِ وَالْمَنْظُورَةِ وَالْمَلْمُوسَةِ وَالْمَذُوقَةِ وَالْمَشْمُومَةِ.

روي: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَفِي الْجَنَّةِ خَيْلٌ؛ فَإِنِّي أُحِبُّ الْخَيْلَ؟ فَقَالَ: «إِنْ يُدْخِلَكَ اللَّهُ

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة أهل الجنة» (٣٣٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه، وليس فيه ذكر الأرفع درجة، وانظر «تفسير القرطبي» (٧٩/١٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة أهل الجنة» (١٢٦) من حديث أبي قلابة رحمه الله تعالى.

وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

تَلَذُّذًا ﴿وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ نَظْرًا، ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا ﴿أَيَ﴾ بَعْضُهَا ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وَكُلُّ مَا يُؤْكَلُ يُخْلَفُ بَدَلَهُ.

حاشية الصاوي

الجنة؛ فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء، فتطير بك في أي الجنة شئت.. إلا فعلت، فقال أعرابي: يا رسول الله؛ أفي الجنة إبل؛ فإني أحب الإبل؟ فقال: «يا أعرابي؛ إن أدخلك الله الجنة.. أصبت فيها ما اشتئت نفسك، ولذت عينك»^(١).

و(تستهي) بهاءً واحدة، واثنين بينهما الياء، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: (تَلَذُّذًا) أي: فطعامها وشرابها لا عن عطش.

قوله: (نَظْرًا) أي: وأعظمه النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ مبتدأ وخبر، وفيه التيفات من الغيبة إلى الخطاب؛ تشريفاً لها وتعظيماً لِقَدْرِهَا، ولم يقل: (وتلك الجنة) ليكون مناسباً لقوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾؛ إشارةً إلى أن كل واحد من أهل الجنة مخاطب بالاستقلال.

قوله: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: أعطيتموها بسبب عملكم، وهذا زيادة في الإكرام لأهل الجنة؛ حيث لم يقل: (أورثتموها من فضلي) وإن كانت في الحقيقة من فضله تعالى. قال ابن عباس: خلق الله لكل نفس جنةً وناراً، فالكافر يرث نار المسلم، والمسلم يرث جنة الكافر^(٣).

قوله: (بخلق بدله^(٤)) أي: لأنها على صفة الماء النابع؛ لا يؤخذ منها شيء إلا خُلِقَ مكانه في الحال مثله.

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٦) عن سيدنا بريدة الأسلمي رضي الله عنه.

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحفص: (تستهي) بإثبات العائد على الموصول؛ كقوله: ﴿الَّذِي يَخْتَفَةُ السَّيِّطُونَ﴾، والباقون بحذفه كقوله: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾، وهذه الهاء في هذه السورة رسمت في مصاحف المدينة والشام، وحذفت من غيرها. انظر «الدر المصون» (٦٠٥/٩).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (٨٣/١٩).

(٤) كذا في الأصول، وعبارة «الفتوحات» (٩٩/٤): (يخلف بدله)، وهي الموافقة لنسخ «الجلال».

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَرِّقُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا بِمَلِكٍ

(٧٤ - ٧٦) ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَرِّقُهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ: سَاكِتُونَ سُكُوتَ يَأْسٍ، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.

(٧٧ - ٧٨) ﴿وَنَادَوْا بِمَلِكٍ﴾ هو خَازِنُ النَّارِ
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾... إلخ) لما ذكر وعدَ المؤمنين الحسنَ بالجنة وما فيها.. شرع في ذكر وعيد الكافرين السيئ بالنار وما فيها؛ على حُكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، والمراد بـ(المجرمين): الكفار؛ لذكرهم في مُقابلة المؤمنين.

قوله: ﴿لَا يُفَرِّقُهُمْ عَنْهُمْ﴾ الجملة حالية، وكذا ما بعدها، والفُتور: السكون، يُقال: فُتِرَ الماء: سَكَنَ حرّه.

قوله: (ساكتون) أي فالإبلاسُ: السكوت، ويُطلق على السكون، يُقال: أبلس: سَكَتَ وسكن. قوله: (سكوت يأس) أي: من رحمة الله تعالى.

إن قلتَ: إن مقتضى ما هنا أنهم يَسْكُتُونَ في النار، ومقتضى ما يأتي في قوله: ﴿وَنَادَوْا بِمَلِكٍ﴾... الآية [الزخرف: ٧٧] أنهم يَسْتَغِيثُونَ ويتكلمون، فحصل التنافي بين الموضعين.

أجيب: بأنهم يَسْكُتُونَ تارة، ويستغيثون أخرى، فأحوالهم مُختلفة.

قوله: ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ العامة على نصب ﴿الظَّالِمِينَ﴾ خبراً لـ(كان)، و﴿هُمْ﴾ ضمير فصل، وقُرى شذوذاً: (الظالمون) بالرفع على أَنَّ ﴿هُمْ﴾ ضميرٌ منفصلٌ مبتدأ، و(الظالمون) خبره، والجملة خبر (كان)^(١).

قوله: ﴿وَنَادَوْا﴾ التعبيرُ بالماضي؛ لتحقيق الحصول.

قوله: (هو خازن النار) أي: كبيرُ خَزَنَتِهَا، ومجلسه وسط النار، وفيها جسور تمرُّ عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أداها.

(١) وبها قرأ عبد الله وأبو زيد النحويان، وهي لغة تميم، قال أبو زيد: سمعتهم يقرؤون: (تجدوه عند الله هو خيرٌ وأعظمُ أجراً) بالرفع. انظر «الدر المصون» (٦٠٦/٩).

لَيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَمْرًا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾

﴿لَيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾: لِيُمِيتَنَا، ﴿قَالَ﴾: بَعْدَ أَلْفِ سَنَةٍ: ﴿إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾: مُقِيمُونَ فِي الْعَذَابِ دَائِمًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ﴾ أَي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿بِالْحَقِّ﴾ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾.

(٧٩ - ٨٠) ﴿أَمْ أَمْرًا﴾ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ: أَحْكُمُوا ﴿أَمْرًا﴾ فِي كَيْدِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾: مُحْكِمُونَ كَيْدَنَا فِي إِهْلَاكِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ (اللام: للدعاء، و(يقض): مجزوم بحذف الياء، والمعنى: سَلَّ رَبُّكَ أَنْ يُمِيتَنَا، فهو من: (قضى عليه): إذا أماته.

قوله: (لِيُمِيتَنَا) أي: لِنَسْتَرِيحَ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ.

قوله: (بعد ألف سنة) هذا أحد أقوال، وقيل: بعد مئة سنة، وقيل: بعد أربعين سنة، والسنة ثلاث مئة وستون يوماً، واليوم كآلف سنة مما تعدُّون.

قوله: (مقيمون في العذاب) دائماً؛ أي: لا مفرَّ لكم منه بموتٍ ولا غيره.

قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ﴾... إلخ) يحتمل أنه من كلامه تعالى، خطاباً لأهل مكة عموماً، مُبَيِّنٌ لِسَبَبِ مُكْثِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَهُوَ مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ أَي: وَأَمَّا أَقْلُكُمْ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، يَحِبُّ الْحَقَّ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ مَالِكٍ لِأَهْلِ النَّارِ، جَارٍ مَجْرَى الْعِلَّةِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّكُمْ مَا كُثُونَ لِأَنَّا جِئْنَاكُمْ... إلخ، وَيَكُونُ مَعْنَى (أَكْثَرَكُمْ): كَلَّكُمْ.

قوله: ﴿كَارِهُونَ﴾ (أي: لِمَا فِيهِ مِنْ مَنَعَ الشَّهَوَاتِ، فَكَرَاهَتُكُمْ لَهُ مِنْ أَجْلِ كَوْنِهِ مُخَالَفًا لِهَوَاكُمْ وَشَهَوَاتِكُمْ).

قوله: ﴿أَمْ أَمْرًا﴾ (الإبرام في الأصل: الفتل المحكم، يُقَالُ: أَبْرَمَ الْحَبْلُ: إِذَا أَتَقَنَ فَتْلُهُ ثَانِيًا، وَأَمَّا فَتْلُهُ أَوَّلًا... فَيُسَمَّى سَحْلًا، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مُطْلَقِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْكَامِ).

(وَأَم) مُنْقَطِعَةٌ تُفْسَّرُ بِ(بَل) وَالْهَمْزَةُ، وَهُوَ انْتِقَالٌ مِنْ تَوْبِيخِ أَهْلِ النَّارِ إِلَى تَوْبِيخِ الْكُفَّارِ عَلَى بَعْضِ مَا حَصَلَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا.

قوله: (في كيد محمد) أي: كَمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾: ما يُسِرُّون إلى غيرهم وما يَجْهَرُونَ به بينهم؟ ﴿بَلَىٰ﴾ نَسْمَعُ ذلك، ﴿وَرُسُلْنَا﴾ الحَفَظَةُ ﴿لَدَيْهِمْ﴾: عندهم ﴿يَكْتُبُونَ﴾ ذلك.

(٨١ - ٨٢) ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ لِلْوَلَدِ، لَكِنْ ثَبَتَ أَنْ لَا وَلَدَ لَهُ تَعَالَى فَانْتَفَتَ عِبَادَتُهُ، ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾: الْكُرْسِيِّ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾: يَقُولُونَ مِنَ الْكَذِبِ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ.

﴿٨٣﴾ ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا﴾ فِي بَاطِلِهِمْ ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ فِي دُنْيَاهُمْ ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ فِيهِ الْعَذَابُ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ﴾ (﴿أَمْ﴾: مُنْقَطِعَةٌ تُفَسَّرُ بِ(بَلَى) وهمزة الإنكار.

قوله: ﴿وَرُسُلْنَا﴾... (إلخ) الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وقوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ (ذلك) أي: سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ.

قوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ (أي: إِنْ صَحَّ وَثَبَتَ ذَلِكَ بَبَرَاهَانٍ صَحِيحٍ.. فَنَا أَوَّلُ مَنْ يُعْظَمُ ذَلِكَ الْوَلَدَ وَيَعْبُدُهُ).

قوله: (لَكِنْ ثَبَتَ أَنْ لَا وَلَدَ لَهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ قِيَاسُ اسْتِثْنَائِيٍّ، وَقَدْ اسْتِثْنَى فِيهِ نَقِيضَ الْمَقْدَمِ بِقَوْلِهِ: (لَكِنْ ثَبَتَ... إلخ)، فَأَنْتَجَ نَقِيضُ التَّالِي وَهُوَ قَوْلُهُ: (فَانْتَفَتَ عِبَادَتُهُ)، وَإِيضاً حُ: أَنَّهُ عَلَّقَ الْعِبَادَةَ بِكَيْفُونَةِ الْوَلَدِ، وَهِيَ مُحَالَةٌ فِي نَفْسِهَا، فَكَانَ الْمَعْلَقُ بِهَا مُحَالاً مِثْلَهَا، فَحَصَلَ نَفْيُهُمَا عَلَى أَبْلَغِ الْوُجُوهِ وَأَقْوَاهَا.

قوله: (الْكُرْسِيِّ) الْمُنَاسِبُ إِيقَاءُ الْآيَةِ عَلَى ظَاهَرِهَا؛ لِأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرَ الْكُرْسِيِّ.

قوله: (الْعَذَابُ) مَفْعُولُ ثَانٍ لـ ﴿يُوْعَدُونَ﴾، وَ(فِيهِ) مُتَعَلِّقٌ بِ(الْعَذَابِ).

قوله: (وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ) الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: يَوْمَ مَوْتِهِمْ؛ لِأَنَّ خَوْضَهُمْ وَلَعِبَهُمْ إِنَّمَا يَنْتَهِي بِيَوْمِ

الموت.

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَبَارَكَ

(٨٤ - ٨٥) ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ﴾ - بِتَحْقِيقِ الهمزتين، وإسقاطِ الأُولَى وتسهيلها كالياء - أي: مَعْبُودٌ ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ - وَكُلٌّ مِنَ الظَّرْفَيْنِ مُتَعَلِّقٌ بِمَا بَعْدَهُ - ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي تَدْيِيرِ خَلْقِهِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِهِمْ، ﴿وَبَارَكَ﴾: تَعَظَّمَ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ﴾... إلخ) قَدَّرَ الضمير؛ إشارةً إلى أَنَّ العائد محذوف، و(هو) مبتدأ، و﴿إِلَهٌ﴾ خبره، و﴿فِي السَّمَاءِ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿إِلَهٌ﴾، وإنما حذف المبتدأ؛ لِدَلَالَةِ المعنى عليه، وَلِطُولِ الصَّلَةِ بِالْمَعْمُولِ؛ نظير قولك: (ما أنا بالذي قائلٌ لك سوءاً)^(١)، ولا يصحُّ أن يكون الجارُّ والمجرور خبراً مُقَدِّماً، و﴿إِلَهٌ﴾ مبتدأ مؤخَّرٌ؛ لثَلَا تَعَرَّى الجملة عن رابط؛ نظير: (جاء الذي في الدار زيد).

قوله: (بتحقيق الهمزتين... إلخ) أي: همزة (سما) وهمزة (إله)، وذكر المفسر هنا ثلاث قراءات، وفي الحقيقة هي سبعٌ سبعيات: التحقيق وهي قراءة واحدة، وإسقاط الهمزة الأولى، وتسهيلها مع القصر في (سما) بقدر ألف، والمدُّ بقدر ألفين، وتسهيل الثانية، وإبدالها ياءً مع القصر لا غير^(٢).

قوله: (مُتَعَلِّقٌ بما بعده) أي: وهو ﴿إِلَهٌ﴾؛ لأنه بمعنى: مَعْبُود، والتقدير: وهو مَعْبُودٌ فِي السَّمَاءِ، ومَعْبُودٌ فِي الْأَرْضِ، ولا شكَّ أَنَّ العابدَ فِي السَّمَاءِ غَيْرُ العابدِ فِي الْأَرْضِ، والمَعْبُودُ وَاحِدٌ^(٣)، ودفع بذلك ما يتوهم من ظاهر الآية أَنَّ الإله متعدّدٌ؛ لأنَّ النكرة إذا أعيدت كانت غيراً^(٤).

- (١) إِذِ الْأَصْلُ: (ما أنا بالذي هو قائلٌ لك سوءاً)، فَحُسِّنَ الحذف؛ لِطُولِ الصَّلَةِ بِالْمَجْرُورِ وَالْمَنْصُوبِ.
- (٢) سَهَّلَ الْأَوَّلَى مَعَ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ قَالُونَ وَالْبِزْيَ، وَأَسْقَطَهَا مَعَ الْقَصْرِ وَالْمَدِّ الْبَصْرِي، وَسَهَّلَ الثَّانِيَةَ وَرَشَ وَقَبِلَ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَرُوَيْسَ، وَلَوْ رَشَ وَقَبِلَ إِبْدَالَهَا أَلْفًا مَعَ الْقَصْرِ؛ لِتَحْرُكِ مَا بَعْدَهَا، وَحَقَّقَهَا الْبَاقُونَ. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩١).
- (٣) وإيضاحه: أَنَّ الْمَغَايِرَةَ إِنَّمَا هِيَ بَيْنَ مَعْبُودِيَّتِهِ فِي السَّمَاءِ وَمَعْبُودِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الْمَعْبُودِيَّةَ مِنَ الْأُمُورِ الْإِضَافِيَّةِ، فَيَكْفِي التَّغَايِرُ فِيهَا مِنْ أَحَدِ الظَّرْفَيْنِ؛ فإِذَا كَانَ الْعَابِدُ فِي السَّمَاءِ غَيْرَ الْعَابِدِ فِي الْأَرْضِ... صدق أَنَّ مَعْبُودِيَّتَهُ فِي السَّمَاءِ غَيْرَ مَعْبُودِيَّتِهِ فِي الْأَرْضِ، مَعَ أَنَّ الْمَعْبُودَ وَاحِدًا، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى اخْتِصَاصِهِ بِاسْتِحْقَاقِ الْأُلُوهِيَّةِ؛ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ يَدُلُّ عَلَى الْاِخْتِصَاصِ. «فتوحات» (١٠١/٤) نقلًا عن العلامة الكرخي.
- (٤) وقال أهل العلم بالتوحيد: لا بد لنا أن نلفت إلى أنه سبحانه قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾، وكلمة «الذي» اسم موصول واحد يدلنا على أن الحق صلته بالسما وبالأرض واحدة، ولهذا نقول لمن وقفوا عند هذه الآية: لا تبحثوا عن النكرة المكررة بمعزل عن الاسم الموصول؛ لأن الاسم الموصول معرفة. انظر «تفسير الشعراوي» (٣٥٠٣/٦).

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ
خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنْتَ يُوقِفُكَونَ ﴿٨٧﴾

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تَقُومُ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
- بالياء والتاء -.

﴿٨٦﴾ ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: يَعْبُدُونَ أي: الْكُفَّار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله
﴿الشَّفَعَةَ﴾ لِأَحَدٍ ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إِلَهَ إِلَّا الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بِقُلُوبِهِمْ
ما شَهِدُوا بِهِ بِالْإِسْتِثْنَاءِ، وَهُمْ عِيسَى وَعُزَيْرُ الْمَلَائِكَةِ؛ فَإِنَّهُمْ يَشْفَعُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿٨٧﴾ - ﴿٨٦﴾ ﴿وَلَكِنْ﴾ - لام قَسَمَ - ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ - حُذِفَ مِنْهُ نُونُ
الرَّفْعِ وواوُ الضَّمِيرِ - ﴿فَأَنْتَ يُوقِفُكَونَ﴾: يُصِرُّونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ أي: علمُ وقت قيامها.

قوله: (والتاء) أي: فهو التفاتٌ من الغيبة للخطاب؛ للتهديد والتقريع.

قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ﴾... إلخ الاسمُ الموصول: فاعل ﴿يَمْلِكُ﴾، وهو إمَّا عبارة عن
مطلق المعبودات غير الله، فيكون الاستثناء مُتصلاً، وهو ما تقتضيه عبارة المفسِّر^(١)، أو عن
خُصوص الأصنام، فيكون منقطعاً.

قوله: (أي: الكفار) تفسير للواو في ﴿يَدْعُونَ﴾.

قوله: (لأحد) قدره؛ إشارة إلى أَنَّ مفعول الشفاعة محذوفٌ.

قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الضمير عائد على (من)، والجمع باعتبار معناها.

قوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: العابدين مع ادِّعاء الشريك.

قوله: ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ جواب القسم، وجواب الشرط محذوفٌ على القاعدة^(٢).

(١) حيث لم يقصر (الذين) على الأصنام، بل أبقاها على عمومها.

(٢) فيما إذا اجتمع شرط وقسم... حذف جواب الآخر منهما، واستغني بجواب المتقدم، قال ابن مالك:
واحذف لدى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملزَم

وَقِيلَهُ يَكْرَبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَحَ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿وَقِيلَهُ﴾ أي: قول محمد النبي - ونصبه على المصدر بفعله المقدّر - أي: وقال: ﴿يَكْرَبُ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، قال تعالى: ﴿فَأَصْفَحَ﴾: أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ مِنْكُمْ، وهذا قبل أن يُؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ - بالياء والتاء - تهديد لهم.



حاشية الصاوي

قوله: (أي: قول محمد النبي) تفسير لكل من المضاف والمضاف إليه، وقوله: (ونصبه على المصدر) أي: فـ(القول) و(القول) و(القال) و(المقالة)؛ كلّها مصادر بمعنى واحد^(١)، وفي قراءة سبعة أيضاً بالجر؛ إمّا عطفاً على ﴿السَّاعَةِ﴾^(٢)، أو أنّ الواو للقسّم، والجواب إمّا محذوف، والتقدير: لأفعلنّ بهم ما أريد، أو مذكور وهو قوله: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

قوله: ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ خبر لمحذوف؛ أي: شأني سلام؛ أي: ذو سلامة منكم ومني، فهو تباعد وتبرّ منهم، فليس في الآية مشروعية السلام على الكفار.

قوله: (وهذا قبل أن يُؤمر بقتالهم) أي: فالآية منسوخة، ويحتمل أنّ المراد الكفّ عن مقابلتهم بالكلام؛ فلا نسخ فيها.



(١) وهو وجه من وجوه ثمانية ذكرها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٦١١/٩).

(٢) أي: وعنده علم قيله.

(٣) قرأ حمزة وعاصم بالجر، والباقون بالنصب. انظر «الدر المصون» (٦١١/٩).



مَكِّيَّة، وَقِيلَ: إِلَّا ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ...﴾ الْآيَةُ. وَهِيَ سِتُّ أَوْ سَبْعٌ أَوْ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

حَاشِيَةُ الصَّائِي

سُورَةُ الدُّخَانِ

(مَكِّيَّة) أَي: كُلُّهَا، وَهُوَ الْمَعْتَمَدُ.

قَوْلُهُ: (الْآيَةُ) أَي: إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَابِدُونَ﴾.

وَوَرَدَ فِي فَضْلِ هَذِهِ السُّورَةِ أَحَادِيثٌ، مِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ (الدُّخَانَ) لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ.. أَصْبَحَ مَغْفُوراً لَهُ، وَزُوجٌ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ»^(١).

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ (الدُّخَانَ) لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ.. أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»^(٢).

وَمِنْهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ (حَمَّ الدُّخَانِ) لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.. بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ»^(٣).

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: (مَا ذَكَرَهُ الْبَيْضاوي مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِ السُّورِ مُتَكَلِّمٌ فِيهَا إِلَّا أَحَادِيثَ سُورَةِ «الدُّخَانِ» وَحَدِيثَ «يَس» الَّذِي تَقَدَّمَ لَنَا، وَهُوَ: «إِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْباً، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ (يَس)؛ مَنْ قَرَأَهَا يَرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى.. غُفِرَ لَهُ»^(٤) إِلَى آخِرِهِ، وَحَدِيثَ سُورَةِ «الْوَاقِعَةِ»، وَهُوَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ (الْوَاقِعَةِ) فِي كُلِّ لَيْلَةٍ.. لَمْ تُصِبْهُ فَاقَةٌ أَبَداً»^(٥).

(١) رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٣٧٤٣) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي رَافِعٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨٨٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٨٠٢٦) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٨٨٧) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٢٢٦٨) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَانْظُرْ «حَاشِيَةَ الشَّهَابِ عَلَى الْبَيْضاوي» (١٥١/٨).

﴿حَمْدٌ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بِمُرَادِهِ بِهِ، ﴿وَالْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنِ ﴿الْمُبِينِ﴾: الْمُظْهِرِ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ هي لَيْلَةُ الْقَدْرِ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْكِتَابِ﴾ (الواو: للقسم، و) (الكتاب): مُقَسَّمٌ بِهِ، وجواب القسم هو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾... إلخ، وأما قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾.. فهو تعليلٌ للجواب، وهو أحسن من جعل الجواب قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ جملة معترضة بين القسم وجوابه.

قوله: (القرآن) هذا أحد أقوال في تفسير (الكتاب)، وهو أقواها، وعليه: فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن في ليلة مباركة، وهذا من أبلغ الكلام الدال على غاية تعظيم القرآن؛ كما تقول للعظيم: أتشفع بك لك، وفي الحديث: «أعوذ برضاك من سخطك، وبِعَفْوِكَ من عُقوبتك، وبِكَ منك»^(١).

وقيل: المراد بـ(الكتاب): الكُتُب المنزلة على الأنبياء، والضمير في ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ عائذ على القرآن المفهوم من السياق.

وقيل: المراد به: اللوح المحفوظ، وقوله: ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: أنزلنا بعض ما فيه وهو القرآن.

قوله: (هي ليلة القدر) هذا قول قتادة وابن زيد وأكثر المفسرين، ووُجِّه بأمر؛ منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]؛ فيجب أن تكون الليلة المباركة هي المسماة بليلة القدر؛ لأن (خير ما فسّرت به بالوارد).

ومنها: قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فقوله تعالى هنا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان، فثبت أنها ليلة القدر.

ومنها: قوله تعالى في صفة ليلة القدر: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤]، وقال هنا: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، وقال هنا: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾، وقال في ليلة القدر: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، وإذا تقاربت الأوصاف.. وجب القول بأن أحد^(٢) الليلتين هي الأخرى، وهذه أدلة ظاهرة واضحة على أنها ليلة القدر، وهو المعتمد.

(١) رواه مسلم (٤٨٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها، وفيه: (وبمعافاتك) بدل (وبعفوك).

(٢) كذا في الأصول، ولعل الأولى: (إحدى الليلتين).

أو لَيْلَةُ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ،

حاشية الصاوي

وسُمِّيت (ليلةَ القدرِ)؛ لأنَّ الله تعالى يُقدِّرُ فيها ما يشاء من أمرِهِ إلى مثلها من السنة القابلة؛ من أمر الموت والأجلِ والرَّزقِ، ويُسلِّمُ ذلك إلى مُدبِّرات الأمورِ وهم إسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبريل عليهم السلام.

وقيل: يبدأ في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة النصف من شعبان، ويَقَعُ الفراغ في ليلة القدر، فتُدْفَعُ نسخةُ الأرزاق إلى ميكائيل، ونسخةُ الحروب إلى جبريل، وكذلك الزلازلُ والصواعق والخسف، ونُسخةُ الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملكٌ عظيمٌ، ونسخةُ المصائب إلى ملك الموت.

قوله: (أو ليلة النصف من شعبان) هو قولُ عكرمة وطائفة، ووُجِّهَ بأمور؛ منها: أنَّ ليلةَ النصف من شعبان لها أربعة أسماء: الليلة المباركة، وليلة البراءة، وليلة الرحمة، وليلة الصُّكِّ.

ومنها: فضلُ العبادة فيها؛ لما ورد: «مَنْ صَلَّى فِيهَا مِئَةَ رَكْعَةٍ.. أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مِئَةَ مَلَكٍ؛ ثَلَاثُونَ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ، وَثَلَاثُونَ يُؤْمِنُونَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَثَلَاثُونَ يَدْفَعُونَ عَنْهُ آفَاتِ الدُّنْيَا، وَعِشْرَةٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ مَكَائِدَ الشَّيْطَانِ»^(١).

ومنها: نزولُ الرحمة فيها؛ لما روي في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَرْحَمُ أُمَّتِي هَذِهِ اللَّيْلَةَ بَعْدَ شَعْرِ أَغْنَامِ بَنِي كَلْبٍ»^(٢).

ومنها: حصولُ المغفرة فيها؛ لما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا الْكَاهِنَ، وَالسَّاحِرَ، وَمَدْمَنَ الْخَمْرِ، وَعَاقِقَ وَالِدَيْهِ، وَالْمَصْرَّ عَلَى الزَّنا»^(٣).

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/٢٦١): (رواه الإمام أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي الفقيه الشافعي في كتاب «الترغيب» بتغير يسير: حدثنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر، ثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، ثنا عبد الرزاق عن توبة عن عثمان بن عبد الله عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى لَيْلَةَ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ مِئَةَ رَكْعَةٍ؛ يقرأ في كل رَكْعَةٍ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَهُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» عشر مرات.. لم يَمِتْ حتى يريه الله في منامه مِئَةَ مَلَكٍ: ثَلَاثُونَ يُبَشِّرُونَهُ بِالْجَنَّةِ، وَثَلَاثُونَ يُؤْمِنُونَهُ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَثَلَاثُونَ يَحْفَظُونَهُ مِنْ خَطَايَاهُ، وَعِشْرَةٌ يَكْلُؤُونَهُ مِنْ عَدُوِّهِ» انتهى، وكذلك رواه الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر في كتابه «فضائل شعبان».

(٢) رواه الترمذي (٧٣٩)، وابن ماجه (١٣٨٩) عن سَيِّدَتِنَا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(٣) رواه بنحوه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٣١) عن سيدنا أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا

نَزَلَ فِيهَا مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾: مُخَوِّفِينَ بِهِ.

(٤ - ٥) ﴿فِيهَا﴾ أَي: فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ أَوْ لَيْلَةِ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ﴿يُفْرَقُ﴾: يُفَصِّلُ ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: مُحْكَمٌ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَالْأَجَالِ وَغَيْرِهِمَا الَّتِي تَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، ﴿أَمْرًا﴾: فَرَقًا

حاشية الصاوي

ومنها: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى رَسُولَهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تَمَامَ الشَّفَاعَةِ فِي أُمَّتِهِ، وَذَلِكَ: «أَنَّهُ سَأَلَ لَيْلَةَ الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ فِي أُمَّتِهِ، فَأُعْطِيَ الثُّلُثَ مِنْهَا، ثُمَّ سَأَلَ لَيْلَةَ الرَّابِعِ عَشَرَ، فَأُعْطِيَ الثَّلَاثِينَ، ثُمَّ سَأَلَ لَيْلَةَ الْخَامِسِ عَشَرَ فَأُعْطِيَ الْجَمِيعَ إِلَّا مِنْ شَرَدَ عَنْ اللَّهِ شُرُودَ الْبَعِيرِ»^(١).

قوله: (نَزَلَ فِيهَا) أَي: جَمَلَةً، وَمَعْنَى إِنْزَالِهِ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا: أَنَّ جَبْرِيلَ أَمْلَاهُ مِنْهُ عَلَى مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَتَبُوهُ فِي صُحُفٍ، وَكَانَتْ عِنْدَهُمْ فِي مَحَلٍّ مِنْ تِلْكَ السَّمَاءِ يُسَمَّى بَيْتَ الْعِزَّةِ، ثُمَّ نَجَّمَتِ الْمَلَائِكَةُ الْمَذْكُورُونَ عَلَى جَبْرِيلَ فِي عَشْرِينَ سَنَةً، يَنْزِلُ بِهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ المرادُ من (كَانَ): الْاسْتِمْرَارُ وَالِدَوَامُ؛ أَي: شَأْنُنَا وَعَادَتُنَا الْإِنْذَارَ وَالتَّخْوِيفَ، وَهَذِهِ الْجَمَلَةُ عَلَّةٌ لِلْإِنْزَالِ وَكَوْنِهِ فِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ، وَالْمَعْنَى: أَنَّا إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ؛ لِأَنَّ شَأْنَنَا الْإِنْذَارَ، وَهَذَا الْقُرْآنُ عَظِيمٌ أَنْزَلَ فِي لَيْلَةٍ مَبَارَكَةٍ، شَأْنُهُ أَنْ يُخَافَ مِنْهُ.

قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ هذه الْجَمَلَةُ إِمَّا مُسْتَأْنَفَةٌ، أَوْ صِفَةٌ لـ ﴿لَيْلَةٍ﴾ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ.

قوله: (يُفَصِّلُ) أَي: يُبَيِّنُ وَيُظْهِرُ لِلْمَلَائِكَةِ الْمَوْكَلِينَ بِالتَّصْرِيفِ.

قوله: (مُحْكَمٌ) أَي: مُبْرَمٌ لَا تَغْيِيرَ فِيهِ وَلَا تَبْدِيلَ.

قوله: (فَرَقًا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿أَمْرًا﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ بِفِعْلِ مُلَاقٍ لَهُ فِي الْمَعْنَى ك: قَمْتُ وَقَوَفًا، وَجَلَسْتُ قَعُودًا، وَيَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ فَاعِلٍ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، وَالتَّقْدِيرُ: أَنْزَلْنَاهُ حَالًا كَوْنَنَا أَمْرَيْنِ، أَوْ مِنْ مَفْعُولِهِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَنْزَلْنَاهُ حَالًا كَوْنَهُ مَأْمُورًا بِهِ، وَيَصْحُحُ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِأَجَلِهِ

(١) أوردته الزمخشري في «الكشاف» (٤/٢٧٣)، وقال الزيلعي في تخريجه: (٣/٢٦٦): (غريب).

مَنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾

﴿مَنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرُّسُلُ مُحَمَّدًا وَمَنْ قَبْلَهُ.

(٦ - ٨) ﴿رَحْمَةً﴾: رَافَةٌ بِالْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ ﴿مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لِقَوْلِهِمْ
﴿الْعَلِيمُ﴾ بِأَفْعَالِهِمْ، ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ - بَرَفَعِ ﴿رَبُّ﴾ خَبَرُ ثَالِثٍ، وَبَجَرُهُ
بَدَلٌ مِّنَ ﴿رَبِّكَ﴾ - ﴿إِن كُنتُمْ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿مُوقِنِينَ﴾ بِأَنَّهُ تَعَالَى رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَأَيِّقُنُوا بِأَنَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ،
حاشية الصاوي

وعامله ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، والتقدير: أَنْزَلْنَاهُ لِأَمْرِ الْخَلْقِ - أَي: شَأْنِهِمْ - بِمَعْنَى: أَنَّ فِيهِ مَصَالِحَ دِينِهِمْ
وَدُنْيَاهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

قوله: ﴿مَنْ عِنْدَنَا﴾ صفة لـ ﴿أَمْرًا﴾.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ جملة مستأنفة، قُصِدَ بِهَا بَيَانُ حِكْمَةِ الْإِنْزَالِ فِي لَيْلَةِ مَبَارَكَةٍ، وَكَوْنِهِ أَمْرًا.
قوله: ﴿رَحْمَةً﴾ مفعول لأجله، والعامل فيه إمَّا ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾، وإمَّا ﴿أَمْرًا﴾، وإمَّا ﴿مُنْذِرِينَ﴾،
وإمَّا ﴿يُفَرِّقُ﴾، وإمَّا ﴿مُرْسِلِينَ﴾، وهو الأقرب، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ؛
أَي: رَحْمَتَاهُمْ رَحْمَةً، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ (المرسلين) أَي: ذَوِي رَحْمَةٍ، وَيَصَحُّ أَنْ
يَكُونَ بَدَلًا مِنْ ﴿أَمْرًا﴾.

قوله: ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿رَحْمَةٍ﴾، وَفِيهِ التَّفَاتُّ مِنَ التَّكَلُّمِ لِلغَيْبَةِ لِمَزِيدِ الْإِرْهَابِ وَالتَّرْغِيبِ؛
فَالْإِرْهَابُ لِلْكَفَّارِ، وَالتَّرْغِيبُ لِلْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ تعليل لما قبله، و(إِنَّ): حرف توكيد ونصب، والهاء: اسمها،
و﴿هُوَ﴾: ضمير فصل، و﴿السَّمِيعُ﴾: خبر أول، و﴿الْعَلِيمُ﴾: خبر ثان، وقوله: ﴿رَبُّ﴾^(١) خبر ثالث
كما قال المفسر؛ ففيه إشارة لهذا الإعراب^(٢).

قوله: (فَأَيِّقُنُوا) قَدَرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ، وَالْجُمْلَةُ الشَّرْطِيَّةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ
الْأَخْبَارِ؛ فَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبر رابع.

(١) في قراءة الرفع، وهي لغير الكوفيين. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩١).

(٢) وقيل: الرفع على إضمار مبتدأ، أو على أنه مبتدأ، خبره: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾. انظر «الدر المصون» (٩/٦١٨).

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَأَرْقَبْ

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

(٩ - ١٢) ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ مِنَ الْبَعْثِ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ اسْتِهْزَاءٌ بِكَ يَا مُحَمَّدٌ، فقال: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعِ كَسْبِعِ يُوسُفَ»، قال تعالى: ﴿فَأَرْقَبْ﴾ لَهُمْ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ﴾ بالرفع في قراءة العامة على أنه بدلٌ أو بيانٌ أو نعتٌ لـ(ربُّ السماوات والأرض) فيمن رفعه، وقرأ شذوذاً بالجَرِّ، والنصب؛ فالأول: على أنه نعت لـ(رَبُّ السَّمَوَاتِ) في قراءة مَنْ جرَّه، والثاني: على المدح^(١).

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ﴾ إضرابٌ عن محذوف، والمعنى: فليستوا مُوقِنِينَ، بل هم في شك، وقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ حالٌ؛ أي: حال كونهم يلعبون بظواهرهم من الأقوال والأفعال، والمراد بلعبهم: انهماكهم في الفاني، وإعراضهم عن الباقي، قال تعالى: ﴿أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾ [محمد: ٣٦].

قوله: (فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع سنين»^(٢)) هذا مُفَرَّعٌ على محذوف، أشار له المفسر بقوله: (استهزاء) أي: فلما استهزؤوا به وكثر عنادهم.. دعا عليهم بقوله: «اللهم أعني عليهم» أي: على هداهم، وفي الحقيقة: هو دعاءٌ لهم؛ لأنَّ من شأن النفوس أنها إذا شَبَعَتْ وكثُرَ عليها الخير.. تكبَّرت وطعَّت وبعثت، فإذا جاعت واشتدَّ بها الألم.. ذَلَّت وصَغُرَتْ ورجعت للحق؛ لما ورد: (أنَّ الله تعالى لما خلق النفس.. قال لها: «مَنْ أنا؟» قالت له: أنت أنت، وأنا أنا، فألقاها في بحر الجوع، فذَلَّت وقالت: أنت الله لا إله غيرك)^(٣)، ومن هنا كان تربية العارفين نفوسهم بالجوع.

قوله: (قال تعالى) أي: إجابةً لدعوته، واختلف هل حصل ذلك والنبي ﷺ في مكة أو بعد هجرته إلى المدينة^(٤)؟

(١) قرأ ابن محيصن وابن أبي إسحاق وأبو حيوه والحسن بالجَرِّ، والأنطاكي بالنصب. انظر «الدر المصون» (٦١٨/٩).

(٢) رواه البخاري (٤٨٢٢)، ومسلم (٢٧٩٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود ؓ بلفظ: «بسبع كسبع يوسف»، ولعلَّ في نسخة المصنف رحمه الله زيادة (سنين).

(٣) لم أجده فيما بين يدي من المصادر.

(٤) في (ب) زيادة: (وهو الراجح).

يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ
 ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾؛ فَأَجْدَبَتِ الْأَرْضُ وَاشْتَدَّ بِهِمُ الْجُوعُ إِلَى أَنْ رَأَوْا مِنْ شِدَّتِهِ

كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ فَقَالُوا:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ﴾ مفعولٌ به، وعامله ﴿فَارْتَقَبَ﴾.

قوله: ﴿بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ الدخان: بوزن (عُرَابٍ) و(خِيَارٍ)، و(رُمَانٍ): الغبار، والجمع: أدخنة، ودواخن، ودواخين، والتلاوة وزن (عُرَابٍ).

قوله: (فأجدبت الأرض) أشار بذلك إلى حصول مطلوبه فيهم بالفعل.

قوله: (كهَيْئَةِ الدخان) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة الدخان، بل رأوا شيئاً يُشبهه من ضعف أبصارهم، وهو قولُ ابن عباس ومقاتل ومجاهد وابن مسعود، فلَمَّا اشتد الأمر عليهم.. جاءه أبو سفيان فقال: يا محمد؛ جئت تأمر بصلة الرحم، وإنَّ قومك قد هلكوا؛ فادعُ الله أن يكشف عنهم، فدعا لهم بالمطر، فنزل واستمرَّ عليهم سبعة أيام حتى تضرَّروا من كثرتهم، فجاء أبو سفيان وطلب منه أن يدعُو برفعه، فدعا، فارتفع^(١).

وقال ابن عمر وأبو هريرة وزيد بن علي والحسن: إنه دخان حقيقة، يظهر في العالم في آخر الزمان، يكون علامةً على قرب الساعة، يَمَلَأُ ما بين المشرق والمغرب، وما بين السماء والأرض، يَمَكُثُ أربعين يوماً وليلةً، أمَّا المؤمن فيُصِيبُهُ كالزكام، وأمَّا الكافر فيُصِيرُ كالسكران، فيَمَلَأُ جوفه، فيُخْرِجُ مِنْ مَنْخَرِيهِ وَأُذُنِيهِ وَدُبُرِهِ، وتكون الأرض كلها كهيئة أوقدت فيه النار^(٢).

قوله: ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ صفة ثانية لـ(الدخان)، والمرادُ بهم: قريش وأمثالهم على ما قاله المفسر، وعلى القول الآخر يكون المرادُ بـ(الناس): جميع الموجودين في ذلك الوقت من المؤمنين والكفار^(٣).

(١) رواه البخاري (١٠٢٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) والقول الثالث: أنه الغبار الذي ظهر يوم فتح مكة من ازدحام جنود الإسلام حتى حجب الأبصار عن رؤية السماء، قاله عبد الرحمن الأعرج. انظر «تفسير القرطبي» (١٣١/١٦).

(٣) وعلى القول الثالث يكون المراد بهم كل من كان بمكة يوم الفتح من المؤمنين والكافرين؛ فإن الغبار ارتفع على رؤوس الجميع. «فتوحات» (١٠٦/٤).

هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾

﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ : مُصَدِّقُونَ نَبِيِّكَ .

(﴿١٣﴾ - ﴿١٤﴾) قال تعالى : ﴿أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ أي : لا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ : بَيْنَ الرِّسَالَةِ ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي : يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ بَشَرٌ ﴿مَجْنُونٌ﴾ .

(﴿١٥﴾ - ﴿١٦﴾) ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي : الْجُوعِ عَنْكُمْ زَمَنًا ﴿قَلِيلًا﴾ ، فَكُشِفَ عَنْهُمْ ، ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إِلَى كُفْرِكُمْ ، فَعَادُوا إِلَيْهِ

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ هذا وعدٌ منهم بالإيمان ، وقد أخلفوه ، وليس المراد أنهم آمنوا حقيقة ثم ارتدوا .

قوله : (أي : لا يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ . . . إلخ) الأوضح أن يقول : (أي : لا يوفون بما وعدوا من الإيمان عند كشف العذاب عنهم)^(١) ، فهو استبعادٌ لإيمانهم .

قوله : ﴿وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾ أي : قالوا في حق النبي عليه السلام تارةً : إنه يُعَلِّمُهُ غلامٌ أعجميٌّ ، وقالوا تارةً : إنه مجنونٌ ، وتقدم في سورة (النحل) في قوله : ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ : أن رجلاً اسمه جبر - وهو غلام عامر بن الحضرمي - ورجلاً اسمه يسار كانا يصنعان السيوف بمكة ، ويقرآن التوراة والإنجيل ، فكان النبي ﷺ يدخل عليهما ويسمع ما يقرآنه ، فقال الكفار : إنما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله : ﴿لَسَاتُ الَّذِي يَلْحَدُوكَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ . . .﴾ الآية [النحل : ١٠٣] ^(٢) .

قوله : ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ جوابٌ عن قوله : ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾ .

قوله : ﴿قَلِيلًا﴾ قيل : إلى يومٍ بذر ، وقيل : إلى ما بقي من أعمارهم .

قوله : ﴿فَعَادُوا إِلَيْهِ﴾ أي : استمرروا عليه ؛ لأنه لم يوجد منهم إيمانٌ بالفعل .

(١) لأن انتفاء نفع الإيمان عند نزول العذاب إنما هو في العذاب الذي يهلك ؛ كما وقع لبعض الأمم السابقين كقوم لوط ، والعذاب هنا هو الجوع والقحط ، وهم لم يموتوا منه ؛ فلو آمنوا في هذه الحالة . . لصحَّ إيمانهم قطعاً . تأمل .

«فتوحات» (١٠٧/٤) .

(٢) انظر (٥٩٦-٥٩٧/٣) .

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ هو يَوْمُ بَدْرِ، ﴿إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ مِنْهُمْ. وَالْبَطْشُ الْأَخْذُ بِقُوَّةٍ. (١٧ - ١٨) ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾: بَلَوْنَا ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ مَعَهُ ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام ﴿كَرِيمٌ﴾ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، ﴿أَنْ﴾ أَي: بِأَنْ ﴿أَذُوا إِلَى﴾ مَا أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ، أَي: أَظْهَرُوا إِيْمَانَكُمْ بِالطَّاعَةِ لِي يَا ﴿عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عَلَى مَا أُرْسِلْتُ بِهِ. حاشية الصاوي

قوله: (اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بمحذوف، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾.

قوله: (بلونا) أَي: امْتَحَنَّا، والمعنى: فَعَلْنَا بِهِمْ فَعْلَ الْمُتَمَحِّنِ، بِإِقْبَالِ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ مِنَّا وَمُقَابَلَتِهِمْ لَهَا بِالْكَفْرِ وَالطَّغْيَانِ.

قوله: ﴿قَبْلَهُمْ﴾ أَي: قَبْلَ قَرِيشٍ.

قوله: (معه) أشار بذلك دفعًا لِمَا يُتَوَهَّمُ مِنْ ظَاهِرِ الْآيَةِ أَنَّ الْإِبْتِلَاءَ لِمُخْصَصِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ، فَأَجَابَ بِأَنَّ الْمُرَادَ: هُوَ وَقَوْمُهُ.

قوله: ﴿وَجَاءَهُمْ﴾ هو من جَمَلَةِ الْمُتَمَحِّنِ بِهِ.

قوله: ﴿كَرِيمٌ﴾ عَلَى اللَّهِ أَي: عَزِيزٌ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ اخْتَصَّ بِالرِّسَالَةِ وَالْكَلامِ، وَهَذَا رَدُّ لِقَوْلِ فِرْعَوْنَ: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥٢]، كَأَنَّهُ قَالَ: حَاشَا مُوسَى مِنَ الْمَهَانَةِ، بَلْ هُوَ كَرِيمٌ عَزِيزٌ عَلَى رَبِّهِ.

قوله: (أَي: بَأْن) أشار بذلك إلى أَنَّ (أَنْ) مَصْدَرِيَّةٌ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ مُفَسَّرَةً، وَأَنْ تَكُونَ مُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ.

قوله: ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مَشَى الْمَفْسَّرُ عَلَى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿أَذُوا﴾ مُحذوفٌ، وَ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾: مُنَادِيٌّ، وَعَلَيْهِ: فَالْمُرَادُ بِ(عِبَادِ اللَّهِ): فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، وَقِيلَ: إِنَّ ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ مَفْعُولُ لـ ﴿أَذُوا﴾، وَالْمُرَادُ بِهِمْ: بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَمَعْنَى تَأْدِيبَتِهِمْ إِيَّاهُمْ: إِطْلَاقُهُمْ مِنَ الْأَسْرِ، يُشِيرُ إِلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ (الشعراء): ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعًا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٧]، وَعَلَى الْقَوْلَيْنِ فَالْخَطَابُ فِي ﴿أَذُوا﴾ لِفِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ.

قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِلْأَمْرِ، وَقَوْلُهُ: (على ما أُرْسِلْتُ بِهِ) مُتَعَلِّقٌ بِ﴿أَمِينٌ﴾،

وَأَنْ لَا تَعْلَوْا عَلَى اللَّهِ إِنْ أَيْتَكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَزْحُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْزِلُونِ ﴿٢١﴾

(١٩ - ٢٢) ﴿وَأَنْ لَا تَعْلَوْا﴾: تَتَجَبَّرُوا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بِتَرْكِ طَاعَتِهِ، ﴿إِنْ أَيْتَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾: بُرْهَانٍ ﴿مُبِينٍ﴾: بَيِّنٍ عَلَى رِسَالَتِي، فَتَوَعَّدُوهُ بِالرَّجْمِ، فقال: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَزْحُمُونِ﴾ بِالْحِجَارَةِ، ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾: تُصَدِّقُونِي ﴿فَاعْزِلُونِ﴾: فَاتْرُكُوا أَذَايَ، فَلَمْ يَتْرُكُوهُ،

حاشية الصاوي

والمعنى: مأمون على ما أرسلني الله به؛ فلا أزيد ولا أنقص، وذكر الأمانة بعد الرسالة وإن كانت تستلزمها إشارة إلى أنها وصفٌ شريفٌ ينبغي الاعتناء به.

قوله: ﴿وَأَنْ لَا تَعْلَوْا عَلَى اللَّهِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿أَنْ أَدُوءًا﴾.

قوله: ﴿تَتَجَبَّرُوا عَلَى اللَّهِ﴾ فسر العلو بالتعبر، وفسره غيره بالتكبر والبغي والافتراء والتعاضم والاستكبار، وكلها معانٍ متقاربة.

قوله: ﴿إِنْ أَيْتَكُمْ﴾ تعليلٌ للنهي.

قوله: ﴿فَتَوَعَّدُوهُ بِالرَّجْمِ﴾ ظاهره: أنه حين قال: إني آتيكم بسلطان مبين توعدوه بالرجم ولم يتمهلوا مع أنه تقدم أن فرعون قال له: ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، ومكث بينهم مدة عظيمة وهو يأتيهم بالمعجزات الباهرة، ثم لما توعدوه دعا عليهم، وحينئذٍ فيكون بين ما هنا وما تقدم تناقض.

فالجواب: أن القصة ذكرت هنا مُجْمَلَةً، وما تقدم ذكرت مبسوطاً، وذكر الشيء مفصلاً ثم مجملاً أثبت في النفس.

قوله: ﴿أَنْ تَزْحُمُونِ﴾ الباء فيه وفي قوله: ﴿فَاعْزِلُونِ﴾ من ياءات الزوائد؛ لا تثبت في الرسم، وأما في اللفظ فيجوز إثباتها وحذفها حالة الوصل فقط، وأما في الوقف فيتعين حذفها.

قوله: ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي﴾ اللام: بمعنى الباء، ويصح أن تكون لام العلة، والمعنى: إن لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله لأجل برهاني... إلخ.

قوله: ﴿فَاتْرُكُوا أَذَايَ﴾ أي: لا تتعرضوا لي بسوء.

فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَاسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهَوًا
إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾

﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ﴾ أي: بِأَنْ ﴿هَتُولَاءِ قَوْمٌ تُجْرِمُونَ﴾: مُشْرِكُونَ.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) فقال تعالى: ﴿فَاسْرِ﴾ - بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَوَصْلِهَا - ﴿بِعِبَادِي﴾: بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾: يَتَّبِعُكُمْ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ﴾: إِذَا قَطَعْتَهُ أَنْتِ وَأَصْحَابُكَ ﴿رَهَوًا﴾: سَاكِناً مُنْفَرِجاً حَتَّى يَدْخُلَهُ الْقَيْطُ، ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾، فَاطْمَأَنَّ بِذَلِكَ فَأَغْرَقُوا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ عطفٌ على مقدر، قدره بقوله: فلم يتركوه، وقوله: ﴿إِنَّ هَتُولَاءِ﴾... إلخ تعريضٌ بالدعاء، كأنه قال: فافعل ما يليق بهم.

و(أَنْ) بفتح الهمزة في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بكسرها على إضمار القول^(١).

قوله: (بقطع الهمزة ووصلها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، ولغتان جيدتان: الأولى من: (أسرى) والثانية من: (سرى)^(٢)، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ إِذَا يَسِرُّ﴾ [الفجر: ٤]. والإسراء: السير ليلاً، وحينئذٍ فذكر الليل تأكيداً بغير اللفظ.

قوله: (إذا قطعت أنت وأصحابك) هذا تعليمٌ لموسى بما يفعله في سيره قبل أن يسير، والمعنى: إذا سرت بهم، وتبعك العدو، ووصلت إلى البحر، وأمرناك بضربه، ودخلتم فيه ونجوت منه... فاتركه بحاله، ولا تضربه بعصاك ليلتشم، بل أبقيه على حاله؛ ليدخله فرعون وقومه، فينطبق عليهم.

قوله: ﴿رَهَوًا﴾ (حال من) ﴿الْبَحْرَ﴾^(٣)، وهو في الأصل: مصدر (رها، يرهو، رهوا)؛ إما بمعنى: سكن، وإما بمعنى: انفرج، والمفسر جمع بينهما.

قوله: (فاطمأن بذلك) أي: بقوله: ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾، والضميرُ في (اطمأن) عائدٌ على موسى.

(١) قرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والحسن بالكسر على إضمار القول عند البصريين، وعلى إجراء (دعا) مجرى القول عند الكوفيين. انظر «الدر المصون» (٦٢٢/٩).

(٢) قرأ نافع وابن كثير يوصل الهمزة بعد الفاء، والباقون بقطعها. انظر «السراج المنير» (٥٨٤/٣).

(٣) ويجوز أن يكون مفعولاً ثانياً على أن (ترك) بمعنى (صير). انظر «الدر المصون» (٦٢٢/٩).

كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَنَكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ
وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿٢٨﴾

(٢٥ - ٢٩) ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾: تَجْرِي، ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مَجْلِسٍ حَسَنٍ، ﴿وَنَعْمَةٍ﴾: مُتْعَةٍ ﴿كَانُوا فِيهَا فَنَكِهِينَ﴾: نَاعِمِينَ، ﴿كَذَلِكَ﴾: - خَبَر مُبْتَدَأ - أي: الأُمْرُ ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أَمْوَالَهُمْ ﴿قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ أي: بَنِي إِسْرَائِيلَ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّتٍ﴾: ﴿كَمْ﴾: مَفْعُول لـ ﴿تَرَكُوا﴾، والمعنى: تركوا أموراً كثيرة، بينها بقوله: ﴿مِنْ جَنَّتٍ﴾... إلخ.

قوله: (مجلس حسن) أي: مَحَافِلٌ مُزَيَّنَةٌ، ومنازلٌ حَسَنَةٌ؛ كما هو مُشَاهِدٌ في منازلِ المُلُوكِ الآن.

قوله: (مُتْعَةٍ) أي: أَمْوَالٌ يَتَمَتَّعُونَ وَيَتَنَفَّعُونَ بِهَا كَالْمَلَابِسِ وَالْمَرَاقِبِ.

قوله: ﴿فَنَكِهِينَ﴾: الْعَامَّةُ بِالْأَلْفِ، وَقُرِئَ شَذُوذاً بِغَيْرِ أَلْفٍ، ومعنى الأولى: نَاعِمِينَ. كما قال المفسر - أي: مُتَنَعِّمِينَ، ومعنى الثانية: مُسْتَخْفِينَ مُسْتَهْزِئِينَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ^(١).

قوله: (خبرٌ مبتدأ) أي: والوقف على ﴿كَذَلِكَ﴾، والجملة معترضةٌ لتوكيد ما قبلها^(٢).

قوله: (أي: الأمر) أي: وهو إهلاكُ فرعونَ وقومه.

قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾: معطوف على ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾، والمعنى: تركوا أموراً كثيرة وأورثنا تلك الأمور بني إسرائيل.

قوله: (أي: بني إسرائيل) فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون.

إن قلت: كيف قال الله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ مع أنه تقدّم أن أَمْوَالَهُمْ طُمِسَتْ وَمُسِيخَتْ حجارة؟

قلت: لعلّ الجواب أنها بعد غرقهم أُعيدت كما كانت إكراماً لبني إسرائيل، فحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس.

(١) قرأ الحسن وأبو رجاء: (فكهين) بَدُونِ أَلْفٍ. انظر «الدر المصون» (٦٢٣/٩).

(٢) قال الزمخشري: (الكاف منصوبة على معنى: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وأورثناها قوماً آخرين ليسوا منهم)، فعلى هذا: يكون (وأورثناها) معطوفاً على تلك الجملة الناصبة للكاف؛ فلا يجوز الوقف على «كذلك» حيثئذ. انظر «الدر المصون» (٦٢٣/٩)، و«الكشاف» (٢٧٩/٤).

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ.....

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بِخِلَافِ الْمُؤْمِنِينَ يَبْكِي عَلَيْهِمْ بِمَوْتِهِمْ مُصْلَاهُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَمَصْعَدُ عَمَلِهِمْ مِنَ السَّمَاءِ، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾: مُؤَخَّرِينَ لِلتَّوْبَةِ.

(٣٠ - ٣١) ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: قَتْلِ الْأَبْنَاءِ وَاسْتِخْدَامِ النِّسَاءِ، ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ - قِيلَ: بَدَلٌ مِنَ الْعَذَابِ بِتَقْدِيرِ مُضَافٍ أَي: عَذَابٌ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ اختلف في البكاء؛ فقليل: حقيقة، وعليه: فقليل: هو واقع من ذات السماوات والأرض، ويؤيده: ما ورد: «ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب ينزل منه رزقه، وباب يدخل منه كلامه وعمله، فإذا مات.. فقدها، فيبكيان عليه، وتلا: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾»^(١)، ويؤيده أيضاً قول مجاهد: إن السماء والأرض ليبكيان على المؤمن أربعين صباحاً، قال أبو يحيى: فعجبت من قوله، فقال: أتعجب؟! وما للأرض لا تبكي على عبد يعمرها بالركوع والسجود؟! وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبحيه فيها دوي كدوي النحل؟!^(٢) وقيل: الكلام على حذف مضاف؛ أي: أهل السماوات والأرض.

وقيل: إنَّ بكاءهما حُمرةً أطرافهما، ويؤيده قول السدي: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام. بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرةً، وقول محمد بن سيرين: أخبرونا أنَّ الحمرة التي تكون مع الشَّفَق لم تكن حتى قُتل الحسين بن علي عليه السلام، وقال سليمان القاضي: مُطِرْنَا دَمًا يَوْمَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ^(٣).

وقيل: إنَّ البكاء كناية عن عدم الاكتراث، وعدم المُبالاة بهم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾... إلخ) هذا من جُملة تَعْدَادِ النِّعَمِ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ، والمقصود من ذلك: تسليته عليه السلام، وتبشيرُهُ بأنه سَيُنْجِيهِ وقومه المؤمنين من أيدي المشركين؛ فإنهم لم يَلْغُوا فِي التَّجْبُرِ مِثْلَ فِرْعَوْنَ وقومه.

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «زاد المسير» (٩٢/٤).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٤١/١٦).

إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ
الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْوَا مُبِيتٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ
وَقِيلَ: حَالٌ مِنَ الْعَذَابِ ﴿٣٥﴾ - إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٦﴾.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٣﴾ (وَلَقَدْ أَخَّرْنَاهُمْ) أي: بني إسرائيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ مِنَّا بِحَالِهِمْ ﴿عَلَى
الْعَالَمِينَ﴾ أي: عالمي زمانهم أي: العقلاء، ﴿وَءَايَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْوَا مُبِيتٌ﴾:
نعمة ظاهرة من فلق البحر والمن والسلوى وغيرها.

﴿٣٤﴾ - ﴿٣٥﴾ (إِنَّ هَؤُلَاءَ) أي: كفار مكة ﴿لَيَقُولُونَ﴾ ﴿إِنَّ هِيَ﴾: ما الموتة

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل: حال من ﴿الْعَذَابِ﴾) أي: متعلق بمحذوف، والمعنى: واقعاً من جهة فرعون.

قوله: (﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾) خبر ثانٍ لـ ﴿كَانَ﴾، والمعنى: من المتجاوزين الحدَّ.

قوله: (﴿عَلَى عِلْمٍ﴾) «على»: بمعنى (مع)، وقوله: (﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾) «على»: على بابها
للاستعلاء، فاختلف معناهما، وحيثنذا: فجاز تعلُّقهما بعامل واحد وهو (اخترنا).

قوله: (بحالهم) أي: بكونهم أهلاً للاصطفاء؛ ليكون أكثر الأنبياء منهم.

قوله: (أي: عالمي زمانهم) دفع بذلك ما يقال: إن ظاهر الآية يدلُّ على كون بني إسرائيل
أفضل من كلِّ العالمين مع أنَّ أُمَّة محمد أفضلُ منهم، فدفع ذلك بأن المراد بـ (العالمين): عالمو
زمانهم؛ فلا يُنافي أنَّ أُمَّة محمد أفضلُ منهم.

قوله: (العقلاء) المناسب أن يقول: (الثقلين)؛ فإنَّ من جملة العقلاء الملائكة، وبنو إسرائيل
ليسوا أفضل منهم.

قوله: (﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾) بيانٌ مُقدِّمٌ على المبيِّن.

قوله: (نعمة ظاهرة) هذا تفسيرٌ للبلاء؛ فإنَّ البلاء معناه: الاختبار، وهو يكون بالمحن وبالنعيم؛
هل يصبر أو لا، وهل يشكر أو لا؟

قوله: (أي: كفار مكة) إنما أشار إليهم بإشارة القريب؛ تحقيراً لهم، وازدراءً بهم.

قوله: (﴿لَيَقُولُونَ﴾) أي: جواباً لما قيل لهم: إنكم تموتون مorte تعقبها حياة، دلَّ عليه قوله
تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾،

إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلَ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ

التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتُنَا الْأَوَّلَ﴾ أي: وهم نُظف، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾: بِمَبْعُوثِينَ أحياء بعد الثانية، ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا﴾ أحياء ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَا نُبْعَثُ بعد مَوْتِنَا، أي: نُحْيَا.

﴿٣٧﴾ قال تعالى: ﴿أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾

حاشية الصاوي

كانهم قالوا: مسلّم أن لنا مَوْتَةً تعقبها حياة، لكن المراد بها الأولى، وهي حال النُطفة، لا الثانية التي ينقضي بها العمر؛ فإنها لا تعقبها حياة.

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩].

قوله: ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا﴾ أي: أحيوهم لنا؛ ليُخبرونا بصدقكم.

قوله: ﴿أَهْمَ خَيْرٌ﴾ أي: في أمور الدنيا.

قوله: ﴿أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو تُبَّع الحميري، أبو كرب^(١)، واسمه أسعد، وإليه تنسب الأنصارُ بني الحيرة - بكسر الحاء، بعدها مشناة تحتية، فراء مهملة: مدينة بقرب الكوفة - وبني سمرقند، وأراد غزو البيت وتخريب المدينة، فأخبر بأنها مهاجر نبي اسمه أحمد، فكفّ عنهما، وكسا البيت بالحبرة، وكتب كتاباً وأودعه عند أهل المدينة، وكانوا يتوارثونه كابراً عن كابر إلى أن هاجر النبي ﷺ، فدفعوه إليه، يقال: إنَّ الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد، وفيه: [المقارب]

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ
فَلَوْ مَدَّ عُمَرُ إِلَى عُمُرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنَ عَمِّ

أما بعد: فإني آمنتُ بك وبكتابك الذي يُنزل عليك، وأنا على دينك وسُنتك، وآمنتُ برَبِّك وربَّ كلِّ شيءٍ، وآمنتُ بكلِّ ما جاء من ربِّك من شرائع الإسلام؛ فإن أدركتُك.. فيها ونعمت، وإن لم أدركك.. فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة؛ فإني من أُمَّتِكَ الأولين، وبايعتُك قبل مجيئك،

(١) في (أ): (أبو كرب)، والمثبت من (ب)، وهو كذلك في كتب السيرة.

وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيبٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا

هو نبيٍّ أو رجل صالح، ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

(٣٨ - ٣٩) ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِيبٍ﴾ بِخَلْقِ ذَلِكَ - حَالٌ،

﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما

حاشية الصاوي

وأنا على ملئتكم وملة أبيك إبراهيم عليه السلام، ثم ختم الكتاب ونقش عليه: (الله الأمر من قبل ومن بعد)، وكتب على عنوانه: إلى محمد بن عبد الله، نبي الله ورسوله، خاتم النبيين، ورسول رب العالمين ﷺ، من تبع الأول. وكان من اليوم الذي مات فيه تبع إلى اليوم الذي بُعث فيه النبي ﷺ ألف سنة لا يزيد ولا ينقص^(١).

قوله: (هو نبيٍّ أو رجل صالح) (أو): لحكاية الخلاف، فالقول الأول لابن عباس، والثاني لعائشة رضي الله عنها، وكان ملكاً من الملوك، وكان قومه كُهاناً، وكان معهم قومٌ من أهل الكتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل فريق منهم قرباناً، ففعلوا، فتقبل قربان أهل الكتاب، فأسلم.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ عطفت على ﴿قَوْمٌ تُبْعِ﴾، وقوله: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ حالٌ من المعطوف والمعطوف عليه.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾... إلخ) هذا دليلٌ على صحّة الحشر ووقوعه، وذلك أن الله تعالى خلق النوع الإنساني، وخلق له ما في الأرض جميعاً، وكلّفه بالإيمان والطاعة، فأمر البعض، وكفر البعض، وختم الله في سابق أزله أن النعيم للمؤمن، والعقاب للكافر، وذلك لا يكون في الدنيا؛ لعدم الاعتداد بها؛ فحينئذٍ لا بُدَّ من البعث؛ لتُجزى كل نفس بما كسبت.

قوله: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: بين الجنسين.

قوله: (حال) أي: وهي لا يُستغنى عنها^(٢).

(١) أورده العلامة الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (٢٧٤/٣) عن ابن إسحاق وابن هشام.

(٢) وقولهم في تعريف الحال: (هو وصف فضلة يقع في جواب «كيف»). المراد بالفضلة: ما يقع بعد تمام الجملة، لا ما يصح الاستغناء عنه. انظر «شرح قطر الندى» (ص ٢٣٥).

إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقِّقِينَ فِي ذَلِكَ؛ لِيُستَدَلَّ بِهِ عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كُفَّارٌ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٤٠ - ٤١) ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لِلْعَذَابِ الدَّائِمِ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى﴾ بِقَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَيْ: لَا يَدْفَعُ عَنْهُ شَيْئًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمْنَعُونَ مِنْهُ - وَ﴿يَوْمَ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ - .
﴿٤٢﴾ ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ؛ فَإِنَّهُ يَشْفَعُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ بِإِذْنِ اللَّهِ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مُحَقِّقِينَ فِي ذَلِكَ) أي: لَنَا فِيهِ حَكْمَةٌ، وَقَدْ بَيَّنَّهَا الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (لِيُستَدَلَّ بِهِ... إلخ).

قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لَيْسَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالْكَلِّيَّةِ.

قوله: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ الإِضَافَةُ عَلَى مَعْنَى اللَّامِ.

قوله: ﴿مِيقَتُهُمْ﴾ أي: مَوْعِدُهُمْ، وَالْمَرَادُ: جَمِيعُ الْخَلْقِ.

قوله: (لِلْعَذَابِ الدَّائِمِ) أي: لِلْكَفَّارِ، وَالنَّعِيمِ الدَّائِمِ لِلْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى﴾ الْمَوْلَى: يُطْلَقُ عَلَى الْمُتَعَقِّ - بِالْكَسْرِ وَالْفَتْحِ - وَابْنِ الْعَمِّ، وَالنَّاصِرِ، وَالْجَارِ، وَالْحَلِيفِ.

قوله: (بِقَرَابَةٍ) أي: بِسَبَبِهَا.

قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الضَّمِيرُ لـ(الْمَوْلَى)، وَجُمِعَ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ تَوْكِيدٌ لِمَا قَبْلُهَا، وَالْمَعْنَى: لَا يَنْصُرُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ وَلَوْ كَانَ بَيْنَهُمَا عُلُقَةٌ مِنْ قَرَابَةٍ أَوْ صَدَاقَةٍ أَوْ غَيْرِهَا.

قوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ يَصْحَحُ أَنْ يَكُونَ الْإِسْتِثْنَاءُ مُتَصِلًا وَالْمَعْنَى: لَا يُغْنِي قَرِيبٌ عَنْ قَرِيبٍ إِلَّا الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ، فَيَشْفَعُونَ لِبَعْضِهِمْ، وَهُوَ مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ، وَيَصْحَحُ أَنْ يَكُونَ مَنْقُطَعًا؛ أَيْ: وَلَكِنْ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ لَا يَنَالُهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مَنْ يَنْفَعُهُمْ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ.

إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْإِثْمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾

﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب في انتقامه من الكفار، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

(٤٣ - ٤٦) ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ هي من أخْبَثِ الشَّجَرِ الْمُرِّ بِتِهَامَةٍ، يُنْبِتُهَا اللهُ تَعَالَى فِي الْجَحِيمِ، ﴿طَعَامُ الْإِثْمِ﴾ أَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ ذَوِي الْإِثْمِ الْكَبِيرِ، ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أَي: دُرْدِيَّ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ - خَبَر ثَانٍ - ﴿تَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾ - بِالْفَوْقَانِيَّةِ خَبَر ثَالِثٍ، وَبِالتَّحْتَانِيَّةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾... إلخ) تعليل لما قبله.

قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ تُرْسَمُ ﴿شَجَرَتَ﴾ بالتاء المجرورة في هذا الموضع دون غيره من القرآن، ويوقف عليه بالهاء والتاء^(١)، وأما غيرُ هذا الموضع.. فترسم بالهاء، ويوقف عليها بالهاء لا غير.

والزَّقُّوم: يُطلق على نبات البادية، له زهرٌ يسميني الشكل، طعامُ أهل النار، ويُطلق على شجر له ثمر كالتمر، وله دهنٌ عظيم المنافع، عجيبُ الفعل في تحليل الرياح الباردة، وأمراض البلغم، وأوجاع المفاصل، وعرق النساء، والريح الساقطة في الورك، يُشرب زينة سبعة دراهم ثلاثة أيام، وربما أقام الزماني والمقعدين، ويقال: أصله: الإِهْلِيلِجُ الكابلي^(٢).

قوله: (أي: كدردِيَّ الزيت الأسود) هذا أحد معاني (المُهْل)، ويُطلق على القَيْح والصديد والنحاس المُذاب.

قوله: (وبالتحتانية) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٣).

(١) وقف عليها بالهاء أبو عمرو وابن كثير والكسائي، ووقف الباقون بالتاء على الرسم. انظر «السراج المنير» (٥٨٩/٣).

(٢) الإِهْلِيلِج: ثمرٌ على هيئة حَبِّ الصنوبر الكبار، منه أصفر، ومنه أسود وهو البالغ النضج.

(٣) قرأ ابن كثير وحفص بالياء من تحت، والفاعل ضمير يعود على (طعام)، وجوز أبو البقاء أن يعود على (الزقوم)، وقيل: يعود على المهل نفسه، والباقون (تغلي) بالتاء من فوق، على أن الفاعل ضمير الشجرة. انظر «الدر المصون» (٦٢٨/٩).

كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ
الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾

حَالٌ مِنَ (المُهْل) -، ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾: الماءِ الشَّدِيدِ الحَرَارَةِ.

(٤٧ - ٤٩) ﴿خُذُوهُ﴾ يُقَالُ لِلزَّبَانِيَةِ: خُذُوا الْأَيْمَ ﴿فَأَعْتَلُوهُ﴾ - بِكَسْرِ التَّاءِ وَضَمِّهَا -: جُرُّوهُ بِغِلْظَةٍ وَشِدَّةٍ ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: وَسَطِ النَّارِ، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ أَي: مِنَ الْحَمِيمِ الَّذِي لَا يُفَارِقُهُ الْعَذَابُ، فَهُوَ أَبْلَغُ مِمَّا فِي آيَةِ ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩]، وَيُقَالُ لَهُ: ﴿ذُقْ﴾ أَي: الْعَذَابُ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ بِزَعَمِكَ

حاشية الصاوي

قوله: (حال من «المُهْل») الأظهر: أنه حال من ﴿طَعَامٌ﴾؛ لأنَّ المراد وصفُ الطعام المشبَّه بالمُهْل بالغليان، لا وصف المُهْل؛ لأنه لا يتَّصف بذلك.

قوله: ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ صفة لمصدر محذوف؛ أي: تغلي غَلِيًّا مثل غَلِيَّ الحميم.

قوله: (بكسر التاء وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيتان، من باب: (ضَرَبَ) و(نَصَرَ)^(١).

قوله: (جُرُّوهُ بِغِلْظَةٍ) أي: أو اضربوه بالعَتَلَةِ، وهي - بفتحَتَيْنِ - العصا الضَّخْمة من الحديد، لها رأسٌ.

قوله: ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ أي: ليكونَ مُحِيطاً بجميع جسده.

قوله: ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ هو من إضافة الصفة للموصوف.

قوله: (أي: مِنَ الحميم الذي... إلخ) فإذا صُبَّ عليه الحميمُ.. فقد صُبَّ عليه عذابُهُ وشِدَّتُهُ.

قوله: (ويقال له: ﴿ذُقْ﴾) الأمرُ للإهانة والتحقير.

قوله: ﴿إِنَّكَ﴾ بفتح الهمزة على معنى التعليل، وكسرهما على الاستئناف المفيد لِلْعِلَّةِ،

قراءتان سبعيتان^(٢)، ووصفه بهذين الوصفين للتهكُّم والاستهزاء.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضمَّ عين (اعتلوه)، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (٦٢٨/٩).

(٢) قرأ الكسائي بفتح الهمزة على معنى العلة أي: لأنك، وقيل: تقديره: ذُقْ عذاب أنك أنت العزيز، والباقون بالكسر.

انظر «الدر المصون» (٦٢٩/٩).

إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
 وَقَوْلِكَ: مَا بَيْنَ جَبَلَيْهَا أَعَزُّ وَأَكْرَمُ مِنِّي.

﴿٥٠﴾ وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الَّذِي تَرَوْنَ مِنَ الْعَذَابِ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ فِيهِ: تَشْكُون.

(٥١ - ٥٣) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: مَجْلِسٌ ﴿أَمِينٍ﴾: يُؤْمَنُ فِيهِ الْخَوْفُ، ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾: بَسَاتِينٍ ﴿وَعُيُوتٍ﴾ ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾
 حاشية الصاوي

قوله: (وقولك) تفسير لقوله: (بزعمك)، وقوله: (ما بين جبلَيْها) أي: مكة.

قوله: ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ (الجمعُ باعتبار المعنى؛ لأنَّ المراد جنس الأئيم).

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ مُقَابِلُ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ سَجَرَتَ الرَّزْقِ﴾ ﴿طَعَامُ الْآثِمِينَ﴾؛ لَأَنَّهُ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ إِذَا ذَكَرَ أَحْوَالَ أَهْلِ النَّارِ.. أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ أَحْوَالَ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

وقوله: ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الشُّرَكَ؛ بَأَن مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ، وَهَذَا أَعَمُّ مِنْ أَن يَكُونُوا فِي أَعْلَى مَرَاتِبِ التَّقْوَى، وَهِيَ تَقْوَى الْأَغْيَارِ؛ بَأَلَّا يَخْطُرَ الْغَيْرُ بِبَالِهِمْ، أَوْ أَوْسَطُهَا، وَهِيَ تَقْوَى الْمَعَاصِي؛ بِفَعْلِ الطَّاعَاتِ، أَوْ أَدْنَاهَا، وَهِيَ تَقْوَى مَجَرَّدِ الشُّرِكِ بِالْإِيمَانِ.

قوله: ﴿فِي مَقَامٍ﴾ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَضُمِّهَا، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ؛ فَالْفَتْحُ هُوَ مَوْضِعُ الْقِيَامِ وَمَكَانُهُ، وَالضَّمُّ مَوْضِعُ الْإِقَامَةِ وَالْمَكْتِ^(١).

قوله: (يُؤْمَنُ فِيهِ الْخَوْفُ) أي: مِنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ، وَالْمَعْنَى: تَطْمَئِنَّ فِيهِ النَّفْسُ وَلَا تَنْزَعُجُ مِنْ شَيْءٍ أَصْلًا؛ فَأَهْلُ الْجَنَّةِ آمِنُونَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَمِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْذِي فِي الْبَدَنِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَآمِنُونَ مِنْ خُطُورِ الْأَكْدَارِ بِبَالِهِمْ.

قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾... إلخ) بَدَلُ مِنْ ﴿مَقَامٍ﴾، وَتَقْدِيمُهُ عَلَيْهِ مِنْ بَابِ: تَقْدِيمِ التَّخْلِيَةِ عَلَى التَّحْلِيَةِ؛ لِأَنَّ الْأَمْنَ مِنَ الْمَخَافِ تَخْلِيَةٌ، وَكَوْنُهُمْ فِي جَنَاتٍ وَعُيُونٍ... إلخ تَحْلِيَةٌ.

قوله: ﴿وَعُيُوتٍ﴾ (أي: أَنَهَارٍ تَجْرِي تَحْتَ الْقُصُورِ).

قوله: ﴿يَلْبَسُونَ﴾ (خَبَرٌ آخِرُ لِهَذَا)، أَوْ مُسْتَأْنَفٌ.

(١) ضَمَّ مِيمَ (مَقَامٍ) الْمَدْنِيَّانِ وَالشَّامِي، وَفَتْحَهَا غَيْرُهُمْ. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩٢).

مُتَقَبِّلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾

أي: ما رَقَّ مِنَ الدِّيَابِجِ وما غُلِظَ مِنْهُ، ﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾ - حالٌ - أي: لا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ لِدَوْرَانِ الْأَسِرَّةِ بِهِمْ.

﴿٥٤﴾ - ﴿٥٥﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ يُقَدَّرُ قَبْلَهُ الْأَمْرُ، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ مِنَ التَّزْوِيجِ أَوْ قَرَّنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ:

حاشية الصاوي

قوله: (أي: ما رَقَّ مِنَ الدِّيَابِجِ... إلخ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرَّتَبٌ، والدِّيَابِجُ هو: الحرير.

إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَكُونُ لُبْسُ الْغَلِيظِ مِنَ الْحَرِيرِ نَعِيمًا فِي الْجَنَّةِ مَعَ أَنَّهُ فِي الدُّنْيَا رُبَّمَا كَانَ غَيْرَ نَعِيمٍ؟

أُجِيبُ: بِأَنَّ غَلِيظَ حَرِيرِ الْجَنَّةِ لَيْسَ كَغَلِيظِ حَرِيرِ الدُّنْيَا، بَلْ هُوَ أَعْلَى، عَلَى أَنَّ مِنْ غَلِيظِ حَرِيرِ الدُّنْيَا مَا يُؤَلَّفُ وَيُنْعَمُ بِهِ؛ كَالْقَطِيفَةِ مَثَلًا.

قوله: ﴿مُتَقَبِّلِينَ﴾ أي: يُوَاجِهَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ لِيَحْضُلَ الْأَنْسُ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَهَذَا فِي غَيْرِ وَقْتِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَأَمَّا عِنْدَهُ فَيَنْسَوْنَ النَّعِيمَ بَلْ وَمُقَابَلَةً إِخْوَانِهِمْ؛ لَكُونَهُ أَعْلَى نَعِيمِ الْجَنَّةِ رُتْبَةً، وَمِنْ هُنَا قِيلَ: إِنَّ حِكْمَةَ الْمُقَابَلَةِ فِي حَلْقِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا التَّشْبُهُ بِمَجَالِسِ الْجَنَّةِ وَالْأَنْسُ بِمُقَابَلَةِ الْإِخْوَانِ، وَحِكْمَةُ الْأَصْطِفَافِ فِي الصَّلَاةِ وَعَدَمُ الْمُقَابَلَةِ فِيهَا التَّشْبُهُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ فِي الصَّلَاةِ إِقْبَالَ بِالْكَلِيَّةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَطْعًا لِلشَّوَاغِلِ.

قوله: (أي: لا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ) أي: لِأَنَّ النَّظَرَ لِلْقَفَا مِمَّا يُحْزِنُ، وَلَا حُزْنَ فِي الْجَنَّةِ.

قوله: (يُقَدَّرُ قَبْلَهُ «الْأَمْرُ») أي: فَهُوَ مُبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَذَلِكَ﴾ خَبَرٌ، وَالْجُمْلَةُ مُعْتَرِضَةٌ لِتَقْرِيرِ مَا قَبْلَهَا.

قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿يَلْبَسُونَ﴾.

قوله: (مِنَ التَّزْوِيجِ) أي: وَهُوَ جَعْلُ الشَّيْءِ زَوْجًا، وَالْمَعْنَى: جَعَلْنَاهُمْ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ؛ لِقَوْلِهِ: (أَوْ قَرَّنَاهُمْ) مُرَادَفٌ لَهُ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالتَّزْوِيجِ الْإِنْكَاحَ بِالْعَقْدِ؛ فَإِنَّهُ لَا قَائِلَ بِهِ.

قوله: ﴿عِينٍ﴾ جَمْعُ (عَيْنَاءٍ)، وَأَصْلُهُ: (عَيْنٌ) بَضْمٌ الْعَيْنِ وَسُكُونُ الْيَاءِ، فَكُسِرَتِ الْعَيْنُ لِتَصِحِّحِ الْيَاءِ.

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَكَهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾

بِنِسَاءٍ بَيَاضٍ وَاسِعَاتِ الْأَعْيُنِ حِسَانِهَا، ﴿يَدْعُونَ﴾: يَطْلُبُونَ الْحَدَمَ ﴿فِيهَا﴾ أي: الْجَنَّةِ أَنْ يَأْتُوا ﴿بِكُلِّ فَكَهَةٍ﴾ مِنْهَا ﴿ءَامِنِينَ﴾ مِنْ انْقِطَاعِهَا وَمَضَرَّتِهَا وَمِنْ كُلِّ مَخُوفٍ - حَالٍ - .
 ﴿٥٦﴾ - ﴿٥٧﴾ ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ﴾ أي: الَّتِي فِي الدُّنْيَا بَعْدَ حَيَاتِهِمْ فِيهَا، قَالَ بَعْضُهُمْ: (إِلَّا) بِمَعْنَى (بَعْدَ)، ﴿وَوَقَّعَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا - مَصْدَرٌ بِمَعْنَى تَفْضُلًا، مَنْصُوبٌ بِ(تَفْضُلٍ) مُقَدَّرًا - ﴿مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ .

حاشية الصاوي

قوله: (بنساء بيض) تفسيرٌ لـ(الهور)، وقوله: (واسعات الأعين) تفسيرٌ لـ(عين)، وهذا على أنَّ المراد بالهور البياض مُطلقاً، وقيل: الحور: شدة بياض العين، وشدة سوادها، واختلف هل الأفضل في الجنة نساء الدنيا أو الحور العين، والحق: أنَّ نساء الدنيا أفضل؛ لما روي: «أَنَّ الْأَدَمِيَّاتِ أَفْضَلُ مِنَ الْحُورِ الْعَيْنِ بِسَبْعِينَ أَلْفَ ضِعْفٍ»^(١).

قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ حال من الهاء في (زوجناهم).

قوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ﴾ حال من الضمير في ﴿ءَامِنِينَ﴾.

قوله: (قال بعضهم) هو الطبري، وبهذا اندفع ما قيل: كيف قال في صفة أهل الجنة ذلك مع أنهم لم يذوقوه فيها أصلاً^(٢)؟ وهذا القول وإن كان يدفع الإشكال إلا أنَّ مجيء (إلا) بمعنى (بعد) لم يرد، وبعضهم يجعل الاستثناء منقطعاً، والمعنى: لكن الموتة الأولى قد ذاقوها.

قوله: (منصوب بـ«تفضل»): أي: على أنه مفعول مُطلق^(٣).

قوله: ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: لأنه خلوصٌ من المكاره، وظفرٌ بالمطلوب.

(١) روى الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٧٩/٣) عن سيدتنا أم سلمة ؓ: قلت: يا رسول الله؛ أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة»، وانظر «تفسير القرطبي» (١٥٤/١٦).

(٢) انظر «تفسير الطبري» (٥٤/٢٢).

(٣) وقيل: هو مفعول من أجله، وهو مُراد مكي حيث قال: (مصدر عمل فيه «يدعون»)، وقيل: العامل فيه (ووقاهم)، وقيل: (آمنين)، فهذا إنما يظهر على كونه مفعولاً من أجله. انظر «الدر المصون» (٦٣٢/٩).

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

(٥٨ - ٥٩) ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ : سَهَّلْنَا الْقُرْآنَ ﴿بِلِسَانِكَ﴾ : بِلُغَتِكَ لِتَفْهَمَهُ الْعَرَبُ مِنْكَ ؛ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ : يَتَعِظُونَ فَيُؤْمِنُونَ ، لَكِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، ﴿فَأَرْتَقِبْ﴾ : انتَظِرْ هَلَاكَهُمْ ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ : هَلَاكَكَ ، وَهَذَا قَبْلَ نَزُولِ الْأَمْرِ بِجِهَادِهِمْ .



حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ هذا إجمال لما فصل في السورة ، كأنه قال : ذكر قومك بهذا الكتاب المبين ، فإننا سهَّلنا عليك تلاوته وتبليغه إليهم .
قوله : (لكنهم لا يؤمنون) دخول على قوله : ﴿فَأَرْتَقِبْ﴾ .
قوله : ﴿فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾ أشار المفسر إلى أنَّ مفعول كلِّ محذوف ، قدر الأول بقوله : (هلاكم) ، والثاني بقوله : (هلاكك) .
قوله : (وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي : فهو منسوخ ؛ لأنَّ معنى (ارتقب) : أمهلهم من غير قتال حتى يحكم الله بينك وبينهم .



﴿حَمَّ﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾

سُورَةُ الْجَانِثِيَّةِ

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الآية. وهي سِتُّ أو سَبْعٌ وثلاثون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بِمُرَادِهِ بِهِ، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنُ - مُبْتَدَأٌ - ﴿مِنْ﴾ اللَّهِ - خبره - ﴿الْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِهِ ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صُنْعِهِ.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْجَانِثِيَّةِ

سَمَّيْتُ بِاسْمِ كَلِمَةٍ مِنْهَا، وهي قوله: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَانِثٍ﴾، وتسمى سورة الشريعة؛ لقوله فيها: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾.

قوله: (مَكِّيَّةٌ إِلَّا قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ إلخ) أي: إلى قوله: ﴿آيَاتِ اللَّهِ﴾، وهو قول ابن عباس وقتادة، قالوا: إنها نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ عابه عبد الله بن أبي، فأراد عمر قتله، فنزلت.

وقيل: مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا حتى هذه الآية؛ فإنها نزلت في عمر أيضاً؛ شتمه رجلٌ في مكة من الكفار، فأراد قتله، فنزلت، ثم نُسخت بآية الجهاد^(١).

قوله: ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ خبره أي: متعلقٌ بمحذوف، تقديره: كائنٌ.

قوله: ﴿الْعَزِيزِ﴾ في مُلْكِهِ أي: الغالبُ على أمره.

قوله: ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه أي: الذي يضع الشيء في محلّه، فاقتضت حِكْمَتُهُ تعالى إنزالَ أشرفِ الكتب وهو القرآن، على أشرفِ العبيد وهو محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) انظر القولين في «زاد المسير» (٩٨/٤).

إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

(٣ - ٤) ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خَلْقِهِمَا ﴿لَآيَاتٍ﴾ دالّة على قُدرة الله تعالى وَوَحْدَانِيَّتِهِ ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٧﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خَلْقِ كُلِّ مِنْكُمْ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ عُلِقَةٍ ثُمَّ مُضْغَةٍ إِلَى أَنْ صَارَ إِنْسَانًا، ﴿و﴾ خَلْقِ ﴿مَا يَبُثُّ﴾: يُفَرِّقُ فِي الْأَرْضِ ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ هِيَ مَا يَدْبُ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بِالْبَعَثِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾... إلخ ذكر الله سبحانه وتعالى هنا من الدلائل ستة في ثلاث فواصل، وختم الأولى بـ(المؤمنين)، والثانية بـ(يوقنون)، والثالثة بـ(يعقلون)، ووجه التباير: أَنَّ الإنسان إذا تأمل في السماوات والأرض، وأَنَّهُ لَا بَدَّ لِهَمَا مِنْ صَانِعٍ.. آمَنَ، وإذا نظر في خلق نفسه ونحوها.. ازداد يقيناً، وإذا نظر في سائر الحوادث.. كمل عقله، واستحكم علمه.

قوله: (أي: في خَلْقِهِمَا) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف، يدلُّ عليه التصريح به في سورة (البقرة) في قوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وما في سورة (آل عمران): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قوله: ﴿لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصب بالكسرة باتِّفاق القراء؛ لأنه اسم (إن)، وأما ما يأتي في قوله: ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤]، و﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الجاثية: ٥].. ففيه قراءتان سبعيتان: الرفع، والنصب بالكسرة؛ فالرفع على أَنَّ قوله: (في خلقكم) خبرٌ مقدَّم، و(آيات) مبتدأ مؤخَّر، والجملة معطوفة على جملة ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ﴾، والنصب على أَنَّ (آيات) معطوف على (آيات) الأول الذي هو اسم (إن)، وقوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الواقع خبراً لـ(إن)؛ ففيه العطف على معمولي عامل واحد، وهو جائزٌ باتِّفاق^(١).

قوله: ﴿و﴾ خَلْقِ ﴿مَا يَبُثُّ﴾ أشار بذلك إلى أَنَّهُ معطوفٌ على ﴿خَلْقِكُمْ﴾ المجرور بـ(في) على حذف مضاف.

قوله: (هي ما يدبُّ) أي: يتحرَّك.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر التاء، والباقون بالرفع. انظر «السراج المنير» (٣/ ٥٩٣).

وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ
 ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَتُهُ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

﴿٥﴾ في ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾: ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾: مطر لأنه سبب الرزق، ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ﴾: تغليبها مرة جنوباً ومرة شمالاً وباردة وحارة ﴿ءَايَتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الدليل فيؤمنون.

﴿٦﴾ ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿ءَايَتُ اللَّهِ﴾: حُجَّجُهُ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ﴿تَتْلُوهَا﴾: نَقُصُّهَا ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ(تَتْلُو) - ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: حَدِيثُهُ وَهُوَ الْقُرْآنُ ﴿وَأَيَّتُهُ﴾: حُجَّجُهُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كُفَّارٌ مَكَّة؟ أي: لا يُؤْمِنُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ أشار المفسر إلى أن حرف الجر مُقَدَّرٌ^(١)، يُؤَيِّدُهُ القراءة الشاذة بإثباته.

قوله: ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يَبْسُهَا.

قوله: (وباردة وحارة) لفٌّ ونشرٌ مشوشٌ، وترك الصبا والدبور، فالرياح أربع.

قوله: ﴿تِلْكَ ءَايَتُ اللَّهِ﴾ مبتدأ وخبرٌ، وجملة ﴿تَتْلُوهَا﴾ حال^(٢).

قوله: (الآيات المذكورة) أي: وهي السماوات والأرض وما بعدهما.

قوله: (مُتَعَلِّقٌ بِ«تَتْلُو»): أي: على أنه عامل فيه مع كونه حالاً، والباء للملابسة.

قوله: (أي: لا يؤمنون) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاريٌّ.

(١) وليس (اختلاف) مجروراً بواو العطف على (إن في السماوات) حتى لا يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين في قراءة من نصب (آيات)، وحرف الجر إذا دلَّ عليه دليلٌ. جاز حذفه وإبقاء عمله، وأنشد سيبويه:

الآن قَرَّبْتَ تَهْجُونَا وَتَشْتُمُنَا فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ

تقديره: (وبالأيام)؛ لِتَقْدِمِ الْبَاءِ فِي (بِكَ)، ولا يجوز عطفه على الكاف؛ لأنه ليس من مذهبه العطف على الضمير المجرور دون إعادة الجارِّ، ويدل عليه قراءة سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (وفي اختلاف) مصرحاً به (في) كما بيَّن المصنف رحمه الله. وانظر «الدر المصون» (٩/٦٣٦).

(٢) ويجوز أن تكون خبراً لـ(تلك)، و(آيات الله) بدل، أو عطف بيان؛ كما بيَّن العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/٦٤٠).

وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ يَعَذَابُ
أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا

- وفي قراءةٍ بالتاء ..

(٧ - ٨) ﴿وَيَلِّ﴾ - كَلِمَةُ عَذَابٍ - ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كَذَابٍ ﴿أَثِيمٍ﴾: كَثِيرِ الْإِثْمِ،
﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾: الْقُرْآنَ ﴿تُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ عَلَى كُفْرِهِ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾: مُتَكَبِّرًا عَنِ الْإِيمَانِ
﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ يَعَذَابُ أَلِيمٍ﴾: مُؤَلِّمٌ.

(٩ - ١٠) ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ أَي: الْقُرْآنِ ﴿شَيْئًا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (كلمة عذاب) أي: فيُطلق على العذاب، ويُطلق على وادٍ في جهنم.

قوله: (كذاب) أي: كثير الكذب على الله، وعلى خلقه.

قوله: (كثير الإثم) أي: المعاصي.

قوله: ﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ إمّا مستأنف، أو حال من الضمير في ﴿أَثِيمٍ﴾.

قوله: ﴿تُنْزَلُ عَلَيْهِ﴾ حال من ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كُفْرِهِ (ثم): للترتيب الرتبي، والمعنى: إصراره على الكفر حاصلٌ بعد
تقرير الأدلة المذكورة وسماعه.

قوله: ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ ﴿كَأَن﴾: مُخَفَّفَةٌ، حُذِفَ مِنْهَا ضَمِيرُ الشَّانِ، وَالْجُمْلَةُ إمّا مُسْتَأْنَفَةٌ،
أو حال.

قوله: ﴿فَبَشِيرُهُ يَعَذَابُ أَلِيمٍ﴾ سَمَاءٌ بَشَارَةٌ؛ تَهَكُّمًا بِهِمْ؛ لِأَنَّ الْبَشَارَةَ هِيَ: الْخَبَرُ السَّارُّ.

قوله: ﴿وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا﴾ أي: إِذَا بَلَغَهُ شَيْءٌ وَعَلِمَ أَنَّهُ مِنْ آيَاتِنَا.. اتَّخَذَهَا
هَزْوَاً... إلخ، وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِهِ فِي الرَّقُومِ: إِنَّهُ الرُّبْدُ وَالتَّمْرُ، وَقَوْلُهُ فِي خَزَنَةِ جَهَنَّمَ: إِنَّ كَانُوا تِسْعَةَ
عَشَرَ، فَأَنَا أَلْقَاهُمْ وَحْدِي^(٢).

(١) قرأ ابن عامر وشعبة والكسائي بقاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة، رَدُّوهُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي خَلْقِكَ﴾، وَهُوَ أَقْوَى
تَبَكُّيًّا. انظر «السراج المنير» (٣/٥٩٣).

(٢) القائل أبو جهل؛ كما في «تفسير القرطبي» (١٦/١٥٨).

أَتَّخَذَهَا هُزُوءًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن رَّآيِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَى الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا

أَتَّخَذَهَا هُزُوءًا ﴿٩﴾ أي: مهزوءاً بها، ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة، ﴿مِّن رَّآيِهِمْ﴾ أي: أمامهم لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ﴾ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا ﴿مِن الْمَالِ وَالْفِعَالِ﴾ شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ﴿أُولِيَاءَ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿١١﴾ ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾: حَقٌّ ﴿مِّن رَّجَزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾: مُوجِع.

﴿١٢﴾ - ﴿١٣﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَى الْفُلُكُ﴾: السُّفُنُ ﴿فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بِإِذْنِهِ ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾: تَطْلُبُوا بِالتَّجَارَةِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَتَّخَذَهَا هُزُوءًا﴾ أنت الضمير مع أنه عائد على ﴿شَيْئًا﴾ وهو مذكر؛ مراعاة لِمَعْنَاهُ وهو الآية، وَيَصَحَّ عَوْدُهُ على ﴿إِنَّا إِنَّا﴾.

قوله: ﴿أَي: الأفاكون﴾ جمع باعتبار معنى (الأفاك)، وراعى أولاً لفظه فأفرد.

قوله: ﴿أَي: أمامهم﴾ أشار بذلك إلى أَنَّ الْوَرَاءَ كَمَا يُطْلَقُ عَلَى الْخَلْفِ.. يُطْلَقُ عَلَى الْأَمَامِ؛ كَالْجَوْنِ يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ عَلَى سَبِيلِ الْإِشْرَافِ.

قوله: ﴿مَا كَسَبُوا﴾ مصدرية؛ أي: كَسِبَهُمْ، أو موصولة؛ أي: الذي كَسَبُوهُ، وهذان الوجهان يجريان في قوله: ﴿وَمَا اتَّخَذُوا﴾، ومقتضى عبارة المفسر أنها فيهما موصولة؛ حيث قال في الأول: (من المال والفعال)، وقال في الثاني: (أي: الأصنام).

قوله: ﴿هَذَا هُدًى﴾ أي: لِمَن أَذْعَنَ لَهُ وَاتَّبَعَهُ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ، وَوَبَالَ وَخَسِرَانِ عَلَى الْكُفَرَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ﴾ أي: حلواً أو ملحاً؛ والمعنى: ذَلَّلَهُ وَسَهَّلَ لَكُمْ السَّيْرَ فِيهِ؛ بَأَن جَعَلَهُ أَمْلَسَ الظَّاهِرَ، مُسْتَوِيًّا شِفَافًا، يَحْمِلُ السُّفُنَ، وَلَا يَمْنَعُ الْغَوْصَ فِيهِ.

قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي: إرادته ومشيته، ولو شاء.. لم تَجْرَ.

قوله: ﴿بِالتَّجَارَةِ﴾ أي: والحج والغزو وغير ذلك من المصالح الدينية والدنيوية.

مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ.....

﴿مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ ﴿مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ وَنُجُومٍ وَمَاءٍ وَغَيْرِهِ، ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مِنْ دَابَّةٍ وَشَجَرٍ وَنَبَاتٍ وَأَنْهَارٍ وَغَيْرِهِ، أَي: خَلَقَ ذَلِكَ لِمَنْ أَعْبَدَكُمْ ﴿جَمِيعًا﴾ - تَأْكِيد - ﴿مِنْهُ﴾ - حال - أَي: سَخَّرَهَا كَائِنَةً مِنْهُ تَعَالَى، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فِيهَا فَيُؤْمِنُونَ.

﴿١٤﴾ - ﴿١٥﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (أَي: تَصْرِفُونَ النِّعَمَ فِي مَصَارِفِهَا).

قوله: (وغيره) أَي: كالملائكة؛ فَإِنَّهُمْ مُسَخَّرُونَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، يُدَبِّرُونَ مَعَاشَهُمْ، وَهَذَا سِرُّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾ الْآيَةُ [الإسراء: ٧٠].

قوله: (تأكيد^(١)) أَي: حال مؤكدة.

قوله: (حال) أَي: مِنْ (مَا)، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لـ ﴿جَمِيعًا﴾، وَالْمَعْنَى عَلَى الْأَوَّلِ: سَخَّرَ لَكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ كَائِنَةً مِنْهُ؛ أَي: مَخْلُوقَةٌ لَهُ، وَعَلَى الثَّانِي: جَمِيعًا كَائِنًا مِنْهُ تَعَالَى.

قوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ (أَي: يَتَأَمَّلُونَ فِي تِلْكَ الْآيَاتِ).

قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا...﴾ (إِلَخ) الْمُرَادُ بِالْغَفْرِ لَهُمْ: تَحْمِلُ أَذَاهُمْ وَعَدَمُ مُقَابَلَتِهِمْ بِمِثْلِ مَا فَعَلُوا.

وَاخْتَلَفَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؛ فَقِيلَ: مَدَنِيَّةٌ، وَعَلَيْهِ: فَسَبَبُ نَزُولِهَا - كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -: أَنَّهُمْ كَانُوا فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمَصْطَلِقِ، نَزَلُوا عَلَى بَثْرٍ يُقَالُ لَهُ: الْمَرِيْسِيْعُ، فَأَرْسَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي غَلَامَةَ لِيَسْتَقِي الْمَاءَ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَتَاهُ... قَالَ لَهُ: مَا حَبَسَكَ؟ قَالَ: غَلَامٌ عَمْرٌ، قَعَدَ عَلَى طَرَفِ الْبَثْرِ، فَمَا تَرَكَ أَحَدًا يَسْتَقِي حَتَّى مَلَأَ قِرْبَ النَّبِيِّ ﷺ وَقِرْبَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: مَا مَثَلُنَا وَمِثْلُ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَمَا قِيلَ: سَمْنٌ كَلْبَكَ يَأْكُلُكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرٌ، فَاشْتَمَلَ بِسَيْفِهِ يَرِيدُ التَّوَجُّهَ لَهُ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

وقيل: مَكِّيَّةٌ، وَعَلَيْهِ: فَسَبَبُ نَزُولِهَا - كَمَا قَالَ مُقَاتِلٌ -: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي غَفَارٍ شَتَمَ عَمْرَ بِمَكَّةَ، فَهَمَّ عَمْرٌ أَنْ يَبْطِشَ بِهِ، فَنَزَلَتْ.

(١) أَي: عَلَى رَأْيِ ابْنِ مَالِكٍ حَيْثُ عَدَّهَا مِنَ الْمُؤَكَّدَاتِ. «فَتْوحَات» (٤/١١٨).

لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ

لَا يَرْجُونَ: يَخَافُونَ ﴿أَيَّامَ اللَّهِ﴾: وَقَائِعَهُ، أَي: اغْفِرُوا لِلْكَفَّارِ مَا وَقَعَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَى لَكُمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِجِهَادِهِمْ، ﴿لِيَجْزِيَ﴾ أَي: اللَّهُ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِالنُّونِ -

حاشية الصاوي

أو كما قال السُّدِّي: أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ كَانُوا فِي أَذَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالْجِهَادِ، فَشَكُّوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَتْ، وَمَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ فِيهِ إِشَارَةً إِلَى هَذَا الْآخِرِ^(١).

قوله: ﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ أَي: لَا يَتَوَقَّعُونَ وَقَائِعَهُ، مِنْ قَوْلِهِمْ: (أَيَّامُ الْعَرَبِ) أَي: وَقَائِعُهُمْ، وَهَذَا مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ، وَقِيلَ: إِنَّ الرِّجَاءَ بَاقٍ عَلَى مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ، وَالْمُرَادُ بِالْأَيَّامِ: مُطْلَقُ الْأَوْقَاتِ، وَالْمَعْنَى: لَا يُؤْمَلُونَ الْأَوْقَاتَ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا نَصَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَثَوَابَهُمْ.

قوله: (أَي: اغْفِرُوا لِلْكَفَّارِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَقُولَ الْقَوْلِ مُحذُوفٌ دَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿يَغْفِرُوا﴾، فَهُوَ مُجْزُومٌ؛ لِكُونِهِ جَوَابَ أَمْرٍ مُحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: قُلْ لَهُمْ: اغْفِرُوا... يَغْفِرُوا^(٢).

قوله: (وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِجِهَادِهِمْ) أَي: فَهُوَ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ، وَهَذَا عَلَى أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ، وَأَمَّا عَلَى أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ... فَالْكَفُّ عَنِ الْمُنَافِقِينَ خَوْفٌ أَنْ يَقُولَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ، حَتَّى جَاءَ الْإِذْنُ بِتَمْيِيزِهِمْ.

وقيل: إِنَّهَا لَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ، هِيَ مَحْمُولَةٌ عَلَى تَرْكِ الْمُنَازَعَةِ وَالتَّجَاوُزِ فِيمَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ مِنَ الْكَلَامِ الْمُؤْذِي.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا﴾ عِلَّةٌ لِمَا قَبْلَهُ، وَالْقَوْمُ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَهُوَ مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ، وَقِيلَ: الْكَافِرُونَ، وَقِيلَ: كُلُّ مِنْهُمَا، فَالتَّنْكِيرُ إِمَّا لِلتَّعْظِيمِ، أَوْ لِلتَّحْقِيرِ، أَوْ لِلتَّنَوُّعِ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةِ بِالنُّونِ) أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(٣).

(١) انظر الأقوال الثلاثة في «زاد المسير» (٩٨/٤).

(٢) وقيل: جزم على جواب (قل) تشبيهاً بالشرط والجزاء، كَقَوْلِكَ: قُمْ تَصُبْ خَيْرًا، وَقِيلَ: هُوَ عَلَى حَذْفِ اللَّامِ. انظر «تفسير القرطبي» (١٦٠/١٦).

(٣) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالنون: (لنجزى) نحن بما لنا من العظمة، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٥٩٦/٣).

قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ.....

﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ مِنَ الْغَفْرِ لِلْكَفَّارِ إِذَا هُمْ. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عَمِلَ، ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أَسَاءَ، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾: تَصِيرُونَ، فَيُجَازِي الْمُصْلِحَ وَالْمُسِيءَ.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةُ ﴿وَالْحُكْمَ﴾ بِهِ بَيْنَ النَّاسِ ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ لِمُوسَى وَهَارُونَ مِنْهُمْ، ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: الْحَلَالَاتِ كَالْمَنْ وَالسَّلَوَى، ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾: عَالَمِي زَمَانِهِم الْعُقَلَاءَ.

﴿١٧﴾ ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: أَمْرَ الدِّينِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَبَعَثَهُ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ

حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (أذا هم) مفعول للفر الواقع مصدراً.

قوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ جملة مُستأنفة لبيان كيفية الجزاء.

قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾... إلخ) المقصود من ذلك: تَسْلِيَتُهُ ﷺ، كَأَنَّهُ قَالَ: لَا تَحْزَنْ عَلَى كُفْرِ قَوْمِكَ؛ فَإِنَّا آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالنَّعْمَ الْعَظِيمَةَ، فَلَمْ يَشْكُرُوا بَلْ أَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ.

قوله: (التوراة) إنما اقتصر عليها؛ لكونها تُغني عن غيرها من كتبهم، وَلَا يُغني غيرها عنها؛ فَإِنَّ فِيهَا أَحْكَامَ شَرْعِهِمْ، وَإِلَّا... فِي الْحَقِيقَةِ كَتَبَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ثَلَاثَةَ: التوراة، والإنجيل، والزبور.

قوله: ﴿وَالْحُكْمَ﴾ أي: الفصل بين الخصوم، وَهَذِهِ نِعَمٌ دِينِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ نِعَمٌ دُنْيَوِيَّةٌ، فَلَمْ يَشْكُرُوا عَلَيْهَا.

قوله: (كالمَنْ والسلوى) أي: فِي أَيَّامِ النَّبِيِّ.

قوله: (العقلاء) تقدّم ما فِيهِ، وَأَنَّ الْأَوَّلَى التَّعْبِيرُ بِ(الثَّقَلَيْنِ) ^(١).

قوله: ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ﴾ أي: بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي التَّوْرَةِ، وَالْمَعْنَى: بَيِّنَاتٌ لَهُمْ فِيهِ أَمْرُ الشَّرِيعَةِ، وَأَمْرُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِهِ إِنْ ظَهَرَ بَيْنَهُمْ؛ كَمَا أَشَارَ لَهُ الْمَفْسِّرُ.

فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ فِي بَعْتِهِ ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾
أَي: لِبَغْيِي حَدَثَ بَيْنَهُمْ حَسَدًا لَهُ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ﴾.

(١٨ - ١٩) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾: طَرِيقَةٍ ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾: أَمْرِ
الدِّينِ ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فِي عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا﴾:
يَدْفَعُوا ﴿عَنْكَ مِنَ اللَّهِ﴾: مِنْ عَذَابِهِ ﴿شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾
حَاشِيَةُ الصَّاوِي.

قوله: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ فِي بَعْتِهِ... إلخ) أَي: وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَّفِقِينَ، فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
وَالشَّرْعُ فِي كِتَابِهِمْ.. اخْتَلَفُوا، وَكَانَ مَقْتَضَاهُ أَنْ يَدُومَ لَهُمُ الْإِتْفَاقُ.

قوله: ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أَي: بِالمُؤَاخَذَةِ وَالْمَجَازَاةِ.

قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ (الكاف: مَفْعُولُ أَوَّلٍ لِّ(جَعَلْنَا)، وَ﴿عَلَى شَرِيعَةٍ﴾ هُوَ الْمَفْعُولُ
الثَّانِي، وَالشَّرِيعَةُ: تُطْلَقُ عَلَى مَوْرَدِ النَّاسِ مِنَ الْمَاءِ، وَعَلَى الْمَذْهَبِ، وَالْمِلَّةِ، وَالْمَرَادُ هُنَا:
مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الدِّينِ، سَمِّيَ شَرِيعَةً؛ لِأَنَّهُ يُقْصَدُ وَيُلْجَأُ إِلَيْهِ كَمَا يُلْجَأُ إِلَى الْمَاءِ مِنَ الْعَطَشِ.

قوله: ﴿مِّنَ الْأَمْرِ﴾ يُطْلَقُ عَلَى مُقَابِلِ النَّهْيِ، وَعَلَى الشَّانِ، وَيَصِحُّ إِرَادَةُ كُلِّ مِنْهُمَا هُنَا،
وَالْمَعْنَى: ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى طَرِيقَةٍ مِنَ الدِّينِ وَهِيَ مِلَّةُ الْإِسْلَامِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِبْرَاهِيمُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى لَمْ يُغَايِرْ بَيْنَ الشَّرَائِعِ فِي التَّوْحِيدِ وَالْمَكَارِمِ وَالْمَصَالِحِ، وَإِنَّمَا التَّغَايُرُ فِي الْفُرُوعِ.

قوله: ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: وَهُمْ رُؤَسَاءُ قَرِيشٍ؛ حَيْثُ قَالُوا: ارْجِعْ إِلَى دِينِ آبَائِكَ؛
فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَفْضَلَ مِنْكَ وَأَسَنًّا.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ﴾ تَعْلِيلٌ لِّمَا قَبْلَهُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ عَطْفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ
مِنْ تَتَمَّةِ التَّعْلِيلِ.

قوله: ﴿أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا، وَلَا وَلِيَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ يُزِيلُ عَنْهُمْ الْعِقَابَ.

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ

وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ : المؤمنين .

﴿٢٠﴾ : هَذَا ﴿١٩﴾ الْقُرْآنُ ﴿٢٠﴾ بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ ﴿٢٠﴾ : مَعَالِمُ يَتَبَصَّرُونَ بِهَا فِي الْأَحْكَامِ وَالْحُدُودِ ، وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ بِالْبَعَثِ .

﴿٢١﴾ : أَمْ ﴿٢١﴾ - بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ - ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ : اِكْتَسَبُوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ :

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (أي : في الدنيا والآخرة ؛ لأنهم اتقوا الشرك .

قوله : ﴿هَذَا بَصِيرَتُ﴾ مبتدأ وخبر ، وجمع الخبر باعتبار أنَّ المبتدأ مُشارٌّ به إلى ما تقدَّم من الآيات ، ولا شكَّ أنه جمعٌ .

قوله : (مَعَالِمُ) جمع (مَعْلَمٍ) ، وهو في الأصل : الأثر الذي يُستَدَلُّ به على الطريق ، والمراد هنا : أنَّ تلك الآيات تُبَصِّرُ النَّاسَ فِي الْأَحْكَامِ وَتَدُلُّهُمْ عَلَيْهَا .

قوله : ﴿وَهَدَىٰ﴾ (أي : من الضلالة .

قوله : ﴿وَرَحْمَةً﴾ (أي : إحسانٌ .

قوله : ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (أي : يطلبون اليقين ، وأما للكفار . . فهي وبالٍ وخسرانٌ عليهم .

قوله : ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار (أي : فهي منقطعة ، تقدَّر تارةً بالهمزة وحدها ، أو بـ(بل) وحدها ، أو بهما معاً ، والمراد : إنكار الحساب ؛ أي : الظن ؛ والمعنى : لا ينبغي أن يكون ، وإلا . . فالظنُّ قد وقع بالفعل .

قوله : ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ فاعل ﴿حَسِبَ﴾ ، وجملة ﴿أَنْ يَجْعَلَهُ . . . إلخ﴾ سَادَّةٌ مَسَدَّةٌ المفعولين ، والمرادُ بالاجتراح : الاكتساب ؛ كما قال المفسر ، ومنه : الجوارح .

قال الكلبي : الذين اجترحوا السيئات : عُتْبَةُ وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عُتْبَةَ ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات : علي وحمزة وعبيدة بن الحارث ؓ حين برزوا إليهم يوم بدر فقتلوه .

وقيل : نزلت في قوم من المشركين قالوا : إنهم يُعْطَوْنَ فِي الْآخِرَةِ خَيْراً ممَّا يُعْطَاهُ الْمُؤْمِنُونَ ؛ كما أخبر الله عنهم في قوله : ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنى﴾ [فصلت : ٥٠] ^(١) .

أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

الكُفْرَ وَالْمَعَاصِي ﴿أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ﴾ - خَبَر - ﴿تَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ - مُبْتَدَأٌ وَمَعْطُوفٌ، وَالْجُمْلَةُ بَدَلٌ مِنَ الْكَافِ، وَالضَّمِيرَانِ لِلْكَفَّارِ -، الْمَعْنَى: أَحْسِبُوا أَنْ نَجْعَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي خَيْرٍ كَالْمُؤْمِنِينَ أَيْ: فِي رَغَدٍ مِنَ الْعَيْشِ مُسَاوٍ لِعَيْشِهِمْ فِي الدُّنْيَا حَيْثُ قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ: لَيْنَ بُعِثْنَا لَنُعْطِينَ مِنَ الْخَيْرِ مِثْلَ مَا تُعْطُونَ، قَالَ تَعَالَى عَلَى وَفْقِ إِنْكَارِهِ بِالْهَمْزَةِ: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَهُمْ فِي الْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ عَلَى خِلَافِ عَيْشِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْآخِرَةِ فِي الثَّوَابِ بِعَمَلِهِمْ الصَّالِحَاتِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، - وَ(مَا) مَصْدَرِيَّةٌ - أَيْ: بِئْسَ حُكْمًا حُكْمُهُمْ هَذَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَوَاءٌ﴾ (خبر) أي: على قراءة الرفع، وقرأ بعض السبعة بالنصب على الحال^(١).

قوله: (والجُمْلَةُ) أي: من المبتدأ والخبر.

قوله: (بدلٌ من الكاف) أي: الداخلة على الموصول.

قوله: (أي: ليس الأمر كذلك) أشار بذلك إلى أَنَّ هَمْزَةَ الْإِنْكَارِ لِلنَّفْيِ، وَكَانَ الْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ تَقْدِيمُ هَذَا عَلَى قَوْلِهِ: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ فَإِنَّهُ مَرْتَبِطٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: أَمْ حَسِبُوا أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَأَنَّهُمْ مِثْلُهُمْ مُسْتَوٍ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ؟ كَلَّا لَا يَسْتَوُونَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءَ فِي عِزِّ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ وَشَرَفِهِمَا فِي الْمَحْيَا، وَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ فِي الْمَمَاتِ، وَأُولَئِكَ فِي ذُلِّ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَهَوَانِهِمَا فِي الْمَحْيَا، وَفِي لَعْنَةِ اللَّهِ وَالْعَذَابِ الْمُخَلَّدِ فِي الْمَمَاتِ، وَلَا يُعْتَبَرُ تَوْسِيعَةُ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّهَا بِحَسَبِ الْقِسْمَةِ الْأَزَلِيَّةِ لِلْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ وَلِكُلِّ دَابَّةٍ.

قوله: (أي: بئس حُكْمًا... إلخ) مُقْتَضَى هَذَا الْحَلِّ أَنَّ (مَا) مُمِيزٌ، وَحِينَئِذٍ: فَالْفَاعِلُ مُسْتَرٌّ، وَهُوَ يُنَافِي كَوْنَهَا مَصْدَرِيَّةً؛ لِأَنَّهَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ تَكُونُ فَاعِلًا، فَالْمُنَاسِبُ لَجْعَلِهَا مَصْدَرِيَّةً أَنْ يَقُولَ: (سَاءَ الْحُكْمُ حُكْمُهُمْ).

(١) قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكَسَانِي وَحَفْصٌ: ﴿سَوَاءٌ﴾ بِالنَّصْبِ عَلَى الْحَالِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَرِّ فِي الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ وَهُمَا ﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ. انظر «السراج المنير» (٣/٥٩٨).

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ

﴿٢٢﴾ «وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَ» خَلَقَ «الْأَرْضَ بِالْحَقِّ» مُتَعَلِّقٌ بِ(خَلَقَ) لِيَدُلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، «وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» مِنَ الْمَعَاصِي وَالطَّاعَاتِ فَلَا يُسَاوِي الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ «وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ».

﴿٢٣﴾ «أَفَرَأَيْتَ»: أَخْبِرْنِي «مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ»: مَا يَهْوَاهُ مِنْ حَجَرٍ بَعْدَ حَجَرٍ يَرَاهُ أَحْسَنَ

حاشية الصاوي

قوله: «(وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ... إلخ) من تَمَّةِ قوله: «أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ»... إلخ، وهو كالدليل له، كأنه قال: لا يَسْتَوِي المؤمن والكافر؛ بدليل أن الله خلق السماوات والأرض؛ أي: للعبور والاستدلال، ولم يترك العباد سُدىً، وجازى كلَّ نفسٍ بما كَسَبَتْ؛ فلا يستوي جزاء المؤمن بجزاء الكافر.

قوله: (متعلق بـ«خلق») أي: على أنه حالٌّ من الفاعل أو المفعول.

قوله: (ليدلَّ على قدرته... إلخ) قَدْرُهُ؛ إشارةً إلى أن قوله: «وَلِتُجْزَىٰ» عطفٌ على عِلَّةٍ محذوفة.

قوله: «(وَهُمْ)» أي: النفوسُ المدلول عليها بقوله: «كُلُّ نَفْسٍ».

قوله: «(لَا يُظْلَمُونَ)» أي: لا يُنْقَصُ من ثواب المؤمنين، ولا يَزَادُ في العذاب على ما يَسْتَحِقُّه للكافر.

قوله: (أخبرني) تقدَّم أنَّ فيه مجازاً؛ حيث أطلق الرؤية وأراد الإخبار، ثم أطلق الاستفهام عن الإخبار وأراد الأمر به، وقوله: «مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ»... إلخ: مفعولٌ أولٌ لـ(رأيت)، والمعنى: ترك متابعة الهدى إلى مُطَاوَعَةِ الهوى، فكانه يعبده.

قوله: (من حجر) أي: أو غيره كالشمس والقمر من كلِّ مَعْبُودٍ غير الله، عاقلاً أو غير عاقل، فالمكفِّرُ العبادة؛ بأن يتقَرَّبَ إلى غيره كما يتقَرَّبُ إليه، وأمَّا زيارة الصالحين والأنبياء... فليس من قَبِيلِ العبادة لهم، بل هي من باب التَسَبُّبِ في نفع الغير؛ لأنَّ الترضي عن الأولياء، والصلاة والسلام على الأنبياء دعاءٌ للغير بذلك، ولا شكَّ أنَّ ذلك الغير يَنْتَفِعُ به، والمتسبِّب له مثله؛ لما ورد: أنَّ الملك يقول له: «ولك مثل ذلك»^(١)، فالأمر إلى أنَّ زيارة الصالحين والتوسُّلَ بهم

(١) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٢٨)، وابن أبي شيبة في «المسند» (٤٣) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه.

وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ، وَقَلْبِهِ، وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ مِنْهُ تَعَالَى، أَي: عَالِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ قَبْلَ خَلْقِهِ، ﴿وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ، وَقَلْبِهِ﴾ فَلَمْ يَسْمَعْ الْهُدَى وَلَمْ يَعْقِلْهُ، ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشْوَةً﴾: ظُلْمَةٌ فَلَمْ يُبْصِرِ الْهُدَى، - وَيُقَدَّرُ هُنَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي لِـ (رَأَيْتَ) أَيَهْتَدِي - ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ أَي: بَعْدَ إِضْلَالِهِ إِيَّاهُ؟ أَي: لَا يَهْتَدِي، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾: تَتَعَبُّونَ؟! - فِيهِ إِدْغَامُ إِحْدَى التَّائِيْنِ فِي الدَّالِ ..

حاشية الصاوي.

من جُمْلَةِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَصَاحِبِهَا مَحْبُوبٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِبَادِهِ، وَصَدَقَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَّلَ؛ فَلَيْسَتْ مَعْصِيَةٌ، فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا شَرْكَاءَ؛ كَمَا اعْتَقَدَهُ ذُووُ الْجَهْلِ الْمَرْكَبِ وَالْعَقِيدَةُ الزَّائِغَةُ.

قوله: (أَي: عَالِمًا بِأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الْمَفْعُولِ؛ وَالْمَعْنَى: أَضَلَّهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ عَالِمًا بِالْحَقِّ غَيْرَ جَاهِلٍ بِهِ، فَهُوَ أَشَدُّ قَبْحًا.

قوله: ﴿غِشْوَةً﴾ بِكسر الغين أو بفتحها مع سكون الشين وحذف الألف، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذًا بفتح العين أو ضمها وإثبات الألف، أو بكسر الغين وحذف الألف، أو بالعين المهملة^(١).

قوله: (ويُقَدَّرُ هُنَا الْمَفْعُولُ الثَّانِي) أَي: وَإِنَّمَا حُذِفَ؛ لِدَلَالَةِ ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ﴾ عَلَيْهِ، وَلَا حَاجَةَ لِتَقْدِيرٍ؛ إِذْ يَصَحُّ أَنْ تَكُونَ هِيَ الْمَفْعُولُ الثَّانِي.

وقد وصفهم الله تعالى بأربعة أوصاف: الأول: قوله: ﴿أَعْتَدَ﴾... إلخ، الثاني: قوله: ﴿وَأَضَلَّهُ﴾... إلخ، الثالث: قوله: ﴿وَخَتَمَ﴾... إلخ، الرابع: قوله: ﴿وَجَعَلَ﴾... إلخ، فكل وصفٍ منها مُقْتَضٍ لِلضَّلَالَةِ؛ فَلَا يُمَكِّنُ إِصْصَالَ الْهُدَى إِلَيْهِ بَوْجُوهُ مِنَ الْوُجُوهِ.

قوله: (إِحْدَى التَّائِيْنِ) أَي: الثَّانِيَةِ.

(١) قَرَأَ الْأَخَوَانُ (غِشْوَةً) بِفَتْحِ الْغَيْنِ وَسُكُونِ الشَّيْنِ، وَالْأَعْمَشُ وَابْنُ مَصْرَفٍ كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُمَا كَسَرَا الْغَيْنَ، وَبَاقِي السَّبْعَةِ (غِشَاوَةً) بِكسر الغين، وَابْنُ مَسْعُودٍ وَالْأَعْمَشُ أَيْضًا بِفَتْحِهَا، وَهِيَ لُغَةٌ رُبَيْعِيَّةٌ، وَالْحَسَنُ وَعِكْرَمَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ أَيْضًا بِضَمِّهَا، وَهِيَ لُغَةٌ عَكْلٌ، وَقُرِئَ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ. انظر «الدر المصون» (٦٥٢/٩).

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُنَادِيْنَاهُمْ بِآيَاتِنَا يَتَّبِعْ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا

﴿٢٤﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ أي: مُنْكَرُوا الْبَعْثَ: ﴿مَا هِيَ﴾ أي: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا﴾ التي في ﴿الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يَمُوتُ بَعْضٌ وَيَحْيَا بَعْضٌ بِأَنْ يُوَلَّدُوا، ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ أي: مُرُورُ الزَّمَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الْمَقُولُ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: مَا ﴿هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

(٢٥ - ٢٦) ﴿وَإِذَا نُنَادِيْنَاهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى الْبَعْثِ ﴿يَتَّبِعْ﴾: وَاضِحَاتٍ - حَالٌ - ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الحياة) بيانٌ لمرجع الضمير، ويقال لهذا الضمير: ضمير القصة.

قوله: (أي: يموت بعض... إلخ) دفع بذلك ما يقال: إِنَّ قَوْلَهُمْ: (نموت ونحيا) فيه اعترافٌ بالحياة بعد الموت مع أنهم يُنْكَرُونَهَا، ويجاب أيضاً: بأنَّ الآية فيها تقديمٌ وتأخيرٌ؛ أي: نحيا ونموت.

قوله: (أي: مُرُورُ الزمان) أي: فكان الجاهلية يقولون: الدهر هو الذي يُهْلِكُنَا، وهو الذي يُحْيِينَا ويميتنا؛ ولذلك ردَّ عليهم بقوله ﷺ: «كان أهل الجاهلية يقولون: ما يُهْلِكُنَا إِلَّا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وهو الذي يُحْيِينَا ويميتنا، فَيَسْبُونُ الدهرَ، فقال تعالى: يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسْبُ الدهرَ، وأنا الدهرُ بيدي الأمرِ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١)، والحاصل: أَنَّ فِرْقَةً مِنَ الْكُفَّارِ يُسَمُّونَ الدَّهْرِيَّةَ؛ يَنْسُبُونَ الْفِعْلَ ضَرًّا وَنَفْعًا لِلزَّمَانِ، فردَّ عليهم بما تقدَّم.

قوله: (المقول) أي: وهو قولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾... إلخ.

قوله: (واضحات) أي: ظاهرات.

قوله: (حال) أي: من ﴿ءَايَاتِنَا﴾.

قوله: ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ بالنصب خبر ﴿كَانَ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ اسمها؛ أي: إِلا قَوْلُهُمْ، وتسميتها حجةً على سبيل التهكم، أو على حسب زعمهم.

(١) سيباق المصنف عند الطبري في «تفسيره» (٧٩/٢٢) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وروى البخاري (٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦) من قوله: (يؤذيني) إلى آخره.

أَتَتْوَا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِّمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً

أَتَتْوَا بِآبَائِنَا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءُ ﴿٢٥﴾ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ أَنَا نُبْعَثُ. ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم﴾ حِينَ كُنْتُمْ نُطْفَأَ ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾ أَحْيَاءُ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾: شَكَّ ﴿فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْقَائِلُونَ مَا ذَكَرَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٢٧ - ٢٩) ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ - يُبَدَّلُ مِنْهُ - ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾: الْكَافِرُونَ أَي: يَظْهَرُ خُسْرَانُهُمْ بِأَنْ يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ، ﴿وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ﴾ أَي: أَهْلُ دِينٍ ﴿جَائِيَةً﴾ عَلَى الرُّكْبِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَتَتْوَا بِآبَائِنَا﴾ (أي: الذين ماتوا قبلنا).

قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم﴾ ردُّ لقولهم: (ما يهلكنا إلا الدهر).

قوله: (وهم) أي: الأكثر، وجمع باعتبار المعنى.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعميمٌ بعد تخصيص.

قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ ظرف لقوله: ﴿يُحْشَرُ﴾، وقوله: ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ بدل من ﴿يَوْمَ﴾ قبله للتوكيد، والتنوين في ﴿يَوْمَ يُحْشَرُ﴾ عوض عن جملة مقدرة، والتقدير: يومئذ تقوم الساعة، فهو بدلٌ توكيدي.

قوله: (أي: يظهر خسرانهم) جوابٌ عما يُقال: إِنَّ خُسْرَانَهُمْ مُتَحْتَمٌّ فِي الْأَزَلِ.

قوله: ﴿وَنَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ (رأى): بصريّة، و﴿كُلَّ﴾: مفعولها، و﴿جَائِيَةً﴾: حال.

واختلف هل الجُئيُّ خاصٌّ بالكفار؟ وبه قال يحيى بن سلام، وقيل: عامٌّ للمؤمن والكافر انتظاراً للحساب، ويُؤيده: ما ورد: «إِنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِسَاعَةً هِيَ عَشْرُ سِنِينَ، يَخْرُ النَّاسُ فِيهَا جُثَاءً عَلَى رُكْبِهِمْ حَتَّى إِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنَادِي لَا أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ إِلَّا نَفْسِي»^(١)؛ وذلك لِأَنَّ الْحَضْرَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ حَضْرَةٌ جَلَالٍ، فَالْجَمِيعُ يُعْطُونَهُ حَقَّهُ مِنَ الْخَوْفِ وَالْهَيْبَةِ إِلَى أَنْ يَحْصُلَ التَّمْيِيزُ.

(١) أورده البغوي في «تفسيره» (٢٤٦/٧) من حديث سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه.

كُلُّ أُمَّةٍ نَدَعِي إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

أو مُجْتَمَعَةٌ، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ نَدَعِي إِلَى كِتَابِهَا﴾: كِتَابِ أَعْمَالِهَا وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿الْيَوْمَ تُحْزَنُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جَزَاءُهُ، ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾: دِيْوَانُ الْحَفَظَةِ ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾: نُثَبِّتُ وَنَحْفَظُ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

حاشية الصاوي

والجُثُو: وضع الركبتين بالأرض مع رفع الألية ونصب القدمين، ويُطلق على الجلوس على أطراف القدمين مع وضع الركب بالأرض، وكلٌّ من المعنيين يدل على كونه مُستوفزاً غير مُطمئنٍّ، وقوله: (أو مجتمعة) لحكاية الخلاف، وقيل: معناه: مُتميزة، وقيل: خاضعة.

قوله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ﴾ بالرفع في قراءة العامة، مبتدأ، و﴿نَدَعِي﴾: خبرها.

قوله: ﴿نَدَعِي إِلَى كِتَابِهَا﴾: أضيف لهم الكتاب باعتبار أنه مُشتمِلٌ على أعمالهم.

قوله: (ويقال لهم) قدره؛ إشارة إلى أن الجملة مقولة لقول محذوف، و﴿الْيَوْمَ﴾: معمول ل﴿تُحْزَنُ﴾، و﴿مَا كُنْتُمْ﴾: مفعوله الثاني، ونائب الفاعل: مفعول أول.

قوله: ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ قيل: من قول الله لهم، وقيل: من قول الملائكة لهم.

قوله: ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: يدل عليه؛ لأنهم يقرؤونه، فيذكرهم بما فعلُوا؛ لقوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ يَوْمَئِذٍ إِنَّ هَذَا إِلَّا كِتَابٌ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩].

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قيل: معناه: أن الله ملائكة مطهرين ينسخون من

أم الكتاب في رمضان كل يوم ما يكون من أعمال بني آدم في العام كله، ويعرضون على الحفظة كل خميس، فيجدون ما كتبه الحفظة على بني آدم موافقاً لما في أيديهم.

وقيل: إن الملائكة الحفظة إذا رفعت أعمال العباد إلى الله عز وجل. . أمر بأن يثبت عنده منها

ما فيه ثواب أو عقاب، ويسقط ما لا ثواب فيه ولا عقاب.

قوله: (نثبت ونحفظ) أي: فالمراد بالنسخ: الإثبات والنقل؛ إمّا من اللوح المحفوظ، أو من

صُحُفِ الكُتُبِ كما علمت.

فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ

(٣٠ - ٣١) ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾: جَنَّتِهِ، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾: البَيِّنُ الظَّاهِرُ، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فيُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي﴾: الْقُرْآنُ ﴿تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرْتُمْ ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمُونَ﴾: كَافِرِينَ. ﴿وَإِذَا قِيلَ﴾ لَكُمْ أَيُّهَا الْكُفَّارُ: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بِالْبَعْثِ ﴿حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
قوله: ﴿فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ﴾) أي: مع السابقين؛ فلا يُنافي أن المؤمن وإن لم يعمل الصالحات يدخل الجنة لكن لا مع السابقين؛ إما بعد الحساب، أو بعد الشفاعة، فلا يقال: إن التقيد بالعمل الصالح يخرج مَنْ مات على الإيمان ولم يعمل صالحاً.
قوله: (جَنَّتِهِ) إنما فسّر العام بالخاص؛ لأن الجنة أثر الرحمة التي تستقرُّ الخلائق فيها، وتُوصف بالدخول فيها دون غيرها من آثار الرحمة.
قوله: ﴿الْفَوْزُ﴾) أي: بلوغ الآمال، والظفر بالمقصود.
قوله: ﴿الْمُبِينُ﴾) أي: الخالص من الشوائب.
قوله: (فيُقَالُ لَهُمْ) قدره؛ إشارة إلى أن جواب (أَمَّا) محذوف.
قوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي﴾... إلخ) الهمزة داخلَةٌ على محذوف، والفاء عاطفة عليه؛ أي: أتركتم الإيمان بالرسول فلم تكن... إلخ.
قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾) هذا من جملة ما يقال لهم، وحينئذٍ: فيصير المعنى: وكُنْتُمْ إذا قيل لكم: إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ... إلخ.
قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾) بكسر (إِنَّ) في قراءة العامة؛ لحكايتها بالقول، وقرئ شذوذاً بفتحها؛ إجراءً للقول مجرى الظن في لغة سُلَيْمٍ^(١).

(١) وبها قرأ الأعرج وعمر بن فائد. انظر «الدر المصون» (٩/٦٥٥).

لَا رَبَّ فِيهَا فَلَمْ مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾

- بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ - ﴿لَا رَبَّ﴾ : شَكَّ ﴿فِيهَا فَلَمْ مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ﴾ : مَا ﴿نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ قال المُبْرَدُ: أصله: إِنْ نَحْنُ إِلَّا نَظُنُّ ظَنًّا، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾ أَنَّهَا آيَةٌ. ﴿٣٣ - ٣٤﴾ ﴿وَبَدَا﴾ : ظَهَرَ ﴿لَهُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ فِي الدُّنْيَا، أَي: جَزَاؤُهَا ﴿وَحَاقَ﴾ : نَزَلَ ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَي: الْعَذَابُ،
حاشية الصاوي

قوله: (بالرفع والنصب) أي: فهما قراءتان سبعيتان؛ فالرفع على الابتداء، وجملة ﴿لَا رَبَّ فِيهَا﴾: خبره، والنصب عطفًا على اسم (إِنْ) ^(١).

قوله: ﴿مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾ هذا على سبيل الاستغراب والاستبعاد.

قوله: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ إِنْ قُلْتُ: مَا الْجَمْعُ بَيْنَ مَا هُنَا وَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾؛ فَإِنَّ مَا تَقَدَّمَ أَثَبَتَ أَنَّهُمْ جَازِمُونَ بِعَدَمِ الْبَعْثِ، وَهَذَا أَفَادَ أَنَّهُمْ شَاكُونَ فِيهِ؟ وَيُمْكِنُ الْجَوَابُ: بِأَنَّ الْكُفَّارَ لَعَلَّهُمْ افْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةُ جَازِمُونَ بِنَفْيِ الْبَعْثِ، وَفِرْقَةُ مُتَحَيِّرَةٌ فِيهِ.

قوله: (قال المُبْرَدُ... إلخ) جوابٌ عَمَّا يَقَالُ: إِنَّ ظَاهِرَ الْآيَةِ وَقَوْعُ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ اسْتِثْنَاءٌ مَفْرُغًا، مَعَ أَنَّ الْمَقْرَّرَ فِي النِّحْوِ أَنَّهُ يَجُوزُ تَفْرِيجُ الْعَامِلِ لِمَا بَعْدَهُ مِنْ جَمِيعِ الْمَعْمُولَاتِ إِلَّا الْمَفْعُولَ الْمَطْلُوقَ؛ فَلَا يَقَالُ: (مَا ضَرَبْتُ إِلَّا ضَرْبًا)؛ لِاتِّحَادِ مَوْرَدِ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ فِي قُوَّةٍ: (مَا ضَرَبْتُ إِلَّا ضَرْبًا)، وَلَا فَائِدَةٌ فِي ذَلِكَ.

فَأَجَابَ الْمَفْسِّرُ: بِأَنَّ الْآيَةَ مُؤَوَّلَةٌ بِأَنَّ مَوْرَدَ النَّفْيِ مُحذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: (نَحْنُ)، وَمَوْرَدُ الْإِثْبَاتِ كَوْنُهُ يَظُنُّ ظَنًّا، فَكَلِمَةُ (إِلَّا) مُؤَخَّرَةٌ مِنْ تَقْدِيمِ، وَالْمَعْنَى: حَصَرَ أَنْفُسَهُمْ فِي الظَّنِّ، وَنَفْيِ مَا عَدَاهُ.

قوله: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ﴾ مُبَالِغَةٌ فِي نَفْيِ مَا عَدَا الظَّنَّ عَنْهُمْ.

قوله: (أي: جزاؤها) أشار بذلك إلى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

(١) قرأ حمزة بنصبها، والباقون برفعها، ويجوز في الرفع وجهان آخران: الأول: العطف على محل اسم (إِنْ)؛ لأنه قبل دخولها مرفوع بالابتداء، والثاني: أنه عطف على محل (إِنْ) واسمها معاً؛ لأنَّ بعضهم كالفارسي والزمخشري يرون أنَّ لَهْ إِنْ واسمها موضعاً، وهو الرفع بالابتداء. انظر «الدر المصون» (٦٥٦/٩).

وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَتُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَنْصِيرٍ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَخُكُمْ﴾ : نَتْرَكُكُمْ فِي النَّارِ ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي : تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِلْقَائِهِ، ﴿وَمَاؤَتُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَنْصِيرٍ﴾ : مَا يَعِينُ مِنْهُ .

﴿٢٥﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ : الْقُرْآنَ ﴿هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ حَتَّى قُلْتُمْ : لَا بَعَثَ وَلَا حِسَابَ ، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ - بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَلِلْمَفْعُولِ - ﴿مِنْهَا﴾ : مِنَ النَّارِ ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي : لَا يُطَلَّبُ مِنْهُمْ أَنْ يُرْضُوا رَبَّهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالطَّاعَةِ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ يَوْمَئِذٍ .

حاشية الصاوي

قوله : (نترككم في النار) أشار بذلك إلى أنَّ المراد من النسيان : الترك مجازاً ؛ لأنَّ الترك مُسَبَّبٌ عن النسيان ؛ فَإِنَّ مَنْ نَسِيَ شَيْئاً . . تركه ، فَسَمَّى السَّبَبَ بِاسْمِ الْمُسَبَّبِ ؛ لِاسْتِحَالَةِ حَقِيقَةِ النسيانِ عَلَيْهِ تَعَالَى .

قوله : (أي : تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِلْقَائِهِ) أشار بذلك إلى أَنَّهُ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى ظَرْفِهِ عَلَى حَدِّ ﴿مَكْرُ أَلِيلٍ﴾ [سبأ : ٣٣] ، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ : (العمل) ، وَالْمَعْنَى : تَرَكْتُمُ الْعَمَلَ لِلْقَاءِ اللَّهِ فِي يَوْمِكُمْ هَذَا ، وَلَا يَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ لِمَفْعُولِهِ ؛ لِأَنَّ التَّوْبِيخَ عَلَى نسيانِ مَا فِي الْيَوْمِ مِنَ الْجَزَاءِ ، لَا عَلَى نَفْسِ الْيَوْمِ .

قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ أي : الْعَذَابُ الدَّائِمُ .

قوله : ﴿بِأَنكُمْ أَخَذْتُمْ﴾ . . . (إلخ) أي : بِسَبَبِ اتِّخَاذِكُمْ .

قوله : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ . . . (إلخ) فِيهِ التَّفَاتُ مِنَ الْخِطَابِ لِلْغَيْبَةِ ، وَنُكْتَتُهُ : الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّهُمْ سَاقِطُونَ مِنْ رُتْبَةِ الْخِطَابِ ؛ لِهُوَائِهِمْ .

قوله : (بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَلِلْمَفْعُولِ) أي : فَهَمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ ^(١) .

قوله : (لأنَّهَا لَا تَنْفَعُ يَوْمَئِذٍ) أي : وَأَمَّا فِي الدُّنْيَا . . فَالتَّوْبَةُ وَالطَّاعَةُ نَافِعَانِ ، فَالَّذِي يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ الْمُبَادَرَةُ لِدَلَالَةِ قَبْلِ الْفَوَاتِ .

(١) قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكَسَاةُ بِفَتْحِ الْيَاءِ التَّحْتِيَةِ وَضَمَّ الرَّاءَ ، وَالْبَاقُونَ بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ . انظر «السراج المنير» (٦٠٣/٣) .

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

(٣٦ - ٣٧) ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾: الوصف بِالْجَمِيلِ عَلَى وَفَاءٍ وَعِدِهِ فِي الْمُكَذِّبِينَ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: خَالِقِ مَا ذُكِرَ، وَالْعَالَمِ مَا سِوَى اللَّهِ وَجُمُعَ لِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ - وَ﴿رَبِّ﴾ بَدَلٌ - . ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ﴾: الْعِظَمَةُ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ - حال - أي: كَائِنَةٌ فِيهِمَا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تَقَدَّمَ.



حاشية الصاوي

قوله: (على وفاء عهده للمكذبين) أي: وللمؤمنين، وإنما اقتصر على المكذبين؛ دفعاً لما يُتوهم أنه تعالى إنما يُحَمَّدُ عَلَى الْفَضْلِ، فأفاد أنه كما يُحَمَّدُ عَلَى الْفَضْلِ.. يُحَمَّدُ عَلَى الْعَدْلِ؛ لَأَنَّ أَوْصَافَهُ تَعَالَى جَمِيلَةٌ.

قوله: (و﴿رَبِّ﴾ بَدَل) أي: في المواضع الثلاثة، ويصح أن يكون نعتاً للفظ الجلالة.
قوله: (﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ﴾) أي: آثارها؛ لَأَنَّ وَصْفَ الْكِبَرِيَاءِ قَائِمٌ بِذَاتِهِ تَعَالَى، وإنما تَظْهَرُ آثَارُهَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ مِنَ التَّصَرُّفِ وَالْقَهْرِ، فَتَصَرُّفُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ آثَارِ كِبَرِيَّائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ غَيْرُهُ، وَلَا يَبْلُغُ الْوَاصِفُونَ صِفَتَهُ.
قوله: (حال) ويصح أن يتعلّق بنفس الكبرياء؛ لأنه مصدر.

قوله: (﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾) أي: الغالب الذي يضع الشيء في محله.



﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ

سُورَةُ الْحَقِّفِ

مَكِّيَّةٌ، إِلَّا ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾ الْآيَةُ. وَإِلَّا ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَؤُا الْعَزْمِ...﴾ الْآيَةُ، وَإِلَّا ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾ الثَّلَاثُ آيَاتٍ. وَهِيَ أَرْبَعٌ أَوْ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿حَمَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾: الْقُرْآنُ - مُبْتَدَأٌ - ﴿مِنْ اللَّهِ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْحَقِّفِ

سَيَأْتِي أَنَّ (الْأَحْقَافَ) وَادٍ بِالْيَمَنِ كَانَتْ فِيهِ مَنَازِلُ عَادٍ، وَقِيلَ: إِنَّهُ جَمْعُ (حَقْفٍ)، وَهُوَ التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ؛ إِذْ لَا مَانِعَ مِنْ كَوْنِ التَّلَالِ فِي مَنَازِلِ عَادٍ.

قَوْلُهُ: (إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ...﴾ (إِلَخ) أَي: بِنَاءً عَلَى أَنَّ الشَّاهِدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ؛ إِذْ لَمْ يَظْهَرْ فِيهِ التَّصَدِيقُ بِالْقُرْآنِ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَأَمَّا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.. فَلَا تَكُونُ مَدِينَةً.

قَوْلُهُ: (الثَّلَاثُ آيَاتٍ) أَي: وَآخِرُهَا قَوْلُهُ: ﴿أَسْطِيطُ الْأَوَّلِينَ﴾، وَحِينَئِذٍ: فَجُمْلَةُ الْآيَاتِ الْمُسْتَشْنِيَّاتِ خَمْسٌ.

قَوْلُهُ: (وَهِيَ أَرْبَعٌ أَوْ خَمْسٌ... (إِلَخ) هَذَا الْخِلَافُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ ﴿حَمَّ﴾ تُعَدُّ آيَةً مُسْتَقْلَلَةً أَوْ لَا. قَوْلُهُ: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ) تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ هُوَ الْأَسْلَمُ، وَهُوَ طَرِيقَةُ السَّلَفِ فِي تَفْوِضِ عِلْمِ الْمُتَشَابِهِ لِلَّهِ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: (﴿مِنْ اللَّهِ﴾) أَي: لَمْ يَخْتَرِعْهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَمْ يَنْقُلْهُ مِنْ بَشَرٍ، وَلَا مِنْ جَنِّيٍّ كَمَا قَالَ الْكُفَّارُ.

الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا.....

- خبره - ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه .

﴿٣﴾ ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خَلَقًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ لِيَدُلَّ عَلَى قُدْرَتِنَا وَوَحْدَانِيَّتِنَا، ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إِلَى فَنَائِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا﴾: خُوفُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

﴿٤﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أَخْبِرُونِي ﴿مَا تَدْعُونَ﴾: تَعْبُدُونَ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: الْأَصْنَامَ - مَفْعُولُ أَوَّلٍ - ﴿أَرُونِي﴾: أَخْبِرُونِي - تَأْكِيدٌ - ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ - مَفْعُولُ ثَانٍ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه) أي: الذي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.

قوله: ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾) هذا هو مَصَبُّ النَفْيِ، وهو صِفَةٌ لمصدر محذوف؛ كما قَدَّرَهُ المفسِّر بقوله: (لتدلَّ على قدرتنا ووحدانيتنا) أي: وبأبْقَى الصِّفَاتِ الكَمَالِيَّةِ، وَتُنْزَهُةً عَنِ النِّقَاطِصِ؛ لِأَنَّ بِالْخَلْقِ يُعْرَفُ الْحَقُّ؛ لِأَنَّ كُلَّ صَنَعَةٍ تَدُلُّ عَلَى وَجُودِ صَانِعِهَا، وَاتِّصَافِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ.

قوله: ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾) عطف على (الحق)، والكلام على حذف مضاف؛ أي: وإلا بتقدير أَجَلٍ مُّسَمًّى؛ لِأَنَّ الْأَجَلَ نَفْسُهُ مُتَأَخَّرٌ عَنِ الْخَلْقِ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الْفَلَسَفَةِ الْقَائِلِينَ بِقَدَمِ الْعَالَمِ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾) مبتدأ، و﴿مُعْرِضُونَ﴾: خبره، وقوله: ﴿عَمَّا أُنذِرُوا﴾ متعلق ب﴿مُعْرِضُونَ﴾، و(ما): اسم موصول، والعائد محذوف، قَدَّرَهُ المفسِّر بقوله: (به)، والأولى أَنْ يُقَدَّرَ منصوباً؛ لِاخْتِلَافِ الْجَارِّ لِلْمَوْصُولِ وَلِلْعَائِدِ؛ بِأَنْ يَقُولَ: (خُوفُوه).

قوله: (تأكيد) أي: لقوله: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾^(١).

قوله: (مفعول ثان) أي: إِنَّ الْجُمْلَةَ الْاسْتِفْهَامِيَّةَ سَدَّتْ مَسَدَّ الْمَفْعُولِ الثَّانِي.

(١) ويجوز ألا تكون مؤكدة لها، وعلى هذا: تكون المسألة من باب التنازع؛ لِأَنَّ (أَرَأَيْتُمْ) يَطْلُبُ ثَانِيًا، و(أَرُونِي) كذلك، وقوله: (ماذا خلقوا) هو المتنازع فيه، وتكون المسألة من إعمال الثاني والحذف من الأول. انظر «الدر المصون» (٦٥٩/٩).

مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَّهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتَثْنِي بِكُتُبٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرُونَ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ

﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ - بيان (ما) - ﴿أَمْ لَّهُمْ شِرْكٌ﴾ : مُشَارَكَةٌ ﴿فِي﴾ خَلْقِ ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مَعَ اللَّهِ ؟ - و(أَمْ) بِمَعْنَى هَمْزَةِ الْإِنْكَارِ - ، ﴿أَتَثْنِي بِكُتُبٍ﴾ مُنْزَلٍ ﴿مِّن قَبْلِ هَذَا﴾ الْقُرْآنِ ﴿أَوْ أَثَرُونَ﴾ : بَقِيَّةُ ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ يُؤَثِّرُ عَنِ الْأَوَّلِينَ بِصِحَّةِ دَعْوَاكُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ أَنَّهَا تُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللَّهِ ، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي دَعْوَاكُمْ .

﴿٥﴾ وَمَنْ - اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ - أَي : لَا أَحَدٌ ﴿أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا﴾ : يَعْبُدُ ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أَي : غَيْرِهِ ﴿مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾

حاشية الصاوي

قوله : (بيان «ما») أشار بذلك إلى أَنَّ (ما) : اسم استفهام ، و(ذا) : اسم موصول خبرها ، و﴿خَلَقُوا﴾ : صلة الموصول ، وَيَصِحُّ أَنْ ﴿مَاذَا﴾ اسم استفهام ، مفعول لـ﴿خَلَقُوا﴾ .

قوله : (بمعنى همزة الإنكار) أي : و(بل) الإضرابية ، فهي مُنْقَطِعَةٌ .

قوله : ﴿أَتَثْنِي بِكُتُبٍ﴾ الأمر للتبكي ، وفيه إشارة إلى نفي الدليل النقلي بعد الإشارة إلى نفي الدليل العقلي .

قوله : ﴿مِن قَبْلِ هَذَا﴾ صفة لـ(كتاب) ، والجائر والمجرور مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ خَاصًّا بِقَوْلِهِ : (منزل) ، والمناسب أن يُقَدَّرَهُ عَامًّا مِنْ مَادَّةِ الْكُونِ .

قوله : ﴿أَوْ أَثَرُونَ﴾ مصدر على وزن (كفَالَةٍ) ، وقوله : ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ صفة لـ﴿أَثَرُونَ﴾ ، وهي مُسْتَقْتَنَةٌ مِنْ : الأثر الذي هو الرواية ، أو العلامة ، أو مِن : أثرت الشيء أثيره إثارة : استخرجت بقيته ، والمعنى : أثوني برواية أو علامة أو بقية من علمٍ يُؤَثِّرُ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ أَوْ الصُّلَحَاءِ .

قوله : ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ شرطٌ حُذِفَ جَوَابُهُ ؛ لِإِدْلَالِهِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ ؛ أَي : فَاتَثْنُونِي .

قوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ ... إلخ مبتدأ وخبرٌ .

قوله : ﴿مَّن لَّا يَسْتَجِيبُ﴾ ﴿مَنْ﴾ : نكرة موصوفة بالجملة بعدها ، أو اسمٌ موصول ، وما بعدها صِلَتُهَا ، وهي معمولة لـ﴿يَدْعُوا﴾ ، والمعنى : لا أحد أضلُّ من شخص يعبد شيئاً لا يُجِيبُهُ ، أو الشيء الذي لا يُجِيبُهُ وَلَا يَنْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

قوله : ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ الغاية داخلَةٌ فِي الْمَغْنَى ، فهو كنايةٌ عن عدم الاستجابة فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ .

وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ مَائِنُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ...

وَهُم الْأَصْنَامُ لَا يُجِيبُونَ عَابِدِيهِمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْأَلُونَهُ أَبَدًا، ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾: عِبَادَتِهِمْ ﴿غَفِلُونَ﴾ لِأَنَّهُمْ جَمَادٌ لَا يَعْقِلُونَ.

﴿٦﴾ ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا﴾ أي: الأصنام ﴿لَهُمْ﴾: لِعَابِدِيهِمْ ﴿أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾: بِعِبَادَةِ عَابِدِيهِمْ ﴿كَافِرِينَ﴾: جاحدين.

﴿٧﴾ ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَائِنُنَا﴾: الْقُرْآنُ ﴿بَيَّنَّتْ﴾: ظَاهِرَاتِ - حَالِ - ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْهُمْ ﴿لِلْحَقِّ﴾ أي: الْقُرْآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنَ ظَاهِرٍ.

﴿٨﴾ ﴿أَمْ﴾ - بِمَعْنَى (بَل) وَهَمْزَةُ الْإِنْكَارِ - ﴿يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ أي: الْقُرْآنَ ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ﴾ فَرَضًا

حاشية الصاوي

قوله: (وَهُم الْأَصْنَامُ) عَبَّرَ عَنْهُمْ بِضَمِيرِ الْعُقْلَاءِ؛ مَجَارَاةً لِمَا يَزْعُمُهُ الْكَفَّارُ.

قوله: (لَأَنَّهُمْ جَمَادٌ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْغَفْلَةِ عَدَمُ الْفَهْمِ.

قوله: (وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ) أي: جُمِعُوا بَعْدَ إِخْرَاجِهِمْ مِنَ الْقُبُورِ.

قوله: (جاحدين) أي: مُنْكَرِينَ، وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِتَانَا تَعْبُدُونَ﴾

[يونس: ٢٨].

قوله: (حال) أي: مِنْ ﴿مَائِنُنَا﴾.

قوله: (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أَظْهَرَ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ؛ لِبَيَانِ وَصْفِهِمْ بِالْكَفْرِ، وَوَصَفِ الْآيَاتِ بِ(الْحَقِّ)، وَإِلَّا... فَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ (قَالُوا لَهَا).

قوله: (لَمَّا جَاءَهُمْ) أي: حِينَ جَاءَهُمْ.

قوله: (ظاهراً) أي: بَاهِرٌ لَا يِعَارِضُ إِلَّا بِمِثْلِهِ.

قوله: (أَمْ يَقُولُونَ...) إلخ) تَرَقَّى فِي الْإِنْكَارِ، وَانْتَقَلَ إِلَى مَا هُوَ أَشْنَعُ.

قوله: (فرضاً) أي: عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ.

فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ

﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: مِنْ عَذَابِهِ ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهِ عَنِّي إِذَا عَذَّبَنِي اللَّهُ، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تَقُولُونَ فِي الْقُرْآنِ، ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾ تَعَالَى ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لِمَنْ تَابَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِ فَلَمْ يُعَاجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.
﴿٩﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا: بِدِيعًا ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أَوَّلَ مُرْسَلٍ، قَدْ سَبَقَ قَبْلِي كَثِيرٌ مِنْهُمْ فَكَيْفَ تُكَذِّبُونِي؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فهو الْمُتَوَلَّى أُمُورِي، وَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ مَا أَصَابَنِي مِنْهُ غَيْرُهُ.

قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ أي: تَخُوضُونَ وَتَقْدَحُونَ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِكُمْ: هُوَ شَعْرٌ، هُوَ سِحْرٌ... وَغَيْرَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: فَيَشْهَدُ لِي بِالصِّدْقِ وَالْبَلَاغِ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّكْذِيبِ وَالْإِنْكَارِ.

قوله: ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِ الْمُنَاسِبُ أَنْ يَقُولَ: (الرَّحِيمُ بِعِبَادِهِ)؛ لِيَحْسُنَ تَرْتِيبَ قَوْلِهِ: (فَلَمْ يُعَاجِلْكُمْ... إلخ) عَلَيْهِ.

قوله: (فَلَمْ يُعَاجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ) أي: بَلْ أَمْهَلَكُمْ؛ لِتَتُوبُوا وَتَرْجِعُوا عَمَّا أَنْتُمْ عَلَيْهِ؛ فَفِيهِ وَعْدٌ حَسَنٌ بِالْمَغْفِرَةِ لِلتَّائِبِينَ، وَالرَّحْمَةُ بِجَمِيعِ الْعِبَادِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ حِلْمَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ شَامِلَةٌ لَهُمْ مَعَ عَظِيمِ جُرْمِهِمْ.

قوله: (بِدِيعًا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿بِدْعًا﴾ صِفَةٌ كـ(حَقٌّ) وَ(حَقِيقٌ)^(١)، وَهُوَ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ وَالْإِخْتِرَاعِ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَيْ: ذَا بِدْعٍ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِكَسْرِ الْبَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ، جَمْعُ (بِدْعَةٍ) أَيْ: مَا كُنْتُ صَاحِبَ بِدْعٍ، وَبِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ، وَصَفُ كـ(حَلِيزٍ)^(٢).

(١) فِي «الْفَتْوحَاتِ» (٤/١٢٩): كَالْحِفِّ وَالْحَفِيفِ).

(٢) قَرَأَ عِكْرَمَةُ وَأَبُو حَيَّةَ وَابْنُ أَبِي عُبَيْلَةَ: (بِدْعًا) بِفَتْحِ الدَّالِ جَمْعُ (بِدْعَةٍ)، وَقَرَأَ أَبُو حَيَّةَ أَيْضًا وَمُجَاهِدٌ (بِدْعًا) بِفَتْحِ الْبَاءِ وَكَسْرِ الدَّالِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (٩/٦٦٢).

وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ فِي وَلَا يَكْمُرُ إِنَّ أَنْبِئَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ

﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ فِي وَلَا يَكْمُرُ﴾ في الدنيا أخرج من بلدي أم أقتل كما فُعلَ بالأنبياء قبلي أو ترموني بالحجارة أم يُخسف بكم كالمُكذِّبين قبلكم، ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنْبِئَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بين الإنذار. ﴿٩﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني: ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانَ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾ - جملة حالية -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ فِي وَلَا يَكْمُرُ﴾ ﴿مَا﴾: استفهامية مبتدأ، والجملة بعدها: خبرها، وهي مُعلَّقة لـ (أدري) عن العمل، فهي سادة مسدَّ مفعولها.

ولما نزلت هذه الآية.. فرح المشركون والمنافقون وقالوا: كيف نتبع نبياً لا يدري ما يفعل به ولا بنا، وإنه لا فضل له علينا، ولولا أنه ابتدع الذي يقوله من تلقاء نفسه.. لأخبره الذي بعثه بما يفعل به، فنسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف الكفار بنزول قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ...﴾ [الفتح: ٢]، فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا رسول الله، لقد بين الله لك ما يفعل بك؛ فليت شعرنا ما هو فاعل بنا؟ فنزلت: ﴿يُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الآية، ونزلت: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾... (١).

فهذه الآية نزلت في أوائل الإسلام قبل بيان مال النبي والمؤمنين والكافرين، وإلا.. فما خرج ﷺ من الدنيا حتى أعلمه الله في القرآن ما يحصل له وللمؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة إجمالاً وتفصيلاً.

قوله: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ الحصرُ إضافي؛ أي: مُنذِرٌ عن الله، لا مخترعٌ من تلقاء نفسي؛ فلا ينافي أنه بشيرٌ أيضاً.

قوله: (ماذا حالكم؟) أشار بذلك إلى أنَّ مفعولي ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ محذوفان، دلَّت عليهما الجملة.

قوله: (جملة حالية) أي: وكذا ما بعدها من الجُمْلِ الثلاث، ويصحُّ جعل الجمل الأربعة معطوفاتٍ على فعل الشرط، فقولُ المفسِّر فيما يأتي: (عطف عليه) - يعني: من الجُمْلِ الأربعة - فيه تليقٌ، ويمكنُ أن يجاب: بأنَّ المراد العطف اللغوي.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩٩/٢٢) عن عكرمة والحسن البصري رحمهما الله تعالى.

وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَى مِثْلِهِ﴾ أي: عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﴿فَقَامَنَ﴾ الشَّاهِدُ ﴿وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾: تَكَبَّرْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ، - وَجَوَابُ الشَّرْطِ بِمَا عُطِفَ عَلَيْهِ: أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ؟ دَلٌّ عَلَيْهِ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿١١﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: فِي حَقِّهِمْ: ﴿لَوْ كَانَ﴾ الْإِيمَانُ ﴿خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (هو عبد الله بن سلام) وقيل: الشاهد موسى، وشهادته ما في التوراة من نَعْتِهِ ﷺ.

قوله: (أي: عليه) أشار بذلك إلى أن (مثل) صلة.

قوله: (أَلَسْتُمْ ظَالِمِينَ؟) المناسب لِلْمَفْسَّرِ تَقْدِيرُ الْفَاءِ؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْاسْتِفْهَامِيَّةَ إِذَا وَقَعَتْ جَوَابًا لِلشَّرْطِ .. لَزِمَتْ الْفَاءُ^(١).

قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... (إلخ) هذا من جُمْلَةِ قَبَائِحِ الْكُفَّارِ زَعَمًا مِنْهُمْ أَنَّ عِزَّ الْآخِرَةِ تَابِعٌ لِعِزِّ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ يَخْصُصُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ، وَلَا سِيَّما مَنْ لَمْ تَكُنِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّهِ وَمَبْلَغِ عِلْمِهِ.

وَرَدَ: أَنَّ الْقَائِلَ ذَلِكَ جُمْلَةٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَهُمْ بَنُو عَامِرٍ وَغُظْفَانٍ وَأَسَدٌ وَأَشْجَعٌ لَمَّا أَسْلَمَ جُهِينَةَ وَمُزَيْنَةَ وَأَسْلَمَ وَغِفَارَ^(٢).

قوله: (أي: فِي حَقِّهِمْ) أشار بذلك إلى أَنَّ اللَّامَ بِمَعْنَى (فِي)، وَيَصِحُّ أَنْ تَبْقَى عَلَى بَابِهَا.

قوله: ﴿لَوْ كَانَ﴾ الْإِيمَانُ... (إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي (كَانَ) عَائِدٌ عَلَى الْإِيمَانِ، وَيَصِحُّ عَوْدُهُ عَلَى الْقُرْآنِ، أَوْ عَلَى الرَّسُولِ، وَكُلُّهَا مَعَانٍ مُتَلَازِمَةٌ.

قوله: ﴿مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ التَّفَاتُ مِنَ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ، وَكَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ: مَا سَبَقْتُمُونَا إِلَيْهِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿إِلَيْهِ﴾ عَائِدٌ عَلَى مَا عَادَ عَلَيْهِ ضَمِيرُ ﴿كَانَ﴾.

(١) وقيل: جواب الشرط هو قوله: ﴿فَقَامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾، وقيل: هو محذوف تقديره: فَمَنْ الْمَحْقُوقُ مِنَّا وَالْمَبْطُلُ؟ وقيل: فَمَنْ أَضَلُّ؟ انظر «الدر المصون» (٩/٦٦٤).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/١٠٦).

وَاِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُوا هَذَا اِفْكٌ قَدِيرٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى اِمَامًا وَرَحْمَةً
وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانَا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ لِلْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٢﴾

وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا: أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿فَيَقُولُوا هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿اِفْكٌ﴾: كَذِبٌ ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كَتَبْتُ مُوسَى﴾ أي: التَّوْرَةَ ﴿اِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ بِهِ - حَالَانِ - ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كَتَبْتُ مُصَدِّقٌ﴾ لِلْكِتَابِ قَبْلَهُ ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ - حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿مُصَدِّقٌ﴾ - ﴿لِيُنْذِرَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا﴾: مُشْرِكِي مَكَّةَ ﴿وَوَ﴾ هُوَ ﴿يُبَشِّرُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾: الْمُؤْمِنِينَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾ ظرف لمحذوف، تقديره: زادوا طغياناً، وليس قوله: ﴿فَيَقُولُوا﴾ عاملاً فيه؛ لأمرين: وجود الفاء، وكون الفعل مستقبلاً؛ لأنَّ ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها، وبين الماضي والاستقبال تضاداً؛ فَإِنَّ الفعل مستقبلٌ و﴿إِذَا﴾ للماضي.

قوله: ﴿اِفْكٌ قَدِيرٌ﴾ أي: من قول الأقدمين، أتى به هو ونسبه إلى الله تعالى، فهو كقولهم: ﴿أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿كَتَبْتُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة حالية، أو مُستأنفة، وهو ردُّ لقولهم: ﴿هَذَا اِفْكٌ قَدِيرٌ﴾، والمعنى: لا يصح كونه إفكاً قديماً مع كونكم سلَّمتم كتاب موسى ورجعتم إلى حكمه؛ فَإِنَّ القرآن مُصَدِّقٌ لكتاب موسى وغيره، وفيه قِصَصُ المتقدمين من الرُّسل وغيرهم والمتأخرين.

قوله: (حالان) أي: من ﴿كَتَبْتُ مُوسَى﴾.

قوله: ﴿مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله) أي: كتاب موسى وغيره من باقي الكتب السماوية.

قوله: (حال من الضمير في ﴿مُصَدِّقٌ﴾) ويصح أن يكون حالاً من ﴿كَتَبْتُ﴾، و﴿عَرَبِيًّا﴾: صفة لـ ﴿لِسَانًا﴾.

قوله: ﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿مُصَدِّقٌ﴾.

قوله: ﴿وَيُبَشِّرُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ أشار المفسر بتقدير الضمير إلى أنه خبرٌ لمبتدأ محذوف، والجملة حالية، ويصح أن يكون معطوفاً على ﴿مُصَدِّقٌ﴾، فهو مرفوعٌ بضمة مقدَّرة، منع من ظهورها التعذر، ومنصوب عطف على محلِّ قوله: ﴿لِيُنْذِرَ﴾، كأنه قال: للإنذار والبشارة.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا

(١٣ - ١٤) ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا - حال - ﴿جَزَاءً﴾ - منصوب على المصدر بفعله المقدّر - أي: يُجزّون ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ﴿١٥﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا - وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: وخذوا ربهم، وقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ الاستقامة هي: العلم والعمل، وأتى بـ(ثم) إشارة إلى أن اعتبار العلم والعمل إنما يكون بعد التوحيد، وللدلالة على الاستمرار على الاستقامة، فليس المراد حصول الاستقامة مدة ثم يرجع للمخالفات.

قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: من وقت حضور الموت إلى ما لا نهاية له، فيأمنون من الفتنات^(١)، وسؤال الملكين، وعذاب القبر، وهول الموقف والنار.

قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: على ما فاتهم في الدنيا.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ أي: هي لهم بالأصالة.

قوله: (حال) أي: من ضمير ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾.

قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ لما كان حقّ الوالدين مطلوباً بعد حقّ الله تعالى.. ذكر الوصية بهما إثر ما يتعلق بحقوقه تعالى، ومُناسبة ذكر الوصية بالوالدين عقب ذكر صفات أهل الجنة وأهل النار.. لأنّ الإنسان يختلف حاله مع أبويه؛ فقد يبرّهما فيكون ملحقاً بأهل الجنة، وقد يعقهما فيكون ملحقاً بأهل النار.

قوله: (وفي قراءة) أي: سبعة أيضاً^(٢).

(١) كذا جمعه في الأصول، ولعل الأولى (فتان) كـ(رُمان)، وفي الحديث عند أبي داود في «سننه» (٣٠٧٠): «المسلم أخو المسلم يتعاونان على الفتان» يروى بضم الفاء وفتحها، فالضم: جمع فاتين؛ أي: يُعاون أحدهما الآخر على الذين يضلّون الناس عن الحق ويفتنونهم، وبالفتح هو الشيطان، لأنه يفتن الناس عن الدين. انظر «تاج العروس»، مادة (ف ت ن)، و«النهاية» لابن الأثير (٤١٠/٣).

(٢) قرأ الكوفيون: ﴿إِحْسَانًا﴾، وباقي السبعة: (حُسناً) بضم الحاء وسكون السين، فالقراءة الأولى يكون ﴿إِحْسَانًا﴾ فيها =

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا

أي: أَمَرْنَاهُ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمَا، - فنَصَبُ ﴿إِحْسَنَّا﴾ على الْمَصْدَرِ بِفَعْلِهِ الْمُقَدَّرِ، ومِثْلُهُ ﴿حَسَنًا﴾، - ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مَشَقَّةٍ، ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ﴾ مِنَ الرِّضَاعِ ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ سِتَّةَ أَشْهُرٍ أَقْلُ مُدَّةِ الْحَمْلِ، والْبَاقِي أَكْثَرُ مُدَّةِ الرِّضَاعِ، وَقِيلَ: إِنْ حَمَلَتْ بِهِ سِتَّةٌ أَوْ تِسْعَةٌ أَرْضَعَتْهُ الْبَاقِي،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: أَمَرْنَاهُ... إلخ) تفسيرٌ لكلٍّ من القراءتين.

قوله: (فنصب ﴿إِحْسَنَّا﴾... إلخ) بيانٌ لإعراب القراءتين على اللفِّ والنشر المشوَّش. والحُسْنُ والإِحْسَانُ بمعنى واحد، وهو جمالُ القول والفعل؛ بَأَنْ يُعْظِمَهُمَا وَيُوقِّرَهُمَا قَوْلًا وَفِعْلًا. قوله: (﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾... إلخ) عِلَّةٌ لقوله: ﴿وَصَبَّيْنَا﴾، واقتصر على ذكر الأم؛ لَأَنَّ حَقَّهَا أعظم؛ ولذلك قيل: إِنَّ لَهَا ثَلَاثِي الْأَجْرِ.

قوله: (﴿كُرْهًا﴾) بفتح الكاف وضمُّها قراءتان سبعيتان، ومعناها واحد^(١).

قوله: (أي: على مَشَقَّةٍ) أي: في أثناء الحمل؛ إذ لا مَشَقَّةٌ في أوَّلِهِ.

قوله: (﴿وَحَمَلُهُ﴾) أي: مُدَّةُ حملِهِ، وقوله: (﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾) خبر قوله: (حملِهِ) على حذف مضاف^(٢).

قوله: (إِنْ حَمَلَتْ بِهِ سِتَّةٌ) أي: مِنَ الشُّهُورِ، وقوله: (أَرْضَعَتْهُ الْبَاقِي) أي: مِنَ الثَّلَاثِينَ، وهو أربعة وعِشْرُونَ، أو أَحَدٌ وَعِشْرُونَ.

قيل: إِنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ إِنْسَانٍ، وَقِيلَ: إِنَّهَا خَاصَّةٌ بِمَنْ نَزَلَتْ فِي حَقِّهِ وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عليه السلام؛ لِمَا رَوَى: أَنَّ أُمَّهُ حَمَلَتْ بِهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَأَرْضَعَتْهُ أَحَدًا وَعِشْرِينَ شَهْرًا.

= منصوباً بفعل مقدر؛ أي: وَصَّيْنَاهُ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمَا إِحْسَانًا - كما ذهب إليه المفسر - وقيل: بل هو مفعول به على تضمين (وَصَّيْنَا) معنى (الزَّمْنَا)، فيكون مفعولاً ثانياً، وقيل: بل هو منصوب على المفعول له؛ أي: وَصَّيْنَاهُ بِهِمَا إِحْسَانًا مَتَى إِلَيْهِمَا. انظر «الدر المصون» (٦٦٧/٩).

(١) الكوفيون وابن ذكوان بضم الكاف فيهما، والباقون بالفتح، وهما لغتان بمعنى واحد؛ مثل: الضَّعْفُ والضُّعْفُ، وقيل: المضموم: اسم، والمفتوح: مصدر. انظر «السراج المنير» (٨/٤).

(٢) أي: ومُدَّةُ حملِهِ ومُدَّةُ فِصالِهِ ثَلَاثُونَ شَهْرًا، ولولا هذا الإضمار... لنصب (ثلاثون) على الظرف وتغيَّرَ المعنى. انظر «تفسير القرطبي» (١٩٣/١٦).

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

﴿حَتَّىٰ﴾ - غاية لجملة مُقدَّرة - أي: وعاشَ حَتَّىٰ ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كَمَالُ قُوَّتِهِ وَعَقْلِهِ ورأيه، أَقْلُهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً أَوْ ثَلَاثُونَ، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تَمَامُهَا وهو أَكْثَرُ الْأَشُدِّ، ﴿قَالَ رَبِّ...﴾ إلخ نَزَلَ فِي أَبِي بَكْرٍ الصُّدِّيقِ لَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ آمَنَ بِهِ، ثُمَّ آمَنَ أَبَوَاهُ ثُمَّ ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو عَتِيقٍ، ﴿أَوْزِعْنِي﴾: أَلْهَمْنِي ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بِهَا

حاشية الصاوي

قوله: (غاية لجملة مقدرة) أي: معطوفة على قوله: ﴿وَوَضَعْنَهُ﴾، أو مستأنفة.

قوله: (أقله ثلاث وثلاثون سنة) أي: لأنَّ هذا الوقت هو الوقت الذي يكمل فيه بدن الإنسان.

قوله: (إلى آخره) أي: وآخرها قوله: ﴿وَأَنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله: (نزل) أي: المذكور من قوله تعالى: ﴿وَوَضَعْنَا الْإِنْسَانَ﴾... إلخ، وحاصل ذلك: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وهو ابن ثمان عشرة والنبي ﷺ ابن عشرين سنة في تجارة إلى الشام، فنزلوا منزلاً فيه سِدْرَةٌ، ففقد النبي ﷺ في ظِلِّهَا، ومضى أبو بكر إلى راهب هناك، فسأله عن الدين، فقال له الراهب: مَنْ الرجل الذي في ظلِّ السدرة؟ فقال: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فقال الراهب: هذا والله نبيٌّ، وما استظلَّ تحتها بعد عيسى أحدٌ إلا هذا، وهو نبيُّ آخر الزمان، فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، وكان لا يُفَارِقُ النَّبِيَّ ﷺ في سفرٍ ولا حضرٍ، فلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَأَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنُبُوَّتِهِ، واختصَّ برسالته.. آمَنَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَصَدَّقَهُ وهو ابنُ ثمان وثلاثين سنةً، فلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً.. دعا رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾... الآية^(١).

قوله: (ثم آمَنَ أبواه) عثمانُ بن عامر بن عمرو، وكُنْيَتُهُ أَبُو قُحَافَةٍ، وأُمُّهُ أُمُّ الْخَيْرِ بنت صخر بن عمرو.

قوله: (وابن عبد الرحمن) واسمه محمد، وكلُّهُمْ أَدْرَكُوا النَّبِيَّ ﷺ، ولم يَجْتَمِعْ هذا لأحدٍ من الصحابة غير أبي بكر، وامرأة أبي بكر اسمها قُتَيْلَةُ بنت عبد العزَّى، وامرأة أبيه اسمها قَيْلَةُ.

قوله: (ألهمني) أي: رغبني ووفَّقني.

(١) انظر «أسباب النزول» للإمام الطبري (ص ٣٩٦)، و«زاد المسير» (٤/١٠٧).

عَلَى وَعَلَى وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ

﴿عَلَى وَعَلَى وَلَدَيَّ﴾ وهي التَّوْحِيدُ ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ فَأَعْتَقَ تِسْعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُعَذَّبُونَ فِي اللَّهِ، ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ فَكُلُّهُمْ مُؤْمِنُونَ، ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿١٦﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ أَي: قَائِلُو هَذَا الْقَوْلِ أَبُو بَكْرٍ وَغَيْرُهُ ﴿الَّذِينَ يُنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنُ﴾: بِمَعْنَى حَسَنَ

حاشية الصاوي

قوله: (فأعتق تسعة) أي: افتداهم من أيدي الكفار، وخلّصهم من أذاهم، فهو عتقٌ صوريٌّ، ولم يُرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه.

قوله: (﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾) أي: اجعل الصلاح سارياً فيهم، وعبرَ به (في) إشارةً إلى أنهم كالظرف للصلاح؛ لِتَمَكُّنِهِ مِنْهُمْ^(١).

قوله: (فكلّهم مؤمنون) أي: فالصلاح مقولٌ بالتشكيك^(٢)؛ يَتَحَقَّقُ بِأَصْلِ الْإِيمَانِ، ويتزايدون فيه على حَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ.

قوله: (أي: قائل^(٣) هذا القول) أشار بذلك إلى أَنَّ الْعِبْرَةَ بَعْمُومِ الْفِعْلِ، لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

قوله: (﴿الَّذِينَ يُنْقَبِلُ﴾) هو (وَيُتَجَاوَزُ) بالياء مبنياً للمفعول، أو بالنون مبنياً للفاعل، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بالياء مبنياً للفاعل^(٤).

قوله: (بمعنى: حَسَنَ) أشار بذلك إلى أَنَّ اسْمَ التَّفْضِيلِ لَيْسَ عَلَى بَابِهِ.

(١) وقيل: إنه عُدِّي به (في)؛ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى اللَّطْفِ؛ أَي: الطُّفُّ بِي فِي ذُرِّيَّتِي. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٣١/٨).

(٢) المعنى المشترك إذا كانت النسبة فيه متفاضلة. . سماه المصطلحون من باب التشكيك، وإذا كانت النسبة واحدة سَمَّوْهُ مُتَوَاطِئًا، والصلاح هنا يُسَبِّهُ مُتَفَاضِلَةً.

(٣) في «الفتوحات» (١٣٤/٤): (قائلو)، وهي الموافقة لنسخ الجلال.

(٤) قرأ الأخوان وحفص: ﴿تَنْقَبِلُ﴾ بفتح النون مبنياً للفاعل ونصبِ ﴿أَحْسَنَ﴾ على المفعول به، وكذلك ﴿وَيُتَجَاوَزُ﴾، والباقون بينائهما للمفعول ورفع (أَحْسَنَ)؛ لِقِيَامِهِ مَقَامَ الْفَاعِلِ وَمَكَانِ النُّونِ يَاءَ مَضْمُومَةٍ فِي الْفَعْلَيْنِ، وَالْحَسَنُ وَالْأَعْمَشُ وَعِيسَى بِالْيَاءِ مِنْ تَحْتِ، وَالْفَاعِلُ اللَّهُ تَعَالَى. انظر «الدر المصون» (٦٦٩/٩).

مَا عَمِلُوا وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدِهِ أُفٍّ.....

﴿مَا عَمِلُوا وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ - حال - أي: كائنين في جُمْلَتِهِمْ، ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ٧٢].
(١٧) - (١٨) ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدِهِ﴾ - وفي قراءة بالإدغام - أريد به الجنس ﴿أُفٍّ﴾ - بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر -

حاشية الصاوي

قوله: (حال) أي: من ضمير ﴿عَنْهُمْ﴾.

قوله: ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدّر؛ أي: وعدهم الله وعد الصديق.

قوله: ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^(١) أي: في الدنيا على لسان رسول الله ﷺ.

قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدِهِ﴾... إلخ اسم الموصول معمول لمحذوف، تقديره: اذكر يا محمد لقومك الشخص الذي قال لوالديه... إلخ، ويحتمل أنه مبتدأ، خبره قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾... إلخ؛ والمراد منه: الجنس، لا شخص مُعَيَّن؛ ولذا أخبر عنه بالجمع؛ مراعاةً لمعناه، فهي واردة في كل شخص كافر عاق لوالديه المسلمين، وهذا هو الصحيح، خلافاً لمن شذَّ وقال: إنَّ هذه الآية نزلت في حقَّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه؛ فإنَّه كان من أفاضل الصحابة وخيارهم، وقد كذَّبت الصديقَةُ مَنْ قال ذلك^(٢)، ويردُّه أيضاً قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾... إلخ.

قوله: (وفي قراءة بالإدغام) أي: وهي سبعة أيضاً^(٣).

قوله: (بكسر الفاء) أي: مع التنوين وتركه، وقوله: (وفتحها) أي: من غير تنوين، فالقراءات

(١) في (أ): (الذي كانوا يوعدون) بتقدير العائد على الموصول.

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٤٨٢٧) قائلة لمروان بن الحكم لما أراد إخراج أخيها من بيتها: (ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عُذْرِي)، قال الإمام القسطلاني في «إرشاد الساري» (٣٤٠/٧): (ونفي عائشة أصحَّ إسناداً ممن روى غيره، وأولى بالقبول).

(٣) قرأ أبو عمرو بإدغام لام (قال) بلام الجر في (لوالديه). انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩٦).

لَكُمْ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ

أي: نَتَنَّا وَقُبْحًا، ﴿لَكُمْ﴾: أَتَضَجَّرُ مِنْكُمْ، ﴿أَتَعْدَانِي﴾ - وفي قراءة بِالْإِدْغَامِ - ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ مِنْ الْقَبْرِ ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ﴾: الْأَمْسُ ﴿مِنْ قَبْلِي﴾ وَلَمْ تُخْرَجْ مِنَ الْقُبُورِ؟ ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾: يَسْأَلَانِهِ الْغُوثَ بِرُجُوعِهِ وَيَقُولَانِ: إِنْ لَمْ تَرْجِعْ ﴿وَيْلَكَ﴾ أي: هَلَاكَ بِمَعْنَى هَلَكْتَ

حاشية الصاوي

ثلاث سبَعِيَّات^(١)، وهو مصدر (أَفَّ يُوْفُّ أَفًّا) بمعنى: نَتَنَّا وَقُبْحًا، أو هو اسمُ صوتٍ يدلُّ على تَضَجُّرٍ، أو اسمُ فعلٍ (أَتَضَجَّرُ)، والمفسِّرُ أشارَ لِاثْنَيْنِ مِنْهَا بقوله: (بمعنى: مصدر)، وبقوله: (أَتَضَجَّرُ مِنْكُمْ). قوله: (أي: نَتَنَّا) التَّنُّن: القَذَارَةُ، والرَّائِحَةُ الْكَرِيهَةُ، وهو كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الرِّضَا بِفَعْلِهِمَا وَالتَّضَجُّرُ مِنْهُمَا.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(٢).

قوله: ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ هذا هو الموعودُ بِهِ، والبَاءُ مَحْذُوفَةٌ؛ أي: بِأَنْ أُخْرَجَ، وَحُذِفَ الْجَارُ مع (أَنْ) مُطَرِّدٌ.

قوله: ﴿وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾ الجملةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: (ولم تُخْرَجْ مِنَ الْقُبُورِ) أي: زَعَمًا مِنْهُ أَنَّ الْخُرُوجَ مِنَ الْقُبُورِ لَوْ كَانَ صَدَقًا. لَحَصَلَ قَبْلَ انْقِضَاءِ الدُّنْيَا.

قوله: ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ اعْلَمْ: أَنَّ مَادَّةَ الْاسْتِغَاثَةِ تَتَعَدَّى بِنَفْسِهَا تَارَةً، وَبِالْبَاءِ أُخْرَى، لَكِنْ لَمْ تَرِدْ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا مَتَعَدِّيةً بِنَفْسِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿فَأَسْتَغْنَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [القصص: ١٥].

قوله: (يَسْأَلَانِهِ الْغُوثَ) أي: إِغَاثَةً ذَلِكَ الْوَلَدِ بِتَوْفِيقِهِ لِلْإِسْلَامِ.

قوله: ﴿وَيْلَكَ﴾ معمولٌ لمَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بقوله: (ويقولان... إلخ)، وَذَلِكَ الْمَحْذُوفُ حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿يَسْتَغِيثَانِ﴾، وَالْمَعْنَى: يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ حَالِ كَوْنِهِمَا قَائِلَيْنِ: وَيْلَكَ، فَهُوَ فَعْلٌ أَمْرٍ^(٣).

(١) قرأ المدنيان وحفص بكسر الفاء منونة، وقرأ يعقوب وابن عامر وابن كثير بفتحها من غير تنوين، والباقون بكسرها من غير تنوين. «البدور الزاهرة» (ص ٢٩٥).

(٢) قرأ هشام بإدغام النون الأولى في الثانية فينطق بنون مشددة مكسورة، ويمد طويلاً للساكنين، والباقون بنونين خفيفتين، وفتح ياء الإضافة المدنيان والمكي، وأسكنها غيرهم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩٥).

(٣) كذا في الأصول؛ بتقديم (فهو فعل أمر)، ولعله سهوٌ من الناسخ، وحقها أن تكون بعد قوله: (واعترف)؛ لأن الضمير يرجع على (آمن)؛ كما هي عبارة «الفتوحات» (٤/ ١٣٥).

ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ

﴿ءَامِنٌ﴾ بِالسَّبْعِ؛ ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا﴾ أي: القولُ بِالسَّبْعِ ﴿إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أكاذيبُهم. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾: وَجَبَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَنِيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وَلِكُلِّ﴾ مِنْ جِنْسِي الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ ﴿دَرَجَتٌ﴾؛ فَدَرَجَاتُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ عَالِيَةٌ، وَدَرَجَاتُ الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ سَافِلَةٌ، ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْكَافِرُونَ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿وَلِيُوفيَهُمْ﴾ أي: اللَّهُ، وَفِي قِرَاءَةِ بِالنُّونِ ﴿أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: جَزَاءُهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ءَامِنٌ﴾ أي: صدَّق واعتَرَف.

قوله: ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ جملةٌ مستأنفة، أو تعليلٌ لما قبلها.

قوله: ﴿أَكَاذِبُهُمْ﴾ أي: التي اخترعوها من غير أن يكون لها أصل.

قوله: ﴿فِي أَمْرٍ﴾ حال من ضمير ﴿عَلَيْهِمُ﴾، والمعنى: ثبت عليهم القول في عِداد أُمم... إلخ.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ﴾ أي: كافرين ابتداءً وانتهاءً.

قوله: ﴿وَلِكُلِّ﴾ خبرٌ مقدَّم، و﴿دَرَجَتٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والمعنى: لكلِّ شخصٍ من المؤمنين والكفار.

قوله: ﴿دَرَجَتٌ﴾ في الكلام تغليبٌ؛ لأنَّ مراتب أهل النار يُقال لها: (درجات) بالكاف لا بالجيم، أو تسمُّحٌ؛ حيث أطلق (الدرجات) وأراد المنازل، علويةً أو سفليةً.

قوله: ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: من أجل ما عملوا من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: ﴿وَلِيُوفيَهُمْ﴾ عطفٌ علَّةٌ على معلول، والمعنى: جازاهم بذلك ليُوفيَهُم.

قوله: (أي: جزاءها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبَتُكُمْ

﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً يُنْقِصُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُزَادُ لِلْكَفَّارِ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بِأَنْ تُكْشَفَ لَهُمْ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَذْهَبَتْكُمْ﴾ - بِهَمْزَةٍ وَبِهَمْزَتَيْنِ، وَبِهَمْزَةٍ وَمُدَّةٍ، وَبِهِمَا وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ - ﴿طَبِيبَتُكُمْ﴾ بِاشْتِغَالِكُمْ بِلَذَاتِكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: (ينقص للمؤمنين) أي: من درجاتهم، بل قد يزداد لهم فيها.

قوله: (ويُزداد للكفار) أي: في دركاتهم، بل قد يخفف عن بعضهم، كأبي طالب وأبي لهب.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ﴾ (يوم): معمولٌ لمحذوف، قدَّره المفسر بقوله: (يقال لهم)، والمعنى: يُقال لهم: ﴿أَذْهَبَتْكُمْ... إلخ﴾ وقتَ عرضهم على النار.

قوله: (بأن تُكشَفَ له) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام فيه قلبٌ، والأصل: ويوم تعرض النار على الذين كفروا؛ أي: يُكشَفُ لهم عنها، وأتى به كذلك؛ لأنَّ عَرْضَ الشخص على النار أشدُّ في إهانته من عرض النار عليه؛ لأنَّ عَرْضَهُ عليها يُفيد أنه كالحطب المجعول للإحراق، وإنما كان فيه قلبٌ؛ لأنَّ المعروضَ عليه شأنه العلم والاطِّلاع، والنار ليست كذلك.

وقيل: المراد بالعرض: العذاب، وحينئذٍ: فليس فيه قلبٌ، وقد أفاد هذا المعنى المفسر آخرًا بقوله: (ويعذبون بها).

قوله: (يُقال لهم) هذا المقدَّر عاملٌ في جملة ﴿أَذْهَبَتْكُمْ﴾، وناصبٌ لـ (يوم) على الظرفية.

قوله: ﴿أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبَتُكُمْ﴾ (أي: ما قُدِّرَ لكم من المستلذات، فقد استوفيتُموه في الدنيا، فلم يبقَ لكم حظٌّ تأخذونه في الآخرة).

قوله: (بهَمْزَة... إلخ) أشار المفسر لخمس قراءات: بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بألف بينهما على الوجهين وتركه، وهمزة واحدة، وأَجْمَلَ في ذلك؛ فقوله: (بهَمْزَة) هي إحدى القراءات الخمس، وقوله: (وبهمزتين) أي: محققتين بغير مدٍّ بينهما، ثانيتهما، وقوله: (وبهمزة ومدة) المناسب: (وبهمزتين محققتين، ومدة)، وهي ثالثتهما، وقوله: (وبهما وتسهيل الثانية) أي: بمدَّة ودونها، فقد تَمَّت الخمس^(١).

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزتين مفتوحتين؛ الأولى: مُحَقَّقة بلا خلاف، والثانية: مسهَّلة بخلاف عن هشام، وأدخل هشام بينهما ألفاً، ولم يدخل ابن كثير وابن ذكوان، والباقون بهمزة واحدة مُحَقَّقة. انظر «السراج المنير» (١٢/٤).

فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ

﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ﴾: تَمَتَّعْتُمْ ﴿بِمَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي: الْهُوانِ ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: تَتَكَبَّرُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ بِهِ وَتُعَذَّبُونَ بِهَا.

﴿٢٠﴾ ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هُوَ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِذْ﴾ . . . إلخ - بَدَلِ اسْتِمَالٍ - ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾: خَوَّفَهُمْ ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾: وَادٍ بِالْيَمَنِ بِهِ مَنَازِلُهُمْ ﴿وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ﴾: مَضَتْ الرُّسُلُ

حاشية الصاوي

قوله: (إلى الهوان) أشار بذلك إلى أنه من إضافة الموصوف لإصِفته.

قوله: (﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾) وصفٌ كاشفٌ؛ لأنَّ الاستكبار لا يكون إلا بغير الحق؛ فإنَّ الكبرياء وصفٌ الله وحده.

قوله: (به) متعلق بـ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ و﴿تَفْسُقُونَ﴾، وَقَدَّرَهُ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ الْعَائِدَ مَحْذُوفٌ، وَيَصَحُّ أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرَةً؛ أَي: بِكَوْنِهِمْ مُسْتَكْبِرِينَ فَاسِقِينَ، وَالْمَرَادُ بِالْاِسْتِكْبَارِ: الْفَوَاحِشُ الْبَاطِنِيَّةُ، وَبِالْفِسْقِ: الْفَوَاحِشُ الظَّاهِرِيَّةُ.

قوله: (وَيُعَذَّبُونَ بِهَا) عطفتُ على ﴿يُعْرَضُ﴾ عطفتُ تفسيرا، فهو تفسيرٌ آخر للعَرْضِ، فالمناسب تقديمه، و(على) بمعنى الباء.

قوله: (﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾) أي: في النسب، لا في الدين؛ لأنَّ هوداً هو وقومه يَتَسَبَّوْنَ لِعَادٍ.

قوله: (هو هود بن عبد الله بن رباح) وتقدَّم ذكره تفصيلاً في سورة (هود) ^(١).

قوله: (بَدَلِ اسْتِمَالٍ) أي: فالمقصود ذكر قصته مع قومه؛ للاعتبار بها.

قوله: (﴿بِالْأَحْقَافِ﴾) حالٌّ من ﴿قَوْمَهُ﴾ أي: أنذَرَهُمُ والحالُ أنهم يُقِيمُونَ بِالْأَحْقَافِ.

قوله: (وَادٍ بِالْيَمَنِ) أي: فهو عَلَمٌ عَلَى الْوَادِي، لا جَمْعٌ، وقوله: (ومنازلهم) تفسيرٌ آخر، وعليه: فهو جمع (حِقْفٍ)، وهو الرَّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ، وتقدَّم القولان في أوَّل السورة، وقيل: إِنَّ الْأَحْقَافَ جَبَلٌ بِالشَّامِ.

قوله: (﴿وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ﴾) الواو: اعتراضية، والخلوُ بالنسبة لِمَنْ رَسُلَ اللهُ ﷺ، وأتى بهذه

مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۖ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا
أَحِثَّنَا لِنَأْفِكَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾

﴿مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: مِنْ قَبْلِ هُودٍ وَمِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَقْوَامِهِمْ، ﴿أَنَّ﴾ أي: بِأَنَّ قَالَ:
﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ - وَجُمْلَةُ ﴿وَقَدْ خَلَّتِ﴾ مُعْتَرِضَةٌ - ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إِنْ عَبْدْتُمْ غَيْرَ اللَّهِ
﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٣﴾) ﴿قَالُوا أَحِثَّنَا لِنَأْفِكَا عَنْ ءَالِهَتِنَا﴾: لِنَتَصَرَّفْنَا عَنْ عِبَادَتِهَا، ﴿فَأَيْنَا بِمَا
تَعِدُنَا﴾ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى عِبَادَتِهَا ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي أَنَّهُ يَأْتِينَا،

حاشية الصاوي

الْجُمْلَةُ لِبَيَانِ أَنَّ إِذْهَارَ هُودٍ لَعَادَ وَقَعَ مِثْلُهُ لِلرَّسْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ وَالتَّأَخِّرِينَ عَنْهُ، فَلَمْ يَكُنْ مُخْتَصًّا
بِهِودٍ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الذُّرُورُ﴾... إلخ؛ أي: مَضَى لَكَ ذِكْرُهُمْ فِي الْقُرْآنِ مِرَارًا؛
فَلَا حَاجَةَ لِلْإِعَادَةِ، فَهُوَ ذِكْرُ لِبَاقِي الْقِصَصِ إِجْمَالًا، نَظِيرُ قَوْلِهِ فِيْمَا تَقَدَّمَ: ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾
[الزخرف: ٨]، فَتَدَبَّرْ.

قَوْلُهُ: (أي: مِنْ قَبْلِ هُودٍ... إلخ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرَتَّبٌ، وَالَّذِينَ قَبْلَهُ أَرْبَعَةٌ: آدَمُ، وَشِيثُ،
وَإِدْرِيسُ، وَنُوحُ، وَالَّذِينَ بَعْدَهُ كَصَالِحُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَإِسْمَاعِيلُ، وَإِسْحَاقُ، وَسَائِرُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.
قَوْلُهُ: (إِلَى أَقْوَامِهِمْ) مُتَعَلِّقٌ بِ(مَضَتْ)؛ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى (مُرْسَلِينَ).

قَوْلُهُ: (أي: بِأَنَّ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَنَّ) إِمَّا مُصَدِّرِيَّةٌ، أَوْ مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَالبَاءُ الْمُقَدَّرَةُ
لِلتَّصْوِيرِ.

قَوْلُهُ: (مُعْتَرِضَةٌ) أَي: بَيْنَ الْإِنْذَارِ وَمَعْمُولِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾ عِلَّةُ لِقَوْلِهِ: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾.

قَوْلُهُ: ﴿عَظِيمٍ﴾ بِالْجُرِّ، صِفَةُ لـ(يَوْمٍ)، وَوَصَفَ الْيَوْمَ بِالْعَظَمِ؛ لِشِدَّةِ هَوْلِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿قَالُوا أَحِثَّنَا﴾ أَي: جَوَابًا لِإِنْذَارِهِ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ شَرْطٌ حُذِفَ جَوَابُهُ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ.

قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ. أَرْنَكُمْ قَوْمًا بَٰجِهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا.....

﴿قَالَ﴾ هُود: ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو الذي يَعْلَمُ مَتَى يَأْتِيكُمْ الْعَذَابُ، ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إِلَيْكُمْ ﴿وَلَكِنِّي أَرْنَكُمْ قَوْمًا بَٰجِهَلُونَ﴾ بِاسْتِعْجَالِكُمُ الْعَذَابَ.

﴿٢٤﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أَي: مَا هُوَ الْعَذَابُ ﴿عَارِضًا﴾: سَحَابًا عَرَضَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ أَي: مُّمْطِرٌ إِيَّانَا، قَالَ تَعَالَى:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَي: عَلِمْتُ وَقْتِ إِتْيَانِ الْعَذَابِ عِنْدَ اللَّهِ؛ فَلَا عِلْمَ لِي بِوَقْتِهِ، وَلَا مَدْخَلَ لِي فِي اسْتِعْجَالِهِ.

قوله: ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي﴾ أَي: إِنَّ وَظِيفَتِي تَبْلِيغُكُمْ، لَا الْإِتْيَانُ بِالْعَذَابِ؛ إِذْ لَيْسَ فِي طَاقَتِي.

و﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: بِسُكُونِ الْبَاءِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ، وَبِفَتْحِهَا وَتَشْدِيدِ اللَّامِ مَكْسُورَةً، قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿وَلَكِنِّي﴾ بِسُكُونِ الْيَاءِ وَفَتْحِهَا، قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: ﴿أَي: مَا هُوَ الْعَذَابُ﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الضَّمِيرَ فِي ﴿رَأَوْهُ﴾ عَائِدٌ عَلَى (مَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿يَمَّا تَعْدُنَا﴾.

قوله: ﴿سَحَابًا عَرَضَ﴾ أَي: فَالْعَارِضُ هُوَ: السَّحَابُ الَّذِي يُعْرِفُ فِي الْأَفْقِ.

قوله: ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ أَي: مُتَوَجِّهًا إِلَيْهَا، وَالْإِضَافَةُ لَفْظِيَّةٌ لِلتَّخْفِيفِ، وَكَذَا هِيَ فِي قَوْلِهِ: ﴿مُطْرُنَا﴾؛ وَلِذَا وَقَعَ الْمُضَافُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ صِفَةً لِلنَّكْرَةِ وَهِيَ ﴿عَارِضًا﴾ وَ﴿عَارِضٌ﴾.

قوله: ﴿أَي: مُطْرٌ إِيَّانَا﴾ أَي: يَأْتِينَا بِالْمَطَرِ.

قوله: ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بَلْ هُوَ...﴾ إلخ من كَلَامِهِ تَعَالَى، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ هُودٍ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنَا﴾ وَهُوَ الْأَوَّلَى.

(١) قرأ أبو عمرو بسكون الباء الموحدة وتخفيف اللام، والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام. انظر «السراج المنير» (١٣/٤).

(٢) وقرأ نافع والبرقي وأبو عمرو بفتح الياء، والباقون بسكونها. انظر «السراج المنير» (١٤/٤).

بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾

﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب، ﴿ريح﴾ - بدل من ﴿مَا﴾ - ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.
 ﴿٢٥﴾ ﴿تُدْمِرُ﴾: تُهْلِكُ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مَرَّتَ عَلَيْهِ ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾: بِإِرَادَتِهِ، أي: كُلَّ شَيْءٍ
 أَرَادَ إِهْلَاكَهَ بِهَا، فَأَهْلَكَتِ رِجَالَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَصِبَاغَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، بِأَنْ طَارَتْ بِذَلِكَ بَيْنَ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَمَزَقَّتْهُ وَبَقِيَ هُودٌ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ، ﴿فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ﴾
 كَمَا جَزَيْنَاهُمْ ﴿نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ غَيْرَهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿مَا﴾) أي: أو خبرٌ لمحذوف؛ أي: هي ريح.

قوله: (﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾) الجملة صفة لـ ﴿ريح﴾، وكذا قوله: ﴿تُدْمِرُ﴾.

قوله: (أي: كل شيء أَرَادَ إِهْلَاكَهَ بِهَا) تفسيرٌ لقوله: ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾.

قوله: (فأهلكت رجالهم) قدّر هذا؛ ليعطف عليه قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا﴾... إلخ.

رُوي: أَنَّ هُودًا لَمَّا أَحَسَّ بِالرَّيْحِ.. أَخَذَ الْمُؤْمِنِينَ وَوَضَعَهُمْ فِي حَظِيرَةٍ، وَقِيلَ: خَطَّ حَوْلَهُمْ
 خَطًّا، فَكَانَتِ الرِّيحُ لَا تَعْدُو الْخَطَّ، وَجَاءَتِ الرِّيحُ فَأَمَالَتْ الْأَحْقَافَ عَلَى الْكُفْرَةِ، فَكَانُوا تَحْتَهَا سَبْعَ
 لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يُسْمَعُ لَهُمْ أُنِينَ، ثُمَّ كَشَفَتْ عَنْهُمْ الرَّمْلَ، وَاحْتَمَلَتْهُمْ فَقَذَفَتْهُمْ فِي الْبَحْرِ^(١).

قوله: (وبقي هُودٌ ومن آمن معه) أي: وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَكَانَتِ الرِّيحُ تَأْتِيهِمْ لَيْنَةً بَارِدَةً طَيِّبَةً،
 وَالرِّيحُ الَّتِي تُصِيبُ قَوْمَهُ شَدِيدَةٌ عَاصِفَةٌ مُهْلِكَةٌ، وَهِيَ مُعْجِزَةٌ عَظِيمَةٌ لِهُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله: (﴿فَأَصْبَحُوا﴾) أي: صَارُوا.

قوله: (﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾) بِنَاءُ الْخَطَابِ، وَنَصَبُ (الْمَسَاكِنِ)، أَوْ بِنَاءُ الْغَيْبَةِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ
 وَرَفْعِ (مَسَاكِنِ) عَلَى أَنَّهُ نَائِبُ الْفَاعِلِ، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢)، وَالْمَعْنَى: فَصَارُوا لَا يَرَى إِلَّا أَثْرُ
 مَسَاكِنِهِمْ؛ لِأَنَّ الرِّيحَ لَمْ تَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْآثَارُ، وَالْمَسَاكِنُ مُعْطَلَةٌ.

قوله: (كَمَا جَزَيْنَاهُمْ) أي: عَادَا.

(١) انظر «تفسير البياضوي» (١١٥/٥).

(٢) قَرَأَ حَمْزَةً وَعَاصِمٌ (لَا يَرَى) بِضَمِّ الْيَاءِ مِنْ تَحْتِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَالْبَاقُونَ مِنَ السَّبْعَةِ بَفَتْحِ تَاءِ الْخَطَابِ. انظر «الدر

المصون» (٦٧٥/٩).

وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ
وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ فِيمَا : فِي الَّذِي ﴿إِنْ﴾ - نَافِيَةٌ أَوْ زَائِدَةٌ - ﴿مَكَّنَّاكُمْ﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ
﴿فِيهِ﴾ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْمَالِ ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ : بِمَعْنَى أَسْمَاعًا ﴿وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً﴾ : قُلُوبًا،
﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أَي : شَيْئًا مِنَ الْإِغْنَاءِ، - (وَمِنْ)
زَائِدَةٌ - ﴿إِذْ﴾ - مَعْمُولَةٌ لـ ﴿أَغْنَى﴾، وَأُشْرِبَتْ مَعْنَى التَّعْلِيلِ - ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ :
بِحُجَجِهِ الْبَيِّنَةِ، ﴿وَحَاقَ﴾ : نَزَلَ ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أَي : الْعَذَابُ.

حاشية الصاوي.

قوله : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّهُمْ﴾ (أي : عَادًا).

قوله : (فِي الَّذِي) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ (مَا) مَوْصُولَةٌ.

قوله : (نَافِيَةٌ) أَي : بِمَعْنَى (مَا)، وَلَمْ يُؤْتِ بَلْفِظُهَا دَفْعًا لِثِقَلِ التَّكْرَارِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى : وَلَقَدْ
مَكَّنَّا عَادًا فِي الَّذِي لَمْ تُمَكِّنْكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ فِيهِ.

قوله : (أَوْ زَائِدَةٌ) أَي : وَالْمَعْنَى : وَلَقَدْ مَكَّنَّا عَادًا فِي مِثْلِ الَّذِي مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ، وَيَصَحُّ أَنْ تَكُونَ
شَرْطِيَّةً، وَجَوَابُهَا مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ : وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الَّذِي إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ . . . طَغَيْتُمْ وَبَغَيْتُمْ.
وَأَوْضَحُهَا أَوَّلُهَا.

قوله : ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ . . . (إِلَخ) أَفْرَدَ السَّمْعَ ؛ لِأَنَّ مَا يُدْرِكُ بِهِ مُتَّحِدٌ، وَهُوَ الصَّوْتُ،
بِخِلَافِ مَا بَعْدَهُ مِنَ الْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ ؛ فَإِنَّهُ يُدْرِكُ بِهِمَا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً.

قوله : (أَي : شَيْئًا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، مَنْصُوبٌ بِفَتْحَةِ مُقَدَّرَةٍ، مَنَعَ
مِنْ ظَهُورِهَا حَرَكَةُ حَرْفِ الْجَرِّ الزَّائِدِ.

قوله : (مَعْمُولَةٌ لـ ﴿أَغْنَى﴾) أَي : لِتَفْهِيمِهِ ؛ فَإِنَّ التَّعْلِيلَ لِلنَّفْيِ، وَالْمَعْنَى : انْتَفَى نَفْعُ هَذِهِ الْحَوَاسِّ
عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَجْحَدُونَ . . . (إِلَخ).

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٨﴾ ...

﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ ﴿٢٧﴾ أي: من أهلها كَثُودَ وعَادٍ وقَوْمَ لُوطٍ، وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ ﴿٢٧﴾: كَرَّرْنَا الْحُجَجَ الْبَيِّنَاتِ ﴿٢٧﴾ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾.

﴿٢٨﴾ فَلَوْلَا ﴿٢٨﴾: هَلَّا ﴿٢٨﴾ نَصْرُهُمْ ﴿٢٨﴾ بِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٢٨﴾ أَي: غَيْرِهِ ﴿٢٨﴾ قُرْبَانًا ﴿٢٨﴾: مُتَقَرِّبًا بِهِمْ إِلَى اللَّهِ ﴿٢٨﴾ ءَالِهَةً ﴿٢٨﴾ مَعَهُ وَهُمْ الْأَصْنَامُ - وَمَفْعُول (اتَّخَذَ) الْأَوَّلَ ضَمِيرٌ مَحْذُوفٌ يَعُودُ عَلَى الْمَوْصُولِ، أَي: هُمْ، وَ﴿قُرْبَانًا﴾ الثَّانِي، وَ﴿ءَالِهَةً﴾ بَدَل مِنْهُ -، ﴿بَلْ صَلَّوْا﴾: غَابُوا ﴿٢٨﴾ عَنْهُمْ ﴿٢٨﴾ عِنْدَ نُزُولِ الْعَذَابِ، ﴿وَذَلِكَ﴾ أَي: اتَّخَذَهُمُ الْأَصْنَامَ آلِهَةً قُرْبَانًا ﴿٢٨﴾ إِفْكُهُمْ ﴿٢٨﴾: كَذِبُهُمْ ﴿٢٨﴾ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٨﴾: يَكْذِبُونَ، - وَ(مَا) مَصْدَرِيَّةٌ أَوْ مَوْصُولَةٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾) الخطابُ لأهل مكة.

قوله: (﴿وَمِنَ الْقُرَى﴾) أي: أهلها.

قوله: (هَلَّا) أشار بذلك إلى أَنَّ (لولا) تحضيضية.

قوله: (ومفعول ﴿اتَّخَذُوا﴾... إلخ) أي: والمعنى: فهَلَّا دفع عنهم العذاب الأصنام الذين اتخذوهم قُرْبَانًا آلِهَةً. والمقصودُ توبيخُهُم.

قوله: (وَ﴿ءَالِهَةً﴾ بدل منه) هذا أحدُ أَعَارِيبَ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿ءَالِهَةً﴾ الثَّانِي، وَ﴿قُرْبَانًا﴾ حَالٌ، أَوْ مَفْعُولٌ مِنْ أَجَلِهِ.

قوله: (﴿بَلْ صَلَّوْا عَنْهُمْ﴾) إضرابٌ انتقاليٌّ مِنْ نَفْيِ الدَّفْعِ عَنْهُمْ إِلَى غَيْبِهَا عَنْهُمْ بِالْكُلِّيَّةِ، والمعنى: لَمْ يَحْضَرُوا عَنْهُمْ فَضلاً عَنْ كَوْنِهِمْ يَدْفَعُونَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ.

قوله: (﴿إِفْكُهُمْ﴾) قرأ العامة بكسر الهمزة، وسكون الفاء، مصدر (أَفَكَ، يَأْفِكُ، إِفْكَاءً)، وقرئ شذوذاً بفتح الهمزة، وهو مصدرٌ له أيضاً، وبِفَتْحَاتٍ فعلاً ماضياً^(١).

قوله: (وَ«مَا» مصدرية) أي: وافترأوهم، وهو الْأَحْسَنُ؛ لِتَنَاسُبِ الْمَعْطُوفِينَ.

(١) قرأ ابن عباس بالفتح، وابن عباس أيضاً وعكرمة والصباح بن العلاء (أفكهم) بثلاث فتحات فعلاً ماضياً؛ أي:

صرفهم. انظر «الدر المصون» (٦٧٦/٩).

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ

والعائد مَحذُوف أي: فيه ..

﴿٢٩﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾: أَمَلْنَا ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ جَنَّ نَصِيبِينَ بِالْيَمَنِ أَوْ جِنِّ نَيْنَوَى، وَكَانُوا سَبْعَةً أَوْ تِسْعَةً، وَكَانَ ﷺ بِبَطْنِ نَخْلٍ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ، رَوَاهُ الشَّيْخَانُ،

حاشية الصاوي

قوله: (أي: فيه) أي: فحذف الجارُّ، فاتصل الضمير ثم حذف، ولو قال: (أي: يفترونه) .. لكان أوضح.

قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك قِصَّةَ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ لِيَعْتَبَرُوا؛ فَإِنَّ رِسَالَتَكَ عَامَّةٌ لِلْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَجَمِيعِ الْخَلْقِ، لَكِنْ إِرْسَالُهُ لِلْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِرْسَالٌ تَكْلِيفِيٍّ إِجْمَاعًا، وَإِرْسَالُهُ لِلْمَلَائِكَةِ؛ قِيلَ: إِرْسَالٌ تَكْلِيفِيٍّ بِمَا يَلِيقُ بِهِمْ، وَقِيلَ: إِرْسَالٌ تَشْرِيفِيٍّ، وَإِرْسَالُهُ لِمَا عَدَاهُمْ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْغَيْرِ الْعَاقِلَةِ وَالْجِمَادَاتِ إِرْسَالٌ تَشْرِيفِيٍّ وَرَحْمَةٍ.

قوله: ﴿نَفَرًا﴾ (النَّفَرُ بفتحين، والنَّفَرُ والنَّفِيرُ: من ثلاثة رجال إلى عشرة).

قوله: (نَصِيبِينَ) أي: وهي قرية باليمن.

قوله: (أَوْ جِنِّ نَيْنَوَى) بنونٍ مكسورة، فياءٍ ساكنةٍ، فنونٍ مضمومة أو مفتوحة، فواوٍ، فالف مقصورة، هي قرية يونس عليه السلام، قرب الموصل.

قوله: (وَكَانَ ﷺ بِبَطْنِ نَخْلٍ) الصواب أن يقول: (وَكَانَ بِبَطْنِ نَخْلَةٍ)؛ لَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ، وَأَمَّا بَطْنُ نَخْلٍ .. فَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ، وَهُوَ عَلَى مَرَحَلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ.

قوله: (يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ الْفَجْرَ) فيه شيء؛ إِذْ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ كَانَتْ قَبْلَ فَرَضِ الصَّلَوَاتِ، فَالصَّوَابُ أَنْ يَقُولَ: (كَانَ يُصَلِّي فِي جَوْفِ اللَّيْلِ).

وعبارة «المواهب»: (ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الطَّائِفِ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ فِي لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنْ شَوَالِ سَنَةِ عَشْرٍ مِنَ النَّبُوَّةِ؛ لِمَا نَالَهُ مِنْ قَرِيشٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ مَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَأَقَامَ بِهِ شَهْرًا يَدْعُو أَشْرَافَ ثَقِيفٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، وَأَغْرَوْا بِهِ سَفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يُسَبُّونَهُ، وَلَمَّا انْصَرَفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ أَهْلِ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ .. نَزَلَ نَخْلَةَ - وَهُوَ مَوْضِعُ

حاشية الصاوي

على ليلة من مكة، صرف الله إليه سبعة من جنّ نصيبين، وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يُصلي... إلخ^(١).

واعلم: أنّ العلماء ذكروا في سبب هذه الواقعة قولين؛ أحدهما: أنّ الجنّ كانت تَسْرِقُ السمع، فلَمَّا رُجِمُوا وَمُنِعُوا من السماء حين بُعِثَ النبي ﷺ. قالوا: ما هذا إلا لشيءٍ حَدَثَ في الأرض، فذهبوا فيها يَطْلُبُونَ السبب، وكان قد اتَّفَقَ أَنَّ النبي ﷺ في الحادية عشرة من النبوة لما أُيس من أهل مكة.. خرج إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فلم يُجِيبوه، فانصرف راجعاً إلى مكة، فقام بِبَطْنِ نخلة يقرأ القرآن، فمرَّ به نفرٌ من جنّ نصيبين كان إبليس قد بعثهم يَطْلُبُونَ السبب الذي أوجب حِرَاسَةَ السماء بالرجم بالشُّهب، فسمعوا القرآن، فعرفوا أنّ ذلك هو السبب، وعليه: فلم يكن اجتماعه بالجنّ مقصوداً للإرسال.

ثانيهما: أنّ الله أمر رسوله ﷺ أن يُنذِرَ الجنّ، ويدعوهم إلى الله، ويقرأ عليهم القرآن، فصرف إليه نفرًا منهم يستمعون القرآن وينذرون قومهم؛ وذلك لأنّ الجنّ مُكَلَّفُونَ، لهم الثواب والعقاب، ويدخلون الجنة، ويأكلون فيها ويشربون كالإنس، فانتفض النبي ﷺ ذات ليلة وقال: «إني أمرت أن أقرأ على الجنّ الليلة القرآن، فأأيكم يتبعني؟»، فأطرقوا، فتبعه عبد الله بن مسعود - قال عبد الله بن مسعود: ولم يحضر معه أحدٌ غيري - قال: فانطلقنا حتى إذا كنّا بأعلى مكة.. دخل النبي ﷺ شعباً يقال له: شعبُ الحجون، وخَطَّ لي خطًّا، وأمرني أن أجلس فيه، وقال لي: «لا تخرج حتى أعود إليك»، فانطلق حتى وصل إليهم، فافتتح القرآن، فجعلت أرى أمثال النور تهوي، وسمعتُ لغطاً شديداً حتى خفتُ على نبيِّ الله، وغشيهِ أسودّةٌ كثيرةٌ حالت بيني وبينه، حتى لم أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ النبي ﷺ منهم مع الفجر، فانطلق إليّ فقال لي: «قد نمت؟»، فقلتُ: لا والله، ولكنني هَمَمْتُ أن آتي إليك؛ لخوفي عليك، فقال ﷺ له: «لو خرجت.. لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، فأولئك جنّ نصيبين»، فقلتُ: يا رسول الله؛ سمعتُ لغطاً شديداً، فقال: «إنّ الجنّ اختصموا في قَتيل قتل بينهم، فتحاكموا إليّ، فقضيتُ بينهم بالحق»^(٢)، وكانت عدّة هؤلاء الجنّ اثني عشر ألفاً.

(١) «المواهب اللدنية» (١/١٥٩).

(٢) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٣/٣٩٣)، ونحوه عند الإمام أحمد في «مسنده» (١/٤٥٨)، وانظر «عيون الأثر»

لابن سيد الناس (١/١٥٨).

يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا

﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أَنْصِتُوا﴾: أصغوا

حاشية الصاوي

وروي عن أنس قال: كنتُ عند النبي ﷺ وهو بظاهر المدينة إذ أقبل شيخٌ يتوكأ على عُكَّازة، فقال النبي ﷺ: «إنها لَمْشيّة جنّي»، ثم أتى فسَلَّم على النبي، فقال النبي ﷺ: «إنها لَنَغْمَة جنّي»، فقال الشيخ: أجل يا رسول الله، فقال له النبي ﷺ: «من أيّ الجنّ أنت؟» قال: إني هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، فقال له النبي: «كم أتى عليك من العُمر؟» فقال: أكلت عمر الدنيا إلا القليل، كنت حين قُتِلَ هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنتُ أشرف على الآكام، وأصطاد الهام، وأجعلهُ بين الأنام، فقال النبي: «بئس العمل»، فقال: يا رسول الله؛ دَعني من العتب؛ فإني ممّن آمن بنوح عليه السلام وعاتبته في دعوته، فبكى وأبكاني، وقال: والله؛ إني لَمِن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهليين، وأتيتُ هوداً فعاتبته في دعوته، فبكى وأبكاني، وقال: والله؛ إني لَمِن النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهليين، ولقيتُ إبراهيم وآمنتُ به، وكنتُ بينه وبين الأرض إذ رُمي به في المنجنيق، وكنتُ معه في النار إذ أُلقي فيها، وكنتُ مع يوسف إذ أُلقي في الجُبِّ، فسَبقتَه إلى قَعْرِهِ، ولقيتُ موسى بن عمران، وكنتُ مع عيسى بن مريم عليهما السلام، فقال لي: إن لقيتُ مُحمداً.. فاقراً عليه السلام.

قال أنس: فقال النبي: «وعليه السلام وعليك السلام يا هام، ما حاجتُك؟» فقال: إن موسى علّمني التوراة، وإن عيسى علّمني الإنجيل؛ فعَلّمني القرآن، قال أنس: فعَلّمه النبي ﷺ سورة (الواقعة)، و﴿عَمَّ يَسْأَلُونَ﴾، و﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾، وسورة (الإخلاص) و(المعوذتين)^(١).

ولا مُنافاة بين هذه القصص، فلعلّ الواقعة تعدّدت، فأحداها كان فيها زيد بن حارثة، والأخرى كان فيها عبد الله بن مسعود، والأخرى كان فيها أنس بن مالك؛ كما أن قراءة القرآن عليهم تعدّدت.

قوله: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ جمعه؛ مراعاة لمعنى النَّفَر، ولو راعى لفظه.. لقال: (يستمع).

قوله: ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ أي: القرآن، أو الرسول.

قوله: (أصغوا) بكسر الهمزة وفتح الغين من باب: (رمى)، أو بفتح الهمزة وضمّ الغين

من الرُّباعي.

(١) انظر «السراج المنير» (١٧/٤)، وفيه: (وأورش بين الأنام) بدل (وأجعلهُ بين الأنام).

فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ

لِاسْتِمَاعِهِ، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: فُرِغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ ﴿وَلَوْ﴾: رَجَعُوا ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾: مُخَوِّفِينَ قَوْمَهُمُ الْعَذَابَ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا، وَكَانُوا يَهُودًا وَقَدْ أَسْلَمُوا.

(٣٠ - ٣١) ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا﴾ هُوَ الْقُرْآنُ ﴿أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أَي: تَقَدَّمَه كَالْتُورَةِ، ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾: الْإِسْلَامَ ﴿وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أَي: طَرِيقَهُ، ﴿يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ إِلَى الْإِيمَانِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ؛ فَالْأُولَى: تُؤَيِّدُ عَوْدَ الضَّمِيرِ عَلَى الْقُرْآنِ، وَالثَّانِيَّةُ: تُؤَيِّدُ عَوْدَهُ عَلَى الرَّسُولِ (١).

قوله: ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ أَي: بِأَمْرِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَهُمْ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ.

قوله: (وَكَانُوا يَهُودًا) أَي: وَقَدْ أَسْلَمُوا فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ، وَأَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِمْ حِينَ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ وَأَنْذَرُوهُمْ سَبْعُونَ، وَقَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الْجَنِّ فِيهِمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَعِبَدَةَ الْأَصْنَامِ، وَفِي مُسْلِمِهِمْ مَبْتَدَعَةٌ، وَمَنْ يَقُولُ بِالْقَدَرِ، وَخَلَقَ الْقُرْآنُ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْمَذَاهِبِ وَالْبِدَعِ.

وروي: أَنَّهُمْ أَصْنَافُ ثَلَاثَةٍ: صِنْفٌ لَهُمْ أَجْنَحَةٌ يَطِيرُونَ بِهَا، وَصِنْفٌ عَلَى صُورَةِ الْحَيَّاتِ وَالْكِلَابِ، وَصِنْفٌ يَحْلُونَ وَيَظْعَنُونَ.

وَاخْتَلَفَ فِي مُؤْمَنِي الْجَنِّ؛ فَقِيلَ: لَا ثَوَابَ لَهُمْ إِلَّا النِّجَاةُ مِنَ النَّارِ، وَعَلَيْهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَاللِّيثُ، وَبَعْدَ نَجَاتِهِمْ مِنَ النَّارِ يُقَالُ لَهُمْ: كُونُوا تَرَابًا، وَقَالَ الْأَئِمَّةُ الثَّلَاثَةُ: هُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ يَكُونُونَ حَوْلَ الْجَنَّةِ فِي رَبْضٍ وَرِحَابٍ، وَلَيْسُوا فِيهَا (٢).

قوله: (كَالتُورَةِ) أَي: وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَغَيْرَهُمَا.

قوله: (أَي: طَرِيقَهُ) أَي: الْإِسْلَامَ وَهُوَ الْإِنْقِيَادُ، وَطَرِيقُهُ الْأَعْمَالُ كَالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ.

(١) قَرَأَ أَبُو مَجْلَزٍ وَحَبِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ. انظر «الدر المصون» (٩/٦٧٩).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٧/٢٧٠).

وَمَا يَنْتَهِوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِزَّكُم مِّنْ عَذَابِ الْآلِمْ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ بَقَدِيرٍ

﴿وَمَا يَنْتَهِوا بِهِ يَغْفِرَ﴾ الله ﴿لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي: بعضها لأنَّ مِنْهَا الْمَطَالِمَ وَلَا تُغْفَرُ إِلَّا بِرِضَا أَصْحَابِهَا، ﴿وَيُجِزَّكُم مِّنْ عَذَابِ الْآلِمْ﴾: مُؤَلِّمٌ.

﴿٣٢﴾ ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لَا يُعْجِزُ اللَّهُ بِالْهَرَبِ مِنْهُ فَيَقُوتُهُ، ﴿وَلَيْسَ لَهُ﴾: لِمَنْ لَا يُجِيبُ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله ﴿أَوْلِيَاءُ﴾: أَنْصَارٌ يَدْفَعُونَ عَنْهُ الْعَذَابَ، ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ لَمْ يُجِيبُوا ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾: بَيِّنَ ظَاهِرٍ.

﴿٣٣﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: يَعْلَمُوا أي: مُنْكَرُوا الْبَعْثِ ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَتَّخِذْ لَهُنَّ﴾: لَمْ يَعْجِزْ عَنْهُ ﴿بَقَدِيرٍ﴾ - خَبَر (أَنَّ)، وَزِيدَتِ الْبَاءُ فِيهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ﴾ جواب الأمر.

قوله: ﴿وَيُجِزَّكُم﴾ أي: يُخَلِّصُكُمْ وَيُنْجِيكُمْ.

قوله: ﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ﴾ ... إلخ (مَنْ): شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُهَا قَوْلُهُ: ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ ... إلخ.

قوله: ﴿أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ﴾ هنا هَمْزَتَانِ مَضْمُومَتَانِ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ مَحَلٌّ لِاجْتِمَاعِهِمَا غَيْرُ هَذَا.

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾ ... إلخ هذا آخِرُ كَلَامِ الْجَنِّ الَّذِينَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ.

قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ... إلخ رَجُوعٌ لِتَوْجِيهِ الْكَلَامِ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ وَغَيْرِهِمْ بَعْدَ تَقْرِيرِ قِصَّةِ الْجَنِّ، وَالْهَمْزَةُ دَاخِلَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ عَلَيْهِ، تَقْدِيرُهُ: أَتْرَكُوا التَّفَكُّرَ وَلَمْ يَرَوْا؟

قوله: (لَمْ يَعْجِزْ عَنْهُ) أي: لَمْ يَضْعَفْ، وَلَمْ يَتَّعِبْ.

قوله: (وَزِيدَتِ الْبَاءُ فِيهِ ... إلخ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْبَاءَ لَا تَزَادُ إِلَّا فِي خَبَرٍ (لَيْسَ)،

و(مَا)؛ كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ^(١): [الرَّجْزُ]

وَبَعْدَ (مَا) وَ(لَيْسَ) جَرَّ الْبَاءِ الْخَبَرَ

(١) انظر «الخلاصة»، فصل في (ما ولا ولات وإن المشبهات بـ«ليس»).

عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ

لأنَّ الكلامَ في قُوَّة: أَلَيْسَ اللهُ بِقَادِرٍ - ﴿عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى﴾ هو قَادِرٌ عَلَى إحياءِ المَوتَى، ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٣٤ - ٣٥) ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بِأَنْ يُعَذَّبُوا بِهَا، يُقَالُ لَهُمْ: ﴿أَلَيْسَ هَذَا التَّعَذِيبُ بِالْحَقِّ﴾ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى أَذَى قَوْمِكَ ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ﴾: ذُوو الثَّبَاتِ وَالصَّبْرُ عَلَى الشَّدَائِدِ ﴿مَنْ الرُّسُلِ﴾ قَبْلَكَ، حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ.

و(أَنْ) لِلإِثْبَاتِ.

قوله: (لأنَّ الكلامَ... إلخ) حاصلُ الجواب: أَنَّهَا واقعةٌ في خبر (ليس) تأويلاً.

قوله: ﴿بَلَى﴾ هي جوابُ النفي، وَيَصِيرُ بِهَا إِثْبَاتاً، بخلاف (نعم)؛ فَإِنَّهَا تُقَرَّرُ مَا قَبْلَهَا نَفياً أو إِثْبَاتاً.

قوله: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾... إلخ) هذا إشارةٌ لِبَعْضِ مَا يَحْصُلُ فِي يَوْمِ الْبَعْثِ مِنَ الْأَهْوَالِ إِثْرَ بَيَانِ إِثْبَاتِهِ وَتَقَرُّرِهِ.

قوله: (يُقَالُ لَهُمْ) قَدَرَهُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ (يَوْمَ) ظَرْفٌ لِمَحْذُوفٍ، وَإِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ مَقُولٌ لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ.

قوله: ﴿وَرَبِّنَا﴾ الواو: لِلْقَسَمِ، وَإِنَّمَا أَكْثَرُوا كَلَامَهُمْ بِالْقَسَمِ؛ طَمَعاً فِي الْخَلَاصِ حَيْثُ اعْتَرَفُوا بِالْحَقِّ.

قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ أي: بِسَبَبِ كُفْرِكُمْ.

قوله: ﴿فَأَصْبِرْ﴾... إلخ) هذا تَسْلِيَةٌ لَهُ ﷺ. والصبر: تَلْقَى الْمَكَارِهِ وَالشَّدَائِدَ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ.

قوله: ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ﴾ الكاف: بِمَعْنَى (مِثْلُ)، صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، وَ(مَا): مَصْدَرِيَّةٌ، وَالتَّقْدِيرُ: مِثْلُ صَبَرَ أُولَى الْعَزْمِ.

فَتَكُونُ ذَا عَظْمٍ، - (وَمِنْ) لِلْبَيَانِ، فَكُلُّهُمْ ذُوو عَظْمٍ، وَقِيلَ: لِلتَّبَعِيضِ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ آدَمُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَظْمًا﴾ [طه: ١١٥]، وَلَا يُونُسُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] -

حاشية الصاوي

قوله: (فكُلُّهُمْ ذُو عَظْمٍ) أي: حَزَمَ وَكَمَالَ وَثَبَاتٌ وَصَبَرَ عَلَى الشَّدَائِدِ، وَقَوْلُهُ: (وَقِيلَ: هِيَ لِلتَّبَعِيضِ) فِي كَلَامِهِ إِشَارَةٌ لِقَوْلَيْنِ فِي تَفْسِيرِ (أُولَى الْعِظْمِ) مِنْ جُمْلَةِ أَقْوَالِ شَيْءٍ.

وقيل: هُم نَجَبَاءُ الرِّسْلِ الْمَذْكُورُونَ فِي سُورَةِ (الْأَنْعَامِ) ثَمَانِيَةَ عَشَرَ: إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَنُوحَ، وَدَاوُودَ، وَسُلَيْمَانَ، وَأَيُّوبَ، وَيُوسُفَ، وَمُوسَى، وَهَارُونَ، وَزَكَرِيَّا، وَيَحْيَى، وَعِيسَى، وَإِلْيَاسَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَالْيَسَعَ، وَيُونُسَ، وَلُوطًا.

وقيل: هُم اثْنَا عَشَرَ نَبِيًّا، أُرْسِلُوا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالشَّامِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ: أَنِّي مُرْسِلٌ عَذَابِي إِلَى عُصَاةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِمْ: اخْتَارُوا أَنْفُسَكُمْ؛ إِنْ شِئْتُمْ أَنْزِلْ بِكُمْ الْعَذَابَ، وَأَنْجِيتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَإِنْ شِئْتُمْ نَجِيتُمْ، وَأَنْزَلْتُ الْعَذَابَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ، فَتَشَاوَرُوا بَيْنَهُمْ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يُنْزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ، وَيُنْجِيَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَنْجَى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنْزَلَ الْعَذَابَ بِأُولَئِكَ الرِّسْلِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ مُلُوكَ الْأَرْضِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ نُشِرَ بِالنَّاشِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ سُلِّخَ جِلْدُهُ رَأْسَهُ وَوَجْهُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ صُلِبَ عَلَى الْخَشَبِ حَتَّى مَاتَ، وَمِنْهُمْ مَنْ حُرِقَ بِالنَّارِ.

وقيل: أُولُو الْعِظْمِ أَرْبَعَةٌ: إِبْرَاهِيمَ صَبَرَ عَلَى فَقْدِ نَفْسِهِ وَذَبَحَ وَلَدَهُ، وَمُوسَى صَبَرَ عَلَى أَذَى قَوْمِهِ وَوَثَّقَ بِرَبِّهِ حِينَ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾، فَقَالَ: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٢]، وَدَاوُودَ صَبَرَ عَلَى الْبُكَاءِ مِنْ أَجْلِ خَطِيئَتِهِ حَتَّى نَبَتَ مِنْ دُمُوعِهِ الشَّجَرُ، فَقَعَدَ تَحْتَ ظِلِّهِ، وَعِيسَى لَمْ يَضَعْ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ، وَقَالَ: «إِنَّهَا مَعْبَرَةٌ فَاعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا»، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِنَبِيِّهِ: كُنْ صَادِقًا وَاثِقًا بِرَبِّكَ، مُهْتَمًّا بِمَا سَلَفَ مِنْكَ، زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا.

وقيل: أُولُو الْعِظْمِ خَمْسَةٌ: نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ الْمَعْتَمَدُ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الشَّرَائِعِ.

قوله: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَظْمًا﴾ أي: تَامًّا؛ لِأَنَّ إِرَادَتَنَا أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ غَلَبَتْ إِرَادَتَهُ عَدَمَ الْأَكْلِ مِنْهَا، وَإِلَّا... فَكُلُّ نَبِيٍّ صَاحِبِ عِظْمٍ غَيْرِ أَنَّهُمْ يَتَفَاوَتُونَ فِيهِ عَلَى حَسَبِ مَرَاتِبِهِمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْأَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَ يُهْلَكُ إِلَّا
الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ : لِقَوْمِكَ نُزُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ، قِيلَ : كَأَنَّهُ ضَجَرَ مِنْهُمْ فَأَحَبَّ نُزُولَ
الْعَذَابِ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِالصَّبْرِ وَتَرَكَ الْأَسْتِعْجَالَ لِلْعَذَابِ؛ فَإِنَّهُ نَازِلٌ لَا مَحَالَةَ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ
مَا يُوعَدُونَ﴾ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ لِطَوْلِهِ ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ فِي الدُّنْيَا فِي ظَنِّهِمْ ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنْ
نَّهَارٍ﴾. هَذَا الْقُرْآنُ ﴿بَلَّغٌ﴾ : تَبْلِيغٌ مِّنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴿فُهِلَ﴾ أَي : لَا ﴿يُهْلَكُ﴾ عِنْدَ رُؤْيَا
الْعَذَابِ ﴿إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ أَي : الْكَافِرُونَ.



حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ أي : لأجلهم، والمفعول محذوف، قدره المفسر بقوله : (نزول العذاب).

قوله : (قيل : كأنه ضجر...) إلخ) المناسب حذف (كأن) كما في عبارة غيره.

قوله : (فإنه نازل بهم) أي : ولو في الآخرة.

قوله : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾ ظرف لقوله : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾... إلخ.

قوله : (لطوله) تعليل لقوله : ﴿لَمْ يَلْبَثُوا﴾ مقدّم عليه.

قوله : ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ﴾ أي : لأن ما مضى عليهم من الزمان كأنهم لم يروه؛ لانقضائه.

قوله : (هذا القرآن ﴿بَلَّغٌ﴾) أشار بذلك إلى أن قوله : ﴿بَلَّغٌ﴾ خبر لمحذوف.

قوله : (تبليغ من الله إليكم) أي : بلغكم الله إيّاه، فآمنوا به، أو المعنى : موصل من عمل به وآمن
إلى الدرجات العلى؛ لما ورد : «يُقال له : اقرأ وارُق»^(١)، ويؤنس في قبره، وموصل من لم يعمل به
إلى الدرجات السفلى.

قوله : ﴿فُهِلَ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ أي : لا يكون الهلاك والدمار إلا للكافرين، وأمّا من
مات على الإيمان ولو عاصياً.. فهو فائز، ولا يُقال له : هالك، وهذه الآية أرجى آية في القرآن؛
إذ فيها تطمئيع في سعة فضل الله ورحمته.

(١) رواه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٠٥٦) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه،
وتماه : «ورتل كما كنت تُرتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها».

حاشية الصاوي

فائدة:

نقل القرطبي عن ابن عباس: (أن المرأة إذا تعسّر وضعها.. تُكْتَبُ هاتان الآيتان والكلمتان في صحيفة، ثم تُغسل، وتسقى منها؛ فإنها تلد سريعاً، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم، سبحان الله ربّ السماوات وربّ الأرض ربّ العرش العظيم، ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرَزَتْهَا لَوْ يَلْبِسُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾، ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرَزَتْ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغَ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾. انتهى^(١).



(١) «تفسير القرطبي» (١٦/٢٢٢).

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.....﴾



مَدَنِيَّةٌ، إِلَّا ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ...﴾ الْآيَةُ، أَوْ مَكِّيَّةٌ. وَهِيَ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿وَصَدُّوا﴾ غَيْرَهُمْ ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيِ: الْإِيمَانِ

حاشية الصاوي

(سورة القتال)

وَتُسَمَّى سُورَةُ (مُحَمَّدٍ ﷺ)؛ لِذِكْرِ هَذَا الْاسْمِ فِيهَا، وَسُورَةُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لِبَدئِهَا بِهَذَا اللَّفْظِ.

قَوْلُهُ: (مَدَنِيَّةٌ... إلخ) هَذَا قَوْلٌ مَنْقُولٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَوْلُهُ: (إِلَّا ﴿وَكَايْنٍ...﴾ إلخ) أَيِ: فَإِنَّهَا نَزَلَتْ بَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ؛ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الْبَيْتِ وَهُوَ يَبْكِي حُزْنًا عَلَى فِرَاقِهِ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَنَّ الْمَكِّيَّ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَلَوْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّ الْمَكِّيَّ: مَا نَزَلَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، وَالْمَدَنِيُّ: مَا نَزَلَ بَعْدَهَا وَلَوْ بِأَرْضِ مَكَّةَ.

وَرُدُّ أَيْضًا: بِأَنَّهُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ خَرَجَ مِنْهَا مُخْتَارًا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ حُزْنٌ؛ لَكُونِهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ، وَحِينَئِذٍ: فَلَا يَظْهَرُ الْوَعِيدُ الَّذِي فِي الْآيَةِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ لَمَّا خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْغَارِ مُهَاجِرًا، وَعَلَيْهِ: فَكُونُهَا مَكِّيَّةً ظَاهِرًا، وَهُوَ الصَّحِيحُ، وَسَيَأْتِي أَيْضًا فِي تَفْسِيرِهَا.

قَوْلُهُ: (أَوْ مَكِّيَّةٌ) هَذَا الْقَوْلُ بِالنَّظَرِ لِغَالِبِهَا، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

قَوْلُهُ: (وَهِيَ ثَمَانٍ أَوْ تِسْعٍ... إلخ) وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ آيَةً، وَالْخِلَافُ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿لَذَقُوا لَشَرِّينَ﴾ هَلْ كُلُّ آيَةٍ مُسْتَقْلِلَةٌ أَوْ مِنْ تَتَمَّةٍ مَا قَبْلُهَا؟

قَوْلُهُ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (مَبْتَدَأٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ﴾ خَبَرُهُ، وَمُنَاسِبَةٌ هَذِهِ الْآيَةِ لِآخِرِ (الْأَحْقَافِ) ظَاهِرَةٌ، وَذَلِكَ كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: كَيْفَ يُهْلِكُ الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ وَلَهُمْ أَعْمَالٌ صَالِحَةٌ كَأَطْعَامِ طَعَامٍ وَنَحْوِهِ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْفَاسِقِينَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ؛ أَصْلًا أَعْمَالَهُمْ وَأَبْطَلَهَا.

أَصْلَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾

﴿أَصْلَ﴾: أَحْبَطَ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثواباً، ويُجزون بها في الدنيا من فضله تعالى.

﴿٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ﴾: غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أي: حالهم، حاشية الصاوي

قوله: (فلا يرون لها في الآخرة ثواباً) أي: لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾ [الفرقان: ٢٣].

قوله: (ويجزون بها في الدنيا) أي: بأن يوسع لهم في المال، ويؤاد لهم في الولد والعافية وغير ذلك؛ حيث لم يقصدوا بها فخراً ولا رياءً.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدقوا بقلوبهم، ونطقوا بالسنتهم، وقوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ العطف يقتضي المغايرة، فاستفيد منه أن العمل الصالح ليس داخلياً في حقيقة الإيمان، بل هو شرط كمال؛ كما هو مختار الأشاعرة^(١).

قوله: ﴿وَعَمِلُوا بِمَا نُزِّلَ﴾... إلخ عطف خاص على عام، والنكتة: تعظيمه والاعتناء بشأنه؛ إشارة إلى أن الإيمان لا يتم بدونه؛ ولذا أكد بقوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ أي: الثابت الذي ينسخ غيره، وهو لا ينسخ.

قوله: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ جملة مُعْتَرِضة سبقت لبيان المنزل.

قوله: (غفر لهم ﴿سَيِّئَاتِهِمْ﴾) أي: محاسنها من صُحُف الملائكة.

قوله: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ البال: يُطلق على الحال، والشأن، والأمر، وكلها بمعنى واحد، والمعنى: أصلح أحوالهم الدنيوية بتوفيقهم إلى الأعمال الصالحة، والأخروية بنجاتهم من النار، وإدخالهم الجنة.

(١) انظر «شرح المصنف على جوهرة التوحيد» (ص ١٣٥).

ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ

فلا يَعْصُونَهُ .

﴿٣﴾ ذَلِكُمْ : أي : إضلالُ الأعمالِ وتكفيرُ السيئاتِ ﴿بِأَنَّ﴾ : بِسَبَبِ أَنَّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ : الشَّيْطَانَ ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ : الْقُرْآنَ ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ﴾ أي : مِثْلَ ذَلِكَ الْبَيَانِ ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ : يُبَيِّنُ أحوالَهُمْ ؛ فَالْكَافِرُ يُحِيطُ عَمَلَهُ وَالْمُؤْمِنُ يَغْفِرُ زَلَلَهُ .
﴿٤﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ

حاشية الصاوي

قوله : (فلا يَعْصُونَهُ) أي : لا يُصِرُّونَ على معصيته، أعم من أن لا تقع منهم أصلاً، أو تقع ولكن لا يُصِرُّونَ عليها .

قوله : ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، وقوله : ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ﴾ ... إلخ : خبرٌ .

قوله : (الشَّيْطَانَ) وقيل : الباطل : الكفر .

قوله : ﴿الْحَقَّ﴾ : القرآن (وقيل : الحق : الإيمان) .

قوله : ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ (المثل في الأصل : القول السائر المشبه مضر به بمورده ؛ كقولهم : (الصَّيْفَ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ) ^(١) ، و(الْكَلَابَ عَلَى الْبَقَرِ) ^(٢) ، وليس مراداً هنا، بل المراد : الأمور العجيبة ؛ تشبيهاً لها بالمثل في الغرابة المؤدية إلى التعجب . واسم الإشارة عائدٌ على ما بيِّن في أحوال المؤمنين والكافرين .

قوله : ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ﴾ ... إلخ) الفاء للفصيحة ؛ لكونها أفصحت عن جواب شرط مُقَدَّرٍ، تقديره : إذا علمتم أحوال المؤمنين وأنهم أحباب الله، وأحوال الكافرين وأنهم أعداء الله . . فالواجب على أحباب الله أن يُقاتلوا أعداء الله .

(١) والتاء فيه مكسورة على حكاية المثل وإن تنوع المخاطب، ونصب (الصيف) على حذف الجار سماعي، والمضرب في تعريف المثل السائر : الحالة التي تُشَبَّه، والمورد : الحالة المشبهة بها، وهو من قبيل الاستعارة التمثيلية . انظر «مجمع الأمثال» (٢/٦٨) .

(٢) يُضْرَبُ عند تحريش بعض القوم على بعض من غير مُبالاة، يعني لا ضَرَرَ عليك فَخَلَّهم، ونصب (الكلاب) على معنى : أرسل الكلاب . انظر «مجمع الأمثال» (٢/١٤٢) .

حَتَّى إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً

- مَصْدَرٌ بَدَلَ مِنَ اللَّفْظِ بِفَعْلِهِ - أي: فاضربُوا رِقَابَهُمْ، أي: اقْتُلُوهُمْ، وَعَبَّرَ بِضَرْبِ الرِّقَابِ لِأَنَّ الْغَالِبَ فِي الْقَتْلِ أَنْ يَكُونَ بِضَرْبِ الرِّقْبَةِ، ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ﴾: أَكْثَرْتُمْ فِيهِمُ الْقَتْلَ ﴿فَشُدُّوا﴾ أي: فَامْسِكُوا عَنْهُمْ وَأَسِرُوهُمْ وَشُدُّوا ﴿الْوَتَاكَ﴾: مَا يُوثَقُ بِهِ الْأَسْرَى؛ ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ - مَصْدَرٌ بَدَلَ مِنَ اللَّفْظِ بِفَعْلِهِ - أي: تَمْنُونُ عَلَيْهِمْ بِإِطْلَاقِهِمْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، ﴿وَإِمَّا فِدَاءً﴾: تُفَادُونَهُمْ بِمَالٍ

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من اللفظ بفعله) أي: فهو نائبٌ عن الفعل في المعنى والعمل على الصحيح، وقيل: في المعنى دون العمل، والأصل: فاضربُوا الرقاب ضرباً، حُذِفَ الفعل وأُتِيَ بالمصدر محله، وأُضِيفَ إِلَى مَفْعُولِ الْفِعْلِ وَهُوَ (الرقاب)، وهو عاملٌ في الظرف أيضاً.

قوله: (أي: اقْتُلُوهُمْ) أي: فأراد بِضَرْبِ الرِّقَابِ مُطْلَقَ الْقَتْلِ عَلَى أَيِّ حَالَةٍ كَانَتْ، لَا خُصُوصَ ضَرْبِ الرِّقَابِ.

قوله: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَنُمُوهُمْ﴾ (حَتَّى): ابْتِدَائِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: فَلِذَا أَعْجَزْتُمُوهُمْ بِأَيِّ وَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ؛ إِمَّا بِكَثْرَةِ الْقَتْلِ فِيهِمْ وَهُوَ الْغَالِبُ، أَوْ بِقَطْعِ الْمَاءِ عَنْهُمْ، أَوْ بِأَخْذِ أَسْلِحَتِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.. فَأَسَرُّوهُمْ.

قوله: (أي: فَامْسِكُوا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ فِي الْكَلَامِ تَقْدِيرَ جَمْلَتَيْنِ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الْقَتْلِ، وَالْأَسْرَ.

قوله: (بدل من اللفظ بفعله) أي: جِيءَ بِهِ لِتَفْصِيلِهِ جُمْلَةً، فَوَجِبَ إِضْمَارُ عَامِلِهِ، وَالتَّقْدِيرُ: فَإِمَّا أَنْ تَمْنُوا مَنًّا، وَإِمَّا أَنْ تَفْدُوا فِدَاءً.

قوله: ﴿بَعْدُ﴾ أي: بَعْدَ أَسْرِهِمْ وَشُدِّ وَثَاقِهِمْ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكُفَّارِ يُخَيَّرُونَ فِيهِمْ بَيْنَ أُمُورٍ أَرْبَعَةٍ: الْقَتْلُ، وَالْمَنُّ، وَالْفِدَاءُ، وَالْإِسْتِرْقَاقُ، وَهَذَا فِي الرِّجَالِ الْمُقَاتِلِينَ، وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانَ.. فَلَيْسَ فِيهِمْ إِلَّا الْمَنُّ وَالْفِدَاءُ وَالْإِسْتِرْقَاقُ، وَهَذَا التَّفْصِيلُ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، وَعِنْدَ مَالِكٍ: يُزَادُ فِي حَقِّ الرِّجَالِ الْجَزِيَّةُ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ لَيْسَ إِلَّا الْقَتْلُ أَوْ الْإِسْتِرْقَاقُ، وَأَمَّا الْمَنُّ وَالْفِدَاءُ.. فَمَنْسُوخَانِ بَعْدَ بَدْرِ^(١).

حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بَعْضًا وَالَّذِينَ قُتِلُوا

أو أُسْرَى مُسْلِمِينَ، ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ﴾ أي: أهلها ﴿أَوْزَارَهَا﴾: أثقالها من السلاح وغيره؛ بأن يُسَلِّمَ الْكُفَّارَ أو يَدْخُلُوا فِي الْعَهْدِ، وَهَذِهِ غَايَةُ لِلْقَتْلِ وَالْأَسْرِ، ﴿ذَلِكَ﴾ - خبر مُبْتَدَأ مُقَدَّر - أي: الأمرُ فِيهِمْ ما ذُكِرَ، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ بِغَيْرِ قِتَالٍ، ﴿وَلَكِنْ﴾ أَمَرَكُمْ بِهِ ﴿لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾ مِنْهُمْ فِي الْقِتَالِ، فَيَصِيرَ مَنْ قُتِلَ مِنْكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَمِنْهُمْ إِلَى النَّارِ، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ - وفي قراءة: (قاتلوا) ... الآية -، نَزَلَتْ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدْ فَشَا فِي الْمُسْلِمِينَ حَاشِيَةُ الصَّائِبِ

قوله: (أو أسارى) بالضم والفتح، أو بفتح فسكونٍ فراءٍ مفتوحة.

قوله: (أي: أهلها) أشار بذلك إلى أنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (بأن يُسَلِّمَ الكفار) أي: فالمرادُ بوضع آلة القتال: ترك القتال؛ لانفضاض شوكة الكفر؛ ففي الكلام استعارةً تبعيَّةً، حيث شبه ترك القتال بوضع آليته، واشتقَّ من الوضع (تضع) بمعنى: (ترك).

قوله: (وهذه غاية للقتل) أي: المذكور في قوله: ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ﴾، وقوله: (والأسر) أي: المذكور في قوله: ﴿فَشُدُّوا أَلْوَتَاكُ﴾.

قوله: (ما ذكر) أي: من القتل والأسر وما بعدهما.

قوله: (بغير قتال) أي: كالحِصْف.

قوله: ﴿لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾ أي: فيظهر لِعِبَادِهِ حال الصادق في الإيمان من غيره، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ [محمد: ٣١].

قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾: خبره.

قوله: (وفي قراءة: «قاتلوا») أي: وهي سبعة أيضاً^(١)، مُفسِّرة للقراءة الأولى، وحينئذٍ: فليس المراد: قتلوا بالفعل، بل المراد: قاتلوا؛ قُتِلُوا أو لا.

قوله: (وقد فشأ... إلخ) الجملة حاليَّة،

(١) قرأ أبو عمرو وحفص: بضم القاف وكسر التاء مبنياً للمفعول، والباقون بفتح القاف والتاء وألف بينهما. انظر «السراج المنير» (٤/٢٤).

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٤﴾ سَيَّدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا

الْقَتْلُ وَالْجَرَاحَاتُ ﴿٤﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ ﴿٤﴾ : يُحْبِطُ ﴿٤﴾ أَعْمَلُهُمْ ﴿٤﴾ .

(٥ - ٦) ﴿سَيَّدِيهِمْ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَى مَا يَنْفَعُهُمْ ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ : حَالَهُمْ فِيهِمَا . وَمَا فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يُقْتَلْ ، وَأُدْرَجُوا فِي ﴿قُتِلُوا﴾ تَغْلِيبًا ، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا﴾ : يَبَيِّنُهَا

حاشية الصاوي

وقوله: (القتل) ورد: أنهم سبعون^(١)، وقوله: (والجراحات) أي: لكثير، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا الوعد الحسن لكل من قاتل في سبيل الله لنصر دينه في يوم القيامة؛ قُتِلَ أَوْ جُرِحَ أَوْ سَلِمَ .

قوله: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ (أي: سواء نشأت منهم، أو تسببوا فيها).

قوله: (إلى ما ينفعهم) أي: فالذي ينفعهم في الدنيا العمل الصالح والإخلاص فيه، والذي ينفعهم في الآخرة الجنة وما فيها، وحينئذ: فلا يقع منهم ما يخالف أمر الله؛ لحفظ الله إياهم من المخالفات، ومنه حديث: «أطلع الله على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم»^(٢)، وليس فيه توهم إباحة المعاصي لأهل بدر، والمعنى: كما أفنيتم نفوسكم في محبتي، وخرجتم عن شهواتكم في رضاي... جازيتكم بالحفظ مما يوجب سخطي، فاشتريت نفوسكم، فصارت لي راضية مرضية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...﴾ [الآيات [التوبة: ١١١]؛ ولهذا أشار العارف ابن وفا بقوله^(٣): [الطويل]

وَبَعْدَ الْفَنَاءِ فِي اللَّهِ كُنْ كَيْفَمَا تَشَاءُ فَعِلْ لَكَ لَا جَهْلٌ وَفِعْلُكَ لَا وَزْرٌ

قوله: (وما في الدنيا) أي: من الهداية وإصلاح الحال، وقوله: (إن لم يقتل) جواب عما يقال: كيف قال: ﴿سَيَّدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ يعني: في الدنيا مع أن الفرض أنهم قُتِلُوا بالفعل؟ وأجيب: بأن ذلك يحصل في الدنيا لمن لم يُقتل، وعبر بالذين قتلوا؛ تغليباً لهم، ولأنهم قتلوا حكماً بالنية.

(١) كما في «صحيح البخاري» (٤٠٨٧) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ: «أنه قُتل منهم يوم أحد سبعون».

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) عن سيدنا علي ؓ.

(٣) انظر ديوان سيدي محمد وفا المسمّى «بحر الصفا» (ص ١٢٠).

لَهُمْ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

﴿لَهُمْ﴾ فيَهْتَدُونَ إِلَى مَسَاكِينِهِمْ مِنْهَا وَأَزْوَاجِهِمْ وَخَدَمِهِمْ مِنْ غَيْرِ اسْتِدْلَالٍ.

(٧ - ٩) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ﴾ أَي: دِينَهُ وَرَسُولَهُ ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ عَلَى عَدُوِّكُمْ ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾: يُثَبِّتْكُمْ فِي الْمُعْتَرَكِ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ - مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ: (تَعَسُّوا)، يَدُلُّ عَلَيْهِ -

حاشية الصاوي

وأجيب أيضاً: بأنَّ المراد بالذين قتلوا: الذين وقع منهم القتال، أعمُّ من أن يقتلوا بالفعل أو لا؛
بدليل القراءة الأخرى.

قوله: (فيَهْتَدُونَ إِلَى مَسَاكِينِهِمْ) أَي: إِذَا دَخَلُوهَا يَتَفَرَّقُونَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ، فَهَمَّ أَعْرَفَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْجُمُعَةِ إِذَا انْصَرَفُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ، وَيُؤَيِّدُ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا.. أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَأَحْدُثُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْ مَنْزِلِهِ الَّذِي كَانَ فِي الدُّنْيَا»^(١)، وَمَا وَرَدَ: «أَنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ لَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يُشَاهَدَ مَسْكَنَهُ فِي الْجَنَّةِ وَمَا أُعِدَّ لَهُ مِنَ النَّعِيمِ، وَيُفْتَحَ لَهُ طَائِقَةُ فِي قَبْرِهَ يُشَاهَدُ ذَلِكَ مَا دَامَ فِي الْبَرْزَخِ»^(٢)، وَ«أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ فِي الْجَنَّةِ، وَأَرْوَاحَ الْأَنْبِيَاءِ فِي قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي الْعَرْشِ، تَسْرَحُ وَتَأْوِي إِلَيْهَا»^(٣).
وقيل: معنى ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾: طَيَّبَهَا لَهُمْ؛ مِنْ: الْعَرَفِ، وَهُوَ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ.

قوله: (يُثَبِّتْكُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَقْدَامِ: الذَّوَاتِ بِتَمَامِهَا، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْأَقْدَامِ؛
لَأَنَّ الثَّبَاتَ وَالتَّزَلُّزَ يَظْهَرَانِ فِيهَا.

قوله: (خَبْرُهُ: تَعَسَّوْا... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْفَاءَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَعَسَّأَ﴾ دَاخِلَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ هُوَ الْخَبَرُ، وَ(تَعَسَّأَ): مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِدَلَالَةِ الْمَحْذُوفِ، وَحِينَئِذٍ: فَالْمُنَاسِبُ لِلْمَفْسَّرِ أَنْ يَقْدِّرَ الْخَبَرَ بَعْدَ الْفَاءِ.

(١) رواه البخاري (٦٥٣٥) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥٩/٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٨٨٧) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وفيه: (في جوف طير) بدل (حواصل)، وهي عند الدارمي في «سننه» (٢٤٥٤)، وليس فيهما ذكر أرواح الأنبياء عليهم السلام.

فَتَعَسَّ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْطَطَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

﴿فَتَعَسَّ لَهُمْ﴾ أي: هلاكاً وخيبةً من الله، ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ - عَطَفَ عَلَى (تَعَسَّوْا) -، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التَّعَسُّ والإِضْلالُ ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى التَّكَالِيفِ ﴿فَاحْطَطَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

(١٠ - ١١) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: إهلاكاً وخيبة لهم) هذان قولان من عشرة أقوال في معنى التَّعَسُّ، وقيل: خزياً لهم، وقيل: شقاء لهم، وقيل: شتماً لهم من الله، وقيل: قبحاً لهم، وقيل: رغباً لهم، وقيل: شراً لهم، وقيل: شقوةً لهم، وقيل: التَّعَسُّ: الانحطاط والعثار، وكلُّها معانٍ متقاربة، وهو في الأصل: أن يخرَّ لوجهه، والتَّكْسُ: أن لا يستقلَّ بعد سَقَطِهِ حتى يسقط ثانية، وهي أشدُّ من الأولى، وضيده الانتعاش، وهو قيامٌ من سَقَطٍ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ مبتدأ، خبره الجارُّ والمجرور بعده، ويصح أن يكون اسم الإشارة خبرَ مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك.

قوله: (المُشْتَمِلُ عَلَى التَّكَالِيفِ) أي: فهذا وجهُ كراهتهم له، وذلك لأنَّ في التكاليف تركُ الملاذِّ والشهوات، والنفوسُ الخبيثةُ تكره ذلك، وتحبُّ إرخاء العنان لها في الشهوات، فمن تبع نفسه من كلِّ وجهٍ.. كفر، فعلى الإنسان أن يُجاهد نفسه حتى يصير مُنْقَادَةً لما يرضاه الله تعالى؛ ففي الحديث: «لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكونَ هَوَاهُ تابِعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(١)، فالأصلُ في النفوس الخسَّةُ؛ لا تجرُّ لصاحبها خيراً، ولا تسعى إلا فيما يُغضب الله، فإذا شمَّر الإنسان عن ساعد الجدِّ والاجتهاد، وخالف هوى نفسه.. سَكَنَ وهجها، واضمَّحلتْ شهواتها، فإذا دام ذلك.. حُسِنَ حالها، وصارت جميلةً الأخلاق، مُطْمَئِنَّةً بخالقها، نَسَّأَلُ الله أن يملِكنا نفوسنا، ولا يُسَلِّطها علينا.

قوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ الهمزةُ داخلة على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أَجِبْنَا وَتَرْكُوا السَّيْرَ فَلَمْ يَسِيرُوا؟

(١) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وفيه: (لا يؤمن أحدكم) بدل (لا يكمل إيمان أحدكم)، وصحَّحه النووي في آخر «الأربعين»، فقال: (حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح).

دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٠﴾ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١٢﴾
 إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ
 وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٣﴾

دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿١٠﴾ : أَهْلَكَ أَنْفُسَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أي : أَمْثَالُ عَاقِبَةِ
 مَنْ قَبْلَهُمْ. ﴿ذَلِكَ﴾ أي : نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَهْرُ الْكَافِرِينَ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى﴾ : وَلِيٌّ وَنَاصِرٌ ﴿الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ .

﴿١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 يَتَمَنَّوْنَ ﴿١٣﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ أي : لَيْسَ لَهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا بِطُغْنِهِمْ وَفُرُوجِهِمْ،
 وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى الْآخِرَةِ، ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ : مَنَزَلٌ وَمُقَامٌ وَمَصِيرٌ .

حاشية الصاوي

قوله : ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ (المفعول محذوف، قدره المفسر بقوله : (أنفسهم ... إلخ).

قوله : ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أي : السائرين على قدم مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وقوله : ﴿أَمْثَلُهَا﴾ مُقَابِلُ
 الْجَمْعِ بِالْجَمْعِ تَقْتَضِي الْقِسْمَةِ عَلَى الْآحَادِ؛ أي : إِنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ عَاقِبَةً كَعَاقِبَةِ مَنْ
 تَقَدَّمَ مِنَ الْكُفَّارِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَذَابُ الْمَتَأَخِّرِينَ أَشَدَّ مِنْ عَذَابِ الْمَتَقَدِّمِينَ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ
 النَّبِيَّ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ، وَشَرُّهُ جَامِعٌ لَجَمِيعِ الشَّرَائِعِ، فَالْكَفَرُ بِهِ وَبِشَرِّهِ كَفَرٌ بِجَمِيعِ
 الشَّرَائِعِ، فَيَسَبِّبُ ذَلِكَ عَظَمَ عَذَابِ الْكَافِرِ بِهِ.

قوله : ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ أي : لَا نَاصِرَ لَهُمْ وَلَا مُعِينَ وَلَا مُغِيثَ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى :
 ﴿ثُمَّ رَدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ [الأنعام : ٦٢] .. فالمراد بالمولى : المالك، فلم يحصل تنافٍ .

قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ... إلخ بيان لثمرة ولايته تعالى للمؤمنين في الآخرة .

قوله : ﴿كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ الكاف في محل نصب؛ إمَّا نعت لمصدر محذوف؛ أي : أَكَلًا مِثْلَ
 أَكَلِ الْأَنْعَامِ، أَوْ حَالٍ؛ أي : أَكَلًا حَالِ كَوْنِهِ مِثْلَ أَكَلِ الْأَنْعَامِ^(١) .

قوله : ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ مبتدأ وخبر .

(١) والأول مذهب أكثر المعربين، والثاني مذهب سيويه . انظر «الفتوحات» (٤/١٥٠) .

وَكَاثِنٍ مِّنْ قَرِيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرِينِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَى يَنبَنَةٍ مِّن رَّيْبِهِ

﴿١٣﴾ وَكَاتِنٍ : وَكَمِ ﴿مِّنْ قَرِيَةٍ﴾ أُرِيدَ بِهَا أَهْلُهَا ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرِينِكَ﴾ مَكَّةُ
أي : أَهْلُهَا ﴿الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ - رُوعِي لَفْظَ قَرِيَةٍ - ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾ - رُوعِي مَعْنَى قَرِيَةٍ الْأُولَى - ،
﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ مِنْ إِهْلَاكِهَا .

﴿١٤﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَى يَنبَنَةٍ : حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ ﴿مِّن رَّيْبِهِ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ

حاشية الصاوي

قوله : ﴿وَكَاثِنٍ مِّنْ قَرِيَةٍ﴾ ... إلخ (كأَيٍّ) : مُركبة من الكاف و(أَيٍّ) بمعنى (كم) الخبرية ،
وهي في محل رفع مبتدأ ، و﴿مِّنْ قَرِيَةٍ﴾ : تمييزٌ لها ، وقوله : ﴿هِيَ أَشَدُّ﴾ : صفة لـ ﴿قَرِيَةٍ﴾ ، وقوله :
﴿الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ صفة لـ ﴿قَرِينِكَ﴾ ، وقوله : ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾ خبر المبتدأ .

وسبب نزول هذه الآية : أنه لما خرج ﷺ من مكة إلى الغار . . التفت إلى مكة وقال : «أنتِ
أحبُّ بلاد الله إلى الله ، وأحبُّ بلاد الله إليَّ ، ولو أنَّ المشركين لم يُخرجوني . . لم أخرج منك»^(١) ،
فنزلت هذه الآية ؛ تسليَةً له ﷺ .

والمعنى : لا تحزن على خروجك من بلدك ؛ فإنَّ الله يُعْزُّك ويذلُّهم ، فليس خروجك من مكة
إلا كخروج آدم من الجنة ؛ من حيث إنه حصل له العِزُّ العظيم ، وحصل لإبليس الذي تسبَّب
في إخراجهِ الخزيُّ العظيم .

قوله : (أُرِيدَ أَهْلُهَا) أي : فهو مجازٌ في الظرف ؛ حيث أُطْلِقَ المحلُّ وأُرِيدَ الحالُّ فيه ، لا مجازٌ
بالحذف .

قوله : ﴿الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ هذا الوصف لإحتراز عن قريته التي تكون وطنه فيما يُستقبل ، وهي المدينة .

قوله : ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾ أي : فكذلك نفعل بأهل قريتك ، فاصبر كما صبر رُسُلُ أهل تلك القرى .

قوله : ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ (تفريعٌ على قوله : ﴿أَهْلَكْتَهُمْ﴾) .

قوله : ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى يَنبَنَةٍ﴾ ... إلخ شُرُوعٌ في بيانِ أحوال المؤمنين والكافرين ، والهمزة داخله

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/١٦٥) ، ورواه الترمذي (٣٩٢٥) ، وابن ماجه (٣١٠٨) ، والنسائي في «الكبرى»
(٤٢٥٢) من حديث سيدنا عبد الله بن عدي بن حمراء ، قال : رأيْتُ رسول الله ﷺ واقفاً على الحَزْوَرَةِ فقال : «والله
إنك لخير أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إلى الله ، ولولا أني أخرجت منك . . ما خرجت» .

كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ

﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فرآه حسناً وهم كُفَّار مَكَّة، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
أي: لا مُمِثَّلَةٌ بينهما.

﴿١٥﴾ ﴿مَثَلُ﴾ أي: صِفَةُ ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ دَاخِلِيهَا، - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ -:
﴿فِيهَا أَنْهَرٌ مِنْ مَاءٍ﴾

حاشية الصاوي

على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أليس الأمر كما ذُكِرَ فمن كان على بينة... إلخ؟
والتعبير بـ(على) إشارة إلى تمكُّنهم من الحُجَج والبراهين تمكُّن المستعلي من المستعلي عليه.
قوله: ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ فيه مُرَاعَاةٌ معنى (مَنْ) كما رُوعي لفظها فيما سبق.

قوله: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ تفصيلٌ لبيان محاسن الجنة وكيفية أنهارها المتقدمة في قوله: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

قوله: (أي: صِفَةُ الْجَنَّةِ) أشار بذلك إلى أَنَّ المراد بـ(المثل): الصفة، فكأنه قال: وصف الجنة كذا وكذا، فليس في الكلام مُشَبَّه ومُشَبَّه به^(١).

قوله: ﴿الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المراد: مَنْ لَمْ يَحْكَمْ الشَّرْعُ بِكُفْرِهِ؛ فَيَشْمَلُ عُصَاةَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلَ الْفَتْرَةِ وَأَوْلَادَ الْكُفَّارِ الَّذِينَ مَاتُوا قَبْلَ الْبُلُوغِ.

قوله: (المُشْتَرَكَةُ بَيْنَ دَاخِلِيهَا) أي: فهو بيانٌ لِمْطْلَقِ نَعِيمِ الْجَنَّةِ الْمُشْتَرَكِ بَيْنَ أَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَدْنَاهُمْ، وأما تفصيلُ ما لكلِّ فريقٍ.. فسيأتي في سورة (الواقعة).

قوله: (خبره): ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ﴾... إلخ) فيه أَنَّ الخبرَ جُمْلَةٌ خَالِيَةٌ مِنْ رَابِطٍ يَعُودُ عَلَى الْمُبْتَدَأِ، وَأَجِيبُ: بِأَنَّ الْخَبَرَ عَيْنُ الْمُبْتَدَأِ فِي الْمَعْنَى، وَحِينَئِذٍ: فَلَا تَحْتَاجُ لِرَابِطٍ، وَهَذَا أَسْهَلُ الْأَعَارِيبِ، وَقِيلَ: إِنَّ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ: ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ﴾، وَفِي الْكَلَامِ حَذْفُ مُضَافٍ وَهَمْزَةٍ الْإِنْكَارِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَمْثَلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ؟ وَقَوْلُهُ: ﴿فِيهَا أَنْهَرٌ﴾ إِمَّا حَالٌ مِنْ ﴿الْجَنَّةِ﴾، أَوْ خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ؛ أَيْ: هِيَ فِيهَا أَنْهَارٌ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

(١) وقيل: الممثل به محذوف غير مذكور، والمعنى: مثل الجنة التي وعد المتقون مثل عجب، وشيء عظيم، وقيل: الممثل به مذكور، وهو قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ﴾. انظر تفسير الخازن (٤/١٤٣).

غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى

غَيْرِ ءَاسِنٍ - بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ كـ (ضَارِبٍ وَحَذِرٍ) - أي: غير مُتَغَيِّرٍ بِخِلَافِ ماءِ الدُّنْيَا فَيَتَغَيَّرُ بِعَارِضٍ، ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بِخِلَافِ لَبَنِ الدُّنْيَا لِخُرُوجِهِ مِنَ الضَّرْوَعِ، ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ﴾: لَذِيذَةٌ ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا كَرِيهَةٌ عِنْدَ الشُّرْبِ، ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بِخِلَافِ عَسَلِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ بِخُرُوجِهِ مِنْ بُطُونِ النَّحْلِ يُخَالِطُ الشَّمْعَ وَغَيْرَهُ، حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ؛ أي: وهما قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (ك: ضارب) أي: ففعله: (أَسَنَ، يَأْسِنُ) ك: (ضَرَبَ يَضْرِبُ)، وقوله: (وَحَذِرٍ) أي: ففعله: (أَسِنَ، يَأْسِنُ) ك: (حَذَرَ يَحْذَرُ).

قوله: ﴿لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي: فلا يَعُودُ حَامِضاً وَلَا مَكْرُوهَ الطَّعْمِ.

قوله: ﴿لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ﴾ أي: ليس فيها حُمُوزَةٌ وَلَا مَرَارَةٌ، وَلَمْ تُدْنَسْهَا الْأَرْجُلُ بِالذُّوسِ، وَلَا الْأَيْدِي بِالْعَصْرِ، وَلَيْسَ فِي شُرْبِهَا ذَهَابُ الْعَقْلِ، بَلْ هِيَ لِمُجَرَّدِ الْإِلْتِذَازِ.

إِنْ قُلْتَ: لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ لِلطَّاعِمِينَ، وَفِي الْعَسَلِ: (مُصَفًّى

لِلنَّازِلِينَ)؟

أَجِيب: بَأَنَّ اللَّذَّةَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ؛ فَرُبَّ طَعَامٍ يَلْتَذُّ بِهِ شَخْصٌ، وَيَعَافَهُ الْآخَرُ؛ فَلِذَا قَالَ: ﴿لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ﴾ بِأَسْرِهِمْ، وَلِأَنَّ الْخَمْرَ كَرِيهَةٌ الطَّعْمِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ: ﴿لَذَّةٌ﴾ أي: ليس فِي خَمْرِ الْآخِرَةِ كَرَاهَةٌ طَعْمٍ، وَأَمَّا الطَّعْمُ وَاللَّوْنُ.. فلا يَخْتَلِفَانِ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلتَّصْرِيحِ بِالتَّعْمِيمِ مَزِيدٌ فَائِدَةٍ.

قوله: (لَذِيذَةٌ) أَشَارَ بِذَلِكَ لِذَفْعِ مَا قِيلَ: ﴿لَذَّةٌ﴾ مُصْدَرٌ بِمَعْنَى: الْإِلْتِذَازُ؛ فَلَا يَصِحُّ وَصْفُ

الْخَمْرَةِ بِهِ؛ لَكُونِهَا اسْمٌ عَيْنٍ، فَأَجَابَ الْمَفْسِّرُ بِأَنَّهَا تَوْوَلُ بِالْمَشْتَقِّ عَلَى حَدِّ: (زَيْدٌ عَدْلٌ).

قوله: ﴿مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ يَجُوزُ فِي (الْعَسَلِ) التَّذْكِيرُ وَالتَّأْنِيثُ، وَالْقُرْآنُ جَاءَ عَلَى التَّذْكِيرِ.

قوله: (يُخَالِطُهُ الشَّمْعُ وَغَيْرُهُ) أي: كَفَضَلَاتِ النَّحْلِ.

(١) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: (أَسِنَ)، وَابِقَاوُنُ: (أَسَنَ). انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُونُ» (٩/٦٩٢).

وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ

﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِّن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فهو راضٍ عنهم مع إحسانه إليهم بما ذُكِرَ، بخلاف سيد العبيد في الدنيا؛ فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم سائحاً عليهم، ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ - خبر مُبتدأ مُقدَّر - أي: آمن هو في هذا النعيم، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ أي: مَصَارِيْنَهُمْ فخرَجَتْ مِن أَدْبَارِهِمْ، - وهو جمع (معى) بِالْقَصْرِ، وألِفُه عن ياء لِقَوْلِهِمْ: مَعْيَانٍ ..

﴿وَمِنْهُمْ﴾ ﴿١٦﴾ أي: الكُفَّار ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ في خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَهُمْ﴾ خبرٌ مُقدَّم، وقوله: ﴿فِيهَا﴾ متعلق بما تعلَّق به الخبر، والمبتدأ محذوف، قدره بقوله: (أصناف)، وقوله: ﴿مِّن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ نعتٌ للمبتدأ المحذوف، والمعنى: لهم في الجنة أنواعٌ مُتعدِّدة من كل الثمرات؛ فالتفاح أنواع، والرمان أنواع... وهكذا.

قوله: (فهو راضٍ عنهم... إلخ) دَفَعَ بذلك ما يُقال: إِنَّ المغفرة تكون قبل دُخُولِ الجنة، والآية تقتضي أنها فيها، فأجاب المفسِّر: بأنَّ المراد بالمغفرة: الرضا، وهو يكون في الجنة، وإيضاحه: أنه يرفع عنهم التكاليف فيما يأكلونه ويَشْرَبونه، بخلاف الدنيا؛ فَإِنَّ مأكولها ومشروبها يترتب عليه الحساب والعقاب، ونعيم الجنة لا حساب عليه، ولا عقاب فيه.

قوله: (خبر مُبتدأ مُقدَّر) أي: إِنَّ قوله: ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبرٌ لمحذوف، والاستفهامُ للإِنْكَارِ؛ أي: لا يستوي مَنْ هو في هذا النعيم المقيم بمن هو خالد في النار.

قوله: ﴿وَسُقُوا﴾ معطوف على ﴿خَالِدٌ﴾ عطف صلة فعلية على صلة اسمية^(١).

قوله: (في خُطْبَةِ الجمعة) أي: فهذه الآيات مدنيَّات، وحينئذٍ: فتكون مستثنياتٍ من القول بأنَّ السورة مكيَّة.

قوله: (وهم المنافقون) تفسيرٌ ل(مَنْ).

(١) عبارة «الفتوحات» (٤/١٥٢): (عطف على ﴿هُوَ خَالِدٌ﴾ عطف صلة فعلية على صلة اسمية، وفي المعطوف مُراعاة معنى «من»، وفي المعطوف عليه مُراعاة لفظها)، ولعلها أولى؛ لأنَّ الصلة جملة المبتدأ والخبر.

حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ

﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: لِعُلَمَاءِ الصَّحَابَةِ مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ اسْتِهْزَاءً وَسُخْرِيَّةً: ﴿مَاذَا قَالَ أَنِفًا﴾ - بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ - أَي: السَّاعَةَ؟ أَي: لَا نَرْجِعُ إِلَيْهِ، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بِالْكَفْرِ ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ فِي النِّفَاقِ.
﴿١٧﴾ ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ اللَّهُ ﴿هَدًى وَءَانَّهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾: أَلْهَمَهُمْ مَا يَتَّقُونَ بِهِ النَّارَ.

﴿١٨﴾ ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: مَا يَنْتَظِرُونَ أَي: كُفَّارُ مَكَّةَ

حاشية الصاوي

قوله: (استهزاء) عِلَّةٌ لـ ﴿قَالُوا﴾، فالاستهزاء إنكاريٌّ، والمعنى: لم يقل شيئاً يُعتدُّ به؛ فلا عبرة بقوله.

قوله: ﴿أَنِفًا﴾ (حالٌ، والمعنى: ماذا قال مُؤْتَنَفًا؟ أَي: مبتدئاً ومُخترعاً.

قوله: (بالمَد والقصر) أَي: فهما سَبْعَتَانِ^(١).

قوله: (أَي: الساعة) أَي: فـ ﴿أَنِفًا﴾ ظُرِفَ حَالِي بِمَعْنَى (الآن)، وهو أحد استعمالين فيه، والثاني أنه اسمُ فاعِلٍ بِمَعْنَى: مُؤْتَنَفًا كما تقدَّم.

قوله: (لا نرجع إليه) أَي: إلى قوله الذي قال أَنَفًا؛ أَي: لا نَعْمَلُ بِهِ.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ (مبتدأ، وقوله: ﴿أُولَٰئِكَ طَبَعَ اللَّهُ﴾... إلخ: خبره.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾... إلخ) لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ حَالَ الْمُنَافِقِينَ وَأَنَّهُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَ.. بَيَّنَّ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّهُمْ يَنْتَفِعُونَ بِمَا يَسْمَعُونَ.

قوله: (أَلْهَمَهُمْ مَا يَتَّقُونَ بِهِ النَّارَ) أَي: خَلَقَ فِيهِمُ التَّقْوَى الْخَاصَّةَ، وَهِيَ تَرْكُ مُتَابَعَةِ الْهَوَى، وَالتَّنَزُّهُ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَصَرَفُ الْقَلْبِ إِلَى مَا يَرْضِي اللَّهَ.

قوله: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ (أَي: يَنْتَظِرُونَ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، فَالْمُرَادُ: انْتِظَارُ الْجَزَاءِ، لَا انْتِظَارُ الْمَوْتِ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِيهِمْ قَبْلَ مَجِيئِهَا.

(١) قرأ البيزي بخلاف عنه: (أنفًا) بالقصر، والباقون بالمَد، وهما لُغَتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. انظر «الدر المصون» (٩/٦٩٥).

إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنْتَ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَزَ أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ - بَدَلِ اشْتِمَالٍ مِنْ ﴿السَّاعَةِ﴾ - أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ ﴿بَغْتَةً﴾: فَجَاءَ ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾: عَلَامَاتُهَا؛ مِنْهَا بَعَثُ النَّبِيِّ ﷺ وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ وَالْذُّخَانُ، ﴿فَأَنْتَ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ السَّاعَةُ ﴿ذِكْرُهُمْ﴾: تَذَكُّرُهُمْ؟ أَي: لَا يَنْفَعُهُمْ. ﴿١٩﴾ ﴿فَأَعْلَزَ أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ (أَي: فَقَدْ قَرُبَ قِيَامُهَا).

قوله: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ كَالْعِلَّةِ لِقَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾... إلخ؛ لِأَنَّ ظُهُورَ أَشْرَاطِ الشَّيْءِ مُوجِبٌ لانتظاره، وَرَدَّ عَنْ حَذِيفَةَ وَالْبِرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: كُنَّا نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ؛ إِذْ أَشْرَفَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَتَذَكَّرُونَ؟» قُلْنَا: نَتَذَكَّرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «لَا تَقُومُ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: الدُّخَانُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَخَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالذُّجَالُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَيَأْجُوجٌ وَمَأْجُوجٌ، وَنَزُولُ عِيسَى، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ»^(١). اهـ

قوله: (مِنْهَا: بَعَثُ النَّبِيِّ... إلخ) أَي: أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِهَا الصَّغْرَى بَعَثُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ حَصَلَ بِالْفِعْلِ، وَأَمَّا الْعَلَامَاتُ الْكُبْرَى فَسَتَاتِي. وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنِ الْجَمِيعِ بِالْمَاضِي؛ لِتَحَقُّقِ الْوُقُوعِ؛ عَلَى حَدِّ: ﴿أَنْتَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل: ١].

قوله: ﴿فَأَنْتَ لَهُمْ﴾ (خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿ذِكْرُهُمْ﴾ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَ﴿إِذَا﴾ وَمَا بَعْدَهَا: مُعْتَرِضٌ، وَجَوَابُهَا مُحذُوفٌ، دَلٌّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: كَيْفَ لَهُمُ التَّذَكُّرُ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ؛ فَكَيْفَ يَتَذَكَّرُونَ؟

قوله: ﴿فَأَعْلَزَ أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ مُرْتَبٌّ عَلَى مَا قَبْلَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ التَّذَكُّرَ إِذَا حَضَرَتِ السَّاعَةُ.. فَدُمَّ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ النَّافِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَبَّرَ بِالْعِلْمِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ غَيْرَهُ لَا يَكْفِي فِي التَّوْحِيدِ؛ كَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ.

واعْلَمْ: أَنَّ الْعِلْمَ مَرَاتِبُ: الْأُولَى: الْعِلْمُ بِالِدَّلِيلِ وَلَوْ جَمَلِيًّا، وَيُسَمَّى عِلْمَ يَقِينٍ، وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ

(١) رواه مسلم (٢٩٠١) عن سيدنا حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه بنحوه.

وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ

أي: دُم يا مُحَمَّدُ على عِلْمِكَ بِذَلِكَ النَّافِعِ فِي الْقِيَامَةِ، ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذَنبِكَ﴾: لِأَجْلِهِ، قِيلَ لَهُ ذَلِكَ مَعَ عِصْمَتِهِ لِتَسْتَنِّ بِهِ أُمَّتَهُ، وَقَدْ فَعَلَهُ، قَالَ ﷺ: «إِنِّي لَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِثْلَهُ» حَاشِيَةُ الصَّاوِي.

في التوحيد الذي يخرج به المكلف من وَرْطَةِ التقليد، وهو: الجزم من غير دليل، وفيه خلاف.

الثانية: العِلْمُ مع مراقبة الله، ويسمى عين يقين.

الثالثة: العِلْمُ مع المشاهدة، ويسمى حَقَّ يقين، وفي هذه المراتب فليتنافس المتنافسون.

قوله: (أي: دُم يا مُحَمَّدُ... إلخ) فالخطاب له ﷺ، بل ولكلِّ مُؤْمِنٍ، وقوله: (على عِلْمِهِ بِذَلِكَ) أي: بأنه لا إله إلا الله؛ أي: لا مَعْبُودَ بِحَقِّ إلا الله.

قوله: (النافع في القيامة) أي: لِمَا وَرَدَ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ... دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١).

قوله: (لِتَسْتَنِّ بِهِ أُمَّتَهُ) أي: تَقْتَدِي بِهِ، وهذا أَحَدُ أَوْجِهٍ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ، وَهُوَ أَحْسَنُهَا.

وقيل: مَعْنَاهُ: اسْأَلِ اللَّهَ الْعِصْمَةَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ: أَنَّ دَعَاءَهُ مُسْتَجَابٌ؛ فَفِي اسْتَغْفَارِهِ تَحَدُّثٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَهِيَ عِصْمَتُهُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَتَعْلِيمٌ لِلأُمَّةِ أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ.

وقيل: المراد بذنبه: خِلَافُ الْأَوَّلَى؛ مِثْلُ: مَا وَقَعَ مِنْهُ فِي أُسَارَى بَدْرٍ، وَفِي إِذْنِهِ لِلْمُنَافِقِينَ بِالْتَخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، فَهُوَ ذَنْبٌ بِحَسَبِ مَقَامِهِ وَرُتْبَتِهِ^(٢).

وقيل: المراد بذنبه: ذَنْبُ أَهْلِ بَيْتِهِ؛ فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بُشِّرَى لِلأُمَّةِ؛ حَيْثُ أَمَرَ ﷺ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَذُنُوبِهِمْ، وَهُوَ الشَّفِيعُ الْمَجَابُّ فِيهِمْ.

قوله: (وقد فعله) أي: الاسْتَغْفَارَ لَذَنْبِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَرَدَّ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّهُ لَيَبْغَانِ

(١) رواه مسلم (٢٦) عن سيدنا عثمان بن عفان ؓ.

(٢) وللإمام الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله تعالى بحثٌ نفيسٌ في حفظ الله تعالى رَسُولَهُ ﷺ مِنَ الْخَطَا وَالْبَاطِلِ، وَتَسْدِيدِهِ بِالْحَقِّ وَالصَّوَابِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ، أَجَابَ فِيهِ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ عَلَى اسْتِدْلَالِ الْقَائِلِينَ بِجَوَازِ الْخَطَا عَلَيْهِ ﷺ دُونَ أَنْ يُقَرَّرَ عَلَيْهِ. انظره في كتابه «سيدنا محمد رسول الله» (ص ٥١٨) وما بعدها.

(٣) رواه مسلم (٢٧٠٢) عن سيدنا الأغر المزني ؓ.

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

مَرَّةً، ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فِيهِ إِكْرَامٌ لَهُمْ بِأَمْرِ نَبِيِّهِمْ بِالِاسْتِغْفَارِ لَهُمْ، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتَصَرِّفَكُمْ لِأَشْغَالِكُمْ بِالنَّهَارِ، ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾: مَا وَأَكُم إِلَى مَضَاجِعِكُمْ بِاللَّيْلِ، أَي: هُوَ عَالِمٌ بِجَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا فَاحْذَرُوهُ. وَالْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ.

حاشية الصاوي

على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم مئة مرة^(١)، وفي رواية: «توبوا إلى ربكم، فوالله؛ إنني لأتوب إلى ربي عز وجل في اليوم مئة مرة»^(٢)، وفي رواية: «إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة»^(٣)، وفي رواية: «أكثر من ذلك»^(٤).

وقوله في الحديث: «إنه ليغان على قلبي» الغين: التغطية والستر، ويسمى به الغيم الرقيق الذي يغطي السماء، والمراد به: أنوار تغطي قلبه ﷺ دائماً، وسبب استغفاره منها: أنه ﷺ دائماً يترقى في الكمالات، فكلما ارتقى إلى مقام رأى أن الذي كان فيه بالنسبة للذي ارتقى إليه ذنباً، فيستغفر الله منه.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ أشار المفسر إلى أن معنى ﴿مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: مُتَصَرِّفَكُمْ لِأَشْغَالِكُمْ بِالنَّهَارِ، ومعنى (مَثْوَاكُمْ): مَا وَأَكُم إِلَى مَضَاجِعِكُمْ بِاللَّيْلِ، وهو أحد تفاسير في هذه الآية، وقيل: (مُتَقَلَّبَكُمْ) مِنْ أَصْلَابِ الْآبَاءِ إِلَى أَرْحَامِ الْأُمَّهَاتِ وَيُطَوْنَهُنَّ، و(مَثْوَاكُمْ) فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْقُبُورِ، وَقِيلَ: (مُتَقَلَّبَكُمْ) فِي الدُّنْيَا، و(مَثْوَاكُمْ): مَصِيرَكُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

قوله: (وَالْخِطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ) أَي: وَلَكِنْ خِطَابُ الْمُؤْمِنِينَ إِرْشَادٌ لَهُمْ إِلَى مَقَامِ الْمِرَاقَبَةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ أَنْ يُشَاهِدَ الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ فِي كُلِّ لَمَحَةٍ وَطَرْفَةٍ وَحَرَكَةٍ وَسَكُونٍ، وَهَذَا سِرٌّ (وَاللَّهُ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ)^(٥)، وَهُوَ مَطْلَبُ الْعَارِفِينَ، وَكُنْزُ الرَّاخِشِينَ، قَالَ الْعَارِفُ ابْنُ الْفَارُضِ^(٦):

(١) رواها النسائي في «الكبرى» (١٠٢٧٩) عن سيدنا الأغر المزني رحمه الله.

(٢) رواها الترمذي (٣٢٩٥)، وابن ماجه (٣٨١٦) عن سيدنا أبي هريرة رحمه الله.

(٣) رواها البخاري (٦٣٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رحمه الله.

(٤) سياق الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾.

(٥) كما في «ديوانه» (ص ٢١٣).

وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ ﴿٢٠﴾

﴿٢٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿طَلَبًا لِلْجِهَادِ: ﴿لَوْلَا﴾: هَلَا ﴿نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ فِيهَا ذِكْرُ الْجِهَادِ، ﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ أَي: لَمْ يُنْسَخْ مِنْهَا شَيْءٌ ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ أَي: طَلَبُهُ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أَي: شَكٌّ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خَوْفًا مِنْهُ وَكَرَاهِيَةً لَهُ، أَي: فَهُمْ يَخَافُونَ مِنَ الْقِتَالِ وَيَكْرَهُونَهُ، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ﴾ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ -:

حاشية الصاوي

[الطويل]

أَنِلْنَا مَعَ الْأَحْبَابِ رُؤَيْتَكَ الَّتِي إِلَيْهَا قُلُوبُ الْأَوْلِيَاءِ تُسَارِعُ

وقال العارف الدسوقي: [البسيط]

قَدْ كَانَ فِي الْقَلْبِ أَهْوَاءٌ مُفَرِّقَةٌ فَاسْتَجَمَعَتْ مُذْ رَأَيْتَكَ الْعَيْنُ أَهْوَائِي
تَرَكْتُ لِلنَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَدِينَهُمْ شُغْلًا بِحُبِّكَ يَا دِينِي وَدُنْيَائِي

وفيه فليتنافس المتنافسون، وخطابٌ غيرهم تخويفٌ وتحذيرٌ.

قوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) أَي: حِينَ اشْتَدَّ كَرْبُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَدَى الْمُشْرِكِينَ تَمَنَّوْا الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ، وَوَافَقَهُمْ فِي الظَّاهِرِ عَلَى هَذَا التَّمَنِّي الْمُنَافِقُونَ، فَهَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ هُنَا إِلَى آخِرِ السُّورَةِ مَدَنِيَّاتٌ قَطْعًا وَلَوْ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ السُّورَةَ مَكِّيَّةٌ؛ لِأَنَّ الْقِتَالَ لَمْ يُشْرَعْ إِلَّا بِهَا، وَكَذَا التَّفَاقُ لَمْ يَظْهَرِ إِلَّا بِهَا.

قوله: (أَي: طَلَبُهُ) أَي: ذُكِرَ فِيهَا الْأَمْرُ بِهِ وَالْحَثُّ عَلَيْهِ.

قوله: (أَي: شَكٌّ) وَقِيلَ: ضَعْفٌ فِي الدِّينِ.

قوله: ﴿نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ﴾ أَي: نَظْرًا مِثْلَ نَظَرِ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: تَشَخُّصُ أَبْصَارِهِمْ

كَالشَّخْصِ الَّذِي حَضَرَهُ الْمَوْتُ.

قوله: (خَوْفًا مِنْهُ) أَي: الْمَوْتُ.

قوله: ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ﴾ (أَي: الْحَقُّ وَالْوَاجِبُ لَهُمْ؛ أَي: عَلَيْهِمْ طَاعَةٌ... إلخ، هَذَا مَا مَشَى عَلَيْهِ

الْمُفَسِّرُ، وَهُوَ أَوْضَحُ مَا قِيلَ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ
.....

﴿٢١﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ: أي: حَسَنَ لَكَ، ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾: أي: فُرضَ الْقِتَالُ ﴿لَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾: في الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، - وَجُمْلَةُ (لَوْ) جَوَابُ (إِذَا) ..

﴿٢٢﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ - بِكُسْرِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا، وَفِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ - أي: لَعَلَّكُمْ ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾: أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تَعُودُوا إِلَى أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْبَغْيِ وَالْقِتَالِ.

(٢٣ - ٢٤) ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الْمُفْسِدُونَ
.....

حاشية الصاوي

قوله: (أي: حسنٌ) تفسيرٌ لـ ﴿مَعْرُوفٌ﴾، وقوله: (لك) مُتَعَلِّقٌ بِكُلِّ مِنْ ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾، والمعنى: الواجب عليهم أَنْ يُطِيعُوا وَيُخَاطَبُوا بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ.

قوله: (وجُمْلَةُ «لَوْ»): أي: مع جوابها.

قوله: (بكسر السين وفتحها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (وفيه التفاتٌ) أي: لِتَأْكِيدِ التَّوْبِيخِ.

قوله: (أي: لعلكم... إلخ) تفسيرٌ لـ (عسى)، ولم يَذْكُرْ تفسيرَ الاستفهام، وهو لِلتَّقْرِيرِ، والمعنى: قَرُّوا بِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ... إلخ، والتَوَقُّعُ فِي الْآيَةِ جَارٍ عَلَى لِسَانِ مَنْ يُشَاهِدُ حَرْصَهُمْ عَلَى الدُّنْيَا وَتَفْرِيطَهُمْ فِي الدِّينِ، لَا لِلَّهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ لَهُمْ، الْعَالَمُ بِأَحْوَالِهِمْ.

قوله: (أعرضتم عن الإيمان) تفسيرٌ لِلثَّوَابِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: تَأَمَّرْتُمْ وَتَوَلَّيْتُمْ أَمْرَ الْأُمَّةِ.

قوله: ﴿أَنْ تُفْسِدُوا﴾: خبر (عسى)، وَالشَّرْطُ مُعْتَرِضٌ بَيْنَهُمَا، وَجَوَابُهُ مَحْذُوفٌ؛ لِدَلَالَةِ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ عَلَيْهِ^(٢).

قوله: ﴿أُولَئِكَ﴾: مبتدأ، خبره قوله: ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾.

(١) قرأ نافع بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٣١/٤).

(٢) أو هو نفس ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ عند مَنْ يَرَى تَقْدِيمَهُ. انظر «الدر المصون» (٧٠١/٩).

الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْتَعَمُوا وَأَعَمَّتْ أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ
أَقْفَالَهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ
لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾

﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْتَعَمُوا وَأَعَمَّتْ أَبْصَرَهُمْ﴾ عن استِمَاعِ الْحَقِّ، ﴿وَأَعَمَّتْ أَبْصَرَهُمْ﴾ عن طَرِيقِ الْهُدَى. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ﴾ فَيَعْرِفُونَ الْحَقَّ؟ ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿عَلَى قُلُوبِ﴾ لَهُمْ ﴿أَقْفَالَهَا﴾ فَلَا يَفْهَمُونَهُ.
﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾ بِالنِّفَاقِ ﴿عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ﴾ أَي: زَيَّنَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ - بِضَمِّ أَوَّلِهِ، وَبِفَتْحِهِ وَاللَّامِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَاصْتَعَمُوا وَأَعَمَّتْ أَبْصَرَهُمْ﴾ (أي: فلا يَهْتَدُونَ إلى سُبُلِ الرِّشَادِ).
قوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبِ﴾ (أي: يَتَفَكَّرُونَ فِي مَعَانِيهِ فَيَهْتَدُوا، وَهَذِهِ الْآيَةُ لِتَقْرِيرِ مَا قَبْلَهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ (أي: أَبْعَدُهُمْ عَنْهُ، فَجَعَلَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ النَّصِيحَةَ، وَلَا يُبْصِرُونَ طَرِيقَةَ الْإِسْلَامِ، فَتَسَبَّبَ عَنْ ذَلِكَ كَوْنُهُمْ لَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ).
قوله: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبِ﴾... إلخ) ﴿أَمْ﴾: مُنْقَطِعَةٌ بِمَعْنَى (بَلْ)، وَهُوَ انْتِقَالٌ مِنْ تَوْيِيخِهِمْ عَلَى عَدَمِ التَّدَبُّرِ إِلَى تَوْيِيخِهِمْ بِكَوْنِ قُلُوبِهِمْ مُقْفَلَةً لَا تَقْبَلُ التَّدَبُّرَ وَالتَّفَكُّرَ.
قوله: (لَهُمْ) صِفَةُ لـ ﴿قُلُوبِ﴾.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ (أي: رَجَعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ الْمَوْصُوفُونَ بِمَا تَقَدَّمَ، دَلٌّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: (بِالنِّفَاقِ)، وَقِيلَ: هُمُ الْيَهُودُ، وَقِيلَ: أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ، دَامُوا عَلَى الْكُفْرِ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ مَا وَجَدُوا نَعْتَهُ فِي كِتَابِهِمْ).

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى﴾ (أي: الطَّرِيقَ الْقَوِيمَ بِالْأَدَلَّةِ وَالْحُجَجِ الظَّاهِرَةِ).
قوله: (بِضَمِّ أَوَّلِهِ) أي: وَكَسْرُ ثَالِثِهِ، وَفَتْحُ الْيَاءِ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ نَائِبُ الْفَاعِلِ، وَقَوْلُهُ: (وَبِفَتْحِهِ وَاللَّامِ) أي: مُبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، وَالْفَاعِلُ ضَمِيرٌ يَعُودُ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَهُمَا قَرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

(١) الْعَامَّةُ عَلَى (أَمَلَى) مُبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ، وَهُوَ ضَمِيرُ الشَّيْطَانِ، وَقِيلَ: هُوَ لِلْبَارِي تَعَالَى، قَالَ أَبُو الْبَقَاءِ: «عَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى الْخَبَرِ، وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ مُسْتَأْنَفًا»، وَلَا يَلْزَمُ مَا قَالَهُ، بَلْ هُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى الْخَبَرِ فِي كِلَا التَّقْدِيرَيْنِ، أَخْبَرَهُمْ بِهَذَا وَبِهَذَا، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو فِي آخِرِينَ (أَمَلَى) مُبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ. انظر «الدر المصون» (٧٠٣/٩).

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَاطِطُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ

والمُملِي الشَّيْطَانُ بِإِرَادَتِهِ تَعَالَى، فهو الْمُضِلُّ لَهُمْ.

﴿٢٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: لِلْمُشْرِكِينَ: ﴿سَاطِطُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المُعَاوَنَةُ عَلَى عَدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْيِيطِ النَّاسِ عَنِ الْجِهَادِ مَعَهُ، قَالُوا ذَلِكَ سِرًّا فَأَظْهَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ: جَمْعُ سِرٍّ، وَيَكْسِرُهَا: مَصْدَرٌ ..

﴿٢٧﴾ - ﴿٢٦﴾ ﴿فَكَيْفَ﴾ حَالُهُمْ ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ - حَالٌ مِنْ ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾ - ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾: ظُهُورَهُمْ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ؟ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: التَّوْفِي عَلَى الْحَالَةِ الْمَذْكُورَةِ

حاشية الصاوي

قوله: (والمُملِي الشَّيْطَانُ... إلخ) جوابٌ عن سؤالٍ مقدَّر، تقديره: الإِمْلاءُ معناه: الإِمْهَالُ، وهو لا يكون إلا مِنْ اللَّهِ؛ لأنه الفاعل المختار؛ فكيف يُنْسَبُ لِلشَّيْطَانِ؟ فأجاب: بأنَّ المملِي حقيقةً هو الله، وأُسْنَدُ لِلشَّيْطَانِ باعتبار أنه جارٍ على يَدَيْهِ؛ لأنه يُوسوسُ لَهُمْ بِسَعَةِ الْأَجْلِ.

قوله: (أي: لِلْمُشْرِكِينَ) أي: والقاتل هم اليهود، أو المنافقون؛ كما حكى الله عنهم ذلك في سورة (الحشر) بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾ [الآيات [الحشر: ١١]].

قوله: ﴿سَاطِطُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ (أي: في بعض ما تأمرُونَا به؛ كَالْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ، وَتَشْيِيطِ الْمُسْلِمِينَ عَنْهُ وَنَحْوِ ذَلِكَ، لَا فِي كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُوَافِقُونَهُمْ فِي إِظْهَارِ الْكُفْرِ.

قوله: (ويكسرهما) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿فَكَيْفَ﴾ خبر لمحذوف، قدره بقوله: (حالهم).

قوله: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ فملائكة العذاب تأتيهم عند قبض أرواحهم بمقامع من حديد يضربون بها وجوههم وأدبارهم.

قوله: (على الحالة المذكورة) أي: وهي التَّوْفِي مع ضرب الوجوه والأدبار.

(١) قرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر الهمزة مصدراً، والباقون بفتحها جمع (سر). انظر «السراج المنير» (٣٢/٤).

يَأْنَهُمْ أَتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَتَعَرَّفْنَاهُمْ بِسِيمَتِهِمْ وَتَعَرَّفْنَاهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ

﴿يَأْنَهُمْ أَتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ أي: العمل بما يُرضيه ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ: يُظْهِرُ أَحْقَادَهُمْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ؟

﴿٣٠﴾ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: عَرَّفْنَاكَهُمْ، وَكُرِّرَتِ اللَّامُ فِي ﴿فَتَعَرَّفْنَاهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾: عَلَامَتِهِمْ، ﴿وَتَعَرَّفْنَاهُمْ﴾ - الْوَاوُ لِقَسَمٍ مَحذُوفٍ، وَمَا بَعْدَهَا جَوَابُهُ - ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: مَعْنَاهُ إِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَكَ بِأَنْ يُعَرِّضُوا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَأْنَهُمْ أَتَّبَعُوا﴾... إلخ) راجع لضرب الوجوه، وقوله: ﴿وَكُرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ راجع لضرب الأدبار.

قوله: ﴿وَمَا آسَخَطَ اللَّهُ﴾ أي: من الكفر وغيره.

قوله: (بما يُرضيه) أي: من الإيمان وغيره من الطاعات.

قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ﴾... إلخ) أي: وهم المنافقون المتقدم ذكرهم.

قوله: (أحقادهم) جمع حقد، وهو: الانطواء على العداوة والبغضاء.

قوله: (عرَّفْنَاكَهُمْ) أي: فالإراءة علمية، لا بصرية.

قوله: (وكرر اللام) أي في قوله: ﴿فَتَعَرَّفْنَاهُمْ﴾: للتأكيد، والمعنى: لو أردنا لدللك على المنافقين، فتعرفهم بسيماهم، ورد عن ابن مسعود قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنَافِقِينَ؛ فَمَنْ سَمَّيْتَهُ.. فليَقُمْ»، ثم قال: «قُمْ يَا فَلَان، قُمْ يَا فَلَان» حتى سَمَّى سِتَّةً وَثَلَاثِينَ^(١).

قوله: ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ اللحن يُقال على معنيين: أحدهما: صرف الكلام عن الإعراب إلى الخطأ، والثاني: الكناية بالكلام؛ بحيث يكون للكلام ظاهر وباطن، فيكون ظاهره تعظيماً،

(١) رواه الإمام أحمد في «مُسْنَدِهِ» (٢٧٣/٥) عن سيدنا أبي مسعود عُقْبَةَ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ

بما فيه تهجينُ أمر المسلمين، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

﴿٣١﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ: نختبرنكم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾: عِلْمَ ظُهُورِ ﴿الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ﴾ في الجهاد وغيره، ﴿وَنَبْلُوا﴾: نُظْهِرَ ﴿أَخْبَارَكُمْ﴾ مِنْ طَاعَتِكُمْ وَعِصْيَانِكُمْ فِي الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ - بِالْيَأِ وَالنُّونِ فِي الْأَفْعَالِ الثَّلَاثَةِ -.

﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ: طَرِيقِ الْحَقِّ ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خَالَفُوهُ

حاشية الصاوي

وباطنه تحقيراً، وهو المراد هنا، ومعنى الآية: وإِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ لَتَعْرِفَنَّ الْمُنَافِقِينَ فِيمَا يُعَرِّضُونَهُ بِكَ مِنَ الْقَوْلِ الَّذِي ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ وَإِسْلَامٌ، وَبَاطِنُهُ كُفْرٌ وَسَبٌّ.

قوله: (بما فيه تهجينُ أمر المسلمين) التهجين: التقييح والتعييب، فكانوا يصطلحون فيما بينهم على ألفاظ يُخَاطَبُونَ بها الرسول، ظاهرها حسنٌ ويعنون بها القبيح؛ كقولهم: ﴿رَاعِنَا﴾، وتقْدَهُ الكلام على ذلك في سورة (البقرة) ^(١).

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: فيُجَازِيكُمْ بِحَسَبِ قُصْدِكُمْ، ففيه وعدٌ ووعدٌ.

قوله: (بالجهاد وغيره) أي: من سائر المشاقِّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ...﴾ الآية [البقرة: ١٥٥].

قوله: (علمَ ظهورٍ) أي: علماً يُشَاهِدُهُ خَلْقُنَا مُطَابِقاً لِمَا هُوَ فِي عِلْمِنَا الْأَزَلِيِّ؛ أي: فتظهر سرائرهم بين عبادنا.

قوله: (في ثلاثتها) وفي نسخة: (في الأفعال الثلاثة)، وهي (لَنَبْلُوَنَّكُمْ) و(نَعْلَمُ) و(نَبْلُوا)، وهما قراءتان سبعيتان ^(٢).

قوله: (طريقِ الحق) أي: وهو دين الإسلام.

قوله: (خالفوه) أي: خرجوا عن طاعته.

(١) انظر (١/٢١١).

(٢) قرأ شعبة بالياء التحتية في الأفعال الثلاثة، والباقون بالنون فيهنَّ. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩٨).

مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾

﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ هو مَعْنَى ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَلُهُمْ﴾: يُبَيِّطُهَا مِنْ صَدَقَةٍ وَنَحْوِهَا، فَلَا يَرُونَ لَهَا فِي الْآخِرَةِ ثَوَابًا. نَزَلَتْ فِي الْمُطْعِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ أَوْ فِي قَرِيظَةَ وَالنَّضِيرِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ (هذه الجملة خبر (إن)، والكلام إمّا على ظاهره، والمعنى: أَنْ كُفِّرَهُمْ لَا يَضُرُّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، وتعالى الله عن أَنْ يَصِلَ لَهُ مِنْ خَلْقِهِ ضَرٌّ أَوْ نَفْعٌ، وفي الحديث القدسي: «يا عبادي؛ إنكم لن تقدروا على ضَرْيٍ فَتَضُرُّونِي...» إلى آخره^(١)، أو على حذف مضاف؛ أي: لَنْ يَضُرُّوا رسول الله؛ لِعِصْمَتِهِ مِنْهُمْ.

قوله: (في الْمُطْعِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرِ) أي: في الْمُطْعِمِينَ الطَّعَامَ لِلْكَفَّارِ يَوْمَ بَدْرِ، وذلك أَنَّ أَغْنِيَاءَ الْكَفَّارِ كَانُوا يُعِينُونَ فَقَرَاءَهُمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ؛ كَأَبِي جَهْلٍ وَأَصْرَابِهِ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُنَّ...﴾ الآية [الأنفال: ٣٦]، وسبب ذلك: أَنَّ قَرِيظًا خَرَجَتْ لَغَزْوَةِ بَدْرِ بِأَجْمَعِهَا، وَكَانَ الْعَامُ عَامَ قَحْطٍ وَجَدِبٍ، وَكَانَ أَغْنِيَاؤُهُمْ يُطْعَمُونَ الْجَيْشَ، فَأَوَّلَ مَنْ نَحَرَ لَهُمْ حِينَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مَكَّةَ أَبُو جَهْلٍ؛ نَحَرَ لَهُمْ عَشْرَ جُزْرٍ، ثُمَّ صَفْوَانُ تِسْعًا بِعُسْفَانَ، ثُمَّ سَهْلُ عَشْرًا بِقَدِيدٍ، وَمَالُوا مِنْهُ إِلَى نَحْوِ الْبَحْرِ فَضَلُّوا فَأَقَامُوا يَوْمًا، فَنَحَرَ لَهُمْ شِيبَةُ تِسْعًا، ثُمَّ أَصْبَحُوا بِالْأَبْوَاءِ، فَنَحَرَ مِقْيَسُ الْجَمْحِيِّ تِسْعًا، وَنَحَرَ الْعَبَّاسُ عَشْرًا، وَنَحَرَ الْحَارِثُ تِسْعًا، وَنَحَرَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ عَلَى مَاءِ بَدْرِ عَشْرًا، وَنَحَرَ مَقْيَسُ عَلَيْهِ تِسْعًا، ثُمَّ شَغَلَهُمُ الْحَرْبُ، فَأَكَلُوا مِنْ أَزْوَادِهِمْ^(٢).

قوله: (أو في قَرِيظَةَ وَالنَّضِيرِ) أي: فَكَانُوا يَنْفِقُونَ عَلَى قَرِيْشٍ؛ لِيَسْتَعِينُوا بِهِمْ عَلَى عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ أَمْرُهُمْ إِلَى أَنْ أَخْرَجَ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَغَزَا قَرِيظَةَ؛ فَفَقَلَ كِبَارَهُمْ، وَأَسَرَ نِسَاءَهُمْ وَذُرَارِيَّهُمْ، وَلَمْ تَنْفَعَهُمْ قَرِيْشُ بِشَيْءٍ.

(١) رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَفِيهِ: (لَنْ تَبْلُغُوا) بَدَلَ (لَنْ تَقْدَرُوا).

(٢) أَوْرَدَهُ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ فِي «عَيُونِ الْأَثَرِ» (٢٩١/١)، وَفِيهِ أَنَّ الَّذِي نَحَرَ ثَلَاثًا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو.

يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ

(٣٣ - ٣٤) ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ بِالْمَعَاصِي
مَثَلًا. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: طَرِيقُهُ وَهُوَ الْهُدَى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) لما ذكر أحوال الكفار ومخالفتهم لرسول الله.. أمر
المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، وبالجمل: فهذه السورة اشتملت على ذكر أوصاف المؤمنين
والكافرين على أحسن ترتيب.

قوله: (بالمعاصي مثلاً) أي: كالردة؛ فإنها تبطل جميع الأعمال الصالحة من أصلها، والعجب
والرياء؛ فإنهما يبطلان ثواب الأعمال، والمن والأذى؛ فإنهما يبطلان ثواب الصدقات، والمن
مذموم إلا من الله على عباده، والرسول على أمته، والشيخ على تلميذه، والوالد على ولده؛ فليس
بمذموم، وأما باقي المعاصي.. فلا تبطل ثواب الأعمال الصالحة، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن
الكبائر تحبط الأعمال كالردة، وردّ كلامهم بقوله تعالى: ﴿وَتَعَفَّرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وأخذ بعض الأئمة من هذه الآية: أنه يحرم على الشخص قطع الأعمال الصالحة ولو فعلاً؛
كالصلاة والصوم، والحاصل: أن الأصل في النوافل أنها لا تلزم بالشروع عند جميع الأئمة،
واستثنى مالك وأبو حنيفة سبعا منها تلزم بالشروع، نظمها ابن عرفة من المالكية بقوله^(١): [الطول]

صَلَاةٌ وَصَوْمٌ ثُمَّ حَجٌّ وَعُمْرَةٌ	طَوَافٌ عُكُوفٌ وَائْتِمَامٌ تَحْتَمَا
وَفِي غَيْرِهَا كَالظُّهْرِ وَالْوَقْفِ خَيْرُنْ	فَمَنْ شَاءَ فَلْيَقْطَعْ وَمَنْ شَاءَ تَمَّ
ولا بن كمال باشا من الحنفية ^(٢) : [البسيط]	

مِنَ النَّوَافِلِ سَبْعٌ تَلْزَمُ الشَّارِعُ	أُخِذَ لِذَلِكَ مِمَّا قَالَهُ الشَّارِعُ
صَوْمٌ صَلَاةٌ عُكُوفٌ حَجٌّ الرَّابِعُ	طَوَافُهُ عُمْرَةٌ إِحْرَامُهُ السَّابِعُ

قوله: ﴿وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ الجملة حالية.

(١) انظر «حاشية الدسوقي على الشرح الكبير» (١/٩٢).

(٢) في «حاشية ابن عابدين» (٢/٣١): (هذا النظم عزاه السيد أبو السعود إلى صدر الدين بن أبي العز).

فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ
أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾

فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، نَزَلَتْ فِي أَصْحَابِ الْقَلِيبِ.

﴿٣٥﴾ ﴿فَلَا تَهْنُوا﴾: تَضَعُفُوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ - بِفَتْحِ السَّيْنِ وَكَسْرِهَا - أَي: الصُّلْحِ
مَعَ الْكُفَّارِ إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ - حُذِفَ مِنْهُ وَאוُ لَامُ الْفِعْلِ -: الْأَغْلَبُونَ
الْقَاهِرُونَ، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بِالْعَوْنِ وَالنَّصْرِ، ﴿وَلَنْ يَبْرِكُمْ﴾: يُنْقِصُكُمْ ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أَي: ثَوَابَهَا.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (خبر (إن)).

قوله: (في أصحاب القليب) هو بئر في بدر، أُلْقِيَتْ فِيهِ الْقَتْلَى مِنَ الْكُفَّارِ، لَكِنْ حُكِمَ بِهَا عَامٌ
فِي كُلِّ كَافِرٍ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ.

قوله: ﴿فَلَا تَهْنُوا﴾ الفاء فصيحة، وَقَعَتْ فِي جَوَابِ شَرْطٍ مُقَدَّرٍ؛ أَي: إِذَا تَبَيَّنَ لَكُمْ بِالْأَدْلَةِ
الْفَعْلِيَّةِ عِزُّ الْإِسْلَامِ وَذُلُّ الْكُفْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.. فَلَا تَهْنُوا.

قوله: (بفتح السين وكسرهما) أَي: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١)، وَهَذِهِ الْآيَةُ؛ قِيلَ: نَاسَخَ لآيَةَ
﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]؛ لِأَنَّ اللَّهَ مَنَعَ مِنَ الْمِيلِ إِلَى الصُّلْحِ إِذَا لَمْ يَكُنْ بِالْمُسْلِمِينَ
حَاجَةً إِلَيْهِ، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا نَزَلَتَا فِي وَقْتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَيَجُوزُ الصُّلْحُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهِ،
وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ، فَهَذِهِ الْآيَةُ مُخَصَّصَةٌ لِلآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

قوله: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ الجملة حالية، وكذا قوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾.

قوله: (لام الفعل) أَي: وَأَصْلُهُ: (الْأَعْلَوْنَ) بِوَاوَيْنِ: الْأُولَى: لَامُ الْفِعْلِ، وَالثَّانِيَةِ: وَاوِ
الْجَمْعِ، تَحَرَّكَتِ الْوَاوُ الْأُولَى وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا قَلْبَتْ أَلْفًا، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، فَحُذِفَتِ الْأَلْفُ.

قوله: (بالعون والنصر) أَي: فَالْمَرَادُ: مَعِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ.

قوله: (يُنْقِصُكُمْ) أَي: أَوْ يُفْرِدُكُمْ عَنْهَا؛ لِأَنَّ الثَّرَةَ تُطْلَقُ بِالْمَعْنِيِّينَ؛ يُقَالُ: وَتَرَهُ حَقَّهُ يَتَرَهُ وَتَرَا:
نَقْصُهُ^(٢)، وَأَوْتَرَ أَرْضَهُ بِمَعْنَى: أَفْرَدَهُ.

(١) قرأ حمزة وشعبة بكسر السين، والباقون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٣٥/٤).

(٢) من باب (وَعَدَ) كَمَا فِي «المصباح المنير»، مَادَّة: (وَتَرَّ) وَيُقَالُ: (وَتَرَا) بِكسر الواو كَمَا فِي «المختار».

إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِي حِفْظِكُمْ تَبَخَّلُوا وَخُذْ أَمْوَالَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ جَمِيعَهَا، بَلِ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ فِيهَا. ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِي حِفْظِكُمْ﴾: يُبَالِغُ فِي طَلِبِهَا ﴿تَبَخَّلُوا وَخُذْ﴾ الْبَخْلُ ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ لِدِينِ الْإِسْلَامِ.

﴿٣٦ - ٣٧﴾ ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أَي: الْإِسْتِغَالُ فِيهَا ﴿لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلِإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ اللَّهُ وَذَلِكَ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جَمِيعَهَا، بَلِ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ فِيهَا. ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فِي حِفْظِكُمْ﴾: يُبَالِغُ فِي طَلِبِهَا ﴿تَبَخَّلُوا وَخُذْ﴾ الْبَخْلُ ﴿أَمْوَالَكُمْ﴾ لِدِينِ الْإِسْلَامِ.

﴿٣٨﴾ ﴿هَآأَنَّتُمْ﴾ يَا ﴿هَآأَنَّتْ تَدْعُونَ لِئِنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ مَا فُرِضَ عَلَيْكُمْ، ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلُ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ اللعب: مَا يَشْغُل الْإِنْسَانَ وَلَيْسَ فِيهِ مَنْفَعَةٌ فِي الْحَالِ وَلَا فِي الْمَالِ، وَاللَّهُو: مَا يَشْغُل الْإِنْسَانَ عَنْ مُهِمَّاتِ نَفْسِهِ.

قوله: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ أَي: لَا يَأْمُرُكُمْ بِإِخْرَاجِ جَمِيعِ أَمْوَالِكُمْ فِي الزَّكَاةِ، بَلِ يَأْمُرُكُمْ بِإِخْرَاجِ بَعْضِهَا.

قوله: ﴿فِي حِفْظِكُمْ﴾ عَطَفَ عَلَى الشَّرْطِ، وَ﴿تَبَخَّلُوا﴾: جَوَابُهُ.

قوله: ﴿يُبَالِغُ فِي طَلِبِهَا﴾ أَي: حَتَّى يَسْتَأْصِلَهَا.

قوله: ﴿وَيُخْرِجُ أَمْوَالَكُمْ﴾ لِدِينِ الْإِسْلَامِ أَي: أَحْقَادَكُمْ وَبِغَضِّكُمْ لِدِينِ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ جُبِلَ عَلَى مَحَبَّةِ الْأَمْوَالِ، وَمَنْ نُوزِعَ فِي حَبِيئِهِ.. ظَهَرَتْ سَرِيرَتُهُ، فَمِنْ رَحْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ عَدَمُ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ فِي التَّكَالِيفِ.

قوله: ﴿هَآأَنَّتُمْ﴾ الْهَاءُ: لِلتَّنْبِيهِ، وَ﴿أَنَّتُمْ﴾: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿هَآأَنَّتْ﴾: مُنَادَى، وَحَرْفُ النِّدَاءِ مُحذُوفٌ، قَدَّرَهُ الْمُفَسِّرُ، وَ﴿تَدْعُونَ﴾: خَبَرُهُ، وَجُمْلَةُ النِّدَاءِ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ.

قوله: ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾ أَي: وَمِنْكُمْ مَنْ يَجُودُ، وَحُذِفَ هَذَا الْمَقَابِلُ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ الْإِسْتِدْلَالَ عَلَى الْبَخْلِ.

وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

يُقَالُ: بَخَلَ عَلَيْهِ وَعَنْهُ، ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ نَفَقَتِكُمْ، ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إِلَيْهِ، ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عَنْ طَاعَتِهِ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أَي: يَجْعَلُهُمْ بِدَلَّكُمْ ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ فِي التَّوَلَّى عَنْ طَاعَتِهِ، بَلْ مُطِيعِينَ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ.



حاشية الصاوي

قوله: (يُقَالُ: بَخَلَ عَلَيْهِ وَعَنْهُ) أَي: فَيَتَعَدَّى بِ(عَلَى) إِذَا ضُمِّنَ مَعْنَى (تَعَدَّى)^(١)، وَبِ(عَنْ) إِذَا ضُمِّنَ مَعْنَى (أَمْسَكَ).

قوله: ﴿وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ إِلَيْهِ) أَي: فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

قوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ إِمَّا خَطَابٌ لِلصَّحَابَةِ وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ التَّخْوِيفُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِلْ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لِرُتْبَتِهِمْ، وَالشَّرْطِيَّةُ لَا تَقْتَضِي الْوُقُوعَ، أَوْ خَطَابٌ لِلْمُنَافِقِينَ، وَالتَّبْدِيلُ حَاصِلٌ بِالْفِعْلِ. وَاخْتَلَفَ فِي الْقَوْمِ الْمُسْتَبْدَلِينَ، فَرَوَى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾، قَالُوا: وَمَنْ يَسْتَبْدِلُ بِنَا؟ وَكَانَ سَلْمَانُ جَنْبَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ فَخَذَ سَلْمَانَ فَقَالَ: «هَذَا وَأَصْحَابُهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ مَنُوطًا بِالشَّرِيَا.. لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ»^(٢)، وَقِيلَ: هُمُ الْعَجَمُ، وَقِيلَ: فَارِسُ وَالرُّومُ، وَقِيلَ: الْأَنْصَارُ، وَقِيلَ: الْمَلَائِكَةُ، وَقِيلَ: التَّابِعُونَ، وَقِيلَ: مَنْ شَاءَ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَرَدَّ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.. فَرِحَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «هِيَ أَحَبُّ مِنَ الدُّنْيَا»^(٣).



(١) فِي (ب:) (شَخَّ)، وَفِي «تَاجِ الْعُرُوسِ»: (وَقَدْ شَخَّحَتْ - بِالْكَسْرِ - بِهِ وَعَلَيْهِ).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٢٦١).

(٣) انْظُرْ «تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ» (٢٨٥/١٦) فِيمَا حُكِيَ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



مَدِينَةٍ، تِسْعٌ وَعَشْرُونَ آيَةً.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْفَتْحِ

سَبَبُ نُزُولِهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ بِأَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَاصِدِينَ مَكَّةَ لِلْإِعْتِمَارِ، فَأَحْرَمُوا بِالْعِمْرَةِ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَسَاقَ ﷺ سَبْعِينَ بَدَنَةً هَدِيًّا لِلْحَرَمِ، وَسَاقَ الْقَوْمُ سَبْعَ مِائَةٍ، فَلَمَّا وَصَلُوا الْحُدَيْبِيَّةَ - وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ مَرَحَلَةٌ - أَرْسَلَ عِثْمَانُ مَكَّةَ؛ لِيُخْبِرَ أَهْلَهَا بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ زِيَارَةَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَلَمْ يَكُنْ قَاصِدًا حَرْبِيًّا، فَلَمَّا ذَهَبَ عِثْمَانُ.. حَبَسُوهُ عِنْدَهُمْ، فَأَشَاعَ إِبْلِيسُ فِي الصَّحَابَةِ أَنَّ عِثْمَانَ قُتِلَ، فَبَايَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ عَلَى أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مَكَّةَ حَرْبًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمُشْرِكِينَ ذَلِكَ.. أَخَذَهُمُ الرُّعْبُ، وَأَطْلَقُوا عِثْمَانَ، وَطَلَبُوا الصُّلْحَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ عَلَى أَن يَأْتِيَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ، وَيَدْخُلَهَا وَيُقِيمَ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَتَحَلَّلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ هُنَاكَ بِالْحَلَقِ، وَذَبَحَ مَا سَاقُوهُ مِنَ الْهَدْيِ، ثُمَّ رَجَعُوا يَعْلُوهُمْ الْحُزْنَ وَالْكَآبَةَ، فَأَرَادَ اللَّهُ تَسْلِيَتَهُمْ وَإِذْهَابَ الْحُزْنَ عَنْهُمْ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ سَائِرُ لَيْلًا فِي رُجُوعِهِ وَهُوَ بِكُرَاعِ الْعَوِيمِ - وَهُوَ وَادٍ أَمَامَ عُسْفَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ -: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَقَالَ ﷺ: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: هُنِيئًا مَرِيئًا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكَ مَا يَفْعَلُ بِكَ؛ فَمَاذَا يَفْعَلُ بِنَا؟ فَنَزَلَتْ عَلَيْهِ: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿فَوَرَّاءَ عَظِيمًا﴾^(١).

قوله: (مَدِينَةٍ) أَي: لَكُونَهَا نَزَلَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ.

(١) رواه الترمذي (٣٢٦٣) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ، وفيه: «لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ آيَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ» بَدَل «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»، وَهِيَ عِنْدَ «الْبَخَارِيِّ» (٤١٧٧) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا عُمَرَ ؓ، وَانْظُرْ «تَفْسِيرَ الْخَازَنِ» (١٥٣/٤)، وَ«عُيُونُ الْأَثَرِ» (١٥٥/٢).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ : قَضَيْنَا بِفَتْحِ مَكَّةَ وَغَيْرِهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾... إلخ﴾ الفتح هو: الظَّفَرُ بالبلاذ عُنُوةً أو صلحاً، فشَبَّهَ الظفر بالبلاذ بفتح الباب المغلق؛ بجامع التمكن في كلِّ، واستُعير اسم المشبَّه به للمشبَّه، واشتُق من الفتح ﴿فَتَحْنَا﴾ بمعنى: (ظفرنا) أي: مَكَنَّكَ من البلاذ، وحذف المعمول؛ لِيُؤْذَنَ بالعموم، وأسند إلى نون العظمة؛ اعتناءً بشأن الفتح، وإشارةً إلى أَنَّ هذا الأمر لا يَتيسَّرُ إلا بإرادة الله وتوفيقه.

قوله: (قضينا بفتح مكة وغيرها) أي: كخبر وحُنين والطائف ونحوها، وهو جوابٌ عما يقال: إِنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي رُجُوعِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ عام ست، ومكة لم تُفتح إلا في السنة الثامنة؛ فكيف عبَّرَ بالماضي؟ فأجاب: بأنَّ التعبير بالماضي بالنسبة لِلْقَضَاءِ الْأَزْلِيِّ، والمعنى: حَكَمْنَا لَكَ فِي الْأَزَلِ بِالْفَتْحِ الْمَبِينِ، وحينئذٍ: فالتعبير بالماضي حقيقة.

وأجيب أيضاً: بأنَّ التعبير بالماضي مجاز لتحقق الوقوع؛ نظير: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩].
وأجيب أيضاً: بأنَّ الفتح على حقيقته، وأنَّ المراد به صلحُ الحُدَيْبِيَّةِ؛ لأنه أصاب فيه ما لم يُصِبْ في غيره، قال الزهري: لقد كان الحُدَيْبِيَّةُ أعظمَ الفتوح، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جاء إليها في ألف وأربع مئة، فلَمَّا وَقَعَ الصلح... مشى الناسُ بعضهم على بعضٍ، وعلمُوا وسمِعُوا من الله، فما أراد أحدٌ الإسلام إلا تَمَكَّنَ منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف^(١).

وقال الشعبي في قوله: ﴿﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾﴾: هو فتحُ الحُدَيْبِيَّةِ، لقد أصاب فيها ما لم يُصِبْ في غزوة غيرها؛ غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وبُيُوعِ بيعة الرضوان، وأطعمُوا نخل خيبر، وبلغ الهدى محلَّه، وظهرت الروم على فارس، وفرحت المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس^(٢).

(١) انظر «تفسير القرطبي» (٢٦١/١٦)، وقوله: (مشى الناس بعضهم على بعض) أي: تفرَّقوا في البلاد، فدخل بعضهم أرض بعض من أجل الأمن بينهم، وفيه: (وعلمُوا وسمِعُوا عن الله) بدل (وعلمُوا وسمِعُوا من الله).

(٢) انظر «زاد المسير» (١٢٥/٤).

فَتَحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ

عُنُوةٌ بِجِهَادِكَ، ﴿فَتَحًا مُبِينًا﴾: بَيِّنًا ظَاهِرًا.

(٢ - ٣) ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ بِجِهَادِكَ ﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مِنْهُ لِتُرْغَبَ أَمَّتُكَ فِي الْجِهَادِ، وَهُوَ مُؤَوَّلٌ لِعِصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ الْقَاطِعِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَاللَّامُ لِلْعِلَّةِ الْغَائِيَةِ فَمَدْخُولُهَا مُسَبَّبٌ

حاشية الصاوي

قوله: (عُنُوة) هذا مذهب مالك وأبي حنيفة؛ نظراً لِكَوْنِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ دَخَلُوهَا قَهْرًا، وَوُقُوعُ الْقَتْلِ مِنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ كَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَأَصْحَابِهِ فِي جِهَةِ أَسْفَلِهَا، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ: أَنَّهَا فُتِحَتْ صَلَاحًا؛ نَظَرًا لِلظَّاهِرِ، وَهُوَ عَدَمُ حُصُولِ الْقِتَالِ مِنَ النَّبِيِّ، وَتَأْمِينِهِ أَبَا سَفْيَانَ، وَهَذَا الْخِلَافُ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ لَفْظِيًّا^(١).

قوله: (بجهدك) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: (بِفَتْحِ مَكَّةَ)، وَهُوَ جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْفَتْحَ نَاشِئٌ مِنَ اللَّهِ، وَالْمَغْفِرَةُ تَكُونُ لِلشَّخْصِ؛ فَكَيْفَ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تَتَرْتَّبَ عَلَى مَا يَكُونُ مِنَ الشَّخْصِ؟ فَأَجَابَ: بِأَنَّ الْفَتْحَ وَإِنْ كَانَ مِنَ اللَّهِ لَكِنَّهُ تَرْتَّبَ عَلَى فِعْلِ النَّبِيِّ وَهُوَ الْجِهَادُ، فَصَحَّ أَنَّهُ يَتَرْتَّبُ عَلَى الْفَتْحِ الْمَغْفِرَةُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ.

قوله: (لترغب أمتك) عِلَّةٌ لِتَرْتَّبِ الْغُفْرَانُ عَلَى الْفَتْحِ.

قوله: (هو مؤول) أي: إِنَّ إِسْنَادَ الذَّنْبِ لَهُ ﷺ مُؤَوَّلٌ؛ إِمَّا بِأَنَّ الْمُرَادَ: ذُنُوبُ أَمَّتِكَ، أَوْ هُوَ مِنْ بَابِ: حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ، أَوْ بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْغُفْرَانِ: الْإِحَالَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ فَلَا تَصْدُرُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْغَفْرَ هُوَ السِّرُّ، وَالسِّرُّ إِمَّا بَيْنَ الْعَبْدِ وَالذَّنْبِ، أَوْ بَيْنَ الذَّنْبِ وَعَذَابِهِ؛ فَاللَّائِقُ بِالْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِ، وَبِالْأَمَمِ الثَّانِي.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ عِصْمَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الذُّنُوبِ حَاصِلَةٌ بِالْفِعْلِ قَبْلَ الثُّبُوتِ وَبَعْدَهَا؛ فَكَيْفَ تَكُونُ مُرْتَبَةً عَلَى جِهَادِهِ؟

أُجِيبُ: بِأَنَّ الْمُرْتَّبَ إِظْهَارُهَا لِلْخَلْقِ، لَا هِيَ نَفْسُهَا.

قوله: (من الذنوب) أي: صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا، عَمْدُهَا وَسَهْوُهَا، قَبْلَ الثُّبُوتِ وَبَعْدَهَا.

قوله: (للعلة الغائية) أي: وَهِيَ الْمُرْتَبَةُ عَلَى آخِرِ الْفِعْلِ، وَلَيْسَتْ عِلَّةً بَاعِثَةً؛ لِاسْتِحَالَةِ الْأَغْرَاضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَحْكَامِ.

(١) انظر «حاشية العدوي على كفاية الطالب» (١٠/٢)، و«حاشية ابن عابدين» (١٣٨/٤)، و«الأم» (٣٨٢/٧).

وَيُنِمْ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ

لا سَبَبَ، ﴿وَيُنِمْ﴾ بِالْفَتْحِ الْمَذْكُورِ ﴿نِعْمَتُهُ﴾: إِنْْعَامُهُ ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ بِهِ ﴿صِرَاطًا﴾: طَرِيقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يُثَبِّتُكَ عَلَيْهِ وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ، ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ﴾ بِهِ ﴿نَصْرًا عَزِيمًا﴾: ذَا عِزٍّ لَا ذُلَّ مَعَهُ.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الطَّمَأْنِينَةُ ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (لا سبب) أي: لأنَّ السبب ما يُضَافُ إليه الحُكْمُ؛ كالزوال لِوُجُوبِ الظَّهْرِ، والمَغْفِرَةُ ليست كذلك.

قوله: (بالفتح المذكور) أي: وهو فتح مكة وغيرها بجَهَادِكَ.

قوله: (يُثَبِّتُكَ عَلَيْهِ) أي: يَهْدِيكَ وَيُقَوِّمُكَ عَلَيْهِ، أو المراد: يَزِيدُكَ فِي الْهَدَايَةِ بِاتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِ الدِّينِ.

قوله: (ذَا عِزٍّ) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْعَزِيزَ وَصْفٌ لِلْمَنْصُورِ لَا لِلنَّصْرِ، وتَوْضِيحُ جَوَابِهِ أَنَّ (فَعِيل) صِيغَةُ نِسْبَةٍ؛ أي: نصر مَنسوبٌ لِلْعِزِّ^(١).

قوله: (لا ذُلَّ مَعَهُ) أي: لا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا مُطْلَقُ نَصْرٍ.. فَيَكُونُ حَتَّى لِبَعْضِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا.

قوله: ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: وَهُمْ أَهْلُ الْحُدُودِ، حَتَّى بَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى مُنَاجَزَةِ الْحَرْبِ مَعَ أَهْلِ مَكَّةَ بَعْدَ أَنْ حَصَلَ لَهُمْ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُزْعَجَ النُّفُوسَ، وَيُزَيِّغَ الْقُلُوبَ؛ مِنْ صَدِّ الْكُفَّارِ، وَرُجُوعِ الصَّحَابَةِ دُونَ بُلُوغِ مَقْصُودِ، فَلَمْ يَرْجِعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنِ الْإِيمَانِ بَعْدَ أَنْ هَاجَ النَّاسُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى عَمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؛ لِمَا رَوَى أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ تُعْطِي الدُّنْيَا فِي دِينِنَا إِذَا؟! قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تَحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَتَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، أَنَا أَخْبَرْتُكَ أَنَا نَاتِيهِ الْعَامَ؟» قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَتَطُوفُ بِهِ»، قَالَ: فَأَتَيْتُ

(١) حق التفسير أن يقول: أي: نصرًا منسوبًا لِلْعِزِّ، وَلَعَلَّهُ حُلٌّ مَعْنَى لَا حُلَّ لِإِعْرَابِ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ (هُوَ).

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾

بِشَرَائِعِ الدِّينِ كُلَّمَا نَزَلَ وَاحِدَةٌ مِنْهَا آمَنُوا بِهَا وَمِنْهَا الْجِهَادُ، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فَلَوْ أَرَادَ نَصْرَ دِينِهِ بِغَيْرِكُمْ لَفَعَلَ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِخَلْقِهِ ﴿حَكِيمًا﴾ فِي صُنْعِهِ أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر؛ أليس هذا نبيُّ الله حقًّا؟ قال: بلى، فقلتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قال: بلى، فقلتُ: فلم تُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قال: أيها الرجل؛ إنه رسول الله، وليس يَعَصِي رَبَّهُ، وهو ناصره، فاستمسك بأمره ولا تُخَالِفْهُ، فوالله؛ إنه على الحق، قلتُ: أوليس كان يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قال: بلى، فأخبرك أنا نَأْتِيهِ الْعَامُ؟ قلتُ: لا، قال: فَإِنَّكَ آتِيهِ فَتَطُوفُ بِهِ^(١).

قال العلماء: لم يكن سؤال عمر شكًّا، بل طلباً لِكَشْفِ مَا خَفِيَ عَلَيْهِ، وَحُثًّا عَلَى إِذْلالِ الْكُفَّارِ وَظُهُورِ الْإِسْلَامِ؛ كما هو معروفٌ مِنْ شِدَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ فِي الدِّينِ، وَأَمَّا جَوَابُ أَبِي بَكْرٍ الْمَطَابِقُ لَجَوَابِ النَّبِيِّ ﷺ.. فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله، وبارع علمه، وزيادة عرفانه، ورُسُوخِهِ ﷺ وَعَنَّا بِهِمَا^(٢).

قوله: (بشرائع الدين) مُتَعَلِّقٌ بِ﴿إِيْمَانًا﴾، وقوله: ﴿مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ متعلقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ أَي: بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اِخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ بِجُنُودِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ فَقِيلَ: هُم مَلَائِكَةُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَقِيلَ: إِنَّ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ الْمَلَائِكَةُ، وَجُنُودَ الْأَرْضِ الْحَيَوَانَاتُ، وَقِيلَ: إِنَّ جُنُودَ السَّمَاوَاتِ مِثْلَ الصَّوَاعِقِ وَالصَّيْحَةِ وَالْحِجَارَةِ، وَجُنُودَ الْأَرْضِ مِثْلَ الزَّلَازِلِ وَالْخَسْفِ وَالْغُرُقِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَكُلُّ صَحِيحٍ.

قوله: (لفعل) أَي: لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ، بَلْ أَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَكُونَ إِهْلَاكُ الْأَعْدَاءِ بِأَيْدِيهِمْ؛ لِيَحْصُلَ لَهُمُ الشَّرَفُ وَالْعِزُّ دُنْيَا وَآخِرَى.

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) واللفظ له عن سيدنا المسور بن مخرمة ؓ، ومسلم (١٧٨٥) عن سيدنا سهل بن حنيف ؓ، وفي الأصول: (فلم نعط) بحذف الياء في الموضعين، والمثبت من «صحيح البخاري».

(٢) انظر «إرشاد الساري» (٤/٤٥٠)، و«شرح التَّوْبِي عَلَى مُسْلِمٍ» (١٢/١٤١).

لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوءِ

﴿لِيَدْخُلَ﴾ - متعلق بمحذوف - أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا.

﴿٦﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّينَ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوءِ - بفتح السين وضمها في المواضع الثلاثة - ظنوا أنه لا ينصُرُ مُحَمَّدًا ﷺ والمؤمنين،

حاشية الصاوي

قوله: (متعلق بمحذوف) أي: لا بـ ﴿فَتَحَنَّا﴾؛ لئلا يلزم عليه عمل الفعل في حرفي جرٍّ متحدي اللفظ والمعنى من غير عطفٍ ولا بدلٍ ولا توكيد.

قوله: ﴿وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ (أي: يمحوها، وهو معطوف على قوله: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾) إلخ عطفٌ سببٍ على مسببٍ؛ فدخل الجنة مسببٌ عن تكفير السيئات، وقدم الإدخال في الذكر على التكفير؛ مسارعةً إلى بيان ما هو المطلوب الأعلى.

قوله: ﴿وَكَانَ ذَلِكَ﴾ أي: المذكور من الإدخال والتكفير.

قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ حالٌ من ﴿فَوْزًا﴾؛ لأنه صفةٌ له في الأصل، فلما قُدم عليه صار حالاً؛ أي: كائناً عند الله؛ أي: في علمه وقضائه.

قوله: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَفَقِّينَ﴾ قدّمهم على المشركين؛ لأنهم أشدُّ ضرراً من الكفار المتجاهرين؛ وذلك لأنَّ المؤمن كان يتوقى المجاهر، ويخالط المنافق؛ لظنه إيمانه.

قوله: ﴿ظَنِّ السَّوءِ﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: ظن الأمر السوء، فحذف المضاف إليه، وأقيمت صفته مقامه.

قوله: (بفتح السين وضمها) أي: فالفتح: الذم، والضم: العذاب والهزيمة والشر.

قوله: (في المواضع الثلاثة) أي: هذين، والثالث قوله فيما يأتي: ﴿وَلَطَّنْتُمْ ظَنِّ السَّوءِ﴾، وهو سبقُ قلم، والصواب أن يقول: (في الموضع الثاني)^(١)، وأمّا الأول والثالث.. فليس فيهما إلا الفتح باتفاق السبعة.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم السين، والباقون بالفتح، وهما لغتان كالكره والكروه، والضعف والضَّعف. انظر «السراج المنير» (٤/٤٠).

عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَاللَّهُ
جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾
لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ﴾ بِالذُّلِّ وَالْعَذَابِ، ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾: أَبْعَدَهُمْ، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ أَي: مَرْجِعًا.

﴿٧﴾ ﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿حَكِيمًا﴾ فِي صُنْعِهِ،
أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

﴿٨ - ٩﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا﴾ عَلَى أُمَّتِكَ فِي الْقِيَامَةِ، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لَهُمْ
فِي الدُّنْيَا بِالْجَنَّةِ، ﴿وَنَذِيرًا﴾: مُنْذِرًا مُخَوِّفًا فِيهَا مَنْ عَمِلَ سُوءًا بِالنَّارِ، ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ﴾﴾ إِنَّمَا إِخْبَارٌ عَنْ وَقْعِهِ بِهِمْ، أَوْ دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ، كَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: سَلُونِي
بِقَوْلِكُمْ: عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ، والدائرة عبارة عن الخط المحيط بالمركز، ثُمَّ اسْتَعْمِلْتَ فِي الْحَادِثَةِ
الْمَحِيطَةَ بِمَنْ وَقَعَتْ عَلَيْهِ، وَالْجَامِعُ الْإِحَاطَةُ فِي كُلِّ.

قوله: ﴿﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾﴾ عَطَفْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّ﴾﴾.

قوله: ﴿﴿وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾﴾... إلخ ذكر هذه الآية أولاً فِي مَعْرِضِ الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ
فَذَيَّلَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾﴾، وَذَكَرَهَا ثَانِيًا فِي مَعْرِضِ الْإِنْتِقَامِ فَذَيَّلَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿﴿غَزِيرًا حَكِيمًا﴾﴾؛
فَلَا تَكَرَّارَ.

قوله: (أَي: لَمْ يَزَلْ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (كَانَ) فِي أَوْصَافِ اللَّهِ مَعْنَاهَا الْاسْتِمْرَارَ.

قوله: ﴿﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾﴾... إلخ) امْتِنَانٌ مِنْهُ تَعَالَى عَلَيْهِ ﷺ؛ حَيْثُ شَرَّفَهُ بِالرَّسَالَةِ، وَبَعَثَهُ إِلَى كَافَّةِ
الْخَلْقِ شَاهِدًا عَلَى أَعْمَالِ أُمَّتِهِ.

قوله: ﴿﴿شَهِدًا﴾﴾ عَلَى أُمَّتِكَ أَي: بِالطَّاعَةِ وَالْعِصْيَانِ.

قوله: ﴿﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾﴾.

وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ

- بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ فِيهِ وَفِي الثَّلَاثَةِ بَعْدَهُ - ﴿وَيُعَزِّرُوهُ﴾: يَنْصُرُوهُ، - وَقُرِئَ بِزَايَيْنِ مَعَ الْفَوْقَانِيَّةِ -
﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾: يُعَظِّمُوهُ، وَضَمِيرُهُمَا لِلَّهِ أَوْ لِرَسُولِهِ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾: أَي: اللَّهُ ﴿بُكْرَةً
وَأَصِيلًا﴾: بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ.

﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ بِيَعَةِ الرِّضْوَانِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ

حاشية الصاوي

قوله: (بالياء والتاء) أي: فهما قراءتان سبعتان^(١).

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً^(٢).

قوله: (وضميرهما لله... إلخ) أي: فهما احتمالان؛ أي: فإذا أردت الجري على وتيرة
واحدة.. جعلتها كأنها عائدة على الله تعالى، وأمّا قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾.. فهو عائد على الله قولاً
واحداً.

ويؤخذ من هذه الآية: أَنَّ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ وَحْدَهُ، أَوْ عَلَى تَعْظِيمِ الرَّسُولِ وَحْدَهُ..
فليس بمؤمن، بل المؤمن مَنْ جَمَعَ بَيْنَ تَعْظِيمِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِ رَسُولِهِ، وَلَكِنِ التَّعْظِيمُ فِي كُلِّ
بَحْسِيهِ؛ فَتَعْظِيمُ اللَّهِ تَنْزِيهُهُ عَنْ صِفَاتِ الْحَوَادِثِ، وَوَصْفُهُ بِالْكَمَالَاتِ، وَتَعْظِيمُ رَسُولِهِ اعْتِقَادُ أَنَّهُ
رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا وَصَدَقًا لِكَافَّةِ الْخَلْقِ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِهِ السَّنِّيَّةِ، وَشَمَائِلِهِ
الْمَرْضِيَّةِ.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾... إلخ) لَمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ أَرْسَلَهُ بِشِيرًا وَنَذِيرًا..
بَيَّنَّ أَنَّ مُتَابَعَتَهُ مُتَابَعَةٌ لَهُ، وَطَاعَتُهُ طَاعَةٌ لَهُ، وَذَلِكَ يُشْعِرُ بِعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَقَدْرِهِ عِنْدَ رَبِّهِ.

والبيعة في الأصل: العقد الذي يَعْقِدُهُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ بَذْلِ الطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ
الَّذِي التَّزَمَهُ لَهُ، وَالْمُرَادُ بِهَا هُنَا: بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ، وَهِيَ قَرْيَةٌ لَيْسَتْ كَبِيرَةً، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ
أَقْلُ مِنْ مَرَحَلَةٍ أَوْ مَرَحَلَةٍ، سَمِّيَتْ بِبَثْرٍ هُنَاكَ، وَاخْتَلَفَ فِيهَا؛ فَقِيلَ: مِنْ الْحَرَمِ، وَقِيلَ: بَعْضُهَا
مِنَ الْحِلِّ، وَيَجُوزُ فِيهَا التَّخْفِيفُ وَالتَّشْدِيدُ.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بياء الغيبة في الأفعال الأربعة، وغيرهما بقاء الخطاب. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٢٩٩).

(٢) قال أبو حاتم: قرأ: (تُعَزِّرُوهُ) بزايين اليمامي؛ أي: تجعلوه عزيزاً. انظر «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات
والإيضاح عنها» (٢/٢٧٥).

إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هو نحو: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] التي بايعوا بها النبي، أي: هو تعالى مُطَّلَعٌ عَلَى مُبَايَعَتِهِمْ فَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهَا؛ ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾: نَقَضَ الْبَيْعَةَ ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ﴾: يَرْجِعُ وَيَالُ نَقْضِهِ ﴿عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ﴾ - بالياء والنون - ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ اعلم: أنَّ في هذا المقام استعارةً تصرّحيةً تبعيّةً، ومكنيّةً، وتخيليّةً، ومشاكلّةً؛ فالتبعية: في الفعل وهو (يباعون)؛ وذلك لأنّ المبايعة معناها مُبادلة المال بالمال، فشبه المعاهدة على دفع الأنفس في سبيل الله طلباً لِمَرْضَاةِ الله بدفع السلع في نظير الأموال، واستعير اسم المشبه به للمشبه، واشتق من البيع (يباعون) بمعنى: يُعَاهِدُونَ على دفع أنفسهم في سبيل الله، والمكنيّة: في لفظ الجلالة؛ وذلك لأنّ المتعاهدين إذا كان هناك ثالث يضع يده فوق أيديهما؛ ليحفظهما، فشبه اطلاع الله ومُجازاته على فعلهم بملك وضع يده على يد أميره ورعيته، وطوى ذكر المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو اليد، فإثباتها تخيل، والمشاكلّة: لذكر الأيدي بعده.

قوله: (هو نحو: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ﴾... إلخ) أي: من حيث إنه في المعنى يرجع له، وفيه إشارة إلى أنه تعالى مُنَزَّهٌ عن الجوارح.

قوله: (يرجع ويال نقضه) أشار إلى أنّ في الكلام حذف مضافين.

قوله: (بالياء والنون) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: وهو الجنة، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها بيعّة الرضوان إلا أنّ العبرة بعموم اللفظ، فيشمل مبايعة الإمام على الطاعة والوفاء بالعهد، ومُبايعة الشيخ العارف على محبة الله ورسوله والتزام شروطه وآدابه، ومن هنا استعمل مشايخ الصوفية هذه الآية عند أخذ العهد على المُريد.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (فَسُيُوتِهِ) بنون العظمة، والباقون بالياء من تحت. انظر «الدر المصون» (٧١٢/٩).

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا

﴿١١﴾ ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة أي: الذين خَلَفَهُم الله عَنْ صُحْبَتِكَ لَمَّا طَلَبْتَهُمْ لِيُخْرِجُوا مَعَكَ إِلَى مَكَّةَ خَوْفًا مِنْ تَعَرُّضِ قُرَيْشٍ لَكَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ إِذَا رَجَعْتَ مِنْهَا: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج مَعَكَ، ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله مِنْ تَرْكِ الْخُرُوجِ مَعَكَ، قَالَ تَعَالَى مُكَذِّبًا لَهُمْ: ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ﴾ أي: مِنْ طَلَبِ الْاسْتِغْفَارِ وَمَا قَبْلَهُ ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فَهُمْ كَاذِبُونَ فِي اعْتِذَارِهِمْ، ﴿قُلْ فَمَنْ﴾ - اسْتِفْهَامٍ بِمَعْنَى النَّفْيِ - أي: لَا أَحَدَ ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ - بَفَتْحِ الضَّادِ وَضَمِّهَا - .. حاشية الصاوي

قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ﴾... إلخ) أي: وهم غفار ومُزِينة وجُهِينَة وأشجع، وذلك أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ مُعْتَمِرًا.. طلب من الأعراب وأهل البوادي حول المدينة أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ؛ حَذَرًا مِنْ قُرَيْشٍ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لَهُ بِحَرْبٍ، وَيَصُدُّوه عَنِ الْبَيْتِ، فَأَحْرَمَ بِالْعَمْرَةِ، وَسَاقَ الْهَدْيَ؛ لِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ لَا يَرِيدُ حَرْبًا، فَتَنَاقَلَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ، وَتَخَلَّفُوا عَنْهُ وَقَالُوا: يَذْهَبُ إِلَى قَوْمٍ قَدْ غَزَوْهُ فِي مَقَرِّ دَارِهِ بِالْمَدِينَةِ، وَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ^(١).

قوله: (حول المدينة) حالٌّ من ﴿الْأَعْرَابِ﴾، أو صفةٌ لهم.

قوله: (إِذَا رَجَعْتَ مِنْهَا) ظرفٌ لـ(يقول).

قوله: ﴿وَأَهْلُونَا﴾ أي: النساء والصبيان؛ فَإِنَّا لَوْ تَرَكْنَاهُمْ لَضَاعُوا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَنَا مِنْ يَقُومَ بِهِمْ، وَأَنْتَ قَدْ نَهَيْتَ عَنْ ضِيَاعِ الْمَالِ، وَالتَفْرِيطِ فِي الْعِيَالِ.

قوله: (فهم كاذبون في اعتذاره) أي: وطلب الاستغفار.

قوله: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ﴾... إلخ) أي: فَمَنْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ مَشِيئَتِهِ وَقَضَائِهِ؟

قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا﴾ أي: كَقَتْلِ وَهَزِيمَةٍ وَنَحْوِهِمَا.

قوله: (بفتح الضاد وضمها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٢).

(١) انظر «زاد المسير» (٤/١٣٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بضم الضاد، والباقيون بفتحها. انظر «السراج المنير» (٤/٤٣).

أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾

﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

(١٢ - ١٤) ﴿بَلْ﴾ - في المَوْضِعَيْنِ لِلانْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرٍ - ﴿ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ أي: إِنَّهُمْ يُسْتَأْصَلُونَ بِالْقَتْلِ فَلَا يَرْجِعُونَ، ﴿وَقَدْ ظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا﴾ هذا وَغَيْرُهُ، ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾: جَمْعُ (بَائِر) أي: هَالِكِينَ عِنْدَ اللَّهِ بِهَذَا الظَّنِّ. ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾: حَاشِيَةُ الصَّائِلِينَ

قوله: ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (تَرَقَّى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ).

قوله: (لِلانْتِقَالِ مِنْ غَرَضٍ إِلَى آخَرٍ) أي: فَأَضْرَبَ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ فِي اعْتِذَارِهِمْ إِلَى إِيْعَادِهِمْ بِجِزَاءِ أَعْمَالِهِمْ مِنَ التَّخَلُّفِ وَالاعْتِذَارِ الْبَاطِلِ، ثُمَّ أَضْرَبَ عَنْ بَيَانِ اعْتِذَارِهِمْ إِلَى بَيَانِ مَا حَمَلَهُمْ عَلَى التَّخَلُّفِ، وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ التَّرْقِي فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ.

قوله: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ﴾ أي: لَا يَرْجِعُ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَسَبَبُ ظَنِّهِمْ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُمْ عِظَمَةَ الْمُشْرِكِينَ، وَحَقَارَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى قَالُوا: مَا هُمْ فِي قَرِيشٍ إِلَّا أَكَلَةُ رَجُلٍ^(١).

قوله: (جَمْعُ بَائِر) أي: كـ(حَائِلٍ وَحَوْلٍ)، وَقِيلَ: الْبُورُ مُصَدَّرٌ بِمَعْنَى: الْهَلَاكُ.

قوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لَمَّا بَيَّنَّ حَالَ الْمُخَلَّفِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَبَيَّنَّ حَالَ ظَنِّهِمْ الْفَاسِدَ، وَأَنَّهُ يُقْضَى بِصَاحِبِهِ إِلَى الْكُفْرِ. حَرَّضَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالتَّوْبَةِ عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ.

(وَمَنْ): إِمَّا شَرْطِيَّةً، أَوْ مُوَصُولَةً، وَالْأَسْمُ الظَّاهِرُ قَائِمٌ مَقَامَ الْعَائِدِ^(٢)، وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ دَلِيلُ الْجَوَابِ، أَوْ الْخَبَرِ.

(١) كِنَايَةٌ عَنْ قَلَّتْهُمْ، وَهُوَ جَمْعُ (أَكَلَ)، وَرَوَى الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٣٠/٢٠) قَوْلَ الْمَنَافِقِينَ لِإِخْوَانِهِمْ: (مَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا أَكَلَةُ رَأْسٍ، وَلَوْ كَانُوا لَحْمًا... لَأَلْتَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ، دَعَا هَذَا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ هَالِكٌ).

(٢) الْمَقَامُ لِلْإِضْمَارِ، وَإِنَّمَا وَضَعَ (الْكَافِرِينَ) مَوْضِعَ الضَّمِيرِ لِإِذْنًا بِأَنَّ مَنْ لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... فَهُوَ كَافِرٌ، وَأَنَّهُ مُسْتَوْجِبٌ لِلْسَّعِيرِ بِكُفْرِهِ. انْظُرْ «تَفْسِيرَ الْبَيْضَاوِيِّ» (١٢٨/٥).

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ

ناراً شديدة. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِمَا ذُكِرَ.

﴿١٥﴾ ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المَذْكُورُونَ ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ﴾ هي مَغَانِمُ خَيْبَرٍ ﴿لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا﴾: اترْكُونَا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لِتَأْخُذَ مِنْهَا،

حاشية الصاوي

قوله: (ناراً شديدة) أي: فالمراد جميع طبقات النار، لا الطبقة المسماة بذلك.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يتصرف فيهما كيف يشاء.

قوله: ﴿يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ هذا قطع لطمعهم في استغفاره ﷺ لهم، كأن الله يقول لهم: لا يستحق أحدٌ عندي شيئاً، وإنما أغفر لمن أريد، وأعذب من أريد، وقد سبقت حكمتي: أن المغفرة للمؤمنين، والتعذيب للكافرين؛ فلا تطمعوا في المغفرة ما دُثِمْتُمْ كفاراً.

قوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾... إلخ) هذا من جملة الإخبار عما يحصل منهم.

قوله: ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ﴾ ظرف لما قبله، والمعنى: يقولون عند انطلاقكم... إلخ.

قوله: (وهي مغانم خيبر) أي: وذلك أن المؤمنين لما انصرفوا من الحديبية على صلح من غير قتال، ولم يُصيبوا من المغانم شيئاً... وعدهم الله عز وجل فتح خيبر، وجعل مغانمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة؛ حيث انصرفوا عنهم ولم يُصيبوا منهم شيئاً، وكان المتولي للقسمة بخیبر جبار بن صخر الأنصاري من بني سلمة، وزيد بن ثابت من بني النجار، كانا حاسبين قاسمين، وأمر ﷺ بالقسم لمن حضر من أهل الحديبية ومن غاب، ولم يغيب منهم عنها غير جابر بن عبد الله، فقسم له ﷺ كسهم من حضر^(١).

قوله: ﴿ذَرُونَا﴾ أي: دَعُونَا، وهذا الفعل هَجَرَ مصدره وماضيهِ واسم فاعله؛ استغناءً بمادة (ترك)، وأصل مادته: (وَذَرَ يَذُرُ وَذَرًا فهو وَاذِرٌ)، والأمر منه: ذَر. وهذه الجملة مَقُولُ القول.

(١) انظر «عيون الأثر» (٢/١٨٢).

يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى

﴿يُرِيدُونَ﴾ بِذَلِكَ ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ - وفي قراءة: (كَلِمَ الله) بِكَسْرِ اللَّامِ - أي: مواعيدِهِ بِغَنَائِمٍ خَيْرِ أَهْلِ الْحُدَيْبِيَّةِ خَاصَّةً، ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قَبْلَ عَوْدِنَا، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أَنْ نُصِيبَ مَعَكُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ فَقُلْتُمْ ذَلِكَ، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ مِنَ الدِّينِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِنْهُمْ.

﴿١٦﴾ ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الْمَذْكُورِينَ اخْتِباراً: ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى﴾:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿يُرِيدُونَ﴾ إمَّا مُسْتَأْنَفٌ، أَوْ حَالٌ مِنْ ﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾.

قوله: ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ أي: يُغَيِّرُوا وَعَدَ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ أَهْلَ الْحُدَيْبِيَّةِ مِنْ جَعْلِ غَنَائِمٍ خَيْرٍ لَهُمْ عَوْضاً عَنْ فَتْحِ مَكَّةَ فِي ذَلِكَ الْعَامِ.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سَبْعِيَّةٌ أَيْضاً^(١).

قوله: ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ نَفْيٌ فِي مَعْنَى النَّهْيِ؛ لِلْمُبَالَغَةِ.

قوله: ﴿كَذَلِكُمْ﴾ أي: مِثْلَ هَذَا الْقَوْلِ وَهُوَ ﴿لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾.

قوله: ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ أي: حُكْمٌ بِأَنَّ غَنِيمَةَ خَيْبَرَ لِمَنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَّةَ، لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ فِيهَا نَصِيبٌ.

قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ أي: عِنْدَ سَمَاعِهِمُ النَّهْيَ.

قوله: ﴿بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: فَلَيْسَ هَذَا النَّهْيُ حُكْماً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، بَلْ هُوَ حَسَدٌ مِنْكُمْ لَنَا عَلَى مُشَارَكَتِكُمْ فِي الْغَنَائِمِ.

قوله: (مِنَ الدِّينِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِضْرَابَ الْأَوَّلَ مَعْنَاهُ: رَدُّ مَنْهُمْ أَنْ يَكُونَ حُكْمُ اللَّهِ أَلَّا يَتَّبِعُوهُمْ، وَإِثْبَاتُ الْحَسَدِ، وَالثَّانِي: إِضْرَابٌ عَنْ وَصْفِهِمْ بِإِضَافَةِ الْحَسَدِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَى وَصْفِهِمْ بِمَا هُوَ أَهَمُّ، وَهُوَ الْجَهْلُ وَقِلَّةُ الْفَهْمِ.

قوله: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾ كَرَّرَ وَصْفَهُمْ بِهَذَا الْاسْمِ؛ إِشْعَاراً بِشَنَاعَتِهِ، وَمُبَالَغَةً فِي ذَمِّهِمْ.

(١) قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام بعد الكاف ولا ألف بعد اللام، والباقون بفتح اللام وألف بعدها. انظر «السراج المنير» (٤/٤٥).

بَأْسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾

أصحاب ﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم، ﴿يُقَاتِلُونَهُمْ﴾ - حالٌ مُقدَّرة هي المدعو إليها في المعنى - ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسَلِّمُونَ﴾ فلا تُقاتِلون، ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا: مؤلماً.

حاشية الصاوي

قوله: (قيل: هم بنو حنيفة) أي: وهم جماعة مُسيلمة الكذاب، والداعي للمخلفين على قتالهم حينئذ أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ.

قوله: (أصحاب اليمامة) اسمٌ لبلاد في اليمن، ولامرأة كانت بها، ويُقال لها: زرقاء، كانت تبصرُ الراكب من مسيرة ثلاثة أيام.

قوله: (وقيل: فارس والروم) أي: والداعي لهم عمر بن الخطاب، وقيل: إنَّ ذلك في هوازن وغطفان يوم حُنين، والداعي لهم رسول الله.

إن قلت: إنَّ الله تعالى أمر رسوله ألا يدعوا المخلفين إلى الجهاد في قوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، وحينئذٍ فيبعد أن ذلك في غزوة حُنين والداعي لهم رسول الله؟ وأجيب: بأنه لا بُدَّ؛ إذ قوله: ﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا...﴾ إلخ إنما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك، فتحصل أنَّ الأقوال ثلاثة، وكلُّ صحيح.

قوله: ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يُسَلِّمُونَ﴾ أشار بذلك إلى أنَّ الجملة مستأنفة، وليست (أو) بمعنى (إلى) أو (إلا)، وإلا... لنُصب الفعل بحذف النون.

ومعنى ﴿يُسَلِّمُونَ﴾: يَنقادون ولو بعقد الجزية؛ فإنَّ الروم نصارى، وفارس مجوس، وكلُّ منهما يُقرُّ بالجزية، وأمَّا بالنسبة لبني حنيفة.. فمعناه: يُسلمون بالفعل؛ لأنهم كانوا مُرتدِّين، والمرتدُّ لا يقرُّ بالجزية، بل إمَّا السيف، أو الإسلام.

قوله: ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الحُدبية.

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ

﴿١٧﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ ﴿١﴾ فِي تَرْكِ الْجِهَادِ، وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ ﴿٢﴾ - بِالْبَاءِ وَالنُّونِ - ﴿٣﴾ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ ﴿٤﴾ - بِالْبَاءِ وَالنُّونِ - ﴿٥﴾ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦﴾.

﴿١٨﴾ - ﴿١٩﴾ ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾: نَزَلَتْ لَمَّا قَالَ أَهْلُ الرِّمَانَةِ وَالْعَاهَةِ وَالْآفَةِ: كَيْفَ بِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ حِينَ سَمِعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا...﴾ إِنْخ^(١).

قوله: (فِي تَرْكِ الْجِهَادِ) أَي: فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْجِهَادِ، وَهَذِهِ أَعْدَارُ ظَاهِرَةٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَعْمَى لَا يُمَكِّنُهُ الْكُرُّ وَلَا الْفَرْ، وَكَذَلِكَ الْأَعْرَجُ وَالْمَرِيضُ، وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَعْدَارِ الْفَقْرُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ صَاحِبَهُ أَنْ يَقْضِيَ مَصَالِحَهُ وَأَشْغَالَهُ الَّذِي تُعَوِّقُ عَنِ الْجِهَادِ، وَكُلُّ هَذَا مَا لَمْ يَفْجَأِ الْعَدُوَّ، وَإِلَّا... وَجِبَ عَلَى كُلِّ بَمَّا يُمَكِّنُهُ.

قوله: (بِالْبَاءِ وَالنُّونِ) أَي: فَهَمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أَي: فَعَلَّ بِهِمْ فَعَلَ الرَّاظِي؛ مِنْ الثَّوَابِ وَالْفَتْحِ الثُّبِينِ، وَفِي ذَلِكَ تَلْمِيحٌ إِلَى أَنَّ الْكَافِرِينَ غَيْرُ رَاضٍ عَنْهُمْ، فَلَهُمُ الْخِذْلَانُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْبَيْعَةِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا خِرَاشَ بْنَ أُمِيَّةَ الْخَزَاعِيَّ حِينَ نَزَلَ الْحُدَيْبِيَّةَ، فَبَعَثَهُ إِلَى قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ، وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلِهِ ﷺ؛ لِيُبَلِّغَ أَشْرَافَهُمْ أَنَّهُ ﷺ جَاءَ مُعْتَمِرًا وَلَمْ يَجِئْ مُحَارِبًا، فَعَقَرُوا جَمَلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، فَمَنَعَتُهُمُ الْأَحَابِيشُ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ؛ لِيَبْعَثَهُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي قُرَيْشًا، وَلَيْسَ فِي مَكَّةَ مِنْ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ أَحَدٌ، وَقَدْ عَرَفْتُ قُرَيْشَ عَدَاوَتِي لَهَا، وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَذْكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ أَقْرَبُهَا مِنِّي؛ لَوْجُودِ عَشِيرَتِهِ فِيهَا، وَهُوَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣٠٣/٧).

(٢) قرأ نافع وابن عامر: (ندخله) و(نعذبه) بالنون فيهما، والباقون بالياء التحتية. انظر «السراج المنير» (٤٦/٤).

إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ

إِذْ يُبَايِعُونَكَ بِالْحُدَيْبِيَةِ ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هِيَ سَمُرَةٌ وَهُمْ أَلْفٌ وَثَلَاثُمِائَةٍ

حاشية الصاوي

فدعا رسول الله عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يُخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت، مُعظماً لحرمة، وكتب له كتاباً بعثه معه، وأمره أن يُبشِّرَ المستضعفين بمكة بالفتح قريباً، وأنَّ الله سيُظهر دينه، فخرج عثمان وتوجَّه إلى مكة، فوجد قريشاً قد اتفقوا على منعه ﷺ من دخول مكة، ولقيَه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل من فرسه وحمله بين يديه، ثم ردفه وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، وقرأ عليهم الكتاب واحداً واحداً، فصمَّوا على أنه لا يدخلها هذا العام وقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت.. فطف به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، وقد كان المسلمون قالوا: هنيئاً لعثمان خلص إلى البيت وطاف به دوننا، فقال ﷺ: «إنَّ ظني به ألا يطوف حتى يطوف معنا».

وبشَّر عثمان المستضعفين، واحتبَّستُه قريش عندها، فبلغ رسول الله والمسلمين أنَّ عثمان قد قُتِلَ، فقال رسول الله: «لا نبرحُ حتى تُناجزَ القوم»، ودعا الناسَ إلى البيعة، فكانت بيعةُ الرضوان تحت الشجرة، ووضع النبي ﷺ شماله في يمينه وقال: «هذه عن عثمان»، وهذا يُشعر بأنَّ النبي قد علَّم بنور النبوة أنَّ عثمان لم يُقتل حتى بايع عنه، وفي الحديث: أن النبي قال لَمَّا بايع الناس: «اللهم! إنَّ عثمان في حاجتك وحاجة رسولك»، فضرَب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يده لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم^(١).

ولما سمع المشركون بهذه البيعة.. خافوا وبعثوا بعثمان وجماعة من المسلمين، وكانوا عشرةً دخلوا مكة بإذنه ﷺ^(٢).

قوله: ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ ظرف لـ ﴿رَضِيَ﴾، وعبر بصيغة المضارع؛ استحضاراً لصورة المبايعة.

قوله: ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ معمول لـ ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾.

قوله: (هي سمرة) بضم الميم: من شجر الطَّلح، وهو الموز كما عليه جمهور المفسرين في قوله

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٤٨١/١٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ٤٥٤) وما بعدها.

فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ.....

أو أكثر، ثُمَّ بَايَعَهُمْ عَلَى أَنْ يُنَاجِزُوا قُرَيْشًا وَأَنْ لَا يَفِرُّوا مِنَ الْمَوْتِ، ﴿فَعَلِمَ﴾ اللَّهُ ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مِنَ الصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فَتْحُ خَيْبَرَ بَعْدَ انْصِرَافِهِمْ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ. ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ مِنْ خَيْبَرَ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

﴿٢٠﴾ ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ مِنَ الْفُتُوحَاتِ، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غَنِيمَةُ خَيْبَرَ،

حاشية الصاوي

تعالى: ﴿وَطَلَّحَ مَنُصُورٌ﴾، وهذه الشجرة قد أخفيت؛ لثلاثي يحصل الافتتان بها، ورُوي: أنَّ عمر بلغه أنَّ قومًا يأتون الشجرة ويصلُّون عندها، فتوعدهم، ثُمَّ أمر بِقَطْعِهَا، فَقُطِعَتْ^(١).

قوله: (أو أكثر) قيل: وأربع مئة وهو الصحيح^(٢)، وقيل: وخمس مئة.

قوله: (على أن يُناجزوا قريشاً) أي: يُقاتلوهم.

قوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ معطوف على ﴿يَبَايَعُونَكَ﴾.

قوله: (بعد انصرافهم من الحديبية) أي: في ذي الحجة، فأقام ﷺ بالمدينة بَقِيَّتِهِ وبعض المحرَّم، ثُمَّ خرج إلى خيبر في بَقِيَّةِ المحرم سنة سبع.

قوله: ﴿وَمَغَانِمَ﴾ معطوف على ﴿فَتْحًا﴾، و﴿يَأْخُذُونَهَا﴾: صفة لـ(مغانم)، أو حالٌ منها.

قوله: ﴿وَعَدَّكُمْ اللَّهُ﴾ الانتقال إلى الخطاب؛ لِتَشْرِيفِهِمْ فِي مَقَامِ الْإِمْتِنَانِ، وهو لأهل الحديبية من الفتوحات؛ أي: غير خيبر ممَّا استقبلتم بعد؛ كفتح مكة وهوازن وبلاد كسرى والروم.

قوله: (غنيمة خيبر) مقتضى ما تقدَّم من أنَّ السورة نزلت كُلُّهَا فِي رُجُوعِهِ مِنَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَنْ يَكُونَ قوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ من التَّعْيِيرِ بِالْمَاضِي عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِتَحَقُّقِ وَقْعِهِ، ومن الإخبار بالغيب.

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٢/١٠٠)، وانظر «شرح المواهب» (٣/٢٢٤).

(٢) لما روى البخاري (٣٥٧٧) عن سيدنا البراء رضي الله عنه، قال: كُنَّا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْحُدَيْبِيَّةُ بَثْرٌ، فَنَزَحْنَاهَا حَتَّى لَمْ نَتْرِكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ الْبَثْرِ، فَدَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي الْبَثْرِ، فَمَكَّنَّا غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ اسْتَقَيْنَا حَتَّى رَوَيْنَا، وَرَوَتْ - أَوْ صَدَرَتْ - رَكَائِبُنَا.

وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ في عِيَالِكُمْ لَمَّا خَرَجْتُمْ وَهَمَّتْ بِهِمُ الْيَهُودُ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، ﴿وَلِتَكُونَ﴾ أي: الْمُعْجَلَةُ - عَطْفٌ عَلَى مُقَدَّرٍ - أي: لِتَشْكُرُوهُ ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نَصْرِهِمْ، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طَرِيقَ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَتَفْوِضِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ تَعَالَى.

حاشية الصاوي

قوله: (في عيالكُم) أي: عن عيالكُم، والجارُّ والمجرور بدلٌ من قوله: ﴿عَنْكُمْ﴾، والمراد بـ﴿النَّاسِ﴾: أهلُ خيبر وحُلَفاؤُهُم من بني أسَد وغطفان.

قوله: (لما خرجتم) أي: لِلْحَدِيثِ، وقوله: (وهمت بهم اليهود) أي: يَهُودُ خيبر، همُّوا بأخذ عِيَالِ النَّبِيِّ وَالصَّحَابَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي غِيَةِ النَّبِيِّ لِلْحَدِيثِ، وَكَانَ هُوَ السَّبَبُ فِي أَخْذِ خَيْبَرَ^(١).

قوله: (عطف على مقدر) هذا أحد قولين، والآخر أنها زائدة، وعليه: فيكون تعليلًا لقوله: (كفَّ). قوله: ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أَمَارَةٌ يَعْرِفُونَ بِهَا صِدْقَ الرَّسُولِ ﷺ فِي وَعْدِهِ إِيَّاهُمْ عِنْدَ الرَّجُوعِ مِنَ الْحَدِيثِ بِتِلْكَ الْغَنَائِمِ.

قوله: (أي: طريق التوكل عليه) فسر الصراط المستقيم بما ذكر؛ لأنَّ الحاصل من الكفِّ ليس إلا ذلك، ولأنَّ أصلَ الهدى حاصلٌ قبله.

تنبيه:

مُلَخَّصُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْحَدِيثِ. . أقام بالمدينة بقيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ وَبَعْضَ الْمَحْرَمِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ فِي بَقِيَّةِ الْمَحْرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ، وَكَانَ إِذَا غَزَا قَوْمًا يَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ؛ فَإِنْ سَمِعَ أَذَانًا كَفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا أَغَارَ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وَلَمْ يَسْمَعْ أَذَانًا رَكِبَ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجُوا بِمَكَاتِلِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا النَّبِيَّ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ - أي: الْجَيْشُ - فَلَمَّا رَأَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمِ فِسَاءٍ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»^(٢).

وعن سلمة بن الأكوع قال: (خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، فجعل عمِّي عامرٌ يرتجز

بالقوم: [الرجز]

(١) ذكره الطبري في «تفسيره» (٢٢/٢٣١) عن قتادة.

(٢) رواه البخاري (٤١٩٨) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ.

حاشية الصاوي

نَالَهُ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَعْنَيْنَا فَتُبَّتِ الْأَقْدَامُ إِنَّ لَاقِيَنَا
وَأَنْزَلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ هَذَا؟»، قال: أنا عامر، قال: «غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ»، قال: وما استغفر
رسول الله ﷺ لإنسان يَخْصُهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له:
يا نبي الله؛ لولا مَتَّعْتَنَا بعامر، قال: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْرٌ.. قَدِمَ مَلَكُهُمْ مَرَحَبٌ يَخْطُرُ بِسَفِيهِ يَقُولُ:
[الرجز]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرَحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهَبُ

قال: وبرز له عمي عامر فقال: [الرجز]

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُعَامِرٌ
قال: فاختلفا بضربتيهما، فوق سيف مَرَحَبٍ في ترس عامر، وذهب عامر يَسْفُلُ له، فرجع سيفه
على نفسه، فقطع أكحله، فكانت فيها نفسه ﷺ.

قال سلمة: فخرجت فإذا نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ يَقُولُونَ: بطل عملُ عامر؛ قتل نفسه، فأتيَتْ
رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله؛ بطل عملُ عمي عامر، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ
ذلك؟»، قلت: ناسٌ من أصحابك، قال: «كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ، بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ»، ثم أرسلني إلى عليٍّ
وهو أرمَدُ، فقال: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، قال: فأتيَتْ عليًّا، فجئتُ
به أقوده وهو أرمَدُ حتى أتيتُ به رسول الله ﷺ، فبَصَقَ في عينيه، فبرئ، وأعطاه الراية وخرج مَرَحَبٌ فقال:

قَدْ عَلِمْتُ خَيْبَرُ أَنِّي مَرَحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلٌ مُجَرَّبٌ
إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهَبُ

فقال علي ﷺ:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ كَلَيْتَ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمَنْظَرَةِ
أَوْفِيكُمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ

حاشية الصاوي

قال: فضربَ مرحباً، فقتله، ثمَّ كان الفتح على يده. أخرجه مسلم بهذا اللفظ^(١).

وفي رواية أخرى: (أنه خرج بعد مَرَحِب أخوه ياسر وهو يَرْتَجِز، فخرج إليه الزُّبَيْر بن العوام، فقالت أمُّه صَفِيَّة بنت عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: «بل ابْنُكَ يَقْتله إن شاء الله»، ثم التَّقِيَا، فقتله الزُّبَيْر)^(٢).

ثمَّ لم يزل رسول الله يَفْتَحُ الحصون، وَيَقْتُلُ المقاتلة، وَيَسْبِي الذرية، وَيَحْوزُ الأموال، فجمع السبي، فجاء دِحْيَةُ فقال: يا رسول الله؛ أعطني جارية من السبي، قال: «اذْهَبْ، فَخُذْ جارية»، فأخذ صَفِيَّة بنت حُيَيٍّ، فجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أُعْطِيتُ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بنت حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قَرِيطَةَ والنضير، لا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قال: «ادْعُوهُ»، فجاء بها، فلمَّا نظر إليها النبي ﷺ. . قال: «خُذْ جارية من السبي غيرها»، فأعتقها النبي ﷺ وتزوَّجها^(٣).

فلمَّا دخل بها رأى في عينيها أثر خضرة، فسألها عن سببها، فقالت: إني رأيتُ في المنام وأنا عروس بَكْنَانَةَ بن الربيع أنَّ قمرًا وقع في حجري، فقَصَصْتُ رُؤْيَايَ على زوجي، فقال: ما هذا إلا أنك تَمْنِيَتُ ملك الحجاز محمدًا، ثم لطم وجهي لطمَةً اخضرت منها عيني^(٤).

فلمَّا ظهر رسول الله ﷺ على خيبر. . أراد إخراج اليهود منها، فسألت اليهودُ رسول الله ﷺ أن يُقَرِّمَ بها على أن يكفُوهم العمل ولهم نصفُ الثمر، فقال لهم رسول الله ﷺ: «نُقَرِّمُكم بها على ذلك ما شئنا»، ففروا بها حتى أجلاهم عمرُ في إمارته إلى تيماء وأريحا^(٥).

قال محمد بن إسحاق: لما سمع أهل فدك بما فعل رسول الله ﷺ بخيبر. . بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يحقن دماءهم، وأن يُسَيِّرَهُمْ، ويُخْلُوا له الأموال، ففعل بهم، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يُعاملهم على النصف كأهل خيبر، ففعل، على أن لنا إذا شئنا أن نخرجكم

(١) «صحيح مسلم» (١٨٠٧)، ومعنى: (يَسْفُلُ له) أي: يضره من أسفله.

(٢) رواها البيهقي في «السنن الكبرى» (٢٢١/٩) عن سيدنا جابر بن عبد الله ؓ.

(٣) رواه البخاري (٣٧١)، ومسلم (١٣٦٥) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ.

(٤) روى هذه الحادثة ابن حبان في «صحيحه» (٥١٩٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر ؓ.

(٥) رواه البخاري (٣١٥٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر ؓ.

وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾

﴿٢١﴾ وَأُخْرَى - صِفَةُ (مَغَانِمٍ) مُقَدَّرًا مُبْتَدَأً - ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ هِيَ مِنْ فَارِسٍ وَالرُّومِ، ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾: عَلِمَ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَكُمْ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أَي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ.

حاشية الصاوي

أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر للمسلمين، وكانت فدك خالصةً لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب^(١).

فلما اطمأن رسول الله . . أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم اليهودية شاةً مَضْلِيَّةً - يعني: مَشْوِيَّةً - وسألت: أَيُّ عُضْوٍ مِنَ الشاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فقليل لها: الذراع، فأكثرَتْ فِيهَا السَّمَّ، وَسَمَّتْ سَائِرَ الشاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ . . تناول الذراع فأخذها فلاكَ مِنْهَا قِطْعَةً، فَلَمْ يَسْغُهَا، وَمَعَهُ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنُ مَعْرُورٍ، فَأَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَّا بَشْرٌ . . فساغها - يعني: ابتلعها - وأما رسول الله . . فلَفَظَهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِظَمَ يُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ»، ثُمَّ دَعَا بِهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَقَالَ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟» فَقَالَتْ: بَلَّغْتَ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ مَلَكًا . . اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا . . فسيُخْبِرُ، فَتَجَاوَزَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَاتَ بَشْرٌ عَلَى مَرَضِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ بَشْرٍ! مَا زَالَتْ أُكَلِّلُ خَيْرَ الَّتِي أَكَلْتُ مَعَ ابْنِكَ تُعَاوِدَنِي، فَهَذَا أَوَانُ قَطْعِ أَبْهَرِي»، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتَ شَهِيدًا مَعَ مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النُّبُوَّةِ^(٢).

قوله: (مبتدأ) أي: وخبره قوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾، وقوله: ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ صِفَةُ لـ (مغانم) المقدر، وسوِّغَ الْإِبْتِدَاءَ بِالنَّكْرَةِ الْوَصْفُ، وَهَذَا أَسْهَلُ الْأَعَارِبِ؛ وَلِذَا اخْتَارَهُ الْمَفْسِّرُ^(٣).

قوله: (هي فارس والروم) أي: وباقي الأقطار.

قوله: ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: أعدّها لكم في قضائه وقدره، فهي محصورةٌ لا تُقَوِّتُكُمْ.

قوله: (أي: لم يزل متصفاً) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمَرَادَ مِنْ (كَانَ) الْإِسْتِمْرَارُ.

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (ص ٤٨٩)، ومعنى (يسيرهم): يجلبهم.

(٢) المرجع السابق (ص ٤٧٩).

(٣) من وجوه خمسة، ذكرها العلامة السمين الحلبي في «الدر المصون» (٧١٣/٩).

وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلُوا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوتُ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ

(٢٢ - ٢٣) ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْحُدَيْبِيَّةِ ﴿لَوَلُوا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَحْدُوتُ وَلِيًّا﴾ يَحْرُسُهُمْ ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ - مَصْدَرٌ مُؤَكَّدٌ لِمَضْمُونِ الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ مِنْ هَزِيمَةِ الْكَافِرِينَ وَنَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَي: سَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ سُنَّةً ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ مِنْهُ .

﴿٢٤﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَنِ مَكَّةَ﴾ بِالْحُدَيْبِيَّةِ ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فَإِنَّ ثَمَانِينَ مِنْهُمْ طَافُوا بِعَسْكَرِكُمْ لِيُصِيبُوا مِنْكُمْ، فَأَخَذُوا وَأَتَيَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَفَا عَنْهُمْ وَخَلَّى سَبِيلَهُمْ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (أَي: وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ، وَقَدْ كَانُوا اجْتَمَعُوا وَجَمَّعُوا الْجِيُوشَ، وَقَدَّمُوا خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى كِرَاعِ الْغَمِيمِ - وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ حِينَئِذٍ - فَمَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتَرَةِ الْجَيْشِ - أَي: بِغُبَارِ أَثَرِهِمْ - فَاَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِقُرَيْشٍ^(١) .

قوله: ﴿لَوَلُوا الْأَدْبَرَ﴾ (أَي: مَضَوْا مُنْهَزِمِينَ .

قوله: (مِنْ هَزِيمَةِ الْكَافِرِينَ) (مِنْ): بَيَانِيَّةٌ .

قوله: ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ﴾ (أَي: مَضَتْ، وَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ (أَي: فِيمَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ .

قوله: ﴿تَبْدِيلًا﴾ (مِنْهُ) أَي: مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ لَا يَبْدُلُ وَلَا يُغَيِّرُ سُنَّتَهُ وَطَرِيقَتَهُ؛ مِنْ نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَخِذْلَانِ الْكَافِرِينَ .

قوله: (بِالْحُدَيْبِيَّةِ) بَيَانٌ لِبَطْنِ مَكَّةَ، وَالْمُرَادُ بِمَكَّةَ: الْحَرَمُ، وَالْحُدَيْبِيَّةُ تَقَدَّمَ فِيهَا الْخِلَافُ؛ هَلْ هِيَ مِنْهُ أَوْ بَعْضُهَا، فَعَلَى الْأَوَّلِ: التَّعْبِيرُ بِالْبَطْنِ ظَاهِرٌ، وَعَلَى الثَّانِي: فَالْمُرَادُ بِالْبَطْنِ: الْمَلَاصِقُ وَالْمَجَاوِرُ .

قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ﴾ (أَي: أَظْهَرَكُمْ، فَتَعَدَيْتُهُ بِ(عَلَى) ظَاهِرَةً .

(١) كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٣١) عَنْ سَيِّدِنَا الْوَسْوَاسِ بْنِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ

فكان ذلك سبب الصلح، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ - بالياء والتاء - أي: لم يزل متصفاً بذلك.

﴿٢٥﴾ ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدْيِ﴾ - معطوف على (كم) - ﴿مَعْكُوفًا﴾: محبوساً - حال - ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ﴾ أي: مكانه الذي يُنْحَر فيه عادةً وهو الحرم، - بدل اشتمال - ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة حاشية الصاوي

قوله: (وكان ذلك) أي: العفو عنهم، وتخليه سبيلهم.

قوله: (سبب الصلح) أي: لعلمهم أن هذا الأمر لا يقع إلا من قادر على قتالهم، غير مُكْرَث بهم.

قوله: (بالتاء والياء) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (معطوف على «كم») أي: الضمير المنصوب في ﴿صَدُّوكُمْ﴾، وهو أحسن الأعراب^(٢).

قوله: (محبوساً) أي: فالعكوف: الاحتباس، ومنه: الاعتكاف المشهور، وهو حبس النفس على ما تكره مع ملازمة المسجد.

قوله: (أي: مكانه) أي: المعهود، وهو منى للمحرم بالحج، والمروة للمحرم بالعمرة، وهو الأفضل، وإلا... فالحرم كله محل النحر.

قوله: (بدل اشتمال) أي: من (الهدي)، والمعنى: صدوا بلوغ الهدي محله، ويصح أن يكون على إسقاط الخافض؛ أي: عن أن يبلغ الهدي محله، والجار والمجرور إما متعلق بـ ﴿صَدُّوكُمْ﴾، أو بـ ﴿مَعْكُوفًا﴾.

(١) قرأ أبو عمرو: (يعملون) بالياء من تحت، رجوعاً إلى الغيبة في ﴿أَيِّدِيَهُمْ﴾ و﴿عَنَّهُمْ﴾، والباقون بالخطاب، رجوعاً إلى الخطاب في قوله: ﴿أَيِّدِيَكُمْ﴾ و﴿عَنكُمْ﴾. انظر «الدر المصون» (٧١٥/٩).

(٢) وقيل: نصب على المعية، وفيه ضعف؛ لإمكان العطف. انظر المرجع السابق.

لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ
لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ
الْحَمِيَّةَ

مَعَ الْكُفَّارِ ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بِصِفَةِ الْإِيمَانِ ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أَي: تَقْتُلُوهُمْ مَعَ الْكُفَّارِ لَوْ أُذِنَ لَكُمْ
فِي الْفَتْحِ - بَدَلِ اشْتِمَالٍ مِنْ (هُمْ) - ﴿فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ﴾ أَي: إِثْمٌ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مِنْكُمْ
بِهِ، وَضُمَائِرُ الْغَيْبَةِ لِلْمُصَنِّفِينَ بِتَغْلِيْبِ الذُّكُورِ، وَجَوَابِ (لَوْ) مَحْذُوفٍ أَي: لَأُذِنَ لَكُمْ
فِي الْفَتْحِ، لَكِنْ لَمْ يُؤْذَنْ فِيهِ حِينَئِذٍ ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كَالْمُؤْمِنِينَ
الْمَذْكُورِينَ، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾: تَمَيَّزُوا عَنِ الْكُفَّارِ ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ
حِينَئِذٍ بِأَنْ نَأْذَنَ لَكُمْ فِي فَتْحِهَا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾: مُؤْلِمًا.

﴿٢٦﴾ ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِ(عَذَّبْنَا) - ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ - فَاعِلٌ - ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (موجودون) هو خبر المبتدأ.

قوله: (بدل اشتمال من «هم») أي: والمعنى: لم تَعْلَمُوا وطأهم، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا
مِنْ (رجال) و(نساء)، والمعنى: ولولا وطء رجال ونساء.

قوله: (إثم) أي: مكروه؛ كالتأسف عليهم، أو المراد بالإثم حقيقته بسبب ترك التحفظ.

قوله: (بغير علم منكم به) أي: بالقتل.

قوله: (وجواب «لولا» محذوف) أي: والمعنى: لولا كراهة أن تهلكوا أناساً مؤمنين بين أظهر
الكفار حال كونكم جاهلين بهم، فَيُصِيبُكُمْ بِإِهْلَاكِهِمْ مَكْرُوهٌ.. لَمَّا كَفَّتْ أَيْدِيكُمْ عَنْهُمْ.

قوله: (حينئذ) أي: عام الحديبية.

قوله: ﴿لِيَدْخُلَ اللَّهُ﴾... إلخ) عِلَّةٌ لِمَا قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ بِقَوْلِهِ: (لكن لم يؤذن).

قوله: (كالمؤمنين المذكورين) أي: وكالمشركين؛ لِأَنَّهُ أَلَّ أَمْرُ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الْإِسْلَامِ إِلَّا مَا قَلَّ.

قوله: (تميزوا) أي: تفرقوا وانفردوا، ولكن لم يَتَمَيَّزُوا، بَلْ اخْتَلَطَ الْمُسْتَضْعَفُونَ بِالْمَشْرِكِينَ،

وَالْأَصُولُ الْمَشْرُوكُونَ بِالْفُرُوعِ الْمُسْلِمِينَ؛ كَالذَّرَارِيِّ الَّذِينَ عَلَّمَ اللَّهُ إِسْلَامَهُمْ، فَلَمْ يَحْصِلِ الْعَذَابُ.

حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ

الْأَنفَةِ مِنَ الشَّيْءِ ﴿حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿الْحِمِيَّةِ﴾ - وَهِيَ صَدُّهُمْ النَّبِيَّ وَأَصْحَابَهُ
عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَصَالِحُهُمْ
عَلَى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِلٍ وَلَمْ يَلْحَقْهُمْ مِنَ الْحِمِيَّةِ مَا لَحِقَ الْكُفَّارَ حَتَّى يُقَاتِلُوهُمْ،
حاشية الصاوي

قوله: (الْأَنفَةُ) بفتحين؛ أي: التكبر.

قوله: ﴿حِمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿الْحِمِيَّةِ﴾ قَبْلَهَا، وَهِيَ (فَعِيلَةٌ) مُصَدَّرٌ، يُقَالُ: حَمَيْتُ مِنْ كَذَا
حِمِيَّةً، وَحِمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ: عَدَمُ الْإِذْعَانِ لِلْحَقِّ، وَنُصْرَةُ الْبَاطِلِ.
قوله: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ مُعْطَوْفٌ عَلَى شَيْءٍ مُقَدَّرٍ؛ أَي: فَضَاقَتْ صُدُورُ الْمُسْلِمِينَ وَاشْتَدَّ
الْكَرْبُ عَلَيْهِمْ فَأَنْزَلَ... إلخ.

رُوي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحُدَيْبِيَّةَ.. بَعَثَ قَرِيشُ سُهِيلَ بْنَ عَمْرِو الْقُرَشِيِّ، وَحُوَيْطِبَ بْنَ
عَبْدِ الْعَزِيِّ، وَمَكْرَزَ بْنَ حَفْصِ بْنِ الْأَحْنَفِ؛ عَلَى أَنْ يَعْرضُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ عَامِهِ ذَلِكَ،
عَلَى أَنْ تُخْلِيَ لَهُ قَرِيشُ مَكَّةَ مِنَ الْعَامِ الْقَابِلِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ففعل ذلك، وَكُتِبُوا بَيْنَهُمْ كِتَابًا، فَقَالَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِيِّ ﷺ: «اكَتُبْ: هَذَا مَا صَالِحٌ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ»، فَقَالُوا:
لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.. مَا صَدَدْنَاكَ عَنِ الْبَيْتِ، وَمَا قَاتَلْنَاكَ، اكَتُبْ: هَذَا مَا صَالِحٌ عَلَيْهِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَهْلَ مَكَّةَ، فَقَالَ ﷺ: «اكَتُبْ مَا يُرِيدُونَ»، فَهَمَّ الْمُؤْمِنُونَ أَنْ يَأْبُوا ذَلِكَ وَيَبْطِشُوا
بِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، فَتَوَقَّرُوا وَحَلُمُوا^(١).

قوله: (عَلَى أَنْ يَعُودُوا مِنْ قَابِلٍ) أَي: وَعَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، قَالَ الْبَرَاءُ: (صَالِحُهُمْ
عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى أَنْ مَنْ أَتَاهُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُسْلِمًا.. رَدُّوهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَاهُمْ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ.. لَمْ يَرُدُّوهُ، وَعَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ قَابِلٍ وَيُقِيمَ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَا يَدْخُلَهَا بِسِلَاحٍ، فَكَتَبَ
بِذَلِكَ كِتَابًا)^(٢).

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ.. قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «قُومُوا فَانْحَرُوا، ثُمَّ احْلِقُوا»، فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ
أَحَدٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ لَمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْغَمِّ.. قَامَ فَدَخَلَ

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) بنحوه عن سيدنا المسور بن مخرمة ؓ، وانظر «عيون الأثر» (١٦١/٢).

(٢) رواه مسلم (٩٣/١٧٨٣).

حاشية الصاوي

على أُمِّ سَلَمَةَ، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت له: يا نبيَّ الله؛ اخرج ولا تكلم أحداً منهم حتى تنحرَ بُدْنَكَ، وتدعُوَ حَالِقَكَ فيَحْلِقَكَ، فخرج ففعل، فلَمَّا رَأَوْا ذلك منه.. قَامُوا فنَحَرُوا، وجعل يَحْلِقُ بعضهم بعضاً^(١).

وروى ثابت عن أنس أن قريشاً صالحوا النبي ﷺ، واشترطوا أن من جاء منكم لم نردّه عليكم، ومن جاء منا ردّوه علينا، فقالوا: يا رسول الله؛ أنكتب هذا؟ قال: «نعم، إن من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»^(٢).

روي: أنه بعد عقد الصلح جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو بقيوده؛ قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ، فقال النبي ﷺ: «إننا لم نقض الكتاب بعد»، قال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، قال النبي ﷺ: «فأجره لي»، قال: ما أنا بمُجير له لك، قال: «بلى فافعل»، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهيل يجره ليردّه إلى قريش، فقال أبو جندل: أي معشر المسلمين؛ أردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً^(٣)، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا جندل، احتسب؛ فإن الله جاعل لك ولِمَن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وعقداً، وإنا لا نغدر»، فقام عمر وتكلم بكلام طويل، منه ما تقدّم لنا عند قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]^(٤).

ثم بعد رجوع رسول الله وأصحابه إلى المدينة جاءه أبو بصير عتبة بن أسد من قريش مسلماً، فأرسلوا في طلبه رجلين، فسلمه لهما النبي ﷺ، فقتل أحدهما، وفرّ منه الآخر، فأتى أبو بصير سيف البحر^(٥)، وجلس هناك، فبلغ ذلك أبا جندل وأصحابه من المستضعفين، فلحقوا به

(١) رواه البخاري (٢٧٣١) عن سيدنا المسور ﷺ.

(٢) رواه مسلم (١٧٨٤).

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١) عن سيدنا المسور ﷺ.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مُسْنَدِهِ» (٣٢٥/٤) عن سيدنا المسور بن مخرمة ﷺ.

(٥) أي: ساحله في موضع يُسَمَّى (البيص) بكسر العين المهملة وسكون التحتية آخره صاد مُهملة، على طريق أهل مكة إذا قصدوا الشام، وحديث أبي بصير في «صحيح البخاري» (٢٧٣١).

وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ

﴿وَالزَّمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾: لا إله إلا الله مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ، وَأُضِيفَتْ إِلَى التَّقْوَى لِأَنَّهَا سَبَبُهَا، ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾: بِالكَلِمَةِ مِنَ الْكُفَّارِ ﴿وَأَهْلَهَا﴾ - عَطَفَ تَفْسِيرِيَّ - ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لَمْ يَزَلْ مُتَّصِفًا بِذَلِكَ، وَمِنْ مَعْلُومِهِ تَعَالَى أَنَّهُمْ أَهْلُهَا.

﴿٢٧﴾ ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ قَبْلَ خُرُوجِهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ مَكَّةَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ آمِنِينَ وَيَحْلِقُونَ وَيُقَصِّرُونَ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ فَفَرَحُوا، فَلَمَّا خَرَجُوا مَعَهُ وَصَدَّهُمُ الْكُفَّارُ بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَرَجَعُوا وَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ

حاشية الصائوي

حتى تكاملوا نحواً من سبعين رجلاً، فما يسمعون بغير خرجت لقریش إلى الشام إلا تعرضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسل قریش إلى النبي ﷺ فنأشده الله والرحم بأنه لا يُرْسَلُ إليهم من أتاها منهم مسلماً، وأبطلوا هذا الشرط، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بصير وأبي جندل ومن معهما، فأحضرهم المدينة.

قوله: ﴿وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ أي: اختار لهم، فهو إلزامٌ إكرامٍ وتشريفٍ، والمراد: تقوى الشرك.

قوله: (لا إله إلا الله) هذه رواية أبي بن كعب^(١)، وقيل: إنها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وقيل: إنها: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

قوله: ﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا﴾ أي: في علم الله؛ لأنه اختارهم لإدينه.

قوله: (تفسيري) أي: لـ ﴿أَحَقَّ بِهَا﴾، أو الضمير في ﴿بِهَا﴾ لكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وفي (أهلها) للتقوى.

قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ أي: جعل رؤياه صادقةً محققةً، لم يدخلها الشيطان؛ لأنه معصومٌ منه هو وجميع الأنبياء، وتأخيرها لا يُنافي كونها حقاً وصدقاً؛ نظير رؤيا يوسف الصديق أن أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدون له، فتأخرت الزمن الطويل، وبعد ذلك تحققت.

لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ

وراب بعض المنافقين نزلت. - وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿الرَّئِيَا﴾، وما بعدها تفسيرها - ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للتبرك ﴿ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها، ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، - وهما حالان مُقَدَّرَتَانِ - ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً، ﴿فَعَلِمَ﴾ في الصلح
 حاشية الصاوي

قوله: (وراب بعض المنافقين) أي: ارتاب؛ حيث قال عبد الله بن أبي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث: والله؛ ما حلّقنا، ولا قصّرنا، ولا رأينا المسجد الحرام.

قوله: (أو حال من ﴿الرَّئِيَا﴾) أي: فهو متعلق بمحذوف، والتقدير: مُلتبسةً بالحق، ويصح أن يكون صفة لمصدر محذوف، والتقدير: صدقاً ملتبساً بالحق، ويصح أن يكون ﴿بِالْحَقِّ﴾ قسماً، وجوابه قوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ...﴾ إلخ، وعليه: فالوقف على قوله: ﴿الرَّئِيَا﴾، وعلى ما قبله: فالوقف على قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾، وقوله: ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾ اللام موطئة لقسم محذوف^(١).

قوله: (للتبرك) أي: مع تعليم العباد الأدب، وتفويض الأمر إليه، وهو جواب عما يُقال: إن الله تعالى خالق الأشياء كلها، وهو عالمٌ بها قبل وقوعها؛ فكيف وقع منه التعليق بالمشيئة مع أن التعليق إنما يكون من المخبر المتردد، أو الشاك في وقوع المعلق، والله مُنَزَّهٌ عن ذلك؟ فأجاب: بأن المقصود التبرك لا التعليق، ويُجاب أيضاً: بأن المشيئة باعتبار جميع الجيش؛ فإن الذين حضروا عُمرَةَ القضاء كانوا سبع مئة^(٢)، وأما باعتبار المجموع.. فالقضاء مُبرَّمٌ لا تعليق فيه، ويجاب أيضاً: بأنه حكاية عن كلام الملك المبلغ للرسول كلام الله، أو حكاية عن كلام الرسول عليه السلام.

قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ حال مقارنة للدخول، والجملة الشرطية معترضة.

قوله: (مقدّرتان) دفع بذلك ما قد يُقال: إنَّ حال الدخول هو حال الإحرام، وهو لا يتأتى معه خلق ولا تقصير.

قوله: ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ أبداً أشار بذلك إلى أنه غير مكرّر مع قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾، والمعنى:

(١) اللام واقعة في جواب قسم محذوف، وانظر ما تقدم عن اللام الموطئة (١/٢٢٨).

(٢) ففيه إشعار بأن بعضهم لا يدخل؛ لموت، أو غيبة، أو غير ذلك، وقد تقدم أن النبي ﷺ جاء إليها وقت الصلح في ألف وأربع مئة، وانظر «الفتوحات» (٤/١٧٦).

مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى
وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ

﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الصَّلاح، ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدُّخُول ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح
خَيْبَر، وَتَحَقَّقَتِ الرَّؤْيَا فِي الْعَامِ الْقَابِلِ.

﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: دِينَ الْحَقِّ ﴿عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ﴾: عَلَى جَمِيعِ بَاقِي الْأَدْيَانِ، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أَنَّكَ مُرْسَلٌ بِمَا ذَكَرَ كَمَا قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى.

﴿٢٩﴾ ﴿مُحَمَّدٌ﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ - خَبَرُهُ - ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أَصْحَابُهُ مِنْ

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

أَمَنُونَ فِي حَالِ الدُّخُولِ، وَحَالِ الْمَكْتِ، وَحَالِ الْخُرُوجِ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَ أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّهُ يَحْرُمُ قِتَالُ مَنْ
أَحْرَمَ، وَمَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ، فَأَفَادَ أَنَّهُ يَبْقَى أَمْنُهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْإِحْرَامِ.
قَوْلُهُ: (مَنْ الصَّالِح) أَي: وَهُوَ حَفَظَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ.
قَوْلُهُ: ﴿مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ (أَي: قَبْلَهُ).

قَوْلُهُ: (هُوَ فَتَحَ خَيْبَرَ) وَقِيلَ: هُوَ صُلِحَ الْحَدِيثِيَّةُ، وَقِيلَ: هُوَ فَتَحَ مَكَّةَ.
قَوْلُهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ تَأْكِيدٌ لِتَصَدِيقِ اللَّهِ رُؤْيَاهُ، وَالْمَعْنَى: حَيْثُ جَعَلَهُ رَسُولًا
فَلَا يُرِيهِ خِلَافَ الْحَقِّ.

قَوْلُهُ: ﴿بِالْهُدَى﴾ (أَي: الْقُرْآنَ، أَوْ الْمَعْجَزَاتِ).
قَوْلُهُ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (أَي: لِيُعْلِيَهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ، فَيَنْسَخَ مَا كَانَ حَقًّا، وَيُظْهِرَ
فَسَادَ مَا كَانَ بَاطِلًا).

قَوْلُهُ: (بِمَا ذَكَرَ) أَي: بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ.
قَوْلُهُ: (كَمَا قَالَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ مُؤَكَّدٌ لِقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ﴾.

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ

المؤمنين - مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ -: ﴿أَشِدَّاءُ﴾: غِلَاطٌ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يَرَحْمُونَهُمْ، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾
- خَبَر ثانٍ - أي: مُتَعَاظِفُونَ مُتَوَادُّونَ كَالْوَالِدِ مَعَ الْوَلَدِ، ﴿تَرْتَهُمُ﴾: تُبْصِرُهُمْ ﴿رُكْعًا سُجَّدًا﴾
- حالان - ﴿يَبْتَغُونَ﴾ مُسْتَأْنَفٌ: يَطْلُبُونَ ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَمَاهُمْ﴾: عَلَامَتُهُمْ - مُبْتَدَأُ -
﴿فِي وَجُوهِهِمْ﴾ - خَبْرُهُ - وهو نُورٌ وَبَيَاضٌ يُعْرَفُونَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ أَنَّهُمْ سَجَدُوا فِي الدُّنْيَا،
﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ الْخَبَرُ أي: كَائِنَةٌ، وَأُعْرِبَ حَالًا

حاشية الصاوي

قوله: (لا يرحمونهم) أي: لا يراؤون بهم؛ وذلك لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم، وقد بلغ من
تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس أبدانهم^(١).

قوله: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فكان الواحد منهم إذا رأى أخاه في الدين.. صافحه وعانقه.

قوله: ﴿تَرْتَهُمُ رُكْعًا﴾ إمّا خبر آخر، أو مُسْتَأْنَفٌ، والمعنى: أنهم في النهار على الأعداء أسود،
وفي الليل رُكْعٌ سُجُودٌ.

قوله: (حالان) أي: من مفعول ﴿تَرْتَهُمُ﴾.

قوله: (مُستأنف) أي: واقع في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا يريدون بركوعهم
وسجودهم؟ فقيل: ﴿يَبْتَغُونَ... إلخ.

قوله: ﴿سِيَمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ اختُلف في تلك السّيما؛ فقيل: إنّ مواضع
سجودهم يوم القيامة تُرى كالقمر ليلة البدر، وقيل: هو صُفرة الوجه من سهر الليل، وقيل: الخشوع
الذي يظهر على الأعضاء حتى يتراءى أنهم مرضى وليسوا بمرضى، وليس المراد به ما يصنعه بعض
الجهلة المرائين من العلامة في الجبهة؛ فإنه من فعل الخوارج، وفي الحديث: «إني لأبغض الرجل
وأكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود»^(٢).

(١) نقله الخطيب في «السراج المنير» (٥٧/٤) عن الحسن، وفيه: (بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم).

(٢) أورده الخطيب في «السراج المنير» (٥٨/٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، وعند الإمام أحمد في «مسنده» (٤٢١/٤)
عن شريك بن شهاب قال: كنت أتمنى أن ألقى رجلاً من أصحاب النبي ﷺ يُحدثني عن الخوارج، فلقيت أبا بركة =

ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ

مِنْ ضَمِيرِهِ الْمُنْتَقِلِ إِلَى الْخَبَرِ - ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: الْوَصْفُ الْمَذْكُورُ ﴿مَثَلُهُمْ﴾: صِفَتُهُمْ ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ: - ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ﴾ - يَسْكُونُ الطَّاءُ وَفَتْحُهَا -

حاشية الصاوي

قوله: (من ضميره) أي: من ضمير ما تعلق به الخبر، وهو (كائنة).

قوله: (المنتقل إلى الخبر) أي: وهو الجار والمجرور.

قوله: (أي: الوصف المذكور) أي: وهو كونهم أشداء، رُحماء، تراهم ركعاً... إلخ، سيماهم في وجوههم... إلخ.

قوله: ﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ أي: وَصْفُهُم الْعَجِيبُ، الْجَارِي فِي الْغَرَابَةِ مَجْرَى الْأَمْثَالِ.

قوله: (مبتدأ وخبره) أي: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿مَثَلُهُمْ﴾ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ قَوْلُهُ: ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾^(١)، وَالْجُمْلَةُ خَبَرٌ عَنْ ﴿ذَلِكَ﴾.

قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾... إلخ) يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، خَبَرُهُ قَوْلُهُ: ﴿كَزَرْعٍ﴾، وَحِينَئِذٍ: فَيُوقِفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾، وَيَكُونَانِ مَثْلَيْنِ، وَعَلَيْهِ مَشَى الْمَفْسِّرُ، وَيَصِحُّ أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿مَثَلُهُمْ﴾ الْأَوَّلِ، وَحِينَئِذٍ: فَيُوقِفُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿الْإِنْجِيلِ﴾، وَيَكُونَانِ مَثَلًا وَاحِدًا فِي الْكُتَائِبَيْنِ، وَقَوْلُهُ: ﴿كَزَرْعٍ﴾ خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ؛ أَي: مَثَلُهُمْ كَزَرْعٍ... إلخ، وَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ.

قوله: (يسكون الطاء وفتحها) أي: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢)، وَالشَّطْءُ: أَفْرَاخُ النَّخْلِ وَالزَّرْعُ، أَوْ وَرَقُهُ.

= فِي يَوْمٍ عَرَفَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَرْزَةَ؛ حَدَّثْنَا بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ فِي الْخَوَارِجِ، فَقَالَ: أَحَدُكُمْ بِمَا سَمِعْتَ أَذْنَايَ، وَرَأَتْ عَيْنَايَ؛ أَتَيْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَدَنَانِيرٌ، فَكَانَ يَقْسِمُهَا وَعِنْدَهُ رَجُلٌ أَسْوَدُ مَطْمُومُ الشَّعْرِ، عَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَبِيضَانِ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السَّجُودِ، فَتَعَرَّضَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَاهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ، فَلَمْ يُعْطِهِ شَيْئًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ مَا عَدَلْتَ مِنْذُ الْيَوْمِ فِي الْقِسْمَةِ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَضَبًا شَدِيدًا، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ؛ لَا تَجِدُونِ بَعْدِي أَحَدًا أَعْدَلَ عَلَيْكُمْ مِنِّي»، قَالَهَا ثَلَاثًا.

(١) وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ ﴿فِي التَّوْرَةِ﴾ حَالًا مِنْ ﴿مَثَلُهُمْ﴾، وَالْعَامِلُ مَعْنَى الْإِشَارَةِ. انظر «الدر المصون» (٧٢٢/٩).

(٢) قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ ذَكْوَانَ بِفَتْحِ الطَّاءِ، وَالْبَاقُونَ بِاسْكَانِهَا، وَهِيَ لُغَتَانِ. انظر المرجع السابق.

فَنَازَرُهُ فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

فِرَاخُهُ ﴿فَنَازَرُهُ﴾ - بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ -: قَوَّاهُ وَأَعَانَهُ، ﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾: غَلِظَ ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾: قَوِيَ وَاسْتَقَامَ ﴿عَلَىٰ سُوقِهِ﴾: أَصُولُهُ جَمَعَ (سَاق)، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ أَي: زُرَّاعَهُ لِحُسْنِهِ، مَثَلُ الصَّحَابَةِ ﷺ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ بَدَّوْا فِي قِلَّةٍ وَضَعْفٍ فَكَثُرُوا وَقَوُّوا عَلَى أَحْسَنِ الْوُجُوهِ، ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْلَهُ - أَي: شَبَّهُوا بِذَلِكَ، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾ أَي: الصَّحَابَةَ، وَ(مِنْ) لِبَيَانِ الْجِنْسِ لَا لِلتَّبْعِيضِ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ بِالصِّفَةِ الْمَذْكُورَةِ، ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الْجَنَّةُ،

حاشية الصاوي

قوله: (فراخه) بكسر الخاء: جمع (فَرَخ) ك(فَرَع) لفظاً ومعنى.

قوله: (بالمد) أي: وأصله: (أأزره) بوزن (أكرمه)، قلبت الهمزة الثانية ألفاً؛ للقاعدة المعلومة، وقوله: (والقصر) أي: فهو من باب (ضرب)، وهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (غلظ) أي: فهو من باب: استحجر الطين^(٢).

قوله: ﴿عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ متعلق بـ(استوى).

قوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ الجملة حالية، والمعنى: حال كونه مُعْجَباً.

قوله: (فكثروا) هو مأخوذ من قوله: ﴿أَخْرَجَ سَطْعَهُ﴾، وقوله: (وقووا) مأخوذ من قوله: ﴿فَنَازَرُهُ فَاسْتَعْلَظَ﴾، وقوله: (على أحسن الوجوه) مأخوذ من قوله: ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾.

قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ تعليلٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ التشبيه، كأنه قال: إنما قَوَّاهُمْ وَكَثَّرَهُمْ؛ لِيَغِيظَ.

قوله: (لبيان) أي: لا للتبعيض؛ كما زعمه بعضهم^(٣).

(١) قرأ ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفاء، والباثون بالمد. انظر «السراج المنير» (٥٨/٤).

(٢) أي: صار حجراً؛ كما تقول: استنوق الجمل، لا يتكلمون بهما إلا مزيدتين، وهو يُنبئ عن التدرج، ويحتمل أنه للمبالغة ك: استعظم. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٦٩/٨).

(٣) ويجعل (مِنْ) بيانية سَقَطَتْ حجة من طعن به على الصحابة وجعلها تبعيضية. انظر المرجع السابق.

وَهُمَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ أَيْضاً فِي آيَاتٍ.



حاشية الصاوي

قوله: (لمن بعدهم) أي: كالتابعين وأتباعهم إلى يوم القيامة.

قوله: (في آيات) متعلق بما تعلّق به قوله: (لمن بعدهم)، والمعنى: وهما ثابتان لمن بعد الصحابة في آيات؛ كقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ...﴾ إلى قوله: ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد: ٢١].

خاتمة:

قد جمعت هذه الآية - وهي قوله: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ﴾ إلى آخر السورة - جميع حروف المعجم، وفي ذلك إشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعُلُوّ نصرهم ﷺ، وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومُحِبِّينا وجميع المسلمين بِمَنِّهِ وكرمه.

وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطوّل، وقد خُتِمَ كما ترى بِسُورَتَيْنِ هما في الحقيقة للنبي ﷺ، وحاصلُهما الفتح بالسيف، والنصر على مَنْ قاتله ظاهراً؛ كما خُتِمَ القسم الثاني المفصّل بِسُورَتَيْنِ هما نُصْرَةٌ له ﷺ بالحال على مَنْ قصده بالضرّ باطناً، ومِن أجل ذلك اتّخذ العارفون هذه الآية ورداً وحِصْناً منيعاً.



﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدَّمُوا



مدينة، ثماني عشرة آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدَّمُوا﴾ مِنْ (قَدَّمَ) بِمَعْنَى تَقَدَّمَ، أَي: لَا تَقَدَّمُوا

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

(مدنيّة) أي: بالإجماع، وهذا أوائل السُّور المسَمَّاة بالمفصَّل، واختُلف في تسميته بذلك؛
ف قيل: لكثرة الفصل فيه بين السُّور، وقيل: لكونه جميعه مُحَكَّمًا لا نسخ فيه.

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ذكر هذا اللفظ في هذه السورة خمس مرات؛ اعتناءً بشأن المؤمنين
في الأوامر والنواهي، نظير خطابات لقمان لابنه في قوله: ﴿يَبْنُيْ﴾، ولئلا يُتَوَهَّم أَنَّ المخاطب ثانياً
غير المخاطب أولاً، وذكر ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ مرةً خطاباً لِمَا يَعُمُّ المؤمن والكافر؛ لِمُنَاسَبَةِ ما يترتب
عليه من قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾.

وهذه السورة جمعت آداباً ظاهريّةً وباطنيّةً، وأوامر ونواهي ظاهريّةً وباطنيّةً، عامّةً وخاصّةً،
فهي مُتَضَمِّنَةٌ لطريقة الصوفيّة التي مَنْ تَمَسَّكَ بها.. وصل.

قوله: (من «قَدَّمَ» بمعنى «تَقَدَّمَ») العامّة على ضم التاء وفتح القاف وتشديد الدال مكسورة،
وفيها وجهان: أحدهما: أنه مُتَعَدِّ حُذِفَ مفعوله اقتصاراً؛ كقولهم: هو يُعْطِي وَيَمْنَعُ، ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾
[البقرة: ١٨٧]، والأصل: لا تُقَدَّمُوا ما لا يَصْلَحُ، والثاني: أنه لازم نحو: وجّه وتوجّه، ويعضّده
قراءة ابن عباس والضحاك: (لا تَقَدَّمُوا) بالفتح في الثلاثة، والأصل: لا تَتَقَدَّمُوا، فحُذِفَ إحدى
التاءين.

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

يَقُولُ وَلَا فِعْلُ ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الْمُبْلَغُ عَنْهُ أَي: بِغَيْرِ إِذْنِهِمَا، ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِقَوْلِكُمْ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِفِعْلِكُمْ. نَزَلَتْ فِي مُجَادَلَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فِي تَأْمِيرِ الْأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ أَوْ الْقَعْقَاعِ بْنِ مَعْبَدٍ.

حاشية الصاوي

وفي الآية استعارة تمثيلية؛ حيث شبه تجري^(١) الصحابة على الحكم في أمرٍ من أمور الدين بغير إذنٍ من الله ورسوله، بحالة مَنْ تقدَّم بين يَدَي مَتَّبِعِهِ إِذَا سَارَ فِي طَرِيقِهِ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ؛ فَإِنَّهُ فِي الْعَادَةِ مُسْتَهْجَنٌ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَ فِي جَانِبِ الْمَشَبَّهِ مَا كَانَ مُسْتَعْمَلاً فِي جَانِبِ الْمَشَبَّهِ بِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ، وَالْغَرَضُ التَّنْفِيرُ مِنَ التَّجَرِّي بِغَيْرِ إِذْنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمَلَائِكَةِ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧] أَصْلُهُ: لَا يَسْبِقُ قَوْلُهُمْ قَوْلَهُ، فَمَدَحَهُمْ بِنَفْيِ السَّبْقِ؛ تَنْبِيْهًا عَلَى اسْتِهْجَانِ السَّبْقِ.

أو المراد: بين يَدَي رَسُولِ اللَّهِ، وَذَكَرَ لَفْظَ ﴿اللَّهُ﴾ تَعْظِيمًا لِلرَّسُولِ، وَإِشْعَارًا بِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ يُوجِبُ إِجْلَالَهُ، وَعَلَى هَذَا: فَلَا اسْتِعَارَةَ.

قوله: (بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ) مِثَالُ الْقَوْلِ: مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِّرُ فِي سَبَبِ النُّزُولِ، وَمِثَالُ الْفِعْلِ: مَا قِيلَ فِي سَبَبِ النُّزُولِ أَيْضًا مِنْ أَنَّهُمْ ذَبَحُوا يَوْمَ النُّحْرِ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُعِيدُوا الذَّبْحَ، وَقَالَ: «مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ.. فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَلَهُ لِأَهْلِهِ، لَيْسَ مِنَ التُّشْكُ فِي شَيْءٍ»^(٢)، وَمَا وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ فِي النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الشُّكِّ؛ أَي: لَا تَصُومُوا قَبْلَ أَنْ يَصُومَ نَبِيُّكُمْ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: هُوَ عَامٌّ فِي الْقِتَالِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ؛ أَي: لَا تَقْطَعُوا أَمْرًا دُونَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ الْأَوَّلَى. قوله: ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ﴾ أَي: فِي التَّقَدُّمِ الَّذِي نَهَاكُمْ عَنْهُ.

قوله: (عَلَى النَّبِيِّ) الْأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ: (عِنْدَ النَّبِيِّ)؛ فِيهِ الْحَدِيثُ: (أَنَّهُ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَطَلَبُوا أَنْ يُؤْمَرَ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَمَرَ الْقَعْقَاعُ بْنُ مَعْبَدٍ، وَقَالَ عُمَرُ: بَلْ أَمَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا خِلَافِي، وَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارَا - أَي: تَخَاصَمَا - حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا، فَنَزَلَتْ تِلْكَ الْآيَاتُ الْخَمْسُ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)).

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ: (تَجَرُّؤُ)، وَفِي «الْفَتْوحَاتِ» (١٨٠/٤): (شَبَّهَ تَعَجُّلَ الصَّحَابَةِ فِي إِقْدَامِهِمْ عَلَى قَطْعِ الْحُكْمِ فِي أَمْرِ... إلخ).

(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٩٦٨) عَنْ سَيِّدِنَا الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَانْظُرْ أَسْبَابَ النُّزُولِ فِي «زَادَ الْمَسِيرَ» (١٤٢/٤).

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٦٧) عَنْ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ

﴿٢﴾ وَنَزَلَ فِيمَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إِذَا نَطَقْتُمْ ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إِذَا نَطَقَ، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾

حاشية الصاوي

ومعنى قول عمر: (ما أردت خلافك) أي: ما أردت مخالفتك تعنتاً، وإنما أردت أن تولية الأقرع أصلح لهم، ولم يظهر لك ذلك.

قوله: (ونزل فيمن رفع صوته... إلخ) أي: كأبي بكر وعمر في القصة المذكورة؛ كما أن قوله: (ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي) أي: كأبي بكر وعمر حين بلغهما النهي عن رفع الصوت، فصاراً يخفضان بأصواتهما عند النبي^(١)، كما أن قوله: (ونزل في قوم... إلخ) هم بنو تميم الذين تكلم في شأنهم أبو بكر وعمر، فتلخص: أنه لما اختلف أبو بكر وعمر في تأمير الأمير على الوفد المذكور ولم يصبراً حتى يكون رسول الله هو الذي يشير بذلك.. نزل قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ الآية، ولما رفعاً أصواتهما في تلك القصة.. نزل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ...﴾ الآية، ولما خفضاً أصواتهما بعد ذلك.. نزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ...﴾ الآية، ولما نادى الركب المذكور النبي ﷺ من وراء الحجرات.. نزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ...﴾ الآيتين.

قوله: (إذا نطقتم) أي: تكلمتم، وقوله: (إذا نطق) أي: تكلم.

قوله: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لَمَّا كانت هذه الجملة كالمكررة مع ما قبلها مع أن العطف ياباه، أشار المفسر إلى أن المراد بالأول: إذا نطق ونطقتم.. فعليكم ألا تبلغوا بأصواتكم حدّاً يبلغه صوته، بل يكون كلامكم دون كلامه، والمراد بالثاني: أنكم إذا كلمتموه وهو صامت.. فلا ترفعوا أصواتكم كما ترفعوها^(٢) فيما بينكم.

(١) روى البخاري (٤٨٤٥) قال ابن الزبير: (فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه)، ولم يذكر ذلك عن أبيه؛ يعني: أبا بكر، ولكن أخرج الحاكم في «المستدرک» (٤٦٣/٢) عن سيدنا أبي هريرة ؓ: أن أبا بكر قال بعد نزول هذه الآية: (والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله؛ لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله) أي: كصاحب المشاورة في خفض الصوت. وانظر «التحرير والتنوير» (٢٢٠/٢٦).

(٢) كذا في الأصول، وحذف النون تخفيفاً لغة معروفة.

كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾

إذا نَاجَيْتُمُوهُ ﴿كَجَهْرٍ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دُونَ ذَلِكَ إجلالاً لَهُ، ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خَشْيَةُ ذَلِكَ بِالرَّفْعِ وَالْجَهْرِ الْمَذْكُورَيْنِ.

حاشية الصاوي

قوله: (إذا نَاجَيْتُمُوهُ) أي: كَلَمْتُمُوهُ وهو صامتٌ.

قوله: (بل دُونَ ذَلِكَ) راجعٌ لكلِّ مِنَ النَّهْيَيْنِ؛ أي: بل اجْعَلُوا أَصْوَاتَكُمْ دُونَ صَوْتِهِ، وَدُونَ جَهْرِ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ، وقوله: (إجلالاً لَهُ) تعليلٌ لِمَا تَضَمَّنَهُ قوله: (بل دُونَ ذَلِكَ).

قوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ﴾ أي: يَبْطُلُ ثَوَابُهَا، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: بِحُبُوطِهَا.

قوله: (أي: خَشْيَةُ ذَلِكَ) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ ﴿أَنْ تَحْبَطَ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أي: خَشْيَةُ الْحُبُوطِ، وَالْخَشْيَةُ مِنْهُمْ، وَقَدْ تَنَازَعَهُ ﴿لَا تَرْفَعُوا﴾ و﴿لَا تَجْهَرُوا﴾؛ فَيَكُونُ مَفْعُولاً لِأَجْلِهِ، وَالْعَامِلُ فِيهِ الثَّانِي أَوِ الْأَوَّلُ.

قوله: (بالرفع والجهر) الباء: سَبَبٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى الْحُبُوطِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أي: خَشْيَةُ الْحُبُوطِ بِسَبَبِ الرِّفْعِ وَالْجَهْرِ؛ لِأَنَّ فِي الرِّفْعِ وَالْجَهْرِ اسْتِخْفَافاً بِجَنَابِهِ، فَيُؤَدِّي إِلَى الْكُفْرِ الْمَحِيطِ، وَذَلِكَ إِذَا انْضَمَّ لَهُ قَصْدُ الْإِهَانَةِ، وَعَدَمُ الْمَبَالَاةِ.

رُوي: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.. قَعَدَ ثَابِتٌ فِي الطَّرِيقِ يَبْكِي، فَمَرَّ بِهِ عَاصِمُ بْنُ عَدِي فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ؟ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ، أَتَخَوَّفُ أَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ فِيَّ وَأَنَا رَفِيعُ الصَّوْتِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أَخَافُ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلِي، وَأَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَمَضَى عَاصِمٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَغَلَبَ ثَابِتاً الْبُكَاءُ، فَاتَى امْرَأَتَهُ جَمِيلَةَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ فَقَالَ لَهَا: إِذَا دَخَلْتَ بَيْتَ فَرَشِي.. فَسُدِّيْ عَلَيَّ الضَّبَّةَ بِمَسْمَارٍ، فَضَرَبْتَهُ بِمَسْمَارٍ، فَاتَى عَاصِمٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ خَبْرَهُ، قَالَ: «اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي»، فَجَاءَ عَاصِمٌ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي رَأَاهُ فِيهِ، فَلَمْ يَجِدْهُ، فَجَاءَ إِلَى أَهْلِهِ، فَوَجَدَهُ فِي بَيْتِ الْفَرَشِ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُوكَ، فَقَالَ: اكْسِرِ الضَّبَّةَ، فَاتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ثَابِتُ؟» فَقَالَ: أَنَا صَبِيٌّ وَأَتَخَوَّفُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ حَمِيداً، وَتُقْتَلَ شَهِيداً، وَتَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟» فَقَالَ: رَضِيتُ بِشَرَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، لَا أَرْفَعُ صَوْتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَبَداً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ...﴾ الْآيَةُ (١).

(١) رواه بتمامه الطبري في «تفسيره» (٢٢/٢٧٩)، وأصله عند البخاري في «صحيحه» (٣٦١٣)، والضبة: حديدة عريضة يُضَبُّبُ بِهَا الْبَابُ.

إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

﴿٣﴾ ونزل فيمن كان يخفيض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر وعمر وغيرهما ﷺ :
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ﴾ : اختبر ﷻ قلوبهم للنقاة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ : الجنة.

حاشية الصاوي

قال أنس: فكنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسلمة... رأى ثابت من المسلمين بعض انكسار، وانهمت طائفة منهم، قال: أف لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قُتِلَا، واستشهد ثابت وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام، وأنه قال له: أعلم أن فلانا رجل من المسلمين نزع درعي، فذهب به، وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طيله، وقد وضع على درعي برمة، فائت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعي، وائت أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ وقل له: إن علي ديناً حتى يقضي عني، وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالداً، فوجد الدرع والفرس على ما وصفه، فاسترد الدرع، وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيته، قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أُجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه^(١).

قوله: (فيمن كان يخفيض صوته) أي: مخافة من مخالفة النهي السابق، وإجلالاً وتعظيماً.

قوله: (كأبي بكر وعمر... إلخ) أي: فكان الجميع يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ؛ إجلالاً له وتعظيماً.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾... إلخ اسم الإشارة: مُبتدأ، والموصول بعده: خبر، والجملة خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ مُستأنفة لبيان ما أعد لهم.

قوله: ﴿امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ الامتحان: افتِعالٌ من: مَحَنْتُ الأديم مَحَنًا: أوسعته، ومعنى ﴿امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ﴾: وسعها.

قوله: (أي: لتظهر منهم) أي: فإنها لا تظهر إلا بالاصطبار على أنواع المَحَن والتكاليف

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٣/ ٢٣٥)، والطَّيْلُ: الحبل الذي يُربط به ويطوّل لها لترعى، ويقال: (طوّل) بالواو المفتوحة بدل الياء.

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ

(٤ - ٥) ونزل في قوم جاؤوا وقت الظَّهيرة والنَّبِيُّ ﷺ في مَنْزِلِهِ فنادَوْهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾: حُجُرَاتٍ نِسَائِهِ ﷺ، جَمَعَ (حُجْرَةٌ)،

حاشية الصاوي

الشَّاقَّةُ، فالاختبارُ سببٌ لظهور التقوى، لا سببٌ للتقوى نفسها، فهو من إطلاق السبب على المسبب؛ أي: فالاختبارُ يظهر ما كان كامناً في النفس من التقوى؛ كما أنَّ سماعَ الألحان يُظهر ما كان كامناً في النفس من الحبِّ، فتدبَّرْ^(١).

قوله: (ونزل في قوم) أي: وهُم وفدُ بني تميم.

قوله: ﴿مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ أي: مِنْ خَارِجِهَا؛ خَلْفَهَا، أَوْ قُدَّامَهَا؛ لِأَنَّ (وراء) من الأضداد، يَكُونُ بِمَعْنَى (خَلْفَ)، وَبِمَعْنَى (قُدَّامَ).

قال مجاهد وغيره: نزلت في أعراب بني تميم، قَدِمَ وفدٌ منهم على النبي ﷺ، فدخلوا المسجد ونادوا النبي ﷺ من وراء الحُجُرَاتِ أَنْ اخْرُجْ إِلَيْنَا؛ فَإِنَّ مَدَحَنَا زَيْنٌ، وَذَمُّنَا شَيْنٌ، وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا قَدِمُوا لِفِدَاءِ ذُرَارِي لَهُمْ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَائِمًا لِلْقَائِلَةِ، وَسُئِلَ ﷺ فَقَالَ: «هُمُ جُفَاءُ بَنِي تَمِيمٍ، لَوْلَا أَنَّهُمْ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ قِتَالًا لِلْأَعْوَرِ الدِّجَالِ.. لَدَعَوْتُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُهْلِكَهُمْ»^(٢)، وَقِيلَ: كَانُوا جَاءُوا شُفْعَاءَ فِي أَسَارَى بَنِي عَنبرٍ، فَأَعْتَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِصْفَهُمْ، وَفَادَى نِصْفَهُمْ، وَلَوْ صَبَرُوا.. لَأَعْتَقَ جَمِيعَهُمْ بَغِيرِ فِدَاءٍ^(٣).

(١) ويجوز أن يكون تمثيلاً: شَبَّهَ خُلُوصَ قُلُوبِهِمْ عَنْ شَوَائِبِ الْكُدُورَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَنُصُوعَ دَوَاعِيهِمْ عَنِ اللَّذَاتِ الشَّهَوَانِيَّةِ بَعْدَ طَوْلِ الْمَجَاهِدَاتِ، وَمُقَاسَاةِ الْمَكَابِدَاتِ بِخُلُوصِ الذَّهَبِ الْإِبْرِيزِ الَّذِي عُرِضَ عَلَى النَّارِ، وَنُقِيَ مِنَ الْخَبْثِ وَالزَّبَدِ الَّذِي يَذْهَبُ جُفَاءً، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: (تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَأَخْلَصَهَا لِلتَّقْوَى، فَحَذَفَ الْإِخْلَاصَ؛ لِلدَّلَالَةِ الْاِمْتِحَانِ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ قَتَادَةُ: أَخْلَصَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)، وَهَذَا الْوَجْهُ أَنْسَبُ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ وَارِدٌ فِي مَدْحِ أَوْلَئِكَ السَّادَةِ الْكَرَامِ، أَوْ فِي التَّعْرِيفِ بِمَنْ لَيْسُوا عَلَى وَصْفِهِمْ، وَمِنْ ثَمَّ قَالَ فِي فَاصِلَةِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾، وَفِي فَاصِلَةِ الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. «فَتْوحَات» (١٨٣/٤) نَقْلًا عَنِ الْعَلَّامَةِ الْكَرْخِيِّ.

(٢) رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ (١٩٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا أَزَالُ أَحِبُّ بَنِي تَمِيمٍ مِنْ ثَلَاثَ سَمِعْتُهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هُمْ أَشَدُّ أُمْتِي عَلَى الدِّجَالِ»، قَالَ: وَجَاءَتْ صَدَقَاتُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذِهِ صَدَقَاتُ قَوْمِنَا»، قَالَ: وَكَانَتْ سَبِيَّةً مِنْهُمْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعْتَقِيهَا؛ فَإِنَّهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ».

(٣) انظر أسباب النزول في «تفسير البغوي» (١٧٧/٤)، و«إزاد المسير» (١٤٤/٤).

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾

وهي ما يُحَجَّرُ عَلَيْهِ مِنَ الْأَرْضِ بِحَائِطٍ وَنَحْوِهِ، كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ نَادَى خَلْفَ حُجْرَةٍ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْلَمُوهُ فِي أَيِّ حُجْرَةٍ مُنَادَاةَ الْأَعْرَابِ بِغِلْظَةٍ وَجَفَاءٍ، ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيما فَعَلُوهُ مَحَلَّكَ الرَّفِيعِ وما يُنَاسِبُهُ مِنَ التَّعْظِيمِ. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ - ﴿أَنَّهُمْ﴾ في مَحَلِّ رَفَعٍ بِالْأَبْتِدَاءِ، وَقِيلَ: فَاعِلٌ لِفِعْلِ مُقَدَّرٍ أَي: ثَبَتَ - ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لِمَنْ تَابَ مِنْهُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (وهي: ما يحجر عليه) أي: يُحَوِّطُ عَلَيْهِ؛ لِلْمَنْعِ مِنَ الدُّخُولِ.

قوله: (كَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ... إلخ) أتى بصيغة لا جزم فيها؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ احْتِمَالٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ مُنَادَاتِهِمْ تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، أَوْ الْكُلُّ وَقَفُوا عَلَى كُلِّ حُجْرَةٍ وَنَادَوْهُ مِنْهَا.

قوله: (مناداة الأعراب) مَعْمُولٌ لـ ﴿يُنَادُونَكَ﴾.

قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المراد بالأكثر: الكل؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ تُعَبِّرُ بِالْأَكْثَرِ وَتُرِيدُ الْكُلَّ.

قوله: (محلك الرفيع) مَعْمُولٌ لـ ﴿يَعْقِلُونَ﴾، وَفِي نُسْخَةٍ: (بمحلك)، فَيَكُونُ مَعْمُولًا لـ (فَعَلُوهُ)؛ فَ(المحل) عَلَى الْأَوَّلِ: الْمَكَانَةُ وَالرُّتْبَةُ، وَعَلَى الثَّانِي: الدَّارُ الْمَحْسُوسَةُ، وَمَعْنَى (الرفيع) عَلَى الْأَوَّلِ: الْعَلِيِّ الْقَدَرِ، وَعَلَى الثَّانِي: الْمَحْفُوظُ مِنْ إِسَاءَةِ الْأَدَبِ؛ لِحُلُولِكَ فِيهِ؛ فَإِنَّ الظَّرْفَ يَعْظُمُ بِالْمَظْرُوفِ قَالَ الشَّاعِرُ^(١): [الوافر]

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَعْفُنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

قوله: ﴿أَنَّهُمْ﴾ في مَحَلِّ رَفَعٍ بِالْأَبْتِدَاءِ هُوَ قَوْلُ سَيَبَوِيهِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى خَبَرٍ؛ لِأَشْتِمَالِ صَلَاتِهَا عَلَى الْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: الْخَبَرُ مَحْذُوفٌ وَجُوبًا؛ لِوُقُوعِهِ بَعْدَ (لَوْلَا).

قوله: (أي: ثبت) بَيَانٌ لِلْفِعْلِ الْمَقْدَّرِ، وَالْمَعْنَى: ثَبَتَ صَبْرُهُمْ وَانْتَظَرَهُمْ، وَهَذَا قَوْلُ الْمَبْرُودِ وَالزَّجَاجِ وَالْكُوفِيِّينَ، وَرُجِّحَ بَأَنَّ فِيهِ إِبْقَاءَ (لَوْ) عَلَى الْإِخْتِصَاصِ بِالْفِعْلِ.

قوله: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أي: لَكَانَ الصَّبْرُ خَيْرًا لَهُمْ مِنَ الْإِسْتِعْجَالِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ حِفْظِ الْأَدَبِ

(١) البيت لمجنون بني عامر؛ كما في «خزانة الأدب» للبغدادى (٤/٢٢٨)، وقبلة:

أُمِرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى أَقْبَلُ ذَا السَّجْدَارِ وَذَا السَّجْدَارَا
وهما يَتَانِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا.

﴿٦﴾ وَنَزَلَ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ وَقَدْ بَعَثَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقًا، فَخَافَهُمْ

حاشية الصاوي

وتعظيم الرسول، الموجبين للشناء والثواب، قال العارفون: الأدبُ عند الأكابر يَبْلُغُ بصاحبه إلى الدَّرَجَاتِ العُلَى، وسعادة الدنيا والآخرة.

قوله: (ونزل في الوليد بن عقبة) أي: ابن أبي معيط، أخو عُثْمَانَ بن عفان لأُمِّه، وذلك أَنَّ رسول الله ﷺ بعثه إلى بني المصطلق بعد الوقعة معهم والياً يَجْبِي الزكاة، وكان بينه وبينهم عداوةٌ في الجاهليَّة، فلَمَّا سمع به القوم.. تَلَقَّوْهُ؛ تعظيماً لأمر رسول الله، فحدَّته الشيطانُ أَنهم يُريدون قتله، فهَابَهُم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إِنهم منعوا صدقاتهم، وأرادوا قتلي، فغَضِب رسول الله وهمَّ أَن يَغْزُوهم، فبلغ القوم رجوعه، فأتوا إلى النبي فقالوا: يا رسول الله؛ سمعنا برسولٍ فخرجنا نَتَلَقَّاه ونُكرمه ونُوذِّي إليه ما قَبَلْنَا من حقِّ الله، فبدَا له في الرجوع، فحَشِينَا أَنه إِنما رَدَّه من الطريق كِتَابٌ جاءه منك؛ لِيُغْضِبَ غَضْبَتَهُ عَلَيْنَا، وَإِنَّا نَعُوذُ بالله من غَضَبِهِ وغَضَبِ رسوله، فَاتَّهَمَهُم رسول الله، وبعث خالد بن الوليد في عَسْكَرِهِ خَفِيَّةً، وأمره أَن يُخْفِيَ عليهم قدومه وقال: «انظر؛ فَإِن رَأَيْتَ مِنْهُمْ ما يَدُلُّ على إيمانهم.. فَخُذْ مِنْهُمْ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَإِن لَمْ تَرَ ذَلِكَ.. فَافْعَلْ فِيهِمْ ما تَفْعَلُ في الكفار»، ففَعَلَ ذلك خالد ووافاهم عند الغروب، فَسَمِعَ مِنْهُمْ أَذَانَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ والعشاء، ووجدَهم مُجْتَهِدِينَ في امتثال أمر الله، فَأَخَذَ مِنْهُمْ صَدَقَاتِهِمْ، ولم يَرِ مِنْهُمْ إِلَّا الطاعة والخير، وانصَرَفَ إلى رسول الله، وأخبره الخبر، فنزلت الآية^(١).

واستُشْكِل: بأنَّ الوليد صحابيٌّ جليلٌ، ولا يَلِيْقُ إِطْلَاقُ لَفْظِ (الفاسق) عليه؛ فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْكَافِر، قال تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ﴾ [السجدة: ٢٠] إلى غير ذلك.

وأُجِيب: بأنَّ الذي وَقَعَ من الوليد توهُّمٌ وظنٌّ، فترتَّبَ عليه الخطأ، وإِنما سَمَّاهُ الله فِسْقًا؛ تنفيراً عن هذا الفعل، وزجراً عليه^(٢). وَيُؤْخَذُ من الآية: حُرْمَةُ النَمِيمَةِ، وتعليم كيفية رَدِّها على صاحبها. قوله: (مُصَدِّقًا) بتخفيف الصاد؛ أي: يأخذ الصدقات.

(١) انظر «تفسير الطبري» (٢٢/٢٨٨).

(٢) وقيل: هو عام، نزلت لبيان الثبوت وترك الاعتماد على قول الفاسق، وهو أولى من حكم الآية على رجل بعينه. انظر «تفسير الخازن» (٤/١٧٨).

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ
نَدِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ

لِتِرَّةٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَرَجَعَ وَقَالَ: إِنَّهُمْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ وَهُمْوَا بِقَتْلِهِ، فَهَمَّ
النَّبِيُّ ﷺ بِغَزْوِهِمْ، فَجَاؤُوا مُنْكَرِينَ مَا قَالَهُ عَنْهُمْ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾:
خَبَرَ ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ، - وَفِي قِرَاءَةٍ: (فَتَشَبَّهُوا) مِنَ الشَّبَاتِ - ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا﴾
- مَفْعُولٌ لَهُ - أَي: خَشِيَةَ ذَلِكَ ﴿بِجَهْلَةٍ﴾ - حَالٌ مِنَ الْفَاعِلِ - أَي: جَاهِلِينَ، ﴿فَتُصِحُّوا﴾:
تَصِيرُوا ﴿عَلَى مَا فَعَلْتُمْ﴾ مِنَ الْخَطَا بِالْقَوْمِ ﴿نَدِمِينَ﴾. وَأَرْسَلَ ﷺ إِلَيْهِمْ بَعْدَ عَوْدِهِمْ
إِلَى بِلَادِهِمْ خَالِدًا فَلَمْ يَرِ فِيهِمْ إِلَّا الطَّاعَةَ وَالْخَيْرَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِذَلِكَ.

(٧ - ٨) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فَلَا تَقُولُوا الْبَاطِلَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُخَبِّرُهُ
بِالْحَالِ، ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ الَّذِي تُخْبِرُونَ بِهِ عَلَى خِلَافِ الْوَاقِعِ فَيُرْتَّبُ عَلَى ذَلِكَ
مُقْتَضَاهُ ﴿لَعَنِتُمْ﴾: لَا تُثْمِتُمْ دُونَهُ إِثْمَ التَّسْبِيبِ

حاشية الصاوي

قوله: (لِتِرَّةٍ) بكسر التاء وفتح الراء؛ أي: عداوة.

قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ المقصود من الآية: أي نمام؛ فَإِنَّ النَّمَامَ فَاسِقٌ، وليس المقصود عَيْنَ
الوليد؛ فإنه ليس بِفَاسِقٍ، بل هو صحابي جليل وإن كان سبب النزول واقعه.

قوله: ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا﴾ أي: بالقتل والسبي.

قوله: ﴿نَدِمِينَ﴾ أي: مُغْتَمِّينَ لما وقع منكم.

قوله: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ أي: فلا تكذبوا عليه؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُعْلِمُهُ بِبَوَاطِنِكُمْ،
فَتَفْتَضُّوهُ^(١).

قوله: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾... إلخ) حالٌ من الضمير المجرور في ﴿فِيكُمْ﴾، والمعنى: أنه فيكم
كائنًا على حالة منكم يجبُ تغييرها، وهي أنكم تَوَدُّونَ أَنْ يَتَّبِعَكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْحَوَادِثِ، ولو فعل
ذلك.. لَوَقَعْتُمْ فِي الْجَهْلِ وَالْهَلَاكِ، لكن عصمه الله؛ رحمةً بكم.

قوله: (لَأُثْمِتُمْ دُونَهُ) أي: فلا يَأْثِمْ؛ لِعِذْرِهِ، وقوله: (إِثْمُ التَّسْبِيبِ) أي: لا إِثْمَ الْفِعْلِ؛ لأنكم لم

(١) كذا في الأصول، وحذف نون الرفع تخفيفاً لغة معروفة.

وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

إِلَى الْمُرْتَبِ، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ﴾: حَسَّنَهُ ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾: اسْتَدْرَاكَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى دُونَ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ مَنْ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ... إلخ غَايَرَتْ صِفَتَهُ صِفَةً مَّن تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ﴾ فِيهِ التِّفَاتُ عَنِ الْخِطَابِ ﴿الرَّاشِدُونَ﴾: الثَّابِتُونَ عَلَى دِينِهِمْ. ﴿فَضَلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ - مَصْدَرٌ مَّنْصُوبٌ بِفِعْلِهِ الْمُقَدَّرِ - أَي: أَفْضَلَ ﴿وَنِعْمَةً﴾ مِنْهُ، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِهِمْ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي إِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ.

(٩ - ١٠) ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةٍ هِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

رَكِبَ حِمَارًا

حاشية الصاوي

تَفْعَلُوا، وَقَوْلُهُ: (إِلَى الْمُرْتَبِ) أَي: الَّذِي يُرْتَّبُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَخْبَارِكُمْ وَيَفْعَلُهُ؛ كَقِتَالِ بَنِي الْمِصْطَلَقِ.

قَوْلُهُ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ أَي: الْكَامِلُ، وَهُوَ التَّصَدِيقُ بِالْجَنَانِ، وَالْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَالْعَمَلُ بِالْأَرْكَانِ، وَإِذَا حُبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانُ الْجَامِعُ لِلْخِصَالِ الثَّلَاثِ.. لَزِمَ كِرَاهَتُهُمْ لِأَضْدَادِهَا؛ فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿وَكَّرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ﴾ الَّذِي هُوَ مُقَابِلَةُ التَّصَدِيقِ بِالْجَنَانِ، ﴿وَالْفُسُوقَ﴾ الَّذِي هُوَ مُقَابِلَةُ الْإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ، ﴿وَالْعِصْيَانَ﴾ الَّذِي هُوَ مُقَابِلَةُ الْعَمَلِ بِالْأَرْكَانِ.

قَوْلُهُ: (اسْتَدْرَاكَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ لِذَفْعِ مَا قِيلَ: إِنَّ (لَكِنْ) يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَهَا مُخَالَفًا لِمَا قَبْلُهَا نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا، وَتَوْضِيحُ الْجَوَابِ: أَنَّ الَّذِينَ حُبَّبَ إِلَيْهِمُ الْإِيمَانُ قَدْ غَايَرَتْ صِفَتُهُمُ صِفَةً الْمَتَقَدِّمُ ذِكْرُهُمْ؛ فَإِنَّ مَا قَبْلَ (لَكِنْ) يُؤْهِمُ أَنَّهُمْ عَلَى غَيْرِ اسْتِقَامَةٍ مَعَ اللَّهِ وَمَعَ رَسُولِهِ، فَهُوَ اسْتَدْرَاكٌَ بِحَسَبِ الْمَعْنَى.

قَوْلُهُ: (مَصْدَرٌ مَّنْصُوبٌ... إلخ) فِيهِ مُسَامَحَةٌ؛ إِذْ هُوَ اسْمٌ مَّصْدَرٌ، وَالْمَصْدَرُ (إِفْضَالٌ)، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا لِأَجَلِهِ، عَامِلُهُ ﴿حَبَّبَ﴾، وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ تَنْبِيهٌُ عَلَى أَنَّ السَّعَادَةَ الْعَظِيمَى مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَرَاهَةُ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ.

قَوْلُهُ: (هِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَكِبَ حِمَارًا... إلخ) ذَكَرَ الْقِصَّةَ مُخْتَصِرَةً، وَرَوَاهَا الشَّيْخَانُ بِطَوَّلِهَا، وَحَاصِلُهَا: (أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ ﷺ رَكِبَ عَلَى حِمَارٍ عَلَيْهِ إِكَافٌ، تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ فَذَكِيَّةٌ،

أَقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا

وَمَرَّ عَلَى ابْنِ أَبِي، فَبَالَ الْحِمَارُ فَسَدَّ ابْنُ أَبِي أَنْفَهُ، فَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ: وَاللَّهِ لَبُولُ حِمَارِهِ أَطْيَبُ رِيحاً مِنْ مِسْكِكَ، فَكَانَ بَيْنَ قَوْمَيْهِمَا ضَرْبٌ بِالْأَيْدِي وَالنُّعَالِ وَالسَّعْفِ، ﴿أَقْتَتَلُوا﴾ جُمِعَ نَظْراً إِلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ جَمَاعَةٌ، وَقُرِئَ: (أَقْتَتَلْنَا)، ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ - ثَنِي حَاشِيَةُ الصَّائِي.

وَأَرْدَفَ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَرَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ فِي بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، قَالَ: فَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سَلُولٍ - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي - وَإِذَا فِي الْمَجْلِسِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَشْرِكِينَ عَبْدَةُ الْأَوْثَانُ وَالْيَهُودُ، وَفِي الْمُسْلِمِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ الْمَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَةِ.. خَمَّرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَنْفَهُ بِرِدَائِهِ ثُمَّ قَالَ: لَا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ وَقَفَ فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سَلُولٍ: أَيُّهَا الْمَرْءُ؛ إِنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِمَّا تَقُولُ - أَيُّ: لَا شَيْءَ أَحْسَنَ مِنْهُ - إِنْ كَانَ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا، وَارْجِعْ إِلَى رَحْلِكَ، فَمِنْ جَاءَكَ فَاقْضُصْ عَلَيْهِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَاغْشِنَا بِهِ فِي مَجَالِسِنَا؛ فَإِنَّا نَحْبُ ذَلِكَ، فَمَا لِبَيْتِ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَشْرِكُونَ وَالْيَهُودُ حَتَّى كَادُوا يَتَحَارَبُونَ، فَلَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا. انتهى^(١).

قوله: (وَمَرَّ عَلَى ابْنِ أَبِي) أي: وكان من الخزرج، وقوله: (فقال ابن رَوَاحَةَ) أي: وكان من الأوس.

قوله: (وسدَّ ابن أبي أنفه) أي: وقال: (إليك عني، والله لقد آذاني نَتْنُ حِمَارِكَ)^(٢).

قوله: (فكان بين قوميهما) أي: وهما الأوس والخزرج.

قوله: (والسَّعْفِ) أي: وهو جريد النخل إذا كان عليه الخوص، فإن جُرِّدَ منه قيل له: عَسِيب.

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً^(٣).

(١) «صحيح البخاري» (٥٦٦٣)، و«صحيح مسلم» (١٧٩٨) واللفظ له، وفي «إرشاد الساري» (٤/٤١٨): (وفي تفسير ابن عباس: وأعان ابن أبي رجالاً من قومه وهم مؤمنون، فاقتتلوا)، وهذا فيه ما يزيل الإشكال: بأن المخاصمة وقعت بين من كان معه ﷺ من الصحابة وبين أصحاب عبد الله بن أبي وكانوا حينئذٍ كفاراً.

(٢) كما في «صحيح البخاري» (٢٦٩١)، و«صحيح مسلم» (١٧٩٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) قرأ ابن أبي عبة: (أَقْتَتَلْنَا) مُرَاعِياً لَلْفِظِ. انظر «الدر المصون» (٩/١٠).

فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِئَءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

نظراً إلى اللَّفْظ - ﴿فَإِنْ بَغَتْ﴾ : تَعَدَّتْ ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِئَءَ﴾ : تَرْجِعَ ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ الْحَقُّ؛ ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ : بِالْإِنْصَافِ ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ : اَعْدِلُوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿فِي الدِّينِ﴾، ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تَنَازَعَا، - وَقُرئ: (إِخْوَتَكُمْ) بِالْفَوْقَانِيَّةِ - ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ أي: أَبَتْ النصيحة والإجابة إلى حكم الله.

قوله: ﴿حَتَّى تَفِئَءَ﴾ «حتى» هنا: للغاية، والنصب بـ(أَنْ) مُضمرة بعدها؛ أي: إلى أن ترجع... إلخ.

قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ أي: بالنصح والدعاء إلى حكم الله.

قوله: (بالإنصاف) أي: فلا تجوروا على إحدى الطائفتين، بل احكموا بينهما بالإنصاف.

قوله: (اعدلوا) أشار به إلى أَنْ (أَقْسِط) معناه: (عدل)، فهمزته للسلب، بخلاف (قسط) فمعناه: (جار)، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٥].

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ كالتعليل لما قبله.

قوله: ﴿إِخْوَةٌ﴾ في الدين) أي: من حيث إنهم يَتَسَبُّونَ إلى أصلٍ واحدٍ، وهو الإيمان.

قوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ خصَّ الاثنين بالذكر؛ لأنهما أَقَلُّ مَنْ يقع بينهما النزاع، فإذا لَزِمَت المصالحة بين الأقل.. كانت بين الأكثر أولى.

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً، وهذه القراءة تُدَلُّ على أَنَّ قراءة التثنية معناها: الجماعة^(١).

قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: على تقواكم، وفي هذا الترجي إِيْطَاعٌ من الكريم الرحيم^(٢).

(١) روي عن أبي عمرو وجماعة: «إخوتكم» بالثاء من فوق، وقرأ أيضاً زيد بن ثابت وعبد الله والحسن وحماد بن سلمة وابن سيرين: (إخوانكم). انظر «الدر المصون» (٩/١٠).

(٢) إذ الإطماع: فعل ما يُطْمَع فيه لا محالة. «فتوحات» (١٨٧/٤).

يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ

﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرَنَّ... الآية نَزَلَتْ فِي وَفْدِ تَمِيمٍ حِينَ سَخَرُوا مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ كَعَمَّارٍ وَضُهَيْبٍ، وَالسُّخْرِيَّةِ: الْإِزْدِرَاءُ وَالِاحْتِقَارُ، ﴿قَوْمٌ﴾ أَي: رِجَالٌ مِنْكُمْ ﴿مَنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ عِنْدَ اللَّهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ﴾... إلخ يُقال: سَخِرَ مِنْهُ سَخَرًا، مِنْ بَابِ: (تَعَبَّ)، وَالْإِسْمُ: (السُّخْرِيَّة) بضم السين وكسرهما، و(السُّخْرِيَّة) بوزن (غُرْفَة): مَا سَخَرْتَهُ مِنْ خَادِمٍ أَوْ دَابَّةٍ بِلَا أَجْرِ وَلَا ثَمَنِ.

قوله: (حِينَ سَخَرُوا مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ) أَي: لَمَّا رَأَوْا مِنْ رِثَاةِ حَالِهِمْ وَتَقَشُّفِهِمْ، وَهَذَا كَانَ فِي أَوَّلِ إِسْلَامِهِمْ قَبْلَ تَمَكُّنِهِمْ مِنْهُ، وَإِلَّا... فَقَدْ صَارُوا بَعْدَ ذَلِكَ إِخْوَانًا مُّتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ.

قوله: (كَعَمَّارٍ... إلخ) أَي: وَهُمْ أَهْلُ الصُّفَةِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُخْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٧٣] الآية.

قوله: (أَي: رِجَالٌ مِنْكُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (القَوْمَ) اسْمٌ جَمْعٌ بِمَعْنَى: الرِّجَالُ خَاصَّةً، وَاحِدٌ فِي الْمَعْنَى: رَجُلٌ، وَقِيلَ: جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، يَدُلُّ عَلَى تَخْصِيصِهِ بِالرِّجَالِ مُقَابَلَتُهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾، وَهَذَا هُوَ الْمَوَافِقُ لِأَصْلِ اللُّغَةِ، قَالَ الشَّاعِرُ^(١): [الوافر]

وَمَا أَذْرِي - وَلَسْتُ إِخَالُ أَذْرِي - أَقَوْمٌ آلٌ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءٌ؟

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ [ص: ١٢] وَنَحْوَهُ... فَالْمُرَادُ: مَا يَشْمَلُ النِّسَاءَ، لَكِنْ بِطَرِيقِ التَّبَعِ؛ لِأَنَّ قَوْمَ كُلِّ نَبِيٍّ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ. وَسُمِّيَ الرِّجَالُ قَوْمًا؛ لِأَنَّهُمْ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.

قوله: (مِنْكُمْ) قَيَّدَ بِهِ ﴿قَوْمٌ﴾ الْمَرْفُوعَ، وَتَرَكَهُ فِي الْمَجْرُورِ، وَيَصَحُّ تَقْيِيدُهُ بِكُلِّ، وَيُقَالُ نَظِيرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا نِسَاءٌ...﴾ إلخ.

قوله: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ الجملة مُسْتَأْنَفَةٌ لِّبَيَانِ الْعِلَّةِ الْمَوْجِبَةِ لِلنَّهْيِ، وَلَا خَبَرَ لِّلْ(عَسَى)؛ لِأَنَّهُ يُغْنِي عَنْهَا فَاعِلُهَا، وَالْمَعْنَى: لَا يَحْتَقِرُ أَحَدٌ أَحَدًا؛ فَلَعَلَّ مَنْ يُحْتَقَرُ يَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ مِمَّنْ احْتَقَرَهُ، وَبِالْجُمْلَةِ: فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَسْخَرَ بِأَخِيهِ فِي الدِّينِ، بَلْ وَلَا بِأَحَدٍ

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى؛ كما في «ديوانه» (ص ١٤).

وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَمِيَ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ

﴿وَلَا نِسَاءٌ﴾ مِنْكُمْ ﴿مِّنْ نِّسَاءٍ عَمِيَ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لَا تَعِيبُوا فَتُعَابُوا،
أي: لَا يَعْيبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا

حاشية الصاوي

من خَلَقَ الله؛ فَلَعَلَّهُ يَكُونُ أَخْلَصَ ضَمِيرًا، وَأَنْقَى قَلْبًا مِّمَّنْ سَخَرَهُ، وَلَقَدْ بَلَغَ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: (لَوْ رَأَيْتَ رَجُلًا يَرْضَعُ عِزًّا فَضَحَكَتُ مِنْهُ.. خَشِيتُ أَنْ أَصْنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعَ)^(١)، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ؛ لَوْ سَخَرْتُ مِنْ كَلْبٍ.. خَشِيتُ أَنْ أُحَوِّلَ كَلْبًا)^(٢).

قوله: ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ﴾ قَالَ أَنَسٌ: نَزَلَتْ فِي صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ، بَلَغَهَا أَنَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟»، قَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكَ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَعَمُّكَ نَبِيٌّ، وَإِنَّكَ لَتَحْتَ نَبِيٍّ؛ فَفِيمَ تَفْتَخِرُ عَلَيْكَ؟!»، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ»^(٣). وَذَكَرَ النِّسَاءُ؛ لِمَزِيدِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيُّنِ، وَلِدَفْعِ تَوَهُّمِ أَنَّ هَذَا النَّهْيَ خَاصٌّ بِالرِّجَالِ.

قوله: ﴿وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ اللَّمَزُ فِي الْأَصْلِ: الْإِشَارَةُ بِالْعَيْنِ وَنَحْوُهَا.

قوله: (لَا تَعِيبُوا فَتُعَابُوا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى تَوْجِيهِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا عَابَ غَيْرَهُ.. عَابَهُ ذَلِكَ الْغَيْرُ؛ فَقَدْ عَابَ الشَّخْصَ نَفْسَهُ بِتَسْبِيهِ.

قوله: (أي: لَا يَعْيبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) هَذَا تَوْجِيهُ آخَرُ، فَكَانَ الْأَوَّلَى لِلْمُفَسِّرِ أَنْ يَأْتِيَ بِ(أَوْ)، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كَشَخْصٍ وَاحِدٍ؛ فَمَنْ عَابَ غَيْرَهُ كَأَنَّهُ عَابَ نَفْسَهُ، وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْعَارِفِ^(٤): [الطويل]

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الرَّدَى وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعَرْضُكَ صَيِّنُ
لِسَانِكَ لَا تَذْكُرْ بِهِ عَوْرَةَ امْرِئٍ فَكُلُّكَ عَوْرَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٢٥٥٤٤) مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٢٥٥٤٦)، وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ» (٧٤١).

(٣) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٨٩٤)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٨٩١٩).

(٤) الْأَبْيَاتُ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ؛ كَمَا فِي «دِيَوَانِهِ» (ص ١٢١).

وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ يَتَسَّ الْأَنَامُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ

﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾: لَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِلَقَبٍ يَكْرَهُهُ، وَمِنْهُ: يَا فَاسِيقُ، يَا كَافِرُ، ﴿يَتَسَّ الْأَنَامُ﴾ أَي: الْمَذْكُورُ مِنَ الشُّخْرِيَّةِ وَاللَّمَزِ وَالتَّنَابُزِ ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ - بَدَلُ مِنْ ﴿الْأَنَامِ﴾ - لِإِفَادَةِ أَنَّهُ فَسَقَ

حاشية الصاوي

وَعَيْنُكَ إِنْ أَبَدْتَ إِلَيْكَ مَعَائِبًا فَدَعُهَا وَقُلْ: يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعِينُ
فَعَاشِرُ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحٌ مَنِ اعْتَدَى وَفَارِقٌ وَلَكِنْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ
قوله: ﴿وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ النَّبَرُ - بفتح الباء -: اللقب مُطلقاً، حَسَناً أَوْ قَبِيحاً، ثُمَّ صَارَ مَخْصُوصاً بِمَا يَكْرَهُهُ الشَّخْصُ.

وسبب نزول هذه الآية كما قال جبيرة بن الضحاك الأنصاري: قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ مَنَا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: يَا فُلَانُ، فَيَقُولُونَ مَعَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الْإِسْمِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ^(١).

وَمِنْ ذَلِكَ: الشَّتْمُ؛ كَقَوْلِكَ لِأَخِيكَ: يَا كَلْبُ، يَا حِمَارُ، وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَالْمَرَادُ بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ مَا يَكْرَهُهُ الْمَخَاطَبُ، وَأَمَّا الْأَلْقَابُ الَّتِي صَارَتْ كَالْأَعْلَامِ لِأَصْحَابِهَا كَالْأَعْمَشِ وَالْأَعْرَجِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.. فَلَا بَأْسَ بِهَا إِذَا لَمْ يَكْرَهُهُ الْمَدْعُوُّ بِهَا، وَأَمَّا الْأَلْقَابُ الَّتِي تُشْعِرُ بِالْمَدْحِ.. فَلَا تُكْرَهُ؛ كَمَا قِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ: عَتِيقُ، وَلِعَمْرٍ: فَارُوقُ، وَلِعُثْمَانُ: ذُو الثَّوْرَيْنِ، وَلِعَلِي: أَبُو ثُرَابٍ، وَلِخَالِدٍ: سَيْفُ اللَّهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

قوله: ﴿يَتَسَّ الْأَنَامُ﴾ ﴿يَتَسَّ﴾: فَعْلٌ مَاضٍ، وَالْإِسْمُ: فَاعِلٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿الْفُسُوقُ﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿الْأَنَامِ﴾ كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، وَعَلَيْهِ: فَالْمَخْصُوصُ بِالْزَمِّ مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ: (هُوَ)، وَالْأَوْضَحُ إِعْرَابُهُ مَخْصُوصاً بِالزَّمِّ. وَالْمَرَادُ بِ(الْإِسْمِ): الذِّكْرُ الْمَرْتَفِعُ.

قوله: ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ أَي: الْإِتِّصَافُ بِالْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِتِّصَافِ بِالْإِيمَانِ، وَالْمَرَادُ بِ(الْفُسُوقِ): الْخُرُوجُ عَنِ الطَّاعَةِ.

قوله: (لِإِفَادَةِ أَنَّهُ) أَي: مَا ذَكَرَهُ مِنَ الشُّخْرِيَّةِ... إلخ.

(١) رواه أبو داود (٤٩٦٢)، والنسائي في «الكبرى» (١١٥١٦)، وابن ماجه (٣٧٤١)، وفيها: (عن أبي جبيرة بن الضحاك) بدل (جبيرة بن الضحاك).

وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

لِتَكْرُرَهُ عَادَةً، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ﴾ مِنْ ذَلِكَ ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أَي: مُؤِثِّمٌ وَهُوَ كَثِيرٌ

حاشية الصاوي

قوله: (لِتَكْرُرَهُ عَادَةً) أَي: وَإِنْ كَانَ الْمَذْكُورُ صَغِيرَةً لَا يَفْسُقُ بِهَا، لَكِنَّهُ فِي الْعَادَةِ يَتَكَرَّرُ فَيَصِيرُ كَبِيرَةً يَفْسُقُ بِهَا.

قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أَي: الضَّارُّونَ لَأَنْفُسِهِمْ بِمَعَاصِيهِمْ وَمَخَالَفَاتِهِمْ، فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَصَفُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْفِسْقِ وَالظُّلْمِ، وَإِنْ كَانَ فِي غَالِبِ الْآيَاتِ إِطْلَاقُ الْفِسْقِ وَالظُّلْمِ عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ.

قوله: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ قِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اغْتَابَا رَفِيقَهُمَا، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا غَزَا أَوْ سَافَرَ. ضَمَّ الرَّجُلَ الْمَحْتَاجَ إِلَى رَجُلَيْنِ مُوسِرِينَ يَخْدُمُهُمَا وَيَتَقَدَّمُهُمَا إِلَى الْمَنْزِلِ، فَيُهَيِّئُ لَهُمَا مَا يُصْلِحُهُمَا مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَضَمَّ سَلْمَانَ إِلَى رَجُلَيْنِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَتَقَدَّمَ سَلْمَانُ إِلَى الْمَنْزِلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، فَنَامَ وَلَمْ يَعْمَلْ لَهُمَا شَيْئًا، فَلَمَّا قَدَمَا. قَالَ لَهُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، غَلَبَتْنِي عَيْنَايَ، قَالَ لَهُ: انْطَلِقْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ؛ فَاطْلُبْ لَنَا مِنْهُ طَعَامًا، فَجَاءَ سَلْمَانُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَسَلَّاهُ طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «انْطَلِقْ إِلَى أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ وَقُلْ لَهُ: إِنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ طَعَامٍ وَإِدَام. فَلْيُعْطِكَ» - وَكَانَ أُسَامَةُ خَازِنَ طَعَامِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى رَحْلِهِ - فَأَتَاهُ، فَقَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، فَرَجَعَ سَلْمَانُ إِلَيْهِمَا فَأَخْبَرَهُمَا، فَقَالَا: كَانَ عِنْدَ أُسَامَةَ وَلَكِنْ بَخِلَ، فَبَعَثَا سَلْمَانَ إِلَى طَائِفَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ شَيْئًا، فَلَمَّا رَجَعَ قَالُوا: لَوْ بَعَثْنَاكَ إِلَى بَثْرِ سَمْحَةٍ. لَغَارَ مَأْوَاهَا، ثُمَّ انْطَلَقَا يَتَجَسَّسَانِ هَلْ عِنْدَ أُسَامَةَ مَا أَمْرُ لَهُمَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَلَمَّا جَاءَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ لَهُمَا: «مَا لِي أَرَى خُضْرَةَ اللَّحْمِ فِي أَفْوَاهِكُمَا؟»، قَالَا: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَا تَنَاوَلْنَا يَوْمَنَا هَذَا لَحْمًا، قَالَ: «ظَلَمْتُمَا بِأَكْلِ لَحْمِ سَلْمَانَ وَأُسَامَةَ»، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ ^(١).

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَهَى الْمُؤْمِنَ أَنْ يَظُنَّ بِأَخِيهِ الْمُؤْمِنَ شَرًّا؛ كَأَنْ يَسْمَعَ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَلَامًا لَا يُرِيدُ بِهِ سَوْءًا، أَوْ يَدْخُلَ مَدْخَلًا لَا يُرِيدُ بِهِ سَوْءًا، فَيَرَاهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمَ فَيَظُنُّ بِهِ سَوْءًا؛

(١) أوردته الثعلبي في «الكشف والبيان» (٨٢/٩)، وفيه: (بَثْرٌ سُمِّيَتْهُ) - وهي بَثْرٌ فِي الْمَدِينَةِ غَزِيرَةُ الْمَاءِ - بَدَلُ (بَثْرِ سَمْحَةٍ)، وَالْمُرَادُ بِخُضْرَةِ اللَّحْمِ: اللَّحْمُ الْأَخْضَرُ، وَكُنِيَ بِكَوْنِهِ أَخْضَرَ عَنْ أَنَّهُ لَحْمٌ مَيِّتٌ؛ لِأَنَّ لَحْمَ الْجَيْفِ يُرَى كَأَنَّهُ أَخْضَرُ، فَهُوَ زِيَادَةٌ تَهْجِينُ لَهُمَا، وَهَذَا مِنْ مُعْجَزَاتِهِ ﷺ الْبَاهِرَةِ حَيْثُ شَاهَدَهُ مُحْسُوسًا. وَانْظُرْ «حَاشِيَةُ الشَّهَابِ عَلَى الْبَيْضَاوِيِّ» (٨٠/٨).

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا

كَظَنُّ السُّوءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمْ كَثِيرٌ، بِخِلَافِهِ بِالْفُسَاقِ مِنْهُمْ، فَلَا إِثْمَ فِيهِ فِي نَحْوِ مَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ - حُذِفَ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِينَ -: لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَايِبَهُم بِالْبَحْثِ عَنْهَا، ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾: لَا يَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

لأنَّ بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحاً، وفي نفس الأمر لا يكون كذلك؛ لجواز أن يكون فاعله ساهياً، ويكون الرائي مخطئاً، فأما أهلُ السوء والفسق المتجاهرين^(١) بذلك.. فلنا أن نظنَّ فيهم مثل الذي يظهر منهم.

قوله: ﴿كَبِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ أبهم الكثير؛ إشارةً إلى أنه ينبغي الاحتياط والتأمل في كلِّ ظنٍّ؛ خوف أن يقع في منهيِّ عنه.

قال سفيان الثوري: الظنُّ ظنَّان: أحدهما: إثمٌ، وهو أن يظنَّ ويتكلم به، والآخر: ليس بإثمٍ، وهو أن يظنَّ ولا يتكلم به.

قوله: (وهو) أي: بعض الظنِّ كثيرٌ، وقوله: (وهم) أي: أهلُ الخير.

قوله: (بخلاف الفساق منهم) أي: المؤمنين، وقوله: (في نحو ما يظهر منهم) أي: في نحو المعاصي التي تظهر منهم؛ بأن يتجاهروا بها.

قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ العامة على قراءته بالجيم، وقرئ شذوذاً بالحاء^(٢)، واختلف فقيل: معناهما واحد، وقيل: التجسس - بالجيم -: البحث عما يُكْتَمُ عنك، والتَّحسس - بالحاء -: طلبُ الأخبار والبحث عنها.

والمعنى: خذوا ما ظهر، ولا تتبعوا عَوْرَاتِ المسلمين؛ فَإِنْ مَن تَبِعَ عَوْرَاتِهِمْ.. تَبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَقْضِيَهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ.

قوله: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ اعلم: أنَّ الغيبة ثلاثة أوجه في كتاب الله تعالى: الغيبة، والإفك، والبهتان؛ فأما الغيبة فهي: أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك فهو: أن تقول فيه

(١) كذا في الأصول، ولعل المراد القطع بتقدير (أعني)، وأما إذا أريد الإتيان على الوصفية.. فالصواب الرفع؛ كما في عبارة «الفتوحات» (٤/١٨٩).

(٢) قرأ بالحاء الحسن وأبو رجاء وابن سيرين. انظر «الدر المصون» (١٠/١٠).

أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - أَي: لَا يُحْسُ بِهِ، لَا ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ أَي: فَاغْتِيَابُهُ فِي حَيَاتِهِ كَأَكْلِ لَحْمِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْكُمُ الثَّانِي فَكَرِهْتُمُوهُ فَاكْرَهُوا الْأَوَّلَ، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أَي: عِقَابَهُ فِي الْاِغْتِيَابِ بِأَنْ تَتُوبُوا مِنْهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾: قَابِلُ تَوْبَةِ النَّائِبِينَ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

حاشية الصاوي

ما بلغك عنه، وأما البُهتان فهو: أَنْ تقول فيه ما ليس فيه، وقيل: إِنْ كُلاً يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ، وَهُوَ المشهور.

واعلم: أَنَّ هذه الأمور المتقدم ذكرها كباثِرُ تحتاج لتوبة، وهل تفتقر لاستحلال المغتاب ونحوه أو لا؟ فقال جماعة: ليس عليه استحلال، بل يكفيه التوبة بينه وبين الله؛ لأنَّ المظلمة ما تكون في النفس والمال، ولم يأخذ من ماله، ولا أصاب من بدنه ما ينقصه، وقال جماعة: يجب عليه أَنْ يستغفر لصاحبها؛ لما ورد عن الحسن: كفارة الغيبة أَنْ تستغفر لِمَنْ اغتبتَه، وقال جماعة: عليه الاستحلال منها ولو إجمالاً. ويُستثنى من الغيبة المحرمة سبعة أمور، نظمها بعضهم بقوله: [الوافر]

تَظَلَّمْ وَاسْتَغِثْ وَاسْتَفْتِ حَدَّرْ وَعَرَّفْ بِذَعَةِ فُسُقِ الْمُجَاهِرِ

قوله: ﴿أَيُّبُ أَحَدُكُمْ﴾... إلخ تمثيلٌ لِمَا يَنَالُهُ المغتاب من عِرْضٍ مَنِ اغْتَابَهُ عَلَى أَقْبَحِ وَجْهِ، وَإِنَّمَا مَثَلُ بِهَذَا؛ لِأَنَّ أَكْلَ لَحْمِ الْمَيْتِ حَرَامٌ فِي الدِّينِ، وَقَبِيحٌ فِي النَفُوسِ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهُمَا سَبْعَتَانِ^(١).

قوله: (لَا يُحْسُ بِهِ) تَفْسِيرٌ لـ ﴿مَيْتًا﴾، وَقَوْلُهُ: (لَا) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ الْاِسْتِفْهَامَ إِنكَارِي.

قوله: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ الضمير عائِدٌ عَلَى الْأَكْلِ الْمَفْهُومِ مِنْ ﴿يَأْكُلَ﴾.

قوله: (أَي: فَاغْتِيَابُهُ فِي حَيَاتِهِ... إلخ) فِي هَذَا التَّمْثِيلِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ عِرْضَ الْإِنْسَانِ كُلِّهِ وَدَمَهُ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَأَلَّمُ قَلْبُهُ مِنْ قَرْضِ عِرْضِهِ كَمَا يَتَأَلَّمُ جَسْمُهُ مِنْ قَطْعِ لَحْمِهِ، فَإِذَا لَمْ يَحْسُنْ مِنَ الْعَاقِلِ أَكْلُ لَحُومِ الْإِنْسَانِ. لَمْ يَحْسُنْ مِنْهُ قَرْضُ عِرْضِهِ بِالْأُولَى.

قوله: (قَابِلُ تَوْبَةِ النَّائِبِينَ) يُشِيرُ بِهِ إِلَى أَنَّ الْمَبَالِغَةَ فِي ﴿تَوَّابٌ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى كَثْرَةِ مَنْ يَتُوبُ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ بِالتَّوْبَةِ إِذَا اسْتَوْفَتْ شُرُوطَهَا.

(١) قرأ نافع بتشديد الياء، والباقون بالسكون. انظر «السراج المنير» (٧٠/٤).

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى

﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى:

حاشية الصاوي

واعلم: أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾، وقال هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾، لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ...﴾ ذكر النفي الذي هو قريب من النهي، وفي الثانية كان الابتداء بالأمر في قوله: ﴿اجْعَلُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾؛ ذكر الإثبات الذي هو قريب من الأمر، تأمل.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ اختُلف في سبب نزول هذه الآية؛ فقال ابن عباس: لما كان يوم فتح مكة.. أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة فأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي القيس: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: ما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال سهل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: أنا لا أقول شيئاً أخاف أن يُخبر به رب السماوات، فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقرؤا، فأنزل الله تعالى هذه الآية؛ زجراً لهم عن التغامز بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء، وأن المدار على التقوى؛ لأن الجميع من آدم وحواء، وإنما الفضل بالتقوى^(١).

وقيل: نزلت في أبي هند حين أمر رسول الله ﷺ بني بياضة أن يزوجه امرأة منهم، فقالوا لرسول الله: نزوج بناتنا موالينا؟!^(٢)

وقيل: نزلت في قيس بن ثابت حين قال له رجل: افسح لي، فقال: إن ابن فلانة يقول: افسح لي - كناية عن استخفافه به - فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ الذَّاكِرُ فلانة؟»، قال ثابت: أنا يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «انظر في وجوه القوم»، فنظر، فقال له النبي ﷺ: «ما رأيت؟»، قال ثابت: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: «إِنَّكَ لَا تَفْضَلُهُمْ إِلَّا بِالتَّقْوَى»، ونزل فيه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَفَسَحُوا فِي الْمَجَالِسِ...﴾ [المجادلة: ١١] الآية^(٣).

(١) انظر «تفسير البغوي» (٣٤٧/٧)، وفيه (أبي العيص) بدل (أبي القيس).

(٢) رواه أبو داود وفي «المراسيل» (٢٣٠) عن الزهري.

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (٣٤١/١٦).

وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

آدم وحواء ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾: جمع (شعب) بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب، ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هي دُون الشعوب، وبعدها العماير ثُمَّ البُطُون ثُمَّ الأفخاذ ثُمَّ الفصائل آخرها، مثاله: حُزَيْمَةُ شَعْبٍ، كِنَانَةُ قَبِيلَةٍ، قُرَيْشٌ عِمَارَةٌ بِكسر العين، قُصَيٌّ بَطْنٌ، هَاشِمٌ فَخَذٌ، الْعَبَّاسُ فَصِيلَةٌ؛ ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ - حُذِفَ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِينَ -: لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا لَا لِتُتَاخَرُوا بِعُلُوِّ النَّسَبِ وَإِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقْوَى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ بِكُم ﴿خَبِيرٌ﴾ بِبَوَاطِنِكُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (آدم وحواء) لفٌ ونشرٌ مرتبٌ.

قوله: (هو أعلى طبقات النسب) أي: فالشعوب رؤوس القبائل، وسمي شعباً؛ لتشعب القبائل

منه.

قوله: (ثم الفصائل آخرها) أي: فالمراتب ستٌ، وزاد بعضهم سابعةً وهي العشيرة، وكل واحدة تدخل فيما قبلها؛ فالقبائل تحت الشعوب، والعماير تحت القبائل، والبُطُون تحت العماير، والأفخاذ تحت البُطُون، والفصائل تحت الأفخاذ، والعشائر تحت الفصائل.

قوله: (بكسر العين) أي: وفتحها؛ ففيها لُغَتَانِ، لكن الأفصح الفتح^(١).

قوله: (ليعرف بعضكم بعضاً) أي: فتصلُّوا أرحامكم، وتتنسُّبوا لأبائكم.

قوله: (وإنما الفخر بالتقوى) أي: الافتخار المحمود إنما يكون على أهل الكفر بترك الشرك، والتمسك بالإسلام وشعائره.

قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ أي: أعزُّكم عند الله أكثركم تقوى، فهي سببُ رفعة القدر في الدنيا والآخرة، وانظر إلى قوله: ﴿أَتَقَنُّكُمْ﴾، ولم يقل: أكثركم مالاً ولا جاهاً، ولا أحسنكم صورة ولا غير ذلك من الأمور التي تَفْنَى.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ أي: يعلم ظواهركم، ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلم بواطنكم؛ فلا يخفى عليه شيءٌ.

(١) فمن فتح.. فلالتفاف بعضهم على بعض كالعمامة، ومن كسر.. فلأن بهم عمارة الأرض. انظر «تاج العروس».

قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ

﴿١٤﴾ ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾: نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ﴿ءَمَنَّا﴾: صَدَّقْنَا بِقُلُوبِنَا ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أَي: انْقَدْنَا ظَاهِرًا، ﴿وَلَمَّا﴾ أَي: لَمْ ﴿يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إِلَى الْآنَ، لَكِنَّهُ يُتَوَقَّعُ مِنْكُمْ، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ بِالْإِيمَانِ وَغَيْرِهِ ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ - بِالْهَمْزِ حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (نفر من بني أسد) أشار بذلك إلى سبب نزول هذه الآية، وذلك أنهم قدموا على رسول الله ﷺ في سنة مُجْدِبَةٍ، فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يَغْدُونَ وَيُرْوْحُونَ إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتكَ العرب بأنفسها على ظهور رَوَاحِلِهَا، ونحن جِئْنَاكَ بِالْأَطْفَالِ وَالْعِيَالِ وَالذَّرَارِي، ولم نُقَاتِلْكُمْ كَمَا قَاتَلْتَ بَنُو فُلَانٍ وَبَنُو فُلَانٍ، يَمْنُونُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُرِيدُونَ الصَّدَقَةَ، ويقولون: أَعْطِنَا، فنزلت هذه الآية^(١).

قوله: (صدَّقنا بقلوبنا) جوابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّ الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ مُتَلَازِمَانِ، فأجاب: بِأَنَّ الْمُنْفِيَ هُنَا الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالْمُثَبَّتُ الْإِنْقِيَادُ ظَاهِرًا، فَهُمَا مُتَغَايِرَانِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ، وَأَمَّا الْإِيمَانُ وَالْإِسْلَامُ الشَّرْعِيَّانِ الْمَعْتَبِرَانِ.. فَهُمَا مُتَّحِدَانِ مَا صَدَقًا وَإِنْ كَانَ مُفْهَوْمُهُمَا مُخْتَلِفًا؛ إِذِ الْإِيمَانُ هُوَ: التَّصَدِيقُ الْقَلْبِيُّ بِشَرْطِ النَّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَالْإِسْلَامُ: الْإِنْقِيَادُ الظَّاهِرِيُّ النَّاشِئُ عَنِ التَّصَدِيقِ الْقَلْبِيِّ.

قوله: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ أَي: فَلَا تَقُولُوا: آمَنَّا، وقوله: ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ أَي: فَحَصَلَ مِنْكُمْ الْإِسْلَامُ ظَاهِرًا، فِي آيَةِ احْتِبَاكٍ؛ حَذَفَ مِنْ كُلِّ نَظِيرٍ مَا أَثَبَتْ فِي الْآخِرِ.

قوله: (إلى الآن) أَخَذَهُ مِنَ (لَمَّا) لِأَنَّ نَفْيَهَا مُخْتَصَّ بِالْحَالِ، وقوله: (ولكنه يتوقع منكم) أشار إلى أَنَّ مَنْفِيَ (لَمَّا) مُتَوَقَّعُ الْحُصُولِ؛ فِيهِ إِشَارَةٌ لَهُمْ بِأَنَّهُمْ سَيُؤْمِنُونَ، وَقَدْ حَصَلَ، وَبِهَذَا ائْتَدَعَ مَا قَدْ يُتَوَقَّعُ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ مُكَرَّرَةٌ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا﴾، وَإِبْضَاحُ الْجَوَابِ: أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ أَفَادَتْ مَعْنَى زَائِدًا، وَهِيَ نَفْيُ الْإِيمَانِ مَعَ تَوَقُّعِ حُصُولِهِ، بِخِلَافِ الْأُولَى فَإِنَّهَا أَفَادَتْ نَفْيَهُ فَقَطْ.

قوله: (بالهمزة) أَي: مِنْ (أَلَتْ) مِنْ بَابِ (ضَرَبَ) وَ(نَصَرَ).

مَنْ أَعْمَلَكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾

وتركه، وبإبداله ألفاً -: لا يُنْقِضُكُمْ ﴿مَنْ أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

(١٥ - ١٦) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم كما صرَّح به بعد ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾: لَمْ يَشْكُوا في الإيمان، ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجهادهم يُظْهِرُ صِدْقَ إيمانهم، ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ في إيمانهم لا من

حاشية الصاوي

قوله: (وتركه) أي: من (لَا تَلِيْتُ) ك(باع يبيع)، فحذفت منه عين الكلمة، وهي الياء، وقيل: هو من (وَلَت يَلْت) ك(وعَد يعد)، فحذفت منه فاء الكلمة وهي الواو.

قوله: (وبإبداله ألفاً) أي: فالقراءات ثلاث سبعيات. (١)

قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، خبره قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (ثُمَّ)؛ إشارة إلى أن نفْيَ الرِّيبِ لم يكن وقت حُصول الإيمان، بل هو حاصلٌ فيما يُستقبل، فكأنه قال: ثُمَّ دَامُوا على ذلك.

قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته.

قوله: (فجهادهم يُظْهِرُ صِدْقَ إيمانهم) أي: إِنَّ الجهاد في سبيل الله دَلٌّ على أنهم صادقون في الإيمان، وليسوا مُناقضين، وهو جوابٌ عن سؤال وهو أَنَّ العمل ليس من الإيمان؛ فكيف ذكر أنه منه في هذه الآية؟ وإيضاحُ الجواب عنه: أَنَّ المراد من الآية: الإيمان الكامل.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فيه تعريضٌ بكذب الأعراب في ادَّعائهم الإيمان، فلمَّا نزلت هاتان الآيتان.. أَتَتِ الأعرابُ رسولَ الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون، وعَلِمَ الله منهم غير ذلك، فأنزل الله: ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ﴾... إلخ (٢).

(١) قرأ أبو عمرو: (لا يَأْتِكُمْ) بالهمز، والسوسي يبدل الهمزة ألفاً على أصله، والباقون: (يَلْتَكُم). انظر «الدر المصون» (١٣/١٠).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/١٥٥).

قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

قالوا: آمنا ولم يوجد منهم غير الإسلام. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ - مُضَعَّفٌ عَلِمَ بِمَعْنَى شَعَرَ - أي: أَتَشْعُرُونَهُ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فِي قَوْلِكُمْ: آمنا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿١٧﴾ ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ قِتَالِهِ مِنْهُمْ، ﴿قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُكُمْ﴾ - مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ الْبَاءِ، وَيُقَدَّرُ قَبْلَ (أَنْ) فِي الْمَوْضِعَيْنِ - ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ: آمنا.

حاشية الصاوي

قوله: (مُضَعَّفٌ «عَلِمَ» بِمَعْنَى «شَعَرَ») أي: وهو بهذا المعنى مُتَعَدِّ لَوَاحِدٍ فَقَطْ، وَبِوَاسِطَةِ التَّضْعِيفِ يَتَعَدَّى لِاثْنَيْنِ: أَوَّلُهُمَا بِنَفْسِهِ، وَالثَّانِي بِحَرْفِ الْجَرِّ.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾... إلخ (الجملة حالية).

قوله: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ (أي: يَعُدُّونَ إِسْلَامَهُمْ مِنَّةً عَلَيْكَ).

قوله: (مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ) أي: لَكَ وَلِأَصْحَابِكَ.

قوله: (وَيُقَدَّرُ) أي: الْخَافِضُ الَّذِي هُوَ الْبَاءُ، وَالْحَاصِلُ: أَنَّهُ مُقَدَّرٌ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ: الْأَوَّلُ مِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿أَنْ أَسْلَمُوا﴾، الثَّانِي: قَوْلُهُ: ﴿قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُكُمْ﴾، الثَّالِثُ: قَوْلُهُ: ﴿أَنْ هَدَاكُمْ﴾؛ فَمَوْضِعَانِ فِيهِمَا (أَنْ)، وَمَوْضِعٌ خَالٍ عَنْهَا.

قوله: ﴿أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ (أي: عَلَى حَسَبِ زَعْمِكُمْ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ إِيْمَانَكُمْ عَلَى فَرْضِ حُضُولِهِ مِنَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ).

قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (شَرْطٌ حَذَفَ جَوَابُهُ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ).

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿١﴾ أي: ما غابَ فِيهِمَا، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ - بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ - لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿١﴾ أي: فلا يخفى عليه شيءٌ فِيهِمَا.

قوله: (بالباء) أي: نظراً لقوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ وما بعده، وقوله: (والتاء) أي: نظراً لقوله: ﴿لَا تَمْنُونَ﴾، وهما قراءتان سبعيتان^(١).



(١) قرأ ابن كثير بالياء التحتية على الغيبة، والباقون بالفوقية. انظر «السراج المنير» (٧٦/٤).

﴿ق﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ آيَةُ فَمَدَنِيَّةٌ، خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿ق﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ بِهِ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ قَدْ قَامَتْ آيَةُ

(مَكِّيَّةٌ) أَي: كُلُّهَا عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، وَقَوْلُهُ: (إِلَّا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾) عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرِ، فَكَانَ الْمُنَاسِبُ لِلْمُفَسِّرِ أَنْ يَقُولَ: (أَوْ إِلَّا ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾)؛ لِيَكُونَ مُشِيرًا لِلْقَوْلَيْنِ.
قَوْلُهُ: (﴿ق﴾) الْعَامَّةُ عَلَى قِرَاءَتِهِ بِالسَّكُونِ، وَقُرْئٌ شَذُوذًا بِالْبِنَاءِ عَلَى الْكُسْرِ وَالْفَتْحِ وَالضَّمِّ^(١).

قَوْلُهُ: (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ) تَقَدَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ أَصَحُّ وَأَسْلَمُ، وَقِيلَ: هُوَ جَبَلٌ مُحِيطٌ بِالْأَرْضِ، مِنْ زُمْرَةِ خَضِرَاءِ اخْضَرَّتِ السَّمَاءُ مِنْهُ، وَعَلَيْهِ طَرْفَا السَّمَاءِ، وَالسَّمَاءُ عَلَيْهِ مَقْبِيَّةٌ، وَمَا أَصَابَ النَّاسَ مِنْ زُمْرٍ... كَانَ مِمَّا تَسَاقَطَ مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ^(٢).

وَقَالَ وَهَبٌ: أَشْرَفَ ذُو الْقَرْنَيْنِ عَلَى جَبَلٍ (ق)، فَرَأَى تَحْتَهُ جِبَالًا صَغَارًا، فَقَالَ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا (ق)، قَالَ: فَمَا هَذِهِ الْجِبَالُ حَوْلَكَ؟ قَالَ: هِيَ عُرُوقِي، وَمَا مِنْ مَدِينَةٍ إِلَّا وَفِيهَا عَرَقٌ مِنْ عُرُوقِي، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُزَلِّزَ مَدِينَةً... أَمَرَنِي فَحَرَّكَتْ عَرْقِي ذَلِكَ، فَتَزَلَّزَتْ تِلْكَ الْأَرْضُ، فَقَالَ لَهُ: يَا (ق) أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ شَأْنَ رَبِّنَا لِعَظِيمٌ، وَإِنَّ وَرَائِي أَرْضًا مَسِيرَةً خَمْسَ

(١) فَتَحَ الْقَافَ عَيْسَى، وَكُسِرَ هَا الْحَسَنُ وَابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، وَضَمَّهَا هَارُونُ وَابْنُ السَّمِيعِ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (١٠/١٧).

(٢) وَقَدْ ذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْغَمَارِيُّ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْ بَدْعِ التَّفَاسِيرِ، وَأَنَّهُ أَبْطُلُ مَنْ أَنْ يَشْتَغَلَ بِرَدِّهِ. انْظُرْ «بَدْعُ التَّفَاسِيرِ» (ص ١٣٠).

وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ

﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ الْكَرِيم، مَا آمَنَ كُفَّارُ مَكَّةَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾: رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِهِمْ يُخَوِّفُهُمْ بِالنَّارِ بَعْدَ الْبَعْثِ،
حاشية الصاوي

مئة عام في خمس مئة، من جبال ثلج، بعضها يحطم بعضاً، لولاي لا حترقت من حر جهنم، ثم قال: زدني، قال: إن جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرائضه، يخلق الله من كل رعدة مئة ألف ملك، فهؤلاء الملائكة واقفون بين يدي الله مُنْكَسُونَ رُؤُوسِهِمْ، فإذا أذن الله لهم في الكلام.. قالوا: لا إله إلا الله، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: ٣٨].

وقيل: معنى (ق): قُضِيَ الأمر؛ كما قيل: في ﴿حَم﴾: حُم الأمر، وقيل: هو اسم من أسمائه تعالى أقسم به، وقيل: (ق) اسم من أسماء القرآن، وقيل: هو افتتاح كل اسم من أسمائه تعالى في أوله (ق) ك: قادر، وقهار، وقوي^(١).

ولعظيم فضل تلك السورة كان رسول الله ﷺ يقرأ في الأضحى والفطر بها وب﴿أَقْرَبِ السَّاعَةِ﴾^(٢)، وكان يقرأها يوم الجمعة على المنبر إذا خطب الناس^(٣).

قوله: (الكريم) أي: فكل من طلب منه مقصوده.. وجده فيه.

قوله: (ما آمن كفار مكة... إلخ) قدره؛ إشارة إلى أن جواب القسم محذوف، وهو أسهل الأعراب^(٤).

قوله: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ إضراب عن جواب القسم المحذوف؛ لبيان أحوالهم الشنيعة. والعجب: استعظام أمر خفي سببه، وهذا بالنسبة لعقولهم الظاهرة؛ حيث قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْشِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

(١) انظر الأقوال في «تفسير القرطبي» (٣/١٧).

(٢) كما رواه مسلم (٨١٩) عن سيدنا أبي واقد الليثي ﷺ.

(٣) رواه مسلم أيضاً (٨٧٢) عن أخت لعمره بنت عبد الرحمن ﷺ.

(٤) وقيل: في جواب القسم أوجه: أحدها: أنه قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ﴾، الثاني: ﴿مَا يُدْكِلُ الْقَوْلُ﴾، الثالث: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ﴾، الرابع: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا﴾، الخامس: ﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ وهو قول كوفي، قالوا: لأنه بمعنى: (قد عجبوا). انظر «الدر المصون» (١٠/١٧).

فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ ﴿٤﴾

﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ الإنذار ﴿شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ ﴿٢﴾ أَوَإِذَا - بِتَحْقِيقِ الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين - ﴿مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ نَرْجِعُ؟ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ في غاية البعد.

(٤ - ٥) ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ﴾: تَأْكُلُ ﴿مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ﴾ هو اللُّوحُ الْمَحْفُوظُ فِيهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الْمُقَدَّرَةِ.
حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ﴾ حكاية لبعض تعجبهم وأقاويلهم الباطلة.

قوله: ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أي: يُتَعَجَّبُ منه؛ لأنه خارجٌ عن طورِ عقولنا.

قوله: ﴿أَوَإِذَا مِتْنَا﴾ معمولٌ لمحذوفٍ، قدره المفسرُ بقوله: (نرجع).

قوله: (وإدخال ألف بينهما) أي: وتركه، فالقراءات أربع سبعيات، لا اثنتان كما تُوهمه عبارته^(١).

قوله: ﴿بَعِيدٌ﴾ أي: عن العادة.

قوله: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ ردٌّ لاستبعادهم وتعجبهم.

قوله: ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِیْظٌ﴾ الجملة حالية، والكلام على تشبيه علمه بتفاصيل الأشياء يعلم مَنْ عنده كتابٌ حاوٍ محفوظٌ يطلع عليه.

قوله: (هو اللوح المحفوظ) أي: وهو مِنْ دُرَّةٍ بِيضَاءٍ مُسْتَقَرَّةٍ عَلَى الْهَوَاءِ، فوق السماء السابعة، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب.

قوله: (فيه جميع الأشياء) يحتمل أن الجارَّ والمجرور مُتَعَلِّقٌ بِ(المحفوظ)، و(جميع): نائب فاعل به، ويحتمل أنه خبرٌ مقدَّم، و(جميع): مبتدأ مؤخر.

(١) سهَّل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون والبصري وأبو جعفر، وسهَّلها من غير إدخال ورش والمكي ورؤيس، وحقَّقها الباقون من غير إدخال إلا هشاماً؛ فله الإدخال وعدمه. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٣٠٢).

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: بِالْقُرْآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾: فِي شَأْنِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْقُرْآنِ ﴿فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾: مُضْطَرِبٌ؛ قَالُوا مَرَّةً: سَاحِرٌ وَسِحْرٌ، وَمَرَّةً: شَاعِرٌ وَشِعْرٌ، وَمَرَّةً: كَاهِنٌ وَكَهَانَةٌ.

﴿٦ - ٨﴾ ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا﴾: بِعُيُونِهِمْ مُعْتَبِرِينَ بِعُقُولِهِمْ حِينَ أَنْكَرُوا الْبَعْثَ ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: كَائِنَةً ﴿فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾: بِأَعْيُنِهِمْ، ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾: شُقُوقٍ تَعْيِيبُهَا؟ ﴿وَالْأَرْضَ﴾: مَعْطُوفٌ عَلَى مَوْضِعٍ ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾: كَيْفَ ﴿مَدَدْنَاهَا﴾: دَحَوْنَاهَا عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾: جِبَالاً تُثَبِّتُهَا ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾: صِنْفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾: يُبْهِجُ بِهِ لِحُسْنِهِ؛ ﴿تَبْصِرَةً﴾: مَفْعُولٌ لَهُ - أَي: فَعَلْنَا ذَلِكَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾: انْتِقَالٌ مِنْ شِنَاعَتِهِمْ إِلَى مَا هُوَ أَشْنَعُ، وَهُوَ تَكْذِيبُهُمْ لِلنَّبِئَةِ الثَّابِتَةِ بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ.

قوله: ﴿مَرِيجٍ﴾ مُضْطَرِبٌ أَي: مُخْتَلِطٌ، يُقَالُ: مَرَجَ الْأَمْرَ، وَمَرَجَ الدِّينَ: اخْتَلَطَ. قوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا﴾: الهمزة داخلية على محذوف، والفاء عاطفة عليه، والتقدير: أغفلوا وعموا فلم ينظروا إلى السماء... إلخ.

قوله: ﴿كَائِنَةً﴾: أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ ﴿فَوْقَهُمْ﴾: حَالٌ مِنْ ﴿السَّمَاءِ﴾.

قوله: ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾: مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ، وَجُمْلَةٌ ﴿بَنَيْنَاهَا﴾: بَدَلٌ مِنْ ﴿السَّمَاءِ﴾.

قوله: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾: الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: ﴿مَعْطُوفٌ عَلَى مَوْضِعٍ﴾: إِلَى السَّمَاءِ، أَي: الْمَنْصُوبُ بِ﴿يَنْظُرُوا﴾^(١).

قوله: ﴿يُبْهِجُ بِهِ﴾: يَسُرُّ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ (فَعِيلٌ) بِمَعْنَى (فَاعِلٌ) أَي: يَحْصُلُ الشُّرُورُ بِهِ.

قوله: ﴿مَفْعُولٌ لَهُ﴾: أَي: لِأَجْلِهِ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبِينَ عَلَى الْمَصْدَرِيَّةِ، وَالتَّحْدِيدُ: بَصَرْنَاهُمْ تَبْصِرَةً، وَذَكَّرْنَاهُمْ تَذْكَرَةً.

(١) ويجوز أن ينتصب على تقدير: (ومددا الأرض). «فتوحات» (١٩٦/٤) نقلاً عن العلامة الكرخي.

وَذَكَّرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾
وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾

تَبْصِيرًا مِنَّا ﴿وَذَكَّرْنِي﴾: تَذْكِيرًا ﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾: رَاجِعٌ إِلَى طَاعَتِنَا.
(٩ - ١١) ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾: كَثِيرَ الْبَرَكَاتِ، ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾
بَسَاتِينَ ﴿وَحَبَّ﴾ الزَّرْعِ ﴿الْحَصِيدِ﴾ الْمَحْصُودِ، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾: طَوَالًا - حَالٌ مُقَدَّرَةٌ -
﴿لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ﴾: مُتْرَاكِبٌ بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ،

حاشية الصاوي

قوله: (تبصيراً منا) أي: تعليماً وتفهيماً.

والتبصرة والتذكرة إمّا عائدان على كل من السماء والأرض، والمعنى: خلقنا السماوات تبصرةً
وذكرى، والأرض تبصرةً وذكرى، ويحتمل أنه لفٌّ ونشْرٌ مرتَّبٌ؛ فالسماوات تبصرة، والأرض تذكرة،
والفرق بينهما: أنَّ التبصرة تكون فيما آياته مُستمرّة، والتذكرة فيما آياته مُتجدّدة.

قوله: (رجّاع إلى طاعتنا) أي: دَا رَجُوعٌ وَإِقْبَالٌ عَلَيْهِ؛ فالصيغة للنسبة، لا للمبالغة.

قوله: ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ (قدّر المفسّر (الزّرع)؛ إشارةً إلى أنه حُذِفَ الموصوف، وأُقيمت صفته
مُقامه.

قوله: (المحصود) أي: الذي شأنه أن يحصد كالبرّ والشعير، وفيه مجازُ الأوّل؛ أي: الزّرعُ
الذي يؤوّل إلى كونه محصوداً^(١).

قوله: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ (يقال: بسقت النخلة بُسُوقًا - من باب (قعد) -: طالت، فهي باسقة،
والجمع: باسقات، وبواسق، وبسق الرجل: بهرّ في علمه).

قوله: (حال مقدّرة) أي: لأنها وقت الإنبات لم تكن طوالاً، وأفردتها بالذكر؛ لكثرة منافعها،
وزيادة ارتفاعها.

قوله: ﴿لِّمَا طَلَعَ نَضِيدٌ﴾ (الجملة حال من (النخل)، مترادفة، أو من الضمير في ﴿بَاسِقَاتٍ﴾^(٢).

(١) ويسمى مجاز الصبرورة، ومجاز المشارفة إن كان المأل على القور؛ نحو: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا». انظر «حاشية الشهاب
على البيضاوي» (١/٢٠٤).

(٢) فهي متداخلة، ويجوز أن يكون الحال (لها)، و(طلع) مرتفع به على الفاعلية. «فتوحات» (٤/١٩٦).

رَزَقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَأَصْحَبُ الرِّسِّ

﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ﴾ - مَفْعُولٌ لَهُ - ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ - يَسْتَوِي فِيهِ الْمُذَكَّرُ وَالْمُؤَنَّثُ - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مِثْلُ هَذَا الْإِحْيَاءِ ﴿الْخُرُوجُ﴾ مِنَ الْقُبُورِ، فَكَيْفَ تُنْكِرُونَهُ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ نَظَرُوا وَعَلِمُوا مَا ذَكَرَ.

(١٢ - ١٤) ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ﴾ - تَأْنِيثُ الْفِعْلِ بِمَعْنَى قَوْمٍ - ﴿وَأَصْحَبُ الرِّسِّ﴾ هي بَثْرٌ كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَيْهَا بِمَوَاشِيهِمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، وَنَبِيُّهُمْ قِيلَ: حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ، حَاشِيَةُ الصَّائِرِينَ

قوله: ﴿رَزَقًا لِلْعِبَادِ﴾ منصوبٌ على الحال، ولم يُقَيَّدِ العباد هنا بالإِنَابَةِ، وَقَيَّدَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بَصِيرَةً وَذِكْرًا﴾؛ لِأَنَّ التَّذْكَرَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِمُنِيبٍ، وَالرِّزْقُ يَعُمُّ كُلَّ أَحَدٍ.

قوله: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ أي: بِذَلِكَ الْمَاءِ، وَقَوْلُهُ: ﴿بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ أي: أَرْضًا جَدِيدَةً يَابَسَةً، فَاهْتَرَتْ وَرَبَّتْ بِذَلِكَ الْمَاءِ، وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بِهِجٍ.

قوله: (يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ) جوابٌ عن سؤالٍ مَقْدَرٍ، تَقْدِيرُهُ: (الْأَرْضُ) ^(١) مُؤَنَّثَةٌ، فَكَيْفَ وَصَفَهَا بِالْمَذْكَرِ؟

وَفِي هَذَا الْجَوَابِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ اسْتِوَاءَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ فِي (فَعِيلٍ)، وَلَيْسَ هُنَا، وَالصَّوَابُ أَنَّ التَّذْكَيرَ بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ مَكَانًا ^(٢).

قوله: ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ جُمْلَةٌ قَدَّمَ فِيهَا الْخَبَرَ لِقَصْدِ الْحَصْرِ، وَالْمَعْنَى: خُرُوجُهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَجَائِبِ خَلْقِ السَّمَاءِ وَمَا بَعْدَهَا.

قوله: (وَالِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ... إلخ) الْأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ: (لِلْإِنْكَارِ وَالتَّوْبِيخِ)، وَقَوْلُهُ: (وَالْمَعْنَى... إلخ) غَيْرُ صَحِيحٍ؛ إِذْ لَوْ نَظَرُوا وَعَلِمُوا... لَأَمَنُوا.

قوله: ﴿كَذَبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ نُوحٍ﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ قُصِدَ بِهِ تَقْرِيرُ حَقِّيقَةِ الْبَعْثِ، وَالْوَعِيدُ لِقَرِيشٍ، وَالتَّسْلِيَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: (بِمَعْنَى «قَوْمٍ») أي: لِأَنَّهُ بِمَعْنَى (أُمَّة).

قوله: (هي بَثْرٌ) أي: فَحُصِفَتْ تِلْكَ الْبَثْرُ مَعَ مَا حَوْلَهَا، فَذَهَبَتْ بِهِمْ وَبَأْمَوَالِهِمْ ^(٣).

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالسِّيَاقُ يَقْتَضِي: (الْبَلَدَةَ). (٢) الْأَوَّلَى: بِاعْتِبَارِ كَوْنِهَا - أي: الْبَلَدَةَ - مَكَانًا.

(٣) وَمَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُ أَحَدُ أَقْوَالٍ فِي (الرِّسِّ)، وَقِيلَ: هُوَ قَرْيَةٌ بِالْيَمَنِ كَانَ فِيهَا بَقَايَا ثَمُودَ، فُبُعِثَ إِلَيْهِمْ نَبِيٌّ، فَتَقَتَلُوهُ =

وَتَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ

وقيل: غَيْرُهُ، ﴿وَتَمُودُ﴾: قوم صالح، ﴿وَعَادٌ﴾: قوم هود، ﴿وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أَي: الغِيضَةِ قوم شُعَيْب، ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هو مَلِكٌ كان بِالْيَمَنِ أَسْلَمَ وَدَعَا قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ فَكَذَّبُوهُ، ﴿كُلٌّ﴾ مِنَ الْمَذْكُورِينَ

حاشية الصاوي

قوله: (وقيل غيره) هو شعيب، أو نبي آخر أُرْسِلَ بعد صالح لبقية من تمود.

قوله: ﴿وَتَمُودُ﴾ ذكرهم بعد أصحاب الرّس؛ لأنّ الرّجفة التي أخذتهم مبدأ الخسف لأصحاب الرّس، وأتبع تمود بعاد؛ لأنّ الريح التي أهلكتهم إثر صيحة تمود.

قوله: ﴿وَأَخْوَانُ لُوطٍ﴾ تقدّم أنه ابن أخي إبراهيم، وأنه هاجر معه من العراق إلى الشام، فنزل إبراهيم بفلسطين، ونزل لوط بسدوم، وأرسله الله إلى أهلها وهو أجنبي منهم، فكيف يُقال: إخوانه؟ أجيب: بأنه تزوّج فصار صهرًا لهم، فالأخوة من حيث ذلك.

قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ تقدّم الكلام عليهم في (الشعراء) ^(١).

قوله: (أي: الغيضة) أي: وهي الشجر الملتف، وهي هنا بد(أل) المعرفة، وفي «ص» و(الشعراء) بد(أل) ودونها، قراءتان سبعيتان ^(٢).

قوله: (هو ملك كان باليمن) وقيل: نبي، وهو تُبَّعُ الحِميري، واسمه أسعد، وكنيته أبو قرن ^(٣).

قوله: ﴿كُلٌّ﴾ التنوين عوض عن المضاف؛ أي: كلُّ أمة، والمراد بد(الكل) المجموع ^(٤).

= فهلكوا، وقيل: الأخدود، وقيل: هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي، ابتلاهم الله بطير عظيم فيه من كل لون، فسَمَّوه العنقاء؛ لطول عنقها، وكانت تسكن الجبال وتختطف صبيانهم، فدعا عليها حنظلة، فأصابها الصاعقة، ثم إنهم قتلوه فأهلكوا. وانظر (٥٦٣/٤).

(١) انظر (٤٤-٤٥/٥).

(٢) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر: (ليكة) بلام واحدة، والباقون: (الأيكة). انظر «الدر المصون» (٥٤٤/٨).

(٣) كذا في الأصول، وقد مرّ للمفسّر في سورة (الدخان) أن كُنِيته أبو كرب، وهو الذي في كتب السيرة.

(٤) فإنه لم يكذب كل واحد من قوم نوح وتمود وعاد كما صرح به في غير آية؛ كقوله: ﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾؛ فإنها صريحة في أن كل أمة نبي فيها مصدق ومكذب؛ فالمراد بالكلية هنا الكثير؛ كما في قوله: ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فهي باعتبار الأغلب الأكثر. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٨٥/٨).

كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ

﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كُفْرِيشٍ، ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾: وَجَبَ نُزُولُ الْعَذَابِ عَلَى الْجَمِيعِ، فَلَا يَضِيقُ
صَدْرُكَ مِنْ كُفْرِ قُرَيْشٍ بِكَ.

(١٥ - ١٦) ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أَي: لَمْ نَعْيَ بِهِ فَلَا نَعْيَا بِالْإِعَادَةِ، ﴿بَلْ هُمْ فِي
لَبْسٍ﴾: شَكٌّ ﴿مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وَهُوَ الْبَعْثُ. ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ﴾ - حَالٌ بِتَقْدِيرِ
(نَحْنُ) -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ (أَي: وَلَوْ بِالْوَاسِطَةِ كَتَبَ).

قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدُ﴾ مضافٌ لِيَاءِ الْمُتَكَلِّمِ، حُذِفَتِ الْيَاءُ وَبَقِيََتِ الْكِسْرَةُ دَلِيلًا عَلَيْهَا.

قوله: (فَلَا يَضِيقُ صَدْرُكَ) أَي: لَمَّا تَقَدَّمَ أَنَّهُ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَهْدِيدٌ لَهُمْ.

قوله: ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ الْهَمْزَةُ دَاخِلَةٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، وَالْفَاءُ عَاطِفَةٌ عَلَيْهِ، وَالْأَصْلُ:
أَفَصَدْنَا الْخَلْقَ الْأَوَّلَ فَعَجَزْنَا عَنْهُ حَتَّى يَحْكُمُوا بِعَجْزِنَا عَنِ الْإِعَادَةِ؟ وَفِيهِ إِلْزَامٌ لِمُنْكَرِ الْبَعْثِ. وَالْعِي:
الْعَجْزُ.

قوله: ﴿بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ الْبَاءُ سَبَبِيَّةٌ، أَوْ بِمَعْنَى (عَلَى)، وَالْإِسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ بِمَعْنَى النَّفْيِ.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ﴾ عَطَفْتُ عَلَى مُقَدَّرٍ يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ، كَأَنَّهُ قِيلَ: هُمْ غَيْرُ مُنْكَرِينَ لِقُدْرَتِنَا
عَلَى الْخَلْقِ الْأَوَّلِ، بَلْ هُمْ فِي خَلْطٍ وَشَبْهَةٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنْ مَخَالَفَةِ الْعَادَةِ. وَتَنْكِيرُ
(خَلْقٍ)؛ لِتَفْخِيمِ شَأْنِهِ، وَالْإِشْعَارُ بِخُرُوجِهِ عَنْ حُدُودِ الْعَادَاتِ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ الْمُرَادُ بِهِ: الْجِنْسُ الصَّادِقُ بِأَدَمَ وَأَوْلَادِهِ.

قوله: (حَالٌ بِتَقْدِيرِ «نَحْنُ») أَي: لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْمُضَارِعِيَّةَ الْمُثَبَّتَةَ إِذَا وَقَعَتْ حَالًا لَا تَقْتَرِنُ بِالْوَاوِ،
بَلْ تَحْوِي الضَّمِيرَ فَقَطْ؛ فَإِنْ اقْتَرَنَتْ بِالْوَاوِ.. أُعْرِبَتْ خَبْرًا لِمَحْذُوفٍ، وَتَكُونُ الْجُمْلَةُ الْإِسْمِيَّةُ حَالًا،
قَالَ ابْنُ مَالِكٍ^(١): [الرجز]

وَذَاتُ بَدءٍ بِمُضَارِعٍ ثَبَتَ حَوْتُ ضَمِيرًا، وَمِنَ الْوَاوِ خَلَّتْ

مَا تُوسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾

﴿مَا﴾ - مصدرية - ﴿تُوسَّوْهُ﴾ : تُحَدِّثُ ﴿بِهِ﴾ - الباء زائدة أو للتعدية والضمير للإنسان - ﴿نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ بِالْعِلْمِ ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ - الإضافة للبيان - والوريدان : عرقان بَصَفَحَتِي الْعُنُقِ .

حاشية الصاوي

وَذَاتٌ وَابِعْدَهَا أَنْوَ مُبْتَدَا لَّهُ الْمُضَارِعُ اجْعَلَنَّ مُسْنَدًا

قوله : («ما» مصدرية) أي : والتقدير : ونَعْلَمُ وَسُوسَةَ نَفْسِهِ إِيَّاهُ ، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَيْهَا ، وَالتَّحْدِيدُ : وَنَعْلَمُ الْأَمْرَ الَّذِي تُحَدِّثُ نَفْسُهُ بِهِ .

قوله : (الباء زائدة) أي : فهو نَظِيرُ : صَوَّتْ بِكَذَا ، وَقَوْلُهُ : (أو للتعدية) أي : فالنفسُ تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ قَائِمًا بِهِ الْوَسُوسَةَ .

قوله : (والضمير للإنسان) أي : فجعل الإنسان مع نفسه شخصين تجري بينهما مكالمة ومحادثة ، تَارَةً يَحْدِثُهَا ، وَتَارَةً تَحْدِثُهُ ، وَهَذِهِ الْوَسُوسَةُ لَا يُؤَاخِذُ بِهَا الْإِنْسَانُ خَيْرًا أَوْ شَرًّا ، وَمِثْلُهَا الْخَاطِرُ وَالْهَاجِسُ ، وَأَمَّا الهمُّ . . فَيُكْتَبُ فِي الْخَيْرِ لَا فِي الشَّرِّ ، وَأَمَّا الْعَزْمُ . . فَيُكْتَبُ خَيْرًا أَوْ شَرًّا ، وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ .

قوله : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾ أي : لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَحْجُبُهُ شَيْءٌ ، بَلْ هُوَ الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ ، لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، فَقُرْبُهُ تَعَالَى مِنْ عَبْدِهِ اتِّصَالُ تَصَارُيفِهِ فِيهِ ؛ بَحِيثٌ لَا يَغِيبُ عَنْهُ طَرْفَةُ عَيْنٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد : ٤] .

قوله : ﴿مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هذا مثل في شِدَّةِ الْقُرْبِ ، وَالْحَبْلُ : الْعِرْقُ .

قوله : (والوريدان : عرقان بصفحتي العنق) أي : مُكْتَنَفَانِ صَفْحَتِي الْعُنُقِ فِي مَقْدَمِهِمَا ، يَتَّصِلَانِ بِالْوَتَيْنِ وَهُوَ عِرْقٌ مُتَّصِلٌ بِالْقَلْبِ ، وَبِالْأَبْهَرِ وَهُوَ عِرْقٌ فِي الظَّهْرِ ، وَبِالْأَكْحَلِ وَهُوَ عِرْقٌ فِي الذَّرَاعِ ، وَبِالنَّسَا وَهُوَ عِرْقٌ فِي الْفَخْذِ ، وَبِالْأَسْلَمِ وَهُوَ عِرْقٌ فِي الْخَنْصَرِ ؛ مَتَى قُطِعَ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ . . مَاتَ صَاحِبُهُ .

قال القشيري : (في هذه الآية هَيْبَةٌ وَفَزَعٌ وَخَوْفٌ لِقَوْمٍ ، وَرَوْحٌ وَسَكُونٌ وَأَنْسُ قَلْبٍ لِقَوْمٍ) ^(١) أي : بِحَسَبِ تَجَلَّى اللَّهِ تَعَالَى وَشُهُودِهِ ، فَإِذَا شَهِدَ الْإِنْسَانُ جَلَالَ اللَّهِ وَهَيْبَتَهُ وَشِدَّةَ بَطْشِهِ وَسُرْعَةَ انتِقَامِهِ

إِذْ يَنْلَقَى الْمَتَلَقَّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

(١٧ - ١٨) ﴿إِذْ﴾ - نَاصِبُهُ (اذْكُرْ) مُقَدَّرًا - ﴿يَنْلَقَى﴾: يَأْخُذُ وَيُثَبِّتُ ﴿الْمَتَلَقَّيَانِ﴾: الْمَلَكَانِ الْمُوَكَّلَانِ بِالْإِنْسَانِ مَا يَعْمَلُهُ ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ مِنْهُ ﴿قَعِيدٌ﴾ أَي: قَاعِدَانِ، - وَهُوَ مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ مَا قَبْلَهُ -، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾: حَافِظٌ ﴿عَتِيدٌ﴾: حَاضِرٌ، وَكُلُّ مِنْهُمَا بِمَعْنَى الْمُثْنَى.

حاشية الصاوي

مع شِدَّةِ تَمَكُّنِهِ مِنْهُ وَاتِّصَالِ تَصَارِيفِهِ بِهِ.. ذَابَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَإِذَا شَهِدَ جَمَالَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ وَإِحْسَانَهُ.. أُنْسَ وَفَرَحَ.

قوله: (يأخذ ويثبت) أي: يكتبان في صحيفتي الحسنات والسيئات، وقلمهما لسانه، ومداذهما ريقه، ومحلّهما من الإنسان نواجزه.

قوله: (ما يعمله) مفعول ﴿يَنْلَقَى﴾.

قوله: (أي: قاعدان) أشار به إلى أَنَّ ﴿قَعِيدٌ﴾ مفردٌ أُقِيمَ مُقَامَ الْمُثْنَى؛ لِأَنَّ (فَعِيلًا) يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانُ وَالْجَمْعُ.

قوله: (وهو مبتدأ خبره ما قبله) أي: والجملة في محلّ نصب على الحال من ﴿الْمَتَلَقَّيَانِ﴾.

قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ﴾... إلخ ﴿مَا﴾: نَافِيَةٌ، وَ﴿مِنْ﴾: زَائِدَةٌ فِي الْمَفْعُولِ، وَقَوْلُهُ: ﴿لَدَيْهِ﴾ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿رَقِيبٌ﴾ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، وَالْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: (وكلّ منهما بمعنى المثني) أي: فالمعنى: إِلَّا لَدَيْهِ مَلَكٌ مُوصُوفٌ بِأَنَّهُمَا رَقِيبَانِ وَعَتِيدَانِ؛ فَكُلُّ مِنْهُمَا مُوصُوفٌ بِأَنَّهُ رَقِيبٌ وَعَتِيدٌ^(١)، وَقَوْلُهُ: (حاضر) أي: فَلَا يُفَارِقُهُ إِلَّا فِي مَوَاضِعَ ثَلَاثَةٍ: فِي الْخَلَاءِ، وَعِنْدَ الْجَمَاعِ، وَفِي حَالَةِ الْجَنَابَةِ؛ فَإِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ فِي تِلْكَ الْحَالَاتِ حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً.. عَرَفَهَا بِرَائِحَتِهَا وَكَتَبَهَا.

(١) وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا كُلِّهِ، بَلِ الْأَوَّلَى جَعَلَ الْوَصْفَيْنِ لشيءٍ وَاحِدٍ؛ أَي: إِلَّا لَدَيْهِ مَلَكٌ مُوصُوفٌ بِأَنَّهُ رَقِيبٌ وَعَتِيدٌ؛ أَي: حَافِظٌ حَاضِرٌ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الْمَلَكِ اثْنَانِ: كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ؛ فَكُلُّ مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ: رَقِيبٌ وَعَتِيدٌ. «فتوحات» (٤/٢٠٠).

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾
وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ

(١٩ - ٢٠) ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: غَمْرَتُهُ وَشِدَّتُهُ ﴿بِالْحَقِّ﴾: مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ حَتَّى يَرَاهُ الْمُنْكَرُ لَهَا عِيَانًا وَهُوَ نَفْسُ الشَّدَّةِ، ﴿ذَلِكَ﴾: أَي: الْمَوْتُ ﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾: تَهَرُّبُ وَتَفْزَعُ، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: لِلْبَعْثِ ﴿ذَلِكَ﴾: أَي: يَوْمُ النَّفْخِ ﴿يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾: لِلْكَفَّارِ بِالْعَذَابِ.
(٢١ - ٢٢) ﴿وَجَاءَتْ﴾ فِيهِ ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إِلَى الْمَحْشَرِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾: أَي: حَضَرَتْ إِمَّا بِالْمَوْتِ فُرَادَى وَهُوَ ظَاهِرٌ وَاقِعٌ، أَوْ دُفْعَةً عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى، وَإِنَّمَا عَبَّرَ عَنْهَا بِالْمَاضِي؛ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهَا، وَإِشَارَةً إِلَى أَنَّهَا فِي غَايَةِ الْقُرْبِ.
قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾: الْبَاءُ: لِلتَّعْدِيَةِ^(١)؛ أَي: أَتَتْ بِالْأَمْرِ وَالْحَقُّ؛ أَي: أَظْهَرَتْهُ، وَالْمَرَادُ بِهِ: مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَهْوَالِ الْآخِرَةِ، وَمَعْنَى كَوْنِهِ حَقًّا: أَنَّهُ وَاقِعٌ لَا مُحَالَةً.
قوله: (وهو نفس الشدة) المناسِبُ حَذَفُ هَذِهِ الْعِبَارَةِ؛ لِإِسْتِغْنَاءِ بِمَا قَبْلَهَا عَنْهَا، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الضَّمِيرَ فِي (هُوَ) عَائِدٌ عَلَى أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَالْمَرَادُ بِالشَّدَّةِ: الْأَمْرُ الشَّدِيدُ، وَهُوَ أَهْوَالُ الْآخِرَةِ.
قوله: (تهرب) بضمّ الراء، مِنْ بَابٍ: (طَلَبَ).
قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: عَطَفْتُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾، وَالصُّورُ هُوَ: الْقَرْنُ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ، لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ التَّقَمَّهُ إِسْرَافِيلُ مِنْ حِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْتَظِرًا لِلإِذْنِ بِالنَّفْخِ^(٢).
قوله: (أَي: يَوْمُ النَّفْخِ) أَي: فَالْإِشَارَةُ إِلَى الزَّمَانِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: (نفخ)؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ كَمَا يَدُلُّ عَلَى الْحَدَثِ يَدُلُّ عَلَى الزَّمَانِ.

(١) ويجوز أن تكون للجملابسة كالتى في قوله تعالى: ﴿تَنَبَّأُ بِالَّذِينَ﴾؛ أَي: مُلْتَبَسَةٌ بِالْحَقِّ؛ أَي: بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ، أَوْ بِالْحِكْمَةِ وَالْغَايَةِ الْجَمِيلَةِ. انظر «تفسير أبي السعود» (١٢٩/٨).

(٢) روى الترمذي (٢٤٣١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٠٨٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ؟!»، فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا».

مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾

﴿مَعَهَا سَائِقٌ﴾: مَلَكٌ يَسُوقُهَا إِلَيْهِ، ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا وَهُوَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ وَغَيْرُهَا، وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: ﴿لَقَدْ كُنْتَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ النَّازِلِ بِكَ الْيَوْمَ، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾: أَرْزَلْنَا غَفْلَتَكَ بِمَا تُشَاهِدُهُ الْيَوْمَ، ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: حَادٌّ تُدْرِكُ بِهِ مَا أَنْكَرْتَهُ فِي الدُّنْيَا.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢١﴾) ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: ﴿هَذَا مَا﴾ أَي: الَّذِي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: حَاضِرٌ، فَيُقَالُ لِمَالِكٍ:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾) اختلف في معنى (السائق والشهيد) على أقوال: أشهرها ما قاله المفسر، وقيل: السائق: كاتب السيئات، والشهيد: كاتب الحسنات، وقيل: السائق: نفسه أو قرينه، والشهيد: جوارحه أو أعماله، وقيل غير ذلك.

قوله: (ويقال للكافر) هذا أحد قولين، وقيل: إنَّ القول يَقَعُ للمسلم أيضاً، لكن على سبيل التهنئة، ومعنى ﴿كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ﴾: كُنْتَ فِي حِجَابٍ لَمْ تُشَاهِدْهُ بِالْبَصَرِ؛ إِذْ لَيْسَ رَأْيُ كَمَنْ سَمِعَا، فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ، فَتَهَنَّا بِمَا رَأَيْتَ، وَتَمَلَّى^(١) بِمَا أُعْطِيتَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ.

قوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾) أَي: حِجَابَكَ، وَهُوَ الْغَفْلَةُ وَالْإِنْهَمَاكُ فِي الشَّهَوَاتِ.

قوله: (حَادٌّ) أَي: نَافِذٌ؛ لِزَوَالِ الْمَانِعِ لِلْإِبْصَارِ.

قوله: (الملك الموكل به) أَي: فِي الدُّنْيَا لِكِتَابَةِ أَعْمَالِهِ، وَهُوَ الرَّقِيبُ الْعَتِيدُ الْمُتَقَدِّمُ ذَكَرَهُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمَلَكَ يَقُولُ: هَذَا عَمَلُهُ الْمَكْتُوبُ عِنْدِي حَاضِرٌ لَدَيَّ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ (قَرِينُهُ): الشَّيْطَانُ الْمُقَيَّضُ لَهُ، وَاسْمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ عَلَى ذَاتِ الشَّخْصِ الْكَافِرِ، وَالْمَعْنَى: يَقُولُ الشَّيْطَانُ: هَذَا الشَّخْصُ الَّذِي عِنْدِي حَاضِرٌ مُّعَدٌّ وَمُهَيَّأٌ لِلنَّارِ.

قوله: ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾) يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾ نَكْرَةً مَوْصُوفَةً، وَ﴿عَتِيدٌ﴾: صِفَتُهَا، وَ﴿لَدَيَّ﴾: مُتَعَلِّقٌ بِ﴿عَتِيدٌ﴾؛ أَي: هَذَا شَيْءٌ حَاضِرٌ عِنْدِي، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾ مَوْصُولَةً بِمَعْنَى (الَّذِي)، وَ﴿لَدَيَّ﴾ صِلَتُهَا، وَ﴿عَتِيدٌ﴾: خَبَرُ الْمَوْصُولِ، وَالْمَوْصُولُ وَصِلَتُهُ: خَبَرُ اسْمِ الْإِشَارَةِ.

(١) بآثبات الألف في الأصول، وحقها الحذف للبناء، إلا أن يقال: إنَّ الألف للإشباع، أو الجزم بحذف الحركة؛ على حدِّ قراءة قبل: (من يَتَقِي وَيَصْبِرُ) بآثبات الياء وجزم (يصبر). وانظر «مغني اللبيب» (ص ٦٢١).

أَلْفِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ
فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ فَرِيقُهُ رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا
تَخْتَصِمُوا

﴿أَلْفِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: ألقى ألقى، أو ألقىني وبه قرأ الحسن، فأبدلت النون ألفاً، ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعَانِدٍ لِلْحَقِّ، ﴿مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ كالزَّكَاةِ ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظَالِمٍ ﴿مُرِيبٍ﴾: شَاكٍ فِي دِينِهِ، ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ - مُبْتَدَأُ ضَمَّنٍ مَعْنَى الشَّرْطِ، خَبَرُهُ -: ﴿فَأَلْفِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ تَفْسِيرُهُ مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ.

(﴿٢٧﴾ - ﴿٢٩﴾) ﴿قَالَ فَرِيقُهُ﴾ الشَّيْطَانُ: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ﴾: أَضَلَلْتُهُ ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ فَدَعَاؤُهُ فَاسْتَجَابَ لِي، وَقَالَ: هُوَ أَطْغَانِي بِدُعَائِهِ لِي، ﴿قَالَ﴾ تَعَالَى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (أي: ألقى ألقى... إلخ) لما جعل المفسر الخطاب للواحد.. احتاج للجواب عن التثنية في قوله: ﴿أَلْفِيَا﴾، فأجاب بجوابين: الأول: أنه تثنية بحسب الصورة، والأصل أن الفعل مُكْرَّرٌ للتوكيد، فحذف الثاني وعُبرَ عنهما بضمير التثنية، فعلى هذا: يُعْرَبُ بحذف النون، والألف فاعل. الثاني: أن الألف ليست للتثنية، بل هي مُنْقَلَبَةٌ عن نون توكيد الخفيفة، وأجري الوصل هنا مُجْرَى الوقف^(١).

قوله: (وبه قرأ الحسن) أي: وهي قراءة شاذة.

قوله: (مُعَانِدٍ) أي: مُعْرِضٍ عَنِ الْحَقِّ مُخَالَفٍ لَهُ.

قوله: (مبتدأ ضمن معنى الشرط) المناسب أن يقول: مُبْتَدَأٌ يُشَبِّهُ الشَّرْطَ.

قوله: (تفسيره) أي: تخريجه مِثْلُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَيْثُ الْاِعْتِدَارُ عَنِ التَّثْنَةِ.

قوله: ﴿قَالَ فَرِيقُهُ﴾ أي: جواباً عما ادَّعاه الكافر عليه لقوله: (هو أطغاني)؛ فالكافر أولاً يقول: الشَّيْطَانُ أَطْغَانِي، فَيُجِيبُ الشَّيْطَانُ بِقَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا مَا أَطْفَيْتُهُ﴾، وكان الأولى للمفسر أن يُقَدِّمَ قوله: (هو أطغاني) بأن يقول: (وقال قرينه جواباً لقوله: هو أطغاني ربنا... إلخ).

قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا﴾ خطابٌ لِلْكَافِرِينَ وَقُرْنَاهُمْ.

(١) والظاهر أن الخطاب للملكين السابق والشهيد على ما عليه الأكثر. «فتوحات» (٢٠٢/٤) عن العلامة الكرخي.

لَدَى وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَى وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ
 لَدَى ﴿٣٠﴾

لَدَى ﴿٣٠﴾ أي: ما يَنْفَعُ الْخِصَامُ هُنَا ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾: بِالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ لَوْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَا بُدَّ مِنْهُ، ﴿مَا يُبَدِّلُ﴾: يُغَيِّرُ ﴿الْقَوْلَ لَدَى﴾ فِي ذَلِكَ، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ فَأَعَذَّبُهُمْ بِغَيْرِ جُرْمٍ. وَ(ظَلَّامٍ) بِمَعْنَى: ذِي ظُلْمٍ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٧].

﴿٣٠﴾ - نَاصِبُهُ (ظَلَّامٍ) - ﴿نَقُولُ﴾ - بِالنُّونِ وَالْيَاءِ - ﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ - اسْتِفْهَامٌ تَحْقِيقٌ لَوَعْدِهِ بِمَلَأَتْهَا -
 حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (أي: ما يَنْفَعُ الْخِصَامُ هُنَا) أي: فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ.

قوله: ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ ظَاهِرُهُ: أَنَّ الْجُمْلَةَ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَا تَخْصِمُوا﴾، وَهُوَ مُشْكِلٌ بِأَنَّ التَّقْدِيمَ بِالْوَعْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالِاخْتِصَامَ فِي الْآخِرَةِ. وَأَجِيبُ: بِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفٍ، وَالْأَصْلُ: وَقَدْ ثَبَتَ الْآنَ أَنِّي قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ... إلخ.

قوله: (وَلَا بُدَّ) أي: لَا تَطْمَعُوا أَنِّي أَبَدِّلُ وَعِيدِي؛ فَإِنَّ وَعِيدِي لِلْكَافِرِينَ مُحْتَمٌّ؛ كَوَعْدِي لِلْمُؤْمِنِينَ.

قوله: ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ﴾ المرادُ بِالْقَوْلِ: الْوَعْدُ بِتَخْلِيدِ الْكَافِرِ فِي النَّارِ.

قوله: (فِي ذَلِكَ) أي: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَاسْمُ الْإِشَارَةِ عَائِدٌ عَلَى يَوْمِ الْحِسَابِ.

قوله: ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ أي: وَإِذَا انْتَفَى الظُّلْمُ عَنْهُ فِي هَذَا الْيَوْمِ.. فنَفِي الظُّلْمِ عَنْهُ فِي غَيْرِهِ أُخْرَى، سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الظُّلْمِ عَقْلاً وَنَقْلاً.

قوله: (نَاصِبُهُ «ظَلَّامٍ») أي: وَالْمَعْنَى: مَا أَنَا بِظَلَّامٍ يَوْمَ قَوْلِي لِجَهَنَّمَ... إلخ.

قوله: (اسْتِفْهَامٌ تَحْقِيقٌ؛ لَوَعْدِهِ بِمَلَأَتْهَا) خَاطَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَهَنَّمَ خُطَابَ الْعُقَلَاءِ، وَأَجَابَتْهُ جَوَابَ الْعُقَلَاءِ، وَلَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ عَقْلاً وَلَا شَرْعاً؛ لِمَا وَرَدَ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ»^(١)، وَ«اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا»^(٢)؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكْلُفِ الْمَجَازِ مَعَ التَّمَكُّنِ مِنَ الْحَقِيقَةِ فِي هَذَا وَنَظَائِرِهِ

(١) رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ (٣٠)

﴿وَتَقُولُ﴾ بِصُورَةِ الاسْتِفْهَامِ كَالسُّؤَالِ: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أَي: فِي؟ لَا أَسْعُ غَيْرَ مَا امْتَلَأْتُ بِهِ، أَي: قَدْ امْتَلَأْتُ.

حاشية الصاوي

مِمَّا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ؛ مِنْ نُطْقِ الْجَمَادَاتِ. وَالْمُرَادُ بِاسْتِفْهَامِ التَّحْقِيقِ: التَّقْرِيرُ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يُقَرِّرُهَا بِأَنَّهَا قَدْ امْتَلَأَتْ.

قوله: (وتقول بصورة الاستفهام كالسؤال) أي: أجابته جواباً صورته استفهام ومعناه الخبر؛ كما أشار له المفسر بقوله: (أي: امتلأت)، وإنما أجابته بصورة الاستفهام؛ ليكون طبق السؤال، لكن استفهام السؤال تقرير، واستفهام جوابها إنكاري، هذا ما مشى عليه المفسر.

وقيل: إنَّ الاستفهامَ لطلب الزيادة، فهو بمعنى: (زدني)، ويدلُّ عليه ما جاء في الحديث من قوله ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: وَعِزَّتِكَ، فَيَنْزَوِي بِعَظْمِهَا عَلَى بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ، وَعِزَّتِكَ وَكِرْمِكَ، وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا». انتهى^(١).

ولفظ (الْقَدَمُ) و(الرَّجُلُ)^(٢) في الحديث من المُتَشَابِهِ، يَأْتِي فِيهِ مَذْهَبُ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ؛ فَالسَّلَفُ يُنْزِهُونَهُ عَنِ الْجَارِحَةِ وَيُقَوِّضُونَ عِلْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْخَلْفُ لَهُمْ فِيهِ تَأْوِيلٌ مِنْهَا: أَنَّ الْمُرَادَ بِالْقَدَمِ وَالرَّجُلِ: قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فِي عِلْمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْقَدَمَ وَالرَّجُلَ يُطْلَقَانِ فِي اللُّغَةِ عَلَى الْعَدَدِ الْكَثِيرِ مِنَ النَّاسِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ الْمَوْعُودِينَ بِهَا. وَيُؤَيِّدُهُ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّ مَا فِي النَّارِ بَيْتٌ وَلَا سِلْسَلَةٌ وَلَا مِقْمَعٌ وَلَا تَابُوتٌ إِلَّا وَعَلَيْهِ اسْمُ صَاحِبِهِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَزَنَةِ يَنْتَظِرُ صَاحِبَهُ الَّذِي قَدْ عَرَفَ اسْمَهُ وَصِفَتَهُ، فَإِذَا اسْتَوْفَى مَا أَمَرَ بِهِ وَمَا يَنْتَظَرُهُ وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْهُمْ. . . قَالَتِ الْخَزَنَةُ: قَطُّ قَطُّ، حَسْبُنَا حَسْبُنَا، اكْتَفَيْنَا اكْتَفَيْنَا، وَحِينَئِذٍ: فَتَنْزَوِي جَهَنَّمُ عَلَى مَنْ فِيهَا، وَتَنْطَبِقُ إِذْ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ يَنْتَظِرُ. اهـ^(٣)

ومنها: أَنَّ وَضْعَ الْقَدَمِ وَالرَّجُلِ كَنَاءَةٌ عَنْ تَجَلِّيِ الْجَلَالِ عَلَيْهَا، فَتَتَصَاغَرُ وَتَضْيِيقُ وَتَنْزَوِي، فَتَقُولُ: «قَطُّ قَطُّ»، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ.

(١) رواه البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ.

(٢) كما في رواية البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) عن سيدنا أنس بن مالك ؓ.

(٣) كذا في «تفسير القرطبي» (١٩/١٧).

وَأَرْزَلَتْ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ
بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ

(٣١ - ٣٢) ﴿وَأَرْزَلَتْ الْجَنَّةَ﴾: قُرْبَتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مكاناً ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مِنْهُمْ، فَيَرَوْنَهَا،
وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿هَذَا﴾ الْمَرْيُتِيُّ ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ - بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ - فِي الدُّنْيَا، وَيُبَدَّلُ مِنَ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾
قَوْلُهُ: ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رَجَّاعٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، ﴿حَفِيفٍ﴾: حَافِظٌ لِحُدُودِهِ، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ
بِالْغَيْبِ﴾: خَافَهُ وَلَمْ يَرَهُ، ﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾: مُقْبِلٌ عَلَى طَاعَتِهِ، وَيُقَالُ لِلْمُتَّقِينَ أَيْضاً:
(٣٤ - ٣٥) ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ أَي: سَالِمِينَ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ المرادُ بهم: مَنْ مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ.

قوله: (مكاناً) قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، فَهُوَ
مَنْصُوبٌ عَلَى الظَّرْفِيَّةِ؛ لِإِقْيَامِهِ مَقَامَ الظَّرْفِ، وَلَمْ يَقُلْ: (غَيْرَ بَعِيدَةٍ) إِمَّا لِأَنَّهُ صِفَةٌ لِمَذْكَرٍ مَحْذُوفٍ،
أَوْ لِأَنَّ (فَعِيلًا) يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤنَّثُ، وَأَتَى بِهِذِهِ الْجُمْلَةُ عَقِبَ قَوْلِهِ: ﴿وَأَرْزَلَتْ﴾؛ لِلتَّأْكِيدِ،
كَقَوْلِهِمْ: هُوَ قَرِيبٌ غَيْرُ بَعِيدٍ، وَعَزِيزٌ غَيْرُ ذَلِيلٍ.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ الْجَنَّةَ مَكَانٌ، وَالشَّأْنُ انْتِقَالُ الشَّخْصِ لِلْمَكَانِ لَا انْتِقَالُ الْمَكَانِ لِلشَّخْصِ؟ أُجِيبُ:
بأنه أضاف القرب لها؛ إكراماً للمؤمنين، كأنَّ الإكرامَ ينتقلَ لهم، وهو كِنَايَةٌ عَنْ سُهُولَةِ وُصُولِهِمْ
إِلَيْهَا.

قوله: (ويُبدل من «المتقين») أي: بإعادة الجارِّ، وجُمْلَةُ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ﴾ مَعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْبَدَلِ
وَالْمَبْدَلِ مِنْهُ.

قوله: (حافظ لحدوده) أي: فـ ﴿حَفِيفٍ﴾ بِمَعْنَى (حَافِظٍ)، لَا بِمَعْنَى (مَحْفُوظٍ).

قوله: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾ إِمَّا بَدَلٌ مِنْ (كُلِّ)، أَوْ مُسْتَأْنَفٌ خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ.

قوله: (خافه ولم يره) أشارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ، وَالْمَعْنَى: خَشِيَهُ
وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ غَائِبٌ عَنْهُ؛ أَي: مُحْتَجِبٌ بِصِفَةِ جَلَالِهِ وَكِبَرِيَّاتِهِ، وَيَصَحُّ أَنْ يَكُونَ حَالاً مِنَ الْفَاعِلِ،
وَالْمَعْنَى: خَشِيَ الرَّحْمَنَ وَالْحَالُ أَنَّ الشَّخْصَ غَائِبٌ عَنِ اللَّهِ؛ أَي: مُحْجُوبٌ عَنْهُ.

قوله: (أي: سالمين من كل مخوف) أشارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿بِسَلَامٍ﴾ حَالٌ مِنَ فَاعِلِ
﴿ادْخُلُوهَا﴾، وَهِيَ حَالٌ مُقَارَنَةٌ.

ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْإِلْدِ هَلْ مِنْ مَحِصٍ ﴿٣٦﴾

أو مع سلام، أي: سَلِّمُوا وادْخُلُوا، ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حَصَلَ فِيهِ الدُّخُولُ ﴿يَوْمَ الْخُلُودِ﴾: الدَّوَامُ فِي الْجَنَّةِ، ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾: زيادةٌ على ما عَمِلُوا وَطَلَّبُوا.

(﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أَهْلَكْنَا قَبْلَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ قُرُونًا كَثِيرَةً مِنَ الْكُفَّارِ، ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾: قُوَّةٌ، ﴿فَنَقَّبُوا﴾: فَتَشَّوْا ﴿فِي الْإِلْدِ هَلْ مِنْ مَحِصٍ﴾ حاشية الصاوي

قوله: (أو: مع سلام) أي: أَنَّ دُخُولَهُمْ مَصْحُوبٌ بِالسَّلَامِ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، أَوْ مِنْ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَحِينَئِذٍ فَالْمَعْنَى: ادْخُلُوهَا مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم الذي حَصَلَ فِيهِ الدُّخُولُ... إلخ) فائدةُ هذا القول: بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، وَطُمَآنِينَةٌ لِقُلُوبِهِمْ.

قوله: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ أي: مَا يَشْتَهُونَهُ وَيُرِيدُونَهُ يَجْعَلُ لَهُمْ عَاجِلًا، وَقوله: ﴿فِيهَا﴾ إمَّا متعلق بـ﴿يَشَاءُونَ﴾، أَوْ حَالٌ مِنْ ﴿مَا﴾.

قوله: (زيادة على ما عَمِلُوا وَطَلَّبُوا) أي: وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ؛ لِمَا قِيلَ: (يَتَجَلَّى اللَّهُ لَهُمُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ جُمُعَةٍ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ)^(١)، فَهَذَا هُوَ الْمَزِيدُ، وَقِيلَ: إِنَّ السَّحَابَةَ تَمُرُّ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَتُمْطِرُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ، فَيَقْلَنَ: نَحْنُ الْمَزِيدُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(٢).

قوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾... إلخ) (كم): خَبَرِيَّةٌ مَعْمُولَةٌ لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، وَ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾: تَمْيِيزٌ لـ(كم)، وَقوله: ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ، وَالْجُمْلَةُ صِفَةٌ إمَّا لـ(كم)، أَوْ لـ﴿قَرْنٍ﴾، وَ﴿بَطْشًا﴾: تَمْيِيزٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّنَا أَهْلَكْنَا قُرُونًا كَثِيرَةً أَشَدَّ بَأْسًا وَبَطْشًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَفَتَشَّوْا فِي الْبِلَادِ عِنْدَ نَزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ، فَلَمْ يَجِدُوا مَخْلَصًا.

قوله: ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْإِلْدِ﴾ أي: سَارُوا فِيهَا طَالِبِينَ الْهَرَبِ.

(١) رواه البزار في «مسنده» (٧٥٢٨) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير أبي السعود» (١٣٣/٨).

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ

لَهُمْ أَوْ لغيرِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ فَلَمْ يَجِدُوا. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿لَذِكْرَى﴾: لَعِظَةٌ ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾: عَقْلٌ ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: اسْتَمَعَ الْوَعْظَ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حَاضِرُ الْقَلْبِ. ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿أَوَّلُهَا الْأَحَدُ وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ،﴾

حاشية الصاوي

قوله: (لهم أو لغيرهم) هذا يقتضي أنَّ جملة ﴿هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ استثنائية، من كلامه تعالى، وحينئذٍ فالوقف على قوله: ﴿فِي الْبَلَدِ﴾، ويكون في الكلام حذف، والتقدير: ففتشوا في البلاد هارين فلم يجدوا مخلصاً، فهل من فرارٍ لهم؟ وقيل: إنها من كلامهم، والتقدير: قائلين: هل من مَّحِيصٍ لنا؟

قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور) أي: من أولِ السورة إلى هنا.

قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾) أو: مانعةٌ خلَوْ تُجَوِّزُ الجمع، وهو المطلوب؛ فَإِنَّ الموعظة لا تُفيد ولا ينتفع بها صاحبها إلا إذا كان ذا عقل، وأصغى بِسمعِهِ، وأحضر قلبه، فإن لم يكن كذلك.. فلا يَنْتَفِعُ بها.

قوله: (استمع الوعظ) أي: بكليته حتى كأنه يلقى شيئاً من علو إلى سفلى.

قوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾) الجملة حالية؛ أي: ألقى السمع والحال أنه حاضر القلب غير مشغول بشيءٍ غير ما هو فيه.

وحضور القلب على مراتب: مرتبة العامة: أن يشهد الأوامر والنواهي من القارئ.

ومرتبة الخاصة: أن يُشاهد الشخص منهم أنه في حضرة الله تعالى؛ يأمره وينهاه.

ومرتبة خاصّة الخاصة: أن يفنوا عن حُسْنِهِمْ، ويشاهدون أنَّ القارئ هو الله، وإنما لسانه

ترجمانٌ عن الله تعالى.

قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾) أي: تعليماً لعباده التَّمَهْل والتَّأْنِي في الأمور، وإلا.. فلو شاء لخلق

الكلَّ في أقلَّ من لَمَحِ البصر.

وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ

﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾: تَعَبٌ، نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَرَّاحَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَانْتِفَاءُ التَّعَبِ عَنْهُ لِتَنْزُهِهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَلِعَدَمِ الْمُمَاسَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿٣٩﴾ - ﴿فَأَصْبِرْ﴾ - خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ - ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي: الْيَهُودُ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّشْبِيهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿(مِنْ لُغُوبٍ)﴾: زائدة في الفاعل، واللغوب: مصدر (لَغَبَ) - من باب: (دخل) و(تعَب) -: الإعياء والتعب. والعامَّة على ضمِّ اللام، وقرئ شذوذاً بفتحها^(١)، والجملة إمَّا حَالِيَّةٌ، أَوْ مُسْتَأْنَفَةٌ.

قوله: (نَزَلَ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ... إلخ) أي: فَقَالُوا: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ: أَوَّلَهَا الْأَحَدُ، وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ، ثُمَّ اسْتَرَّاحَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَاسْتَلْقَى عَلَى الْعَرْشِ؛ فَلِذَلِكَ تَرَكُوا الْعَمَلَ فِيهِ، فَتَزَلَّتْ رَدًّا عَلَيْهِمْ وَتَكْذِيبًا لَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ: اسْتَرَّاحَ يَوْمَ السَّبْتِ بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٢).

قوله: (ولعدم المُماسَّة بينه وبين غيره) أي: من الموجودات التي يُوجِدُهَا، والتعب والإعياء إنما يحصل من العلاج، ومُماسَّةُ الفاعل لمفعوله؛ كالنجار والحدَّاد وغير ذلك، وهذا إنما يكون في أفعال المخلوقين.

قوله: ﴿(إِنَّمَا أَمْرُهُ)﴾ أي: شأنه.

قوله: ﴿(إِذَا أَرَادَ شَيْئًا)﴾ أي: إيجَادَ شَيْءٍ، أَوْ إِعْدَامَهُ.

قوله: ﴿(أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)﴾ أي: من غير فعلٍ ولا مُعالِجَةٍ عَمَلٍ، وهذا على حَسَبِ التَّقَرُّبِ لِلْعُقُولِ، وَإِلَّا... ففي الحقيقة: لا قولٌ ولا كافٌ ولا نونٌ.

قوله: (من التشبيه) أي: تشبيه الله بغيره؛ إِذْ نَسَبُوا لَهُ الْإِعْيَاءَ وَالِاسْتِرَّاحَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ كُفْرِيَّاتِهِمْ.

(١) وهي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي وظلحة؛ كما في «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها» لابن جني (٢/ ٢٨٥).

(٢) انظر «زاد المسير» (٤/ ١٦٥).

وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ
السُّجُودِ ﴿٤٠﴾

والتَّكْذِيبِ، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: صَلِّ حَامِداً ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ أي: صَلَاةِ الصُّبْحِ،
﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ أي: صَلَاةِ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ.

﴿٤٠﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صَلِّ الْعِشَاءَيْنِ ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ - بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ جَمْعَ
(دُبْر) - وَكَسْرِهَا: مَصْدَرٌ (أَدْبَرَ) - أي: صَلِّ النَّوَافِلَ الْمَسْنُونَةَ عَقِبَ الْفَرَائِضِ، وَقِيلَ:
الْمُرَادُ حَقِيقَةُ التَّسْبِيحِ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ مُلَابِساً لِلْحَمْدِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾... إلخ) حيث لم يَهْتَدُوا ولم يَتَّبِعُوا، فاشتغل بعبادة ربك،
ولا تتركها حزناً على عدم إيمانهم، وذلك أَنَّ الله تعالى أمره بشيئين: هداية الخلق، وعبادة ربه،
فحيث فاتته هدايتهم... فلا يترك العبادة؛ لأنه ليس مأموراً بجهادهم حيثئذ.

قوله: (صَلِّ حَامِداً) أشار بذلك إلى أَنَّ (سَبَّحَ) معناه: صَلِّ؛ إمَّا مجازاً من: إطلاق الجزء على
الكل، أو حقيقة؛ لأنَّ من جملة معاني الصلاة التسبيح؛ لِمَا وردَ عن عائشة: (كنت أصلي سبحة
الضحى... إلخ) ^(١).

قوله: (بفتح الهمزة جمع «دُبْر») أي: أعقاب الصلاة، من: أدبرت الصلاة: إذا انقضت.

قوله: (ويكسرهما مصدر «أدبر» ^(٢)) أي: والمعنى: وقت إدبار الصلاة؛ أي: انقضائها وتماؤها،
والقراءتان سبعيتان ^(٣).

قوله: (وقيل: المراد حقيقة التسبيح) أي: لِمَا وردَ: «مَنْ سَبَّحَ دُبْرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَحَمْدَ اللَّهِ
ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ، فَذَلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَتَمَامُ الْمِئَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» ^(٤).

(١) روى البخاري (١١٧٧)، ومسلم (٧١٨) عنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَبَّحَ سَبْحَةَ الضُّحَى»، وَإِنِّي
لَأُسَبِّحُهَا.

(٢) فِي الْأَصُولِ: (دَبَّرَ)، وَهُوَ مِنْ بَابِ (دَخَلَ) كَمَا فِي «الْمَصْبَاحِ»، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ «الْفَتْوحَاتِ» (٢٠٦/٤).

(٣) قَرَأَ نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٌ وَحُمَزَةُ: (إِدْبَارَ) بِكسر الهمزة، عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ قَامَ مَقَامَ ظَرْفِ الزَّمَانِ؛ كَقَوْلِهِمْ: (آتَيْكَ خُفُوقَ
النَّجْمِ وَخِلَافَةَ الْحِجَابِ)، وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ جَمْعَ (دُبْرَ). انظر «الدر المصون» (٣٥/١٠).

(٤) رواه مسلم (٥٣٧) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾

﴿٤١﴾ ﴿وَأَسْمِعْ﴾ يا مُخَاطَبُ مَقُولِي ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ هو إِسْرَافِيلُ ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ مِنَ السَّمَاءِ وَهُوَ صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَقْرَبَ مَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، يَقُولُ: أَيُّهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطَّعَةُ وَاللُّحُومُ الْمُتَمَرِّقَةُ وَالشُّعُورُ الْمُتَفَرِّقَةُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.

﴿٤٢﴾ - ﴿يَوْمَ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ﴾ قَبْلَهُ - ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أَيُّ: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ﴿الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾: بِالْبَعْثِ وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ إِسْرَافِيلَ، وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ قَبْلَ نِدَائِهِ وَبَعْدَهُ، ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُّ: يَوْمُ النِّدَاءِ وَالسَّمَاعِ ﴿يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾ مِنَ الْقُبُورِ. - وَنَاصِبُ ﴿يَوْمَ﴾ (يُنَادِي)

حاشية الصاوي

قوله: (مَقُولِي) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَفْعُولَ (اسْمِعْ) مَحْذُوفٌ؛ أَيُّ: اسْمِعْ مَا أَقُولُ لَكَ فِي شَأْنِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مَبْنِيٌّ لِلْمَقُولِ الْمَحْذُوفِ.

قوله: ﴿يَوْمَ يُنَادِ﴾ الْوَقْفُ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْيَاءِ أَوْ بِدُونِهَا، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ، وَ﴿الْمُنَادِ﴾ إِمَّا بِالْيَاءِ وَصَلًا وَوَقْفًا، أَوْ بِإِثْبَاتِهَا وَصَلًا لَا وَقْفًا، أَوْ بِحَذْفِهَا وَصَلًا وَوَقْفًا، ثَلَاثُ قَرَأَاتٍ^(١).

قوله: (هُوَ إِسْرَافِيلُ) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: الْمُنَادِي جِبْرِيلُ، وَالنَّافِخُ إِسْرَافِيلُ.

قوله: (أَقْرَبَ مَوْضِعٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ) أَيُّ: بِاثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا.

قوله: (وَالْأَوْصَالُ) أَيُّ: الْعُرُوقُ.

قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ حَالٌ مِنَ الْوَاوِ؛ أَيُّ: يَسْمَعُونَ مُلْتَبِسِينَ بِالْحَقِّ، أَوْ مِنْ ﴿الصَّيْحَةَ﴾ أَيُّ: مُلْتَبِسَةً بِالْحَقِّ، وَعِبَارَةُ الْمَفْسَّرِ تَقْتَضِي أَنَّ الْبَاءَ لِلتَّعْدِيَةِ^(٢).

قوله: (وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ قَبْلَ نِدَائِهِ أَوْ بَعْدَهُ) هَذَا يَقْتَضِي أَنَّهَا غَيْرُ النِّدَاءِ الْمَذْكُورِ، مَعَ أَنَّ النِّدَاءَ

(١) وَقَفَ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى (يُنَادِي) بِالْيَاءِ، وَالْبَاقُونَ دُونَهَا، وَوَجْهُ إِثْبَاتِهَا: أَنَّهُ لَا مُقْتَضِيَّ لِحَذْفِهَا، وَوَجْهٌ حَذْفُهَا وَقْفًا: اتِّبَاعُ الرَّسْمِ، وَكَأَنَّ الْوَقْفَ مَحَلَّ تَخْفِيفٍ. وَأَمَّا «الْمُنَادِي» فَأَثْبَتَ ابْنُ كَثِيرٍ أَيْضًا يَاءَهُ وَصَلًا وَوَقْفًا، وَنَافِعٌ وَأَبُو عَمْرٍو بِإِثْبَاتِهَا وَصَلًا وَحَذْفُهَا وَقْفًا، وَبَاقِي السَّبْعَةِ بِحَذْفِهَا وَصَلًا وَوَقْفًا؛ فَمَنْ أَثْبَتَ فَلَأَنَّهُ الْأَصْلَ، وَمَنْ حَذَفَ فَلَاتَّبَاعُ الرَّسْمِ، وَمَنْ خَصَّ الْوَقْفَ بِالْحَذْفِ فَلَأَنَّهُ مَحَلُّ رَاحَةٍ وَمَحَلُّ تَغْيِيرٍ. انْظُرْ «الدَّرُ الْمَصُون» (٣٦/١٠).

(٢) حَيْثُ فُسِّرَ (الْحَقُّ) بِالْبَعْثِ) أَيُّ: يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ وَالصَّرْخَةَ بِالْبَعْثِ؛ كَمَا تَقُولُ: صَاحَ بِكَذَا. «فَتْوحَات» (٢٠٧/٤) نَقْلًا عَنِ الْعِلْمِ الْأَجْهَوِيِّ.

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ

مُقَدَّرًا - أي: يَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ. ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

﴿٤٤﴾ - ﴿يَوْمَ﴾ - بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمَ﴾ قَبْلَهُ، وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ - ﴿تَشَقُّقُ﴾ - بِتَخْفِيفِ الشَّيْنِ وَتَشْدِيدِهَا، بِإِدْغَامِ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِيهَا - ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾: جَمْعُ (سَرِيعٍ) - حَالٌ مِنْ مُقَدَّرٍ - أي: فَيَخْرُجُونَ مُسْرِعِينَ، ﴿ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ - فِيهِ فَصْلٌ بَيْنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةِ بِمُتَعَلِّقِهَا لِلَاخْتِصَاصِ، وَهُوَ لَا يَضُرُّ - وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَعْنَى الْحَشْرِ الْمُخْبِرِ بِهِ عَنْهُ وَهُوَ الْإِحْيَاءُ بَعْدَ الْفَنَاءِ، وَالْجَمْعُ لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ.

﴿٤٥﴾ ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كُفَّارُ قُرَيْشٍ ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾: تُجْبِرُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ،

حاشية الصاوي

المذكور هو ما يُسمع من النفخة، فهذا الصنيع غير مُستقيم إلا على القول بأن المنادي جبريل، والنافخ إسرافيل.

قوله: (أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم) بيان للناصب المقدر، ولو قدره بِلصقه لكان أولى.

قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: في الدنيا، وقوله: ﴿وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ أي: في الآخرة.

قوله: (بينهما) أي: وهو قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾.

قوله: (بتخفيف الشين... إلخ) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (حال من مقدر) أي: ويصح أن يكون حالاً من ضمير ﴿عَنْهُمْ﴾.

قوله: (للاختصاص) أي: والحصص، والمعنى: لا يَتَسَرَّ ذلك إلا على الله وحده.

قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ فيه تسليّة له ﷺ.

قوله: ﴿يَجْبَارُ﴾ صيغة مبالغة من (جَبَرَ) الثلاثي، ويقال أيضاً: (أَجْبَرَ) رُبَاعِيًّا، فهما لُغَتَانِ فِيهِ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) أي: فهو منسوخ.

(١) قرأ نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين، والباقون بالتخفيف. انظر «السراج المنير» (٩٣/٤).

فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ يُرسم بدون ياء، وفي اللفظ يُقرأ بإثباتها وصلّاً لا وقفاً، ويحذفها وصلّاً ووقفاً، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (وهم المؤمنون) خَصَّهم؛ لأنهم المنتفعون به، ويُؤخذ من الآية: أنه ينبغي للشخص ألاَّ يَعِظَ إلاَّ مَنْ يسمع وعظه وَيَقْبَلُهُ.



(١) قرأ ورش بإثبات الياء بعد الدال وصلّاً لا وقفاً، وحذفها الباقون وصلّاً ووقفاً. انظر المرجع السابق.

﴿وَالذَّارِيَّتِ ذَرَوًا ۝١﴾ فَالْحَمِلَتِ ۝٢﴿وَقَرًا ۝٣﴾



مَكِّيَّة، سِتُّون آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿وَالذَّارِيَّتِ﴾: الرِّيحُ تَذَرُو الثَّرَابَ وَغَيْرَهُ، ﴿ذَرَوًا﴾ - مَصْدَرٌ، وَيُقَالُ: تَذَرِيهِ ذَرِيًّا: تَهْبُّ بِهِ - ﴿فَالْحَمِلَتِ﴾: السُّحْبُ تَحْمِلُ الْمَاءَ ﴿وَقَرًا﴾: ثِقْلًا - مَفْعُولٌ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ

وفي بعض النسخ: (والذاريات) بالواو.

قوله: ﴿وَالذَّارِيَّتِ﴾ الواو: للقسَمِ، و(الذاريات): مُقْسَمٌ بِهِ، و(الحاملات): عطف عليه، و(الجاريات) عطف على (الحاملات)، و(المقسمات): عطف على (الجاريات)، والمقسم عليه هو قوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾. وإنما أقسم بهذه الأشياء؛ تعظيماً لها، ولكونها دلائل على قدرة الله، ويصح أن يكون الكلام على حذف مضاف؛ أي: ورب هذه الأشياء، فالقسم بالله، لا بتلك الأشياء.

قوله: (تذرو الثراب) أي: ففعله واوي؛ من باب (عدا)، وأشار به إلى أن مفعول (الذاريات) محذوف.

قوله: (مصدر) أي: مؤكَّد، وناصبه اسم الفاعل.

قوله: (ويقال: تَذَرِيهِ) أي: ففعله يائي؛ من باب (رمى).

قوله: (تهبُّ به) راجع لكل من الواوي واليائي.

قوله: ﴿وَقَرًا﴾ الوقْرُ والثقلُ والحملُ كُلُّهَا أَلْفَاظٌ مَتَّحِدَةٌ الْوِزْنُ وَالْمَعْنَى.

قوله: (مفعول «الحاملات») أي: مفعول به لـ(الحاملات).

فَالْجَرِيَتْ يُسْرًا ﴿٤﴾ فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾

(الحامِلات) -، ﴿فَالْجَرِيَتْ﴾: السُّفُنُ تَجْرِي عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ﴿يُسْرًا﴾ بِسُهُولَةٍ - مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ - أَي: مُيسَّرَةٌ، ﴿فَالْمَقْسَمَتِ أَمْرًا﴾: الْمَلَائِكَةُ تُقَسِّمُ الْأَرْزَاقَ وَالْأَمْطَارَ وَغَيْرَهَا بَيْنَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

(٥ - ٦) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ - (ما) مَصْدَرِيَّةٌ - أَي: إِنَّ وَعْدَهُمْ بِالْبَعْثِ وَغَيْرِهِ ﴿لَصَادِقٌ﴾: لَوْعٌ صَادِقٌ، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعٌ﴾: الْجَزَاءُ بَعْدَ الْحِسَابِ ﴿لَوْعٌ﴾ لَا مَحَالَةَ.

(٧ - ٩) ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: جَمْعُ (حَبِيكَةٍ) كـ (طَرِيقَةٍ وَطُرُقٍ)، أَي: صَاحِبَةُ الطُّرُقِ فِي الْخِلْقَةِ كَالطُّرُقِ فِي الرَّمْلِ،

حاشية الصاوي

قوله: (الملائكة تُقسم الأرزاق... إلخ) أي: ورؤساء ذلك أربعة: جبريل وهو صاحب الوحي إلى الأنبياء، وميكائيل صاحب الرزق، وإسرافيل صاحب الصور، وعزرائيل صاحب قبض الأرواح. وما مشى عليه المفسر في تفسير هذه الأشياء هو المشهور، وقيل: هذه الأوصاف الأربعة للرياح؛ لأنها تثير السحاب، ثم تحمله وتنقله، ثم تجري به جرياً سهلاً، ثم تُقسم الأمطار بتصرف السحاب.

قوله: ﴿أَمْرًا﴾ إمَّا مفعولٌ به، أو حالٌ؛ أي: مأمورة، وعليه: فيحتاج إلى حذف مفعول (المقسمات).

قوله: (أي: إنَّ وعدهم) صوابه بكاف الخطاب.

قوله: ﴿لَوْعٌ﴾ أي: حاصل.

قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ بضمَّتَيْنِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ، وَقُرِئَ بوزن (إِيلِ)، و(سِيلِكِ)، و(جَبَلِ)، و(نَعَمِ)، و(بُرْقِ) ^(١).

قوله: (في الخلقة) أشار به إلى أنَّ المراد بها: الطرقُ المحسوسةُ التي هي مَسِيرُ الْكَوَاكِبِ، وَيَصَحُّ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا: الطُّرُقُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِلنَّازِلِينَ الَّذِينَ يَسْتَدُلُّونَ بِهَا عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) وبقيت قراءة سادسة بوزن (قُفْل) بضم فسكون، وتُروى عن ابن عباس وأبي عمرو. وانظر «الدر المصون» (١٠/٤٢)،

و«حواشي شيخ زاده على البيضاوي» (٤/٢٩٥).

إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ ﴿٨﴾ يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَن أُوَفِّكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْخَرَّصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرٍ
سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٢﴾

﴿إِنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة في شأن النبي ﷺ والقرآن ﴿لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ﴾ قيل: شاعر ساجر كاهن،
شعر سحر كهانة، ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ﴾: يُصْرِفُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ والقرآن أي: عن الإيمان به
﴿مَنْ أُوَفِّكَ﴾: صُرفَ عن الهداية في علم الله تعالى.

(١٠ - ١٤) ﴿قُلِ الْخَرَّصُونَ﴾: لُعِنَ الكَذَّابُونَ أصحابُ القول المُتَخَلِّفِ، ﴿الَّذِينَ هُمْ
فِي غَمْرٍ﴾: جَهْلٍ يَغْمُرُهُمْ ﴿سَاهُونَ﴾: غَافِلُونَ عن أمر الآخرة، ﴿يَسْتَلُونَ﴾ النبي استيفاهم
استهزاء: ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: متى مَجِيئُهُ؟ وجوابهم: يَجِيءُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُتَخَلِّفٍ﴾ جواب القسم.

قوله: (قيل: شاعر... إلخ) المناسب أن يقول: (قلتم).

قوله: (عن النبي والقرآن) أي: فالضمير عائذ على أحدهما، وفيه تسلية للنبي ﷺ؛ أي: فما من
عبد كفر بك إلا لسابق كفره أولاً، ويصح أن يكون الضمير عائذاً على القول المذكور، والمعنى:
يُصْرِفُ عن هذا القول المختلف مَنْ صُرفَ عنه، وهو مَنْ أراد الله هدايته كالمؤمنين.

قوله: ﴿قُلِ الْخَرَّصُونَ﴾ هذا التركيب في الأصل مُستعملٌ في القتل حقيقة، ثم استعمل في اللعن
على سبيل الاستعارة؛ حيث شبه من فاتته السعادة بالمقتول الذي فاتته الحياة، وطوى ذكر المشبه،
ورمز له بشيء من لوازمه وهو القتل، فإثباته تخيل^(١).

قوله: ﴿يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ ﴿أَيَّانَ﴾: خبرٌ مُقدَّم، و﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: مبتدأ مؤخر.

قوله: (أي: متى مَجِيئُهُ) جوابٌ عن سؤال مُقدَّر، تقديره: إنَّ الزمان لا يُخْبِرُ به عن الزمان،
ولأنما يخبر به عن الحدث، فأجاب بأنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: (وجوابهم) أي: جواب سؤالهم، وإنما أجيَّبوا بما لا يقين فيه؛ لأنهم مُستهزئون
لا متعلِّمون.

(١) وفي «القاموس» ما يقتضي أنَّ (قتل) يأتي بمعنى (لعن)، ونصه: (و﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾: لُعِنَ، و﴿قَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾: لَعَنَهُمْ). «فتوحات» (٢٠٩/٤).

يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَانَهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ أي: يُعَذَّبُونَ فِيهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ حِينَ التَّعْذِيبِ: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾: تَعْذِيبُكُمْ ﴿هَذَا﴾ التَّعْذِيبِ ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا اسْتِهْزَاءً.

(١٥ - ١٩) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بَسَاتِينَ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجْرِي فِيهَا، ﴿ءَاخِذِينَ﴾ - حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَبَرٍ ﴿إِنَّ﴾ - ﴿مَا ءَانَهُمْ﴾: أَعْطَاهُمْ ﴿رَبُّهُمْ﴾ مِنَ الثَّوَابِ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: قَبْلَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةِ ﴿مُحْسِنِينَ﴾ فِي الدُّنْيَا، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾: يَنَامُونَ، وَ(مَا) زَائِدَةٌ - وَ﴿يَهْجَعُونَ﴾ خَبَرٌ (كَانَ)، وَ﴿قَلِيلًا﴾ ظَرْفٌ - أي: يَنَامُونَ فِي زَمَنِ يَسِيرٍ مِنَ اللَّيْلِ وَيُصَلُّونَ أَكْثَرَهُ، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ﴾ عَذَابُهُ (على)؛ لِيَتَضَمَّنَهُ مَعْنَى (يُعْرَضُونَ).

قوله: ﴿هَذَا﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾: خبره.

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾... إلخ) لما بيّن حال الكفار وما أعدّ لهم في الآخرة.. أَخَذَ يُبَيِّنُ أَحْوَالَ الْمُتَّقِينَ وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ.

قوله: (تَجْرِي فِيهَا) جوابٌ عمّا يُقَالُ: إِنَّ الْمُتَّقِينَ لَمْ يَكُونُوا فِي الْعُيُونِ؛ فَكَيْفَ قَالَ: ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾؟ فَأَجَابَ بِأَنَّ الْمُرَادَ: أَنَّ الْعُيُونَ تَجْرِي فِي الْجَنَّةِ، وَتَكُونُ فِي جِهَاتِهِمْ وَأَمَكِيَّتِهِمْ.

قوله: (حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي خَبَرٍ ﴿إِنَّ﴾) أي: كَانُوا فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ حَالِ كَوْنِهِمْ أَخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ؛ أي: رَاضِينَ بِهِ.

قوله: (من الثواب) بيانٌ لـ(ما).

قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾... إلخ) تَفْسِيرٌ لِلْإِحْسَانِ.

قوله: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ﴾ متعلّقٌ بـ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الْمَعْطُوفِ عَلَى ﴿يَهْجَعُونَ﴾، وَالْبَاءُ بِمَعْنَى (فِي)، وَالْأَسْحَارُ: جَمْعُ (سَحَرٍ)، وَهُوَ سُدُسُ اللَّيْلِ الْآخِرِ.

قوله: (يقولون: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا) أي: تَقْصِيرَنَا فِي حَقِّكَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ حَقَّ قَدْرِكَ.

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ الَّذِي لَا يَسْأَلُ لِنَعْفِهِ.

(﴿٢٠﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿وَفِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالشَّجَارِ وَالنَّبَاتِ وَغَيْرِهَا
﴿آيَاتٌ﴾: دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ
آيَاتٌ أَيْضاً مِنْ مَبْدَأِ خَلْقِكُمْ إِلَى مُنْتَهَاهُ وَمَا فِي تَرْكِيبِ خَلْقِكُمْ مِنَ الْعَجَائِبِ، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾
ذَلِكَ فَتَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى صَانِعِهِ وَقُدْرَتِهِ؟ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أَي: الْمَطَرُ الْمُسَبَّبُ عَنْهُ النَّبَاتُ
الَّذِي هُوَ رِزْقٌ، ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ مِنَ الْمَاءِ وَالْثَوَابِ وَالْعِقَابِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾﴾ أَي: بِمَقْتَضَى كَرَمِهِمْ جَعَلُوهُ كَالوَاجِبِ عَلَيْهِمْ؛ لِصِلَةِ الْأَرْحَامِ
وَمَوَاسَاةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَذَلُّوا نَفُوسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

قوله: (لِنَعْفِهِ) أَي: فَيُظَنُّ غَنِيًّا فَيُحْرَمُ الصَّدَقَةُ، وَهَذَا عَلَى حَدِّ تَفْسِيرِ ﴿الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ﴾ [الحج: ٣٦].

قوله: ﴿﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾﴾... إلخ) الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، وَ﴿آيَاتٌ﴾: مَبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ،

وَقَوْلُهُ: ﴿﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾﴾ خَبَرٌ حُذِفَ مُبْتَدِئُهُ؛ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ قُصِدَ بِهِ الْإِسْتِدْلَالُ
عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى دَلِيلَيْنِ: الْأَرْضُ، وَالْأَنْفُسُ.

قوله: (من الجبال... إلخ) بَيَانٌ لِلْأَرْضِ؛ فَالْمُرَادُ بِهَا: مَا قَابِلُ السَّمَاءِ.

قوله: (دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى... إلخ) أَي: وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ الْكَمَالِيَّةِ.

قوله: (من مَبْدَأِ خَلْقِكُمْ إِلَى مُنْتَهَاهُ) أَي: كَالْأَطْوَارِ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ...﴾ [المؤمنون: ١٢] إلخ.

قوله: (وما في تَرْكِيبِ خَلْقِكُمْ... إلخ) أَي: كَحُسْنِ الْقَامَةِ، وَحُسْنِ الشَّكْلِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

قوله: ﴿﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾﴾ جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ، قُصِدَ بِهَا الْحُثُّ عَلَى النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ.

قوله: ﴿﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾﴾ كَلَامٌ آخَرٌ، قُصِدَ بِهِ الْاِمْتِنَانُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ.

قوله: (أَي: الْمَطَرُ الْمُسَبَّبُ عَنْهُ النَّبَاتُ) أَي: فَالْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالتَّقْدِيرُ:

وَفِي السَّمَاءِ سَبَبُ رِزْقِكُمْ.

قوله: ﴿﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾﴾ عَطْفٌ عَامٌ.

فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

أي: مَكْتُوبٌ ذلك في السَّمَاءِ.

﴿٢٣﴾ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما تُوعِدُونَ ﴿لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ - بِرَفْعِ ﴿مِثْلَ﴾ صِفَةً و﴿مَا﴾ مَزِيدَةٌ، وَبِفَتْحِ اللَّامِ مُرَكَّبَةٌ مَعَ ﴿مَا﴾ -، الْمَعْنَى: مِثْلَ نُطْقِكُمْ فِي حَقِيقَتِهِ أَي: مَعْلُومِيَّتِهِ عِنْدَكُمْ ضَرُورَةٌ صُدُورِهِ عَنْكُمْ.

حاشية الصاوي

قوله: (أي: مكتوب ذلك) أي: ما تُوعِدُونَ، فهو تفسيرٌ لظرفية ما تُوعِدُونَ في السماء، وأما ظرفية الرزق فيها.. فظاهرة؛ إذ المطرُ فيها حقيقة، والمعنى: أن جميع ما تُوعِدُونَ به من خيرٍ وشرٍّ مكتوبٌ في السماء، تنزل به الملائكة الموكلون بتدبير العالم على طبق ما أمروا به.

قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾... إلخ هذا قَسَمٌ من الله تعالى على ما ذكره من الرزق وغيره، وأنه مثل النطق في كونه حَقًّا لا يُفَارِقُ الشَّخْصَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

قوله: (أي: ما تُوعِدُونَ) أي: ورزقكم أيضاً.

قوله: (برفع «مثل» صفة) أي: لـ (حقٌّ) ^(١).

قوله: (وبفتح اللام) أي: والقراءتان سبعين ^(٢).

قوله: (مركبة مع «ما») أي: حال كونها مركبة مع (ما) تركيب مزج كـ (كُلَّمَا) و(طَالَمَا)، فيقال في إعرابها: ﴿مِثْلَ مَا﴾: صفة لـ (حقٌّ) مبني على السكون في محل رفع، و﴿مِثْلَ مَا﴾: مضاف، وجملة ﴿أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ مضاف إليه في محل جر.

قوله: (المعنى) أي: معنى القراءتين.

قوله: (مثل نُطْقِكُمْ فِي حَقِيقَتِهِ) أي: فكما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي لكم ألا تشكوا في حقيقته.

حكى: أَنَّ رجلاً جاع بمكان وليس فيه شيء، فقال: اللَّهُمَّ؛ رزقك الذي وعدتني فأنتني به، فَشَبِعَ وَرَوِيَ من غير طعام ولا شراب.

(١) أو خبر ثانٍ مُسْتَقِلٌّ كَالأول، أو إنه مع ما قبله خبرٌ واحد نحو: هذا حلٌّ حامضٌ، نقلهما أبو البقاء، و(ما) مزيدة على الأوجه الثلاثة. انظر «الدر المصون» (٤٧/١٠).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وشعبة برفع اللام، والباقون بالنصب. انظر «السراج المنير» (٩٨/٤).

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾

(﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾) ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ - خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ - ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ وَهُمْ مَلَائِكَةٌ اثْنَا عَشَرَ أَوْ عَشْرَةٌ أَوْ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ جَبْرِيلُ، ﴿إِذْ﴾ - ظَرْفٌ لـ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ﴾ - ﴿دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أَي: هَذَا اللَّفْظُ، ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ أَي: هَذَا اللَّفْظُ، ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لَا نَعْرِفُهُمْ، قَالَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ، - وَهُوَ خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مُقَدَّرٌ أَي: هَؤُلَاءِ -.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿هَلْ أَتَاكَ﴾... إلخ﴾ استفهامٌ تشويقيٌّ وتفخيميٌّ لِشأن تلك القصة، وقيل: إِنَّ (هل) بمعنى (قد)؛ كما في قوله تعالى: ﴿﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾﴾ [الإنسان: ١].

قوله: ﴿﴿ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾﴾ الضيفُ في الأصل: مصدر (ضاف)؛ ولذلك يُطلق على الواحد والجماعة.

قوله: ﴿﴿الْمُكْرَمِينَ﴾﴾ أي: المعظمين.

قوله: (منهم جبريل) أي: على جميع الأقوال.

قوله: (ظرفٌ لـ ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ﴾) هذا أحدُ أوجهٍ في عاملِ الظرف، الثاني: أنه منصوب بما في ﴿﴿ضَيْفِ﴾﴾ من معنى الفعل؛ لِكَونه في الأصل مصدرًا، الثالث: أنه منصوبٌ بـ ﴿﴿الْمُكْرَمِينَ﴾﴾^(١)، الرابع: أنه منصوب بفعل محذوف، تقديره: اذكر، ولا يصح نصبه بـ ﴿﴿أَتَاكَ﴾﴾؛ لاختلاف الزمانين.

قوله: ﴿﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾﴾ أي: نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سلامًا، وقوله: ﴿﴿قَالَ سَلَامٌ﴾﴾ أي: عليكم سلام، وعدل إلى الرفع؛ قصدًا للثبات، فتحيةً أحسنُ من تحيتهم.

قوله: ﴿﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾﴾ أي: لا نعرف من أيِّ بلدة قدموا، وفي (هود): ﴿﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾﴾ [هود: ٧٠]، فمقتضاه: أَنَّ إنكارهم إنما حصل بعد مجيئه لهم بالعجل وامتناعهم من الأكل، ومقتضى ما هنا: أنه قبل ذلك، وحاصل الجمع بين الموضعين: أَنَّ الإنكار هنا غيرُهُ فيما تقدَّم؛ فما هنا محمولٌ على عدم العلم بأنهم من أيِّ جهة، وما تقدَّم محمولٌ على عدم العلم بأنهم دخلوا عليه لِقصد الخير أو الشر.

(١) أي: إن أريد بإكرامهم أَنَّ إبراهيم عليه السلام أكرمهم بخدمته لهم.

فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ

(٢٦ - ٢٨) ﴿فَرَاغَ﴾: مَالَ ﴿إِلَيْكَ أَهْلِيهِ﴾ سِرًّا، ﴿فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ﴾ وفي سُورَةِ (هُود): ﴿بِعَجَلٍ حَنِيدٍ﴾ [هود: ٦٩] أي: مَشْوِيٍّ، ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْأَكْلَ فَلَمْ يُجِيبُوا، ﴿فَأَوْحَسَ﴾: أَضْمَرَ فِي نَفْسِهِ ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾: ذِي عِلْمٍ كَثِيرٍ، وَهُوَ إِسْحَاقُ كَمَا ذَكَرَ فِي (هُود).

(٢٩ - ٣٠) ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ﴾ سَارَّةٌ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ﴾ أي: خَدَمِهِ، وَكَانَ عَامَّةً مَالِهِ الْبَقَرِ.

قوله: (سِرًّا) أي: فِي خُفْيَةٍ مِنْ ضَيْفِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ دَابِّ رَبِّ الْمَنْزَلِ الْكَرِيمِ أَنْ يُبَادِرَ بِالْقِرَى فِي خُفْيَةٍ؛ حَذَرًا مِنْ أَنْ يَمْنَعَهُ الضَّيْفُ.

قوله: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ عَطَفَ عَلَى مُحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: فَشَوَاهُ.

قوله: (عَرَضَ عَلَيْهِمُ الْأَكْلَ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (أَلَا) لِلْعَرَضِ، وَهُوَ الطَّلَبُ بِلِينٍ وَرَفْقٍ؛ كَمَا قَالَ

الشاعر: [البسيط]

يَا ابْنَ الْكَرَامِ أَلَا تَذْنُو فُتُبَصِرَ مَا قَدْ حَدَّثُوكَ؛ فَمَا رَأَى كَمَنْ سَمِعَا

قوله: ﴿فَأَوْحَسَ﴾ عَطَفَ عَلَى مَا قَدَّرَهُ الْمَفْسِّرُ.

قوله: ﴿خِيفَةً﴾ أي: مِنْ عَدَمِ أَكْلِهِمْ؛ فَإِنَّ الضَّيْفَ إِذَا لَمْ يَأْكُلْ مِنْ طَعَامِ رَبِّ الْمَنْزَلِ يَخَافُ

منه.

قوله: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ أي: لَمَّا ظَهَرَ لَهُمْ أَمَارَاتُ خَوْفِهِ.

قوله: (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) أي: إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ، وَقِيلَ: مَسَحَ جَبْرِيلُ الْعِجْلُ بِجَنَاحِهِ، فَقَامَ يَمْشِي حَتَّى لَحِقَ بِأُمِّهِ، فَعَرَفَهُمْ وَأَمِنَ مِنْهُمْ.

قوله: ﴿فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ﴾ أي: لَمَّا سَمِعَتْ الْبَشَارَةَ الْمَذْكُورَةَ، وَكَانَتْ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْبَيْتِ،

فَجَاءَتْ وَقَالَتْ مَا ذُكِرَ.

قوله: (سَارَّة) بِالْتَخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ، لُغَتَانِ.

فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ
 الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ
 حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾

﴿فِي صَرَفٍ﴾: صِيحَةٌ - حال - أي: جاءت صائِحَةً، ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾: لَطَمَتْهُ، ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ
 عَقِيمٌ﴾: لَمْ تَلِدْ قَطُّ وَعُمْرُهَا تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً وَعُمْرُ إِبْرَاهِيمَ مِائَةٌ سَنَةً، أَوْ عُمْرُهُ مِائَةٌ
 وَعِشْرُونَ سَنَةً وَعُمْرُهَا تِسْعُونَ سَنَةً. ﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ أي: مِثْلَ قَوْلِنَا فِي الْبَشَارَةِ ﴿قَالَ رَبُّكَ
 إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِخَلْقِهِ.

(٣١ - ٣٤) ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾: شَأْنُكُمْ ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ
 مُّجْرِمِينَ: كَافِرِينَ هُمْ قَوْمُ لُوطٍ؛ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مَطْبُوخٌ بِالنَّارِ، ﴿مُسَوَّمَةً﴾:
 مُعَلَّمَةً عَلَيْهَا اسْمٌ مَنْ يُرْمَى بِهَا ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ - ظَرْفُ لَهَا - ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بِإِتْيَانِهِمُ الذُّكُورَ
 مَعَ كُفْرِهِمْ.

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

قوله: (صِيحَةٌ) تَفْسِيرُ لـ ﴿صَرَفٍ﴾، وَتَقَدَّمَ فِي (هُود) أَنَّهَا ضَحِكْتُ؛ أَي: حَاضَتْ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ
 الْبَشَارَةِ وَالْوَلَادَةِ إِلَّا سَنَةٌ.

قوله: ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أَي: ضَرَبَتْهُ بِيَدِهَا مَبْسُوطَةً، أَوْ بِأَطْرَافِ أَصَابِعِهَا مِثْلَ الْمُتَعَجِّبِ،
 وَهِيَ عَادَةُ النِّسَاءِ إِذَا أَنْكَرْنَ شَيْئًا.

قوله: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ﴾ أَي: أَنَا عَجُوزٌ.

قوله: ﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ بِـ ﴿قَالَ﴾ الثَّانِيَةِ؛ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّذِي
 أَخْبَرْنَاكَ بِهِ قَالَ رَبُّكَ؛ أَي: قَضَى وَحَكَمَ فِي الْأَزْلِ؛ فَلَا تَعْجِبِي مِنْهُ.

قوله: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أَي: لِمَا رَأَى مِنْ حَالِهِمْ، وَأَنَّ اجْتِمَاعَهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُذِهِ الْبَشَارَةُ فَقَطْ.

قوله: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ اللَّائِطَ يُرْجَمُ بِالْأَحْجَارِ، وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدَائِنِ
 سِتُّ مِائَةٍ أَلْفٍ، فَأَدْخَلَ جِبْرِيلُ جَنَاحَهُ تَحْتَ الْأَرْضِ، فَاقْتَلَعَهَا وَرَفَعَهَا حَتَّى سَمِعَ أَهْلَ السَّمَاءِ
 أَصْوَاتَهُمْ، ثُمَّ قَلَبَهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ الْحِجَارَةَ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْهُمْ خَارِجًا عَنْهَا.

قوله: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ (إِمَّا حَالٌ مِنْ ﴿حِجَارَةٍ﴾، أَوْ صِفَةٌ ثَانِيَةٌ لَهَا.

فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً
لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ

(٣٥ - ٣٧) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قُرَى قَوْم لُوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك
الكافرين، ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم لوط وابتناه، وُصِفُوا بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ
أي: هُم مُّصَدِّقُونَ بِقُلُوبِهِمْ عَامِلُونَ بِجَوَارِحِهِمِ الطَّاعَاتِ، ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك
الكافرين ﴿آيَةً﴾: علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل
فعلهم.

(٣٨ - ٤٠) ﴿وَفِي مُوسَى﴾ - معطوف على ﴿فِيهَا﴾ - المعنى: وجعلنا في قصة موسى
آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾... إلخ) حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط بطريق
الإجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة مع إبراهيم.

قوله: (أي: قُرَى قَوْم لوط) أي: وهي وإن لم تذكر دلّ عليها السياق.

قوله: ﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي: غير أهل بيت.

قوله: (وهم لوط وابتناه) أي: وقيل: كانوا ثلاثة عشر، منهم ابتناه.

قوله: (وصفوا بالإيمان والإسلام) أي: لأنّ المسلم قد يكون مؤمناً، وقد لا يكون.

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أي: أبقينا في القرى.

قوله: (علامة) أي: وهي تلك الأحجار، والصّخر المتراكم، والماء الأسود المُنْتَن، يُشَاهِدُهَا
مَنْ يَمُرُّ بِأَرْضِهِمْ.

قوله: (معطوف على ﴿فِيهَا﴾) أي: على الضمير المجرور بـ(في).

قوله: (المعنى: وجعلنا... إلخ) أشار بذلك إلى أنّ الكلام على حذف مضاف، والمفعول
محذوف.

قوله: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ﴾ الظرف مُتَعَلِّقٌ بِ(آيَةً) المحذوف، والمعنى: تركنا في قصة موسى علامة في
وقت إرسالنا إيَّاه.

يُسْلَطَنِ مُيِّنٌ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَذَلَتْهُمْ فِي آلِيمٍ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾

مُلْتَبِسًا ﴿يُسْلَطَنِ مُيِّنٌ﴾: بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ، ﴿فَتَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿بِرُكْنِهِ﴾ مَعَ جُنُودِهِ لِأَنَّهُمْ لَهُ كَالرُّكْنِ، ﴿وَقَالَ﴾ لِمُوسَى: هُوَ ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَبَذَلَتْهُمْ: طَرَحْنَاهُمْ ﴿فِي آلِيمٍ﴾: الْبَحْرِ فَعَرَقُوا ﴿وَهُوَ﴾ أَي: فِرْعَوْنُ ﴿مُلِيمٌ﴾: آتٍ بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ مِنْ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَدَعْوَى الرُّبُوبِيَّةِ.

حاشية الصاوي

قوله: (مُلْتَبِسًا ﴿يُسْلَطَنِ﴾...) إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ مُتَعَلِّقَ بِمَحْذُوفٍ حَالٍ، وَالْبَاءُ لِلْمَلَابَسَةِ.

قوله: (بحجة واضحة) أي: وهي الآيات التسع.

قوله: (كالركن) أي: كركن البيت الذي يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، فَسَمَّى الْجُنُودَ رُكْنًا؛ لِأَنَّهُ يَحْصُلُ بِهِمُ التَّقْوَى وَالْاعْتِمَادُ كَمَا يُعْتَمَدُ عَلَى الرُّكْنِ.

قوله: ﴿وَقَالَ﴾ لموسى) أي: في شأن موسى.

قوله: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾) يحتمل أَنَّ (أَوْ) عَلَى بَابِهَا مِنَ الْإِبْهَامِ عَلَى السَّامِعِ، أَوْ لِلشَّكِّ، نَزَلَ نَفْسَهُ مَنَزَلَةَ الشَّاكِّ؛ تَمْوِيهَاً عَلَى قَوْمِهِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَهُوَ الْأَحْسَنُ؛ لِأَنَّهُ قَالَهُمَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

قوله: ﴿وَجُودُهُ﴾) معطوفٌ عَلَى مَفْعُولٍ (أَخَذْنَاهُ).

قوله: ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾) الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ مِنْ مَفْعُولٍ (أَخَذْنَاهُ) ^(١).

قوله: (آتٍ بِمَا يُلَامُ عَلَيْهِ) أشار بذلك إلى أَنَّ إِسْنَادَ الْإِيلَامِ ^(٢) لَهُ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ، عَلَى حَدِّ: ﴿عِشَّةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢١].

قوله: (من تكذيب الرسل... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الَّذِي يَحْصُلُ اللَّوْمُ عَلَيْهِ مُخْتَلَفٌ بِاعْتِبَارِ مَنْ وُصِفَ بِهِ، فَاَنْدَفَعَ بِذَلِكَ مَا يُقَالُ: كَيْفَ وُصِفَ فِرْعَوْنُ بِمَا وُصِفَ بِهِ ذُو النُّونِ؟

(١) أَوْ مِنْ مَفْعُولٍ ﴿فَبَذَلَتْهُمْ﴾، وَحَيْثُ ذَكَرَ ضَمِيرُ يَعُودُ عَلَى صَاحِبِ الْحَالِ. وَانْظُرْ «الدَّرَجَاتِ» (١٠/٥٥).

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: (اللَّوْمُ).

وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ

(٤١ - ٤٢) ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر ولا تلقح الشجر، وهي الدُّبُور، ﴿مَا نَذُرُ مِنْ شَيْءٍ﴾: نفس أو مال ﴿أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾: كالبالى المتفتت.

(٤٣ - ٤٤) ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾: إلى انقضاء آجالكم كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [هود: ٦٥]، ﴿فَعَتَوْا﴾: تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد مُضِيِّ الثلاثة أَيَّامٍ أي: الصَّيْحَةُ المهلكة

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾... إلخ) أي: فما تقدّم من تقدير المضاف والمفعول يأتي هنا.
قوله: (هي التي لا خير فيها) أي: فالعقم في الأصل: وصفٌ للمرأة التي لا تلد، وُصفت به الريح من حيث إنها لا تأتي بخير.

قوله: (وهي الدُّبُور) وقيل: هي الجنوب، وقيل: هي النكباء، وهي كل ريح هبت بين ريحين، والأظهر ما قاله المفسر؛ لما في الحديث: «نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالدُّبُورِ»^(١).

قوله: ﴿إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ هذه الجملة في محلّ المفعول الثاني لـ ﴿نَذَرُ﴾، كأنه قال: ما ترك شيئاً إلا مجعولاً كالرَّمِيمِ.

قوله: (البالى المتفتت) وقيل: الرميم: الرماد، وقيل: التراب المدقوق، والمعاني متقاربة.
قوله: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ هذا الترتيب في الذكر فقط، وإلا.. فقول الله لهم: (تمتعوا) متأخر عن العتوّ.

قوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: المذكور في سورة (هود) بقوله: ﴿وَيَنْقُورِ هَذِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ...﴾ إلخ [هود: ٦٤].

قوله: (أي: الصيحة المهلكة) أي: فصاح عليهم جبريل، فهلكوا جميعاً. والصاعقة: تُطلق على نار تنزل من السماء، وعلى الصَّيْحَة، وهو المراد هنا.

(١) رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (٩٠٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَاِذَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ اِنتَهَم كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَيْنَهَا يَافُتُونَ

﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنَّهار.

﴿٤٥﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أي: ما قَدَرُوا على التَّهَوُّضِ حِينَ نَزُولِ الْعَذَابِ، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ﴾ على مَنْ أَهْلَكَهُمْ.

﴿٤٦﴾ وَقَوْمٌ نُوحٍ - بِالْجَرِّ عَطْفٌ عَلَى ﴿نُوحٍ﴾ - أي: وفي إهلاكهم بما في السماء والأرض آية، - وبالنصب - أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

(٤٧ - ٤٨) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: بِقُوَّةٍ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: بالنهار) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ﴾ مِنَ النظر، وقيل: هو من الانتظار، والمعنى: يَتَنَظَّرُونَ ما وُعِدُّوه من العذاب.

قوله: (على مَنْ أهلكهم) المناسبُ أن يقولَ: (وما كانوا دافِعِينَ عن أنفسهم العذاب)؛ إذ لا يُتَوَهَّم انتصارهم على الله، وإنما يُتَوَهَّم الفرار منه.

قوله: (بالجرّ عطف على «ثمود») هذا أحد أوجه، وهو أقربها.

قوله: (وبالنصب) أي: على أنه معمولٌ لمحذوفٍ، قدره المفسر بقوله: (وأهلكنا)، وفيه أوجهٌ آخر، وهذا أحسنُّها، وقيل: منصوب بـ(اذكر) مقدراً، والقراءتان سبعيتان، وقُري شذوذاً بالرفع على أنه مُبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: أهلكناهم^(١).

قوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ قرأ العامة بنصب (السماء) على الاشتغال، وكذا قوله: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾، وقرئ شذوذاً برفعهما على الابتداء، والخبر ما بعدهما، والأفصح في النحو قراءة العامة؛ لعطف الفعلية على الفعلية.

قوله: ﴿بِأَيِّدٍ﴾ حال من فاعل ﴿بَيَّنَّهَا﴾، والمعنى: بَيَّنَّاها حالَ كونِنا مُلتبسِينَ بقوة وبطشٍ، لا بواسطة شيء، بل بقول: كن.

(١) قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو بجر الميم، والباقون بَنَصْبِها، وأبو السمال وابن مقسم وأبو عمرو في رواية الأصمعي بالرفع. انظر الأقوال في توجيه القراءات في «الدر المصون» (١٠/٥٦)

وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: قَادِرُونَ، يُقَالُ: آدَ الرَّجُلُ يَيْثِدُ: قَوِي، وَأَوْسَعَ الرَّجُلُ: صَارَ ذَا سَعَةٍ وَقُوَّةٍ، ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: مَهْدْنَاهَا ﴿فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ﴾: نَحْنُ.

﴿٤٩﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ - مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ -: ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: صِنْفَيْنِ كَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالسَّهْلِ وَالْجَبَلِ، وَالصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، وَالْحُلُوِّ وَالْحَامِضِ، وَالنُّورِ وَالظُّلْمَةِ، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ - بِحَذْفِ إِحْدَى التَّائِينَ مِنَ الْأَصْلِ -: فَتَعَلَّمُونَ أَنَّ خَالِقَ الْأَزْوَاجِ فَرْدٌ فَتَعْبُدُونَهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (قادرُونَ) فسر الإيساع بالقادرية؛ إشارةً إلى أن قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ حال مؤكدة، وهو من (أوسع) اللازم كـ (أورق الشجر): إذا صار ذا ورق، ويستعمل متعدياً والمفعول محذوف؛ أي: لموسعون السماء؛ أي: جاعلوها واسعة، وعليه: فتكون حالاً مؤسَّسة. إذا علمت ذلك تعلم أن النسخ التي فيها لفظة (لها) بعد (موسعون) غير صحيحة؛ لأنها لا تناسب إلا استعماله متعدياً، والمفسر استعمله لازماً؛ حيث قال: (وأوسع الرجل... إلخ).

قوله: (يقال: آد الرجل) أي: اشتدَّ وقوي؛ كما في «المختار»، وبابه (باع).

قوله: (مهدناها) أي: فالفرش كناية عن البسط والتسوية.

قوله: (نحن) أي: فالمخصوص بالمدح محذوف.

قوله: (متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾) ويصح أن يكون متعلقاً بمحذوف حال من ﴿زَوْجَيْنِ﴾؛ لأنه نعت نكرة قُدِّمَ عليها.

قوله: (صنفين) أي: أمرين مُتَقَابِلَيْنِ.

قوله: (كالذكر والأنثى) أشار بتعداد الأمثلة إلى ما نشاهده؛ فلا يردُّ العرش والكرسي، واللوح والقلم؛ فإنه لم يُخْلَقْ من كلِّ إلا واحد.

قوله: (بحذف إحدى التائين) أي: وهذه إحدى القراءتين السبعيتين، والأخرى إدغام التاء الثانية في الذال^(١).

(١) قرأ حفص والكسائي بتخفيف الذال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (١٠٦/٤).

فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾

(٥٠ - ٥٢) ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه بأن تُطيعوه ولا تعصوه، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾: بَيِّنُ الإنذار. ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ - يُقَدَّرُ قَبْلَ ﴿فَقَرُّوا﴾ (قُلْ لَهُمْ) .. ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾: هو ﴿سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ أي: مثل تكذيبهم لك بقولهم: إنك ساحر أو مجنون تكذيب الأمم حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ مُفَرَّغٌ عَلَى مَا عَلِمَ مِنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: حَيْثُ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّهُ الضَّارُّ النَّافِعُ، الْمَعْطَى الْمَانِعُ .. فَالْجُؤُا إِلَيْهِ، وَاهْرَعُوا إِلَى طَاعَتِهِ.

وَالْفِرَارُ مَرَاتِبٌ؛ فَالْفِرَارُ الْعَامَّةُ: مِنَ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ، وَفِرَارُ الْخَاصَّةِ: مِنْ كُلِّ شَاغِلٍ عَنِ اللَّهِ - كَالْمَالِ وَالْوَلَدِ - إِلَى شُهُودِ اللَّهِ وَالْإِنْهَامِكِ فِي طَاعَتِهِ، لَا يَصْرِفُ جِزَاءً مِنْ أَجْزَائِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ فِي خَلْقِ الْعَبْدِ وَاحِدٌ .. فَلْيَكُنِ الْعَبْدُ فِي إِقْبَالِهِ عَلَى رَبِّهِ وَاحِدًا؛ بِحَيْثُ لَا يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ غَيْرَ حُبِّ رَبِّهِ، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

قوله: (أي: إلى ثوابه من عقابه... إلخ) حَمَلَهُ عَلَى الْفِرَارِ الْعَامِ؛ لِأَنَّ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ وَنَوَاهِيَهُ لِعَامَّةِ الْخَلْقِ؛ الَّتِي مَنِ امْتَلَهَا .. فَقَدْ زُحِزِحَ عَنِ النَّارِ، وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ.

قوله: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِّمَا قَبْلَهُ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿مِّنْهُ﴾ عَائِدٌ عَلَى اللَّهِ، وَالْمَعْنَى: فَرُّوا إِلَيْهِ؛ لِأَنِّي مُخَوِّفٌ لَكُمْ مِنْهُ.

قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الطَّاعَةَ لَا تَنَفَعُ مَعَ الْإِشْرَاقِ؛ وَلِذَا كَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، فَالْفَائِزُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الطَّاعَةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَالْمَعْنَى: لَا تَنْسُبُوا وَصْفَ الْأُلُوْهِيَّةِ لِغَيْرِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ.

قوله: (يُقَدَّرُ قَبْلَ ﴿فَقَرُّوا﴾ «قُلْ لَهُمْ») أي: فَهُوَ مَقُولٌ لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ، وَلَيْسَ بِمَتَعَيِّنٍ؛ إِذْ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ الْفَاءُ فَصِيحَةً، وَالتَّقْدِيرُ: إِذَا عَلِمْتُمْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْكَمَالِيَّةِ .. فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ؛ كَمَا تَقَدَّمَ.

قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ (خَبَرٌ مُّقَدَّمٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا أَتَى...﴾ إلخ: مُبْتَدَأٌ مُّؤَخَّرٌ، وَالْمَعْنَى: تَكْذِيبُ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ كَأَنَّ كَذَلِكَ؛ أَي: كَتَكْذِيبِ أُمَّتِكَ؛ كَمَا أَفَادَهُ الْمَفْسَّرُ.

قوله: ﴿وَلَا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ (أَوْ) بِمَعْنَى الْوَاوِ، وَحِكْمَةُ جَمْعِهِمْ بَيْنَ الْوَصْفَيْنِ:

أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾

قَبْلَهُمْ رُسُلَهُمْ بِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ، ﴿أَتَوَصَّوْا﴾ كُلُّهُمْ ﴿بِهِ﴾ - استِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ - ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ جَمَعَهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ طُغْيَانُهُمْ.

(٥٤ - ٥٥) ﴿فَوَلَّ﴾: أَعْرِضْ ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ لِأَنَّكَ بَلَّغْتَهُمُ الرِّسَالَهَ، ﴿وَذَكَرْ﴾: عِظْ بِالْقُرْآنِ ﴿فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾: مَنْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يُؤْمِنُ.

حاشية الصاوي

أَنْ خَرُوجَهُ عَنْ عَوَائِدِهِمْ وَعَمَّا عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ، وَعَدَمَ مُبَالَاتِهِ بِالْجَمِّ الْغَفِيرِ.. اقْتَضَى تَسْمِيَّتَهُ مَجْنُونًا، وَإِتْيَانَهُ بِالْمَعْجَزَاتِ الَّتِي بَهَرَتْ عُقُولَهُمْ.. اقْتَضَتْ تَسْمِيَّتَهُ سَاحِرًا.

قوله: ﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بهذه المقالة واجتمعوا عليها؟

قوله: (استِفْهَامٌ بِمَعْنَى النَّفْيِ) أي: فهو إنكارٌ تعجيبٌ، والمعنى: ما وقع منهم تَوَاصٍ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتَلَقَّوْا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ.

قوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ إضرابٌ عن الاستِفْهَامِ الْمُتَقَدِّمِ، وَبَيَانٌ لِحَقِيقَةِ الْبَاعِثِ لَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْمَقَالَةِ.

قوله: ﴿فَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أَعْرِضَ عَنْ خُطَابِهِمْ وَجَدَالِهِمْ.

قوله: ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: لَا لَوْمَ عَلَيْكَ فِي الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ؛ فَإِنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الْغَايَةَ فِي النَّصْحِ وَإِبْذَالِ الْجَهْدِ^(١).

ولما نزلت هذه الآية.. حزن رسول الله ﷺ، واشتدَّ الأمرُ على أصحابِهِ، وظنُّوا أَنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ، وَأَنَّ الْعَذَابَ قَدْ حَضَرَ؛ إِذْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَوَلَّى عَنْهُمْ - وَجَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ مَتَى أَمَرَ رَسُولُهُم بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ.. حَلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَسُرُّوا بِذَلِكَ^(٢)؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ: إِنَّهَا نَاسِخَةٌ لِمَا قَبْلُهَا، وَلَكِنَّ الْحَقَّ أَنَّ مَا قَبْلُهَا مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

قوله: ﴿فَإِنَّ الدِّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعليلٌ لقوله: (ذَكَرْ)، والمعنى: لَا تَتْرِكُ التَّذْكِيرَ؛ فَرُبَّمَا انْتَفَعَ بِهِ مَنْ عَلِمَ اللَّهُ إِيْمَانَهُ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: (بِذَلِ الْجَهْدِ).

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيْمَانِ» (١٦١٥) مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَانْظُرْ «تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ» (٤٤٣/٢٢).

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

(٥٦ - ٥٨) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولا يُنافي ذلك عَدَمُ عِبَادَةِ الكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ الغَايَةَ لَا يَلْزَمُ وُجُودُهَا كَمَا فِي قَوْلِكَ: بَرَيْتُ هَذَا الْقَلَمَ لِأَكْتُبَ بِهِ؛ فَإِنَّكَ قَدْ لَا تَكْتُبُ بِهِ،

حاشية الصاوي

ويؤخذ من الآية: أَنَّ البلاء لَا يَنْزِلُ بِقَوْمٍ وَفِيهِمُ الْمُتَذَكِّرُونَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُطَّلِعُ عَلَى عُمَارِ الْمَسَاجِدِ، فَيَرْفَعُ الْعَذَابَ عَنْ مُسْتَحَقِّهِ^(١).

قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: لَا لَطَلْبِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِيهَا.

قوله: (ولا يُنافي ذلك) أي: الحَصْرَ الْمَذْكُورَ، وَهُوَ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ، حَاصِلُهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَصَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ فِي الْعِبَادَةِ، فَمُقْتَضَاهُ أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ أَحَدٌ عَنْهَا، مَعَ أَنَّهُ شُهِدَ كَثِيرٌ مِنَ الْخَلْقِ كَفَرُوا وَتَرَكَوا الْعِبَادَةَ، فَأَجَابَ الْمَفْسِّرُ: بِأَنَّ اللَّامَ لِلْغَايَةِ وَالْعَاقِبَةِ، لَا لِلْعِلَّةِ الْبَاعِثَةِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَبْعَثُ شَيْءًا عَلَى شَيْءٍ.

وقوله: (فإنك قد لا تكتب به) اعْتَرَضَ: بِأَنَّ هَذَا مُسَلَّمٌ فِي أَفْعَالِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِجَهْلِهِمْ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَأَمَّا فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى.. فَلَا يَصِحُّ التَّخَلُّفُ فِي فِعْلِهِ، بَلْ مُقْتَضَاهُ أَنَّهُ عَالِمٌ بِأَنَّهُمْ سَيَعْبُدُونَهُ وَلَا بَدَّ، وَلَا يُمَكِّنُ تَخَلُّفَهُ فِي الْبَعْضِ.

فَالْجَوَابُ الصَّحِيحُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ، وَجَعَلَهُمْ مُهَيَّئِينَ صَالِحِينَ لِلْعِبَادَةِ؛ بِأَنْ رَكَّبَ فِيهِمْ عَقْلاً وَحَوَاسَّ، وَجَعَلَهُمْ قَابِلِينَ لِلْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ اخْتَارَ لِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ مَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ؛ فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الصَّلَاحَةِ لِلْعِبَادَةِ وَقُوعُهَا مِنْهُمْ بِالْفِعْلِ.

وقيل: معنى ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾: لَأَمْرِهِمْ وَأَكْلَفَهُمْ بِعِبَادَتِي، لَا لِيَهْتَمُّوا بِالرِّزْقِ، وَيَنْهَمِكُوا فِي خِدْمَةِ الدُّنْيَا، وَهَذَا عَلَى حَدِّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وقيل: معناه: إِلَّا لِيُوحِّدُونِ؛ فَالْمُؤْمِنُ يُوحِّدُهُ طَوْعاً، وَالْكَافِرُ يُوحِّدُهُ كَرْهاً.

وقيل: إنه عامٌّ أريد به الْخُصُوصُ، وَالْمَعْنَى: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي؛ بِدَلِيلِ الْقِرَاءَةِ الشَّاذَّةِ: (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين)^(٢).

(١) روى الحكيم الترمذي في «نوارد الأصول» (١/ ١٨٠) عن مالك بن دينار رحمته الله قال: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «إِنِّي لَأَهْمُّ بِعَذَابِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى جُلُوسَاءِ الْقُرْآنِ وَعُمَّارِ الْمَسَاجِدِ وَوِلْدَانِ الْإِسْلَامِ.. يَسْكُنُ غَضَبِي».

(٢) وهي قراءة سيدنا ابن عباس رضي الله عنه؛ كَمَا فِي «تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٠).

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا.....

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ لي ولأنفسهم وغيرهم، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ ولا أنفسهم ولا غيرهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: الشديد. (٥٩ - ٦٠) ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم بالكفر من أهل مكة وغيرهم،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ لي ولا لأنفسهم (دفع المفسر بقوله: (لي) ما يتوهم من عادة سادات العبيد في احتياجهم لمكاسب عبيدهم، فالمعنى: أن عادة الله سبحانه وتعالى ليست كعادة السادات مع عبيدهم؛ فإنهم يملكونهم؛ ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم. قوله: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ إن قلت: إن هذا يُغني عنه ما قبله.

أجيب: بأنه أتى به؛ لدفع توهم ما عليه سادات العبيد الأغنياء من احتياجهم للاستعانة بهم في صنع الطعام مثلاً وتهيته ونحو ذلك، فكأنه قال: شأن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم، فليس محتاجاً لعبيده في تحصيل رزق ولا في صنعه، لا له ولا لغيره، وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول، وإلا... فيستحيل على الله عقلاً تلك الأوصاف، ولا يُنقى في نفس الأمر إلا ما جَوَّزه العقل.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ أتى بالاسم الظاهر؛ للتفخيم والتعظيم، وأكد الجملة بـ(إن) والضمير المنفصل؛ لقطع أوهام الخلق في أمور الرزق، وليتقوى اعتمادهم عليه. قوله: ﴿الْمَتِينُ﴾ العامة على رفعه، وهو إما نعت لـ﴿الرَّزَّاقِ﴾، أو لـ﴿ذُو﴾، أو خبر بعد خبر، وقرئ شذوذاً بالجر^(١).

قوله: (الشديد) أي: الذي لا يطرأ عليه ضعف ولا عجز.

قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾... إلخ) أي: فلا تحزن على كفر قومك، وتسَلَّ عنهم، فلا بدَّ لهم من العذاب.

(١) وبها قرأ يحيى بن وثاب والأعمش؛ فقليل: صفة لـ(القوة)، وإنما ذكر وصفها؛ ليكون تأنيهاً غير حقيقي، وقيل: لأنها في معنى الأيد، وقال ابن جني: هو خفض على الجوار؛ كقولهم: (هذا جحر ضب خرب) يعني أنه صفة للمرفوع، وإنما جر لما جاور مجروراً، وهذا مرجوح؛ لإمكان غيره، والجوار لا يُصار إليه إلا عند الحاجة. انظر الدر المصون، (٦٠/١٠).

ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ذُنُوبًا﴾: نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ﴾: نَصِيبٍ ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾: الْهَالِكِينَ قَبْلَهُمْ، ﴿فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾: بِالْعَذَابِ إِنْ أَخَّرْتَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿فَوَيْلٌ﴾: شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ﴾: فِي ﴿يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أَي: يَوْمِ الْقِيَامَةِ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذُنُوبًا﴾ هو في الأصل: الدُّلُو العَظِيم، شُبَّهَ بِهِ النَّصِيبُ مِنَ الْعَذَابِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَيْهِمْ كَمَا يُصَبُّ الذَّنُوبُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

قوله: ﴿أَصْحَابِهِمْ﴾ أَي: نُظَرَائِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ.

قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وَضَعُ الْمَوْصُولِ مَوْضِعَ ضَمِيرِهِ؛ تَسْجِيلًا عَلَيْهِمُ بِالْكَفْرِ^(١)، وَإِشْعَارًا بِعِلَّةِ الْحُكْمِ.

قوله: (شِدَّةُ عَذَابٍ) وَقِيلَ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.

قوله: ﴿الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ هُوَ مُرْتَبِطُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فِيمَا تَقَدَّمَ: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ...﴾ إلخ.

فائدة:

قَدْ تَلَقَّيْنَا عَنِ الصَّالِحِينَ فَوَائِدَ فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ السُّورَةِ الْعَظِيمَةِ، كُلُّهَا مُجَرَّبَةٌ، مِنْهَا: اسْتِعْمَالُهَا إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مَرَّةً عَلَى وَضْعٍ فِي مَجْلَسٍ وَاحِدٍ؛ لِتَفْرِيجِ السَّجْنِ، وَقَضَاءِ الدِّينِ، وَتَيْسِيرِ الرِّزْقِ، وَالْإِنْتِصَارِ عَلَى الْخَصْمِ، وَالْأَمْنِ مِنْ كُلِّ هَوْلٍ دُنْيَا وَآخِرَى، وَاسْتِعْمَالُهَا سِتِينَ مَرَّةً عَدَدَ آيَاتِهَا أَبْلَغُ فِي تِلْكَ الْمَطَالِبِ.



(١) أَي: تَثْبِيثًا وَتَحْقِيقًا حَتَّى لَا يَتَأَنَّى مِنْهُمْ الْإِنْكَارَ.

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣﴾



مكية، تسع وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٢) ﴿وَالطُّورِ﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى، ﴿وَكَتَبَ مَسْطُورٍ﴾ في رَقٍّ مَّنْشُورٍ أي: التوراة أو القرآن.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الطُّورِ

وفي نسخة: (سورة «الطور»).

قوله: ﴿وَالطُّورِ﴾... إلخ) أقسم الله سبحانه وتعالى بخمسة أقسام؛ تعظيماً للمُقَسَّم عليه، وهو قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، وتعظيماً للمُقَسَّم به أيضاً؛ فإن تلك الأشياء الخمسة عظيمة. والواو في كلِّ إمَّا للقسم، أو للعطف فيما عدا الأول.

قوله: (أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى) أي: والمراد به طور سيناء، وهو أحد جبال الجنة، وأقسم الله به تشريفاً له وتكريماً.

قوله: ﴿وَكَتَبَ مَسْطُورٍ﴾ أي: مُتَّفَقِ الكتابة بِسُطُورٍ مصفوفة في حروفٍ مُترتبة جامعة لكللماتٍ مُتَّفقة.

قوله: ﴿فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ﴾ الرُّقُّ: الجلد الرقيق الذي يُكْتَب فيه، وهو كلُّ ما يكتب فيه، جلدًا كان أو غيره، وهو بفتح الراء في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بكسرهما^(١)، ومعنى (المنشور): المبسوط؛ أي: أنه غير مطوي، وغير محجور عليه.

قوله: (أي: التوراة، أو القرآن) هذان قولان من جملة أقوال كثيرة في تفسير (الكتاب

(١) وبها قرأ أبو السمال، وهي لغة فيه. انظر «الدر المصون» (١٠/٦٤).

وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾

(٤ - ٦) ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو في السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ أو السَّادِسَةِ أو السَّابِعَةِ بِحِيَالِ الكَعْبَةِ، يَزُورُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ بِالطَّوَافِ وَالصَّلَاةِ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ أَبَدًا، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ أي: السَّمَاءِ، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي: المَمْلُوءِ.

حاشية الصاوي

(المسطور)، وقيل: هو صحائف الأعمال، قال تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، وقيل: سائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وقيل غير ذلك.

قوله: (هو في السماء الثالثة) وقيل: هو في الأولى، وقيل: هو في الرابعة، وقيل: هو تحت العرش فوق السابعة، وقيل: هو الكعبة نفسها، وعمارتها بالحُجَّاج والزائرين لها؛ لما ورد: أَنَّ اللَّهَ يَعْمُرُهَا كُلَّ سَنَةٍ بَسْتُ مِائَةِ أَلْفٍ؛ فَإِنْ عَجَزَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ.. أَتَمَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ^(١).

قوله: (بحيال الكعبة) أي: مقابلًا لها بإزائها على كُلِّ قَوْلٍ.

قوله: (يزوره... إلخ) بيانٌ لِتَسْمِيَتِهِ مَعْمُورًا.

قوله: (أي: السماء) أي: لأنها كالسقف للأرض، وقيل: هو العرش، وهو سَقْفُ الْجَنَّةِ.

قوله: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ أي: وهو الْبَحْرُ الْمُحِيطُ، ومعنى ﴿الْمَسْجُورِ﴾: المَمْتَلِئُ مَاءً، وقيل: (البحر المسجور) هو المَمْتَلِئُ نَارًا؛ لما ورد: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الْبَحَارَ كُلَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا، فَيَزَادُ حَجمَهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ^(٢)، وقيل: هو بحرٌ تحت العرش كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماءٌ غليظٌ يُقال له: بحر الحيوان، يُمَطَّرُ الْعِبَادُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى مِنْهُ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، فَيَنْبُتُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ^(٣).

(١) كذا في «تفسير القرطبي» (٦٠/١٧) عن الحسن رحمه الله تعالى.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣٨٦/٧)، و«زاد المسير» (١٧٦/٤).

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٣٨٦/٧) عن سيدنا علي عليه السلام، ورواه الطبري في «تفسيره» (٤٦٠/٢٢) بلفظ: «البحر المسجور: بحر في السماء تحت العرش»، وروى أبو الشيخ في «العظمة» (٦٥٢/٢): عن الربيع رحمه الله تعالى، في قوله: ﴿وَكُنَّ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: (فلما خلق الله السماوات والأرض.. قسم ذلك الماء قسمين: الذي كان عليه عرشه، فجعل نصفه تحت العرش وهو البحر المسجور؛ فلا تذهب منه قطرة حتى يُنفخ في الصور، فإذا نفخ في الصور.. أنزل ماء مثل الطل على الأرض، فتبت منه أجسام من هو مبعوث من الجن والإنس).

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٣﴾

(٧ - ١٢) ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: لَنَازِلٍ بِمُسْتَحِقِّهِ، ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ عَنْهُ. ﴿يَوْمَ﴾ - مَعْمُولٌ لـ (واقع) - ﴿تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾: تَتَحَرَّكُ وَتَدُورُ، ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: تَصِيرُ هَبَاءً مَنْثُورًا، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، ﴿فَوَيْلٌ﴾: شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: لِلرُّسُلِ، ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾: بَاطِلٍ ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أَي: يَتَشَاغِلُونَ بِكُفْرِهِمْ. (١٣ - ١٦) ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾:

حاشية الصاوي

قوله: (معمول لـ «واقع») أي: والجملة المنفية مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْعَامِلِ وَمَعْمُولِهِ.

قوله: (تتحرك وتدور) أي: كدوران الرحى، وتجيء وتذهب، ويدخل بعضها في بعض، وتختلف أجزاؤها، وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة.

قوله: (تصير هباءً منثوراً) ليس تفسيراً لـ (تسير) كما تُوهِمُهُ عِبَارَتُهُ، بَلْ مَعْنَاهُ: أَنَّهَا تَنْتَقِزُ عَنْ مَكَانِهَا، وَتَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ، ثُمَّ تَقَعُ فِي الْأَرْضِ مُفْتَتَةً كَالرَّمْلِ، ثُمَّ تَصِيرُ كَالْعَهْنِ - أَي: الصُّوفِ - الْمُنْدُوفِ، ثُمَّ تُطِيرُهَا الرِّيَّاحُ فَتَصِيرُ هَبَاءً مَنْثُورًا.

والْحِكْمَةُ فِي مَوْرِ السَّمَاءِ وَسَيْرِ الْجِبَالِ: الْإِعْلَامُ بِأَنَّهُ لَا رَجُوعَ وَلَا عَوْدَ إِلَى الدُّنْيَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّمَا خُلِقَتَا لِعِمَارَةِ الدُّنْيَا وَانْتِفَاعِ بَنِي آدَمَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ لَهُمْ عَوْدٌ إِلَيْهَا.. أَزَالَهَا اللَّهُ؛ لِخَرَابِ الدُّنْيَا وَعِمَارَةِ الْآخِرَةِ، فَيَحْصِلُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَزِيدُ سُرُورٍ وَطَمَآنِينَةٍ، وَلِلْكَافِرِينَ غَايَةُ الْحُزْنِ وَالْكَرْبِ.

قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ أَي: يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

قوله: ﴿فِي خَوْضٍ﴾ هُوَ فِي الْأَصْلِ: الدُّخُولُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْبَاطِلِ؛ فَلِذَا فَسَّرَهُ بِهِ.

قوله: ﴿يُدْعَوْنَ﴾ الْعَامَّةُ عَلَى فَتْحِ الدَّالِ وَتَشْدِيدِ الْعَيْنِ؛ مِنْ: (دَعَا): دَفَعَهُ فِي صَدْرِهِ بَعْغُفٍ وَشِدَّةً، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِسُكُونِ الدَّالِ وَتَخْفِيفِ الْعَيْنِ الْمَفْتُوحَةِ؛ مِنْ: الدَّعَاءِ؛ أَي: يُقَالُ لَهُمْ: هَلُمُّوا فَادْخُلُوا النَّارَ^(١).

(١) وبها قرأ علي والسلمي وأبو رجاء وزيد بن علي. انظر «الدر المصون» (٦٧/١٠).

هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

يُدْفَعُونَ بِعُنْفٍ - بَدَلٍ مِنْ ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾ - وَيُقَالُ لَهُمْ تَبْكِيَةً: ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا؟ الْعَذَابُ الَّذِي تَرَوْنَ كَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْوَحْيِ: هَذَا سِحْرٌ، ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا﴾ عَلَيْهَا ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾، صَبْرُكُمْ وَجَزَعُكُمْ ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لِأَنَّ صَبْرَكُمْ لَا يَنْفَعُكُمْ، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أَي: جَزَاءُهُ.

حاشية الصاوي

قوله: (يدفعون بعنف) أي: وذلك بأن تُغْلَى أيديهم إلى أعناقهم، وتُجَمَعَ نواصيهم إلى أقدامهم، فيُدْفَعُونَ إِلَى النَّارِ.

قوله: (كما كنتم تقولون في الوحي) أي: القرآن الجائي بالعذاب.

قوله: ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ يَصِحُّ أَنْ تَكُونَ (أَمْ) مُتَّصِلَةً مُعَادِلَةً لِلْهَمْزَةِ، وَالْمَعْنَى: هَلْ فِي أَمْرِنَا سِحْرٌ أَمْ هَلْ فِي بَصَرِكُمْ خَلَلٌ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ إِنْكَارِيٌّ وَتَهْكُمٌ؛ أَي: لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ثَابِتًا، وَيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ (أَمْ) مُنْقَطِعَةً تُفْسِّرُ بِ(بَل) وَالْهَمْزَةُ، وَالْمَعْنَى: أَبَلْ أَنْتُمْ غُمِّي عَنْ الْعَذَابِ الْمَخْبِرِ بِهِ كَمَا كُنْتُمْ غُمِيًا عَنِ الْخَبَرِ؟

قوله: ﴿أَصَلَوْهَا﴾ أَي: ذُوقُوا حَرَارَتَهَا.

قوله: (صبركم وجزعكم) ﴿سَوَاءٌ﴾ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿سَوَاءٌ﴾ خَبْرٌ لِمَحْذُوفٍ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُبْتَدَأً، خَبْرُهُ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: سَوَاءٌ الصَّبْرُ وَالْجَزَعُ، وَالْأَوَّلُ أَوْلَى؛ لِأَنَّ جَعْلَ النِّكَرَةِ خَبْرًا أَوْلَى مِنْ جَعْلِهَا مُبْتَدَأً.

قوله: (لأن صبركم لا ينفعكم) أي: لانتزاعكم من ديوان الرحمة، بخلاف الدنيا؛ فَإِنَّ الصَّبْرَ فِيهَا عَلَى الْمَكَارِهِ مِنْ أَعْظَمِ مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ.

قوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لِاسْتِوَاءِ الصَّبْرِ وَعَدَمِهِ.

قوله: (أي: جزاءه) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفٍ مُضَافٍ.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ بِمَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ

(١٧ - ٢٠) ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ ﴿١٧﴾ فَكِهِينَ: مُتَلَذِّذِينَ ﴿بِمَا﴾ - مصدرية -
﴿ءَاتَاهُمْ﴾: أَعْطَاهُمْ ﴿رَبُّهُمْ وَوَقْنَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ - عَطَفَ عَلَى ﴿ءَاتَاهُمْ﴾ - أي: بِإِيَّتائِهِمْ
وَوَقَايَتِهِمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ - حال - أي: مُهَنِّئِينَ ﴿بِمَا﴾ - الباءُ سببية -
﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ - حالٌ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَكِنِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ - ﴿عَلَى سُرُرٍ
مَصْفُوفَةٍ﴾ بَعْضُهَا إِلَى جَنْبِ بَعْضٍ، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ - عطف على ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ -
حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ...﴾ (إلخ) مقابل قوله: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، وإنما أتى بأوصاف
المتقين عقب أوصاف المكذبين؛ ليحصل الترغيب والترهيب، كما هو عادته سبحانه وتعالى.
قوله: ﴿وَنَعِيمٍ﴾ (أي: تنعم بتلك الجنات؛ إذ لا يلزم من كونه في جنات أنه يتنعم بها، فأفاد
أنهم مع كونهم في جنات يتنعمون ويتفكّهون بها).

قوله: ﴿فَكَهِينَ﴾ العامة على قراءته بالألف؛ أي: ذوي فاكهة كثيرة؛ كما يقال: لابن وتامر؛
أي: ذو لبٍ وتمر، وقرئ شذوذاً: ﴿فَكَهِينَ﴾ بغير ألف؛ أي: مُتَنَعِّمين مُتَلَذِّذِينَ^(١). إذا علمت ذلك..
فالمناسب للمفسر تفسيره بـ(ذوي فاكهة)، لا بـ(متلذذين).

قوله: (أي: بإيتائهم ووقايتهم) إنما جعلها مصدرية في المعطوف والمعطوف عليه؛ لما يلزم
عليه من خُلُوِّ الصلة في المعطوف عن العائد لو جُعِلَتْ موصولة. والأحسن أن تُجْعَلَ موصولة،
ويُجْعَلَ قوله: ﴿وَوَقْنَهُمْ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾^(٢).

قوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ «ما»: مصدرية، والباء: سببية، والمعنى: أن الملائكة تقول لأهل
الجنة: كُلُوا وَاشْرَبُوا مُتَهَنِّئِينَ بسبب عملكم، وهذا من مزيد السرور والتكرمة، على حسب عادة
الكرام في منازلهم، وإلا... فذلك من فضل الله وإحسانه.

قوله: ﴿عَلَى سُرُرٍ﴾ (جمع سرير)، قال ابن عباس: هي سُرُرٌ من ذهب، مُكَلَّلَةٌ بِالذَّرِّ وَالزَّبْرِجَدِ
وَالْيَاقُوتِ، وَالسَّرِيرُ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَأَيْلَةَ، وَوَرَدَ: أَنَّ ارْتِفَاعَ السَّرِيرِ خَمْسُ مِائَةِ عَامٍ، فَإِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ

(١) وبها قرأ الحسن وغيره؛ كما في «تفسير القرطبي» (١٧/٦٥).

(٢) أو تجعل جملة ﴿وَوَقْنَهُمْ﴾ مستأنفة، أو حالية بتقدير (قد). «فتوحات» (٤/٢٢٢).

يُحَوِّرُ عَيْنِ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ

أي: قَرَأْنَاهُمْ ﴿يُحَوِّرُ عَيْنِ﴾: عِظَامِ الْأَعْيُنِ حِسَانِهَا.

﴿٢١﴾ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ - مُبْتَدَأٌ - ﴿وَاتَّبَعَتْهُمْ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿ءَامَنُوا﴾ - ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الصُّغَارُ وَالْكِبَارُ ﴿بِإِيمَانٍ﴾ مِنَ الْكِبَارِ وَمِنَ الْآبَاءِ فِي الصُّغَارِ، وَالْخَبَرُ: ﴿آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الْمَذْكُورِينَ فِي الْجَنَّةِ، فَيَكُونُونَ فِي دَرَجَتِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلُوا بِعَمَلِهِمْ تَكْرِمَةً لِلْآبَاءِ بِاجْتِمَاعِ الْأَوْلَادِ إِلَيْهِمْ،

حاشية الصاوي

أن يجلس عليها. . قُرِبَتْ مِنْهُ، فَإِذَا جَلَسَ عَلَيْهَا عَادَتْ إِلَى مَآكِلِهَا^(١). وفي الكلام حذفٌ، تقديره: على نمارقٍ على سُرُرٍ.

قوله: (أي: قرأناهم) أي: جعلناهم مُقَارِنِينَ لِهَنْ، وفي ذلك إشارةٌ إلى جوابِ سؤالٍ مقدَّرٍ، تقديره: أَنَّ الْحَوْرَ الْعَيْنِ فِي الْجَنَّاتِ مَمْلُوكَاتٌ بِمَلِكِ الْيَمِينِ لَا بَعْدَ النِّكَاحِ، فَأُجَابَ: بِأَنَّ التَّزْوِيجَ لَيْسَ بِمَعْنَى عَقْدِ النِّكَاحِ، بَلْ بِمَعْنَى الْمَقَارَنَةِ^(٢).

قوله: (عِظَامِ الْأَعْيُنِ) تَفْسِيرٌ لـ ﴿عَيْنِ﴾ جَمْعُ (عَيْنَاءٍ)، وَأَمَّا (الْحَوْرُ) . . فَهُوَ مِنَ الْحَوَرِ، وَهُوَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ قَوْلُهُ: ﴿آَلَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، وَالذَّرِيَّةُ: تُطْلَقُ عَلَى الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَيُّهُ لَمْ نَأْتِ بِحَمَلَتَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١].

وَالْمَعْنَى: أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ عَمَلُهُ أَكْثَرَ الْحَقِّ بِهِ مِنْ دُونِهِ فِي الْعَمَلِ؛ ابْنًا كَانَ أَوْ أَبًا، وَيُلْحَقُ بِالذَّرِيَّةِ مِنَ النَّسَبِ الذَّرِيَّةُ بِالسَّبَبِ وَهُوَ الْمَحَبَّةُ، فَإِنْ حَصَلَ مَعَ الْمَحَبَّةِ تَعْلِيمٌ عِلْمٍ أَوْ عَمَلٌ . . كَانَ أَحَقَّ بِاللُّحُوقِ؛ كَالْتِلَامِذَةٍ فَإِنَّهُمْ يَلْحَقُونَ بِأَشْيَاخِهِمْ، وَأَشْيَاخُ الْأَشْيَاخِ يَلْحَقُونَ بِالْأَشْيَاخِ إِنْ كَانُوا دُونَهُمْ فِي الْعَمَلِ، وَالْأَصْلُ فِي ذَلِكَ عُمُومُ قَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ . . سَأَلَ أَحَدُهُمْ عَنْ أَبِيهِ وَزَوْجَتِهِ وَوَلَدِهِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يُدْرِكُوا مَا أُدْرِكْتُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ؛ إِنِّي عَمِلْتُ لِي وَلَهُمْ، فَيُؤْمَرُ بِالْحَاقِقِ بِهِ»^(٣).

(١) انظر الخبرين في «تفسير القرطبي» (٦٦/١٧).

(٢) وَيُؤَيَّدُهُ: أَنَّ التَّزْوِيجَ بِمَعْنَى الْعَقْدِ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ، لَا بِالْبَاءِ. «فتوحات» (٢٢٣/٤) عن العلامة الكرخي.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٦٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس ؓ.

وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهٍمْ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْنُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْزِعُونَ فِيهَا

﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ﴾ - بفتح اللام وكسرها -: نَقَصْنَاهُمْ ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ﴾ - زائدة - ﴿شَيْءٍ﴾ يُزَادُ فِي عَمَلِ الْأَوْلَادِ، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ﴾ مِنْ عَمَلٍ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ﴿رَهِينٌ﴾: مَرْهُونٌ يُؤَاخَذُ بِالشَّرِّ وَيُجَازَى بِالْخَيْرِ.

(﴿٢٢﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾: زِدْنَاهُمْ فِي وَقْتٍ بَعْدَ وَقْتٍ ﴿بِفِكَهٍمْ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْنُونَ﴾ وَإِنْ لَمْ يُصْرِّحُوا بِطَلْبِهِ، ﴿يَنْزِعُونَ﴾: يَتَعَاطُونَ بَيْنَهُمْ ﴿فِيهَا﴾ أَي: الْجَنَّةِ

حاشية الصاوي

قوله: (بفتح اللام وكسرها) أي: فهما قراءتان سبعيتان؛ فالأولى من باب (عَلِمَ)، والثانية من باب (ضَرَبَ) ^(١).

قوله: («مِنْ» زائدة) أي: في المفعول الثاني.

قوله: (يزاد في عمل الأولاد) أي: لم نأخذ من عمل الآباء شيئاً نجعله للأولاد، فيستحقون به هذا الإكرام، بل عمل الآباء باقٍ لهم بتمامه، وإلحاق الذرية بهم بِمَحْضِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ.

قوله: ﴿﴿رَهِينٌ﴾﴾ أي: مَرْهُونٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، كَأَنَّ نَفْسَ الْعَبْدِ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ اللَّهِ بِعَمَلِهِ الَّذِي هُوَ مُطَالِبٌ بِهِ، فَإِنْ عَمِلَ صَالِحاً فَكَفَّهَا مِنَ الرِّهْنِ، وَإِلَّا.. أَهْلَكَهَا؛ كَمَا يَرَهْنُ الرَّجُلُ رَقَبَةَ عَبْدِهِ بِدَيْنٍ عَلَيْهِ، فَإِنْ وَفَّى مَا عَلَيْهِ خَلَّصَ رَقَبَتَهُ مِنَ الرِّهْنِ، وَإِلَّا.. اسْتَمَرَّ مَرْهُوناً.

قوله: (في وقت بعد وقت) أَخَذَهُ مِنْ لَفْظِ (الإمداد).

قوله: (ولم يصرِّحوا بطلبه) أي: بل بمجرد ما يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ يَقْدَمُ إِلَيْهِمْ؛ لَمَّا وَرَدَ: «أَنَّ الرَّجُلَ يَشْنِي الطَّيْرَ فِي الْجَنَّةِ، فَيَخْرُثُ مِثْلَ الْبُخْتِيِّ حَتَّى يَقَعَ عَلَى خِوَانِهِ، لَمْ يُصِبْهُ دُخَانٌ، وَلَمْ تَمْسَهُ نَارٌ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ، ثُمَّ يَطِيرُ» ^(٢).

قوله: (يتعاطون بينهم) أي: يَتَجَادَبُ بَعْضُهُمُ الْكَأْسَ مِنْ بَعْضٍ، وَيُنَاولُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً؛ تَلَذُّذاً وَتَأَنُّساً، وَهُوَ الْمُؤْمِنُ وَزَوْجَاتُهُ وَخَدَمُهُ فِي الْجَنَّةِ.

(١) قرأ ابن كثير بكسر اللام، والباقون بفتحها. انظر «الدر المصون» (٧٢/١٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١١٩) عن سيدتنا ميمونة رضي الله عنها.

كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيَةٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾

﴿كَأْسًا﴾: خَمْرًا ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: بِسَبَبِ شُرْبِهَا يَقَعُ بَيْنَهُمْ، ﴿وَلَا تَأْنِيَةٌ﴾ بِهِ يَلْحَقُهُمْ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا، ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ لِلْخِدْمَةِ ﴿غِلْمَانٌ﴾: أَرْقَاءُ ﴿لَهُمْ كَأَنَّهُمْ﴾ حُسْنًا وَلَطَافَةً ﴿لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾: مَصُونٌ فِي الصَّدَفِ لِأَنَّهُ فِيهَا أَحْسَنُ مِنْهُ فِي غَيْرِهَا.

(٢٥ - ٢٧) ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: يَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿كَأْسًا﴾﴾ الكأس هو: إناء الخمر، وكلُّ كأسٍ مملوءٍ من شرابٍ أو غيره، فإذا فرغ لم يُسمَّ كأسًا.

قوله: ﴿﴿غِلْمَانٌ﴾﴾ أَرْقَاءُ ﴿لَهُمْ﴾ أي: كالأَرْقَاءِ فِي الْحَيَازَةِ وَالِاسْتِيْلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْغِلْمَانُ يَخْلُقُهُمُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ كَالْحُورِ، وَقِيلَ: هُمُ الْأَوْلَادُ مِنْ أَطْفَالِهِمُ الَّذِينَ سَبَقُوهُمْ، فَأَقَرَّ اللَّهُ تَعَالَى أَعْيُنَهُمْ بِهِمْ، وَقِيلَ: هُمُ أَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ.

وليس فِي الْجَنَّةِ نَضَبٌ وَلَا حَاجَةٌ إِلَى خِدْمَةٍ، بَلْ هُوَ مِنْ مَزِيدِ التَّنْعِيمِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: (مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَّا يَسْعَى عَلَيْهِ أَلْفُ غُلَامٍ، وَكُلُّ غُلَامٍ عَلَى عَمَلٍ غَيْرٍ مَا عَلَيْهِ صَاحِبُهُ)^(١).
وروي: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ.. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ الْخَادِمُ كَاللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، فَكَيْفَ الْمَخْدُومُ؟ قَالَ: «فَضْلُ الْمَخْدُومِ عَلَى الْخَادِمِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»^(٢)، وَرُوي: «أَنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ مَنْ يُنَادِي الْخَادِمَ مِنْ خَدَمِهِ، فَيُجِيبُهُ أَلْفُ يَبَابِهِ: لَيْيِكَ، لَيْيِكَ»^(٣).

وطوافُ الْغِلْمَانِ عَلَيْهِمُ بِالْفَوَاكِهِ وَالتُّحَفِ وَالشَّرَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾ [الصفات: ٤٥].

قوله: (مَصُونٌ فِي الصَّدَفِ) جمع (صَدَفَةٍ) وهي: غِشَاءُ الدَّرِّ.

قوله: (عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ) أي: فِي الدُّنْيَا.

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٨٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٤٧٦/٢٢).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٢٩/٩) بسنده عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها.

قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

وما وصلوا إليه تَلَذُّذاً واعتِرافاً بِالنَّعْمَةِ، ﴿قَالُوا﴾: إيماء إلى عِلَّةِ الْوُصُولِ: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾ في الدُّنْيَا ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خَائِفِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا﴾ بِالْمَغْفِرَةِ ﴿وَوَقَّنَا عَذَابَ السَّمُورِ﴾ أي: النَّارِ لِدُخُولِهَا فِي الْمَسَامِّ، وقالوا إيماءً أيضاً:

﴿٢٨﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: في الدُّنْيَا ﴿نَدْعُوهُ﴾ أي: نَعْبُدُهُ مُوَحِّدِينَ ﴿إِنَّهُ﴾ - بِالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً، وَإِنْ كَانَ تَعْلِيلاً مَعْنَى، وَبِالْفَتْحِ تَعْلِيلاً لَفْظاً - ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾: الْمُحْسِنُ الصَّادِقُ فِي وَعْدِهِ، ﴿الرَّحِيمُ﴾: الْعَظِيمُ الرَّحْمَةُ.

حاشية الصَّادِقِ

قوله: (وما وصلوا إليه) أي: مِنْ نعيم الجنة.

قوله: ﴿قَالُوا﴾ أي: قال المسؤول للسائل.

قوله: (إيماء) أي: إشارة.

قوله: (إلى علة الوصول) أي: وَمَحْطُّهَا قوله: ﴿فَمَنْ أَلَّهْ عَلَيْنَا﴾.

قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾... إلخ) أي: وشأن مَنْ كَانَ فِي أَهْلِهِ وَعَزْوَتِهِ أَنْ يَكُونَ آمناً، فَخَوْفُهُمْ مِنْ اللَّهِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ دَلِيلٌ عَلَى خَوْفِهِمْ فِي غَيْرِهَا بِالْأَوَّلَى، فَهْمٌ دَائِماً خَائِفُونَ، وَيَحْتَمَلُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ مِنَ الشَّفَقَةِ، وَهِيَ الرَّفْقُ؛ أَيْ: نَرَفَقُ بِأَهْلِنَا وَغَيْرِهِمْ.

قوله: (لدخولها في المسام) هذا بيانٌ لوجه تسميتها سموماً؛ فَالسَّمُومُ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، وَهِيَ فِي الْأَصْلِ: الرِّيحُ الْحَارَّةُ الَّتِي تَتَخَلَّلُ الْمَسَامَ.

قوله: (وقالوا إيماءً أيضاً) أي: إِلَى عِلَّةِ وُصُولِهِمْ إِلَى النَّعِيمِ، وَمَحْطُّ الْعِلَّةِ قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

قوله: (أي: نعبده) أي: أَوْ نَسْأَلُهُ الْوَقَايَةَ مِنَ النَّارِ، وَدُخُولَ دَارِ الْقَرَارِ.

قوله: (وبالفتح تعليلاً لفظاً) أي: والقراءتان سبعتان^(١).

(١) قرأ نافع والكسائي بفتح الهمزة، والباقون بكسرها. انظر «السراج المنير» (٤/١١٦).

فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا

﴿٢٩﴾ ﴿فَذَكِّرْ﴾: دُمَّ عَلَى تَذْكِيرِ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَرْجِعْ عَنْهُ لِقَوْلِهِمْ لَكَ: كَاهِنٌ مَجْنُونٌ، ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾: بِإِنْعَامِهِ عَلَيْكَ ﴿بِكَاهِنٍ﴾ - خَبَر (مَا) - ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾ - مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ ..

﴿٣٠﴾ - ﴿٣١﴾ ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿يَقُولُونَ﴾: هُوَ ﴿شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾: حَوَادِثُ الدَّهْرِ فِيهِلَكَ كَغَيْرِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ، ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ هَلَاكِي ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْزِلِينَ﴾ هَلَاكُكُمْ، فَعُذُّبُوا بِالسَّيْفِ يَوْمَ بَدْرٍ. وَالتَّرَبُّصُ الْإِنْتِظَارُ.

﴿٣٢﴾ - ﴿٣٤﴾ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ﴾: عُقُولُهُمْ ﴿بِهَذَا﴾ أَي: قَوْلِهِمْ لَهُ: سَاحِرٌ كَاهِنٌ شَاعِرٌ مَجْنُونٌ؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ الباء: سببية مُرتبطة بالنفي المستفاد من (ما)، والمعنى: انتفى كونك كاهناً أو مجنوناً بسبب إنعام الله عليك بِكَمَالِ الْعَقْلِ وَعُلُوِّ الْهَمَّةِ وَالْعَصْمَةِ.

قوله: ﴿بِكَاهِنٍ﴾ أي: مُخْبِرٍ بِالْأُمُورِ الْمَغْيِبَةِ مِنْ غَيْرِ وَحْيٍ.

قوله: (خبر «ما») أي: فَهِيَ حِجَازِيَّةٌ، والباء: زائدةٌ فِي خَبَرِهَا.

قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ اعْلَمْ: أَنَّ (أَمْ) ذَكَرَتْ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، وَكُلُّهَا تَقْدَّرُ بِ(بَل) وَالْهَمْزَةُ، فَهِيَ لِلْإِنْكَارِ التَّوْبِيخِيِّ. إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ.. فَالْمُنَاسِبُ لِلْمُفَسِّرِ أَنْ يُقَدِّرَهَا فِي الْجَمِيعِ بِ(بَل) وَالْهَمْزَةُ.

قوله: (حوادث الدهر) فِي الْكَلَامِ اسْتِعَارَةٌ تَصْرِيحِيَّةٌ؛ حَيْثُ شُبِّهَتْ حَوَادِثُ الدَّهْرِ بِالرَّيْبِ الَّذِي هُوَ الشُّكُّ؛ بِجَامِعِ التَّحْيِيرِ وَعَدَمِ الْبَقَاءِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فِي كُلِّ، وَقِيلَ: (المنون): الْمَنِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا تَنْقُصُ الْعِدَدَ، وَتَقْطَعُ الْمَدَدَ.

قوله: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أَمْرٌ تَهْدِيدِيٌّ، عَلَى حَدِّ: ﴿أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ﴾ جَمْعُ (حِلْمٍ)، يُطْلَقُ عَلَى الْأَنَاءِ، وَعَلَى الْعَقْلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا.

قوله: (أي: قَوْلُهُمْ لَهُ: شَاعِرٌ كَاهِنٌ مَجْنُونٌ) أَي: وَهَذَا تَنَاقُضٌ؛ فَإِنَّ شَأْنَ الْكَاهِنِ أَنْ يَكُونَ ذَا فِطْنَةٍ وَرَأْيٍ، وَشَأْنُ الشَّاعِرِ وَالسَّاحِرِ كَذَلِكَ، وَنَسَبْتُهُمُ الْجُنُونَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مُنَاقِضَةً.

أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾

أي: لا تأمرهم بذلك، ﴿أَمْ﴾: بَلْ ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ بِعِنَادِهِمْ، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ﴾: اخْتَلَقَ الْقُرْآنُ؟ لَمْ يَخْتَلِقْهُ ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ اسْتِكْبَاراً. فَإِنْ قَالُوا: اخْتَلَقَهُ ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مُخْتَلَقٍ ﴿مِثْلِهِ﴾ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿فِي قَوْلِهِمْ﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي: خَالِقٍ، ﴿أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ أَنْفُسُهُمْ؟ وَلَا يُعْقَلُ مَخْلُوقٌ بِغَيْرِ خَالِقٍ، وَلَا مَعْدُومٌ يَخْلُقُ، فَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ خَالِقٍ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ، فَلِمَ لَا يُوحِّدُونَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ؟!

﴿٣٦﴾ - ﴿٣٧﴾ ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى خَلْقِهِمَا إِلَّا اللَّهُ الْخَالِقُ فَلِمَ لَا يَعْبُدُونَهُ؟ ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ بِهِ، وَإِلَّا لَأَمَنُوا بِنَبِيِّهِ،
حاشية الصاوي

قوله: (أي: لا تأمرهم) أشار بذلك إلى أنَّ الاستفهام المستفاد من (أم) إنكاري، وفيه توبيخ أيضاً.

قوله: ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ المناسب للمفسر أن يُقَدَّرَ (أم) بـ(بل) والهمزة؛ ليوافق قوله فيما يأتي: (والاستفهام في مواضعها... إلخ)، والمعنى: لا ينبغي منهم هذا الطغيان.

قوله: (لم يَخْتَلِقْهُ) أشار به إلى أنَّ الاستفهام إنكاري بمعنى النفي.

قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ جوابُ شرطٍ مُقَدَّرٍ، قَدَّرَهُ الْمَفْسَّرُ بقوله: (فإن قالوا: اخْتَلَقَهُ)، والأمر للتعجيز.

قوله: (ولا يعقل مخلوقٌ بدون خالق) راجعٌ لقوله: ﴿خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾، وقوله: (ولا معدوم يَخْلُقُ) راجعٌ لقوله: ﴿أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾، والمعنى: أنهم لو كانوا هم الخالقين لأنفسهم وأنفسهم كانت معدومةً أولاً.. لزم أن يكونوا في حالة العدم أوجدوا أنفسهم وأخرجوها من العدم، فيكون المعدوم خالقاً، وهذا لا يُعْقَلُ.

قوله: (وإلا.. لَأَمَنُوا بِنَبِيِّهِ) أي: فحيث لم يترتب على إيقانهم بالله إقبالٌ على توحيده وتصديقه نبياً.. جُعِلَ إيقانهم كالعدم، وفيه تسليةٌ له ﷺ.

أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيَّبُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ
بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَتْ

﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِهِمَا فَيُخْصُّوهُمَا مَنْ شَاؤُوا بِمَا شَاؤُوا، ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيَّبُونَ﴾: الْمُسْلَطُونَ الْجَبَّارُونَ؟ - وَفِعْلُهُ: سَيَّطَرَ، وَمِثْلُهُ: بَيَّطَرَ وَبَيَّقَرَ..

(٣٨ - ٣٩) ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: مَرَقَى إِلَى السَّمَاءِ ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أَي: عَلَيْهِ كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى يُمَكِّنَهُمْ مُنَازَعَةَ النَّبِيِّ بِزَعْمِهِمْ؟ إِنْ ادَّعَوْا ذَلِكَ، ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ مُدَّعِيِ الْإِسْتِمَاعِ عَلَيْهِ ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ وَاضِحَةٍ، وَلِشَبِّهِ هَذَا الزَّعْمِ بِزَعْمِهِمْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَتْ﴾ أَي: بِزَعْمِكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ لم يُبَيَّنْ أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ مع أنه كذلك، والمعنى: ليس عندهم خزائن ربك، والمراد بخزائنه: مقدوراته، شُبِّهَتْ بِهَا؛ لِأَنَّ خَزَانَةَ الْمُلُوكِ بَيْتٌ مَهِيًّا لِمَجْمَعِ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الذَّخَائِرِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا.

قوله: ﴿أَمْ هُمُ الْمُصَيَّبُونَ﴾ اعْلَمْ: أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ عَلَى وَزْنِ (مُفْعِل) إِلَّا خَمْسَةُ أَلْفَاظٍ؛ أَرْبَعَةٌ صِفَةٌ اسْمُ فَاعِلٍ (مُهَيِّمِن) وَ(مَبِيقِر) وَ(مَبِيطِر) وَ(مَسِيطِر)، وَوَاحِدُ اسْمِ جَبَلٍ، وَهُوَ (مُحِيمِر).

قوله: (الْمُسْلَطُونَ) أَي: الْغَالِبُونَ عَلَى الْأَشْيَاءِ، يُدِيرُونَهَا كَيْفَ شَاؤُوا.

قوله: (وَمِثْلُهُ: بَيَّطَرَ) أَي: عَالِجُ الدَّوَابِّ، وَمِنْهُ: الْبَيْطَارُ، وَقَوْلُهُ: (وَبِيقِر) أَي: أَفْسَدَ وَأَهْلَكَ، فَالْحَاصِلُ أَنَّ مَعْنَى الْمُهَيِّمِنِ: الرَّقِيبُ، وَالْمَبِيقِرُ: الْمَفْسِدُ، وَالْمَبِيطِرُ: الْمَعَالِجُ لِلدَّوَابِّ.

قوله: (أَي: عَلَيْهِ كَلَامُ الْمَلَائِكَةِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَفْعُولَ ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ مَحْذُوفٌ، وَ(فِي) بِمَعْنَى (عَلَى).

قوله: (بِزَعْمِهِمْ) مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾.

قوله: (إِنْ ادَّعَوْا ذَلِكَ) أَي: الْإِسْتِمَاعُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْمَعْنَى: إِنْ قُرِضَ أَنَّهُمْ ادَّعَوْهُ.. فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ... إلخ.

قوله: (وَلِشَبِّهِ هَذَا الزَّعْمِ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى وَجْهِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، وَوَجْهِ الشَّبِّهِ بَيْنَ الزَّعْمَيْنِ: أَنَّ كَلًّا مِنْهُمَا فَاسِدٌ وَإِنْ كَانَ الزَّعْمُ الْأَوَّلُ فَرْضِيًّا، وَالثَّانِي تَحْقِيقِيًّا؛ لِوُقُوعِهِ مِنْهُمْ.

قوله: (أَي: بِزَعْمِكُمْ) أَي: بِدَعَاكُمْ وَاعْتِقَادِكُمْ.

وَلَكُمْ الْبُنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ...

﴿وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعموه.

(٤٠ - ٤١) ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على ما جئتهم به من الدين، ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرِمٍ﴾: غرم ذلك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يُسَلِّمُونَ، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ ذلك حتى يُمكنَهُمْ مُنَازَعَةُ النَّبِيِّ ﷺ في البعث وأُمُورِ الآخِرَةِ بِزَعْمِهِمْ.

(٤٢ - ٤٣) ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بِكَ لِیُهْلِكَوكَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾: الْمَغْلُوبُونَ الْمُهْلِكُونَ، فَحَفِظَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ثُمَّ أَهْلَكَهُمْ بِبَدْرِ. ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الْإِلَهِةِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَكُمْ الْبُنُونَ﴾ أي: لِتَكُونُوا أَقْوَى مِنْهُ، فَإِذَا كَذَّبْتُمْ رُسُلَهُ.. تَكُونُونَ آمَنِينَ؛ لِقَوَّتِكُم بِالْبَنِينَ، وَزَعْمِكُمْ ضَعْفَهُ بِالْبَنَاتِ؟!

قوله: (تعالى الله عما زعموه) أشار بذلك إلى أَنَّ الاسْتِفْهَامَ إنْكَارِيٌّ.

قوله: ﴿مُثْقَلُونَ﴾ أي: مُتَعَبُونَ وَمُغْتَمُونَ؛ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ غَرِمَ شَخْصًا مَالًا يَكُونُ الْمَأْخُودُ مِنْهُ كَارِهًا لِلْإِخْذِ وَمُغْتَمًا مِنْهُ.

قوله: ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ جوابٌ لِقَوْلِهِمْ: ﴿نَرْيَا بِهِ رَبَّ الْمُنُونِ﴾، وَالْمَعْنَى: أَعِنْدَهُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ بِأَنَّ الرُّسُولَ يَمُوتُ قَبْلَهُمْ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ذَلِكَ؟

قوله: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ أي: مَكْرًا وَتَحِيلًا فِي هَلَاكِكَ.

قوله: (في دار الندوة) إِن قُلْتُ: السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، وَالْاجْتِمَاعُ بِدَارِ النَّدْوَةِ كَانَ لَيْلَةَ الْهَجْرَةِ، فَالتَّقْيِيدُ بِهَا مُشْكَلٌ؛ فَالْأَوْضَحُ: حَذَفَ قَوْلَهُ: (في دار الندوة)؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الْكَيْدِ حَاصِلَةٌ مِنْهُمْ مِنْ يَوْمِ بَعَثْتَهُ ﷺ.

قوله: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَوْقَعَ الظَّاهِرَ مَوْقَعَ الْمَضْمَرِ؛ تَشْنِيعًا وَتَقْيِيحًا عَلَيْهِمْ بِصِفَةِ الْكُفْرِ.

قوله: (ثم أهلكهم ببدري) أي: أَهْلَكَ رُؤَسَاءَهُمْ، وَهُمْ سَبْعُونَ.

قوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تَنَزَّاهُ اللَّهُ عَمَّا يَنْسُبُونَهُ لَهُ مِنَ الشَّرْكِ فِي الْإِلَوهِيَّةِ.

وَأَن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

- والاستفهام بـ ﴿أَمْ﴾ في مواضعها للتوبيخ والتوبيخ -.

(٤٤ - ٤٧) ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا﴾: بعضاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ عليهم كما قالوا: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [الشعراء: ١٨٧] أي: تعذيباً لهم، ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: مُتْرَاكِبٌ نَرَوِي بِهِ وَلَا يُؤْمِنُوا. ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾: يَمُوتُونَ، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي﴾ - بدل من ﴿يَوْمَهُمْ﴾ - ﴿عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من العذاب في الآخرة.

حاشية الصاوي

قوله: (والاستفهام بـ «أَمْ») أي: المقدرة بـ (بل) والهمزة، أو بالهمزة وحدها، وقوله: (في مواضعها) أي: وهي خمسة عشر.

قوله: (للتوبيخ والتوبيخ) أي: والإنكار.

قوله: ﴿وَأَن يَرَوْا كِسْفًا﴾ أي: على فرض حصوله؛ فإنه لم يحصل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]، والمعنى: لو عذبناهم بسقوط قطع من السماء عليهم... لم ينتهوا ولم يرجعوا، ويقولون في هذا النازل عناداً واستهزاء وإغاظاً لمحمد: إنه سحابٌ مَرْكُومٌ.

قوله: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ هذه الآية إنما وردت في قوم شُعَيْب؛ كما ذكر في سورة (الشعراء)، فكان الأولى للمفسر أن يستدل بما نزل في قريش في سورة (الإسراء)، وهو قوله: ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ [الإسراء: ٩٢].

قوله: ﴿فَذَرَهُمْ﴾ جواب شرط مُقَدَّر، والمعنى: إذا بلغوا في العناد إلى هذا الحد وتبين أنهم لا يرجعون عن الكفر... فدعهم ولا تلتفت لهم.

قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾ هكذا بينائه للفاعل والمفعول، قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (يَمُوتُونَ) أي: بإنقضاء آجالهم في بدرٍ أو غيرها، هذا هو الأحسن.

قوله: (من العذاب في الآخرة) المراد به: العذاب الذي يأتي بعد الموت.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم بضم الياء مبنياً للمفعول، وباقي السبعة بفتحها مبنياً للفاعل. انظر «الدر المصون» (٧٩/١٠).

وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿وَأَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِكُفْرِهِمْ ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ مَوْتِهِمْ، فَعُذِّبُوا بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ
سَبْعَ سِنِينَ وَبِالْقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ الْعَذَابَ يَنْزِلُ بِهِمْ.

(٤٨ - ٤٩) ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بِإِمهالِهِمْ وَلَا يَضِيقُ صَدْرُكَ، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾
بِمَرَأَى مِنَّا نَرَاكَ وَنَحْفَظُكَ، ﴿وَسَبِّحْ﴾ مُلْتَبِسًا بِحَمْدِ رَبِّكَ أَي: قُل: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ
﴿حِينَ تَقُومُ﴾ مِنْ مَنَامِكَ أَوْ مِنْ مَجْلِسِكَ، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حَقِيقَةً أَيْضًا، ﴿وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾
- مَصْدَرٌ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿دُونَ ذَلِكَ﴾ أَي: قَبْلَ الْعَذَابِ الَّذِي يَأْتِيهِمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَذَلِكَ صَادِقٌ - كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ
- بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ وَالْقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ.

قوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَي: لِتَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لَهُمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَالْمَرَادُ بِالْأَكْثَرِ:
مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ شَقَاؤُهُ.

قوله: (بِمَرَأَى مِنَّا) أَي: فَأَطْلَقْتَ الْأَعْيُنَ وَأَرِيدُ لَازِمُهَا، وَهُوَ إِبْصَارُ الشَّيْءِ وَالْإِحَاطَةُ بِهِ عِلْمًا
وَقَرَبًا، فَيَلْزَمُ مِنْهُ مَزِيدُ الْحِفْظِ لِلْمَرْتَبَةِ الَّتِي هُوَ الْمَرَادُ.

وَعَبَّرَ هُنَا بِالْجَمْعِ؛ لِمُنَاسَبَةِ نَوْنِ الْعِظَمَةِ، بِخِلَافِ مَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ (طه) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَتُصْنَعَنَّ عَلَى
عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

قوله: (مِنْ مَنَامِكَ) أَي: فَقَدْ وَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: (كَانَ إِذَا قَامَ - أَي: اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ - كَبَّرَ
عَشْرًا، وَحَمَدَ اللَّهَ عَشْرًا، وَسَبَّحَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ! اغْفِرْ لِي
وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي وَعَافِنِي»، وَكَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ:
«كَانَ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنْ مَنَامِهِ.. قَرَأَ الْعَشْرَ آيَاتِ مِنْ آخِرِ (آلِ عِمْرَانَ)»^(٢).

قوله: (أَوْ مِنْ مَجْلِسِكَ) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا، فَكَثُرَ

(١) رواه أبو داود (٧٦٦).

(٢) رواه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣) عن سيدنا ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

أي: عَقَبَ غُرُوبُهَا سَبَّحَهُ أَيضاً، أو صَلَّ في الأوَّل العِشَاءَيْنِ وفي الثَّانِي الفَجَرَ، وقيل: الصُّبْح.



حاشية الصاوي

فيه لَغْطُهُ، فقال قبل أن يقوم: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.. كان كفارةً لِمَا بينهما^(١)، وفي رواية: «كان كفارة له»^(٢).

قوله: (أي: عقب غروبها) المراد بِغُرُوبِهَا: ذهاب ضوئها بَغْلَبَةِ ضوء الصبح عليه وإن كانت باقيةً في السماء، وذلك بِطُلُوعِ الفجر.

قوله: (أو صَلَّ في الأوَّل) أي: الليل، فهذا راجعٌ لقوله: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾، وأما ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.. فالمراد: حقيقة التسبيح على كلِّ حالٍ.

قوله: (وفي الثَّانِي الفَجَرَ) أي: الركعتين اللتين هما سُنَّةُ الصبح، وقوله: (وقيل: الصبح) أي: فريضة صلاة الصبح.



(١) رواه البغوي في «شرح السنة» (١٣٤٠)، وفي «سنن الترمذي» (٣٤٣٣): «إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك».

(٢) رواها الحاكم في «المستدرک» (٥٣٦/١) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه.

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾



مكية، ثنتان وستون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿وَالنَّجْمِ﴾: الثُّرَيَّا ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾: غَابَ،

حاشية الصاوي

سُورَةُ النَّجْمِ

(مكية) أي: كلها، وقيل: إلا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِنْتِمِ وَالْفَوْحِشَ...﴾ الآية، وقيل: كلها مدني، وردّ بما ورد: أنها أول سورة أعلن بها رسول الله ﷺ بمكة، وسجد فيها، وسجد معه المسلمون والمشركون؛ زعماً منهم أنه يمدح آلهتهم^(١).

واعلم: أن بين أول هذه السورة وآخر ما قبلها مناسبة؛ فإنه تعالى قال في آخر تلك: ﴿وَادْبُرْ النُّجُومِ﴾، وقال في أول هذه: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.

قوله: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ اختلف في تفسير النجم؛ فمشى المفسر على أنه الثريا، وهي عدة نجوم، بعضها ظاهر، وبعضها خفي، وكان ﷺ يراها أحد عشر نجماً، ومعنى هويّه: غيبوبته عند طلوع الفجر، وقيل: المراد به: أي نجم، وقيل: المراد به: جميع النجوم، وقيل: هو الزهرة، وقيل: الشعري، وقيل: القرآن، ومعنى (هوى): نزل؛ لأنه نزل منجماً على ثلاث وعشرين سنة، وقيل: هو محمد، ومعنى (هوى): نزل من المعراج، وقيل: جبريل، ومعنى (هوى): نزل بالوحي.

واختلف في عامل الظرف؛ فقليل: معمول لمحذوف، تقديره: أقسم بالنجم وقت هويّه، واستشكل بأن فعل القسم إنشاء، والإنشاء حالٌ و(إذا) لما يُستقبل من الزمان، فكيف يعمل الإنشاء في المستقبل؟

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ طَرِيقِ الْهِدَايَةِ، ﴿وَمَا غَوَى﴾ : مَا لَا بَسَّ الْغَيِّ وَهُوَ جَهْلٌ مِنْ اعْتِقَادٍ فَاسِدٍ، ﴿وَمَا يَنْطِقُ﴾ بِمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ : هَوَى نَفْسِهِ.

(٤ - ٧) ﴿إِنْ﴾ : مَا ﴿هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ إِلَيْهِ،

حاشية الصاوي

وأجيب: بأنه يُتَوَسَّعُ في الظروف ما لا يُتَوَسَّعُ في غيرها، أو قُصِدَ منها مجرد الظرفية الصادق بالماضي والحال والاستقبال؛ لأنها قد تأتي للحال والماضي.

وقيل: عامله حال من (النجم) محذوفة، والتقدير: أقسم بالنجم حال كونه مستقرًا في زمان هَوِيَّه، ويأتي فيه الإشكال والجواب المتقدمان، ويجاب أيضاً: بأن تجعل الحال مقدرة.

قوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ هذا هو جواب القسم، وعبر بلفظ الصُّحْبَةِ؛ تَبَكُّيتاً لَهُمْ، وإشعاراً بأنهم يَعْرِفُونَهُ كما يعرفون أبناءهم، فلا يَلِيْقُ منهم نسبته للنقص.

قوله: (عن طريق الهدى) أشار بذلك إلى أَنَّ الضلال مخالفة للغَيِّ؛ فالضلال: فعل المعاصي، والغَيُّ: هو الجهل المركب، وقيل: الضلال: في العلم، والغَيُّ: في الأفعال، وقيل: هما مُتَرَادِفَانِ.

قوله: (من اعتقاد فاسد) أي: ناشئ وحاصل.

قوله: ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يَنْطِقُ﴾، والمعنى: ما يصدر نطقه عن هوى نفسه، ومثله: الفعل، بل وجميع أحواله، وهو مُفَرَّعٌ على ما قبله؛ لأنه إذا عَلِمَ تنزُّهَهُ عن الضلال والغواية.. تفرَّع أنه لا يَنْطِقُ عن هواه قرآناً أو غيره.

قوله: ﴿إِنْ هُوَ﴾ الضمير عائدٌ على النطق المأخوذ من ﴿يَنْطِقُ﴾، والمعنى: ما يتكلم من القرآن وغيره، ومثل النطق: الفعل وجميع أحواله، فهو ﷻ لا يَنْطِقُ وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، لا عن هوى نفسه.

قوله: ﴿يُوحَى﴾ الجملة صفة لـ ﴿وَحْيٍ﴾، أتى بها لرفع توهم المجاز، كأنه قال: هو وحي حقيقة، لا مجرد تسميته.

عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾

﴿عَلَّمَهُ﴾: إِيَّاهُ مَلَكُ ﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ: قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ أَوْ مَنْظَرٌ حَسَنٌ، أَي: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿فَاسْتَوَى﴾: اسْتَقَرَّ، ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾: أَفُقُ الشَّمْسِ أَي: عِنْدَ مَطْلَعِهَا عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَكَانَ بِحِرَاءٍ قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ إِلَى الْمَغْرِبِ، فَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ، وَكَانَ قَدْ سَأَلَهُ أَنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَوَاعَدَهُ بِحِرَاءٍ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ لَهُ فِي صُورَةِ الْآدَمِيِّينَ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿عَلَّمَهُ﴾﴾ إِيَّاهُ) الضمير المذكور هو المفعول الأول، عائدٌ على النبي، والثاني الذي قدَّره المفسر عائدٌ على الوحي.

قوله: ﴿﴿شَدِيدُ الْقُوَى﴾﴾ صِفةٌ لموصوفٍ محذوف، قدَّره المفسر بقوله: (ملك)، وهو جبريل عليه السلام، ومن شِدَّةِ قُوَّتِهِ اقْتِلَاعُهُ مَدَائِنَ قَوْمِ لُوطَ، وَرَفْعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَقَلْبُهَا، وَصِيَّاحُهُ عَلَى ثَمُودَ، وَنَقْطُهُ الْجَبَلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهَذِهِ الشَّدَّةُ حَاصِلَةٌ فِيهِ وَلَوْ تَشَكَّلَ بِصُورَةِ الْآدَمِيِّينَ؛ لِأَنَّهَا لَا تَحْكُمُ عَلَيْهِمُ الصُّورَةَ، وَهَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

وقيل: المراد به الربُّ سبحانه وتعالى، والمرادُ بـ(الْقُوَى) فِي حَقِّهِ تَعَالَى: صِفَاتُ الْاِقْتِدَارِ؛ كَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعِظَمَةِ.

قوله: ﴿﴿ذُو مِرَّةٍ﴾﴾ أَي: قُوَّةٌ بَاطِنِيَّةٌ وَعِزْمٌ وَسُرْعَةٌ حَرَكَةٌ، فَغَايَرُ مَا قَبْلَهُ، فَجِبْرِيلُ أَعْطَاهُ اللَّهُ قُوَّةَ ظَاهِرِيَّةً وَقُوَّةَ بَاطِنِيَّةً، وَقِيلَ: الْمِرَّةُ: وَفُورُ الْعِلْمِ، وَقِيلَ: الْجَمَالُ.

قوله: ﴿﴿فَاسْتَوَى﴾﴾ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾﴾.

قوله: ﴿﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾﴾ الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ.

قوله: (وكان) أَي: النَّبِيُّ ﷺ.

قوله: (وكان قد سأله... إلخ) تعليلٌ لقوله: ﴿﴿فَاسْتَوَى﴾﴾، وَذَلِكَ أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ فِي صُورَةِ الْآدَمِيِّينَ كَمَا يَأْتِي إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُرِيَهُ نَفْسَهُ الَّتِي جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَأَرَاهُ نَفْسَهُ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِالْأَرْضِ، وَمَرَّةً بِالسَّمَاءِ، وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا إِلَّا نَبِيْنَا ﷺ.

قوله: (فنزَلَ جبريلُ) عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: (فخرَّ مغشياً عليه).

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾

(٨ - ١٠) ﴿ثُمَّ دَنَا﴾: قُرْبَ مِنْهُ ﴿فَتَدَلَّى﴾: زَادَ فِي الْقُرْبِ، ﴿فَكَانَ﴾ مِنْهُ ﴿قَابَ﴾: قَدَرَ ﴿قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ مِنْ ذَلِكَ حَتَّىٰ أَفَاقَ وَسَكَنَ رَوْعُهُ، ﴿فَأَوْحَى﴾ تَعَالَى ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِ﴾ جِبْرِيلَ ﴿مَا أَوْحَى﴾ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،

حاشية الصاوي

قوله: (زاد في القرب) أي: فالكلام باقٍ على ظاهره، وقيل: في الكلام قلبٌ، والأصل: فتدلى ثم دنا، ومعنى (تدلى): رجع لصورته الأصلية.

قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ في الكلام حذفٌ، والأصل: فكان مقدارٌ مسافةٍ قُربِهِ مِنْهُ مثلَ مقدار مسافة قَابِ قَوْسَيْنِ. والقَاب: القَدْر، وقيل: هو ما بين المقبض والطرف، ولكل قوس قَابَانِ، فأصل الكلام: فكان قَابِي قوس، فحصل في الكلام قلبٌ.

قوله: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ (أو) بمعنى (بل)، نظير قوله تعالى: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧]، أو على بابها للشك بالنسبة للرائي، والمعنى: إذا نظرت إليه وهو في تلك الحالة.. تتردد بين المقدارين.

قوله: (حتى أفاق) غايةٌ لمحذوف؛ أي: ضَمَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى أَفَاقَ. رُويَ أَنَّهُ لَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «يا جبريل؛ ما ظننتُ أَنَّ اللهَ خَلَقَ أَحَدًا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ»، فقال: «يا محمد؛ إنما نَشَرْتُ جَنَاحَيْنِ مِنْ أَجْنَحَتِي، وَإِنَّ لِي سِتًّا مِثْلَ جَنَاحٍ، سَعَةُ كُلِّ جَنَاحٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»، فقال ﷺ: «إن هذا لعظيم»، فقال جبريل: «وما أنا في جَانِبِ خَلْقِ اللهِ إِلَّا يَسِيرٌ، وَلَقَدْ خَلَقَ اللهُ إِسْرَافِيلَ لَهُ سِتُّ مِثْلِ جَنَاحٍ، كُلُّ جَنَاحٍ مِنْهَا قَدْرُ جَمِيعِ أَجْنَحَتِي، وَإِنَّهُ لَيَتَضَاءَلُ أَحْيَانًا مِنْ مَخَافَةِ اللهِ تَعَالَى حَتَّى يَكُونَ بِقَدْرِ الْوَصْعِ»^(١) أي: العُصْفُور الصَّغِير.

وهذا على كلام الجمهور، وأمَّا على أن المراد به سبحانه وتعالى.. فمعنى الاستواء: الاستِعْلَاءُ وَالْقَهْرُ، ومعنى الدنو والتدلي: تَجَلِّيهِ بِصِفَةِ الْجَمَالِ وَالْمَحَبَّةِ لِعَبْدِهِ، عَلَى حَدِّ مَا قِيلَ فِي: «يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ»^(٢).

قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ هذا مُفْرَعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَطُّقُ عَنِ الْمَوْتِ﴾، ومشى المفسر

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢١) عن ابن شهاب مرسلًا، وانظر «تفسير القرطبي» (٨٧/١٧).

(٢) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة ؓ.

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ

وَلَمْ يَذْكُرِ الْمُوحَى تَفْخِيمًا لِّشَأْنِهِ .

(١١) - (١٥) ﴿مَا كَذَبَ﴾ - بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - : أَنْكَرَ ﴿الْفُؤَادُ﴾ : فُؤَادُ النَّبِيِّ

حاشية الصاوي

على أَنَّ الضمير في (أوحى) الأول عائدٌ على الله تعالى، والمرادُّ بالعبد: جبريل، والضمير في (أوحى) الثاني عائدٌ على جبريل، وهو احتمالٌ من ثمانية، أفادها العلامة الأجهوري، وحاصلها أن يقال: الضمير في (أوحى) الأول عائدٌ على الله، أو جبريل، والثاني كذلك، فهذه أربع، وفي كلٍّ منها إمَّا أن يُرادَّ بالعبد جبريل، أو محمد، فهذه ثمانٍ، اثنان منها فاسيدان، وهما إن جعل الضمير في (أوحى) الأول عائداً على جبريل ويُراد بالعبد جبريل؛ سواءً جعل الضمير في (أوحى) الثاني عائداً على الله أو جبريل، وبإقيها صحيح، والأنسبُ بمقام المدح أن يعود الضمير في (أوحى) الأول والثاني على الله، والمراد بالعبد: محمد عليه السلام، والمعنى: أوحى الله إلى عبده محمد ما أوحاه الله إليه من العلوم والأسرار والمعارف التي لا يُحصيها إلا مُعْطِيها بواسطة جبريل، وبغير جبريل حين فارقه عند الرَّفْرِف^(١).

قوله: (ولم يذكر الموحى به؛ تفخيماً لشأنه) أي: وإشارةً إلى عُمومه، واختلف في هذا الموحى به؛ فقيل: مُبْهَمٌ لا نطلع عليه، وإنما يجب علينا الإيمان به إجمالاً، وقيل: هو معلومٌ، وفي تفسيره خلافٌ؛ فقيل: أوحى الله إليه: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَيْتُكَ؟ أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ؟ أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلاً فَأَغْنَيْتُكَ؟ ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ٢ أَلَيْسَ آنَفَضَ ظَهْرَكَ ٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٤ [الشرح: ١-٤]، وقيل: أوحى الله إليه أَنَّ الْجَنَّةَ حَرَامٌ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَدْخُلَهَا يَا مُحَمَّد، وَعَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتُكَ^(٢).

قوله: (بالتخفيف والتشديد) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٣)، فالمعنى على التشديد: أَنَّ مَا رَأَاهُ مُحَمَّدٌ بِعَيْنِهِ صَدَّقَهُ قَلْبُهُ وَلَمْ يُنْكِرْهُ، والتخفيف؛ قيل كذلك، وقيل: هو على إسقاط الخافض، والمعنى: ما كذب الفؤاد فيما رآه.

(١) قال سيدنا ابن عباس ؓ: (تدلى الرفرف لمحمد ﷺ ليلة المعراج، فجلس عليه، ثم رفع فدلنا من ربه)؛ فعلى هذا: الرفرف: ما يُقْعَدُ ويجلس عليه كالبساط وغيره. انظر «تفسير القرطبي» (٩٨/١٧).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤٠٢/٧).

(٣) قرأ هشام بتشديد الدال، والباقون بتخفيفها. انظر «الدر المصون» (٨٨/١٠).

مَا رَأَى ﴿١١﴾ أَفْتَنُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾

﴿مَا رَأَى﴾ بِبَصَرِهِ مِنْ صُورَةِ جِبْرِيلَ، ﴿أَفْتَنُونَهُ﴾: تُجَادِلُونَهُ وَتَغْلِبُونَهُ ﴿عَلَى مَا يَرَى﴾؟ - خِطَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ لِجِبْرِيلَ .. ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ عَلَى صُورَتِهِ ﴿نَزْلَةً﴾: مَرَّةً ﴿أُخْرَى﴾ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
 حاشية الصاوي

قوله: (من صورة جبريل) بيانٌ لـ ﴿مَا رَأَى﴾، وهذا أحد قولين، وقيل: هو الله عزَّ وجلَّ، وعليه: فقد رأى ربَّه مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً فِي مَبَادِيِ الْبُعْثَةِ، ومرة ليلة الإسراء، واختلف في تلك الرؤية؛ فقيل: رآه بعينه حقيقةً، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين، منهم: ابن عباس وأنس بن مالك والحسن وغيرهم، وعليه قول العارف البرعي^(١): [الوافر]

وَأِنْ قَابَلْتَ لَفُظَةً ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ بِـ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ﴾ فَهَمَّتْ مَعْنَى

فَمُوسَى خَرَّ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ وَأَحْمَدُ لَمْ يَكُنْ لِيَزِيغَ ذَهْنًا

وقيل: لم يَرَهُ بعينه، وهو قول عائشة رضي الله عنها، والصحيح الأول؛ لأنَّ المَثْبُتَ مُقَدَّمٌ عَلَى النَّافِي، أو لأنَّ عائشة لم يَبْلُغْهَا حَدِيثُ الرُّؤْيَا؛ لكونها كانت حديثه السن.

قوله: ﴿﴿أَفْتَنُونَهُ﴾﴾ بضمَّ التاء وبالألف بعد الميم من: ماراه: جادله وغالبه، أو بفتح التاء وسكون الميم من غير ألف من: مَرَيْتُهُ حَقَّ: إِذَا عَلِمْتُهُ وَجَحَدْتُهُ إِيَّاهُ، قراءتان سبعيتان^(٢).

قوله: ﴿﴿عَلَى مَا يَرَى﴾﴾ أي: على ما رآه، وهو جبريل على كلام المفسر، وذات الله تعالى على كلام غيره، وعبرَ بالمضارع؛ استحضاراً للحالة البعيدة في ذهن المخاطبين.

قوله: ﴿﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾﴾ اللام للقسَم، وقوله: (مرة) أشار بذلك إلى أنَّ ﴿نَزْلَةً﴾ منصوبٌ على الظرفية.

قوله: ﴿﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾﴾ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ إمَّا لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَا يَهْبِطُ مِنْ فَوْقِهَا، وَمَا يَصْعَدُ مِنْ تَحْتِهَا، أو لِأَنَّهُ يَنْتَهِي عِلْمُ الْأَنْبِيَاءِ إِلَيْهَا، وَيَعَزَبُ عِلْمُهُمْ عَمَّا وَرَاءَهَا، أو لِأَنَّ الْأَعْمَالَ تَنْتَهِي إِلَيْهَا وَتُقْبَضُ مِنْهَا، أو لِانْتِهَاءِ الْمَلَائِكَةِ إِلَيْهَا وَوُقُوفِهِمْ عِنْدَهَا، أو لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الشَّهَدَاءِ، أو لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، أو لِأَنَّهُ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَنْ كَانَ عَلَى سَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ، أقوال.

(١) انظر «ديوانه» (ص ٢٤٤).

(٢) قرأ الأخوان وخلف ويعقوب بفتح التاء وسكون الميم، وغيرهم بضم التاء وفتح الميم وألف بعدها. انظر «البدور

الزاهرة» (ص ٣٠٦).

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ﴿١٥﴾

لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ فِي السَّمَاوَاتِ، وَهِيَ شَجَرَةُ نَبَقٍ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَا يَتَجَاوَزُهَا أَحَدٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ تَأْوِي إِلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ وَأَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ وَالْمُتَّقِينَ.

حاشية الصاوي

وإضافة ﴿سِدْرَةٍ﴾ لـ ﴿الْأُشْجَانِ﴾ إمَّا من إضافة الشيء إلى مكانه، والتقدير: عند سِدْرَةٍ عندها منتهى العلوم، أو من إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور؛ أي: سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى إِلَيْهِ، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ٤٢].

قوله: (لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ) أي: وَكَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بَسْنَةً، أَوْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: كَانَ قَبْلَهَا بِثَلَاثِ سِنِينَ، وَالرُّؤْيَا الْأُولَى أَتَتْ فِي بَدْءِ الْبَعْثَةِ، فَبَيْنَ الرُّؤْيَا نَحْوَ عَشْرِ سِنِينَ.

قوله: (وَهِيَ شَجَرَةُ نَبَقٍ) أي: وَفِيهَا الْحُلِيِّ وَالْحُلَلُ وَالْثَمَارُ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ، لَوْ وَضَعْتَ وَرَقَةً فِي الْأَرْضِ.. لِأَضَاءَتِ لِأَهْلِهَا؛ قِيلَ: هِيَ شَجَرَةُ طُوبَى، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهَا غَيْرُهَا. وَالنَّبَقُ: بِكَسْرِ الْبَاءِ وَسُكُونِهَا. وَاخْتِيرَتِ السِّدْرَةُ لِهَذَا الْأَمْرِ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الشَّجَرِ؛ لَمَّا قِيلَ: إِنَّ السِّدْرَةَ تَخْتَصُّ بِثَلَاثَةِ أَوصَافٍ: ظِلٌّ مُدِيدٌ، وَطَعَامٌ لَذِيذٌ، وَرَائِحَةٌ زَكِيَّةٌ، فَشَابَهَتْ الْإِيمَانَ الَّذِي جُمِعَ قَوْلًا وَعَمَلًا وَنِيَّةً، فَظَلُّهَا مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الْعَمَلِ؛ لِتَجَاوُزِهِ، وَطَعْمُهَا بِمَنْزِلَةِ النِّيَّةِ؛ لَكُمُونِهِ، وَرَائِحَتُهَا بِمَنْزِلَةِ الْقَوْلِ؛ لِظُهُورِهِ.

قِيلَ: إِنَّ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اسْتَوْصِ بِإِخْوَانِي فِي الْأَرْضِ خَيْرًا، فَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً.. صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»^(١)، وَاسْتَشْكَلَ هَذَا الْحَدِيثُ: بِأَنَّهُ يَقْتَضِي أَنَّ قَطْعَ السِّدْرِ حَرَامٌ لِحَاجَةٍ وَلِغَيْرِ حَاجَةٍ مَعَ أَنَّهُ خِلَافُ الْمَنْصُوصِ؟ وَأُجِيبَ: بِأَنَّهُ سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: هُوَ مُخْتَصَرٌ، وَحَاصِلُهُ: (مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلَاةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عِثًّا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا.. صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ)^(٢)، وَبَعْدَ ذَلِكَ فَهَذَا لَا يَخُصُّ السِّدْرَ.

قوله: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ حال من ﴿سِدْرَةِ الْأُشْجَانِ﴾.

قوله: (تَأْوِي إِلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ.. إلخ) وقيل: هِيَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُوِي إِلَيْهَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَقِيلَ: لِأَنَّ جَبْرِيْلَ وَمِيكَائِيْلَ يَأْوِيَانِ إِلَيْهَا، فَهَذَا وَجْهٌ تَسْمِيَّتُهَا: (جَنَّةُ الْمَأْوَى)، أَوْ لِأَنَّ أَهْلَ السَّعَادَةِ يَأْوُونَ إِلَيْهَا.

(١) رواه أبو داود (٥٢٣٩)، والنسائي في «الكبرى» (٨٦١١) عن سيدنا عبد الله بن حُجْبِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر «سنن أبي داود» (٣٦١/٤).

إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾

(١٦ - ١٨) ﴿إِذْ﴾: حِينَ ﴿يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ مِنْ طَيْرٍ وَغَيْرِهِ، - و﴿إِذْ﴾ مَعْمُولَةٌ لـ ﴿رَأَاهُ﴾ .. ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ﴿وَمَا طَغَى﴾ أَي: مَا مَالَ بَصَرُهُ عَنْ مَرِيئِهِ الْمَقْصُودَ لَهُ، وَلَا جَاوَزَهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مَا يَغْشَى﴾ أبهم الموصول وصلته؛ إشارة إلى أَنَّ مَا غَشِيَهَا لَا يُحِيطُ بِهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.
قوله: (من طير وغيره) ورد عنه ﷺ أنه قال: «رَأَيْتُ السِّدْرَةَ يَغْشَاهَا فَرَّاشٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَرَأَيْتُ عَلَى كُلِّ وَرْقَةٍ مَلَكًا قَائِمًا يُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى»^(١)، وَوَرَدَ أَيْضًا: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «ذَهَبُ بِي جَبْرِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَأَوْرَاقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَقِلَالِ هَجْرٍ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى مَا غَشِيَهَا.. تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى يَقْدِرُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»^(٢)، وَقِيلَ: يَغْشَاهَا أَنْوَارُ التَّجَلِّيِّ وَقَدْ مُشَاهَدَةُ النَّبِيِّ ﷺ لِرَبِّهِ؛ كَمَا تَجَلَّى عَلَى الْجَبَلِ عِنْدَ مُكَالَمَةِ مُوسَى، لَكِنْ السِّدْرَةُ أَقْوَى مِنَ الْجَبَلِ، فَالْجَبَلُ صَارَ دَكًّا، وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا، وَلَمْ تَتَحَرَّكْ السِّدْرَةُ، وَلَمْ يَتَزَلَّزَلْ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قوله: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ﴾ أَي: لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى مَا غَشَى السِّدْرَةَ مِنَ الْعَجَائِبِ الْمَتَقَدِّمَةِ؛ لِأَنَّ الزَّيْغَ هُوَ: الْإِلْتِفَاتُ لِغَيْرِ الْجِهَةِ الَّتِي تَعْنِيهِ.

قوله: ﴿وَمَا طَغَى﴾ (الطغيانُ): مَجَاوِزَةُ الْحَدِّ اللَّائِقِ؛ كَمَا أَفَادَهُ الْمَفْسِّرُ، فَوُصِفَ ﷺ بِكَمَالِ الثَّبَاتِ وَالْأَدَبِ مَعَ غَرَابَةِ مَا هُوَ فِيهِ إِذْ ذَاكَ.

وسبق تنزيه علمه عن الضلال، وعمله عن الغواية، ونطقه عن الهوى، وفؤاده عن التكذيب، وهنا نزه بصره عن الزيغ والطغيان مع تأكيد ذلك وتحقيقه بالأقسام، وناهيك بذلك من ربِّ العِزَّةِ جَلَّ جلاله ثناءً.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥١٩/٢٢) من حديث عبد الرحمن بن زيد، وروى أبو يعلى في «مسنده» (٢٦٥٦) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾، قال رسول الله ﷺ: «رَأَيْتُهَا حَتَّى اسْتَبْتُّهَا، ثُمَّ حَالَ دُونَهَا فَرَّاشُ الذَّهَبِ».

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ . . .

﴿لَقَدْ رَأَى﴾ فيها ﴿مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ أي: العظام، أي: بعضها، فرأى مِنْ عَجَائِبِ الْمَلَكُوتِ رَفْرَفًا أَخْضَرَ سَدًّا أَفُقَ السَّمَاءِ وَجَبْرِيلُ لَهُ سِتْمَانَةُ جَنَاحٍ .

﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَ . . .

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ اللام في جواب قَسَمٍ محذوف.

قوله: ﴿الْكُبْرَى﴾ أفاد المفسر أن (مِنْ) للتبعض، وهو مفعول لـ ﴿رَأَى﴾، و﴿الْكُبْرَى﴾ صفة لـ ﴿ءَايَاتِ﴾، ووصفه بوصف المؤنثة الواحدة؛ لجوازه، وحسنه مُراعاة الفاصلة^(١)، وفسر (الكبرى) بـ(العظام)؛ إشارة إلى أنه ليس المعنى على التفصيل؛ لعدم حصر تلك الآيات، ووصف العظم مَقُولٌ بالتشكيك فيها، فيذهب السامع فيها كلَّ مذهب^(٢)، فتدبر.

قوله: (رَفْرَفًا) قيل: هو في الأصل: ما تدلَّى على الأسرَّة من غالي الثياب، ومن أعالي الفُسطاط، روي: أن رسول الله ﷺ لما بلغ سِدْرَةَ المنتهى . . جاءه الرِّفْرَفُ، فتناوله من جبريل، وطارَ به إلى العرش حتى وَقَفَ به بين يَدَي رَبِّهِ، ثمَّ لما حان الانصراف . . تناوله، فطار به حتى أَدَّاهُ إلى جبريل صلوات الله عليهما، وجبريل يبكي ويرفع صوته بالتَّحْمِيدِ، فالرفرف خادمٌ من الخدم بين يَدَيِ الله تعالى، له خواصُّ الأمور في محل الدُّنُوِّ والقُرْبِ، كما أنَّ البُرَاقَ دَابَّةٌ يركبها الأنبياء، مخصوصةٌ بذلك إلى الأرض^(٣).

قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ، قُصِدَ به توبيخُ المشركين على عبادتهم الأوثانَ بعد بيار تلك البراهمين القاطعة الدالة على انفرادِهِ تعالى بالألوهية والعظمة، وأنَّ ما سِواه تعالى وإن جَلَّتْ مَرْتَبَتُهُ وَعَظُمَ مَقَامُهُ حَقِيرٌ في جانب جلال الله عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: ﴿اللَّتَ﴾ اسم صَنَمٍ كان في جوف الكعبة، وقيل: كان لِثَقِيفٍ بالطائف، وقيل: اسم رجل كان يَلْتُ السويقَ وَيُطْعِمُهُ الْحَاجَّ، وكان يجلس عند حجرٍ، فلَمَّا مات . . سَمَّى الحجرُ باسمه، وعُبدَ من دون الله.

(١) والظاهر أن (الكبرى) مفعول (رأى)، و(مِنْ آياتِ ربه) حال مُقدمة، والتقدير: لقد رأى آياتِ الكُبرى من آياتِ ربه. انظر «الدر المصون» (٩١/١٠).

(٢) المعنى المشترك إذا كانت النسبة فيه مُتفاضلة . . سماه المصطلحون من باب التشكيك، وإذا كانت النسبة واحدة سَمَّوه متواطئًا، والعَظُمُ هنا نِسْبَتُهُ مُتفاضلة.

(٣) أورده القرطبي في «التذكرة» (ص ٥١٦).

وَالْعُرَى (١٩) وَمَنْوَةٌ الثَّالِثَةُ الْآخِرَى (٢٠)

وَالْعُرَى (١٩) وَمَنْوَةٌ الثَّالِثَةُ لِلَّتَيْنِ قَبْلَهَا ﴿الْآخِرَى﴾ صِفَةُ ذَمٍّ لـ ﴿الثَّالِثَةِ﴾، وَهِيَ أَصْنَامٌ مِنْ حِجَارَةٍ كَانِ الْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَهَا وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، - وَمَفْعُولٌ (رَأَيْتَ) الْأَوَّلُ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

و(أل) في ﴿الَّتْ﴾ زائدة زيادةً لازمة، كما قال ابن مالك^(١): [الرجز]

وَقَدْ تُزَادُ لَازِمًا كـ «الَلَاتِ»

وتأوه؛ قيل: أصلية، وعليه فأصله: (ليت)، وقيل: زائدة، وعليه فأصله: (لوى، يلوي) لأنهم كانوا يلوون أعناقهم إليها، أو يلتوون؛ أي: يعتكفون عليها، ويترتب على القولين الوقف عليها؛ فبعض القراء يقف عليها بالهاء على القول بزيادتها، وبعضهم بالتاء على القول بعدم زيادتها.

قوله: ﴿وَالْعُرَى﴾ تأنيث (الأعرز) كـ (الفضلى) و(الأفضل)، وهي اسم صنم، وقيل: شجرة سمر لغطفان، كانوا يعبدونها، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، فقطعها^(٢).

قوله: ﴿وَمَنْوَةٌ﴾ إمّا بالهمز بعد الألف، أو بالألف وحدها، قراءتان سبعيتان، إما مشتقة من (النوء) وهو المطر؛ لأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء، أو من (منى، يَمْنِي) أي: صب؛ لأنّ دماء النسك كانت تُصَبُّ عندها^(٣).

قوله: (للتين قبلها) أي: إمّا صفةً بالنظر للفظ، أو بالنظر للمرتبة، والمعنى: أن رُتبتا عندهم مُنَحَظَّةٌ عن اللتين قبلها.

قوله: (صفة ذمٍّ لـ «الثالثة») أي: لأنها بمعنى: المتأخرة الوضعية المقدار.

قوله: (وهي أصنام من حجارة) أي: أن الثلاثة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة، وقيل: اللات لثقيف بالطائف، والعزى شجرة لغطفان، ومناة صخرة لهذيل وخزاعة، أو لثقيف،

(١) كما في «الخلاصة»، باب: المعرف بأداة التعريف.

(٢) رواه الواقدي في «مغازيه» (٣/٨٧٣)، وفيه: فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، داعية ويلها، واضعة يدها على رأسها، فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول:

يَا عُرْ كُفْرَانِكَ لَا سُبْحَانَكَ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ أَهَانَكَ

ورجع فأخبر رسول الله ﷺ، فقال عليه الصلاة والسلام: «تلك العزى، ولن تُعبد أبداً».

(٣) قرأ ابن كثير: (مناءة) بهمزة مفتوحة بعد الألف، والباقون بألف وحدها. انظر «الدر المصون» (١٠/٩٢).

أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا

﴿أَلَّتْ﴾ وما عُطِفَ عَلَيْهِ، والثَّانِي مَحذُوفٌ - وَالْمَعْنَى: أَخْبِرُونِي أَلِهَذهِ الأصنام قُدْرَةً على شيء ما فَتَعْبُدُونَهَا دُونَ الله القادر على ما تَقَدَّم ذِكْرُهُ، وَلَمَّا زَعَمُوا أَيْضاً أَنَّ الملائكة بَنَاتُ الله مع كراهَتِهِم البنات نَزَلَ: ﴿أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَى﴾ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى: جَائِزَةٌ، مِنْ (ضَاوَرُهُ يَضِيرُهُ): إِذَا ظَلَمَهُ وَجَارَ عَلَيْهِ.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنْ هِيَ﴾ أَي: مَا الْمَذْكُورَاتُ ﴿إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا﴾ أَي: سَمَّيْتُمْ بِهَا

حاشية الصاوي

وقيل: إِنَّ اللات أَخَذَهُ المَشْرُكُونَ مِنْ لَفْظِ (الله)، والعُزَّى مِنْ (العزیز)، وَمَنَاة مِنْ: مَنَى الله الشيءَ: قَدَّرَهُ.

قوله: (والثاني محذوف) أَي: وهو جملة استفهامية استفهاماً إنكارياً، ذكرها بقوله: (ألهذه الأصنام... إلخ)، والمعنى: أفرأيتُموها قَادِرَةٌ على شيء؟

قوله: (ولما زعموا أيضاً) أَي: كما زعموا أَنَّ الأصنام الثلاثة تَشْفَعُ لَهُمْ عند الله تعالى.

قوله: ﴿تِلْكَ إِذَا﴾ أَي: إِذْ جَعَلْتُم البنات له، والْبَيْنِ لَكُمْ.

قوله: ﴿ضِيزَى﴾ بكسر الضاد بعدها همزة، أو ياء مكانها، قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بفتح الضاد وسكون الياء^(١).

قوله: (وجار عليه) عطف تفسير، وهذا المعنى لكلٍّ من القراءات الثلاثة.

قوله: (ما المذكورات) أَي: الأصنام المذكورات من حيث وصفُها بالألوهية، والمعنى: ليس لها من وصف الألوهية التي أثبتوها إلا لفظها، وأما معناها... فهي خَلِيَّةٌ عنه؛ لأنها من أَحَقَر المخلوقات وأذلّها.

قوله: (أَي: سَمَّيْتُمْ بِهَا) دفع بذلك ما يُقال: إِنَّ الأسماء لا تَسْمَى، وإنما يَسْمَى بِهَا؛ فكيف قال: ﴿سَمِيَّتُوهَا﴾؟ فأجاب: بأنَّ الكلام من باب: الحذف والإيصال، والمفعول الأول محذوف، قَدَّرَهُ بقوله: (أصناماً).

(١) قرأ ابن كثير: (ضِيزَى) بهمزة ساكنة، والباقون بياء مكانها، وزيد بن علي: (ضِيزَى) بفتح الضاد، والياء الساكنة.

انظر «الدر المصون» (٩٥/١٠).

أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ
مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ﴿٢٤﴾

﴿أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ﴾ أصناماً تعبدونها، ﴿مَا أُنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي: بِعِبَادَتِهَا ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: حُجَّةٌ
وَبُرْهَانٍ، ﴿إِنْ﴾: مَا ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فِي عِبَادَتِهَا ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ مِمَّا زَيْنَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ مِنْ أَنَّهَا تَشْفَعُ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ عَلَى لِسَانِ
النَّبِيِّ ﷺ بِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ، فَلَمْ يَرْجِعُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

﴿٢٤﴾ - ﴿٢٥﴾ ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ﴾ أي: لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ ﴿مَا تَمَنَّى﴾ مِنْ أَنَّ الْأَصْنَامَ تَشْفَعُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿أَنْتُمْ﴾ ضمير فصل، أتى به توصلاً لعطف ﴿وَعِبَادُكُمْ﴾ على الضمير المتصل
في ﴿سَبِّتُمْوَمَا﴾، على حد قول ابن مالك^(١): [الرجز]

وإن على ضمير رفع مُتَّصِلٌ عَطْفَتْ، فافصل بالضمير المنفصل
قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ التفت من خطابهم إلى الغيبة؛ إشعاراً بأن كثرة قبائحهم اقتضت
الإعراض عنهم.

قوله: ﴿مِمَّا زَيْنَ لَهُمْ﴾ بيان لـ(ما).

قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ الجملة حالية من فاعل ﴿يَتَّبِعُونَ﴾، والمعنى: يتبعون الظنَّ
وهوى النفس في حالة تنافي ذلك، وهي مجيء الهدى من عند ربهم.

قوله: (بالبرهان) حال من ﴿الْهُدَى﴾، والباء للملابسة، والمراد بالبرهان: المعجزات.

قوله: ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾ ﴿أَمْ﴾: مُنْقَطِعَةٌ تَفْسَّرُ بـ(بل) والهمزة، والاستفهام إنكاري،
والمعنى: ليس للإنسان ما يتمنى، بل يُعامل بضدِّه حيث تتبع هواه وخرج عن حدود الشرع، فالمراد
بالإنسان: الكافر، وهذه الآية تجرُّ بذيلها على من يلتجئ لغير الله طلباً للفاني، ويتبع نفسه في ما
تطلبه، فليس له ما يتمنى، قال العارف^(٢): [مخلع البسيط]

لَا تَتَّبِعِ النَّفْسَ فِي هَوَاهَا إِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى هَوَانٌ

(١) كما في «الخلاصة»، باب: عطف النسق.

(٢) البيت لسيدى عبد الرحيم البرعي كما في «ديوانه» (ص ٢٠٥).

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الْمَلَكَةَ

لَهُمْ؟ لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ أي: الدُّنْيَا، فَلَا يَقَعُ فِيهِمَا إِلَّا مَا يُرِيدُهُ تَعَالَى.

﴿٢٦﴾ ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾ أي: وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴿لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لَهُمْ فِيهَا ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ مِنْ عِبَادِهِ، ﴿وَيَرْضَى﴾ عَنْهُ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَا تُوجَدُ مِنْهُمْ إِلَّا بَعْدَ الْإِذْنِ فِيهَا، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿٢٧﴾ - ﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَهُ الْمَلَكَةَ

حاشية الصاوي

وَأَمَّا أَهْلُ الصَّدَقِ مَعَ رَبِّهِمْ.. فَلَهُمْ مَا يَتَمَنُّونَ وَفَوْقَ ذَلِكَ؛ لَوْعَدَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُخْلَفُ. قَوْلُهُ: ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ كَالدَّلِيلِ لِمَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ تَعَالَى لَا يُعْطِي مَا فِيهِمَا إِلَّا لِمَن أَتَّبَعَ هِدَاةَ، وَتَرَكَ هَوَاهُ؛ لِأَنَّهُ مَالِكٌ لِلدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ﴾... إلخ) هَذَا تَقْنِيطٌ لِلْكَفَّارِ مَن تَعَلَّقَ آمَالُهُمْ بِشَفَاعَةِ مَعْبُودَاتِهِمْ. قَوْلُهُ: (أَي: وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ... إلخ) أَشَارَ بِهِ إِلَى أَنَّ (كَم) خَبَرِيَّةٌ بِمَعْنَى: كَثِيرًا. قَوْلُهُ: (وَمَا أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ) جُمْلَةٌ تَعْجِيزِيَّةٌ، جِيءَ بِهَا لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَشْرِيفِ الْمَلَائِكَةِ، وَزِيَادَةِ تَعْظِيمِهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا.

قَوْلُهُ: ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ (أَي: فِيمَن يَشَاءُ. قَوْلُهُ: (وَمَعْلُومٌ أَنَّهَا لَا تُوجَدُ مِنْهُمْ) رَاجِعٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾، وَالْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ: التَّوْفِيقُ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ فِي تَوْقِفِ الشَّفَاعَةِ عَلَى الْإِذْنِ.

قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (أَي: وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ. إِنْ قُلْتَ: كَيْفَ يَقَالُ: إِنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ بِالْآخِرَةِ مَعَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ؟ أَجِيبْ: بِأَنَّهُمْ غَيْرُ جَازِمِينَ بِالْآخِرَةِ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْهُمْ: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَى﴾ [فصلت: ٥٠]، وَإِنَّمَا اتَّخَذُوهُمْ شَفَعَاءَ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِمَالِ. وَأَجِيبْ أَيْضًا: بِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي بَيَّنَّتهُ الرُّسُلُ.

تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾
فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ
.....

تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ حَيْثُ قَالُوا: هُمْ بَنَاتُ اللَّهِ، ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾: بِهَذَا الْمَقُولِ ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ﴾: مَا ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فِيهِ ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ الَّذِي تَخَيَّلُوهُ، ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أَي: عَنِ الْعِلْمِ فِيمَا الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْعِلْمُ. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أَي: الْقُرْآنِ ﴿وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ، ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: طَلَبُ الدُّنْيَا
.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ (أَي: بِتَسْمِيَةِ الْإِنَاثِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ رَأَوْا فِي (المَلَائِكَةِ) ثَاءَ التَّأْنِيثِ، وَصَحَّ عَنْدهُمْ أَنْ يُقَالَ: سَجَدَتِ الْمَلَائِكَةُ، فَقَالُوا: الْمَلَائِكَةُ إِنَاثٌ، وَجَعَلُوهُنَّ بَنَاتُ اللَّهِ؛ لَكُنَّ لَهُنَّ لَا أَبَ لَهُنَّ وَلَا أُمَّ.

قوله: (بهذا القول) أَي: هُمْ بَنَاتُ اللَّهِ.

قوله: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ (أَي: لِأَنَّهُمْ لَمْ يُشَاهِدُوا خَلْقَهُمْ، وَلَمْ يَسْمَعُوا مَا قَالُوهُ مِنْ رَسُولٍ، وَلَمْ يَرَوْهُ فِي كِتَابٍ، بَلْ عَوَّلُوا عَلَى مَجَرَّدِ ظَنِّهِمُ الْفَاسِدِ، وَلَوْ أَدْعَتُوا لِلْقُرْآنِ وَلِلنَّبِيِّ.. لِأَفَادَهُمْ صِحَّةُ التَّوْحِيدِ وَنَفَعَهُ.

قوله: (أَي: عَنِ الْعِلْمِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ (مَنْ) بِمَعْنَى (عَنْ)، وَ(الْحَقُّ) بِمَعْنَى (الْعِلْمُ).

قوله: (فِيمَا الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْعِلْمُ) أَي: فِي الْأَمْرِ الَّذِي يُطْلَبُ فِيهِ الْعِلْمُ، وَهُوَ الْإِعْتِقَادِيَّاتُ، بِخِلَافِ الْعَمَلِيَّاتِ؛ فَالظَّنُّ فِيهَا كَافٍ، كَاخْتِلَافِ الْأَثْمَةِ فِي الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ، فَتَحْصُلُ أَنَّ الْأُمُورَ الْإِعْتِقَادِيَّةَ كَمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَعْرِفَةِ الرُّسُلِ وَمَا أَتَوْا بِهِ.. لَا بَدَّ فِيهَا مِنَ الْجَزْمِ الْمُنَاطِقِ لِلْحَقِّ عَنْ دَلِيلٍ، وَلَا يَكْفِي فِيهَا الظَّنُّ، وَأَمَّا الْأُمُورُ الْعَمَلِيَّةُ كَفُرُوعِ الدِّينِ.. فَيَكْفِي فِيهَا غَلْبَةُ الظَّنِّ.

قوله: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾ (أَي: أَتْرَكَ دَعْوَتَهُ وَالْإِهْتِمَامَ بِشَأْنِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا تُفِيدُ دَعْوَتَهُ إِلَّا عِنَادًا وَإِصْرَارًا عَلَى الْبَاطِلِ.

قوله: (وهذا قبل الأمر بالجهاد) أَي: فَهُوَ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ، وَقَدْ تَبَعَ الْمُفَسِّرُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرَ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَالَ الرَّازِيُّ: (إِنَّهَا لَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْقِتَالِ، بَلْ هِيَ مُوَافِقَةٌ لَهَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْأَوَّلِ كَانَ مَأْمُورًا بِالِدِّعَاءِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، فَلَمَّا عَارِضُوهُ.. أُمِرَ بِإِزَالَةِ شُبُهَتِهِمْ وَالْجَوَابِ عَنْهَا، فَقِيلَ لَهُ: ﴿وَحَدِّثْ لَهُمْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ثُمَّ لَمَّا لَمْ يَنْفَعِ ذَلِكَ فِيهِمْ..

مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾

﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي: نِهَآيَةُ عِلْمِهِمْ أَن آثَرُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن اهْتَدَى﴾ أي: عَالِمٌ بِهِمَا فَيُجَازِيهِمَا.

﴿٣١﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هُوَ مَالِكٌ لِذٰلِكَ وَمِنْهُ الضَّالُّ وَالْمُهْتَدِي؛ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ مِنَ الشَّرِّ وَغَيْرِهِ، ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بِالتَّوْحِيدِ وَغَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ، ﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي: الْجَنَّةِ. وَبَيَّنَ الْمُحْسِنِينَ بِقَوْلِهِ:

حاشية الصاوي

قيل له: «أعرض عنهم ولا تقابلهم بالدليل والبرهان؛ فإنهم لا ينتفعون به، وقاتلهم فثمرة الإعراض القتال»^(١)، وقد يقال: إنَّ الخلاف لفظي؛ فَمَن أراد بالإعراض الكفَّ عن مجادلتهم ومعاملتهم بالتي هي أحسن.. قال بالنسخ، ومن أراد بالإعراض عنهم ترك جدالهم ومُعاملتهم بالسيف.. قال بَعْدَهُ.

قوله: ﴿مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ تسميته علماً تهكُّم بهم.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ تعليلٌ للأمر بالإعراض، والمعنى: أَنَّ الله عَالِمٌ بِالضَّالِّ فَيُجَازِيهِ عَلَى ضَلَالِهِ، وبالمُهْتَدِي فَيُجَازِيهِ عَلَى هُدَاة، ومن هنا خافت العارفون من سوء الخاتمة؛ لعدم اعتمادهم على أعمالهم.

قوله: (ومنه الضَّالُّ والمُهْتَدِي) دفع بذلك ما يُقال: كيف يجعل الجزاء علة لملك السماوات والأرض مع أنه ثابت لله تعالى بالذات؟ فأجاب: بأنه علةٌ لمحذوف، دلَّ عليه قوله: ﴿مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾.

قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا... إلخ﴾ ويصح أن تكون اللام للعاقة والصيرورة، والمعنى: أَنَّ عاقبة أمر الخلق أن يكون فيهم المحسن والمسيء، فيُجَازِي المحسن بالإحسان، والمسيء بالإساءة.

قوله: (وبَيَّنَّ الْمُحْسِنِينَ... إلخ) أي: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ﴾ بدلٌ أو عطفٌ بيان أو نعتٌ لـ ﴿الَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾، أو مفعولٌ لمحذوف، تقديره: (أعني)، أو خبرٌ لمحذوف تقديره: (هم الذين... إلخ).

الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ إِلَٰثٍ وَالْفَوْحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَحْنَاءُ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ

﴿٣٢﴾ الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ إِلَٰثٍ وَالْفَوْحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴿٣٣﴾ هُوَ صِغَارُ الذُّنُوبِ كَالنَّظَرَةِ وَالْقُبْلَةِ وَاللَّمْسَةِ، - فهو استثناءٌ مُنْقَطِعٌ - وَالْمَعْنَى: لَكِنَّ اللَّمَمَ يُغْفَرُ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ بِذَلِكَ وَبِقَبُولِ التَّوْبَةِ. وَنَزَلَ فِيمَنْ كَانَ يَقُولُ: صَلَاتُنَا صِيَامُنَا حَجُّنَا: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أَي: عَالِمٌ ﴿بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أَي: خَلَقَ أَبَائَكُمْ آدَمَ مِنَ الثَّرَابِ، ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَحْنَاءُ﴾: جَمْعُ (جَنِينٍ) ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لَا تَمْدَحُوهَا أَي: عَلَى سَبِيلِ الإِعْجَابِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَثِيرَ إِلَٰثٍ﴾ جمع (كبيرة)، وهي: ما ورد فيها وعيدٌ أو حَدٌّ.

قوله: ﴿وَالْفَوْحِشَ﴾ إمَّا عطفٌ مرادفٌ إن أريد بها الكبائر، أو خاصٌّ إن أريد بها ما ترتب عليه عظيمٌ مَفْسَدَةٌ، كالقتل والزنا والسرقة ونحو ذلك.

قوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ هو في الأصل: أَنْ يُلَمَّ بِالشَّيْءِ وَلَمْ يَرْتَكِبْهُ، والمراد به: فعل الصغائر.

قوله: (كالنظرة) أَي: وكالكذب الذي لا حَدَّ فيه، ولم يترتب عليه إفسادٌ بين الناس، وهجر المسلم فوق ثلاث، والتَّبَخُّرُ في المشي ونحو ذلك.

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ تعليل لقوله: ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾، والمعنى: أَنَّ عدم المؤاخذه على الصغائر لا لكونها ليست ذنباً، بل لِسَعَةِ مغفرة الله.

قوله: (بذلك) أَي: باجتنب الكبائر.

قوله: (أَي: عالم) أشار بذلك إلى أَنَّهُ ليس المرادُ صِغَةً التفضيل.

قوله: ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أَي: فهو عالمٌ بِتَفَاصِيلِ أُمُورِكُمْ حين ابتداء خلق أبيكم آدم من التراب، وحين صَوَّرَكُم في الأرحام.

قوله: (جمع «جَنِينٍ») سُمِّيَ بذلك؛ لِاسْتِثْنَائِهِ فِي بطن أُمِّهِ.

قوله: (لا تَمْدَحُوهَا) أَي: لا تثنوا عليها، ولا تشهدوا لها بالكمال والتقوى؛ فَإِنَّ النفسَ خَسِيسَةٌ؛ إِذَا مُدِّحَتْ اغْتَرَّتْ وَتَكَبَّرَتْ، فالذي ينبغي للشخص هَضْمُ النفسِ وذُلُّها واستخفافها.

هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْذَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾

أَمَّا عَلَى سَبِيلِ الاعْتِرَافِ بِالنُّعْمَةِ فَحَسَنَ، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أَي: عَالِمٌ ﴿بِمَنِ اتَّقَى﴾.

(٣٣ - ٣٥) ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عَنْ الْإِيمَانِ أَي: ارْتَدَّ لَمَّا عُيِّرَ بِهِ وَقَالَ: إِنِّي خَشِيتُ عِقَابَ اللَّهِ، فَضَمِنَ لَهُ الْمُعِيرُ لَهُ أَنْ يَحْمِلَ عَنْهُ عَذَابَ اللَّهِ إِنْ رَجَعَ إِلَى شِرْكِهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ مَالِهِ كَذَا، فَجَعَلَ، ﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا﴾ مِنَ الْمَالِ الْمُسَمَّى، ﴿وَأَكْذَى﴾: مَنَعَ الْبَاقِي، مَا خُوِذَ مِنَ الْكُذْبَةِ وَهِيَ أَرْضٌ صُلْبَةٌ كَالصَّخْرَةِ تَمْنَعُ حَافِرَ الْبِئْرِ إِذَا وَصَلَ إِلَيْهَا مِنَ الْحَفْرِ، ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾: يَعْلَمُ مِنْ جُمْلَتِهِ أَنْ غَيْرَهُ يَتَحَمَّلُ عَنْهُ عَذَابَ الْآخِرَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (أَمَّا عَلَى سَبِيلِ الاعْتِرَافِ بِالنُّعْمَةِ.. فَحَسَنٌ) أَي: وَلِذَا قِيلَ: الْمَسْرُةُ بِالطَّاعَةِ طَاعَةً، وَذَكَرَهَا شُكْرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]^(١).

قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ أَي: يَمُنْ أَخْلَصَ فِي طَاعَتِهِ وَتَقَوَاهُ، فَيَنْتَفِعَ بِهَا، وَيَثَابَ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الْمَرَانِي.. فَلَا يَنْتَفِعُ بِطَاعَةٍ، بَلْ يُعَاقَبُ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الرِّيَاءَ يُحْبِطُ الْعَمَلَ.

قوله: (أَي: ارْتَدَّ) أَي: بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ بِالْفِعْلِ، وَهَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: قَارَبَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَسْلَمْ بِالْفِعْلِ.

قوله: (وَأَعْطَاهُ مِنْ مَالِهِ) الضَّمِيرُ الْمُسْتَتَرُّ فِي (أَعْطَى) عَائِدٌ عَلَى الَّذِي تَوَلَّى، وَالْبَارِزُ عَائِدٌ عَلَى الَّذِي ضَمِنَ لَهُ عَذَابَ اللَّهِ، فَتَحَصَّلَ أَنَّ الضَّامِنَ جَعَلَ عَلَى الْمُتَوَلِّي شَيْئَيْنِ: الرَّجُوعَ إِلَى الشَّرْكِ، وَأَنْ يَدْفَعَ لَهُ عَدَدًا مُعَيَّنًا مِنْ مَالِهِ، وَجَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ هُوَ شَيْئًا وَاحِدًا وَهُوَ ضَمَانُ عَذَابِ اللَّهِ.

قوله: ﴿وَأَكْذَى﴾ هُوَ فِي الْأَصْلِ مِنْ: أَكْذَى الْحَافِرَ: إِذَا أَصَابَ كُدِيَّةً مَنَعَتْهُ مِنَ الْحَفْرِ، وَمِثْلُهُ: أَجْبَلَ؛ أَي: صَادَفَ جَبَلًا مَنَعَهُ مِنَ الْحَفْرِ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَ فِي كُلِّ مَنْ طُلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ فَلَمْ يُعْطِهِ.

قوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾ اسْتِفْهَامٌ إِنكَارِيٌّ بِمَعْنَى النِّفْيِ؛ أَي: لَيْسَ عَنْدهُ عِلْمُ الْغَيْبِ.

قوله: ﴿فَهُوَ يَرَى﴾ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ﴾، فَهِيَ دَاخِلَةٌ فِي حَيْزِ الِاسْتِفْهَامِ.

(١) انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١١٥/٨)، وفي «مسند الإمام أحمد» (٢٥٢/٥) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «إِذَا سَرَّكَ حَسْبُكَ، وَسَاءَتْكَ سَيِّئُكَ.. فَانْتَ مُؤْمِنٌ».

أَمْ لَمْ يُبَيِّنَّا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾

لا وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، - وجُمْلَةٌ ﴿أَعْنَدُهُ﴾ المَفْعُولُ الثَّانِي لِـ (رَأَيْتَ) بِمَعْنَى أَخْبَرْنِي -.

(٣٦ - ٤١) ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿لَمْ يُبَيِّنَّا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾: أسفارِ التَّوْرَةِ أو صُحُفِ قَبْلُهَا، ﴿وَ﴾ صُحُفِ ﴿إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾: تَمَّمَ مَا أَمَرَ بِهِ، نَحْوُ: ﴿وَإِذْ أَتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]،

حاشية الصاوي

قوله: (وهو الوليد بن المغيرة) أي: وهو قول مُقاتِل، وعليه الأكثر.

قوله: (أو غيره) أي: فقليل: هو العاص بن وائل السَّهْمِي، وقيل: هو أبو جهل^(١)، وهذا الخلاف في بيان الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدي، وأمّا الذي عيّره وضمن له أن يحمل عنه العذاب.. فلم يذكروا تعيينه.

قوله: ﴿أَمْ لَمْ يُبَيِّنَّا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾ ﴿أَمْ﴾: مُنْقَطِعَةٌ، والمعنى: أبل لم يخبر بالذي في صُحُفِ موسى... إلخ، حتى يغترَّ بما قيل له؟ وقدّم موسى؛ لِقُرْبِ عَهْدِهِ مِنْهُمْ، وَخَصَّ هَذَيْنِ الرُّسُولَيْنِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ إِبْرَاهِيمَ يَأْخُذُونَ الرَّجُلَ بِذَنْبِ غَيْرِهِ، فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا قُتِلَ، وَظَفَرَ أَهْلُ الْمَقْتُولِ بِأَبِي الْقَاتِلِ أَوْ ابْنِهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ عَمِّهِ أَوْ خَالِهِ.. قَتَلُوهُ، حَتَّى جَاءَهُمْ إِبْرَاهِيمُ فَنَهَاَهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وَبَلَّغَهُمْ عَنْ اللَّهِ: أَنْ لَا تَزُرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى.

قوله: (تَمَّمَ مَا أَمَرَ بِهِ) أي: من تبليغ الرسالة، وقيامه بالضَّيْفَانِ، وخدمته إياهم بنفسه، فكان يخرج يتلقَّى الضَّيْفَانِ مِنْ عَلَى مَسَافَةِ فَرَسَخٍ، فَإِنْ وَجَدَ الضَّيْفَانِ.. أَكْرَمَهُمْ وَأَكَلَ مَعَهُمْ، وَإِلَّا.. نَوَى الصَّوْمَ، وَصَبَرَهُ عَلَى النَّارِ، وَعَلَى ذَبْحِ وَلَدِهِ.

وقيل: المراد: وَفَّى سَهَامَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ: عَشْرَةٌ فِي (التَّوْبَةِ): ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ﴾، وَعَشْرَةٌ فِي (الْأَحْزَابِ): ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾، وَعَشْرَةٌ فِي (الْمُؤْمِنُونَ): ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

وقيل: المراد: وَفَّى بِكَلِمَاتٍ كَانَ يَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى: ﴿فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُسْوُونَ...﴾ إِلَى ﴿تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٨]، والمعنى: أَنَّهُ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَيْءٍ إِلَّا وَفَّى بِهِ.

(١) انظر الأقوال وسبب النزول في «زاد المسير» (٤/١٩١).

أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾

وبيان (ما): ﴿أَنْ﴾ ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى...﴾ إلخ، - و(أن) مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ - أي: أنه لا تَحْمِلُ نَفْسٌ ذَنْبَ غَيْرِهَا، ﴿وَأَنْ﴾ أي: أنه ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ مِنْ خَيْرٍ فَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَعْيٍ غَيْرِهِ الْخَيْرُ شَيْءٌ،

حاشية الصاوي

قوله: (وبيان «ما») أي: فقوله: ﴿أَنْ لَا تَزِرُ﴾ في محل جرٍ بدل من (ما) في قوله: ﴿بِمَا فِي صُحُفٍ مُوسَى﴾، ويصحُّ رفعه على أنه خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو أن لا تَزِرَ، ونصبه على أنه مفعول لمحذوف.

قوله: ﴿وَازِرَةٌ﴾ صفة لموصوف محذوف؛ أي: نفسٌ وازرةٌ؛ أي: مُكَلَّفَةٌ بالوزر، وليس المراد: وازرة بالفعل.

قوله: ﴿وَزَرَ أُخْرَى﴾ أي: وزرَ نفسٍ أخرى.

قوله: (إلى آخره) المراد به قوله: ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكَ تَتَمَارَى﴾، وهذا على فتح همزة (أن) في قوله ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنَهَى﴾ وما بعده وهي ثمانية تَضُمُ الثلاث قبلها، فتكون الجملة أحدَ عشر شيئاً، وأما على قراءة الكسر في هذه الثمانية.. فيكون المراد بقوله: (إلى آخره) ﴿ثُمَّ يُجْزَأُ الْجَزَاءُ الْآتُونَ﴾، فيكون البيان بالثلاثة الأول فقط^(١).

قوله: (و«أن» مخففة من الثقيلة) أي: واسمها محذوف هو ضمير الشأن، و(لا تزر) هو الخبر.
قوله: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ استُشْكِلَ هذا الحصر بأمور؛ منها: أَنَّ الدَّالَّ على الخير كفاعله، ومنها: (أتبعناهم ذرياتهم بإيمان)^(٢)، ومنها: «إذا مات ابن آدم.. انقطع عمله إلا من ثلاث» إلى قوله: «أو ولد صالح يدعو له»^(٣)، ومنها: غير ذلك.

قال الشيخ تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية: مَنْ اعتقد أَنَّ الإنسان لا ينتفع إلا بعمله.. فقد خَرَقَ الإجماع، وذلك باطلٌ من وجوه كثيرة:

(١) العائنة على فتح الهمزة وما عطف عليها؛ بمعنى: أن الجميع في صُحُفِ موسى وإبراهيم، وقرأ أبو السمال بالكسر في الجميع على الابتداء. انظر «الدر المصون» (١٠/١٠٥).

(٢) كذا في الأصول، وهي قراءة أبي عمرو بإسناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه. وانظر «الدر المصون» (١٠/٧٢).

(٣) رواه مسلم (١٦٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ ٤٠ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى ٤١

﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ أي: يُبْصَرُ في الآخرة، ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾: الأكمل، يُقال:

حاشية الصاوي

أحدها: أَنَّ الإنسان يَنْتَفِعُ بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير.

ثانيها: أَنَّ النبي ﷺ يَشْفَعُ لأهل الموقف في الحساب، ثُمَّ لأهل الجنة في دخولها.

ثالثها: لأهل الكبائر في الخروج من النار.

رابعها: أَنَّ الملائكة يَدْعُونَ ويستغفرون لمن في الأرض.

خامسها: أَنَّ الله تعالى يُخْرِجُ من النار مَنْ لم يعمل خيراً قَطُّ بِمَحْضِ رحمته، وهذا انتفاع بغير

عملهم.

سادسها: أَنَّ أولاد المؤمنين يَدْخُلُونَ الجنة بعمل آبائهم.

سابعها: قال تعالى في قصة الفلاحين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف: ٨٢].

ثامنها: أَنَّ الميت يَنْتَفِعُ بالصدقة عنه، وبِالْعَتَقِ بِنَصِّ السَّنَةِ والإجماع.

تاسعها: أَنَّ الحج المفروض يَسْقُطُ عن الميت بِحَجِّ وَلِيِّهِ بِنَصِّ السَّنَةِ.

عاشرها: أَنَّ الحج المنذور - أو الصوم المنذور - يَسْقُطُ عن الميت بعمل غيره بِنَصِّ السَّنَةِ،

وهو انتفاع بعمل الغير.

حادي عشرها: المدين، قد اِمْتَنَعَ ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينَهُ أَبُو قَتَادَةَ، وقضى دينَ

الْآخَرِ علي بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي ﷺ، وهو مِن عمل الغير... إلى آخر ما قال^(١).

وأجيب بأجوبة منها: أَنَّ الآية منسوخة، ورُدَّ: بأنها خبرٌ، والأخبار لا تُنسخ، ومنها: أَنَّ المراد

بالإنسان: الكافر، ومنها: أَنَّ هذا حكايةٌ عَمَّا في صُحُفِ موسى وإبراهيم؛ فليس من شرعنا.

قوله: (أي: يُبْصَرُ في الآخرة) أي: لِأَنَّ العمل يُصَوَّرُ بصورة جميلة إن كان صالحاً، وقبيحاً

إن كان سيئاً؛ ليكون سُروراً للمؤمن، وحزناً للكافر.

قوله: ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ﴾ الضمير المرفوع عائداً على الإنسان، والمنصوب عائداً على السعي.

قوله: ﴿الْجَزَاءُ الْأَوَّلَى﴾ مصدرٌ مبينٌ لِلنَّوعِ.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾

جَزَيْتُهُ سَعِيَهُ وَبَسَعِيَهُ .

(٤٢ - ٤٣) ﴿وَأَنَّ﴾ - بِالْفَتْحِ عَطْفًا، وَقُرِئَ بِالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءً، وَكَذَا مَا بَعْدَهَا، فَلَا يَكُونُ مَضْمُونُ الْجُمْلَةِ فِي الصُّحُفِ عَلَى الثَّانِي - ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾: الْمَرْجِعُ وَالْمَصِيرُ بَعْدَ الْمَوْتِ فَيُجَازِيهِمْ، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ﴾ مَن شَاءَ أَفْرَحَهُ، ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ مَن شَاءَ أَحْزَنَهُ، حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (يقال: جزيته سعيه... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ الجزاء يتعدى بنفسه وبحرف الجرّ .
قوله: (بالفتح عطفًا) أي: على قوله: ﴿أَنَّ لَا نَزْرَ وَزِرَّةٌ وَزَرَ أَفْرَى...﴾ إلخ، وعليه: فيكون من جملة ما في صحف موسى وإبراهيم .
قوله: (وقرئ بالكسر استثناءً) أي: وعليه: فيكون زائداً على ما في صحف موسى وإبراهيم؛ لأنَّ القرآن فيه ما في الصحف وزيادة .
قوله: (وكذا ما بعدها) أي: من قوله: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾، والكسرُ شاذٌّ^(١) .

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ أي: مُنْتَهَىٰ أَمْرِ الْخَلْقِ وَمَرْجِعُهُمْ إِلَيْهِ تَعَالَى، وهذا كالدليل لقوله: ﴿ثُمَّ يُجْزِيهِ الْجَزَاءُ الْآوْفَىٰ﴾، كَأَنَّهُ قَالَ: اللَّهُ يَجْزِي الْإِنْسَانَ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ الْجَزَاءَ الْآوْفَى؛ لَأَنَّهُ إِلَيْهِ الْمُنْتَهَىٰ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ.. فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فِي أُمُورِهِ كُلِّهَا، وَلَا يُعَوَّلَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ؛ لَأَنَّهُ الْآخِذُ بِالنَّوَاصِي .

واختلف في المخاطب بقوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾؛ فقيل: كلُّ عاقل، وقيل: محمد ﷺ، وهذا على قراءة الكسر، وأمّا على قراءة الفتح.. فقيل: كلُّ عاقل، وقيل: موسى وإبراهيم على سبيل التوزيع؛ لَأَنَّهُ مَحْكِيٌّ عَنْ صَحْفِهِمَا .

قوله: (أفرحه) أشار بذلك إلى أَنَّ الضحك مُسْتَعْمَلٌ فِي حَقِيقَتِهِ، وَكَذَا الْبُكَاءُ، وَأَنَّ مَفْعُولَ كُلِّ مِنَ الْفَعْلَيْنِ مَحْذُوفٌ .

(١) وبه قرأ أبو السمال في الجميع على الابتداء . انظر «الدر المصون» (١٠/١٠٥) .

وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ
النَّشْأَةَ الْآخَرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا
أَلَوَّلَى ﴿٥٠﴾

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ لِلْبَعْثِ، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾: الصَّنَفَيْنِ ﴿الذَّكَرَ
وَالْأُنثَى﴾ ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ: مَنِئًى ﴿إِذَا تُمْنَى﴾: تُصَبُّ فِي الرَّحِمِ.

(﴿٤٧﴾ - ﴿٥١﴾) ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ﴾: بِالْمَدِّ وَالْقَصْرِ - ﴿الْآخَرَى﴾: الْخَلْقَةُ الْآخَرَى
لِلْبَعْثِ بَعْدَ الْخَلْقَةِ الْأُولَى، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ النَّاسَ بِالْكِفَايَةِ بِالْأَمْوَالِ، ﴿وَأَقْنَى﴾: أَعْطَى
الْمَالِ الْمُتَّخِذَ قُنْيَةً، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ هُوَ كَوَكَّبٌ خَلْفَ الْجُوزَاءِ كَانَتْ تُعْبَدُ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا أَلَوَّلَى﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ﴾... إلخ) الحكمة في إسقاط ضمير الفصل في هذا، وإثباته في قوله:
﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَصْحَاكَ وَأَبْكَى﴾ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا﴾: الإشارة لدفع توهم أن للمخلوق مدخلا
في الإضحاك والإبكاء، والإماتة والإحياء، فأكد به بالفصل، ولما لم يحصل في خلق الذكر والأنثى
وما بعده توهم أن للغير مدخلا.. لم يؤكده بضمير الفصل.

قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْآخَرَى﴾) أي: بحكم الوعد الكائن في قوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُ﴾ [ق]:
[٤٣]؛ إذ لا يجب عليه تعالى فعل شيء، ولا تركه.

قوله: (بالمد والقصر) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: (أعطى المال المتخذ قُنْيَةً) أي: الذي يدوم عند صاحبه.

قوله: ﴿رَبُّ الشَّعْرَى﴾) اعلم: أن الشعرى في لسان العرب كوكبان: أحدهما: الشعرى العبور،
وتسمى الشعرى اليمانية، تطلع بعد الجوزاء في شدة الحر، كانت تعبدها خُزاعة من العرب، وأول
من سنَّ عبادتها رجلٌ من ساداتهم يقال له: أبو كبشة، وهي المرادة في الآية.

والثاني: الشعرى الغميصاء؛ بضم الغين وفتح الميم، من: الغميص - بفتحيتين - وهو: سيلان

دمع العين.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين، وبعدها ألف ممدودة قبل الهمزة، والباقون بسكون الشين، وبعدها الهمزة
المفتوحة. انظر «السراج المنير» (٤/١٣٨).

وَتَمُودًا فَمَا أَتَقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطْعَى ﴿٥٢﴾

- وفي قراءة بإدغام التنوين في اللام وضَمُّها بِلا هَمْز - هي قوم عادٍ والأخرى قوم صالح، ﴿وَتَمُودًا﴾ - بِالصَّوْرِ اسم لِأَبٍ وَبِلا صَرَفٍ لِلْقَبِيلَةِ، وهو مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿عَادًا﴾ - ﴿فَمَا أَتَقَى﴾ مِنْهُمْ أَحَدًا.

(٥٢ - ٥١) ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قَبْلَ عَادٍ وَتَمُودَ أَهْلِكَناهُمْ، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطْعَى﴾ مِنْ عَادٍ وَتَمُودَ لِيُطَوِّلَ لُبَّ نُوْحٍ فِيهِمْ، فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا، وَهُمْ مَعَ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِهِ يُؤْذُونَهُ وَيَضْرِبُونَهُ،

حاشية الصاوي

قوله: (بإدغام التنوين) أي: بعد قلبه لاماً، وقوله: (في اللام) أي: لام التعريف، وقوله: (وضمها) أي: ينقل حركة همزة (أولى) إليها، وقوله: (بلا همز) أي: الواو التي بعد اللام المدغم فيها التنوين، وبقي قراءة ثلاثة سبعة أيضاً، وهي هذه القراءة بعينها إلا أن الواو المذكورة تُقلب همزة ساكنة^(١).

قوله: (هي قوم هود) أي: وسميت أولى؛ لتقدمها في الزمان على عاد الثانية التي هي قوم صالح، وهم ثمود، فأهلكك الأولى بالريح الصَّارِصِر، والثانية بصيحة جبريل، وتسمى كلُّ من القبيلتين عاداً؛ لأنَّ جدَّهم واحدٌ، وهو عادٌ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام.

قوله: (وهو معطوف على ﴿عَادًا﴾) أي: وَيَصْحُ نَصْبُهُ بِفَعْلٍ مَحْذُوفٍ، تقديره: وأهلك ثموداً، وليس منصوباً بـ﴿أَتَقَى﴾؛ لأنَّ ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها.

قوله: (أهلكناهم) صوابه: (أهلكهم)، وأشار بذلك إلى أنَّ قوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ منصوب بفعل محذوف، ويصحُّ عطفه على ما قبله.

قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَأَطْعَى﴾ الضميرُ عائد على قوم نوح خاصَّة، وعليه مشى المفسر، ويصحُّ عوده على الفرق الثلاثة^(٢)، والمعنى: أظلم وأطغى من غيرهم.

قوله: (يؤذونه ويضربونه) أي: حتَّى يُغشى عليه، فإذا أفاق.. قال: ربِّ؛ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون.

(١) قرأ نافع وأبو عمرو بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة نقلاً، وهمز قالون الواو بعد اللام همزة ساكنة، والباقيون بتنوين الدال، وكسر التنوين، وسكون اللام، وبعدها همزة مضمومة. انظر «السراج المنير» (١٣٩/٤).

(٢) كذا في الأصول بإثبات التاء؛ لأن العدد إذا تأخر جاز فيه الموافقة للمعدود أو المخالفة.

وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّنَهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَ نَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ
الْأُولَى ﴿٥٦﴾

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ وهي قَرَى قَوْمِ لُوط ﴿أَهْوَى﴾: أَسْقَطَهَا بَعْدَ رَفْعِهَا إِلَى السَّمَاءِ مَقْلُوبَةً إِلَى الْأَرْضِ بِأَمْرِ جِبْرِيلَ بِذَلِكَ، ﴿فَغَشَّنَهَا﴾ مِنَ الْحِجَارَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿مَا غَشَّى﴾ أَبْهَمَ تَهْوِيلًا، وَفِي (هُود): ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّنَ سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]، ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَ﴾: أَنْعِمَهُ الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ ﴿نَتَمَارَى﴾: تَتَشَكَّكُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَوْ تُكَذِّبُ؟ ﴿٥٦ - ٥٨﴾ ﴿هَذَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ مِّنَ جَنْسِهِمْ، أَي: رَسُولٌ كَالرُّسُلِ قَبْلَهُ، أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ كَمَا أُرْسِلُوا إِلَى أَقْوَامِهِمْ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ منصوب بـ﴿أَهْوَى﴾، قَدَّمَ رَعَايَةَ لِلْفَاصِلَةِ، وَمَعْنَى (المؤتفكة): المنقلبة؛ لِأَنَّ الْإِتِّفَاقَ الْإِنْقِلَابَ.

قوله: (مقلوبة) حال من ضمير (أسقطها).

قوله: ﴿فَغَشَّنَهَا﴾ أي: أَلْبَسَهَا وَكَسَاهَا، وَالْفَاعِلُ ضَمِيرُ عَائِدٍ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَوْلُهُ: ﴿مَا غَشَّى﴾ مَفْعُولٌ بِهِ.

قوله: (تهويلًا) أي: تَفْخِيمًا وَتَعْظِيمًا، وَالْمَعْنَى: غَشَّاهَا أَمْرًا عَظِيمًا مِّنَ حِجَارَةٍ وَغَيْرِهَا مِمَّا لَا تَسَعُ الْعُقُولُ وَصَفَهُ.

قوله: (وفي «هود»: فجعلنا... إلخ) الصواب أن يقول: وفي (هود): ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا...﴾ إلخ، أَوْ يَقُولُ: فِي (الحجر): ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ بَدَلَ قَوْلِهِ: ﴿عَلَيْهَا﴾.

قوله: ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَ﴾ الباء: ظَرْفِيَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِ﴿نَتَمَارَى﴾، وَالْمَعْنَى: فِي أَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تُشَكِّكُ؟

قوله: (أيها الإنسان) أي: مُطْلَقًا، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَقِيلَ: الْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ.

قوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾ النذير: بِمَعْنَى الْمُنْذِرِ، وَالتَّنْوِينُ لِلتَّفْخِيمِ.

أَزِفَ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفِنَ هَذَا الْحَدِيثِ تَعَجُّونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ

﴿أَزِفَ الْآزِفَةُ﴾: قَرُبَتِ الْقِيَامَةُ، ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ نَفْسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ أَي: لَا يَكْشِفُهَا وَيُظْهِرُهَا إِلَّا هُوَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُجَلِّيْهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٥٩ - ٦٢) ﴿أَفِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ أَي: الْقُرْآنِ ﴿تَعَجُّونَ﴾ تَكْذِيبًا؟ ﴿وَتَضْحَكُونَ﴾ اسْتِهْزَاءً ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ لِسَمَاعِ وَعِدِهِ وَوَعِيدِهِ، ﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾: لَاهُونَ غَافِلُونَ عَمَّا يُطْلَبُ مِنْكُمْ، ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ الَّذِي خَلَقَكُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿أَزِفَ الْآزِفَةُ﴾﴾ أَزِفَ: مِنْ بَابِ (تَعَبَ): دَنَا وَقُرُبَ.

قوله: (قربت القيامة) أي: الموصوفة بالقرب، فهي في نفسها قريبة من يوم خلق الله الدنيا؛ لأنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ، وقد ازدادت قُرْباً ببعثة رسول الله ﷺ؛ لأنه من أمارات الساعة كما هو معلوم.

قوله: (نفسٌ ﴿كَاشِفَةٌ﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿كَاشِفَةٌ﴾ صِفَةٌ لموصوفٍ محذوفٍ.

قوله: (أي: لَا يَكْشِفُهَا وَيُظْهِرُهَا إِلَّا هُوَ) أي: فهو من: كَشَفَ الشَّيْءَ: عَرَفَ حَقِيقَتَهُ، وَبَصَحَ أَنْ يَكُونَ مِنْ: كَشَفَ الضَّرَّ: أَزَالَهُ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ لَهَا مَزِيلٌ غَيْرُهُ تَعَالَى، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ وَقُوعُهَا.

قوله: ﴿﴿أَفِنَ﴾﴾ هذا الحديث مُتَعَلِّقٌ بِ﴿تَعَجُّونَ﴾.

قوله: (تكذيباً) قَيَّدَ بِهِ؛ لِأَنَّ التَّعَجُّبَ قَدْ يَكُونُ اسْتِحْسَانًا، وَكَذَا يُقَالُ فِي قَوْلِهِ: (استهزاء).

قوله: ﴿﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾﴾ إِمَّا مُسْتَأْنَفٌ، أَوْ حَالٌ.

قوله: (لا هون غافلون) أي: فَالْسُّمُودُ: اللُّهُو وَالْغَفْلَةُ، وَقِيلَ: الْإِعْرَاضُ وَالِاسْتِكْبَارُ.

قوله: ﴿﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾﴾ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سُجُودُ الصَّلَاةِ، وَهُوَ مَا عَلَيْهِ مَالِكٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ سُجُودُ التَّلَاوَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ: مَا رَوَى: (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَجَدَ فِي «النَّجْمِ» وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَشْرِكُونَ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِلَّا أَبِي بَنِي خَلْفٍ؛ رَفَعَ كَفًّا مِنْ تَرَابٍ عَلَى جَبْهَتِهِ وَقَالَ: يَكْفِي هَذَا)^(١)، وَبِهِ أَخَذَ الشَّافِعِيُّ.

(١) رواه البخاري (١٠٧٠)، (١٠٧١)، ومسلم (٥٧٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وليس فيهما تسمية الذي

﴿وَأَعْبُدُوا﴾

﴿وَأَعْبُدُوا﴾ وَلَا تَسْجُدُوا لِلْأَصْنَامِ وَلَا تَعْبُدُوهَا.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ عطف عامٌّ على خاصٍّ، وقوله: (وَلَا تَسْجُدُوا لِلْأَصْنَامِ... إلخ) أخذه من لام الاختصاص، ومن السياق.



﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾



مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿سَبْعُ مِائَةٍ أَلْفٌ...﴾ الْآيَةُ، وَهِيَ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾: قَرُبَتِ الْقِيَامَةُ، ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾: انْفَلَقَ فَلَقَتَيْنِ

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْقَمَرِ

جميع فواصل آياتها على الراء الساكنة.

قوله: (الآية) أي: وآخرها: ﴿وَيُؤَلِّقُ الذُّبُرَ﴾.

قوله: (قُرُبَتِ الْقِيَامَةُ) أشار بذلك إلى أن الفعلَ المَزِيدَ بمعنى المجرد، وإنما أتى بالمزيد مبالغة؛ لأنَّ زيادة البناء تدلُّ على زيادة المعنى، والمراد بالقيامة: خروجُ الناس من القبور، وله أسماء كثيرة: الحاقة، والواقعة، ويوم الدين، ويوم الجزاء، وغير ذلك.

قوله: ﴿وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ اعلم: أنه يسمَّى قمرًا بعد ثلاث من الشهر، وقبلها هلال إلى أربعة عشر وليلتها يسمَّى بدرًا.

قوله: (فَلَقَتَيْنِ) ثَنِيَّةٌ (فَلَقَةٍ) بالكسر كـ (قُطْعَةٍ) وزنًا ومعنى، والانشقاق كان قبل الهجرة بخمسين سنين، وهل كان ليلة أربعة عشر من الشهر أو لا؟ لم يثبت، وأمَّا قول البوصيري^(١): [الخفيف]

شُقَّ عَنْ صَدْرِهِ وَشُقَّ لَهُ الْبَدَنُ، وَمِنْ شَرْطِ كُلِّ شَرْطٍ جَزَاءٌ

فإن كان عن نقلٍ صحيح.. فهو مقبول؛ لأنه حُجَّةٌ، وإلا.. فتسميته بدرًا مجازًا. وما ذكره

المفسر من أنه انفلق بالفعل هو المشهور، وقيل: المعنى: سَيَنْشَقُّ الْقَمَرُ إذا قامت القيامة؛ لأنَّ السماء تنشق حينئذٍ بما فيها، وقيل: إنَّ المعنى: ظهر الأمر واتَّضح.

(١) في همزته المشهورة. انظر «المنح المكية» (ص ٣٢٥).

وَلَا يَرَوْنَ آيَةً يُعْرَضُونَ وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ

على أَبِي قُبَيْسٍ وَقَعِيقَانِ آيَةً لَهُ ﷺ، وَقَدْ سُئِلَهَا فَقَالَ: «اشْهَدُوا» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

(٢ - ٣) ﴿وَلَا يَرَوْنَ﴾ أَي: كُفَّارُ قُرَيْشٍ ﴿آيَةً﴾: مُعْجَزَةٌ لَهُ ﷺ ﴿يُعْرَضُونَ﴾ وَيَقُولُوا: هَذَا ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾: قَوِيٌّ، مِنَ الْمِرَّةِ الْقُوَّةِ أَوْ دَائِمٌ. ﴿وَكَذَّبُوا﴾ النَّبِيَّ ﷺ ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ فِي الْبَاطِلِ

حاشية الصاوي

قوله: (وَقَعِيقَانِ) هُوَ جَبَلٌ مُقَابِلُ أَبِي قُبَيْسٍ^(١).

قوله: (وَقَدْ سُئِلَهَا) الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وَالْمَسْئُولُ إِذَا مُطْلَقَ آيَةً، أَوْ خُصُوصُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ، رَوَايَتَانِ^(٢).

قوله: (فَقَالَ: «اشْهَدُوا»): أَي: بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَسْتُ بِسَاحِرٍ كَمَا تَزْعُمُونَ.

قوله: ﴿يُعْرَضُونَ﴾: أَي: عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا.

قوله: (هَذَا ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾): أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿سِحْرٌ﴾ خَبَرٌ لِمَحْذُوفٍ.

قوله: (قَوِيٌّ أَوْ دَائِمٌ) هَذَانِ قَوْلَانِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ، وَالثَّالِثُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: ذَاهِبٌ لَا يَبْقَى، مَأْخُوذٌ مِنَ الْمُرُورِ، وَالرَّابِعُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: مَرٌّ بِشَعٍّ لَا نَقْدَرُ أَنْ نُسَيِّغَهُ كَمَا لَا نُسَيِّغُ الْمَرَّ.

قوله: ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا﴾: عَبَّرَ بِالْمَاضِي؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ التَّكْذِيبَ وَاتِّبَاعَ الْهَوَى مِنْ عَادَتِهِمْ وَذَائِبِهِمْ.

(١) قِيلَ: سَمِّيَ بِهِ؛ لِأَنَّ جَرَهْمَا لَمَّا تَحَارَبَا.. كَثُرَتْ قَعْقَعَةٌ - أَي: حِكَايَةُ صَوْتِ السِّلَاحِ وَنَحْوِهِ - هُنَاكَ. انْظُرِ «الْنَهَايَةَ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ» (٨٨/٤).

(٢) رَوَى الْأَوَّلَى الْبُخَارِيُّ (٤٨٦٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٨٠٢) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (سَأَلَ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ)، وَرَوَى الثَّانِيَةَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (٢٠٩) عَنْ سَيِّدِنَا ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (اجْتَمَعَتْ الْمُشْرِكُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْهُمْ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلُ بْنُ هِشَامٍ، وَالْعَاصِمُ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَسَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ، وَالْأَسَدُ بْنُ الْمَطْلَبِ بْنُ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ وَنُظَرَاؤُهُمْ كَثِيرٌ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا.. فَشَقَّ الْقَمَرُ لَنَا فَرْقَتَيْنِ: نَصْفًا عَلَى أَبِي قُبَيْسٍ، وَنَصْفًا عَلَى قَعِيقَانِ... الْحَدِيثُ).

وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿١﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ بِأَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ.

(٤ - ٥) ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾: أَخْبَارِ إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ رُسُلَهُمْ ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ لَهُمْ، - اسم مَصْدَرٍ أَوْ اسم مَكَانٍ، وَالِدَالُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِعَالِ - وَازْدَجَرْتُهُ وَزَجَرْتُهُ: نَهَيْتُهُ بِغِلْظَةٍ، - و﴿مَا﴾ مَوْصُولَةٌ أَوْ مَوْصُوفَةٌ .. ﴿حِكْمَةٌ﴾ - خَبَرٌ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَوْ بَدَلٌ مِنْ ﴿مَا﴾ أَوْ مِنْ ﴿مُزْدَجَرٍ﴾ - ﴿بَلِغَةٌ﴾: تَامَّةٌ ﴿فَمَا تُغْنِي﴾: تَنْفَعُ فِيهِمْ ﴿النُّذُرُ﴾: جَمْعُ (نَذِيرٍ) بِمَعْنَى مُنْذِرٍ، أَي: الْأُمُورُ الْمُنْذِرَةُ لَهُمْ،
حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ﴾ (جملة مستأنفة مركبة من مبتدأ وخبر، قاطعة لأطماعهم الكاذبة، والمعنى: كلُّ أمرٍ من الأمور مُتَوَكِّلٌ إِلَى غَايَةٍ يَسْتَقَرُّ عَلَيْهَا؛ إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.
قوله: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ (بأهله) الباء: بمعنى اللام، والمعنى: ثَابِتٌ لِأَهْلِهِ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ ثَوَابٍ وَعِقَابٍ.
قوله: (أَوْ اسم مكان) أي: عَلَى أَنَّ فِيهِ تَجْرِيدًا، والمعنى: أَنَّهُ مَوْضِعُ اِزْدَجَارٍ^(١).
قوله: (بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِعَالِ) أي: لِأَنَّ الزَّايَ حَرْفٌ مَجْهُورٌ، وَالتَّاءُ حَرْفٌ مَهْمُوسٌ، فَأَبْدَلُوها إِلَى حَرْفٍ مَجْهُورٍ قَرِيبٍ مِنَ التَّاءِ وَهُوَ الدَّالُ، وَكَمَا تُقْلِبُ تَاءُ الْاِفْتِعَالِ دَالًا بَعْدَ الزَّايِ كَذَلِكَ تُقْلِبُ دَالًا بَعْدَ الدَّالِ وَالدَّالَ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ^(٢): [الرجز]

فِي «إِدَانٍ وَارْدَدَ وَادَّكَرَ» دَالًا بَقِي

قوله: (و﴿مَا﴾ مَوْصُولَةٌ، أَوْ مَوْصُوفَةٌ) أي: وَهِيَ فَاعِلٌ بـ(جاء)، و﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾: حَالٌ مِنْهَا.

قوله: (أَوْ بَدَلٌ مِنْ ﴿مَا﴾) أي: بَدَلٌ كُلِّ مِنْ كُلِّ، أَوْ بَدَلٌ اِشْتِمَالٍ.

قوله: ﴿بَلِغَةٌ﴾) أي: تَامَّةٌ لَا خَلَلَ فِيهَا.

قوله: (أي: الْأُمُورُ الْمُنْذِرَةُ لَهُمْ) أي: كَمَا وَقَعَ لِلْأُمَمِ السَّابِقَةِ مِنَ الْعَذَابِ.

قوله: ﴿فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ﴾ (حُذِفَتِ الْيَاءُ لَفْظًا لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ، وَتُحْذَفُ فِي الْخَطِّ اتِّبَاعًا لِلْفِظِّ

ولرسم المصحف.

(١) عبارة أبي السعود في «تفسيره» (١٦٨/٨): (أَوْ مَوْضِعُ اِزْدَجَارٍ عَلَى أَنَّ «فِي» تَجْرِيدِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ فِي نَفْسِهِ مَوْضِعُ اِزْدَجَارٍ)، وَانْظُرْ «الْفَتْوحَاتُ» (٢٥٠/٤).

(٢) كَمَا فِي «الْخُلَاصَةِ»، بَابُ: الْإِبْدَالِ.

فَقَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ ﴿٦﴾

- و(ما) لِلنَّفْيِ أو لِلاِسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ، وهي على الثَّانِي مفعولٌ مُقَدَّمٌ -.

(٦ - ٨) ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله وتَمَّ به الكلام، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾

هو إسرافيل - وناصِب ﴿يَوْمَ﴾ ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد - ﴿إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ﴾ - بِضَمِّ الْكَافِ وَسُكُونِهَا - أي: مُنْكَرٌ تُنْكَرُهُ النَّفُوسُ لِشِدَّتِهِ وَهُوَ الْحِسَابُ،

حاشية الصاوي

قوله: (مفعولٌ مُقَدَّمٌ) أي: مفعولٌ به، والمعنى: فأَيُّ شَيْءٍ من الأشياء النافعة تُغْنِي النَّذْرُ؟ أو مفعولٌ مطلقٌ، والمعنى: فأَيُّ إِغْنَاءٍ تُغْنِي النَّذْرُ.

قوله: ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ قيل: منسوخةٌ بآية السيف، وقيل: غير منسوخة، بل معناها: فتولَّ عنهم ولا تُكَلِّمهم، بل قَاتِلْهُمْ.

قوله: (هو فائدة ما قبله) أي: نتيجته وثمرته.

قوله: ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ حُذِفَت الواو من ﴿يَدْعُ﴾ لفظاً لالتقاء الساكنين، وخطاً تبعاً لِرَسْمِ المصحف واللفظ، وحذفت الياء من (الداعي) خطاً؛ لأنها من ياءات الزوائد، وأما في اللفظ.. فقرأ في السبع بإثباتها وحذفها، وكذا يُقال في ﴿الدَّاعِ﴾ الآتي^(١).

قوله: (هو إسرافيل) هذا أحد قولين، وقيل: هو جبريل يقول في ندائه: «أَيَّتْهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطَّعَةُ، وَاللَّحُومُ الْمُتَفَرِّقَةُ، وَالشُّعُورُ الْمُتَمَرِّقَةُ؛ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ»^(٢).

قوله: (وناصبٌ ﴿يَوْمَ﴾: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد) أي: أو محذوف، تقديره: اذكر.

قوله: (بِضَمِّ الْكَافِ... إلخ) أي: وهما قراءتان سبعيتان^(٣).

قوله: (تُنْكَرُهُ النَّفُوسُ) أي: جميعها، أو نفوسُ الكفار؛ لأنَّ المؤمنين حينئذٍ يكونون آمنين.

(١) قرأ نافع وأبو عمرو بحذف الياء بعد العين وفقاً وإثباتها وصلأً، وابن كثير بإثباتها وفقاً ووصلأً، والباقيون بحذفها وفقاً ووصلأً. انظر «السراج المنير» (١٤٤/٤).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٣٨٢/٢٢) من حديث كعب.

(٣) العامة على ضمِّ الكاف وهو صفة على (فُعِلَ)، وابن كثير بسكون الكاف، فيحتمل أن يكون أصلاً، وأن يكون مخففاً من قراءة الجماعة. انظر «الدر المصون» (١٢٤/١٠).

خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

﴿خُشَعًا﴾ أي: ذليلاً - وفي قراءة: ﴿خُشَعًا﴾ بِضَمِّ الخاء وفتح الشين مُشَدَّدَةً - ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ - حالٌ مِنْ فاعِلٍ: - ﴿يَخْرُجُونَ﴾ أي: النَّاسُ ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القُبُورُ ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ لا يَدْرُونَ أَيْنَ يَذْهَبُونَ مِنَ الْخَوْفِ وَالْحَيْرَةِ - والجُمْلَةُ حالٌ مِنْ فاعِلٍ ﴿يَخْرُجُونَ﴾، وكذا قَوْلُهُ -: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ أي: مُسْرِعِينَ مَادِّينَ أَعْنَاقَهُمْ ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ مِنْهُمْ: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ حاشية الصاوي

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (حال) أي: قوله: ﴿خُشَعًا﴾، و﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ فاعل به، وأسند الخشوع للأبصار؛ لأنه يظهر فيها أكثر من بقية البدن.

قوله: (أي: الناس) أي: مؤمنهم وكافرهم.

قوله: ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ جمع (جَدَث) بفتحيتين؛ (فَرَسٍ وَأَفْرَاسٍ).

قوله: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ أي: في الكثرة والانتشار في الأمكنة.

قوله: (لا يدرون أين يذهبون... إلخ) اعلم: أن الناس حين الخروج من القبور شُبَّهُوا في هذه الآية بالجراد المنتشر، وفي الآية الأخرى: بالفراش المبعوث، فمن حيث تحيُّرهم وتداخلهم بعضهم في بعض شُبَّهُوا بالفراش المبعوث، ومن حيث انتشارهم وقصدُهم الجهة التي يجتمعون فيها شُبَّهُوا بالجراد المنتشر. إذا علمت ذلك... فما قاله المفسر لا يُناسب تشبيههم بالجراد، بل بالفراش، هكذا قالوا، فتدبر.

قوله: (مادِّين أعناقهم... إلخ) أي: فمعنى ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مَادِّينَ الْأَعْنَاقَ مع سرعة المشي.

قوله: ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾... إلخ استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم بالاهوال وشدائدها، كأنه قيل: فما يقول الكافر حينئذ؟

(١) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين، والباقون بضم الخاء ولا ألف بعدها وفتح الشين مُشَدَّدَةً، أمَّا القراءة الأولى... فهي جارية على اللغة الفصحى من حيث إنَّ الفعل وما جرى مجراه إذا قُدِّمَ على الفاعل وُحِّدَ تقول: تخشع أبصارهم، ولا تقول: تخشعن أبصارهم، وأمَّا القراءة الثانية... فجاءت على لغة طي، يقولون: أكلوني البراغيث. انظر «السراج المنير» (٤/١٤٤).

كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ

أي: صَعِبُ عَلَى الْكَافِرِينَ كَمَا فِي (الْمُدَّثَرُ): ﴿يَوْمَ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المدثر: ٩-١٠].

(٩ - ١٠) ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: قَبْلَ قُرَيْشٍ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ - تَأْنِيثُ الْفِعْلِ لِمَعْنَى (قَوْم) -
﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ نُوحًا ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ أَي: انْتَهَرُوهُ بِالسَّبِّ وَغَيْرِهِ، ﴿فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّي﴾
- بِالْفَتْحِ - أَي: بِأَنِّي ﴿مَغْلُوبٌ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (كما في «المدثر») أي: ففي (المدثر) ما يُفِيدُ أَنَّ الصَّعُوبَةَ وَالشَّدَّةَ لخصوص الكافر.

قوله: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تفصيلٌ لِمَا أَجْمَلَ أَوَّلًا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾.

قوله: (لمعنى «قوم») أي: وهو الأُمَّة.

قوله: ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ تفصيلٌ لقوله: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾؛ فالْمَكْذَبُ وَالْمَكْذَبُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ وَاحِدٌ^(١).

قوله: ﴿وَازْدُجِرَ﴾ عطف على (قَالُوا)، والمعنى: قَالُوا: مَجْنُونٌ، وَانْتَهَرُوهُ.

قوله: (وغيره) أي: كَالضَّرْبِ وَالْحَنْقِ، فَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَحْنَقُونَهُ حَتَّى يَغْشَى عَلَيْهِ، فَيَتْرَكُونَهُ فَإِذَا أَفَاقَ.. قَالَ: «اللَّهُمَّ؛ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ».

قوله: ﴿فَدَعَا رَبُّهُ﴾ أَي: بَعْدَ صَبْرِهِ عَلَيْهِمُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ، فَمَكَثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَعَالَجُهُمْ، فَلَمْ يَنْلُ مِنْهُمْ شَيْئًا.

قوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ بفتح الهمزة في قراءة العامة على حكاية المعنى، ولو حكى اللفظ.. لقال: (إنه مغلوب)، وقرئ شذوذاً بكسر الهمزة على إضمار القول، والمعنى: فدعا ربه قائلاً: إني مغلوبٌ^(٢).

(١) وقيل: معنى تكرار التكذيب: أنهم كذبوه تكذيباً على عقب تكذيب؛ كلما مضى منهم قرنٌ مكذبٌ.. تبعه قرنٌ مكذبٌ، أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبداً؛ أي: لما كانوا مكذبين بالرسول جاحدين للنبوة رأساً.. كذبوا نوحاً؛ لأنه من جملة الرسل؛ ففي الوجه الأول الذي ذكره المصنف المكذب هو المكذب في الموضعين، وفي الثاني: المكذب - بالكسر - متعدّد وإن اتّحد المكذب، وفي الثالث: المكذب - بالفتح - متعدّد. انظر «الكشاف» (٤/٤٣٤)، و«حاشية الشهاب على البياضوي» (٨/١٢١).

(٢) قرأ ابن أبي إسحاق والأعمش ورويت عن عاصم بالكسر؛ إما على إضمار القول؛ أي: فقال، فسّر به الدعاء، وهو مذهب البصريين، وإما إجراءً للدعاء مجرى القول، وهو مذهب الكوفيين. انظر «الدر المصون» (١٠/١٣١).

فَأَنْصَرَفَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُّسْرٍ ﴿١٣﴾

فَأَنْصَرَفَ .

(١١ - ١٤) ﴿فَفَتَحْنَا﴾ - بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ - ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾: مُنْصَبٌّ انْصِبَاباً شَدِيداً، ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾: تَنْبُعٌ، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾: مَاءُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾: حَالٍ ﴿قَدْ قُدِرَ﴾ قُضِيَ بِهِ فِي الْأَزَلِ وَهُوَ هَلَاكُهُمْ غَرَقًا، ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾: أَي: نُوحًا ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾: ذَاتِ أَلْوَاجٍ وَدُّسْرٍ، وَهُوَ مَا تُشَدُّ بِهِ الْأَلْوَاخُ مِنَ الْمَسَامِيرِ وَغَيْرِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَأَنْصَرَفَ﴾ أي: انْتَقِمَ لِي مِنْهُمْ، وَذَلِكَ بَعْدَ يَأْسِهِ مِنْ إِيْمَانِهِمْ؛ حَيْثُ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: ﴿أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وَدَعَا عَلَيْهِمْ أَيْضًا بِقَوْلِهِ: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿فَأَفْتَحْ يَنِّي وَيَسْأَلُهُمْ فِتْنًا وَيَجْزِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٨].

قوله: ﴿فَفَتَحْنَا﴾ عَطَفَ عَلَى مَحذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ.

قوله: (بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ) أَي: فَهُمَا قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(١).

قوله: ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ أَي: جَمِيعَهَا، وَيُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّ السَّمَاءَ لَهَا أَبْوَابٌ حَقِيقَةٌ، تُفْتَحُ وَتُغْلَقُ، وَهُوَ كَذَلِكَ.

قوله: ﴿بِمَاءٍ﴾ الْبَاءُ: لِلتَّعْدِيدِ مِبَالِغَةً؛ حَيْثُ جَعَلَ الْمَاءَ كَالْآلَةِ الَّتِي يُفْتَحُ بِهَا.

قوله: ﴿مُنْهَمِرٍ﴾ الْمُنْهَمِرُ: الْغَزِيرُ النَّازِلُ بِقُوَّةٍ.

قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تَمَيِّزُ مُحَوَّلٍ عَنِ الْمَفْعُولِ؛ لِأَنَّ أَصْلَهُ: وَفَجَّرْنَا عَيُونَ الْأَرْضِ.

قوله: (تَنْبُعٍ) أَي: تَخْرُجُ مِنَ الْعَيْنِ، وَمَكَثَ الْمَاءُ يُصْبُغُ مِنَ السَّمَاءِ، وَيَنْبُعُ مِنَ الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، قِيلَ: كَانَ مَاءُ السَّمَاءِ بَارِدًا مِثْلَ الثَّلَجِ، وَمَاءُ الْأَرْضِ حَارًّا مِثْلَ الْحَمِيمِ، وَهَلْ كَانَ مَاءُ السَّمَاءِ أَكْثَرَ، أَوْ مَاءُ الْأَرْضِ، أَوْ مُسْتَوِيَانِ؟ أَقْوَالٌ.

قوله: ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ أَي: جَنْسُهُ الصَّادِقُ بِمَاءِ السَّمَاءِ وَمَاءِ الْأَرْضِ.

قوله: (وَعِوَاظُهَا) أَي: كَالصَّفَائِحِ وَالْخَشَبِ الَّذِي يُسَمَّرُ فِيهِ الْأَلْوَاخُ وَالْحُيُوطُ وَنَحْوُهَا.

(١) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِتَشْدِيدِ التَّاءِ بَعْدَ الْفَاءِ، وَابِاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٤/ ١٤٥).

تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ ﴿١٥﴾

وَاحِدُهَا (دِسَار) كـ (كِتَاب)، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: بِمَرَأَى مِنَّا أَي: مَحْفُوظَةٌ ﴿جَزَاءَ﴾ - مَنْصُوبٌ بِفِعْلِ مُقَدَّرٍ - أَي: أُغْرِقُوا انْتِصَارًا ﴿لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ وَهُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، - وَقُرِئَ: ﴿كَفَرًا﴾ بِنَاءٍ لِلْفَاعِلِ أَي: أُغْرِقُوا عِقَابًا لَهُمْ ..

(١٥ - ١٦) ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾: أَبْقَيْنَا هَذِهِ الْفَعْلَةَ ﴿آيَةً﴾ لِمَنْ يَعْتَبِرُ بِهَا أَي: شَاعَ خَبَرُهَا وَاسْتَمَرَّ، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾: مُعْتَبِرٍ وَمُتَّعِظٍ بِهَا؟ - وَأَصْلُهُ: (مُذَكِّرٌ) أَبْدَلْتُ التَّاءَ دَالًا مُهْمَلَةً وَكَذَا الْمُعْجَمَةَ، وَأُدْغِمْتَ فِيهَا -،

حاشية الصاوي

قوله: (جمع دسار) وقيل: جمع (دسر) بسكون السين كـ (سُقْفٍ وَسُقْفٍ).

قوله: ﴿تَجْرِي﴾ (صفة ثانية للموصوف المحذوف).

قوله: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ (حال من ضمير ﴿تَجْرِي﴾).

قوله: (منصوب بفعل مقدر) أَي: مفعول لأجله.

قوله: (وهو نوح) أَي: لأنه نعمة كفرؤها؛ إِذْ كُلُّ نَبِيٍّ نِعْمَةٌ عَلَى أُمَّتِهِ.

قوله: (وقرئ) أَي: شذوذاً^(١).

قوله: (هذه الفعلة) أَي: وهي الغرق على هذا الوجه، وقيل: هي السفينة بناءً على أنها بقيت على الجودي زماناً مديداً حتى رآها أوائل هذه الأمة^(٢).

قوله: (مُعْتَبِرٌ مُتَّعِظٌ بِهَا) أَي: يَعْتَبِرُ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ بِقَوْمِ نُوحٍ، فَيَتْرَكُ الْمَعْصِيَةَ، وَيَفْعَلُ الطَّاعَةَ.

قوله: (وكذا المعجمة) أَي: الدال التي قبل التاء أبدلت دالاً مهملة، وقوله: (وأدغمت)

أَي: الدال المهملة المنقلبة عن المعجمة، وقوله: (فيها) أَي: في الدال المنقلبة عن التاء.

(١) وهي قراءة يزيد بن رومان وعيسى وقتادة، و(كَفَرًا) خبر (كان)، وفيه دليل على وقوع خبر (كان) ماضياً من غير (قد)، وبعضهم يقول: لا بد من (قد) ظاهرة أو مضمرة، ويجوز أن تكون (كان) مزيدة. انظر «الدر المصون» (١٠/١٣٥).

(٢) رواه البخاري تعليقاً، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ﴾ من حديث قتادة.

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارِي؟ - استفهام تَقْرِير، و(كَيْفَ) خَبَرٌ ﴿كَانَ﴾ وهي للسُّؤالِ عن الحال -، والمَعْنَى حَمَلُ الْمُخَاطَبِينَ عَلَى الْإِقْرَارِ بِوُقُوعِ عَذَابِهِ تَعَالَى بِالْمُكَذِّبِينَ لِنُوحِ مَوْقِعِهِ.

(﴿١٧﴾ - ﴿١٨﴾) ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾: سَهَّلْنَاهُ لِلْحِفْظِ وَهَيَّأْنَاهُ لِلتَّذْكَرِ، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾: مُتَعِظٌ بِهِ وَحَافِظٌ لَهُ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى الْأَمْرِ
حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿وَنُذْرِي﴾﴾ بإثبات الياء لفظاً وحذفها، قراءتان سبعيتان، وأما في الرسم.. فلا تثبت؛ لأنها من ياءات الزوائد، وكذا يُقال في المواضع الآتية^(١).

قوله: (و«كَيْفَ» خبر ﴿كَانَ﴾) أي: فهي ناقصة، و﴿عَذَابِي﴾ اسمها.

قوله: (وهي للسؤال عن الحال) أي: فإذا أردت أن تختبر حال شخص تقول له: كيف أنت؟ أصحیح أم سقیم؟ مثلاً.

قوله: (بوقوع عذابه تعالى... إلخ) أي: أنه في غاية العدل؛ فلا ظلم فيه، ولا جور.

قوله: (سهلناه للحفظ) أي: أعاننا عليه مَنْ أراد حفظه، فهل من طالبٍ لحفظه فُيَعَانَ عليه؟ وليس من كتابٍ يُقْرَأُ عن ظهر قلبٍ إلا القرآن، ولم يكن هذا لبني إسرائيل، ولم يكونوا يقرؤون التوراة إلا نظراً غير موسى، وهارون، ويوشع بن نون، وعزير، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومن أجل ذلك افْتَتَنُوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر قلبٍ حين أُحْرِقَتْ، ومن هذا المعنى قوله تعالى في الحديث القدسي: «وَجَعَلْتُ مِنْ أُمَّتِكَ أَقْوَاماً قُلُوبُهُمْ أَنَا جِيلُهُمْ»^(٢).

قوله: (أو: هيئناه للتذكّر) أي: بأن أودعنا فيه أنواعَ المواعظ والصبر، وبالجمله: فقد جعل الله القرآن مُهيئاً ومُسَهِّلاً لمن يُريد حفظ اللفظ، أو حفظ المعنى، أو الاتِّعَاضَ به، فهو رأسُ سعادة الدنيا والآخرة.

قوله: (والاستفهام بمعنى الأمر) أي: فهو للتحضيض.

(١) قرأ ورش بإثبات الياء بعد الراء وصللاً لا وقفاً، والباقون بغير ياء وقفاً ووصللاً. انظر «السراج المنير» (٤/١٤٦).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/٤٢٤)، ونحوه عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٠٤٦).

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾

أي: احفظوه واتَّعظُوا به، وليس يُحفظ من كُتِبَ الله عن ظهر القلب غيره. ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نَبِيَّهِمْ هُودًا فَعُذِّبُوا، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارِي لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ نُزُولِهِ؟ أي: وَقَعَ مَوْقِعُهُ، وَقَدْ بَيَّنَّه بِقَوْلِهِ:

(﴿١٩﴾ - ﴿٢٢﴾) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شَدِيدَةَ الصَّوْتِ ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾: سُومٍ مُّسْتَمِرٍّ: دَائِمٍ الشُّومِ حاشية الصاوي

قوله: (أي: احفظوه واتَّعظُوا به) أي: لِيُكْمَلَ لَكُمْ الْإِصْطِفَاءُ؛ فَإِنَّ مِنْ آتَاءِ اللَّهِ الْقُرْآنَ حِفْظًا أَوْ اتِّعَازًا.. فَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِهِ^(١)، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.. فَهُوَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ.
قوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾... إلخ) هذا أيضاً من جُمْلَةِ تَفْصِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾، وَذَكَرَ قِصَّةَ عَادٍ عَقِبَ قِصَّةِ قَوْمِ نُوحٍ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ نُوحٍ؛ لِأَنَّ عَادًا هُوَ ابْنُ إِزْمَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ.

قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ مُرْتَّبٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (فَعُذِّبُوا).
قوله: (أي: وَقَعَ مَوْقِعُهُ) أي: فَتَعَذَّبَهُ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْهُ تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ أَنْذَرَهُمْ أَوَّلًا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ عَبْدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ؛ تَنْزِلًا مِنْهُ تَعَالَى، وَإِلَّا.. فَلَوْ أَخَذَ عِبَادَهُ بِغَيْرِ جُرْمٍ.. لَا يُسَمَّى ظَالِمًا؛ لِأَنَّهُ تَصَرَّفَ فِي مَلِكِهِ، وَالظَلَمُ: التَّصَرُّفُ فِي مُلْكٍ الْغَيْرِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ.

قوله: (وَبَيَّنَّه بِقَوْلِهِ... إلخ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ تَفْصِيلٌ لِمَا أَجْمَلَ أَوَّلًا.

قوله: (سُومٍ) أي: غَيْرِ مُبَارَكٍ.

قوله: (دَائِمِ الشُّومِ) أي: إِلَى الْأَبَدِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يَوْمٌ مُبَارَكٌ عَلَى هُودٍ وَمَنْ تَبِعَهُ، فَهُوَ يَوْمُ نَحْسٍ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَيَوْمٌ مُبَارَكٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

(١) رَوَى النَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٨٠٣١)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢١٥) عَنْ سَيِّدِنَا أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ» أي: أَوْلِيَائِهِ الْمُخْتَصُّونَ بِهِ اخْتِصَاصَ أَهْلِ الْإِنْسَانِ بِهِ.

تَنْزِيعُ النَّاسِ كَانَتْهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾

أَوْ قُوَّيْهِ، وَكَانَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ آخِرَ الشَّهْرِ، ﴿تَنْزِيعُ النَّاسِ﴾: تَقْلَعُهُمْ مِنْ حُفْرِ الْأَرْضِ الْمُنْدَسِّينَ فِيهَا وَتَصْرَعُهُمْ عَلَى رُؤُوسِهِمْ فَتَدُقُّ رِقَابَهُمْ فَتُبِينُ الرَّأْسَ عَنِ الْجَسَدِ، ﴿كَانَتْهُمْ﴾ وَحَالُهُمْ مَا ذُكِرَ ﴿أَعْجَازُ﴾ أَصُولُ ﴿نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: مُنْقَلِعِ سَاقِطٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَشُبَّهُوا بِالنَّخْلِ لِطَوْلِهِمْ،

حاشية الصاوي

قوله: (أَوْ قُوَّيْهِ) أي: فهو مأخوذ من: (المِرَّة)، وهي القُوَّة، وفي الحقيقة: هو دائم الشؤم قُوَّيْهِ.

قوله: (آخر الشهر) أي: شهر شوال لثمانٍ بَقِيْنَ مِنْهُ، واستمرَّ إلى غروب الشمس من يوم الأربعاء آخِرِهِ، والمعنى: أنه أتاهم العذاب يوم الأربعاء والباقي من شوال ثمانية أيام، واستمرَّ عليهم لآخِرِهِ، قال تعالى في سورة (الحاقة): ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]. إذا علمت ذلك.. فليس المراد بقول المفسر: (آخر الشهر): أنَّ يوم نُزُولِ العذاب كان آخِرَ الشهر، بل هو مُنتَهَاهُ.

قوله: ﴿تَنْزِيعُ النَّاسِ﴾ أظهر في مقام الإضمار؛ ليكون صريحاً في عُموم الذكور والإناث، وإلا.. فمقتضى الظاهر: (تنزعهم).

قوله: (المندسين فيها) أي: فقد روي: أنهم دخلوا في الشعاب والحفر، وتمسك بعضهم ببعض، فنزعتهم الريح منها، وصرعتهم موتى^(١).

قوله: (وحالهم ما ذُكِرَ) الجملة حالية من ضمير ﴿كَانَتْهُمْ﴾، وفيه إشارة إلى أنَّ قوله: ﴿كَانَتْهُمْ﴾ حالٌ من ﴿النَّاسِ﴾ مُقَدَّرَةٌ؛ وذلك لأنهم حين إخراجهم من الحفر لم يكونوا كأعجاز النخل، بل كانوا كذلك بعد ما حصل لهم ما ذُكِرَ.

قوله: (أصول نخل) المراد بها: النخل بتمامها من أولها لآخرها ما عدا الفروع، والمعنى: كأنهم نخلٌ قد قُطعت رؤوسه.

قوله: (منقلع) تفسيرٌ لـ ﴿مُنْقَعِرٍ﴾، وفيه إشارة إلى قُوَّتِهِمْ وَثَبَاتِ أجسامِهِمْ في الأرض، فكأنَّهم لِعَظَمِ أجسامِهِمْ وكمال قُوَّتِهِمْ يقصدون مقاومة الريح، فلم يستطيعوا؛ لأنها لشدَّتها تَقْلَعُهُمْ كما تَقْلَعُ النَّخْلَ مِنَ الْأَرْضِ.

(١) انظر «تفسير البيضاوي» (١٦٦/٥).

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَبْتَ ثُمُودَ بِالنُّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَهْلَفَى

- وَذُكِّرَ هُنَا وَأَنْتَ فِي (الْحَاقَّةِ) ﴿نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] مُرَاعَاةً لِلْفَوَاصِلِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ -،
﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

(﴿٢٣﴾ - ﴿٢٤﴾) ﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ بِالنُّذْرِ﴾: جَمَعَ (نَذِير) بِمَعْنَى مُنْذِرٍ، أَي: بِالْأُمُورِ
الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا نَبِيُّهُمْ صَالِحٌ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَتَّبِعُوهُ، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾ - مَنْصُوبٌ
عَلَى الْإِسْتِغَالِ - ﴿مِثَّا وَاحِدًا﴾ - صِفَتَانِ لـ (بَشَرًا) - ﴿نَتَّبِعُهُ﴾ - مُفَسَّرٌ لِلْفِعْلِ النَّاصِبِ لَهُ،
وَالِإِسْتِفْهَامِ بِمَعْنَى النِّفْيِ -، الْمَعْنَى: كَيْفَ نَتَّبِعُهُ وَنَحْنُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ وَهُوَ وَاحِدٌ مِثَّا وَلَيْسَ
بِمَلَكٍ؟ أَي: لَا نَتَّبِعُهُ، ﴿إِنَّا إِذَا﴾ أَي: إِنْ اتَّبَعْنَاهُ ﴿لَفِيَ ضَلَالٍ﴾: ذَهَابٌ عَنِ الصَّوَابِ
﴿وَسُعْرٍ﴾: جُنُونٌ.

(﴿٢٥﴾ - ﴿٢٦﴾) ﴿أَهْلَفَى﴾ - بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا

حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (وَذُكِّرَ هُنَا) أَي: حَيْثُ قَالَ: ﴿مُنْفَعِرٍ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (مَنْقَعَرَةً)، وَقَوْلُهُ: (وَأَنْتَ فِي «الْحَاقَّةِ»)
أَي: حَيْثُ قَالَ: ﴿خَاوِيَةٍ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: (خَاوٍ).

قوله: (فِي الْمَوْضِعَيْنِ) أَي: فَهُنَا الْفَاصِلَةُ عَلَى الرَّاءِ، وَهَنَّاكَ عَلَى الْهَاءِ.

قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ كَرَّرَهُ لِلتَّهْوِيلِ، وَلِلتَّعْجُبِ مِنْ أَمْرِهِمْ.

قوله: (أَي: الْأُمُورَ الَّتِي أَنْذَرَهُمْ بِهَا) هَذَا أَحَدُ وَجْهَيْنِ فِي تَفْسِيرِ (النُّذْرِ)، وَالثَّانِي: أَنَّهُ جَمَعَ
(نَذِير) بِمَعْنَى: الرِّسْلِ الْمُنْذِرِينَ لَهُمْ، وَجَمَعَهُمْ؛ لِأَنَّ مِنْ كَذَّبَ رَسُولًا فَقَدْ كَذَّبَ جَمِيعَ الرِّسْلِ.

قوله: (مَنْصُوبٌ عَلَى الْإِسْتِغَالِ) أَي: وَهُوَ الْفَصِيحُ الرَّاجِحُ؛ لِتَقَدُّمِ أَدَاةٍ هِيَ بِالْفِعْلِ أَوْلَى.

قوله: (وَالِإِسْتِفْهَامِ بِمَعْنَى النِّفْيِ) أَي: فَهُوَ إِنكَارِيٌّ.

قوله: (جُنُونٍ) أَي: فَ(سُعْرٌ) مُفْرَدٌ، وَيَصِحُّ أَنْ يَكُونَ جَمْعٌ (سُعِيرٌ)، وَهُوَ النَّارُ.

قوله: (وَإِدْخَالِ أَلِفٍ بَيْنَهُمَا... إلخ) أَي: فَالْقُرْآنُ أَرْبَعُ سَبْعِيَّاتٍ^(١).

(١) سَهَّلَ الْهَمْزَةَ الثَّانِيَةَ مَعَ إِدْخَالِ أَلِفٍ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا قَالُونَ وَأَبُو جَعْفَرٍ، وَسَهَّلَهَا مَعَ الْإِدْخَالِ وَعَدِمَهُ أَبُو عَمْرٍو، وَسَهَّلَهَا
مَنْ غَيْرَ إِدْخَالِ وَرَشٍّ وَالْمَكِّي وَرَوَيْسٌ، وَلِهَشَامٌ ثَلَاثَةَ أَوْجِهٍ: التَّسْهِيلُ مَعَ الْإِدْخَالِ، وَالتَّحْقِيقُ مَعَ الْإِدْخَالِ وَعَدِمَهُ،
وَلِلْبَاقِينَ التَّحْقِيقُ بِلا إِدْخَالٍ. انْظُرْ «الْبَدُورُ الزَّاهِرَةُ» (ص ٣٠٩).

الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا
النَّاقَةِ

على الوجهين وتركه - ﴿الذِّكْرُ﴾: الوحي ﴿عليه من بيننا﴾ أي: لم يُوحَ إليه، ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ﴾ في قوله: إنه أَوْحِيَ إليه ما ذكر، ﴿أَشِرُّ﴾: مُتَكَبِّرٌ بَطَرٌ، قال تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ في الآخرة ﴿مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ﴾ وهو هم، بأن يُعَذَّبُوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً.
(٢٧ - ٢٨) ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾: مُخْرِجُوهَا مِنَ الْهَضْبَةِ الصَّخْرَةِ كَمَا سَأَلُوا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ حال من الهاء في ﴿عليه﴾، والمعنى: أُخِصَّ بالرسالة منفرداً من بيننا وفيما من هو أكثر منه مالا وأحسن حالاً؟

قوله: (أي: لم يُوحَ إليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

قوله: (قال تعالى) أي: وعيداً لهم، ووعداً له.

قوله: (أي: في الآخرة) هذا أحد قولين في تفسير (الغد)، وقيل: المراد به: يوم نزول العذاب الذي حلَّ فيهم في الدنيا.

قوله: ﴿مَنِ الْكَذَّابُ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة سَدَّتْ مَسَدَّ المفعولين، والمعنى: سيعلمون غداً أي فريق هو الكذاب الأشر؛ أهو هم أو صالح عليه السلام؟

قوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ استئناف مَسُوقٌ لبيان مبادئ الموعود به من العذاب؛ وذلك لأنه جرت عادة الله تعالى أنه إذا أراد تعذيب قوم.. اقترحوا آية ولم يؤمنوا بها. ورد: أنهم قالوا لصالح عليه السلام: نريد أن نعرف المحق منا؛ بأن ندعو آلهتنا، وتدعوا إلهك، فمن أجاب إلهه.. علمنا أنه الحق، فدعوا أوثانهم، فلم تجبهم، فقالوا: ادع أنت، فقال: فما تريدون؟ قالوا: تخرج لنا من هذه الصخرة ناقةً عشراء وبراء، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان، فواعدوه بذلك وأكذبوا، فكذبوا ثانياً بعد ما كذبوا أولاً في أن آلهتهم تُجيبهم^(١).

قوله: (من الهضبة) أي: بفتح الهاء وسكون الضاد، وهو الجبل المنبسط على الأرض، ويُجمع على: هَضْبٍ، وهَضَابٍ.

(١) انظر «تفسير البغوي» (٢/٢٠٨) عن ابن إسحاق ووهب وغيرهما.

فَنَنَّا لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ (٢٧) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخَضَّرٌ (٢٨) فَادَاوَا صَاحِبَهُمْ
فَلَعَاطَى فَقَرَّ (٢٩) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ (٣٠)

﴿فَنَنَّا﴾ : مِحْنَةٌ ﴿لَهُمْ﴾ لِنَخْتَبِرَهُمْ ، ﴿فَارْتَقِبْهُمْ﴾ يَا صَالِحُ ، أَي : انتظر ما هم صانعون وما يصنع
بِهِمْ ، ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ - الطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِعَالِ - أَي : اصبر على أذاهم . ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ﴾ :
مَقْسُومٌ ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وَبَيْنَ النَّاقَةِ ؛ فَيَوْمٌ لَهُمْ وَيَوْمٌ لَهَا ، ﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ : نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ ﴿مُخَضَّرٌ﴾ :
يَحْضَرُهُ الْقَوْمُ يَوْمَهُمْ وَالنَّاقَةُ يَوْمَهَا ، فَتَمَادَاوَا عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ مَلَّوْهُ فَهَمُّوا بِقَتْلِ النَّاقَةِ .

(٢٩ - ٣٠) ﴿فَادَاوَا صَاحِبَهُمْ﴾ قُدَارًا لِيَقْتُلَهَا ، ﴿فَلَعَاطَى﴾ : تَنَاوَلَ السَّيْفَ ﴿فَقَرَّ﴾ بِهِ
النَّاقَةُ أَي : قَتَلَهَا مُوَافَقَةً لَهُمْ ، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذِيرِ﴾ أَي : إنذارِي لَهُمْ بِالْعَذَابِ قَبْلَ
نَزْوِلِهِ ؟ أَي : وَقَعَ مَوْقِعُهُ ، وَبَيَّنَّه بِقَوْلِهِ :

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَنَنَّا لَهُمْ﴾ مفعولٌ لأجله .

قوله : (بدل من تاء الافتعال) أي : لوقوعها إثر حرفٍ من حروف الإطباق ، وهو الصاد .

قوله : ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ أي : أخبرهم .

قوله : ﴿أَنَّ الْمَاءَ﴾ أي : وهو ماء بثرهم الذي كانوا يشربون منه .

قوله : ﴿قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة) ظاهره : أَنَّ الضمير في ﴿بَيْنَهُمْ﴾ واقعٌ عليهم فقط ، وَأَنَّ
في الكلام حذف الواو مع ما عطفت ، والأسهل : أَنَّ الضمير واقعٌ عليهم وعلى الناقة على سبيل
التغليب .

قوله : (ويومٌ لها) أي : فكانت لا تبقى شيئاً في البئر ، وفي يومها يكتفون بلبنها .

قوله : ﴿فَادَاوَا صَاحِبَهُمْ﴾ مرتَّب على محذوف ، قدره بقوله : (فتمادوا على ذلك . . . إلخ) ،
والمعنى : أنهم بقوا على ذلك مُدَّةً ، ثُمَّ مَلَّوْا مِنْ ضَيْقِ الْمَاءِ وَالْمَرَعَى عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَوَاشِيهِمْ ،
فَاجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِهَا ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : نَكْمُنُ لِلنَّاقَةِ حَيْثُ تَمَرُّ إِذَا صَدَرَتْ عَنِ الْمَاءِ ، فَاجْتَمَعُوا
وَكَمَنَ لَهَا قَدَارُ بْنُ سَالِفٍ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ فِي طَرِيقِهَا الَّتِي تَمَرُّ بِهَا ، فَرَمَاهَا ، فَقَطَعَ عَظْمَةَ سَاقِهَا ،
فَوَقَعَتْ وَأَحْدَثَتْ رَغَاءً وَاحِدَةً ، ثُمَّ نَحَرَهَا .

قوله : (موافقة لهم) قصد بذلك الجمع بين ما هنا وما في (الشعراء) ؛ حيث قال : ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ ،
فَتَحْصُلُ أَنَّ مَبَاشِرَةَ الْقَتْلِ كَانَ مِنْهُ ، لَكِنْ بِإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ .

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالَ لُوطٌ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾

(٣١ - ٣٢) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ هو الذي يَجْعَلُ لُغْنِمَهُ حَظِيرَةً مِنْ يَابِسِ الشَّجَرِ وَالشُّوكَ يَحْفَظُوهُنَّ فِيهَا مِنَ الذُّنَابِ وَالسَّبَاعِ، وَمَا سَقَطَ مِنْ ذَلِكَ فِدَاسَتُهُ هُوَ الْهَشِيمُ. ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

(٣٣ - ٣٤) ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ أَي: بِالْأُمُورِ الْمُنْذِرَةِ لَهُمْ عَلَى لِسَانِهِ، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: رِيحًا تَرْمِيهِمْ بِالْحَصْبَاءِ وَهِيَ صِغَارُ الْحِجَارَةِ، الْوَاحِدُ دُونٌ مِلءِ الْكَفِّ فَهَلَكُوا، ﴿إِلَّا عَالَ لُوطٌ﴾ وَهُمْ ابْنَتَاهُ مَعَهُ ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ مِنَ الْأَسْحَارِ أَي: وَقْتَ الصُّبْحِ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً﴾ أَي: صَاحَ بِهِمْ جَبْرِيلُ فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ مِنْ عَقْرِ النَّاقَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ عَقْرَهَا يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، فَتَوَعَّدَهُمْ صَالِحٌ بِالْعَذَابِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّهُمْ يُصْبِحُونَ يَوْمَ الْارْبِعَاءِ صُفْرَ الْوَجْهِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ حُمْرَ الْوَجْهِ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ سُودَ الْوَجْهِ، وَفِي السَّبْتِ يَنْزِلُ بِهِمُ الْعَذَابُ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرَ^(١).

قوله: ﴿كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ تَشْبِيهٌُ لِإِهْلَاكِهِمْ، وَالْحَظِيرَةُ: زَرْيَةُ الْغَنَمِ وَنَحْوُهَا، وَ(الْمُخْتَطِرُ) بِكَسْرِ الظَّاءِ: اسْمُ فَاعِلٍ، وَهُوَ الَّذِي يَتَّخِذُ حَظِيرَةً مِنَ الْحَطَبِ وَغَيْرِهِ؛ لِتَكُونَ وَقَايَةً لِمَوَاشِيهِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالسَّبَاعِ.

قوله: ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٍ﴾ أَي: وَهُمْ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ سَكَنَ عِنْدَهُمْ وَأُرْسِلَ لَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ لُوطًا هُوَ ابْنُ أَخِي إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ مِنَ الْعِرَاقِ، فَنَزَلَ إِبْرَاهِيمَ بِفِلَسْطِينَ، وَلُوطٌ بِسَدُومَ وَقَرَاهَا، فَأَرْسَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ، فَكَذَّبُوهُ، فَحُلَّ بِهِمُ الْعَذَابُ.

قوله: (الْمُنْذِرَةُ) أَي: الْمَخَوْفَةُ.

قوله: (رِيحًا تَرْمِيهِمْ بِالْحَصْبَاءِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ ﴿حَاصِبًا﴾ اسْمُ فَاعِلٍ، صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَمْطَارَ الْحِجَارَةِ وَإِرْسَالَهَا عَلَيْهِمْ كَانَ بِوَسْطَةِ إِرْسَالِ الرِّيحِ لَهَا.

(١) رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٥٢٩/١٢).

نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾

مِنْ يَوْمٍ غَيْرٍ مُّعَيَّنٍ، وَلَوْ أُريدَ مِنْ يَوْمٍ مُّعَيَّنٍ لَمُنِعَ الصَّرْفُ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ مَّعْدُولٍ عَنِ السَّحَرِ؛ لِأَنَّ حَقَّهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْمَعْرِفَةِ بِ(أَل)، وَهَلْ أُرْسِلَ الْحَاصِبُ عَلَى آلٍ لُّوطٍ أَوْ لَا؟ قَوْلَانِ - وَعَبَّرَ عَنِ الْإِسْتِثْنَاءِ عَلَى الْأَوَّلِ بِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ، وَعَلَى الثَّانِي بِأَنَّهُ مُنْقَطِعٌ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْجِنْسِ، تَسْمُحًا..

(٣٥ - ٣٦) ﴿نِعْمَةً﴾ - مَصْدَرٌ - أَي: إِنْعَامًا ﴿مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ﴾ أَي: مِثْلَ ذَلِكَ الْجَزَاءِ ﴿يَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أَنْعَمْنَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، أَوْ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَطَاعَهُمَا.
حاشية الصاوي

قوله: (من يوم غير معين) أي: غير مقصود تعيينه للمخاطبين، فلا يُنافي تعيينه في الواقع ولمن حضر.

قوله: (أي: وقت الصبح) هذا تفسير مرادٍ، يدلُّ عليه قوله في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾، وإلا.. فحقيقة السَّحَر: ما كان آخِرَ الليل، والباء بمعنى (في).
قوله: (لأنَّ حَقَّهُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْمَعْرِفَةِ) أَي: فِي إِرَادَةِ التَّعْرِيفِ.

قوله: (تَسْمُحًا) أَي: تَسَاهُلًا فِي الْعِبَارَةِ، وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ وَجَهَ كَوْنِ الْإِسْتِثْنَاءِ مُنْقَطِعًا بَعِيدًا؛ لِأَنَّ أَهْلَ لُوطٍ مِنْ جِنْسِ الْقَوْمِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، سَوَاءٌ قُلْنَا بِنَزُولِ الْحَاصِبِ عَلَى الْجَمِيعِ، أَوْ عَلَى غَيْرِ أَهْلِ لُوطٍ، فَتَحْصُلُ: أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُتَّصِلٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ؛ لَكَوْنِ الْمُسْتَثْنَى مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، وَجَعَلَهُ مُنْقَطِعًا بَعِيدًا.

قوله: (مصدر) أَي: مُؤَكِّدٌ لِعَامِلِهِ فِي الْمَعْنَى، وَهُوَ ﴿يَجْزِيهِمْ﴾؛ إِذِ الْإِنْجَاءُ نِعْمَةٌ، أَوْ مَفْعُولٌ لِمَحْذُوفٍ مِنْ لَفْظِهِ؛ أَي: أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ نِعْمَةً^(١).

قوله: (أي: مثل ذلك الجزاء) أَي: الَّذِي هُوَ الْإِنْجَاءُ.

قوله: (﴿يَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾) أَي: فَلَا خُصُوصِيَّةَ لآلِ لُوطٍ، بَلْ هُوَ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ شَكَرَ نِعْمَةَ تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُجِزِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازِهِمْ...﴾ [الزمر: ٦١] الآية.

قوله: (وهو مؤمن) الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ مَنْ آمَنَ) عَطَفَ عَلَى ﴿مَنْ شَكَرَ﴾ عَطْفَ تَفْسِيرٍ،

(١) وَيَصِحُّ نَصْبُهُ عَلَى الْمَفْعُولِ لِأَجَلِهِ، تَعْلِيلًا لِلْعَامِلِ الْمَذْكُورِ. «فتوحات» (٢٥٨/٤).

وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِ
وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً

﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾: خَوْفُهُمْ لُوطٍ ﴿بَطْشَتَنَا﴾: أَخَذَتْنَا إِيَّاهُمْ بِالْعَذَابِ ﴿فَتَمَارَوْا﴾: تَجَادَلُوا
وَكَذَّبُوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾: بِإِنْذَارِهِ.

﴿٣٧﴾ ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: أَي: أَنْ يُخْلِيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ أَتَوْهُ فِي صُورَةِ
الْأَضْيَافِ لِيَخْبُثُوا بِهِمْ وَكَانُوا مَلَائِكَةً، ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾: أَعْمَيْنَاهَا وَجَعَلْنَاهَا بِلا شَقِّ كِبَاقِي
الْوَجْهِ بِأَنْ صَفَّقَهَا جِبْرِيلُ بِجَنَاحِهِ، ﴿فَذُوقُوا﴾: فَقُلْنَا لَهُمْ: ذُوقُوا ﴿عَذَابِ وَنُذُرِ﴾: أَي: إِنْذَارِي
وَتَخْوِيفِي، أَي: ثَمَرَتَهُ وَفَائِدَتَهُ.

(﴿٣٨﴾ - ﴿٤٠﴾) ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً﴾: وَقْتَ الصُّبْحِ مِنْ يَوْمٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ

حاشية الصاوي

وفي ذلك إشارة إلى تفسيرين للموصول؛ فقليل: إِنَّ المراد: مَنْ شَكَرَ النُّعْمَةَ مَعَ أَصْلِ الْإِيمَانِ،
وقيل: هُوَ مَنْ ضَمَّ إِلَى الْإِيمَانِ عَمَلَ الطَّاعَاتِ.

قوله: (تَجَادَلُوا وَكَذَّبُوا) أشار بذلك إلى أَنَّهُ ضَمَّنَ (تَمَارَوْا) مَعْنَى التَّكْذِيبِ، فَتَعَدَّى تَعْدِيَّتَهُ.

قوله: (بِإِنْذَارِهِ) أَي: أَوْ بِالْأُمُورِ الَّتِي خَوْفُهُمْ بِهَا لُوطٍ.

قوله: ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: أَي: أَرَادُوا مِنْهُ تَمْكِينَهُمْ مِمَّنْ أَتَاهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُورَةِ
الْأَضْيَافِ لِلْفَاحِشَةِ. وَالْمَرَاوِدُ: الطَّلِبُ الْمُتَكَرِّرُ.

قوله: (لِيَخْبُثُوا بِهِمْ) الْخَبَثُ: الزَّنا، وَالْمَرَادُ بِهِ: مَا يَشْمَلُ اللَّوَاطُ، وَهُوَ الْمَرَادُ هُنَا، وَهُوَ مِنْ بَابِ
(قَتَلَ).

قوله: (عَمَيْنَاهَا) صَوَابُهُ: (أَعْمَيْنَاهَا) بِالْهَمْزِ؛ لِأَنَّ (عَمِيَ) ثَلَاثِي لَازِمٌ، وَالْمَتَعَدِّي إِنَّمَا
هُوَ الرَّبَاعِي.

قوله: (وَجَعَلْنَاهَا بِلا شَقِّ) هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْنِ، وَقِيلَ: بَلْ أَعْمَاهُمْ اللَّهُ مَعَ صِحَّةِ أَبْصَارِهِمْ، فَلَمْ
يَرَوْهُمْ.

قوله: (فَقُلْنَا لَهُمْ) أَي: عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَلَائِكَةِ.

قوله: (مِنْ يَوْمٍ غَيْرِ مُعَيَّنٍ) أَي: لَمْ يُرَدِّ اللَّهُ تَعْيِينَهُ لَنَا، وَإِلَّا... فَهُوَ مُعَيَّنٌ فِي عِلْمِ اللَّهِ، وَعِلْمُ
مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ
ءَالَ فِرْعَوْنَ النَّذَرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْنِدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ

﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾: دائمٌ مُتَّصِلٌ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

(٤١ - ٤٢) ﴿وَلَقَدْ جَاءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ مَعَهُ﴾ ﴿النَّذَرُ﴾: الإنذارُ على لسان موسى وهارون فلم يؤمنوا، بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التسع التي أُوتِيَهَا موسى، ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿أَخَذَ عَزِيزٌ﴾: قَوِيٌّ ﴿مُقْنِدِرٌ﴾: قَادِرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

﴿٤٣﴾ ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريشُ ﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾﴾ أي: فقلع جبريل بلادهم، فرفعها وقلبها، وأمطر الله عليها حجارة من سجيل.

قوله: (دائمٌ مُتَّصِلٌ بعذاب الآخرة) أي: فلا يزول عنهم حتى يصلُّوا إلى النار.

قوله: ﴿﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾﴾ . . . إلخ) حكمة تكرار ذلك في كلِّ قِصَّة: التَّنْبِيهُ على الاتعاظ والتدبر، إشارة إلى أنَّ تكذيب كلِّ رسولٍ مُقْتَضٍ لنزول العذاب، كما كرَّر قوله: ﴿فِي أَيِّ ءِلَاءٍ رَبِّكُمْ﴾ تُكَذِّبَانِ؛ تقريراً للنعم المختلفة المعدودة، فكلما ذكر نعمةً وبَّخ على التكذيب بها.

قوله: (الإنذار) أي: فهو مصدرٌ، ويصحُّ جعله جمع (نذير) باعتبار الآيات التسع.

قوله: ﴿﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، واقع في جواب سؤالٍ مقدَّر، تقديره: ماذا فعلوا حيثنذا؟ فقل: كذبوا . . . إلخ.

قوله: (أي: التسع) أي: وهي العصا، واليد، والسِّنين، والطمس، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

قوله: ﴿﴿أَخَذَ عَزِيزٌ﴾﴾ من إضافة المصدر لفاعله.

قوله: ﴿﴿خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَمْ﴾﴾ أي: في القوة والشدة.

قوله: (من قوم نوح إلى فرعون) أي: وهم خمسُ فرق: قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وفرعون وقومه.

أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَهَرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾

فَلَمْ يُعَذِّبُوا، ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ يَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ ﴿بَرَاءَةٌ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: الْكُتُبِ - وَالْإِسْتِفْهَامُ فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِمَعْنَى النِّفْيِ - أَي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ.

(٤٤ - ٤٦) ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أَي: كُفَّارُ قُرَيْشٍ: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ أَي: جَمْعٌ ﴿مُنْتَصِرُونَ﴾ عَلَى مُحَمَّدٍ؟ وَلَمَّا قَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمَ بَدْرٍ: إِنَّا جَمْعٌ مُنْتَصِرُونَ نَزَلَ: ﴿سَيَهَرُمُ الْجَمْعُ وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ فَهَزِمُوا بِبَدْرٍ وَنُصِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ. ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بِالْعَذَابِ ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أَي: عَذَابُهَا ﴿أَذْهَى﴾: أَعْظَمُ بَلِيَّةٍ ﴿وَأَمْرٌ﴾: أَشَدُّ مَرَارَةً مِنَ عَذَابِ الدُّنْيَا.

حاشية الصاوي

قوله: (فلم يُعَذِّبُوا) مُسَبَّبٌ عَنِ الْمُنْفِي، والمعنى: أترعمون أن كفاركم خير ممن كفر من الأمم قبلكم، فيتسبب عن ذلك عدم تعذيبكم؟!

قوله: ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ إلى وجهٍ آخر من التبكيت.

قوله: (بمعنى النفي) أي: فهو إنكاريٌّ.

قوله: ﴿مُنْتَصِرُونَ﴾ أي: فنحن يدٌ واحدةٌ على مَنْ خالفنا، منتصرٌ على مَنْ عادانا، ولم يقل: (منتصرون)؛ لِمُوَافَقَةِ رُؤُوسِ الْآيِ.

قوله: (نزل) أي: يومَ بدر، أو كُرِّرَ نزولُها؛ لِما روي: أنها لما نزلت.. قال عمر بن الخطاب ﷺ: (لم أعلم ما هي؟ - أي: ما الواقعة التي يكون فيها ذلك - فلَمَّا كان يومُ بدرٍ ورأيتُ رسولَ الله ﷺ يلبسُ الدرعَ ويقول: ﴿سَيَهَرُمُ الْجَمْعُ﴾، فعلمته) ^(١) أي: علمتُ المراد من هذه الآية.

قوله: ﴿وَيَوَلُونَ الدُّبُرَ﴾ هو اسم جنس؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ يُؤَلِّي دبره، وأتى به مفرداً؛ لِمُوَافَقَةِ رُؤُوسِ الْآيِ.

قوله: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ أي: فليس ما وقع لهم في الدنيا تمامَ عُقُوبَتِهِمْ، بل هو مُقَدِّمَاتُهُ.

قوله: ﴿وَالسَّاعَةُ أَذْهَى﴾ أفعُلُ تفضيل من الداهية، وهي الأمرُ الفظيعُ الذي لا يُهْتَدَى لِلْخُلَاصِ منه، والإظهارُ في مقام الإضمار للتهويل.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٠٢/٢٢)، وأورده ابن كثير في «مُسْنَدُ الْفَارُوقِ» (٦٢/١).

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

(٤٧ - ٤٨) ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾: هَلَاكِ بِالْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا ﴿وَسُعْرٍ﴾: نَارٍ مُسْعِرَةٌ بِالتَّشْدِيدِ أَي: مُهَيَّجَةٌ فِي الْآخِرَةِ، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ أَي: فِي الْآخِرَةِ وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ﴾: إصَابَةُ جَهَنَّمَ لَكُمْ.
(٤٩ - ٥٠) ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ - مَنْصُوبٌ بِفَعْلٍ يُفْسِّرُهُ - ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بِتَقْدِيرٍ - حَالٍ مِنْ ﴿كُلِّ﴾ - أَي: مُقَدَّرًا

حاشية الصاوي

قوله: (نار مُسْعِرَة) أَي: شَدِيدَة.

قوله: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ ظرفٌ لقول محذوف، تقديره: ويقال لهم، أو ظرفٌ لـ(سُعْرٍ).

قوله: (إصَابَة جَهَنَّمَ) أشار بذلك إلى أَنَّ الْمَسَّ مجازٌ، أُطْلِقَ وأريد منه الإصَابَة. و﴿سَقَرٍ﴾: عِلْمٌ لَجَهَنَّمَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ: سَقَرْتُهُ الشَّمْسُ أَوِ النَّارُ: لَوَحَّتْهُ؛ أَي: غَيَّرَتْهُ.

قوله: (منصوب بفعل... إلخ) هذه قراءة العامة، وهي أَرْجَحُ؛ لِأَنَّ الرِّفْعَ يُوْهِمُ عَقِيدَةَ فَاسِدَةٍ عَلَى جَعْلِ (كُلِّ) مُبْتَدَأً وَ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ صِفَةً لـ﴿شَيْءٍ﴾ وَ﴿يَقْدَرُ﴾ خَبْرُهُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ مَفْهُومُهُ أَنَّ هُنَاكَ شَيْئاً لَيْسَ مَخْلُوقاً لِلَّهِ، وَلَيْسَ بِقَدَرٍ، مَعَ أَنَّهُ عَلَى مَخْتَارِ أَهْلِ السَّنَةِ: كُلُّ شَيْءٍ مَخْلُوقٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالْمَعْنَى: كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَضَاءٍ وَحَكَمٍ، وَتَدْبِيرٍ مُحْكَمٍ، وَقُوَّةٍ بَالِغَةٍ.

واختلف في تعريف القدر؛ فقالت الأشاعرة: هو إيجاد الله الأشياء على طبق ما سبق به علمه وإرادته، وعليه: فهو صفة فعل، وهي حادثة.

وقالت الماتريدية: هو تحديده تعالى كُلَّ مَخْلُوقٍ أَزْلاً بِحَدِّهِ الَّذِي يُوجَدُ بِهِ؛ مِنْ حُسْنٍ وَقَبِيحٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ تَعَلُّقُ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ، وَعَلَيْهِ: فَهُوَ قَدِيمٌ.

والقضاء عند الأشاعرة: إرادة الله المتعلقة بالأشياء أَزْلاً، فَهُوَ قَدِيمٌ.

وعند الماتريدية: هو الفعل مع زيادة إحكام، فَهُوَ حَادِثٌ.

وقيل: هما شيءٌ واحدٌ، وهو إيجاد الله الأشياء على طبق تَعَلُّقِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ.

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾

- وقرئ: ﴿كُلُّ﴾ بالرفع مبتدأ خبره ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ .. ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا﴾ أمره ﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في السرعة، وهي قول: كُن فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

﴿٥١﴾ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية، ﴿فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ﴾ - استفهام بمعنى الأمر - أي: اذكروا واتعظوا.

حاشية الصاوي

واقصر على (القدر)؛ لأن بينهما تلازماً، أو لترادفهما، وفي هذه الآية ردُّ على القدرية القائلين بأنَّ العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية، والقائلين بأنَّ الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، تعالى الله عن قولهم، وهذه الفرقة قد انقرضت قبل زمن الشافعي^(١).

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً^(٢).

قوله: (خبره ﴿خَلَقْنَاهُ﴾) أي: وقوله: ﴿يَقْدِرُ﴾ إمَّا خبر ثانٍ، أو حالٌّ من ضمير الخبر.

قوله: ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾) أي: شأننا في إيجاد شيء أو إعدامه.

قوله: ﴿إِلَّا﴾ أمره ﴿وَاحِدَةٌ﴾) أي: مرة من الأمر، وفي الحقيقة: ليس هناك قول ولا أمر، وإنما هو كناية عن سرعة الإيجاد.

قوله: ﴿كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾) حالٌّ من متعلق الأمر، والمعنى: حال كونه يوجد سريعاً بالمرّة من الأمر، ولا يتراخى عنها.

واللّمع: النّظر بسرعة، فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه .. فكذلك الأفعال كلّها عند الله.

قوله: (وهي «كن») بيانٌ للأمرة الواحدة، وقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ...﴾ إلخ دليلٌ لهذه الآية.

قوله: (أشباهكم في الكفر) أي: الذين يشبهونكم فيه.

قوله: ﴿فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ﴾) أي: بما وقع لهم، فيرتدع وينزجر.

(١) ولم يبق أحدٌ من أهل القبلة على هذا القول الشنيع، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً. «فتوحات» (٤/٢٦١).

(٢) وبالرفع قرأ أبو السمال. انظر «الدر المصون» (١٠/١٤٦).

وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

(٥٢ - ٥٣) ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العبادُ مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: كُتِبَ الحَفَظَةُ، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذَّنْبِ أو الْعَمَلِ ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾: مُكْتَتَبٌ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ.

(٥٤ - ٥٥) ﴿إِنَّ اللَّائِقِينَ فِي جَنَّتٍ﴾: بِسَاتِينَ ﴿وَنَهْرٍ﴾ - أُرِيدَ بِهِ الْجِنْسُ، وَقُرِئَ بِضَمِّ النَّونِ وَالْهَاءِ جَمْعاً كـ (أَسَدٍ وَأُسْدٍ) - وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ مِنْ أَنْهَارِهَا الْمَاءَ وَاللَّبَنَ وَالْعَسَلَ وَالْخَمْرَ، ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾: مَجْلِسٍ حَقٌّ لَا لَغْوَ فِيهِ وَلَا تَأْثِيمَ، أُرِيدَ بِهِ الْجِنْسُ، - وَقُرِئَ: (مَقَاعِدٍ) - الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ فِي مَجَالِسٍ مِنَ الْجَنَّاتِ سَالِمَةٍ مِنَ اللَّغْوِ وَالتَّأْثِيمِ، بِخِلَافِ مَجَالِسِ الدُّنْيَا، فَقُلَّ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ ذَلِكَ. - وَأُعْرِبَ هَذَا خَبَرًا ثَانِيًا وَبَدَلًا، وَهُوَ صَادِقٌ بِبَدَلِ الْبَعْضِ وَغَيْرِهِ - ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ - مِثَالُ مُبَالِغَةٍ - أَي: عَزِيزِ الْمُلْكِ وَاسِعِهِ ﴿مُقْنَدٍ﴾: قَادِرٌ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَ﴿عِنْدَ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى الرُّتْبَةِ وَالْقُرْبَةِ مِنْ فَضْلِهِ تَعَالَى.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ (جمع زبور)، وهو الكتاب.

قوله: (أُرِيدَ بِهِ الْجِنْسُ) أي: لِمُنَاسِبَةِ جَمْعِ (الجنات)، وَأُقْرِدَ؛ مُوَافَقَةً لِرُؤُوسِ الْآيِ.

قوله: (وقرئ) أي: شذوذاً^(١).

قوله: ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ من إضافة الموصوف لإصِفته.

قوله: (وقرئ: «مقاعد») أي: شذوذاً^(٢).

قوله: (ببديل البعض) أي: لِأَنَّ الْمَقْعَدَ بَعْضُ الْجَنَّاتِ، وَقَوْلُهُ: (وغيره) أي: وهو بدل الاشتمال؛ لِأَنَّ الْجَنَّاتِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى الْمَقْعَدِ.

قوله: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ (خبر ثانٍ إن جعل ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ بدلاً، وثالثٌ إن جعل خبراً ثانياً).

قوله: (و«عند» إشارةً لِلرُّتْبَةِ) أي: فَهِيَ عِنْدِيَّةٌ مَكَانَةً، وَقَوْلُهُ: (والقربة) أي: التَّقَرُّبُ، فَهِيَ مُتَّحِدَانِ.



(١) قرأ أبو نهيك وأبو مجلز والأعمش وزهير الفرقي: (ونهر) بضم النون والهاء. انظر «الدر المصون» (١٥٠/١٠).

(٢) قرأ عثمان البتي: «مقاعِدٍ» وهو مناسبٌ لِلْجَمْعِ قَبْلَهُ. انظر «الدر المصون» (١٥١/١٠).

﴿الرَّحْمَنُ﴾



مَكِّيَّة، أو إِلَّا ﴿يَسْتَلْهُمْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية فَمَدَنِيَّة، وهي سِتُّ أو ثَمَانٌ وَسَبْعُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٤) ﴿الرَّحْمَنُ﴾

حاشية الصاوي

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

وتسمَّى: عَرُوسُ الْقُرْآنِ؛ لما وردَ: «لِكُلِّ شَيْءٍ عَرُوسٌ»، وعروسُ القرآن سورة الرحمن^(١).
قوله: (مَكِّيَّة) أي: كُلُّهَا، وقوله: (أو إِلَّا: ﴿يَسْتَلْهُمْنَ...﴾ إلخ) حكايةً لقول آخر، وبقي قول ثالث، وهو كُلُّهَا مَدَنِيٌّ.

قوله: (الآية) الأَوْضَحُ أن يقول: (الآيتين)؛ لأنَّ المَدَنِيَّ على هذا القول: ﴿يَسْتَلْهُمْنَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وقوله عَقِبَهَا: ﴿فَيَأْتِي الْآلَاءَ رِيكًا تُكَذِّبَانِ﴾، ولا شكَّ أنهما آيتان.

قوله: (﴿الرَّحْمَنُ﴾) إمَّا خبرٌ مبتدأٌ محذوفٌ؛ أي: الله الرحمن، أو مبتدأٌ خبره محذوفٌ؛ أي: الرحمن ربنا، وهذان الوجهان على القول بأنَّ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ آيَةٌ مُسْتَقْلِلَةٌ، وأمَّا على أنه ليس آيَةٌ مُسْتَقْلِلَةٌ.. فـ﴿الرَّحْمَنُ﴾ مبتدأٌ، خبرُهُ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾.

وسبب نزولها: أنه لما نزل ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾.. قال كفار مكة: وما الرحمن؟ فأنكروه وقالوا: لا نعرف الرحمن إلا رحمانَ البمامة، فنزلت؛ ردًّا عليهم^(٢)، وفيها ردٌّ عليهم أيضًا حيث قالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾، فأفاد أنَّ الذي يُعَلِّمه هو الرحمن لا غيره.

(١) رواه البيهقي في «شُعَبُ الْإِيمَانِ» (٢٢٦٥) عن سِلْبَانَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٧١٥/٨)، وانظر «زاد المسير» (٢٠٥/٤).

عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

عَلَّمَ: مَنْ شَاءَ ﴿الْقُرْآنَ﴾ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ: أَي: الْجِنْسَ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾: النُّطْقُ.
 (٥ - ٩) ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾: يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ،

حاشية الصاوي

وافتح هذه السورة بلفظ ﴿الرَّحْمَنُ﴾؛ إشارة إلى أنها مُشتملة على نِعَمٍ عظيمة؛ وذلك لأنَّ الرحمن هو: المنعم بجلال النعم كَمَا وكيفاً؛ ولذا ذكر قوله: ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إحدى وثلاثين مرّة فيها.

قوله: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (إمّا من: التّعليم، وهو التّفهم؛ أي: عرّفه، ف﴿الْقُرْآنَ﴾ مفعول ثانٍ له، والأول محذوف، قدّره المفسّر بقوله: (من شاء) أي: من عباده، إنساً وجنّاً وملكاً، وقدّره بعضهم (محمداً) أو (جبريل)؛ ردّاً على المشركين في قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾، والأول أولى؛ لعمومه.. أو من: العلامة، والمعنى: جعله علامة وآية يُعْجِزُ بها المعارضين.

وقدّم تعليم القرآن على خلق الإنسان مع أنه متأخّر عنه في الوجود؛ لأنَّ التعليم هو السبب في إيجاده وخلقهِ.

قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ هذه الجملة والتي بعدها خبران عن ﴿الرَّحْمَنُ﴾، أو حالان، وترك العاطف منهما؛ لشدّة الاتصال.

قوله: (أي: الجنس) أي: الصادق بآدم وأولاده، وحينئذٍ: فالمراد ب﴿الْبَيَانَ﴾: النُّطْقُ الذي يتميّز به عن سائر الحيوان، وهذا أحد أقوال في تفسير ﴿الْإِنْسَانَ﴾.

وقيل: هو محمّد ﷺ؛ لأنه الإنسان الكامل، والمراد ب﴿الْبَيَانَ﴾: عِلْمُ ما كان وما يكون وما هو كائنٌ.

وقيل: هو آدم عليه السلام، والمراد ب﴿الْبَيَانَ﴾: أسماء كلِّ شيء، ما وُجد وما لم يوجد بجميع اللغات، فكان يتكلّم بسبع مئة لغة، أفضلها العربية.

قوله: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ (متعلّق بمحذوف، خبر المبتدأ الذي هو ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، تقديره: يجران.

قوله: (بحساب) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ مصدرٌ مفردٌ بمعنى: الحساب؛ ك: الغفران والكفران، ويصحُّ أن يكون جمع (حساب) ك: شهاب وشهبان، ورغيف ورغفان، والمعنى: أنَّ الشمس والقمر يجران في بُروجهما ومنازلهما بمقدار واحد لا يتعدّيانِه؛ لمنافع العباد، على حسب الفصول والشهور القمرية والقطبية، من مبدأ الدنيا لِمُنْتَهَاهَا.

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَلَکُمْ
وَالنَّخْلُ

﴿وَالنَّجْمُ﴾: ما لا ساقَ لَهُ مِنَ النَّبَاتِ ﴿وَالشَّجَرُ﴾: ما لَهُ ساقٌ ﴿يَسْجُدَانِ﴾: يَخْضَعَانِ لِمَا يُرَادُ مِنْهُمَا، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: أثَبَتَ الْعَدْلَ، ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لِأَجْلِ أَنْ لَا تَجُورُوا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾: مَا يُوزَنُ بِهِ، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾: بِالْعَدْلِ، ﴿وَلَا تَخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾: تَنْقُصُوا الْمَوْزُونِ.

(١٠ - ١٣) ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾: أَثْبَتَهَا ﴿لِلْأَنَامِ﴾: لِلخَلْقِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ، ﴿فِيهَا فَنَكَمَةٌ وَالنَّخْلُ﴾ الْمَعْهُودُ

حاشية الصاوى

قوله: (ما لا ساق له) أي: وهو المفروش على الأرض؛ كالقثاء والبطيخ ونحوهما.

قوله: (ما له ساقٌ) أي: وهو المرتفع؛ كالنخل والنبق ونحوهما.

قوله: (يخضعان) أي: ينقادان لما يراد منهما طوعاً، فلا تخالف ما أُمِرْتَ به؛ فلو أراد منها الإثمار أو عدمه.. لم تخالف، بل تأتي على طبق ما أَرَادَهُ.

قوله: (أثبت العدل) أي: في جميع الأمور، والمعنى: أن الله تعالى شرع العدل وأمر به في كل شيء، لا سيما في الكيل والوزن.

قوله: (أي: لأجل ألا تجوروا) أشار بذلك إلى أَنَّ (أن) ناصبة، و(لا): ناهية، و﴿تَقْتُلُوا﴾: منصوب بـ(أن)، وقبلها لامُ العلة مقدّرة.

قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الزَّوْزَنَ﴾ إيضاح لقوله: ﴿أَلَّا تَظْفَوْنَ فِي الْمِيزَانِ﴾، وذلك لأنَّ الطغيان في الميزان: أخذ الزائد، والإخسار: إعطاء الناقص، والقسط: التوسط بين الطرفين.

قوله: (أثبتها) أي: دحاها وخفضها.

قوله: ﴿لِلْأَنَامِ﴾ أي: لانتفاعهم بها؛ من أكل وشرب ونوم ونحو ذلك.

قوله: (وغيرهم) أي: كباقي البهائم.

قوله: ﴿فِيهَا فَكْهَةٌ﴾ (الجملة حالية).

ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَيَأْتِي َآلَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾: أَوْعِيَّةٌ طَلْعِيهَا، ﴿وَالْحَبُّ﴾: كَالْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾: التَّبْنِ
﴿وَالرَّيْحَانُ﴾: الْوَرَقُ أَوْ الْمَشْمُومُ، ﴿فَيَأْتِي َآلَاءُ﴾: نَعَمْ ﴿رَبِّكُمَا﴾ أَيُّهَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟ ذُكِرَتْ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مَرَّةً، وَالْإِسْتِفْهَامُ فِيهَا لِلتَّقْرِيرِ؛ لِمَا رَوَى الْحَاكِمُ عَنْ
جَابِرٍ قَالَ: قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ الرَّحْمَنِ حَتَّى خَتَمَهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ جمع (كَمْ) بالكسر، وهو وعاء الطَّلْع وغطاء النُّورِ، ويجمع أيضاً
على: (أَكِمَّةً)، وأما بالضمّ.. فهو لِلْقَمِيصِ.

قوله: ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾... إلخ) إمّا برفع الثلاثة، أو نصبها، أو رفع الأولين وجرّ الثالث،
ثلاث قراءات سبعيّات؛ فرفع الجميع عطف على ﴿فَكَهْهُ﴾، ونصبها بفعل محذوف؛ أي: خلق،
ورفع الأولين عطف على ﴿فَكَهْهُ﴾، وجرّ الثالث عطف على ﴿الْعَصْفِ﴾^(١).

قوله: ﴿فَيَأْتِي َآلَاءُ رَبِّكُمَا﴾ أي: بأيّ فردٍ من أفراد تلك النعم المذكورة تكذبان؟ أي: تنكرانها
وتكابران فيها وذلك شأن الكفار، أو: لا تشكران ربكم عليها، وذلك شأن العصاة. و﴿آلَاءُ﴾:
جمع (إِلَى) أو (أَلَى) كـ(مَعَى) و(حَصَى)، و(إِلَى) كـ(جَمَلٍ)، و(أَلَى) كـ(أَصْلٍ)^(٢).

قوله: (أيها الإنس والجن) أي: فالخطاب للثقلين كما يُشعر به قوله فيما يأتي: ﴿آيَةُ الْفَقْلَانِ﴾.
قوله: (ذكرت إحدى وثلاثين مرة) ثمانية منها عقب آيات تعداد النعم، ثمّ سبعة عقب ذكر النار
وشدائدّها على عدّة أبوابها؛ لأنّ التخلّص منها نعمة، ثمّ ثمانية عقب وصف الجنّتين الأوليّين عدّة
أبوابها، ثمّ ثمانية عقب وصف الجنّتين اللتين هما دون الجنّتين الأوليّين.

قوله: (والاستفهام للتقرير) ويصحّ أن يكون للتوبيخ على ما فصل من فنون النعم الموجبة للشكر
والإيمان.

(١) قرأ ابن عامر بنصب الثلاثة، وقرأ به موافقة لرسم مصاحف بلده؛ فإن مصاحف الشام (ذا) بالالف، وقيل في نصب
(الحب) أيضاً؛ إنه معطوف على (الأرض)، قاله مكّي؛ لأن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ وَضَعَهَا﴾ أي: خلقها، فعطف (الحب)
على ذلك، وقرأ حمزة والكسائي: برفع (الحب) و(ذو)، وجرّ (الريحان)، والباثون برفع الثلاثة. انظر الدر
المصون، (١٥٩/١٠).

(٢) حكى اللغات الأربع ابن النحاس في «إعراب القرآن» (٤/١٩٠).

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾

ثُمَّ قَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ سُكُوتًا؟ لِلْجَنِّ كَانُوا أَحْسَنَ مِنْكُمْ رَدًّا، مَا قَرَأْتُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ مِنْ مَرَّةٍ: ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إِلَّا قَالُوا: وَلَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعْمِكَ رَبَّنَا نَكْذِبُ، فَلَكَ الْحَمْدُ».

(١٤ - ١٦) ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: آدَمُ ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾: طِينٍ يَابِسٍ يُسْمَعُ لَهُ صَلْصَلَةٌ
أَي: صَوْتُ إِذَا نُقِرَ ﴿كَالْفَخَّارِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: (ثم قال: «ما لي أراكم سكوتا؟»... إلخ) يُؤخذ من ذلك: أنه ينبغي لسامع هذه السورة أن يجيب بهذا الجواب.

قوله: («كانوا أحسن منكم رداً») أي: في الجواب؛ فلا يُنافي أن الإنسان أحسن منهم، فهذه مزية.
قوله: ﴿﴿فَيَأْتِي ءَالَاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾... إلخ) بدل من (هذه الآية).

قوله: («إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك»^(١)... إلخ) ظاهره: أن جميع ما في هذه السورة نعم مع أن فيها: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ...﴾ إلخ، و﴿كُلُّ مَن عَلَيْنَا فَإِنَّ﴾، و﴿هَٰذِهِ جَهَنَّمُ﴾ ونحو ذلك، وأجيب: بأن رفع البلاء وتأخير العذاب عن العصاة والتسوية في الموت بين الشريف وغيره... من جملة النعم، فحسن جواب الجن عقب كل واحدة.

قوله: (آدم) أشار بذلك إلى أن (أل) في ﴿الْإِنْسَانِ﴾ للعهد، بخلاف ﴿الْإِنْسَانِ﴾ المتقدم؛ ففيه احتمالات ثلاث.

قوله: (إذا نقر) أي: ليختبر هل فيه عيب أو لا.

قوله: ﴿﴿كَالْفَخَّارِ﴾﴾ أي: في أن كلا منهما يُسمع له صوت إذا نُقِرَ.

واعلم: أنه تعالى أفاد في هذه السورة: أن خلق آدم كان ﴿مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾، وفي سورة (الحجر): ﴿مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ أي: طين أسود متغير، وفي (الصفات): ﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾ أي: يلصق باليد، وفي (آل عمران): ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾، ولا تنافي بينها؛ وذلك لأنه تعالى أخذه من تراب الأرض، فعجنه بالماء فصار طيناً لازباً، ثم تركه حتى صار حمأ مسنوناً، ثم صورّه كما تصوّر الأواني، ثم أيسسه حتى صار في غاية الصلابة كالفخار؛ إذا نُقِرَ صوت، فالمذكور هنا آخر أطواره،

(١) الحديث رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/٤٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٤) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾

وهو ما طبخ من الطين، ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾: أبا الجن وهو إبليس ﴿مِّن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان، ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟
 ﴿١٧﴾ - ﴿٢٣﴾ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾: مَشْرِقُ الشِّتَاءِ وَمَشْرِقُ الصَّيْفِ، ﴿وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ كذلك،

حاشية الصاوي

وفي غير هذا الموضع تارة مبدؤه، وتارة أثنائه؛ فالأرض أمه، والماء أبوه، ممزوجان بالهواء الحامل للحر الذي هو من فيح جهنم، فهو من العناصر الأربع، لكن الغالب في خلقه الطين، كما قيل: إن الجان من العناصر الأربع، لكن الغالب في جبلته النار؛ ولذا نُسب لها.

قوله: (وهو ما طبخ من الطين) أي: فكان مُجَوَّفًا كالأواني، وليس كالآجر^(١).

قوله: (وهو إبليس) هذا أحد قولين، وهو الصحيح، وقيل: أبو الجن غير إبليس.

قوله: ﴿مِّن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ «مِن» الأولى: لابتداء الغاية، والثانية: يصح أن تكون للبيان، أو للتبويض.

قوله: (هو لهبها الخالص من الدخان) هذا أحد أقوال في تفسير (المارج)، وقيل: هو ما اختلط من أحمر وأخضر وأصفر، وهو مُشَاهِدٌ في النار، ترى الألوان الثلاثة مختلطاً بعضها ببعض، وقيل: هو الأحمر الكائن في طرف النار، وقيل: اللهب المختلط بسواد.

قوله: ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: بأيِّ نَعَمٍ رَبُّكُمَا الناشئة عنه تكفران؟

قوله: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بالرفع في قراءة العامة على أنه خبرٌ لمحذوف؛ أي: هو ربُّ المشرقين، وقرئ شذوذاً بالجر على أنه بدلٌ أو بيانٌ لـ ﴿رَبِّكُمَا﴾^(٢).

قوله: (كذلك) أي: مغرب الشتاء، ومغرب الصيف، وأما آية: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠].. فباعتبار مَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ ومغربه.

(١) لأنه ليس له صلصلة. «فتوحات» (٢٦٥/٤).

(٢) وقيل في توجيه الرفع: إنه مبتدأ، خبره (مرج البحرين) وما بينهما اعتراض، وبالجر قرأ ابن أبي عبيدة. انظر «الدر المصون» (١٠/١٦٣).

فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾

﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿١٨﴾ مَرَجَ: أَرْسَلَ ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾: الْعَذْبَ وَالْمِلْحَ ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حَاجِزٌ مِنْ قُدْرَتِهِ تَعَالَى ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾: لَا يَبْغِي وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَيَخْتَلِطُ بِهِ، ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٢١﴾ يُخْرَجُ: بِالنِّبَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ - ﴿مِنْهُمَا﴾: مِنْ مَجْمُوعِهِمَا الصَّادِقِ بِأَحَدِهِمَا وَهُوَ الْمِلْحُ ﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾: خَرَزٌ أَحْمَرٌ أَوْ صِغَارُ اللُّؤْلُؤِ، ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾﴾ أي: بأيِّ نعمةٍ من هذه النعم العظيمة تكفران بها؟

قوله: ﴿﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾﴾ المرجُ بفتحين في الأصل: الإهمال والترك والإرسال، وبسكون الراء: الأرض ذات النبات والمرعى، يقال: مَرَجَ الدابة؛ أي: أرسلها ترعى في المرج.

قوله: ﴿﴿يَلْتَقِيَانِ﴾﴾ حالٌ من ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ أي: يَتِمَاسَّانِ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، بِلَا فَصْلِ بَيْنَهُمَا فِي رُؤْيَا الْعَيْنِ.

قوله: ﴿﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾﴾ جملةٌ مستأنفةٌ، أو حاليةٌ من ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾.

قوله: ﴿﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾﴾ أي: لَا يَتَجَاوِزُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا حَدَّهُ لَهُ خَالِقُهُ، فَالْمَاءُ الْعَذْبُ الدَاخِلُ فِي الْمِلْحِ بَاقٍ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَمْتَزِجْ بِالْمِلْحِ، فَمَتَى حَفَرْتَ فِي جَنْبِ الْمِلْحِ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ.. وَجَدْتَ الْمَاءَ الْعَذْبَ، بَلْ كُلَّمَا قُرُبْتَ الْحَفْرَةَ مِنَ الْمِلْحِ.. كَانَ الْمَاءُ الْخَارِجُ مِنْهَا أَحْلَى، فَخَلَطَهُمَا اللَّهُ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، وَحَجَزَهُمَا بِقُدْرَتِهِ تَعَالَى، وَإِذَا كَانَ هَذَا حَالُ جَمَادٍ لَا إِدْرَاكَ لَهُ وَلَا عَقْلٍ.. فَكَيْفَ يَبْغِي الْعَقْلَاءُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؟!

قوله: ﴿﴿بِالنِّبَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْفَاعِلِ﴾﴾ أي: فهما قراءتان سبعيتان^(١).

قوله: ﴿﴿الصَّادِقِ بِأَحَدِهِمَا﴾﴾ هذا غير ظاهر؛ لِأَنَّ الْمَجْمُوعَ لَا يَصْدُقُ عَلَى الْبَعْضِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَعَدِّدًا؛ كَقَوْلِكَ: كُلُّ رَجُلٍ يَحْمِلُ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ، فَالْأَوَّلَى أَنْ يُجْعَلَ الْكَلَامُ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَيْ: مِنْ أَحَدِهِمَا.

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿يُخْرَجُ﴾ مَبْنًى لِلْمَفْعُولِ، وَالْبَاقُونَ مَبْنًى لِلْفَاعِلِ عَلَى الْمَجَازِ. انظر «الدر المصون» (١٠/١٦٤).

وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى
وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾

(٢٤ - ٢٨) ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾: السُّفُنُ ﴿الْمُنشَآتُ﴾: الْمُحَدَّثَاتُ ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾: كَالجِبَالِ عِظْمًا وَارْتِفَاعًا، ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ ﴿فَإِنْ﴾: هَالِكٌ، - وَعَبَّرَ بِ(مَنْ) تَغْلِيْبًا لِلْعُقْلَاءِ - ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾: ذَاتُهُ ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾: الْعِظَمَةُ ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنْعُمِهِ عَلَيْهِمْ، ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

وقيل: لا تقدير في الآية، بل يخرجان من الملح في الموضع الذي يقع فيه العذب، وهو المشاهد عند الغواصين، وقيل: العذب كالرجل، والملح كالمرأة، واللؤلؤ والمرجان يخرجان منهما كما يخرج الولد من الرجل والمرأة، وقال ابن عباس: تكون هذه الأشياء في البحر ينزل المطر، والصدف تفتح أفواهها للمطر.

قوله: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ﴾ جمع (جارية)، وهي السفينة، صفة جرت مجرى الأسماء، سميت بذلك؛ لأن شأنها الجري.

قوله: ﴿الْمُنشَآتُ﴾ بفتح الشين: اسم مفعول؛ أي: أنشأها الناس بسبب تعليم الله لهم، كسرهما: اسم فاعل؛ أي: تُنشئُ الريح بجريها، أو تنشئُ السَّيْرُ إقبالاً وإدباراً، ونسبة الإنشاء لها مجاز، وهما قراءتان سبعيتان، وقرئ شذوذاً بتشديد الشين مع فتحها مبالغة^(١).

قوله: (أي: الأرض) أي: وعلى هذا التفسير: فلا يستثنى شيء، بخلاف قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؛ فيُستثنى الجنة والنار، والحور والولدان، والعرش والأرواح.
قوله: (هالك) أي: بالفعل.

قوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ الخطاب إمّا لرسول الله ﷺ؛ اعتناءً بشأنه، وإمّا لأيّ سامع؛ ليعلم كلُّ أحدٍ أنَّ غير الله فانٍ.

قوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فيه وعدٌ ووعدٌ؛ فبوصف (الجلال) إفناء الخلق، وتعذيب الكفار، وبوصف (الإكرام) إحيائهم، وإثابة المؤمنين.

(١) قرأ حمزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر الشين، والباقون بالفتح، وقرأ ابن أبي عبلة (المنشآت) بتشديد الشين. انظر «الدر المصون» (١٠/١٦٧).

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾

(٢٩ - ٣٢) ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: يُنْطَقُ أَوْ حَالٍ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالرِّزْقِ وَالْمَغْفِرَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿كُلَّ يَوْمٍ﴾: وَقْتُ ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾:
حاشية الصاوي

و﴿ذُو﴾: بِالرَّفْعِ فِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ نَعَتْ لِلْوَجْهِ، وَقُرِئَ شَذُوذًا بِالْجَرِّ صِفَةً لِلرَّبِّ^(١)، وَأَمَّا فِي آخِرِ السُّورَةِ: . فَاَلْقِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٢).

قوله: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: لِأَنَّهُمْ مُفْتَقِرُونَ إِلَيْهِ تَعَالَى فِي جَمِيعِ لَحَظَاتِهِمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَهْلُ السَّمَاوَاتِ يَسْأَلُونَ الْمَغْفِرَةَ، وَلَا يَسْأَلُونَهُ الرِّزْقَ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ يَسْأَلُونَهُمَا جَمِيعًا. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: تَسْأَلُهُ الْمَلَائِكَةُ الرِّزْقَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، فَسُؤَالُ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ صَادِرٌ مِنْ كُلِّ مَنْ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَلَكًا لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْجِهٍ: وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الرِّزْقَ لِبَنِي آدَمَ، وَوَجْهٌ كَوَجْهِ الْأَسَدِ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الرِّزْقَ لِلسَّبَاعِ، وَوَجْهٌ كَوَجْهِ الثَّوْرِ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الرِّزْقَ لِلْبَهَائِمِ، وَوَجْهٌ كَوَجْهِ النَّمْرِ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى الرِّزْقَ لِلطَّيْرِ»^(٣).

قوله: (بُنْطُق) أي: بِلِسَانِ الْمَقَالِ، وَقَوْلُهُ: (أَوْ حَالٍ) أي: بِلِسَانِ الْحَالِ، وَهُوَ الذَّلُّ وَالْإِحْتِيَاجُ. قَوْلُهُ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿كُلَّ﴾: ظَرْفٌ مَنْصُوبٌ بِالْمَحْذُوفِ الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ، وَالْمُرَادُ بِالْيَوْمِ: اللَّحْظَةُ مِنَ الزَّمَنِ، وَبِالشَّأْنِ: التَّصْرِيفُ فِي خَلْقِهِ؛ لَمَّا وَرَدَ: «أَنَّ الْإِنْسَانَ يُخْرِجُ مِنْهُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعَةً وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَفْسٍ، فِي كُلِّ نَفْسٍ تَحْمِلُ مِثْلَةَ أَلْفٍ، وَيُولَدُ مِثْلَةُ أَلْفٍ، وَيَعِزُّ مِثْلَةُ أَلْفٍ، وَيَذَلُّ مِثْلَةُ أَلْفٍ، وَيُقَرَّجُ عَنْ مِثْلَةِ أَلْفٍ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ سِتُّ مِثْلَةِ أَلْفٍ».

وَحُكِيَ: أَنَّ ابْنَ الشَّجَرِيِّ كَانَ يُقَرِّرُ فِي دَرْسِهِ هَذِهِ الْآيَةَ، فَجَاءَهُ الْخَضِرُ وَقَالَ لَهُ: مَا شَأْنُ رَبِّكَ الْيَوْمَ؟ فَاطْرُقَ بِرَأْسِهِ وَقَامَ مُتَحِيرًا، فَنَامَ فَرَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي مَنَامِهِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ، فَقَالَ لَهُ: السَّائِلُ لَكَ الْخَضِرُ، فَإِنْ أَتَاكَ وَسَأَلَكَ.. فَقُلْ لَهُ: شُؤْنٌ يُبَدِّيهَا وَلَا يَبْتَدِيهَا، يَرْفَعُ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ.. أَتَاهُ وَسَأَلَهُ، فَأَجَابَهُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: صَلِّ عَلَى مَنْ عَلَّمَكَ.

(١) وبالجذر قرأ سيدنا أبي بن كعب، وسيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما. انظر «الدر المصون» (١٠/١٦٨).

(٢) قرأ ابن عامر (ذو الجلال) بالواو، وجعله تابعاً للاسم، وهكذا هي مرسومة في مصحف الشاميين، والباقيون بالياء صفة للرب. انظر «الدر المصون» (١٠/١٨٨).

(٣) انظر «تفسير القرطبي» (١٧/١٦٦).

فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْعَشَرِ
الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا
.....

أمرٌ يُظهره على وفق ما قدره في الأزل؛ من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام
وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ: سنقصّد
لِحسابِكُم ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾: الإنسان والجن، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟
﴿٣٣﴾ - ﴿٣٦﴾ ﴿يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾: تَخْرُجُوا ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾:
نواحي ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ - أمرٌ تعجيز -
.....

حاشية الصاوي

قوله: (أمرٌ يُظهره... إلخ) أي: فالشأنُ صفةٌ فعلٍ، وقوله: (من إحياء... إلخ) بيانٌ له،
فالتغيّر راجع للمصنوعات، وأما ذاته تعالى وصفاته... فيستحيل عليها التغير، فهو يُغيّر ولا يتغيّر.
قوله: ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: بأيّ نعمةٍ من تلك النعم التي أنشأها خالقكما ومُدبّركما
تكفّران بها؟

قوله: (سنقصّد لحسابكم) جوابٌ عمّا يقال: إنّ الله لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ؛ فكيف قال:
﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾؟ فأجاب بما ذكر، وإيضاحه أن تقول: الفراغ من الشيء يُطلق على: التفرغ
من الشواغل، وهو بهذا المعنى مُستحيلٌ عليه تعالى؛ ويُطلق على: القصد للشيء والإقبال عليه،
وهو المراد هنا، وحينئذٍ: فيكون معناه: سأريد حسابكم، وهذا لا يظهر إلا على القول بأنّ للإرادة
تعلّقاً تنجيزيّاً حادثاً، وأمّا على القول بنفيه... فلا يظهر، فكان المناسب له أن يقول: (سأحاسبكم).
وفي الآية وعدٌ للطائعين، ووعدٌ للعاصين^(١).

قوله: ﴿أَيُّهُ الثَّقَلَانِ﴾ (ثنية ثقل) بفتحتين، سميّا بذلك؛ لأنهم أثقلا الأرض، أو حصل لهما
الثقل والتعب بالتكاليف.

قوله: ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ أي: التي من جملتها إثابة أهل الطاعات، وعقاب أهل المعاصي.
قوله: ﴿يَمْعَشَرِ الْجَنِّ وَالْإِنسِ﴾... إلخ هذا إلزامٌ وتعجيزٌ لمن لم يرَضَ بقضاء الله وقدره،

(١) عبارة الزمخشري: ﴿سَنَفَعُ لَكُمْ﴾: مُستعار من قول الرجل لِمَنْ يتهدده: سأفرغ لك، يريد: سأتجرّد للإيقاع بك من
كل ما يشغلني عنك، حتى لا يكون لي شغل سواه، والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه، ويجوز أن يراد:
سنتتهي الدنيا وتبلغ آخرها، وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فلا يبقى إلا شأن
واحد وهو جزاؤكم، فجعل ذلك فراغاً لهم على طريق المثل). انظر «الكشاف» (٤/٤٨٨).

لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَإِنِّي ءَالَةٌ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
 ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ : بِقُوَّةٍ وَلَا قُوَّةَ لَكُمْ عَلَى ذَلِكَ، ﴿فَإِنِّي ءَالَةٌ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا

حاشية الصاوي

وهو إشارة لمعنى حديث قدسي : «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي، وَيَصْبِرْ عَلَى بِلَائِي .. فليخرج من تحت سمائي، ويتخذ له ربًّا سِوَايَ»^(١)، وعلى هذا : فالخطاب يقال لهما في الدنيا، وقيل : يقال لهما هذا يوم القيامة ؛ لما ورد : «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ .. أَمَرَ اللَّهُ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَتَشَقَّقَ بِأَهْلِهَا، فَتَكُونَ الْمَلَائِكَةُ عَلَى حَافَتِهَا حَتَّى يَأْمُرَهُمُ الرَّبُّ، فَيَنْزِلُونَ إِلَى الْأَرْضِ، فَيُحِيطُونَ بِالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ الَّتِي تَلِيهَا كَذَلِكَ، فَيَنْزِلُونَ فَيَكُونُونَ صَفًّا خَلْفَ ذَلِكَ الصَّفِّ، ثُمَّ السَّمَاءُ الثَّلَاثَةُ، ثُمَّ الرَّابِعَةُ، ثُمَّ الْخَامِسَةُ، ثُمَّ السَّادِسَةُ، ثُمَّ السَّابِعَةُ، فَتَنْزِلُ مَلَائِكَةُ الرَّفِيعِ الْأَعْلَى؛ فَلَا يَأْتُونَ قُطْرًا مِنْ أَقْطَارِهَا إِلَّا وَجَدُوا صَفُوفًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَنْمُقِشَرُ اللَّيْلُ وَالْإِنْسُ إِنْ أَسْتَطَقْتُمْ ..﴾ الْآيَةُ»^(٢).

والحكمة في تقديم الجن هنا على الإنس، وتأخيرهم عنهم في قوله تعالى : ﴿قُلْ لَّيِّنَ أَجْتَمَعْتَ الْإِنْسُ وَالْجِنَّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء : ٨٨] : أَنَّ الْجِنَّ أَقْوَى مِنَ الْإِنْسِ، فَقَدَّمُوا فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِالْهَرُوبِ، وَالْإِنْسُ أَفْصَحُ مِنَ الْجِنَّ، فَقَدَّمُوا فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعَارِضَةِ بِالْقُرْآنِ، فَقَدَّمَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَا يُنَاسِبُهُ.

قوله : (قوة) هذا أحد قولين في تفسير (السلطان)، وقيل : هو البينة والحُجَج الواضحة.

قوله : ﴿فَإِنِّي ءَالَةٌ رَّبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ﴾ أي : من التَّنْبِيهِ والتحذير والعَفْو، مع كمال القدرة على العقوبة.

قوله : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾ إمَّا جملة مستأنفة، فُصِّدَ بِهَا بيان أحوال يوم القيامة، وهذا على القول بأنَّ الخطاب المتقدم في الدنيا، وأمَّا على القول بأنه في الآخرة .. فالكلام مُرْتَبِطٌ ببيعضه، وليس مستأنفًا.

(١) رواه أبو نعيم في «معركة الصحابة» (٧٠٥٤) عن سيدنا أبي هند الداري رضي الله عنه، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٠٧) بنحوه.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١٠٣/٢) من حديث الضحاك.

شَوَاطُ مِنْ نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصَرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

شَوَاطُ مِنْ نَّارٍ ﴿٣٥﴾ هو لَهَبُهَا الْخَالِصُ مِنَ الدُّخَانِ أَوْ مَعَهُ، ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دُخَانٍ لَا لَهَبَ فِيهِ ﴿فَلَا تَنْصَرَانِ﴾: تَمْتَنِعَانِ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ يَسُوقُكُم إِلَى الْمَحْشَرِ، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿شَوَاطُ﴾ بكسر الشين وضمها، قراءتان سبعتان، ولغتان بمعنى واحد^(١).

قوله: (وهو لَهَبُهَا الْخَالِصُ مِنَ الدُّخَانِ... إلخ) هذان قولان من أربعة، وقيل: هو اللهب الأحمر، وقيل: هو الدخان الخارج من اللهب.

قوله: ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ إمَّا بالرفع عطف على ﴿شَوَاطُ﴾، أَوْ الْجَرُّ عطف على ﴿نَّارٍ﴾، سبعتان، لكن قراءة الجرِّ لا بدَّ فيها من كسر شين (شَوَاطُ)، أَوْ إِمَالَةٌ (نَّارٍ)؛ فَمَنْ قَرَأَ بِجَرِّ (نَحَّاسٍ) بِدُونِ أَحَدِ الْأَمْرَيْنِ.. فَقَدْ وَقَعَ فِي التَّلْفِيقِ^(٢).

قوله: (أي: دُخَانٌ... إلخ) هذا التفسير إنما يناسب قراءة الرفع لا الجرِّ، وإلا... فيصير المعنى: يرسل عليكم شواط - أي: لَهَبٌ - من نحاس؛ أي: دُخَانٍ لَا لَهَبَ فِيهِ^(٣)، وهو لَا يَصَحُّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ: (الشواط) يُطْلَقُ بِالِاشْتِرَاكِ عَلَى اللَّهَبِ الْخَالِصِ، وَالدُّخَانِ.

قوله: ﴿فَلَا تَنْصَرَانِ﴾ أي: لَا تَجْدَانِ لَكُمْ نَاصِرًا.

واعلم: أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَهُوَ سَوْقُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ بِالنَّارِ إِلَى الْمَحْشَرِ، وَازْدِحَامُهُمْ حَتَّى يَكُونَ عَلَى الْقَدَمِ أَلْفُ قَدَمٍ - لَيْسَ لِعُمُومِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ، بَلْ وَرَدَ فِي أَنْاسٍ: أَنَّهُمْ يُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ لِقُصُورِهِمْ، لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مَمَّنْ حَضَرَ الْمَوْقِفَ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يُظَلُّ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ قَصِيرًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَاهُ طَوِيلًا، هَذَا هُوَ التَّحْقِيقُ.

قوله: (من ذلك) أي: المذكور من الشواط والنحاس.

قوله: (بَلْ يَسُوقُكُم) أي: المذكور منهما.

(١) قرأ ابن كثير بكسر الشين، والباقون بضمها. انظر «الدر المصون» (١٧١/١٠).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالجرِّ، والباقون بالرفع. انظر المرجع السابق.

(٣) وقيل: النحاس هو: الصفر المعروف، يُذَيِّبُهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَيُصَبُّ عَلَى رُؤُوسِهِمْ. «فتوحات» (٢٧٠/٤).

فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً ۖ كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَإِنِّي ءَالِئٌ بِكُمْ تُكْذِبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾

(٣٧ - ٤٠) ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾: انْفَرَجَتْ أَبْوَابُ لِتُزُولِ الْمَلَائِكَةُ ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: مِثْلَهَا مُحْمَرَّةً ﴿كَالدِّهَانِ﴾: كَالْأَدِيمِ الْأَحْمَرِ عَلَى خِلَافِ الْعَهْدِ بِهَا - وَجَوَابُ (إِذَا): فَمَا أَعْظَمَ الْهَوْلَ! -، ﴿فَإِنِّي ءَالِئٌ بِكُمْ تُكْذِبَانِ﴾ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ عَنْ ذَنْبِهِ وَيُسْأَلُونَ فِي وَقْتٍ آخَرَ، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]، وَالْجَانُّ هُنَا حَاشِيَةُ الصَّائِي

قوله: (النزول الملائكة) أي: لتحيط بالعالم من سائر جهات الأرض.

قوله: ﴿كَالدِّهَانِ﴾ (إِذَا خَبِرُ ثَانٍ، أَوْ نَعْت لـ ﴿وَرْدَةً﴾، وَالدَّهَانُ: إِذَا جُمِعَ (دُهْن) كـ (رِمَاح، وَرُمَح)، وَيَكُونُ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ﴾ [المعارج: ٨] أي: كَذَرْدِيّ الزَيْتِ، أَوْ مَفْرَدُ كـ (جِرَامٍ) وَ(إِدَامٍ)، وَهُوَ الْأَدِيمُ الْأَحْمَرُ؛ أي: الْجِلْدُ، وَقَدْ مَشَى عَلَى الثَّانِي الْمَفْسَّرُ.

قوله: (على خلاف العهد بها) أي: على خلاف لونها الذي نراه ونعده، وهو الزرقة؛ فإنها عارضة، قيل: بسبب جبل (ق) المحيط بها، وأما لونها الأصلي.. فهو الحُمْرَةُ^(١).

قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ التَّنْوِينُ عَوْضٌ عَنْ جُمْلَةٍ؛ أي: فَيَوْمَ إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ.

قوله: ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ عَنْ ذَنْبِهِ أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْجَارَّ وَالْمَجْرُورَ مَحْذُوفٌ مِنَ الثَّانِي؛ لِدَلَالَةِ الْأَوَّلِ عَلَيْهِ.

قوله: (وَيُسْأَلُونَ فِي وَقْتٍ آخَرَ) أَشَارَ بِذَلِكَ لِوَجْهِ الْجَمْعِ بَيْنَ مَا هُنَا وَبَيْنَ الْآيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا، وَإِبْضَاحُ الْجَمْعِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهُمْ حِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ لَا يُسْأَلُونَ، وَيُسْأَلُونَ حِينَ انْقِضَاضِ الْمَوْقِفِ.

قوله: (وَالْجَانُّ... إلخ) قَدْ يُقَالُ: لَا حَاجَةَ لَهُ؛ لِأَنَّ الْجَانَّ وَالْإِنْسَ كُلُّهُمَا اسْمُ جَنْسٍ، يُفَرَّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَاحِدِهِ بِالْيَاءِ كـ: (زَنْجٍ وَزَنْجِي).

(١) وزعم المتقدمون أن أصل لون السماء الحُمْرَةُ، وَأَنَّهَا لِكَثْرَةِ الْحَوَائِلِ وَبُعْدِ الْمَسَافَةِ وَاعْتِرَاضِ الْهَوَاءِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا تُرَى بِهَذَا اللَّوْنِ الْأَزْرَقَ، وَشَبَّهُوا ذَلِكَ بِغُرُوقِ الْبَدَنِ؛ هِيَ حُمْرَاءُ كَحْمَرَةِ الدَّمِ، وَتُرَى بِالْحَائِلِ زُرْقَاءَ، فَإِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا.. فَإِنَّ السَّمَاءَ لَقَرِيبًا مِنَ النَّوَاطِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَارْتِفَاعِ الْحَوَاجِزِ تُرَى حُمْرَاءَ؛ لِأَنَّهُ أَصْلُ لَوْنِهَا. انظر «تفسير الماوردي» (٤٣٦/٥)، و«الفتوحات» (٢٧١/٢).

فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ ﴿٤١﴾ بِالنَّوْصَى وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٢﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٣﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ ﴿٤٤﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٥﴾

وفيما سيأتي بِمَعْنَى الْجَنِيِّ، وَالْإِنْسُ فِيهِمَا بِمَعْنَى الْإِنْسِيِّ، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾

(٤١ - ٤٥) ﴿يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ﴾ أي: سَوَادِ الْوُجُوهِ وَزُرْقَةُ الْعُيُونِ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوْصَى وَالْأَقْدَامِ﴾ ﴿٤١﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ أي: تُضَمُّ نَاصِيَةُ كُلِّ مِنْهُمَا إِلَى قَدَمَيْهِ مِنْ خَلْفِ أَوْ قَدَامِ، وَيُلْقَى فِي النَّارِ وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ: يَسْعَوْنَ ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: مَاءٍ حَارٌّ ﴿ءَانٍ﴾: شَدِيدِ الْحَرَارَةِ يُسْقَوْنَهُ إِذَا اسْتَعَاثُوا مِنْ حَرِّ النَّارِ - وَهُوَ مَنْقُوصٌ كـ(قَاضٍ) -،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا﴾ أي: نِعَمِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي مِنْ جَمَلَتِهَا الزَّجْرُ عَمَّا يُؤْدِي لِلْعَذَابِ.

قوله: (أي: سواد الوجه وزرقة العيون) أي: وأخذ الصحف من وراء الظهر باليسرى.

قوله: ﴿بِالنَّوْصَى﴾ جمع (ناصية)، وهو نائب الفاعل^(١).

قوله: (من خلف) أي: فحينئذ يكسر ظهره كما يكسر الحطب، قال الضحاك: يُجْمَعُ بَيْنَ نَاصِيَتِهِ وَقَدَمِهِ فِي سِلْسِلَةٍ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ.

قوله: (ويقال لهم) قدره؛ إشارة إلى أَنَّ قوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ مقولٌ لقولٍ محذوفٍ.

قوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ أي: يترددون بينها، فحين يستغيثون من النار... يُسْعَى بِهِمْ إِلَى الْحَمِيمِ؛ فَيُسْقَوْنَ مِنْهُ، وَيُصَبُّ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، فَإِذَا اسْتَعَاثُوا مِنْهُ... يُسْعَى بِهِمْ إِلَى النَّارِ... وهكذا.

قوله: (يُسْقَوْنَهُ... إلخ) أي: وَيُغَمَّسُونَ فِيهِ؛ لَمَّا وَرَدَ عَنْ كَعْبٍ: (أَنَّ): وَإِ مِنْ أَوْدِيَةِ جَهَنَّمَ يَجْتَمِعُ فِيهِ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، فَيُغَمَّسُونَ بِأَغْلَالِهِمْ فِيهِ حَتَّى تَنْخَلَعَ أَوْصَالُهُمْ، ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَقَدْ أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا، فَيُلْقَوْنَ فِي النَّارِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾^(٢).

قوله: (وهو منقوص كـ«قَاضٍ») أي: فيقال: (أَنْتَى يَا نَبِيَّ) كـ: (قَضَى يَقْضِي)، فهو (أَنْ) كـ: (قَاضٍ)، وأصله: (أَنْتَى) اسْتُثْقِلَتِ الضَّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ فَحُذِفَتْ، فَالتَقَى سَاكِنَانِ، حُذِفَتِ الْيَاءُ لِلتَّلَاقِ السَّاكِنَيْنِ.

(١) (يؤخذ) متعد، ومع ذلك تعدى بالياء؛ لأنه ضَمَّنْ معنى (يدفع) أي: يدفعون. انظر «الدر المصون» (١٧٦/١٠).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤٥٠/٧).

فَيَأَيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

﴿فَيَأَيَّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟﴾

(٤٦ - ٥٣) ﴿وَلَمَنْ خَافَ﴾ أي: لِكُلِّ مِنْهُمْ أَوْ لِمَجْمُوعِهِمْ ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾: قِيَامَهُ بَيْنَ

يَدَيْهِ لِلْحِسَابِ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ أي: لِكُلِّ شَخْصٍ خَائِفٍ؛ سواءً كان من الإنس أو من الجنِّ، فالجنُّ كالإنس في النعيم، وهو ما عليه الأئمة الثلاثة، وقال أبو حنيفة: إِنَّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْجَنِّ مُسْلِمًا يَصِيرُ تَرَابًا كَالْبِهَائِمِ، وَلَا حَظَّ لَهُ فِي النَّعِيمِ.

قوله: (أي: لِكُلِّ مِنْهُمْ) أي: لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ الْخَائِفِينَ جَنَّاتَانِ.

واخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ بِالْجَنَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ يُعْطَاهُمَا كُلُّ خَائِفٍ؛ فَقِيلَ: جَنَّةٌ لِعَقِيدَتِهِ، وَجَنَّةٌ لِعَمَلِهِ، وَقِيلَ: جَنَّةٌ لَطَاعَتِهِ، وَجَنَّةٌ لتركِ الْمَعَاصِي، وَقِيلَ: جَنَّةٌ يُثَابُ بِهَا، وَجَنَّةٌ يُتَفَضَّلُ بِهَا عَلَيْهِ، وَقِيلَ: إِحْدَى الْجَنَّتَيْنِ مَنْزِلُهُ، وَالْأُخْرَى مَنْزِلُ أَزْوَاجِهِ كَعَادَةِ الْأَكَابِرِ فِي الدُّنْيَا، وَقِيلَ: إِحْدَى الْجَنَّتَيْنِ مَسْكَنُهُ، وَالْأُخْرَى بُسْتَانُهُ، وَقِيلَ: إِحْدَى الْجَنَّتَيْنِ خُلِقَتْ لَهُ، وَالْأُخْرَى جَنَّةٌ وَرَثَتُهَا مِنَ الْكُفَّارِ، وَعَلَى كُلِّ مِنَ الْأَقْوَالِ تَسْمَى إِحْدَاهُمَا: جَنَّةُ عَدْنٍ، وَالْأُخْرَى: جَنَّةُ النَّعِيمِ.

وروي عن ابن عباس في وصف الجنَّتَيْنِ أَنَّهُ قَالَ: (الْجَنَّتَانِ: بُسْتَانَانِ فِي عَرْضِ الْجَنَّةِ، كُلُّ بُسْتَانٍ مَسِيرَةُ مِائَةِ عَامٍ، فِي وَسْطِ كُلِّ بُسْتَانٍ دَارٌ مِنْ نُورٍ، وَلَيْسَ مِنْهُمَا شَيْءٌ إِلَّا يَهْتَرُّ نَعْمَةً وَخَضِرَةً، قَرَارُهَا ثَابِتٌ، وَشَجَرُهَا نَابِتٌ)^(١)، وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِالْجَنَّتَيْنِ: جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَإِنَّمَا ثُنِيَ رِعَايَةً لِلْفَوَاصِلِ.

قوله: (أَوْ لِمَجْمُوعِهِمْ) أي: إِنَّ الْكَلَامَ عَلَى سَبِيلِ التَّوْزِيعِ، فَإِحْدَى الْجَنَّتَيْنِ لِلْخَائِفِ الْإِنْسِيِّ، وَالْأُخْرَى لِلْخَائِفِ الْجَنِيِّ، فَكُلُّ خَائِفٍ لَيْسَ لَهُ إِلَّا جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَعْتَمَدُ.

قوله: (قيامه بين يديه... إلخ) أشار بذلك إِلَى أَنَّ (المَقَامَ) مُصْدَرٌ مِيمِي بِمَعْنَى (الْقِيَامِ)، وَهُوَ أَحَدُ امْتِحَالَاتِ ثَلَاثٍ فِي تَفْسِيرِ (المَقَامِ)، الثَّانِي: أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ؛ أَيْ: خَافَ مَكَانَ وَقُوفِهِ لِلْحِسَابِ، وَالثَّلَاثُ: أَنَّهُ مُصْدَرٌ مِيمِي؛ بِمَعْنَى: قِيَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْخَلَائِقِ؛ أَيْ: إِشْرَافُهُ وَإِطْلَاعُهُ عَلَيْهِمْ، وَمُنَاقَشَتُهُ لَهُمْ فِي الْحِسَابِ.

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٧٧/١٧)، وقال: (وذكره المهدوي والثعلبي أيضاً من حديث أبي هريرة)، وفيه: (يهتَرُّ نعمة) بدل (يهتَرُّ نعمة).

جَنَّانٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكُمَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾

فَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ ﴿جَنَّانٍ﴾ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا ﴿- تَشْنِيَّة (ذَوَات) عَلَى الْأَصْلِ،
وَلَا مُهَا يَاءٌ - ﴿أَفْنَانٍ﴾: أَغْصَانٍ، جَمْعُ (فَنَنْ) كـ (طَلَل)، ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكُمَةٍ ﴿فِي الدُّنْيَا أَوْ كُلِّ مَا يُتَفَكَّهُ بِهِ
﴿زَوْجَانِ﴾: نَوْعَانِ رَطْبٍ وَيَاسٍ، وَالمُرُّ مِنْهُمَا

حاشية الصاوي

قوله: (فترك معصيته) أي: فتسبب عن خوفه تركه المعاصي.

واعلم: أن الخوف مرتبتان: مرتبة العامة: وهي خوف تعذيب الله إياهم، ومرتبة الخاصة:
وهي خوف جلال الله وهيبته، وفيها فليتنافس المتنافسون.

وللعارفين تفسير آخر، وهو أن المراد بالخوف: خوف الإجلال والتعظيم والهيبة، والمراد
بالجنتين: جنّة الشهود؛ في الدنيا بالقلب، وفي الآخرة بالأبصار، وجنّة الثواب في الآخرة لا غير.
قوله: ﴿فَيَأْتِي ٱلْآءَ رَيْكُمَا﴾ أي: نعمه ﴿تُكْذِبَانِ﴾ أبتلك النعم التي من جملتها الجنّة ونعيمها
أم بغيرها؟

قوله: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ إمّا صفة لـ ﴿جَنَّانٍ﴾، أو خبرٌ لمحذوف؛ أي: هما.

قوله: (تشنية «ذوات») أي: الذي هو مفرد.

قوله: (على الأصل) أي: وذلك لأن أصلهما (ذَوَي) تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، قلبت
ألفاً، فصار (ذَوَا) كـ (فَتَى)، فهذه الألف لام الكلمة، وإنما قلبت الياء ألفاً دون الواو مع أن كلا
منهما متحرك وما قبله مفتوح؛ لأنها طرف، والطرف محلّ تغيير، ولم تُردّ هذه الألف في التشنية
إلى الياء فيقال: (ذويتان)؛ لأنه لما زيدت التاء في هذا اللفظ.. تحصّنت الألف من الرد إلى الياء.
وما في الآية هو الفصحح في تشنيها، وقد تُشْنَى على لفظها فيقال: (ذاتان).

قوله: (أغصان) أي: وهي فروع الشجر التي تشتمل على الورق والثمار.

قوله: (جمع «فَنَنْ») هذا أحد قولين، وقيل: جمع (فَنَنْ) أي: نوع وشكل.

قوله: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في كل واحدة منهما.

قوله: ﴿عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ أي: بالماء الزلال، إحداهما تسمى: التّسنيم، والأخرى: السلسيل،

وقيل: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى من خمير لذّة للشاربين.

فَيَايَ ءَالَآ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى فُرْشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَحَيَّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَيَايَ ءَالَآ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ

في الدنيا كالحنظل حُلُوًّا، ﴿فَيَايَ ءَالَآ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟

﴿٥٤﴾ - ﴿٦١﴾ ﴿مُتَكِبِينَ﴾ - حَالٌ عَامِلُهُ مَحْدُوفٌ - أَي: يَتَنَعَّمُونَ ﴿عَلَى فُرْشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾: مَا غُلِظَ مِنَ الدِّيَابِاجِ وَخُشْنِ، وَالظَّهَائِرُ مِنَ السُّنْدُسِ ﴿وَحَيَّ الْجَنَّتَيْنِ﴾: ثَمَرُهُمَا ﴿دَانٍ﴾: قَرِيبٌ يَنَالُهُ الْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ وَالْمُضْطَجِعُ، ﴿فَيَايَ ءَالَآ رَيْكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ:

حاشية الصاوي

قوله: (في الدنيا) أي: ما هو فاكهة في الدنيا؛ فلا تشمل الفاكهة على هذا مثل الحنظل.

قوله: (أو: كل ما يتفكه به) أي: في الآخرة ولو كان في الدنيا غير فاكهة؛ كالحنظل، وقوله: (والمرء منهما... إلخ) مبني على القول الثاني.

قوله: ﴿مُتَكِبِينَ﴾ أي: مُضْطَجِعِينَ، أو مُتَرَبِّعِينَ؛ فالتوكؤ: الاضطجاع، أو التربع؛ لما في الحديث: «أَمَا أَنَا فَلَا أَكُلُ مُتَكْتَأً»^(١) أي: جالساً جلوس المتربّع ونحوه من الهيئات التي تستدعي كثرة الأكل، فالتوكؤ في الدنيا مذموم، وفي الآخرة غير مذموم؛ لارتفاع التكليف.

قوله: (أي: يتنعمون) الضمير عائذ على (من) في قوله: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾.

قوله: ﴿بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾ هذه الجملة صفة لـ ﴿فُرْشٍ﴾.

قوله: (من السندس) أي: وهو ما رق من الديباج.

قوله: ﴿وَحَيَّ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (جنى): مبتدأ بمعنى (مجني)، خبره ﴿دَانٍ﴾، وأصله: (دَانُو) ك: (غاز) و(قاض).

قوله: (يناله القائم... إلخ) قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنبها ولي الله إن شاء قائماً، وإن شاء قاعداً، وإن شاء مُضْطَجِعاً^(٢)، وقال الرازي: (جنة الآخرة مُخَالَفَةٌ لَجَنَةِ الدُّنْيَا مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّ الثَّمَرَةَ عَلَى رُؤُوسِ الشَّجَرِ فِي الدُّنْيَا بَعِيدَةٌ عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُتَكَبِّرِ، وَفِي الْجَنَّةِ يَتَكَبَّرُ وَالثَّمَرَةُ تَدُلُّ إِلَيْهِ، وَثَانِيهَا: أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى إِلَى الثَّمَرَةِ وَيَتَحَرَّكُ إِلَيْهَا، وَفِي الْآخِرَةِ تَدُنُو

(١) رواه الترمذي (١٨٣٠) عن سيدنا أبي جحيفة رضي الله عنه، والبخاري (٥٣٩٨) بلفظ: «لَا أَكُلُ مُتَكْتَأً».

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٣٧٠/٧).

قَصِرَتْ الْظَّرْفُ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ

في الْجَنَّتَيْنِ وما اشْتَمَلْنَا عَلَيْهِ مِنَ الْعَلَالِي وَالْقُصُورِ ﴿قَصِرَتْ الظَّرْفُ﴾ العَيْنِ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾: يَفْتَضُّهُنَّ وَهُنَّ مِنَ الْحُورِ أَوْ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا الْمُنْشَأَتِ ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
حاشية الصاوي

منه وتدور عليه، وثالثها: أَنَّ الإنسان في الدنيا إذا قرب من ثمرة شجرة بُعدَ عن غيرها، وثمار الجنة تدنو إليه في وقت واحد، ومكان واحد^(١).

قوله: (في الجنتين... إلخ) جوابٌ عن سؤالٍ مقدّرٍ، حاصله: كيف أتى بضمير الجمع مع أَنَّ المرجع مثنى؟

قوله: ﴿قَصِرَتْ الظَّرْفُ﴾ أي: محبوساتٌ على أزواجهنَّ، لا يَبْغِينَ بغيرهم بدلاً؛ لما روي: أنها تقول لزوجها: «وعزّة ربي؛ ما أرى في الجنة أحسنَ منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي، وجعلني زوجتك»^(٢).

قوله: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ الطَّمْتُ: الجماعُ المؤدّي إلى خروج دم البكر، ثم أُطلق على كلِّ جماع، فالمعنى: لم يُصِبْهُنَّ بالجماع قبل أزواجهنَّ أحدٌ.

قوله: (من الحور) أي: فيكنّ قسمين: إنسيّاتٌ للإنس، وجنّياتٌ للجنّ.

قوله: (المنشآت) أي: المخلوقات من غير واسطة ولادة، راجعٌ لـ(الحور)^(٣).

قوله: ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ أي: إنَّ كلَّ واحدٍ من أفراد النوعين يجد زوجاته في الجنة اللاتي كنَّ في الدنيا أبقاراً وإن كنَّ في الدنيا ثيباتٍ، لم يمّسها غيره.

قوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ هذه الجملة نعتٌ لـ﴿قَصِرَتْ﴾، أو حالٌ منه.

(١) «تفسير الرازي» (٣٧٤/٢٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٦٣/٢٣) من حديث ابن زيد.

(٣) أي: فيكون (المنشآت) في كلام المفسّر رحمه الله صفةً لـ(الحور)، وقيل: إنَّ نساء الدنيا يخلقهنَّ الله في القيامة خلقاً جديداً، من غير توسط ولادة، خلقاً يُناسب البقاء والدوام، وذلك يستلزم كمال الخلق، وتوفر القوى الجسميّة، وانتفاء سمات النقص، وعليه: فـ(المنشآت) صفة لـ(نساء الدنيا). انظر «الفتوحات» (٢٧٥/٤).

وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾ فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾

صفاء ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضاً، ﴿فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٥٩﴾ هل: ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ بالنعيم؟ ﴿فَإِنَّ آيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟
(٦٢ - ٦٩) ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: الجنَّتَيْنِ المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾ أيضاً لمن خاف

حاشية الصاوي

قوله: (صفاء) أي: فالتشبيه بالياقوت من حيث الصفاء، ومن حيث الحمرة، فلا يقال: مقتضاه: أن لون أهل الجنة البياض المشرب بالحمرة.

قوله: (أي: اللؤلؤ بياضاً) أي: فالمرجان يُطلق على الأحمر والأبيض، والمراد به هنا: الأبيض، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يُرَى بَيَاضُ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حَلَّةً حَتَّى يُرَى مَخْطُهَا»^(١).

قوله: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ اعلم: أن (هل) تَرِدُ لأربعة أوجه: تكون بمعنى (قد) كقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]، وبمعنى الاستفهام كقوله: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤]، وبمعنى الأمر كقوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوُونَ﴾ [المائدة: ٩١]، وبمعنى النفي كقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وكما هنا، فهي هنا للنفي، والمعنى: لا جزاء للإحسان - أي: الطاعات، وترك المعاصي - إلا الإحسان؛ أي: الثواب الجزيل.

قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ قيل: معناه: أدنى منهما، وأصحابُ هاتين الجنَّتَيْنِ أهلُ اليمين، وهم دُونُ الخائفين مقامَ ربِّهم في المنزلة، وهذا على حدِّ ما يأتي في سورة (الواقعة): أن أهل اليمين أقلُّ من السابقين.

وقيل: الجنَّات الأربع لمن خاف مقامَ ربِّه، ومعنى قوله: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾: أقرب وأدنى منهما للعرش، ويؤيده ما ورد: أن الأولتين من ذهب وفضة، والآخرتان من الياقوت^(٢)، وتقدَّم: أن الأولتين جنَّةُ عدن، وجنَّةُ النعيم، وهاتان جنَّةُ الفردوس، وجنَّةُ المأوى، وهو ما مشى عليه المفسر.

(١) رواه الترمذي (٢٥٣٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. والمعنى: ما في داخل العظم، والمراد به: وصفها بالصفاء البالغ، وأن ما في داخل العظم لا يستر بالعظم واللحم والجلد.

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٤٥٧/٧) عن الضحاك.

فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فُكْكُهُ وَنُحْلٌ وَرُمَانٌ ﴿٦٨﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾

مَقَامَ رَبِّهِ، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَمَّتَانِ﴾: سَوْدَاوَانِ مِنْ شِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا، ﴿فَيَايَ
ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾: فَوَّارَتَانِ بِالماء لَا تَنْقُطَعَانِ، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فُكْكُهُ وَنُحْلٌ وَرُمَانٌ﴾ هُمَا مِنْهَا، وَقِيلَ: مِنْ غَيْرِهَا، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ﴾؟

حاشية الصاوي

قوله: ﴿مُدْهَمَّتَانِ﴾ من: الدُّهْمَةُ، وهي السَّوَادُ.

قوله: (من شِدَّةِ خُضْرَتِهِمَا) أي: لِكثْرَةِ بَسَاتِينِهِمَا.

قوله: (فَوَّارَتَانِ) أي: وليستا كالجاريتين؛ لِأَنَّ التَّضَخُّعَ دُونَ الْجَرِيِّ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ هَاتَيْنِ
أَقْلُ مِنَ الْأَوَّلَتَيْنِ، وَأَمَّا عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُمَا أَعْلَى مِنْهُمَا فَمَعْنَى ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ
مَسْعُودٍ: أَنَّهُمَا يَنْضَخَانِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ بِالمَسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ فِي دُورِ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا يَنْضَخُ رَشُّ
المَطَرِ^(١)، أَوْ أَنَّ الْمَرَادَ: فَوَّارَتَانِ مَعَ الْجَرِيِّ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا أَعْلَى مِنَ الْجَارِيَتَيْنِ فَقَطْ.

قوله: (هما منها) أي: من الفاكهة وهو ظاهر، وقوله: (وقيل: من غيرها) أي: وذلك
لِأَنَّ النُّخْلَ كَانَ عَامَّةً قُوَّتِهِمْ، وَالرَّمَانَ كَالشَّرَابِ، فَكَانَ يَكْثُرُ غَرَسُهُمَا عِنْدَهُمْ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهِمَا، وَكَانَتْ
الْفَوَاكِهُ عِنْدَهُمُ الثَّمَارَ الَّتِي يُعْجِبُونَ بِهَا.

روي: «أَنَّ نَخْلَ الْجَنَّةِ جَذْوَعُهَا زَمْرُدٌ أَخْضَرُ، وَكَرْمُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ، وَسَعْفُهَا كَسْوَةٌ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ؛
مِنْهَا حُلُّلُهُمْ، وَثَمَارُهَا مِثْلُ الْقِلَالِ أَوْ الدَّلَاءِ، أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَالْيَنْزُ
مِنَ الزَّبَدِ، لَيْسَ لَهَا عَجَمٌ»^(٢)، وروي: «أَنَّ الرُّمَانَ مِنَ الْجَنَّةِ كَجِلْدِ الْبَعِيرِ الْمُقْتَبِّ»^(٣)، وروي:
«أَنَّ نَخْلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ نَضِيدٌ، وَثَمَارُهَا كَالْقِلَالِ، كُلَّمَا نُزِعَتْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ.. عَادَتْ مَكَانَهَا أُخْرَى،
الْعُنُقُودُ مِنْهَا اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعاً»^(٤).

(١) انظر «تفسير القرطبي» (١٧/١٨٥).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/٤٧٧) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١١٠٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد والرفائق» (١٤٩٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٩٥٩) من حديث مسروق.

فِيهِنَّ خَيْرٌ حَسَنٌ ﴿٧٠﴾ فَإِنِّي ءَالَاءٌ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾

(٧٠ - ٧٨) ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنَّتَيْنِ وما فِيهِمَا ﴿خَيْرٌ﴾ أخلاقاً ﴿حَسَنٌ﴾ وُجُوهاً، ﴿فَإِنِّي ءَالَاءٌ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ ﴿حُورٌ﴾: شَدِيدَاتُ سَوَادِ الْعُيُونِ وَبَيَاضُهَا ﴿مَّقْصُورَاتٌ﴾: مَسْتُورَاتٌ ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ مِنْ دُرٍّ مُجَوَّفٍ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: الجنتين وما فيهما... إلخ) جوابٌ عما يُقال: كيف جمع الضمير مع أنه راجع للمثنى؟

قوله: ﴿خَيْرٌ﴾ إما جمع (خَيْرَة) بوزن (فَعْلَة) بفتح الفاء وسكون العين، أو جمع (خَيْرَة) مخفف (خَيْرَة) بالتشديد، وفي الحديث: «إِنَّ الحور العين يأخذ بعضهنَّ بأيدي بعض، ويتغنيَّن بأصواتٍ لم يسمع الخلائق بأحسن منها ولا بمثلها: نحن الراضيات؛ فلا نسخط أبداً، ونحن المقيمات؛ فلا نَظعن أبداً، ونحن الخالدات؛ فلا نموت أبداً، ونحن الناعمات؛ فلا نَيس أبداً، ونحن خيرات حسان حبيبات لأزواج كرام»^(١).

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «إِنَّ الحور العين إذا قُلْنَ هذه المقالة... أجابهنَّ المؤمنات من نساء أهل الدنيا: نحن المصلِّيات وما صَلَّيْتَنَّ، ونحن الصائمات وما صُمتَنَّ، ونحن المتوضَّئات وما تَوَضَّأْتَنَّ، ونحن المتصدِّقات وما تَصَدَّقْتَنَّ»، قالت عائشة رضي الله عنها: «فَغَلِبْنَهُنَّ وَالله»^(٢). واختُلف؛ هل الحور العين أكثرُ حُسناً وأبهى جمالاً أو نساء الدنيا؟ والصحيح: أَنَّ نساء الدنيا يكنَّ أفضلَ من الحور العين بسبعين ألف ضعف^(٣).

قوله: (من دُرٍّ مُجَوَّفٍ) قال ابن عباس: (الخيمة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب)^(٤)، وروى: أَنَّ سحابة مطرت من العرش، فخلقت الحور من قطرات الرحمة، ثم ضُربَ على كلِّ واحدةٍ منهنَّ خيمةٌ على شاطئ الأنهار، سعتها أربعون ميلاً، وليس لها بابٌ، حتى إذا حلَّ

(١) رواه بنحوه الترمذي (٢٥٦٤) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه: (لا تَبَاس) بدل (لا نيس).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (١٨٧/١٧)، و«لطائف الإشارات» (٥١٥/٣).

(٣) وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٠) عن سيدتنا أم سلمة رضي الله عنها قالت: (قلتُ: يا رسول الله؛ أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: «بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة»، قلتُ: يا رسول الله؛ وبم ذاك؟ قال: «بِصَلَاتِهِنَّ، وصِيَامِهِنَّ، وعبادتهنَّ لله عزَّ وجلَّ»).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٥٨).

فَيَايَ ءَالَاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْرَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٤﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ أَسْمُ رَيْكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

مُضَافَةٌ إِلَى الْقُصُورِ شَبِيهَةٌ بِالْخُدُورِ، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِسْرَ قَبْلَهُمْ: قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ ﴿وَلَا جَانٌّ﴾ ﴿٧٤﴾ فَيَايَ ءَالَاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿مُتَكِبِينَ﴾ أَي: أَزْوَاجُهُنَّ، وَإِعْرَابُهُ كَمَا تَقْدَمُ ﴿عَلَى رَفْرِفٍ خُضِرٍ﴾: جَمْعُ رَفْرِفَةٍ أَي: بُسْطٍ أَوْ وَسَائِدَ ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾: جَمْعُ (عَبْقَرِيَّةٍ) أَي: طَنَافِسٍ، ﴿فَيَايَ ءَالَاءِ رَيْكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ ﴿٧٥﴾ نَبْرَكَ أَسْمُ رَيْكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ تَقْدَمُ ...

حاشية الصاوي

وَلِيَّ اللَّهِ الْجَنَّةُ.. انْصَدَعَتِ الْخِيْمَةُ عَنْ بَابٍ؛ لِيَعْلَمَ وَلِيُّ اللَّهِ أَنَّ أَبْصَارَ الْمَخْلُوقِينَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْخُدَّامِ لَمْ تَأْخُذْهَا، فَهِيَ مَقْصُورَةٌ، قَدْ قُصِرَ بِهَا عَنْ أَبْصَارِ الْمَخْلُوقِينَ^(١).

قوله: (مُضَافَةٌ إِلَى الْقُصُورِ) أَي: إِنَّهَا فِي دَاخِلِهَا، فَالْخِيْمَةُ فِي دَاخِلِ الْقَصْرِ.

قوله: (بِالْخُدُورِ) جَمْعُ (خُدْرٍ)، وَهُوَ السَّتْرُ الَّذِي يَتَّخِذُ فِي الْبُيُوتِ كَالنَّامُوسِيَّةِ.

قوله: (وَإِعْرَابُهُ كَمَا تَقْدَمُ) أَي: إِنَّهُ حَالٌ، عَامِلُهُ مَحْذُوفٌ؛ أَي: يَتَنَعَّمُونَ.

قوله: (جَمْعُ «رَفْرِفَةٍ») أَي: وَاحِدَهُ (رَفْرِفَةٌ)، وَالرَّفْرِفُ: اسْمُ جَنْسٍ جَمْعِيٍّ، أَوْ اسْمُ جَمْعٍ^(٢).

قوله: (أَي: بُسْطٍ أَوْ وَسَائِدَ) هَذَا قَوْلَانِ فِي مَعْنَى (الرَّفْرِفِ)، وَقِيلَ: هُوَ شَيْءٌ إِذَا اسْتَوَى عَلَيْهِ صَاحِبُهُ.. رَفْرِفَ بِهِ وَأَهْوَى بِهِ كَالْمَرْجَاحِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَرَفْعًا وَخَفْضًا، يَتَلَذَّذُ بِهِ مَعَ أُنَيْسَتِهِ.

قوله: ﴿وَعَبْقَرِيٍّ﴾ مَنَسُوبٌ إِلَى (عَبْقَرٍ) قَرْيَةٍ بِنَاحِيَةِ الْيَمَنِ، يُنْسَجُ فِيهَا بَسْطٌ مَنَقُوشَةٌ، فَقَرَّبَ اللَّهُ لَنَا فِرَاشَ تِلْكَ الْجَنَّتَيْنِ بِهِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْبَاءَ لَيْسَتْ لِلنَّسَبِ، بَلْ هِيَ كِبَاءُ (الْكُرْسِيِّ) وَ(الْبَحْتِيِّ)، فَهُوَ اسْمُ لِلْفِرَاشِ الْمَنَقُوشِ الْبَالِغِ الْغَايَةِ فِي الْحُسْنِ.

قوله: (أَي: طَنَافِسٍ) جَمْعُ (طَنَفَسَةٍ) بِكَسْرَتَيْنِ أَوْ فَتَحَتَيْنِ: بَسَاطٌ لَهُ خَمْلٌ رَقِيقٌ.

قوله: ﴿ذِي الْجَلَلِ﴾ بِالْبَاءِ وَالْوَاوِ، قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٣).

(١) عزاه القرطبي في «تفسيره» (١٨٨/١٧) للحكيم الترمذي.

(٢) فلا مفرد له من لفظه، ونقل القولين مكي في «مُشْكِلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ» (٧٠٨/٢).

(٣) قرأ ابن عامر: (ذو الجلال) بالواو، وجعله تابعاً للاسم، وهكذا هي مرسومة في مصحف الشاميين، والباقون بالياء صفة للرب؛ فإنه هو الموصوف بذلك. انظر «الدر المصون» (١٨٨/١٠).

- ولفظ (اسم) زائدٌ -.



حاشية الصاوي

قوله: (ولفظ «اسم» زائد) أي: لأنَّ أوصاف التنزيه والتعظيم في الحقيقة للمسمَّى، وقد يقال: أسماء الله وصفاته يُسندُ لها التَّنْزِيه والتَّعْظِيم حقيقةً، فعدمُ زيادته أبلغُ في التَّعْظِيم والتَّنْزِيه.





مَكِّيَّةٌ إِلَّا ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيْثِ...﴾ الْآيَةُ، وَ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ...﴾ الْآيَةُ، وَهِيَ سِتُّ أَوْ سَبْعٌ أَوْ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ آيَةً.

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

قال مسروق: من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة وأهل النار، ونبأ أهل الدنيا ونبأ أهل الآخرة.. فليقرأ سورة (الواقعة)^(١).

وحكي: أن عثمان دخل على ابن مسعود يعود في مرضه الذي مات منه، فقال: ما تشتهي؟ قال: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: أفلا ندعو لك طبيباً؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا نأمر لك بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، حبسته عني في حياتي، وتدفعه لي عند مماتي، قال: يكون لبناتك من بعدك، قال: أتخشى على بناتي فاقةً من بعدي؟ إني أمرتهن أن يقرأن سورة (الواقعة) كل ليلة؛ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قرأ سورة الواقعة كل ليلة.. لم تُصبه فاقة أبداً»^(٢).

قوله: (إِلَّا ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيْثِ...﴾ إلخ) هذا قول الكلبي، وقول المفسر: (الآية) أولاً وثانياً مرادُهُ: الجنسُ الصادقُ بالآيتين؛ فالمَدْنِيُّ على هذا القول أربع آيات: ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيْثِ أَنْتُمْ مُّذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾. وقيل: مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا، وقيل: مَكِّيَّةٌ إِلَّا آيَةٌ مِنْهَا وَهِيَ قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾.

(١) رواه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص ٢٥٧).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٦٧)، وفيه: (لم يفتقر) بدل (لم تُصبه فاقة أبداً)، وبنحوه عند الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٢٧٤).

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِقَوْلِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً ۝٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١ - ٣) ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ : قَامَتِ الْقِيَامَةُ، ﴿لَيْسَ لِقَوْلِهَا كَاذِبَةٌ﴾ : نَفْسٌ تَكْذِبُ بِأَنْ تَنْفِيهَا كَمَا نَفَتْهَا فِي الدُّنْيَا، ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ أي : هِيَ مُظْهِرَةٌ لِحَفْضِ أَقْوَامٍ بِدُخُولِهِمُ النَّارَ وَلِرَفْعِ آخَرِينَ بِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ.

(٤ - ٦) ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ : حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً، ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ : فُتَّتْ، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً﴾ : غُبَارًا

حاشية الصاوي

قوله : ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ (إِذَا) : إِمَّا ظَرَفٌ لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَعَامِلُهُ : ﴿لَيْسَ لِقَوْلِهَا كَاذِبَةٌ﴾ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تَضَمَّنَتْ مَعْنَى النِّفْيِ، كَأَنَّهُ قِيلَ : انْتَفَى التَّكْذِيبُ وَقْتُ وَقُوعِهَا ؛ أَوْ شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُهَا مَحْذُوفٌ، تَقْدِيرُهُ : يَحْصُلُ كَذَا وَكَذَا، وَهُوَ الْعَامِلُ فِيهَا^(١).

قوله : (قَامَتِ الْقِيَامَةُ) أي : فَ(الوَاقِعَةُ) مِنْ جُمْلَةِ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ.

قوله : ﴿لَيْسَ لِقَوْلِهَا كَاذِبَةٌ﴾ (اللام : بِمَعْنَى (فِي) عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، وَالْمَعْنَى : لَيْسَ نَفْسٌ كَاذِبَةٌ تَوْجَدُ فِي وَقْتِ وَقُوعِهَا.

قوله : ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ (خبر مبتدأ محذوف كما أفاده المفسر بقوله : (أي : هي ... إلخ).

قوله : (لِحَفْضِ أَقْوَامٍ ... إلخ) أي : حَسًّا وَمَعْنَى ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ تَرْقِيهِمْ حَسًّا وَمَعْنَى ، وَأَهْلُ النَّارِ تَخْفِضُهُمْ كَذَلِكَ ، وَنِسْبَةُ الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ إِلَيْهَا مَجَازٌ ، مِنْ إِسْنَادِ الْفِعْلِ لِمَحَلِّهِ وَزَمَانِهِ .

قوله : ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ (إِذَا) بَدَلٌ مِنْ ﴿إِذَا﴾ الْأُولَى ، وَعَلَيْهِ مَشَى الْمَفْسِّرُ ، أَوْ تَأَكِيدٌ لَهَا ، أَوْ شَرْطٌ وَعَامِلُهَا مُقَدَّرٌ .

قوله : (حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً) أي : فَتَرْتَجُ كَمَا يَرْتَجُّ الصَّبِيُّ فِي الْمَهْدِ ، حَتَّى يَنْهَدِمَ مَا عَلَيْهَا ، وَيَتَكَسَّرُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا مِنَ الْجِبَالِ وَغَيْرِهَا . وَالرَّجَّةُ : الْاضْطِرَابُ .

(١) وقيل : العامل فيها الفعل الذي بعدها ويليهما ، وهو اختيار الشيخ أبي حيان ، وتبع في ذلك مكياً ، قال مكّي : (والعامل فيها «وقعت» ؛ لأنها قد يجازى بها ، فعمل فيها الفعل الذي بعدها كما يعمل في «ما» و«من» اللتين للشرط في قولك : ما تفعل أفعلاً ، ومن تكرم أكرماً) . انظر «الدر المصون» (١٠ / ١٩٠) .

مُتَّبِعًا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَّةِ مَا
أَصْحَابُ الشِّمَّةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ
.....

﴿مُتَّبِعًا﴾: مُتَّبِعًا - و﴿إِذَا﴾ الثانية بدلٌ مِنَ الأولى ..

(٧ - ٩) ﴿وَكُنْتُمْ﴾ في الْقِيَامَةِ ﴿أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً ﴿ثَلَاثَةً﴾ ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾
وَهُم الَّذِينَ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ - مُبْتَدَأُ خَبَرِهِ -: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تَعْظِيمٌ لِشَأْنِهِمْ
بِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَّةِ﴾ أي: الشُّمَالِ بِأَن يُؤْتَى كُلُّ مِنْهُمْ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ ﴿مَا أَصْحَابُ
الشِّمَّةِ﴾ تَحْقِيرٌ لِشَأْنِهِمْ بِدُخُولِهِمُ النَّارَ.

(١٠ - ١٨) ﴿وَالسَّيِّئُونَ﴾ إِلَى الْخَيْرِ
.....

حاشية الصاوي

قوله: (مُتَّبِعًا) أي: متفرقاً بنفسه من غير حاجةٍ إلى هواءٍ يفرِّقه، فهو كالذي يُرى في شعاع
الشمس إذا دخل في كُوَّةٍ.

قوله: ﴿وَكُنْتُمْ﴾ الخطاب لجميع الخلائق المكلفين، والمعنى: قُسِّمْتُمْ باعتبار طبائعكم
وأخلاقكم في الدنيا أصنافاً ثلاثة.

قوله: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ شروعٌ في ذكر أحوال الأزواج الثلاثة على سبيل الإجمال، وسيأتي
تفصيلهم بعد ذلك.

قوله: (مبتدأ، خبره): ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾... إلخ) (أصحاب) الأول: مبتدأ، و﴿مَا﴾:
استفهامية، مبتدأ ثان، وما بعده خبره، والجملة خبر الأول، وتكرير المبتدأ بلفظه مُعْنٍ عن الرباط.
قوله: (تعظيمٌ لشأنهم) أي: إنَّ في هذا الاستفهام تعظيمٌ شأنهم، كأنه قيل: فأصحاب الميمنة
في غاية حُسن الحال، وأصحاب المشأمة في نهاية سُوء الحال.

قوله: (بأن يُؤْتَى كتابه بشماله) ما ذكره المفسر في الفريقين أحد أقوال، وقيل: أهل الميمنة:
هم الذين يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الْيَمِينِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَهْلُ الْمَشْأَمَةِ: الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتُ الشِّمَالِ إِلَى النَّارِ،
وقيل: أصحاب الميمنة: أصحاب المنزلة السَّيِّئَةِ، وأصحاب المشأمة: أصحاب المنزلة الدَّيَّةِ.

قوله: ﴿وَالسَّيِّئُونَ﴾... إلخ) أخرهم مع كونهم أعلى الأقسام الثلاثة؛ لِئَلَّا يُعْجَبُوا بِأَعْمَالِهِمْ،
وقدَّم أهل اليمين؛ لِئَلَّا يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ.

السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ
الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾

وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ - مُبْتَدَأُ - ﴿السَّابِقُونَ﴾ - تَأْكِيدٌ لِتَعْظِيمِ شَأْنِهِمْ، وَالْخَبَرُ: - ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ﴿١١﴾ فِي
جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ - مُبْتَدَأُ - أَي: جَمَاعَةٌ مِّنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ
الْآخِرِينَ﴾ مِّنَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُمْ السَّابِقُونَ مِّنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ، - وَالْخَبَرُ -:

حاشية الصاوي

قوله: (وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ) هذا أحدُ أقوالٍ في تفسير السابقين، وقيل: هم الذين سبقوا إلى الإيمان
والطاعة عند ظهور الحق، وقيل: هم المسارعون إلى الخيرات، وقيل: هم الذين سبقوا في حيازة
الفضائل.

قوله: ﴿﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾﴾ أي: الذين قُرِّبَتْ درجاتهم، وأُعليت مراتبهم، واصطفاهم الله لرؤيته
في الجنة بُكْرَةً وَعَشِيًّا، فحيث تسابقوا لخدمته وطاعته.. فكان جزاؤهم من الله القرب والاصطفاء،
زيادة على كونهم في الجنة.

قوله: ﴿﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾﴾ خبرٌ ثانٍ، أو حال من الضمير في ﴿﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾﴾.

قوله: ﴿﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾﴾ الثُّلَّةُ بِالضَّمِّ في قراءة العامة: الجماعة من الناس، وأما بالكسر..
فَمَعْنَاهُ: الْهَلَكَةُ.

قوله: (وَهُمُ السَّابِقُونَ... إلخ) أي: إلى الإيمان بالأنبياء عياناً، واجتمعوا عليهم؛ وذلك
لأن المؤمنين الذين اجتمعوا على الأنبياء جماعةٌ كثيرةٌ، والمؤمنين الذين اجتمعوا على رسول الله ﷺ
جماعةٌ قليلةٌ بالنسبة لمجموع الأمم، وهذا لا يُنافي كون هذه الأمة المحمدية ثلثي أهل الجنة؛
لأن ما هنا فيمن اجتمع بالأنبياء مشافهةً. إذا علمت ذلك؛ فتفسير المفسر السابقين المتقدم ذكرهم
بالأنبياء.. غير واضح، فالمناسب أن يقول: والسابقون إلى الخير من أمة كل نبي، وبعض
المفسرين جعل الخطاب في قوله: ﴿﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾﴾ لهذه الأمة، وحينئذٍ: فالمراد بالسابقين:
خيارهم، وأهل اليمين عوامهم، وأهل المشامة كفارهم، وقوله: ﴿﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾﴾ يعني: جماعة
كثيرةٌ من أوائل هذه الأمة، وقوله: ﴿﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾﴾ يعني: أن من أتى بعد أوائل هذه الأمة
من الخيار.. قليلٌ بالنسبة لأوائلها وإن كان كثيراً في نفسه، ولعل هذا التفسير أقرب.

عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ
وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾

﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ : مَنْسُوجَةٌ بِقُضْبَانِ الذَّهَبِ وَالْجَوَاهِرِ، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّبِينَ﴾ - حَالَانِ مِنَ الضَّمِيرِ فِي الْخَبَرِ -، ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ لِلْخِدْمَةِ ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ عَلَى شَكْلِ الْأَوْلَادِ لَا يَهْرُمُونَ، ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ : أَقْدَاحٌ لَا عُرَا لَهَا، ﴿وَأَبَارِقٍ﴾ لَهَا عُرَا وَخَرَاطِيمُ، ﴿وَكَأْسٍ﴾ : إِنَاءٌ شَرِبَ الْخَمْرَ ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أَي : خَمْرٍ جَارِيَةٍ مِنْ مَنَبَعٍ لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا.

حاشية الصاوي

قوله : ﴿﴿عَلَى سُرُرٍ﴾﴾ جمع (سرير)، وهو : ما يُوضَعُ لِلشَّخْصِ مِنَ الْمَقَاعِدِ الْعَالِيَةِ كَرَامَةً وَاجْتِلَالًا، قَالَ الْكَلْبِيُّ : طُولُ كُلِّ سُرِيرٍ ثَلَاثُ مِائَةِ ذِرَاعٍ، فَإِذَا أَرَادَ الْعَبْدُ أَنْ يَجْلِسَ عَلَيْهِ . . تَوَاضَعُ وَانْخَفَضَ لَهُ، فَإِذَا جَلَسَ عَلَيْهِ . . ارْتَفَعَ.

قوله : ﴿﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا﴾﴾ أَي : عَلَى السُّرُرِ.

قوله : ﴿﴿مُتَقَلِّبِينَ﴾﴾ أَي : فَلَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى قَفَا بَعْضٍ، بَلْ إِذَا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْانْصِرَافَ . . دَارَ بِهِ سَرِيرُهُ.

قوله : ﴿﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾﴾ هَذِهِ الْجُمْلَةُ إِمَّا حَالٌ، أَوْ اسْتِنَافٌ.

قوله : ﴿﴿وِلْدَانٌ﴾﴾ بِكسر الواو بِاتِّفَاقِ الْقُرَّاءِ، جَمْعُ (وَلِيدٍ) بِمَعْنَى : (مَوْلُودٍ).

قوله : (عَلَى شَكْلِ الْأَوْلَادِ) أَي : فَهَمُ مَخْلُوقُونَ فِي الْجَنَّةِ ابْتِدَاءً؛ كَالْحُورِ الْعِينِ، لَيْسُوا مِنْ أَوْلَادِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا سَمُّوا أَوْلَادًا؛ لِكَوْنِهِمْ عَلَى شَكْلِ الْأَوْلَادِ؛ كَمَا أَفَادَهُ الْمَفْسِّرُ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، وَقِيلَ : هُمُ أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ مَاتُوا صَغَارًا، وَرُدُّ : بِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَلْحَقُونَ بِآبَائِهِمْ فِي السِّيَادَةِ وَالْخَلْقَةِ، وَقِيلَ : هُمُ صِغَارُ أَوْلَادِ الْكُفَّارِ، وَقِيلَ : غَيْرُ ذَلِكَ.

قوله : (لَا يَهْرُمُونَ) تَفْسِيرُ لِقَوْلِهِ : ﴿﴿مُخَلَّدُونَ﴾﴾، وَالْمَعْنَى : لَا يَتَغَيَّرُونَ عَنْ حَالَةِ الْوِلْدَانِ؛ مِنَ الطَّرَاوَةِ وَالنَّعْمَةِ، بِخِلَافِ أَوْلَادِ الدُّنْيَا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ يَتَغَيَّرُونَ بِالشَّيْخُوخَةِ.

قوله : ﴿﴿وَأَبَارِقٍ﴾﴾ جَمْعُ (إِبْرِيْقٍ)، مُشْتَقٌّ مِنْ : الْبَرِيقِ؛ لِصَفَاءِ لَوْنِهِ.

قوله : (لَهَا عُرَى) أَي : مَا يُمَسَّكُ بِهَا، الْمَسْمَاةُ بِالْأَذَانِ.

قوله : (وِخَرَاتِيمِ) هِيَ الْمَسْمَاةُ بِالْبَزَائِيزِ.

لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَمَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحِمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَخُورٌ عَيْنٌ ﴿٢٢﴾

﴿١٩﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ﴿﴾ - بِفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِهَا مِنْ (نَزَفَ الشَّارِبُ، وَأَنْزَفَ) -
أي: لَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْهَا صُدَاعٌ وَلَا ذَهَابٌ عَقْلٍ بِخِلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا.

﴿٢٠﴾ - ﴿٢٣﴾ (وَفَكَهَمَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحِمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿﴾ لَهُمْ لِلاِسْتِمْتَاعِ
﴿وَخُورٌ﴾: نِسَاءٌ شَدِيدَاتُ سَوَادِ الْعُيُونِ وَبَيَاضُهَا، ﴿عَيْنٌ﴾: ضِخَامُ الْعُيُونِ - كُسِرَتْ عَيْنُهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ أي: لَا يَحْصُلُ لَهُمْ صُدَاعٌ مِنْ أَجْلِهَا. والصداع: داءٌ معروفٌ، يَلْحَقُ
الإنسانَ فِي رَأْسِهِ.

قوله: (أي: لَا يَحْصُلُ لَهُمْ) لَفٌّ وَنَشْرٌ مَرْتَّبٌ.

قوله: ﴿مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ أي: يَخْتَارُونَ.

قوله: ﴿وَلَحِمَ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ورد: أَنَّ فِي الْجَنَّةِ طَيْراً مِثْلَ أَعْنَاقِ الْبَخْتِ، تَعُطِفُ عَلَى يَدِ
وَلِيِّ اللَّهِ، فَيَقُولُ أَحَدُهَا: يَا وَلِيَّ اللَّهِ؛ رَعَيْتُ فِي مُرُوجٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَشَرِبْتُ مِنْ عَيُونِ التَّسْنِيمِ،
فَكُلُّ مَنِّي، فَلَا يَزَلْنَ يَفْتَخِرْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَخْطُرَ عَلَى قَلْبِهِ أَكْلُ أَحَدِهَا، فَيَخْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى أَلْوَانٍ
مُخْتَلِفَةٍ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا مَا أَرَادَ، فَإِذَا شَبِعَ.. تَجَمَّعَ عِظَامُ الطَّيْرِ، فَطَارَ يَرعى فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَ، فَقَالَ
عَمْرٌ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ، قَالَ: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا»^(١). وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: يَخْطُرُ عَلَى قَلْبِهِ
لَحْمُ الطَّيْرِ، فَيَصِيرُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى مَا يَشْتَهِي، أَوْ يَقَعُ عَلَى الصَّحْفَةِ، فَيَأْكُلُ مِنْهَا مَا يَشْتَهِي، ثُمَّ يَطِيرُ^(٢).
قوله: ﴿وَخُورٌ عَيْنٌ﴾ مبتدأ، خبره محذوفٌ، قدره بقوله: (لهم).

قوله: (شديدات سواد العيون) هذا من جملة تفسير (العين)؛ فلو أخره بعده.. لكان أوضح،

(١) أورده القرطبي في «تفسيره» (٢٠٤/١٧)، وعزاه للثعلبي من حديث سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه، وروى النسائي
في «الكبرى» (٣٤٦/١٠) عن سيدنا أنس بن مالك أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله؛
ما الكوثر؟ قال: «نهرٌ أعطانيه ربي في الجنة، هو أشدُّ بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيورٌ أعناقُها
كأعناق الجزر»، قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، إنها لناعمة، قال: «أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا».

(٢) انظر «تفسير البغوي» (١٠/٨).

كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيَمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا
فِيلًا سَلَمًا سَلَمًا ﴿٢٦﴾

بَدَلَ ضَمِّهَا لِمُجَانَسَةِ الْيَاءِ، وَمُفْرَدُهُ عَيْنَاءُ كـ (حَمَرَاءُ)، وَفِي قِرَاءَةِ بَجْرٍ (حُورٍ عَيْنٍ) - ﴿كَأَمْثَلِ
اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾: الْمَصُونِ.

﴿٢٤﴾ جَزَاءُ - مَفْعُولٌ لَهُ أَوْ مَصَدَرٌ، وَالْعَامِلُ مُقَدَّرٌ - أَي: جَعَلْنَا لَهُمْ مَا ذَكَرَ لِلْجَزَاءِ
أَوْ جَزَيْنَاهُمْ ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٢٥ - ٢٦) ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾: فِي الْجَنَّةِ ﴿لَغْوًا﴾: فَاحِشًا مِنَ الْكَلَامِ ﴿وَلَا تَأْتِيَمًا﴾:
مَا يُؤْتِمُّ، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿فِيْلًا﴾: قَوْلًا ﴿سَلَمًا سَلَمًا﴾.....
حاشية الصاوي

فـ (الْعَيْنُ): شَدِيدَاتُ سَوَادِ الْعَيُونِ مَعَ سَعَتِهَا، وَأَمَّا (الْحُورُ) فَقِيلَ: هُوَ بَيَاضُ أَجْسَادِهِنَّ، وَقِيلَ:
هُوَ شِدَّةُ بَيَاضِ الْعَيْنِ فِي شِدَّةِ سَوَادِهَا.

قوله: (بَدَلَ ضَمِّهَا) أَي: الَّذِي هُوَ حَقُّهَا؛ لِأَنَّ أَصْلَهَا (عَيْنٌ) بِضَمِّ الْعَيْنِ، وَسُكُونِ الْيَاءِ، كُسِرَتْ
الْعَيْنُ لِتَصَحِّحِ الْيَاءِ.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةِ بَجْرٍ «حُورٍ عَيْنٍ») أَي: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا عَطْفٌ عَلَى ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، كَأَنَّهُ قِيلَ:
هُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ وَحُورٍ عَيْنٍ^(١).

قوله: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾) أَي: الْمَسْتَوْرُ فِي الصَّدْفِ، لَمْ تَمْسُهِ الْأَيْدِي وَلَا الشَّمْسُ
وَالْهَوَاءُ. رَوَى: «أَنَّهُ يَسْطَعُ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: مَا هَذَا؟» فَيَقَالُ: ثَغْرُ حُورَاءٍ ضَحَكَتْ فِي وَجْهِ
زَوْجِهَا، وَيُرْوَى: «أَنَّ الْحُورَاءَ إِذَا مَشَتْ يُسْمَعُ تَقْدِيسُ الْخَلَائِلِ مِنْ سَاقِهَا، وَتَمْجِيدُ الْأَسُورَةِ
مِنْ سَاعِدِهَا، وَعَقْدُ الْيَاقُوتِ فِي نَحْرِهَا، وَفِي رِجْلِهَا نَعْلَانِ مِنْ ذَهَبٍ؛ شِرَاكُهُمَا مِنْ لَوْلُؤٍ، يَصِيحَانِ
بِالتَّسْبِيحِ»^(٢).

قوله: ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾) الْبَاءُ: سَبْعِيَّةٌ، وَ(مَا): مَصْدَرِيَّةٌ، أَوْ مَوْصُولَةٌ.
قوله: (لَكِنْ ﴿فِيْلًا﴾) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْإِسْتِثْنَاءَ مُنْقَطِعٌ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ السَّلَامَ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ
اللُّغُوِّ وَالتَّائِيَمِ.

(١) قَرَأَ حَمْزَةً وَالْكَسَائِيُّ بِخَفْضِ الْأَسْمِينِ، وَالباقون بالرفع، وَقِيلَ فِي تَوْجِيهِ الْجَرِّ أَيْضًا: إِنَّهُ عَطْفٌ عَلَى ﴿شُرَرٍ﴾؛ فَإِنَّ
النِّسَاءَ فِي مَعْنَى الْمَتَكَا؛ لِأَنَّهُنَّ يُسَمَّيْنَ فَرَاشًا. وَانْظُرْ «السَّرَاجُ الْمُنِيرُ» (١٨٤/٤).

(٢) انْظُرِ الْخَبْرَيْنِ فِي «تَفْسِيرِ الْبَغْوِيِّ» (١١/٨).

وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلِّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)

- بَدَلُ مِنْ ﴿قِيلًا﴾ - فَإِنَّهُمْ يَسْمَعُونَهُ .

(٢٧ - ٣٤) ﴿وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ﴾ : شَجَرِ النَّبِقِ ﴿مَخْضُودٍ﴾ : لَا شَوْكَ فِيهِ، ﴿وَطَلْحٍ﴾ : شَجَرِ الْمَوْزِ ﴿مَنْضُودٍ﴾ بِالْحَمَلِ مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى أَعْلَاهُ، ﴿وَظِلِّ مَمْدُودٍ﴾ : دَائِمٌ، ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ : جَارٍ دَائِمًا، ﴿وَفُكْهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ فِي زَمَنِ ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بِشْمَنِ،

حاشية الصاوي

قوله: (بدل من ﴿قِيلًا﴾) أي: أو نعت له، أو منصوب بـ﴿قِيلًا﴾ أي: إلا أن يقولوا: سلاماً سلاماً.

قوله: (فإنهم يسمعون) أي: من الله، والملائكة، وبعضهم بعضاً.

قوله: ﴿وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾ شروع في تفصيل ما أجمل من أوصافهم إثر تفصيل أوصاف السابقين.

قوله: ﴿فِي سِدْرٍ﴾ خبر ثانٍ عن قوله: ﴿وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ﴾.

قوله: ﴿مَخْضُودٍ﴾ من: خَضَدَ الشَّجَرُ: قَطَعَ شَوْكُهُ، من باب (ضرب).

روي: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَقْبَلَ يَوْمًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ شَجَرَةً مُّؤَذِّيَةً، وَمَا كُنْتُ أَرَى أَنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً تُؤَذِّي صَاحِبَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا هِيَ؟»، قَالَ: السِّدْرُ؛ فَإِنَّ لَهُ شَوْكًا مُّؤَذِّيًّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَلَيْسَ يَقُولُ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾؟»، خَضَدَ اللَّهُ شَوْكَهُ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثَمْرَةً؛ فَإِنَّهَا تُنْبِتُ ثَمْرًا عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا مِنَ الطَّعَامِ، مَا فِيهَا لَوْنٌ يُشَبِّهُ الْآخَرَ^(١). وَلَيْسَ ثَمَرُ الْجَنَّةِ فِي غُلَافٍ كَثَرِ الدُّنْيَا، بَلْ كُلُّهُ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ وَمَشْمُومٌ وَمَنْظُورٌ إِلَيْهِ.

قوله: (دائم) أي: لا تنسخه الشمس.

قوله: (جارٍ دائماً) أي: على وجه الأرض، ليس في حُفَرٍ.

قوله: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بِشْمَنِ الْأَوَّلَى أَنْ يَقُولَ: (بشيء)؛ لِيَشْمَلَ الْحَائِطَ وَالْبَابَ وَالشَّوْكَ وَنَحْوَ ذَلِكَ، وَالْمَعْنَى: لَا تُمْنَعُ عَنْ مَتَنَاوُلِهَا بِوَجْهِ مِنَ الْوُجُوهِ، بَلْ إِذَا اشْتَهَاها الْعَبْدُ.. دَنَتْ مِنْهُ حَتَّى يَأْخُذَهَا بِلا تَعَبٍ.

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (٧٤/٢)، وابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (١٠٥) عن سيدنا سُليمان بن عامر رضي الله عنه.

وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾

﴿وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ على السرر.

(٣٥ - ٤٠) ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ أي: الحُورُ الْعَيْنُ مِنْ غَيْرِ وَلَادَةٍ؛ ﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾: عَذَارَى كُلَّمَا أَتَاهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ وَجَدُوهُنَّ عَذَارَى وَلَا وَجَعَ، ﴿عُرُبًا﴾ - بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا - : جَمَعَ (عُرُوبٍ) وَهِيَ الْمُتَحَبِّبَةُ إِلَى زَوْجِهَا عِشْقًا لَهُ، ﴿أَتْرَابًا﴾: جَمَعَ (تَرَبٍّ) أَي: مُسْتَوِيَاتٍ فِي السَّنِّ، ﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.....

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَفُرْشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ على السرر) وقيل: مرفوعة: بعضها فوق بعض؛ لما ورد: «أن ارتفاعها كما بين السماء والأرض، مسيرة ما بينهما خمس مئة عام»^(١).

قوله: (أي: الحور العين من غير ولادة) أشار بذلك إلى أن الضمير في ﴿أَنشَأْنَهُنَّ﴾ عائد على الحور العين المفهومات مما سبق، وهذا أحد قولين، وقيل: هو عائد على نساء الدنيا، ومعنى ﴿أَنشَأْنَهُنَّ﴾: أعدنا إنشاءهن، ويؤيده: ما ورد: أن أم سلمة سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾، فقال: «يا أم سلمة؛ هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شُمطاً رُمصاً، جعلهن الله بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد في الاستواء، كلما أتاهن أزواجهن.. وجدوهن أبكاراً»^(٢)، فلما سمعت عائشة رسول الله ﷺ يقول ذلك.. قالت: واوجعاه، فقال رسول الله ﷺ: «ليس هناك وجع»^(٣)، ويصح عود الضمير على ما هو أعم من الحور العين ونساء الدنيا، وهو الأنسب بالأدلة.

قوله: (بضم الراء وسكونها) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٤).

قوله: (أي: مستويات في السن) أي: وهو ثلاث وثلاثون سنة؛ لما في الحديث: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مُرداً بيضاً مكحولين، أبناء ثلاثين - أو قال: ثلاث وثلاثين - على خلق آدم عليه

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضى الله عنه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٢٠/٢٣)، وروى الترمذي (٣٢٩٦) عن سيدنا أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾ قال: «إن من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عُمشاً رُمصاً».

(٣) رواه الثعلبي بسنده في «تفسيره» (٢١٠/٩) من حديث المسيب بن شريك.

(٤) قرأ حمزة وشعبة بسكون الراء، والباقون بضمها؛ ك: رُسُلٍ ورُسُلٍ، وفُرْشٍ وفُرْشٍ. انظر «السراج المنير» (١٨٧/٤).

ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ

- صلة ﴿أَنْشَأْتَهُنَّ﴾ أو ﴿جَعَلْنَاهُنَّ﴾ -، وَهُم ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾.
 (٤١ - ٤٨) ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ﴾: رِيحٌ حَارَّةٌ مِنَ النَّارِ تَنْفُذُ
 فِي الْمَسَامِ،

حاشية الصاوي

السلام، سِتُونَ ذِرَاعاً فِي سَبْعَةِ أَذْرَعٍ^(١)، وَرَوَى أَيْضاً: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ صَغِيرٍ
 أَوْ كَبِيرٍ.. يُرَدُّ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً فِي الْجَنَّةِ، لَا يُزَادُ عَلَيْهَا أَبَدًا»^(٢).

قوله: (صلة ﴿أَنْشَأْتَهُنَّ﴾) أي: مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنْشَأْنَاهُنَّ لِأَجْلِ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَيَصْحُ
 تَعَلُّقُهَا بِهِمْ ﴿أَنْشَأْتَهُنَّ﴾، وَالْمَعْنَى: جَعَلْنَاهُنَّ أَتْرَاباً - أي: مُسَاوِيَاتٍ - لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ فِي الطُّولِ وَالْعَرْضِ
 وَالْجَمَالِ؛ فَلَا تَتَخِيرُ^(٣) امْرَأَةٌ عَنْ رَجُلٍ فِي الْجَنَّةِ.

قوله: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾) خبرٌ لمَحذوفٍ، قَدَّرَهُ بِقَوْلِهِ: (وَهُم).

وَاخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِ(الْأَوَّلِينَ) وَ(الْآخِرِينَ)؛ فَقِيلَ: أَوَائِلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِ
 التَّابِعِينَ، وَأَوَاخِرُهُمْ مَنْ يَأْتِي بَعْدَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِ(الْأَوَّلِينَ): الْأُمَمُ السَّابِقَةُ،
 وَبِ(الْآخِرِينَ): هَذِهِ الْأُمَّةُ، فَالْخِلَافُ هُنَا نَظِيرُ مَا تَقَدَّمَ^(٤).

وَقَالَ فِيمَا سَبَقَ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وَقَالَ هُنَا: ﴿وَتِلْكَ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾؛ لِأَنَّ مَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِ
 السَّابِقِينَ، وَهُمْ فِي الْآخِرِينَ قَلِيلٌ، وَهُنَا فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ، وَهُمْ كَثِيرُونَ فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.
 قوله: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾... إلخ) شُرُوعٌ فِي ذِكْرِ بَعْضِ صِفَاتِ أَصْحَابِ الْمَشْأَمَةِ الْمُتَقَدِّمِ
 ذِكْرُهُمْ.

قوله: ﴿مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾) خبرٌ أول، وقوله: ﴿فِي سُمُومٍ﴾: خبرٌ ثانٍ.

قوله: (تَنْفُذُ فِي الْمَسَامِ) أي: تَدْخُلُ فِي أَعْمَاقِ أَبْدَانِهِمْ.

(١) رواه الإمام أحمد في «مُسْنَدِهِ» (٢/٢٩٥) عن سيدنا أبي هريرة ؓ، وبنحوه عند الترمذي (٢٥٤٥) عن سيدنا معاذ بن
 جبل ؓ.

(٢) رواه الترمذي (٢٥٦٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري ؓ، وفيه: (وكذلك أهل النار)، وقد شطب عليها في (أ).

(٣) في (أ): (فلا تنجبر).

(٤) انظر (٥٢٢/٦).

وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمِرٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ...

﴿وَحَمِيمٍ﴾: ماءٌ شديد الحرارة، ﴿وَظِلٍّ مِّنْ يَحْتُمِرٍ﴾: دُخَانٌ شَدِيدُ السَّوَادِ، ﴿لَا بَارِدٌ﴾ كغيره مِنَ الظَّلَالِ ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حَسَنِ الْمَنْظَرِ؛ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿مُتْرَفِينَ﴾: مُنْعَمِينَ لَا يَتَعَبُونَ فِي الطَّاعَةِ، ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾: الذَّنْبِ الْعَظِيمِ أَي: الشُّرْكِ، ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ - فِي الْهَمَزَتَيْنِ فِي الْمَوْضِعَيْنِ التَّحْقِيقُ وَتَسْهِيلُ الثَّانِيَةِ، وَإِدْخَالُ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهَيْنِ -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿وَحَمِيمٍ﴾﴾ أَي: يَطْلُبُونَهُ عِنْدَ اشْتِعَالِ السَّمُومِ فِي أَبْدَانِهِمْ، فَيَزِيدُ عَطَشَهُمْ، فَيُسْقَوْنَ مِنْ مَاءِ الْحَمِيمِ، فَتَقَطَّعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَمْعَاؤُهُمْ.

قوله: ﴿﴿مِّنْ يَحْتُمِرٍ﴾﴾ صفة أولى لـ(ظِلٍّ)، وقوله: ﴿﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٍ﴾﴾: صفة ثانية وثالثة له.

قوله: ﴿﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾﴾... إلخ) تعليلٌ لاستحقاقهم تلك العقوبة، ولم يذكر في أصحاب اليمين سببَ استحقاقهم الثواب؛ إشارةً إلى أَنَّ الثواب حاصلٌ من فضله تعالى، لا وجوباً عليه، فعدم ذكر سببه لا يُوهِمُ نقصاً، وأمَّا العقاب.. فمن عدله تعالى؛ فلو لم يذكر سببه.. لربَّما تُوهِّمُ الجورُ في حقِّه تعالى.

قوله: (لا يتعبون في الطاعة) أَي: تركُّوا الطاعات، واشتغلوا بالملاذِّ المحرَّمة، وأمَّا فعل الطاعات مع التَّنَعُّمِ بِالْمَلَأَدِّ الْحَلَالِ.. فلا ضررَ فيه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾ [الأعراف: ٣٢] الآية.

قوله: (وإدخال ألف بينهما على الوجهين) المناسب أن يقول: (وتركه)؛ ليكون منبهاً على أربع قراءات، وكلُّها سبعية، وهي: التحقيق، والتسهيل، مع الألف، ودونها^(١).

(١) قرأ قالون: (أثذا) بتحقيق الهمزة الأولى المفتوحة، وتسهيل الثانية المكسورة، وإدخال ألف بينهما، وكسر الميم من (ميتنا)، وهمزة واحدة مكسورة في (أثنا)، وقرأ ورش بتحقيق الأولى، وتسهيل الثانية، ولا إدخال بينهما، وكسر ميم (ميتنا)، وهمزة واحدة مكسورة في (أثنا) مع النُّقْلِ عَنْ أَصْلِهِ؛ وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالاستفهام فيهما مع تسهيل الثانية إلا أنَّ أبا عمرو يدخل بينهما ألفاً فيهما، وابن كثير لا يدخل ألفاً، وضماً ميم (ميتنا). انظر «السراج المنير» (١٩٠/٤).

أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الصَّالُّونَ لَلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالِثَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ

﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ - يَفْتَحُ الْوَائِلُ لِلْعُطْفِ وَالْهَمْزَةُ لِلِاسْتِفْهَامِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ وَفِي مَا قَبْلَهُ لِلِاسْتِبْعَادِ، وَفِي قِرَاءَةِ سُكُونِ الْوَائِلِ عَطْفًا بِ(أَوْ)، وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ مَحَلٌّ (إِنَّ) وَاسْمُهَا - .

(٤٩ - ٥٥) ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ ﴿٥٠﴾ لَوْقَتِ ﴿يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيْهَا الصَّالُّونَ لَلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا تَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ﴾ بَيَانٌ لِلشَّجَرِ، ﴿فَالِثَوْنَ مِنْهَا﴾: مِنَ الشَّجَرِ ﴿الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ أَي: الزُّقُومَ الْمَأْكُولَ حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (وهو في ذلك) أي: الاستفهام في هذا الموضع، وهو قوله: ﴿أَوْ ءَابَاؤُنَا﴾، وقوله: (وفيما قبله) أي: وهو قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾، ﴿أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (والمعطوف عليه) أي: على كلٍّ من القراءتين^(٢).

قوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ﴾... إلخ ردٌّ لِنِكَارِهِمْ وَاسْتِبْعَادِهِمْ.

قوله: (لوقت يوم) أي: فيه، وَضَمَّنَ (الجمع) معنى (السَّوْق) فَعَدَّاهُ بِ(إِلَى)، وَالْأَوَّلِينَ فَمُقْتَضَى الظَّاهِرُ تَعْدِيَّتُهُ بِ(فِي).

قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ عَطْفٌ عَلَى ﴿إِنَّ الْأَوَّلِينَ﴾، وَالْخَطَابُ لِأَهْلِ مَكَّةَ وَأَصْرَابِهِمْ.

قوله: ﴿مِّن زُقُومٍ﴾ هو أَخْبَثُ الشَّجَرِ، يَنْبُتُ فِي الدُّنْيَا بِتِهَامَةٍ، وَفِي الْآخِرَةِ فِي الْجَحِيمِ.

قوله: (بيان للشجر) أي: ف(من) بيانية، وَأَمَّا (مِن) الْأُولَى.. فهي لابتداء الغاية، أو زائدة.

قوله: (من الشجر) أي: وإنما أعاد الضمير عليه مؤنثاً؛ لِكُونِ الشَّجَرِ اسْمَ جَنْسٍ، يَجُوزُ تَذْكِيرُهُ وَتَأْنِيثُهُ.

(١) قرأ قالون وأبو جعفر وابن عامر بإسكان الواو، والباقون بفتحها. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٣١٢).

(٢) فمن فتح الواو جاز عنده في (أباؤنا) وجهان: أحدهما: أن يكون معطوفاً على محل (إن) واسمها، والثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في (لمبعوثون)، واستغنى بالفصل بهمزة الاستفهام، ومن سكنها.. تعيّن فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور؛ لعدم الفاصل. انظر «الدر المصون» (٢٩٦/٩).

مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرَبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا تَزَلُّمٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾
أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾

﴿مِنَ الْحَمِيمِ﴾ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرَبَ ﴿الْهَيْمِ﴾ - بفتح الشين وضمها مصدر - ﴿الْهَيْمِ﴾ : الإبل العطاش - جمع (هيمان) للذكر و(هيمى) للإنثى، ك(عطشان وعطشى) ..

﴿٥٦﴾ ﴿هَذَا تَزَلُّمٌ﴾ : ما أعدَّ لهم ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ : يوم القيامة .

﴿٥٧﴾ - ﴿٥٩﴾ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾ : أوجدناكم من عدم، ﴿فَلَوْلَا﴾ : هَلَا ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث؛ إذ القادر على الإنشاء قادرٌ على الإعادة؛ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ : تُرِيقُونَ مِنَ الْمَنِيِّ في أرحام النساء،

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَشَرِبُوا شَرَبَ الْهَيْمِ﴾ تفسيرٌ للشرب الأول، وفي الآية تنبيهٌ على كثرة شربهم من الحميم، وأنه لا ينفعهم، بل يزدادون به عذاباً .

قوله : (بفتح الشين وضمها) أي : فهما قراءتان سبعيتان^(١) .

قوله : (جمع «هيمان»... إلخ) هذا سبق قلم، والصواب أن يقول : (جمع «أهيم» و«هيماء»؛ لأنَّ (هيم) أصله (هيم) بضم الهاء بوزن : (حُمِر)، فُلبت الضمة كسرة؛ لتصحَّ الياء، و(حُمِر) جمعٌ لـ(أحمر) و(حَمراء)، والمعنى : يكونون في شربهم الحميم كالجمال أو الناقة التي أصابها الهيام، وهو داءٌ معطش، تشرب منه الإبل إلى أن تموت، أو تمرض مرضاً شديداً .

قوله : ﴿هَذَا تَزَلُّمٌ﴾ أي : ما ذكر من مأكولهم ومشروبهم . والنزُّل في الأصل : ما يهياً للضيف أوَّلُ قدومه من التَّحَف والكرامة، فتسميته نزلاً تهكُّم بهم .

قوله : (بالبعث) أي : بالإحياء بعد الموت .

قوله : ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾... إلخ احتجاجات على الكافرين المنكرين للبعث، والمعنى : أخبروني، فمفعولها الأول ﴿مَا تُمْنُونَ﴾، والثاني : الجملة الاستفهامية .

قوله : ﴿مَا تُمْنُونَ﴾ بضمَّ التاء في قراءة العامة، من : (أَمْنَى يُمْنِي)، وقرئ شذوذاً بفتحها، من : (مَنْى يُمْنِي) بمعنى : صبَّ، والمعنى : أخبروني الماء الذي تَقْدِفُونَهُ وَتَصُبُّونَهُ في الرحم؛ أنتم تخلقونه... إلخ؟ .

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة بضمَّ الشين، والباقون بفتحها . انظر «السراج المنير» (٤/١٩١) .

ءَأَنْتَ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾

﴿ءَأَنْتَ﴾ - بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المُسَهَّلَة والأخرى وتركه في المواضع الأربعة - ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: المني بشراً ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾؟

(٦٠ - ٦١) ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا﴾ - بالتشديد والتخفيف - ﴿بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾:

بِعَاجِزِينَ،
حاشية الصاوي

قوله: (بتحقيق الهمزتين) في كلامه تنبيه على أربع قراءات سبعيات، مع أنها خمس؛ وذلك لأن التحقيق إما مع إدخال ألف بينهما ممدودة مدّاً طبعياً، أو بدونها، والتسهيل كذلك، وإبدال الثانية ألفاً ممدودة مدّاً لازماً، وقوله: (في المواضع الأربعة) أي: هذا وقوله بعد: ﴿ءَأَنْتَ تَزْعُمُونَ﴾، ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمَازِنِ﴾، ﴿ءَأَنْتَ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾^(١).

قوله: ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ (أم) منقطعة؛ لأن ما بعدها جملة، والمتصلة إنما تعطف المفردات، وحيثئذ: فيكون الكلام مُشْتَمِلاً على استفهامين: الأول: ﴿ءَأَنْتَ تَخْلُقُونَهُ﴾، وهو إنكاري، وجوابه: (لا)، والثاني: مأخوذ من (أم) إن قُدِّرَتْ بـ(بل) والهمزة، أو بالهمزة وحدها، ويكون تقريراً^(٢)، ويحتمل أن تكون مُتَّصِلَةً؛ وذلك لأنها عطف المفرد وهو (نحن)، والإتيان بالخبر زيادة تأكيد^(٣).

قوله: ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ أي: حَكَمْنَا به وقضيناه على كلِّ مخلوق؛ فلا يستطيع أحدٌ تغيير ما قَدَرْنَا.

قوله: (بالتشديد والتخفيف) أي: فهما قراءتان سبعيتان^(٤).

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بخلاف عن هشام، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، ولم يُدْخِلْ بينهما ورش وابن كثير، ولورش وجه ثان، وهو إبدال الثانية ألفاً، والباقون بتحقيقهما مع عدم الإدخال بينهما. انظر المرجع السابق.

(٢) أي: بل أنحن الخالقون؟ وجوابه: (نعم).

(٣) إذ لو قال: (أم نحن). . لاكتفي به دون الخبر، ونظير ذلك جواب مَنْ قال: مَنْ فِي الدَّارِ؟ زيد في الدار، أو: زيد فيها، ولو اقتصر على (زيد). . لكان كافياً، ويُؤيد كونها متصلة: أَنَّ الْكَلَامَ يَقْتَضِي تَأْوِيلَهُ: أَيُّ الْأَمْرَيْنِ وَقَعَ؟ وإذا صلح ذلك. . كانت مُتَّصِلَةً؛ إذ الجملة بتأويل المفرد. انظر «الدر المصون» (١٠/٢١٤).

(٤) قرأ ابن كثير بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. انظر «السراج المنير» (٤/١٩٢).

عَلَىٰ أَنْ يُبْدَلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ

﴿عَلَىٰ﴾: عن ﴿أَنْ يُبْدَلَ﴾: نَجْعَلُ ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُنْشِئَكُمْ﴾: نَخْلُقُكُمْ ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصُّور كالقِرْدَةِ والخَنَازِيرِ.

﴿٦٢﴾ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ - وفي قِرَاءَةِ بِسُكُونِ الشَّيْنِ - ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ - فيه إدغامُ التَّاءِ الثَّانِيَةِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ ..

﴿٦٣﴾ - ﴿٦٧﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾: تُثِيرُونَ فِي الْأَرْضِ وَتُلْقُونَ الْبَذَرَ فِيهَا، ﴿ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تُنْبِتُونَهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبْدَلَ أَمْثَلَكُمْ﴾ يصحُّ تعلُّقه بـ (مسبوقين) أي: لم يُعجزنا أحدٌ على تبديلنا أمثالكُم، أو بـ ﴿قَدَّرْنَا﴾، والمعنى: قَدَّرْنَا بينكم الموت على أن نُؤمِتَ طائفةً، ونجعل مكانها أخرى. و﴿أَمْثَلَكُمْ﴾: إمَّا جمع (مِثْلٍ) بكسر فسكون، والمعنى: نحن قادرون على أن نعدمكم، ونخلق أقواماً آخرين أمثالكُم، أو جمع (مَثَلٍ) بفتح حين؛ بمعنى: الصفة، والمعنى: نحن قادرون على أن نغيّر صفاتكم، وننشئكم في صفاتٍ أخرى غيرها.

قوله: ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مَا﴾: موصولة، وحينئذٍ: فتكتب مفعولةً من حرف الجرِّ. والمعنى: نخلقكم في صورٍ لا علم لكم بها.

قوله: ﴿النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ﴾ أي: الترابية لأبيكم آدم، واللحمية لأُمِّكم حواء، والنطفية لكم، ولا شكَّ أنَّ كلاً منها تحويلٌ من شيءٍ إلى غيره.

قوله: (وفي قِرَاءَةٍ) أي: وهي سبعة أيضاً^(١).

قوله: (تُثِيرُونَ الْأَرْضَ... إلخ) إنما فُسِّرَ (الحرث) بمجموع الأمرين؛ مراعاةً لمعناه اللغوي، ولأنَّ الشَّانَ أَنَّ البذر يكون معه إثارة أرضٍ، والمناسب هنا تفسيره بـ (البذر)، والمعنى: أفرايتم البذر التي تُلْقُونَهُ فِي الطِّينِ؛ أَنْتُمْ تُنْبِتُونَهُ... إلخ؟.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: (النَّشْأَةُ) بفتح الشين، وبعدها ألف قبل الهمزة، والباقيون بسكونها، ولا ألف بعدها، فإذا وقف حمزة.. نقل حركة الهمزة إلى الشين. انظر المرجع السابق.

أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا: نباتاً يابساً لا حَبَّ فِيهِ ﴿فَظَلْتُمْ﴾ - أصله: ظَلَلْتُمْ بِكسر اللام حُذِفَتْ تَخْفِيفاً - أي: أَقَمْتُمْ نَهَاراً ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ - حُذِفَتْ مِنْهُ إِحْدَى التَّاءَيْنِ فِي الْأَصْلِ -: تَعَجَّبُونَ مِنْ ذَلِكَ وَتَقُولُونَ: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ نَفَقَةً زَرَعْنَا، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: مَمْنُوعُونَ رِزْقَنَا.

(٦٨ - ٧٠) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ: السَّحَابِ جَمْع (مُزْنَةٍ) ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَجَاًا: مِلْحاً لَا يُمَكِّنُ شُرْبَهُ، ﴿فَلَوْلَا﴾: فَهَلَا ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

حاشية الصاوي

قوله: (نباتاً يابساً لا حَبَّ فِيهِ) أي: وقيل: هشيماً لَا يَنْتَفِعُ بِهِ فِي مَطْعَمِ آدَمِيٍّ وَلَا غَيْرُهُ.
قوله: ﴿تَفَكَّهُونَ﴾) هو فِي الْأَصْلِ: مِنْ (التَّفَكُّهِ)، وَهُوَ إِلقاءُ الْفَاكِهِةِ مِنَ الْيَدِ، وَهُوَ لَا يَكُونُ مِنَ الشَّخْصِ إِلَّا عِنْدَ إِصَابَةِ الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ، فَقَوْلُهُ: (تَعَجَّبُونَ) أي: مِنْ غَرَابَةِ مَا نَزَلَ بِكُمْ، تَفْسِيرٌ بِاللَّازِمِ.

قوله: (وتقولون: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾) أشار بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ مَقُولٌ لِقَوْلٍ مَحْذُوفٍ، حَالٌ، تَقْدِيرُهُ: فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ قَائِلِينَ: إِنَّا لَمَغْرُمُونَ؛ أي: لَمُلْزَمُونَ غَرَامَةً مَا أَنْفَقْنَا، أَوْ مُهْلِكُونَ بِسَبَبِ هَلَاكِ رِزْقِنَا.

قوله: ﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾) هُوَ بِالضَّمِّ: السَّحَابُ مُطْلَقاً كَمَا قَالَ الْمَفْسِّرُ، أَوِ الْمُرَادُ بِهِ: أْبْيَضُهُ، أَوِ الْمَحْتَوِي عَلَى الْمَاءِ.

قوله: ﴿لَجَعَلْنَاهُ أَجَاًا﴾) حَذَفَتْ اللَّامُ هُنَا؛ لِعَدَمِ الْاِحْتِيَاجِ إِلَى التَّأَكِيدِ؛ إِذْ لَا يُتَوَهَّمُ مِلْكُ السَّحَابِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، بِخِلَافِ الزَّرْعِ وَالْأَرْضِ؛ فَفِي ذَلِكَ شَائِبَةٌ مِلْكٍ، فَاتَى فِي جَانِبِهِ بِالْمُؤَكَّدِ، وَهُوَ اللَّامُ.

قوله: (لا يُمَكِّنُ شُرْبَهُ) أي: وَلَا انْتِفَاعُ الزَّرْعِ بِهِ.

أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً
وَمَتْنًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾

(٧١ - ٧٤) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تُخْرِجُونَ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ، ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ كَالْمَرْخِ وَالْعَفَّارِ وَالْكَلَخِ ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لِإِنَارِ جَهَنَّمَ ﴿وَمَتْنًا﴾: بُلْغَةً ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾: لِلْمُسَافِرِينَ، مِنْ (أَقْوَى الْقَوْمِ) أَي: صَارُوا بِالْقَوَى - بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ - أَي: الْقَفْرِ، وَهُوَ مَفَازَةٌ لَا نَبَاتَ فِيهَا وَلَا مَاءً،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّتِي تُورُونَ﴾ (من: (أوريت الزُّنْد): قَدَحَتَهُ لِيُتَسَخَّرَ نَارُهُ، وَأَصْلُهُ: (تُورِيُونَ)، اسْتَقْلَتِ الضِّمَّةُ عَلَى الْيَاءِ، فَحَذَفَتْ، فَالْتَقَى سَاكِنَانِ، حَذَفَتْ الْيَاءَ لِاتِّقَائِهِمَا، وَقَلَبَتْ الْكسرة ضَمَّةً؛ لِمُنَاسَبَةِ الْوَاوِ.

قوله: (من الشجر الأخضر) أي: أو من غيره، وإنما اقتصر على الشجر الأخضر؛ لِكُونِهِ أَعْظَمَ وَأَبْهَرَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى عِظَمَةِ اللَّهِ، وَبَاهِرٍ قُدْرَتِهِ.

قوله: (كَالْمَرْخِ وَالْعَفَّارِ) تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي سُورَةِ (يَس) ^(١)، وَأَمَّا الْكَلَخُ.. فَهُوَ مَعْرُوفٌ فِي بَعْضِ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ، يُؤْخَذُ مِنْهُ قِطْعَتَانِ، وَتَضْرِبُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، فَتُخْرِجُ النَّارَ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا مِنْ شَجَرٍ وَلَا عُودٍ إِلَّا وَفِيهِ النَّارُ سِوَى الْعُنَّابِ ^(٢).

قوله: (المسافرين) أي: وَخُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ مَنَفْعَتَهُمْ بِهَا أَكْثَرُ مِنَ الْمُقِيمِينَ؛ فَإِنَّهُمْ يُوقِدُونَهَا بِاللَّيْلِ؛ لَتَهْرَبَ السَّبَاعُ، وَيَهْتَدِيَ الضَّالُّ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ.

قوله: (من: أَقْوَى الْقَوْمِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِ(الْمُقْوِينَ): الْمَسَافِرُونَ، وَأَنَّهُ مَاخُودٌ مِنْ: أَقْوَى الْقَوْمِ: إِذَا صَارُوا بِالْقَوَى، وَهِيَ الْأَرْضُ الْخَالِيَةُ مِنَ السَّكَّانِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمْ: مَا هُوَ أَعْمٌ؛ لِأَنَّ الْمُقْوَى مِنَ الْأَضْدَادِ، يُقَالُ لِلْفَقِيرِ: (مُقْوِي) لَخُلُوهُ مِنَ الْمَالِ، وَلِلْغَنِيِّ: لِقَوَّتِهِ عَلَى مَا يُرِيدُ، وَالْمَعْنَى: جَعَلْنَاهَا مَتَاعًا وَمَنْفَعَةً لِلْأَغْنِيَاءِ وَالْفُقَرَاءِ، الْمَسَافِرِينَ وَالْحَاضِرِينَ، فَلَا غَنَى لِأَحَدٍ عَنْهَا.

قوله: (بالقصر والمد) أي: مع كسر القاف فيهما.

(١) انظر (٥/٤٨٠)، وَكَيْفِيَّةُ إِيقَادِ النَّارِ مِنْهُمَا: أَنْ يُجْعَلَ الْعَفَّارُ كَالزُّنْدِ يُضْرَبُ بِهِ عَلَى الْمَرْخِ، وَقِيلَ: يُؤْخَذُ مِنْهُمَا عُصْنَانِ خَضِرَاوَانِ، وَيُسَحَّقُ الْمَرْخُ عَلَى الْعَفَّارِ، فَتُخْرِجُ مِنْهُمَا النَّارُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

(٢) انظر «الكشاف» (٤/٣٣).

فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾

﴿فَسَبِّحْ﴾: نَزَّةٌ ﴿بِاسْمِ﴾ - زَائِدٌ - ﴿رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله.

﴿٧٥﴾ - ﴿٨٠﴾ ﴿فَلَا أَقْسَمُ﴾ - (لا) زَائِدَةٌ - ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾: بِمَسَاقِطِهَا لِغُرُوبِهَا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ مُفْرَعٌ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، والمعنى: اذْعُ الخلق إلى توحيد الله وطاعته، ووضّح لهم الأمر بما تَقَدَّمَ، فإن لم يَهْتَدُوا.. فارجع إلى ربِّك، وسبِّحه، ولا تَلْتَفِتْ لغيره، والمراد: نَزَّهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ؛ سواء كان بخصوص: (سبحان الله)، أو بغيره من بَقِيَّةِ الأذكار.

قوله: (زائد) أي: لفظ (اسم) زائدٌ، والمعنى: سَبِّحْ رَبِّكَ. و(سَبِّح) يتعدَّى بنفسه وبالباء، وما مشى عليه المفسّر من زيادة لفظ (اسم) أحدُ قولين، والآخر: أنه ليس زائداً، بل كما يجب تعظيم الذات وتنزيهها عن النقائص.. كذلك يجب تعظيم الاسم وتنزيهه عن النقائص؛ ولذا قال الفقهاء: مَنْ وَجَدَ اسمَ الله تعالى مكتوباً في ورقةٍ وموضوعاً في قَدْرٍ وتركه.. فقد كفر؛ وذلك لأنَّ التهاوُنَ بأسماء الله كالتهاون بذاته؛ لأنَّ الاسم دالٌّ على المسمّى، وهذا هو الاتِّمُّ.

فائدة:

أثبتوا في الخط ألفَ (اسم) هنا، وحذفوها من البسملة؛ لكثرة دَوْرانِ البسملة في الكلام، دُونَ ما هنا.

قوله: «(لا) زائدة» أي: للتأكيد؛ لأنَّ المقصودَ الْقَسَمَ، وهذا أحدُ أقوال فيها، وقيل: هي لام الابتداء دخلت على مبتدأ محذوف، تقديره: أنا أقسم، حذف المبتدأ، فاتصلت بخبره^(١)، وقيل: هي نافيةٌ، ومنفيُّها محذوفٌ، تقديره: فلا يصح قول المشركين فيك وفي قرآنك، وقوله: (أقسم... إلخ) جملة مستأنفة؛ تسليّة له ﷺ.

قوله: (بمساقطها لغروبها) هذا قول قتادة، وقيل: هو منازلها، وقيل: المراد بـ(مواقع النجوم): نزول القرآن نجوماً؛ فإنَّ الله تعالى أنزله من اللوح المحفوظ من السماء العلّيا إلى السفرة الكاتيبين جملةً واحدةً، ونجّمه السفرة على جبريل، وهو على محمّد في عشرين سنة.

(١) والتقدير: فلانا أقسم، وإنما قدّر المبتدأ؛ لأنَّ لام الابتداء لا تدخل على الجملة الفعلية، ولا يصح أن تكون لام القسم؛ لأنَّ حقّه أن يؤكّد بالنون. انظر «حاشية الشهاب على اليبصري» (١٤٧/٨).

وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ أي: لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم، ﴿إِنَّهُ﴾ أي: المثلُّو عليكم ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ في كِتَابٍ: مكتوب ﴿مَّكْنُونٍ﴾: مضمون وهو المصحف، ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ - خبر بمعنى النهي -

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه الجملة معترضة بين القسم وجوابه، وفي أثنائها جملة معترضة بين الصفة والموصوف وهي قوله: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾، وليس هذا من باب الاعتراض بأكثر من جملة؛ لأنَّ الجملتين في حكم جملة واحدة.

قوله: (أي: لو كنتم... إلخ) أشار بذلك إلى أنَّ جواب (لو) محذوف، وإلى أنَّ الفعل مُنَزَّل منزلة اللازم.

قوله: (لَعَلَّمْتُمْ عِظَمَ هذا القسم) أي: لما فيه من الدلالة على عظيم القدرة، وكمال الحكمة، ولأنَّ آخر الليل الذي هو وقت تساقط النجوم محلُّ الرَّحْمَاتِ والعطايا الربانيَّة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَلَيْلٍ فَسَيَّحَهُ وَيَدْبُرُ النُّجُومَ﴾ [الطور: ٤٩].

قوله: ﴿لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ أي: كثير النفع، وُصِفَ بالكرم؛ لاشتماله على خير الدين والدنيا والآخرة، ففيه مزيدُ البيان والنور والاهتداء، فكلُّ عالمٍ يطلب أصلَ علمه منه؛ من معقولٍ ومنقولٍ. قوله: (مضمون) أي: من التغيير والتبديل؛ فلا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قوله: (وهو المصحف) أي: وقيل: هو اللوح المحفوظ، وعليه: فمعنى ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾: لا يطلع عليه إلا الملائكة المطهرون من الأقدار المعنوية، ولا يكون في الآية دليلٌ لنهي المحدث عن مسِّ المصحف.

قوله: (خبرٌ بمعنى النهي) أي: فأطلق الخبر، وأريد النهي، وإلا... فلو أُبْقِيَ على خبريته... لزم عليه الخلف في خبره تعالى؛ لأنه كثيراً ما يمسُّ بدون طهارة، والخلف في خبره تعالى محال، وما مشى عليه المفسر أحد وجهين، والآخر: أنَّ (لا) ناهية، والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام، وإنما حرَّك بالضم؛ إتياعاً لحركة الهاء.

إِلَّا الْمَطْهُرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَئِنَّمَا الْحَدِيثُ أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾

﴿إِلَّا الْمَطْهُرُونَ﴾: الذين طهروا أنفسهم من الأحداث، ﴿تَنْزِيلٌ﴾: مُنْزَلٌ ﴿مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٨١ - ٨٢) ﴿أَفَئِنَّمَا الْحَدِيثُ﴾: القرآن ﴿أَنْتُمْ مُذْهِبُونَ﴾: مُتَهَاوِنُونَ مُكَذِّبُونَ، ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ من المطر أي: شُكْرَهُ ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ بِسُقْيَا اللَّهِ حَيْثُ قُلْتُمْ: مُطْرُنَا بِنَوْءٍ كَذَا.
(٨٢ - ٨٣) ﴿فَلَوْلَا﴾: فَهَلَا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الرُّوحُ وَقْتَ النَّزْعِ ﴿الْحُلُقُومِ﴾ هو مَجْرَى

حاشية الصاوي

إن قُلت: : إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبيّة؛ فإن قوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صفة رابعة لـ(قرآن).

وأجيب: بأنه لا يتعيّن أن يكون صفة؛ لجواز جعله خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: وهو تنزيلٌ.

قوله: (منزل) أشار بذلك إلى أنّ المصدرَ بمعنى اسم المفعول.

قوله: ﴿أَفَئِنَّمَا الْحَدِيثُ﴾... إلخ الاستفهام توييخي، والمعنى: لا يليق منكم ذلك.

قوله: ﴿مُذْهِبُونَ﴾ الإِذْهَانُ في الأصل: جعلُ الشيء مدهوناً بالدَّهْنِ؛ لِيَلِين وَيَحْسَن، أُطلق وأريد به اللين الظاهري الذي هو النِّفَاق؛ ولذا سميت المداراة والملاينة مُدَاهِنَةً، فَالدَّهْنُ^(١) هو الذي ظاهره يخالف باطنه، والمراد به هنا: الكفر مطلقاً؛ كما أفاده المفسر.

قوله: (بسُقْيَا الله) مصدرٌ مضافٌ لفاعله.

قوله: (حيث قُلْتُمْ: «مُطْرُنَا... إلخ») أي: وقائل ذلك كافرٌ إن اعتقد تأثير الكوكب في المطر، وعاصٍ إن لم يعتقده.

قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ﴾... إلخ الظرف متعلق بـ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ مقدّم عليه، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ جِيئَ بِكُمْ﴾... إلخ: جملة حاليّة من فاعل ﴿بَلَغَتِ﴾، وكذا قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾.

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (والمُدْهِنُ)، وعبارة القرطبي في «تفسيره» (٢٢٧/١٧): (والمدهن: الذي ظاهره خلاف باطنه، كأنه شبّه بالدَّهْنِ في سهولة ظاهره).

وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾

الطَّعام، ﴿وَأَنْتُمْ﴾ يا حاضري الميت ﴿حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ﴾ إليه، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ﴾ بِالْعِلْمِ ﴿وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ مِنَ الْبَصِيرَةِ، أَي: لَا تَعْلَمُونَ ذَلِكَ.

(٨٦ - ٨٧) ﴿فَلَوْلَا﴾: فَهَلَا ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: مَجْزِيَّينَ بِأَنْ تُبْعَثُوا أَي: غَيْرَ مَبْعُوثِينَ بِزَعْمِكُمْ، ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: تَرْدُّونَ الرُّوحَ إِلَى الْجَسَدِ بَعْدَ بُلُوغِ الْحُلُقُومِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِيمَا زَعَمْتُمْ، - (لَوْلَا) الثَّانِيَّةُ تَأْكِيدٌ لِلأُولَى، وَ(إِذَا) ظَرْفٌ لـ(تَرْجِعُونَ) الْمُتَعَلِّقُ بِهِ الشَّرْطَانِ -، وَالْمَعْنَى: هَلَّا تَرْجِعُونَهَا إِنْ نَفَيْتُمْ الْبَعْثَ صَادِقِينَ فِي نَفِيهِ، أَي: لِيَنْتَفِيَّ عَنْ مَحَلِّهَا الْمَوْتِ كَالْبَعْثِ.

حاشية الصاوي

قوله: (من البصيرة) أي: أو من البصر، والمعنى: لا تُبْصِرُونَ أَعْوَانُ مَلِكِ الْمَوْتِ. وَرَدَ: «أَنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ لَهُ أَعْوَانٌ يَقْطَعُونَ الْعُرُوقَ، وَيَجْمَعُونَ الرُّوحَ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَنْتَهَوْا بِهَا إِلَى الْحُلُقُومِ، فَيَتَوَفَّاهَا مَلِكُ الْمَوْتِ»^(١).

قوله: (مجزيين) أي: فـ﴿مَدِينِينَ﴾ من: الدِّينِ بِمَعْنَى: الْجَزَاءِ، وَقَوْلُهُ: (غَيْرَ مَبْعُوثِينَ) تَفْسِيرٌ لِلْمَرَادِ هُنَا.

قوله: («فلولا» الثانية) أي: التي في قوله: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾.

قوله: (تأكيد) أي: لفظي، وقوله: (للأولى) أي: التي في قوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ﴾^(٢).

قوله: (المتعلق به الشرطان) أي: وهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وَمَعْنَى تَعَلُّقِهِمَا بِهِ: أَنَّهُ جَزَاءٌ لِكُلِّ مِنْهُمَا.

قوله: (والمعنى: هَلَّا... إلخ) أي: فهي للطلب، والمعنى: ارجعونها^(٣).

قوله: (إِنْ نَفَيْتُمْ الْبَعْثَ) هَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ، وَقَوْلُهُ: (صَادِقِينَ فِي نَفِيهِ) هُوَ الشَّرْطُ الثَّانِي.

قوله: (لينتفي... إلخ) عِلَّةٌ لِلْجَزَاءِ، وَقَوْلُهُ: (عَنْ مَحَلِّهَا) أَي: الَّذِي هُوَ الْجَسَدُ، وَالْمَعْنَى:

(١) أوردته القرطبي في «تفسيره» (٢٣١/١٧).

(٢) فيكون ترتيب الآية: فلولا فلولا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدنيين. انظر «الكشاف» (٤/٤٦٨).

(٣) كذا في الأصول، ولعله سبق قلم، والصواب: (ارجعوها).

فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَكَ

(٨٨ - ٩٤) ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ الميثُ ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ﴾ أي: فله استراحةٌ ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رِزْقٌ حَسَنٌ ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ - وهل الجواب لِـ (أَمَّا) أو لِـ (إِنْ) أو لهُمَا؟ أقوالٌ.. ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ ﴿٩٠﴾ فَسَلَمٌ لَكَ﴾ أي: له السَّلامةُ مِنَ الْعَذَابِ

حاشية الصاوي

إِنْ صَدَقْتُمْ فِي نَفِي الْبَعْثِ.. فَرُدُّوا رُوحَ الْمُحْتَضَرِّ إِلَى جَسَدِهِ؛ لِيَتَنَفَّيَ عَنْهُ الْمَوْتُ؛ فَيَتَنَفَّيَ الْبَعْثُ الَّذِي تُنْكِرُونَهُ؛ لِتَرْتَّبَهُ عَلَى الْمَوْتِ.

قوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾... إلخ) شُرُوعٌ فِي بَيَانِ حَالِ الْمَتَوَفَّى بَعْدَ الْمَمَاتِ إِنْ بَيَّنَّ حَالَهُ عِنْدَهُ.

قوله: ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (أي: وَهُمْ الْمَعْبَرُ عَنْهُمْ فِيمَا سَبَقَ بِالسَّابِقِينَ.

قوله: ﴿فَرَوْحٌ﴾ (بفتح الراء في قراءة العامة، وقرئ شذوذاً بضمها، ومعناها: الرحمة^(١)).

قوله: (أي: فله) أشار بذلك إلى أَنَّ (روح) مبتدأ، خبره محذوف.

قوله: ﴿وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ (ترسم هنا بالتاء المجرورة، والوقف عليها إمَّا بالهاء أو التاء، وفي ذكر الجنة عَقِبَ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ إِشْعَارٌ بِأَنَّ مَحَلَّ ذَلِكَ هُوَ الْجَنَّةُ.

قوله: (وهل الجواب لِـ (أَمَّا) أي: وجوابُ (إِنْ) محذوف؛ لِدَلَالَةِ الْمَذْكُورِ عَلَيْهِ، وَهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ؛ لِأَنَّهُ عُمِدَ حَذْفِ جَوَابِ (إِنْ) كَثِيرًا.

قوله: ﴿فَسَلَمٌ لَكَ﴾ (أي: يَا صَاحِبَ الْيَمِينِ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ فِيهِهِ التَّفَاتُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخُطَابِ تَعْظِيمًا لِصَاحِبِ الْيَمِينِ^(٢)).

قوله: (أي: له السلامة) أشارَ بِهَذَا إِلَى أَنَّ (السلام) بِمَعْنَى (السلامة)، وَهُوَ خِلَافُ مَا قُلْنَا، فَهَمَا تَفْسِيرَانِ.

(١) وبها قرأ ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة في جماعة كثيرة، وتروى عن النبي ﷺ، قال الحسن: الروح: الرحمة؛ لأنها كالحياة للمرحوم. انظر «الدر المصون» (٢٣١/١٠).

(٢) يعني أنه التفاتٌ بتقدير القول، و(من) للابتداء كما يقال: سلامٌ من فلان على فلان؛ أي: يقال له: سلام لك من إخوانك الذين يُسلمون عليك بإرسال التحية لك. انظر «حاشية الشهاب على البيضاوي» (١٥٠/٨).

مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ ﴿٩٢﴾ فَتُرْزَلُ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ مِنْهُمْ، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الصَّالِينَ﴾ تُرْزَلُ مِنْ حِمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ.

﴿٩٥ - ٩٦﴾ ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ - مِنْ إِضَافَةِ الْمَوْصُوفِ إِلَى صِفَتِهِ -، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ تَقَدَّمَ.



حاشية الصاوي

قوله: (من جهة أنه منهم) أشار به إلى أن (من) تعليلية؛ أي: من أجل أنه منهم.

قوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ﴾ لم يقل: (وأما إن كان من أصحاب الشمال)؛ تبكيئاً عليهم، وإشعاراً بالأفعال التي أوجبت لهم هذا العذاب.

قوله: ﴿فَتُرْزَلُ﴾ مبتدأ، خبره محذوف؛ أي: له نُزْلٌ من حميم، والمعنى: أنه يشربه بعد أكل الزقوم، وسمي نُزْلاً؛ تهكماً بهم.

قوله: ﴿وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ﴾ أي: احتراق بها.

قوله: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: ما ذكر من قِصَّةِ المحتضرين، أو: ما قصصناه عليك في هذه السورة.

قوله: (تقدّم) الذي تقدّم في كلامه: أن (سبح) بمعنى (نزه)، وأن لفظ (اسم) زائد، وتقدّم لنا القول بعدم زيادته ووجهه، وأنه الأولى.

و﴿الْعَظِيمِ﴾ يصح أن يكون صفة للاسم، وأن يكون صفة لـ ﴿رَبِّكَ﴾؛ لأنّ كلّاً منهما مجرور.

وفي ذكر لفظ التسبيح في آخر هذه السورة شِدَّةُ مناسبة لما بعدها من التسابيح، كأنّ الله تعالى يقول: سُبِّحْ باسم ربك؛ لأنه سُبِّحَ له ما في السماوات والأرض، والله أعلم بأسرار كتابه.



﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾



مَكِّيَّةٌ أَوْ مَدَنِيَّةٌ، تَسْعُ وَعِشْرُونَ آيَةً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: نَزَّهَهُ كُلُّ شَيْءٍ،

حَاشِيَةُ الصَّاوِي

سُورَةُ الْحَادِثِ الْآيَةِ

سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِذِكْرِ الْحَدِيدِ فِيهَا، مِنْ بَابٍ: تَسْمِيَةِ الْكُلِّ بِاسْمِ بَعْضِهِ، عَلَى حُكْمِ عَادَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

قَوْلُهُ: (مَكِّيَّةٌ) أَي: لَمَّا قِيلَ: إِنَّ سَبَبَ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أُخْتِهِ، وَكَانَتْ أَسْلَمَتْ قَبْلَهُ، فَوُجِدَ أَوَائِلُ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مَكْتُوبًا فِي صَحِيفَةٍ، فَأَسْلَمَ ^(١).

قَوْلُهُ: (أَوْ مَدَنِيَّةٌ) وَهُوَ لَابْنُ عَبَّاسٍ، وَعَلِيهِ الْجُمْهُورُ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (إِنَّهَا مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ) ^(٢)، وَإِسْلَامُ عُمَرَ كَانَ بِأَوَائِلِ (طِه) ^(٣)، وَعَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ كَانَ بِأَوَائِلِ هَذِهِ السُّورَةِ. . فَتُسْتَنَى هَذِهِ الْآيَاتُ مِنَ الْقَوْلِ بِأَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ.

قَوْلُهُ: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ عَبَّرَ هُنَا فِي (الْحَشْرِ) وَ(الْصَّفِّ) بِالْمَاضِي، وَفِي (الْجُمُعَةِ) وَ(التَّغَابُنِ) بِالْمُضَارِعِ، وَفِي (الْأَعْلَى) بِالْأَمْرِ، وَفِي (الْإِسْرَاءِ) بِالْمَصْدَرِ؛ إِشْعَارًا بِأَنَّ التَّسْبِيحَ مَطْلُوبٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَصَدَّرَ بِالْمَصْدَرِ؛ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ تَنْزِيهِه تَعَالَى مَطْلُوقٌ لَا يَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ وَلَا مَكَانٍ،

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (٢/٢١٦)، وَانْظُرْ «سُبُلَ الْهُدَى وَالرَّشَادِ» لِلْعَلَامَةِ الشَّامِيِّ (٢/٢٧٠).

(٢) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٧/٢٣٩).

(٣) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ» (ص ٢٧٩)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (٢/٢١٩).

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾

- فَاللَّامُ مَزِيدَةٌ - وَجِيءَ بِـ (مَا) ذُونِ (مَنْ) تَغْلِيْبًا لِلْأَكْثَرِ، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ.

حاشية الصاوي

ولا بفاعل مُعين، كما أنَّ المصدر مطلق من الفاعل والزمان، ثمَّ بالماضي؛ لتقدُّم زمنه، ثمَّ بالمضارع لِشُمُولِهِ لِلْحَالِ وَالْإِسْتِقْبَالِ، ثمَّ بالأمر؛ لتأكيد الحثِّ على طلبه من الشخص، فكأنه قال: حيث عَلِمْتَ أيها الشخص أنَّ رَبَّكَ مُنَزَّهٌ تَنْزِيْهًا مُطْلَقًا، وَسَبَّحَهُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَاسْتَمَرُّوا عَلَى تَسْبِيحِهِ.. فعليك بالاشتغال به.

والتسبيح: تنزيه المولى عن كلِّ ما لا يليق به قولاً وفعلاً واعتقاداً، مِنْ: سَبَّحَ فِي الْأَرْضِ وَالْمَاءِ: ذَهَبَ وَأَبْعَدَ فِيهِمَا.

إِنْ قُلْتَ: إِنَّ (سَبَّحَ) مُتَعَدِّ بِنَفْسِهِ، فَمَا وَجْهُ الْإِثْبَاتِ بِاللَّامِ؟

أَجِيب: أَنَّ اللَّامَ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ؛ كَمَا فِي: نَصَحْتُ لَهُ، وَشَكَرْتُ لَهُ، وَعَلَيْهِ اقْتَصَرَ الْمَفْسَّرُ، أَوْ: لِلتَّلْغِيلِ، وَالْمَعْنَى: فَعَلَ التَّسْبِيحَ لِأَجْلِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَخَالِصاً لِوَجْهِهِ، لَا لَغَرَضٍ آخَرَ. قَوْلُهُ: (فَاللَّامُ مَزِيدَةٌ) أَي: لِلتَّأْكِيدِ، وَهُوَ مُفَرَّغٌ عَلَى قَوْلِهِ: (أَي: نَزَّهَهُ)، أَوْ أَصْلِيَّةٌ لِلتَّلْغِيلِ؛ كَمَا عَلِمْتَ.

قَوْلُهُ: (تَغْلِيْبًا لِلْأَكْثَرِ) أَي: وَهُوَ غَيْرُ الْعَاقِلِ، فَالْمِرَادُ بِـ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: جِهَةُ الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ، فَيَشْمَلُ نَفْسَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ تَسْبِيحَ الْعُقَلَاءِ بِلِسَانِ الْمَقَالِ اتِّفَاقًا، وَاخْتَلَفَ فِي تَسْبِيحِ غَيْرِهِمْ؛ فَقِيلَ: بِالْحَالِ؛ أَي: أَنَّ ذَاتَهَا دَالَّةٌ عَلَى تَنْزِيهِ صَانِعِهَا عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَقِيلَ: بِلِسَانِ الْمَقَالِ أَيْضًا، وَلَكِنْ لَا يَطَّلَعُ عَلَى تَسْبِيحِهَا إِلَّا مَنْ خَصَّه اللَّهُ بِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ أَي: الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ، لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ.

قَوْلُهُ: ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي صُنْعِهِ أَي: يَضَعُ الشَّيْءَ فِي مَحَلِّهِ؛ فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ، وَلَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ.

لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ

(٢ - ٣) ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بِالْإِنْشَاءِ ﴿وَيُمِيتُ﴾ بَعْدَهُ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ هُوَ الْأَوَّلُ ﴿قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ بِبَدَايَةٍ﴾ وَالْآخِرُ ﴿بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ بِبَلَاءٍ نِّهَايَةٍ﴾ وَالظَّاهِرُ ﴿بِالْأَدَلَّةِ عَلَيْهِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ جملة مستأنفة كالل دليل لما قبلها، كأنه قيل: هو العزيز الحكيم؛ لأن له ملك السماوات والأرض، يتصرف فيه على ما يريد.

قوله: (بالإنشاء) أي: من العدم، وفيه رد على من يزعم أن الإحياء يكون بترك الحي من غير قتل مثلاً كالنمرود؛ حيث قال في محاجة إبراهيم عليه السلام: أنا أحيي وأميت، وأتى برجلين، فأطلق أحدهما، وقتل الآخر.

قوله: ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده) أي: بعد الإحياء الحاصل بالإنشاء، وأمّا الإحياء الثاني.. فلا موت بعده، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦].

قوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ بضم الهاء وسكونها، قراءتان سبعيتان في جميع القرآن^(١).

قوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء) أي: السابق على جميع الموجودات، وقوله: (بلا بداية أي: فلا افتتاح لوجوده).

قوله: ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء) أي: الباقي بذاته بعد استحقاق كل ما سواه الفناء، وبهذا اندفع ما يقال: إن الجنة والنار وما فيهما لا يطرأ عليهما الفناء؛ لأن كل موجود بعد عدم قابل للفناء، وبقاء ما ذكر ببقاء الله تعالى، لا ذاتي له، قال العارف^(٢): [الكامل]

مَنْ لَا وَجُودَ لِذَاتِهِ مِنْ ذَاتِهِ فَوْجُودُهُ لَوْلَاهُ عَيْنُ مُحَالٍ

قوله: (بالأدلة عليه) أي: وهي آثاره وتصاريفه في خلقه: [المقارب]

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ^(٣)

قوله: (عن إدراك الحواس) أي: الظاهرية والباطنية؛ فلا تحيط به في الدنيا ولا في الآخرة،

(١) قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء، والباقون بضمها. انظر «السراج المنير» (٢٠١/٤).

(٢) البيت لسبيدي أبي مدين الغوث رحمه الله؛ كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى في شرحه لـ «جوهرة التوحيد» (ص ١٤٧).

(٣) البيت لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (ص ٤٥).

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ

﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، أَوَّلَهَا الْأَحَدُ وَآخِرُهَا الْجُمُعَةُ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾: الكرسي استواء يليق به، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾: يدخل

حاشية الصاوي

وإنما رؤيته وسماع كلامه في الآخرة من غير كيف ولا انحصار ولا إحاطة، فكل مخلوق عاجز عن الإحاطة به، بل كلما عظم قرب العبد منه.. ازداد خشية وهيبة وعجزاً؛ ولذا ورد في الحديث: «سبحان من لا يعلم قدره غيره»، ولا يبلغ الواصفون صفته، وروي: أنه ﷺ قال: «إذا أراد أحدكم أن ينام.. فليضطجع على شقه الأيمن ويقول: اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته - وفي رواية: بناصيتها - اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء؛ اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر» انتهى^(١).

وأتى بالواو الأولى والثالثة؛ للجمع بين الوصفين الأولين والوصفين الآخرين، والثانية للجمع بين مجموع الأوصاف الأربعة، فهو تعالى متصف بالأولية وضدها، والظاهرية وضدها، وتلك الصفات الأربع مجموعة فيه تعالى، فالواو الأولى والثالثة عطفت مفرداً على مفرد، والثانية عطفت مجموع أمرين على مجموع أمرين^(٢).

قوله: (الكرسي) تقدم غير مرة أن المناسب إبقاء العرش على ظاهره.

قوله: (استواء يليق به) تقدم أن هذا تفسير السلف، وأمّا الخلف.. فيؤولونه بالقهر والغلبة^(٣).

(١) رواه مسلم (٢٧١٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، ورواية (ناصيتها) عند ابن ماجه في «سننه» (٣٨٧٣).

(٢) وهذه الواو في المفردات كالواو العاطفة قصّة على قصّة في الجمل؛ لأنها لو عطفت (الظاهر) وحده على أحد الأولين.. لم يحسن؛ لعدم التناسب بينهما، والمجموع مناسب للمجموع في الاشتمال على أمرين متقابلين. انظر حاشية الشهاب على البيضاوي (١٥٢/٨).

(٣) انظر (٥٤٧/٢).

فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا

﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كَالْمَطَرِ وَالْأَمْوَاتِ، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كَالنَّبَاتِ وَالْمَعَادِنِ، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كَالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ، ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾: يَصْعَدُ ﴿فِيهَا﴾ كَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسَّيِّئَةِ، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بِعِلْمِهِ ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(٥ - ٦) ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: الْمَوْجُودَاتُ جَمِيعُهَا، ﴿يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ﴾: يُدْخِلُهُ ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ اللَّيْلَ، ﴿وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ النَّهَارَ، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾: بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَسْرَارِ وَالْمُعْتَقَدَاتِ. ﴿ءَامِنُوا﴾: دَاوِمُوا عَلَى الْإِيمَانِ ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

حاشية الصاوي

قوله: (والسيئة) المناسب حذفه؛ لأن الذي يُرْفَعُ إنما هو الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

قوله: (يعلمه) أي: وقدرته وإرادته، فالمراد بالمعينة: تصاريفه في خلقه.

قوله: ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ذكره ثانياً مع الإعادة، كما ذكره أولاً مع ابتداء الخلق؛ فلا تكرار.

قوله: ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ بفتح التاء وكسر الجيم مبنياً للفاعل، وبضمّ التاء وفتح الجيم مبنياً للمفعول، قراءتان سبعيتان في جميع القرآن^(١).

قوله: ﴿يُدْخِلُهُ فِي النَّهَارِ فَيَزِيدُ﴾ أي: النهار بسبب دخول الليل فيه، وكذا يقال في النهار.

قوله: (بما فيها من الأسرار والمعتقدات) أي: من خيرٍ وشرٍّ.

قوله: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لَمَّا ذَكَرَ أَنْوَاعاً مِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّوْحِيدِ.. شَرَعَ بِأَمْرِ عِبَادِهِ بِالْإِيمَانِ، وَبَتَرَكِ الدُّنْيَا وَالْإِعْرَاضَ عَنْهَا، وَالنَّفَقَةَ فِي وَجْهِ الْبِرِّ.

قوله: ﴿دُومُوا عَلَى الْإِيمَانِ﴾ جوابٌ عمّا يُقَالُ: إِنَّ الْخُطَابَ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَحِينَئِذٍ: فِيهِ تَحْصِيلُ

(١) قرأ الشامي ويعقوب والأخوان وخلف بفتح التاء وكسر الجيم، والباقون بضمّ التاء وفتح الجيم. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٣١٣).

مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا

﴿مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ﴾ مِنْ مَالٍ مَنْ تَقَدَّمَكُمْ وَسَيَخْلُفُكُمْ فِيهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، نَزَلَ فِي غَزْوَةِ الْعُسْرَةِ وَهِيَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ إِشَارَةٌ إِلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
حاشية الصاوي

الحاصل، وهذا نتيجة ما قبله؛ لأنه لما ذكر أدلة التوحيد ولا شك أن التفكير فيها يزيد في الإيمان، ويُوجب الدوام عليه.. نتج منه الأمر بالدوام على الإيمان.

قوله: (من مال مَنْ تَقَدَّمَكُمْ... إلخ) أي: فأنتم خلفاء عَمَّنْ تَقَدَّمَكُمْ، ويصحُّ أن المعنى: من الأموال التي جعلكم الله خُلَفَاءَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهَا، فهي في الحقيقة له، لا لكم.

واعلم: أن الأموال في الحقيقة لله تعالى، فخلَّفَ فيها آدمَ يتصرَّفَ فيها، وأولادُه خلَّفَ عنه، وحينئذٍ: فالخِلافةُ إمَّا عَمَّنْ له التصرف الحقيقي وهو الله تعالى، أو عَمَّنْ تصرَّفَ فيها قبله ممَّنْ كانت في أيديهم، وانتقلت لهم، وفي هذا حُثٌّ على الإنفاق، وتهوينٌ له على النفس؛ فلا ينبغي البخلُ بمال الغير، بل يُنفِقْهُ في الوجوه التي تنفعه في المعاد.

قوله: (وسَيَخْلُفُكُمْ فِيهِ مَنْ بَعْدَكُمْ) أي: من المال الذي هو بأيديكم؛ سواءً كان من مال مَنْ تَقَدَّمَكُمْ، أو من مالٍ اكْتَسَبْتُمُوهُ بَأَنْفُسِكُمْ.

قوله: (وهي غَزْوَةُ تَبُوكَ) بالصرف؛ نظراً للبقعة، ومنعِهِ؛ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ، وهو مكان على طرف الشام، بينه وبين المدينة أربعة عشر مَرَحَلَةً^(١)، وكانت تلك الغزوة في السنة التاسعة بعد رجوعه ﷺ من الطائف، وهي آخرُ غزواته، ولم يقع فيها قتالٌ، بل لما وصلُوا إلى تبوك، وأقامُوا بها عشرين ليلة.. وَقَعَ الصلح على دَفْعِ الجزية، فرجع ﷺ بِالْعِزِّ الْعَظِيمِ، وتقدَّم تفصيلها في سورة (براءة).

قوله: (إشارة إلى عثمان) أي: فإنه جهَّزَ في تلك الغزوة ثلاث مئة بعيرٍ بأقتابها وأحلاسها وأحمالها، وجاء بألف دينار، ووضعها بين يدي رسول الله ﷺ^(٢)، وفي رواية: (حمل عثمان في جيش العُسرة على ألف بعير، وسبعين فرساً)^(٣)، وقال في حقِّه رسول الله ﷺ: «ما على عثمان

(١) كذا في الأصول، والقاعدة تقتضي (أربع عشرة مرحلة).

(٢) رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن سيدنا عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه، وليس فيه ذكر التصديق بألف دينار، وهو عند الترمذي (٣٧٠١) من رواية سيدنا عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) رواها ابن أبي شيبه في «مصنفه» (٣٦٠/٦) عن قتادة قال: (إن عثمان حمل في جيش العُسرة على ألف بعير إلا سبعين، كلها خيلاً).

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ...
﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

﴿٨﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ - خِطَابٌ لِلْكَفَّارِ - أَي: لَا مَانِعَ لَكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ ﴿بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ﴾ - بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْخَاءِ، وَبِفَتْحِهِمَا وَنَصْبِ مَا بَعْدَهُ - ﴿مِيثَاقَكُمْ﴾ عَلَيْهِ أَي: أَخَذَهُ اللَّهُ فِي عَالَمِ الذَّرِّ حِينَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]،

حاشية الصاوي

ما فعل بعد هذه^(١)، وفي رواية: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت، وما أعلنت، وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يُبالي ما عمل بعدها»^(٢). ولا خصوصية لعثمان بهذه الإشارة، بل غيره بذل فيها جهده.

قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أَي: عظيم.

قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ جملة من مبتدأ وخبر وحال، والمعنى: أَيُّ شَيْءٍ ثَبَّتَ لَكُمْ حَالٌ كُونَكُمْ غَيْرَ مُؤْمِنِينَ؟

قوله: (أَي: لَا مَانِعَ لَكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ) أشار بذلك إلى أَنَّ الاستفهام إنكاريٌّ بمعنى النفي.

قوله: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ الجملة حالية من الواو في ﴿تُؤْمِنُونَ﴾، والمعنى: لَا مَانِعَ لَكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَالُ أَنَّ الرِّسُولَ يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ بِالْمُعْجَزَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَالْحُجَجِ الْبَاهِرَةِ.

قوله: ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ الجملة حالية أيضاً من الكاف في ﴿يَدْعُوكُمْ﴾.

قوله: (بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْخَاءِ) أَي: وَرَفَعَ (مِيثَاقَكُمْ)، وَتَرَكَّهُ لِوَضُوحِهِ.

قوله: (وَبِفَتْحِهِمَا) أَي: فَهُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٣).

قوله: (أَي: أَخَذَهُ اللَّهُ... إلخ) تفسيرٌ للقراءتين.

(١) رواه الترمذي (٣٧٠٠) عن سيدنا عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه.

(٢) رواها الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٧٣٦) من حديث حسان بن عطية، وليس فيه: (ما يُبالي ما عمل بعدها).

(٣) قرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر الخاء ورفع القاف، وغيره بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٣١٣).

إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْتَغِي لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: مُرِيدِينَ الْإِيمَانَ بِهِ فَبَادِرُوا إِلَيْهِ.

﴿٩﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْتَغِي﴾: آيَاتِ الْقُرْآنِ ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾: الْكُفْرِ ﴿إِلَى النُّورِ﴾: الْإِيمَانِ، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ﴾: فِي إِخْرَاجِكُمْ مِنَ الْكُفْرِ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وَمَا لَكُمْ﴾: بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ ﴿أَلَّا﴾: فِيهِ إِدْغَامُ نُونٍ (أَنْ) فِي لَامٍ (لَا) - ﴿تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: بِمَا فِيهِمَا فَتَصِلُ إِلَيْهِ أَمْوَالُكُمْ مِنْ غَيْرِ أَجْرِ الْإِنْفَاقِ، بِخِلَافِ مَا لَوْ أَنْفَقْتُمْ فَتُوجَرُونَ، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ﴾

حَاشِيَةُ الصَّائِلِ

قوله: (أي: مُرِيدِينَ الْإِيمَانَ بِهِ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: كَيْفَ قَالَ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾؟ وَيَجَابُ أَيْضاً: بِأَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِمُوسَى وَعِيسَى؛ فَإِنَّ شَرِيعَتَهُمَا مُقْتَضِيَةٌ لِلْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

قوله: (فَبَادِرُوا إِلَيْهِ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ.

قوله: ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ أي: وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ أي: حَيْثُ طَلَبَكُمْ لِلْإِيمَانِ، وَأَقَامَ لَكُمْ الْحُجَجَ عَلَى السِّنَةِ الرِّسْلِ، وَأَمَهَّلَكُمْ.

قوله: ﴿أَلَّا تُنْفِقُوا﴾: تَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِنْفَاقِ الْمَأْمُورِ بِهِ بَعْدَ تَوْبِيخِهِمْ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ.

قوله: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طَاعَتِهِ؛ جِهَاداً أَوْ غَيْرَهُ.

قوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: الْجُمْلَةُ حَالِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُكُمْ مِنَ الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَالُ أَنَّ مِيرَاثَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَهُ؟ فَالْدُّنْيَا لَهُ ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، وَإِنَّمَا جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ، لَكُمْ أَجْرُ الْإِنْفَاقِ، وَعَلَيْكُمْ وَزْرُ الْإِمْسَاكِ.

قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ﴾... إلخ أي: لِأَنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ قَبْلُ وَقَاتَلُوا مِنْ قَبْلُ فَعَلُوا ذَلِكَ قَبْلَ عِزَّةِ الْإِسْلَامِ وَعِزَّةِ أَهْلِهِ، فَنَصَرُوا الدِّينَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَهُمْ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ

مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ لِمَكَّةَ ﴿وَقَتْلِ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا﴾ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، - وفي قراءة بِالرَّفْعِ مُبْتَدَأً - ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾: الْجَنَّةُ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فَيُجَازِيكُمْ بِهِ.

﴿١١﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ بِإِنْفَاقِ مَالِهِ

حاشية الصاوي

والأنصار، الذين قال فيهم رسول الله: «لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهباً... ما بلغ مُدَّ أحدكم ولا نَصِيفه»^(١)، بخلاف مَنْ أَنْفَقَ وقاتل من بعد الفتح، فسعيه وإن كان مشكوراً لا يصل لتلك المزية.

قوله: ﴿مَنْ أَنْفَقَ﴾ هو فاعل ﴿لَا يَسْتَوِي﴾، والاستواء لا يكون إلا بين شيئين، فحذف المقابل؛ لوضوحه، والتقدير: وَمَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ، وهو صادق بكلِّ مَنْ آمَنَ وَأَنْفَقَ مِنْ بَعْدِ الْفَتْحِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قوله: (لمكة) وقيل: هو صَلْحُ الْحُدَيْبِيَّةِ.

قوله: ﴿وَكَلَّا﴾ بالنصب مفعول مقدّم، وقرأ ابن عامر بالرفع مبتدأ، والجملة بعده خبر، والعائد محذوف؛ أي: وعده الله، والمعنى: أَنَّ كَلًّا مِمَّنْ آمَنَ وَأَنْفَقَ قَبْلَ الْفَتْحِ، وَمَنْ آمَنَ وَأَنْفَقَ بَعْدَهُ وَمَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ.. وعده الله الحسنَى؛ أي: الجنة وإن كانت درجاةً الأوائل أعلى من درجاةً الأواخر^(٢).

قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي﴾ يحتمل أَنَّ ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبتدأ، و﴿ذَا﴾: خبره، و﴿الَّذِي﴾: بدل منه، ويحتمل أَنَّ ﴿مَنْ ذَا﴾ مبتدأ، والموصول خبره، وقوله: ﴿يُقْرِضُ اللَّهَ...﴾ إلخ: صلة الموصول على الاحتمالين.

وهذا تنزُّلٌ منه سبحانه وتعالى؛ حيث ملَّك عباده الأموال من عنده، وسمَّى رُجوعها إليه قرضاً

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) قراءة العامة بالنصب على أنه مفعول مقدّم، وهي مرسومة في مصاحفهم (وكلاً) باللف، وابن عامر برفعه وهي في مصاحف الشام مرسومة (وكل) بدون ألف؛ فقد وافق كلُّ مُصحِّفه. انظر «الدر المصون» (١٠/٢٣٨).

قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِّفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ بِأَنْ يُنْفِقَهُ اللَّهُ ﴿فَيُضَعِّفُهُ﴾ - وَفِي قِرَاءَةٍ: (فَيُضَعِّفُهُ) بِالتَّشْدِيدِ -
﴿لَهُ﴾ مِنْ عَشْرِ إِلَى أَكْثَرٍ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ كَمَا ذَكَرَ فِي (الْبَقَرَةِ)، ﴿وَلَهُ﴾ مَعَ الْمُضَاعَفَةِ ﴿أَجْرٌ
كَرِيمٌ﴾ مُقْتَرَنٌ بِهِ

حاشية الصاوي

مع أَنَّ العبد وما ملكت يده لِسَيِّدِهِ، قال صاحب «الحكم»: (وَمِنْ مَزِيدِ فَضْلِهِ عَلَيْكَ أَنْ خُلِقَ وَنَسَبَ
إِلَيْكَ) ^(١).

قوله: (فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أَي: طَاعَتِهِ، جِهَاداً أَوْ غَيْرَهُ.

قوله: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ قال بعض العلماء: القرضُ لا يكون حسناً حتى يجمع أوصافاً عشرة،
وهي أَنْ يكون المال من الحلال، وَأَنْ يكونَ من أجود المال، وَأَنْ تتصدَّقَ بِهِ وَأَنْتَ محتاجٌ إليه،
وَأَنْ تُصَرِّفَ صَدَقَتَكَ إِلَى الْأَحْوَجِ إِلَيْهَا، وَأَنْ تُكْتَمَ الصَّدَقَةُ مَا أَمَكَّنَكَ، وَأَلَّا تُتْبِعَهَا بِالْمَنْ وَالْأَذَى،
وَأَنْ تُقْصِدَ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ وَلَا تَرَائِيَ بِهَا النَّاسَ، وَأَنْ تَسْتَحْقِرَ مَا تَعْطِي وَإِنْ كَانَ كَثِيراً، وَأَنْ يكونَ
مِنْ أَحَبِّ أَمْوَالِكَ إِلَيْكَ، وَأَلَّا تَرَى عِزَّ نَفْسِكَ وَذِلَّ الْفَقِيرِ، فَهَذِهِ عَشْرُ خِصَالٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ
فِي الصَّدَقَةِ .. كَانَتْ قَرْضًا حَسَنًا.

قوله: (بَأَنْ يُنْفِقَهُ اللَّهُ) أَي: خَالِصاً لَوَجْهِهِ، لَا رِبَاءً وَلَا سَمْعَةً.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ: «فَيُضَعِّفُهُ»... إلخ) أَي: وَعَلَى كُلِّ مِنَ الْقِرَاءَتَيْنِ فَالْفِعْلُ إِمَّا مَرْفُوعٌ عَطْفًا
عَلَى ﴿يُقْرِضُ﴾، أَوْ مُسْتَأْنَفًا؛ أَوْ مَنْصُوبٌ بـ(أَنْ) مُضْمَرَةٌ وَجُوباً بَعْدَ الْفَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي جَوَابِ
الاسْتِفْهَامِ، فَالْقِرَاءَاتُ أَرْبَعٌ سَبْعِيَّاتٌ ^(٢).

قوله: ﴿وَلَهُ﴾ مَعَ الْمُضَاعَفَةِ ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ الْحَسَنَةَ .. يُضَاعَفُ لَهُ فِي الْجِزَاءِ
مِنْ عَشْرِ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، عَلَى حَسَبِ إِخْلَاصِهِ فِي الْعَمَلِ، وَيُعْطَى فَوْقَ ذَلِكَ أَجْراً
كَرِيماً وَهُوَ رِضَا اللَّهِ وَرُؤْيَا وَجْهِهِ، حَقَّقْنَا اللَّهُ بِذَلِكَ ^(٣).

(١) انظر «شرح الحكم» للعلامة الشرنوبلي (ص ٩٨).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم بنصب الفاء بعد العين، والباقون بالرفع، وقرأ ابن كثير وابن عامر بغير ألف بعد الضاد وتشديد
العين، والباقون بألف بعد الضاد وتخفيف العين. انظر «السراج المنير» (٢٠٥/٤).

(٣) وقع في بعض النسخ المطبوعة بعد قوله (أجر كريم): (ظاهر المفسر: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ الْحَسَنَةَ، تَضَاعَفَ لَهُ إِلَى
سَبْعِ مِائَةٍ، وَيُعْطَى فَوْقَ ذَلِكَ أَجْراً كَرِيماً، لَا يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَلَكِنَّ الَّذِي يَظْهَرُ: أَنَّ الْأَجْرَ الْكَرِيمَ يَحْصُلُ لَهُ =

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ

رضاً وإقبالاً.

﴿١٢﴾ اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾: أَمَامَهُمْ ﴿و﴾ يَكُونُ ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ وَيُقَالُ لَهُمْ:

حاشية الصاوي

قوله: (رضاً وإقبالاً) فاعل (مقترن)، والمعنى: أنه يُعْطَى ثَوَابُ أعماله مع الرضا والإقبال عليه من الله تعالى؛ كما قال: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

قوله: (اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تَرَى﴾) أشار بذلك إلى أَنَّ ﴿يَوْمَ﴾ ظرفٌ لمحذوفٍ، وهو أحدُ أوجهٍ، أو ظرفٌ لـ ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾، والمعنى: لهم أجرٌ كريم في ذلك اليوم، أو ظرفٌ لـ ﴿يَسْعَى﴾، والمعنى: يسعى نور المؤمنين والمؤمنات يومَ تَراهم.

قوله: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ الجملة حالية؛ لأنَّ الرؤية بصرية، وهذا إذا لم يُجعل عاملاً في ﴿يَوْمَ﴾.

قوله: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: على الصراط.

قوله: ﴿و﴾ يكون ﴿بِأَيْمَانِهِمْ﴾ قَدَّرَ (يكون)؛ دفعاً لما قد يُتوهم من تسليط ﴿يَسْعَى﴾ عليه: أنه يكون النور في جهاته بعيداً عنه.

والمراد بالأيمان: جميعُ الجهات، فعبرَ بالبعض عن الكل، قال عبد الله بن مسعود: (يُؤْتُونَ نُورَهُمْ على قَدَرِ أعمالهم؛ فمنهم من يُؤْتَى نوراً كالنخلة، ومنهم من يُؤْتَى نوره كالرجل القائم، وأدناهم نوراً من نوره على إبهامه، فيُظْفِئُ مرةً، ويتَّقَدُ أخرى)^(١)، وقال قتادة: وذكر لنا أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَضِيءُ نُورَهُ إِلَى عَدَنَ وَصَنْعَاءَ وَدُونَ ذَلِكَ، حَتَّى إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يَضِيءُ نُورُهُ إِلَّا مَوْضِعَ قَدَمِهِ»^(٢).

قوله: (ويُقال لهم) أي: تقول الملائكة الذين يَتَلَقَّوْنَهُمْ: ﴿بُشْرِكُمْ الْيَوْمَ﴾ أي: بشارتكم العظيمة في جميع ما يَسْتَقْبِلُكُمْ إلى غير نهاية.

= في نظير العمل المضاعف، وذلك أن المضاعفة تُكتب للعبد في الدنيا، وتُوزن له يوم القيامة، ويستوفي أجرها الكريم في الجنة) بدل ما أثبت في الأصل، وقد شطب عليها في (أ)، وُضِحَ ما أثبت.

(١) رواه الحاكم في «المستدرک» (٤٧٩/٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٧٨/٢٣).

بُشِّرْنَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِ مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ

﴿بُشِّرْنَكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ﴾ أي: دُخُولُهَا ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا﴾: أَبْصِرُونَا، - وفي قراءة يَفْتَحِ الْهَمْزَةَ وَكَسَرَ الظَّاءَ: أَمْهَلُونَا - ﴿نَقْتِسِ﴾: نَأْخُذِ الْقَبَسَ وَالْإِضَاءَةَ ﴿مِنْ ثَوْرِكُمْ قِيلَ﴾ لَهُمْ اسْتَهِزَاءٌ بِهِمْ: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ فَرَجِعُوا ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم﴾ وَبَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿بِسُورٍ﴾ قِيلَ: هُوَ سُورُ الْأَعْرَافِ

حاشية الصاوي

قوله: (أي: دخولها) أي: أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿جَنَّتٌ﴾ خبر ﴿بُشِّرْنَكُمْ﴾ على حذف

مضاف.

قوله: ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: الجنة وما فيها من النعيم المقيم.

قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ بدلٌ من ﴿يَوْمَ تَرَى﴾.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(١)، ثمَّ يحتمل أنَّ القراءة الأولى بمعنى هذه؛ لأنه يُقال: (نظره) بمعنى (انتظره)؛ وذلك لأنه يُسرَّع بالمؤمنين الخالصين إلى الجنة على نُجْبٍ، فيقول المنافقون: انتظرونا؛ لأننا مُشاة لا نستطيع لحوقكم، ويحتمل أن يكون من: (النظر)، وهو الإبصار كما قال المفسر؛ وذلك لأنهم إذا نظروا إليهم.. استقبلوهم بوجوههم، فيضيء لهم المكان.

قوله: (أمهلونا) أي: تمهلوا لنا؛ لنُدْرِكْكُمْ.

قوله: ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ أي: إلى الموقف، أو الدنيا، أو المعنى: ارجعوا خائبيين لا سبيل لكم إلى ثورنا، وهذا استهزاء بهم؛ وذلك لأنهم لا يستطيعون الرجوع إلى الموقف، ولا إلى الدنيا.

قوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ الفعل مبنيٌّ للمجهول و﴿بِسُورٍ﴾ نائب فاعل، والباء: زائدة.

قوله: (قيل: هو سُورُ الْأَعْرَافِ) وقيل: حائطٌ يُضْرَبُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ موصوفٌ بما ذكر، وقيل: هو كنايةٌ عن حَجَبِهِمْ عَنِ النُّورِ الذي يُعْطَاهُ الْمُؤْمِنُونَ.

(١) قرأ حمزة: بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظاء، والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء. انظر «السراج المنير» (٤/٢٠٦).

لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾

﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ مِنْ جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَبَاطِنُهُ﴾ مِنْ جِهَةِ الْمُنَافِقِينَ ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

(١٤ - ١٥) ﴿يُنَادُوهُمْ أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ ﴿قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ بِالنِّفَاقِ، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ الدَّوَائِرَ، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: شَكَّكُمْ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، ﴿وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ﴾: الْأَطْمَاعُ ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: الْمَوْتُ ﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾: الشَّيْطَانُ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لَهُ بَابٌ﴾ الجملة صفة لـ (سُور)، وقوله: ﴿بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾: صفة ثانية له أيضاً، ويجوز أن تكون في موضع رفع صفة لـ ﴿بَابٌ﴾، وهو أولى؛ لقربه.
قوله: ﴿يُنَادُوهُمْ﴾ الجملة مستأنفة، والمعنى: يُنَادِي الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ: أَلَمْ تَكُنْ مَعَكُمْ نُصْلِي كَمَا تُصْلُونَ، وَنُطِيعُ كَمَا تَطِيعُونَ؟

قوله: ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي: كُنْتُمْ معنا في الظاهر.

قوله: ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: أَهْلَكْتُمُوهَا.

قوله: ﴿بِالنِّفَاقِ﴾ أي: والمعاصي والشَّهَوَاتِ.

قوله: ﴿الدَّوَائِرَ﴾ أي: الحوادث.

قوله: ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قرئ في السَّبْعِ بِإِسْقَاطِ الْهَمْزَةِ الْأُولَى مَعَ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ مَعَ تَحْقِيقِ الْأُولَى، وَبِتَحْقِيقِهِمَا، فَالْقُرَءَاتُ أَرْبَعٌ سَبْعِيَّاتٌ^(١).

قوله: ﴿الْغُرُورُ﴾ بفتح الغين هو: الشَّيْطَانُ؛ كما قال المفسر، وقرئ بالضمّ شذوذاً، وهو مصدر بمعنى: الاغترار بالباطل^(٢).

(١) قرأ قالون وأبو عمرو بإسقاط الهمزة الأولى مع المد والقصر، وقرأ ورش وقُتَيْل بتسهيل الثانية، وأيضاً لهما إبدالها، والباقون بتحقيقهما. انظر «السراج المنير» (٢٠٧/٤).

(٢) وهي قراءة سماك بن حرب. انظر «الدر المصون» (٢٤٦/١٠).

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ وَيَنْسُ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾
 أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾ - بِأَلْيَاءِ وَالتَّاءِ - ﴿مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ :
 أُولَى بِكُمْ ﴿وَيَنْسُ الْمَصِيرُ﴾ هِيَ .

﴿١٦﴾ ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ : يَجْنُ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ الصَّحَابَةِ لَمَّا أَكْثَرُوا الْمُزَاحَ ﴿أَنْ
 تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ﴾

حاشية الصاوي

قوله : ﴿فَالْيَوْمَ﴾ الظرف متعلق بـ ﴿يُؤْخَذُ﴾ .

قوله : (بألياء والتاء) أي : فهما سبعيتان ^(١) .

قوله : ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عطف الكافرين على المنافقين ؛ لِتَغَايِرِهِمْ فِي الظَّاهِرِ .

قوله : ﴿هِيَ مَوْلَانِكُمْ﴾ يجوز أن يكون مصدرًا ؛ أي : ولايتكم ؛ أي : ذات ولايتكم ، وأن يكون مكانًا ؛ أي : مكان ولايتكم ، وأن يكون بمعنى (أولى) أي : هي أولى بكم ، وهو الذي اقتصر عليه المفسر ، ويصح أن يكون بمعنى (ناصركم) أي : لا ناصر لكم إلا النار ، وهو تهكم بهم .

قوله : ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ . . . إلخ) العامة على سكون الهمزة ، وكسر النون مضارع (أنى ، يأنى) كـ (رمى يرمي) ، مجزوم بحذف حرف العلة ، والمعنى : ألم يأنِ أوانُ الخشوع أو الخضوع لقلوب الذين آمنوا ، وحينئذٍ ؛ فالذي ينبغي لهم الإقبال على شأنهم ، وتركهم ما لا يعينهم ، وقرئ شذوذًا بكسر الهمزة ، وسكون النون مضارع (آن) كـ (باع) ، فلمَّا جزم سكن وحُذِفَتْ عينه ؛ لالتقاء الساكنين ^(٢) .

إذا علمت ذلك . . فقول المفسر : (يجن) جلُّ معنى لا حلُّ إعراب ، وإلا . . فهو يُناسب القراءة الشاذة ؛ لأنه من : (حان يحين) كـ (باع يبيع) ، فهو مجزوم بالسكون ، ومعنى (حان) : قَرُبَ وَقْتُهُ .

قوله : ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ «أَنْ» وما دخلت عليه : في تأويل مصدر ، فاعل ﴿يَأْنِ﴾ أي : ألم يقرب خُشُوع قلوبهم ؟

قوله : (لما أكثرُوا المزاح) أي : بسبب لين العيش الذي أصابوه في المدينة ؛ وذلك لأنهم لما

(١) قرأ ابن عامر : (تؤخذ) بالتأنيث ؛ للفظ الفدية ، والباقون بألياء من تحت ؛ لأنَّ التأنيث مجازي وللفصل . انظر «الدر المصون» (٢٤٦/١٠) .

(٢) وهي قراءة الحسن . انظر المرجع السابق .

مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾

- بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ - ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾: الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا يَكُونُوا﴾ - مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿تَخَشَّعَ﴾ -
﴿كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ﴾ هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾: الزَّمَنُ بَيْنَهُمْ
وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِمْ، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: لَمْ تَلِنْ لِذِكْرِ اللَّهِ، ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.
حاشية الصاوي

قدموا المدينة.. أصابوا من لين العيش ورفاهيته، ففترؤا عن بعض ما كانوا عليه، فعوتبوا
على ذلك^(١)، وهذا محمولٌ على فرقة قليلة، فرحوا بمظاهر الدنيا، فحصل منهم المزاح والهزل،
فعوتبوا عليه، وأما غالبهم كأبي بكر وأضرابه.. فمقامهم يجلُّ عن ذلك.

قوله: (بالتخفيف) أي: وضمير ﴿نَزَلَ﴾ عائد على القرآن، وقوله: (والتشديد) أي: والضمير
عائد على الله تعالى، والعائد محذوفٌ، تقديره: نَزَّلَهُ، والقراءتان سبعيتان^(٢)، وقوله: ﴿مِنَ الْحَقِّ﴾
بيان لـ(ما).

قوله: (معطوف على ﴿تَخَشَّعَ﴾) أي: و(لا): نافية، ويصحُّ أن تكون (لا) ناهية، فيكون انتقالاً
إلى نهيمهم عن التشبه بمن تقدّمهم؛ فإنَّ الدوامَ على المزاح ربّما أدّى لذلك.
قوله: ﴿الْكِتَابَ﴾ «أَل» فيه: لِلْجِنْسِ الصَّادِقِ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ.
قوله: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ قرأ العامة بتخفيف دال ﴿الْأَمَدُ﴾، ومعناه: الزمن، وقرأ غيرهم
بتشديدها، وهو الزَّمَنُ الطَّوِيلُ^(٣).

قوله: (لَمْ تَلِنْ لَذِكْرِ اللَّهِ) أي: لَمْ تَخْضَعْ وَلَمْ تَذَلَّ.

قوله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ أي: خَارِجُونَ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ نَبِيِّهِمْ، وَالْقَلِيلُ مَتَمَسِّكٌ بِشَرْعِ

(١) روى ابن أبي شيبة في «مُصَنَّفِهِ» (٣٥٧١٥) عن عبد العزيز بن أبي رواد: أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ ظَهَرَ فِيهِمُ الْمَزَاحُ وَالضَّحْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾.

(٢) قرأ نافع وحفص: (نزل) مخففاً مبنياً للفاعل، وباقي السبعة كذلك إلا أنه مُشَدَّد، والجحدري وأبو جعفر والأعمش وأبو عمرو في رواية: (نَزَّلَ) مُشَدِّداً مبنياً للمفعول، وعبد الله: (أَنْزَلَ) مبنياً للفاعل وهو الله تعالى. انظر «الدر المصون» (٢٤٧/١٠).

(٣) وهي قراءة ابن كثير في رواية عنه. انظر المرجع السابق.

أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصْذِقِينَ
وَالْمُصْذِقَاتِ وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

﴿١٧﴾ ﴿أَعْلَمُوا﴾ - خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَذْكُورِينَ - ﴿أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾
بِالنَّبَاتِ، فَكَذَلِكَ يَفْعَلُ بِقُلُوبِكُمْ يَرُدُّهَا إِلَى الْخُشُوعِ، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ الدَّالَّةُ
عَلَى قُدْرَتِنَا بِهَذَا وَغَيْرِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ﴾ - مِنَ التَّصْدُقِ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الصَّادِ - أَيِ: الَّذِينَ تَصَدَّقُوا
﴿وَالْمُصْذِقَاتِ﴾ اللَّاتِي تَصَدَّقْنَ، - وَفِي قِرَاءَةِ بِتَخْفِيفِ الصَّادِ فِيهِمَا مِنَ التَّصْدِيقِ: الْإِيمَانِ -
﴿وَأَفْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ رَاجِعٌ إِلَى الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ بِالتَّغْلِيبِ، - وَعَطَفَ الْفِعْلَ عَلَى الْاسْمِ
فِي صِلَةِ (أَل) لِأَنَّهُ فِيهَا حَلٌّ مَحَلٌّ الْفِعْلِ،

حاشية الصاوي

نَبِيِّهِ، وَهَذَا الْإِخْبَارُ عَنْهُمْ قَبْلَ ظُهُورِهِ ﷺ، وَأَمَّا بَعْدَ ظُهُورِهِ.. فَكُلُّ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ فَهُوَ فَاسِقٌ خَارِجٌ
عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: (خِطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَذْكُورِينَ) أَيِ: الَّذِينَ عُوتِبُوا فِي شَأْنِ الْمَزَاحِ، كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ
لَهُمْ: يَا عِبَادِي؛ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِي؛ فَإِنَّ شَأْنِي إِحْيَاءُ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ بِالنَّبَاتِ، فَكَذَلِكَ إِذَا حَصَلَ
مِنْكُمُ الْإِنَابَةُ وَالرَّجُوعُ أَحْيَيْتُ قُلُوبَكُمْ بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، فَأَنْبَتَتِ الْعُلُومَ وَالْمَعَارِفَ.

قوله: (بهذا) أَيِ: كَوْنِهِ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَقَوْلُهُ: (وغيره) أَيِ: مِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ
الدَّالَّةُ عَلَى بَاهِرِ قُدْرَتِهِ تَعَالَى.

قوله: (أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الصَّادِ) أَيِ: بَعْدَ قَلْبِهَا صَادًا.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) أَيِ: وَهِيَ سَبْعِيَّةٌ أَيْضًا^(١).

قوله: (رَاجِعٌ إِلَى الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ) أَيِ: فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَجْمُوعِ الْفَعْلَيْنِ، لَا عَلَى الْأَوَّلِ
فَقَطْ؛ لِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى الصِّلَةِ قَبْلَ تَمَامِهَا.

قوله: (فِي صِلَةِ «أَلِ») الْجُمْلَةُ نَعْتَ لِ(الاسْمِ) أَيِ: الْاسْمِ الْكَائِنِ فِي صِلَةِ (أَلِ)، وَقَوْلُهُ: (لِأَنَّهُ
فِيهَا) مُتَعَلِّقٌ بِ(حَلٍّ)، وَهَذَا مِنْ قَبِيلِ قَوْلِ ابْنِ مَالِكٍ: [الرَّجْزُ]

(١) خَفَفَ الصَّادُ ابْنَ كَثِيرٍ وَأَبُو بَكْرٍ، وَثَقَّلَهَا بَاقِي السَّبْعَةِ. انْظُرِ الْمَرْجِعَ السَّابِقَ.

يُضَعَّفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

وذكرُ القرض بوصفه بعد التصديق تقييد له - ﴿يُضَعَّفُ﴾ - وفي قراءة: (يُضَعَّف) بالتشديد - أي: قرضهم ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ: المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم، ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ حاشية الصاوي

واعطف على اسم شبه فعلٍ فعلاً

... إلخ^(١).

قوله: (وذكر القرض... إلخ) جوابٌ عما يُقال: إن قوله: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ﴾ على قراءة التشديد يُغني عنه؛ لأنَّ المراد بالقرض: الصدقة، فأجاب: بأنه ذكره توطئةً لوصفه بالحسن، فقوله: (تقييد له) أي: للتصدق بوصف القرض، وهو الحسن.

قوله: ﴿يُضَعَّفُ لَهُمْ﴾ أي: يُجَازَوْنَ على الحسنة بعشرة إلى سبع مئة... إلى غير ذلك. قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً^(٢).

قوله: ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أي: فوق عملهم المضاعف.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مُبتدأ أول، و﴿أُولَٰئِكَ﴾ مُبتدأ ثان، و﴿هُمْ﴾: إمَّا ضمير فصل، أو مبتدأ ثالث، و﴿الصَّٰدِقُونَ﴾: خبر الثالث، وهو وخبره: خبر الثاني، وهو وخبره: خبر الأول.

قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ أي: الموصوفون بالإيمان بالله ورسله، والمراد: بالإيمان الكامل، وإلا... فمجرد الإيمان لا يسمَّى الشخصُ به صديقاً؛ لأنَّ الصَّدِيقِيَّةَ رتبةٌ تحت مرتبة النبوة.

قوله: ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على ما قبله؛ فالوقف تامٌّ على قوله: (الشهداء)، ويكون أخبر عن الذين آمنوا بأنهم صديقون شهداء، وقوله: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ ظرفٌ مُتعلِّقٌ بقوله بعد: ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾، ويحتمل أن يكون مبتدأ، وخبره إمَّا الظرف بعده، أو جملة ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾.

(١) تمامه كما في «الخلاصة»، باب (عطف النسق):

وَعَكْساً اسْتَعْمِلَ تَجِدُهُ سَهْلاً

(٢) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بحذف الألف وتشديد العين، والباقيون بإثبات الألف وتخفيف العين، ولا خلاف بينهم في رفع الفاء. انظر «البدور الزاهرة» (ص ٣١٤).

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ

الدَّالَّةُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِنَا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: النَّارُ.

﴿٢٠﴾ ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ﴾: تَزْيِينٌ ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أَي: الْاِسْتِغَالُ فِيهَا، وَأَمَّا الطَّاعَاتُ وَمَا يُعِينُ عَلَيْهَا فَمِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ،

حاشية الصاوي

قوله: (النار) أي: فمراده بـ﴿الْجَحِيمِ﴾: دارُ العذاب، لا خصوصُ الطبقة المسماة بالجحيم.

قوله: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾... إلخ) لما ذكر الآخرة وأحوال الخلق فيها.. شرع يزهدهم في الدنيا؛ لأنها قليلة النفع، سريعة الزوال.

قوله: ﴿لَعِبٌ﴾) أي: يَتَعَبُ النَّاسُ فِيهَا أَنْفُسَهُمْ جَدًّا؛ كإتعب الصبيان أنفسهم في اللعب من غير فائدة.

قوله: ﴿وَلَهُمْ﴾) أي: مُشْغَلٌ عَنِ الْآخِرَةِ.

قوله: ﴿وَزِينَةٌ﴾) أي: ما يُتَزَيَّنُ بِهِ مِنَ اللِّبَاسِ وَالْحُلِيِّ وَغَيْرِهِمَا.

قوله: ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾) أي: مُفَاخَرَةٌ حَاصِلَةٌ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَالْعَامَّةُ عَلَى تَنْوِينِ (تفاخر)، وقرئ شذوذاً بإضافته إلى الظرف بعدها^(١).

قوله: (أي: الاستغفال فيها) أشار بذلك إلى أَنَّ قوله: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ مبتدأ على حذف مضاف، والتقدير: إنما الاستغفال بالحياة الدنيا لعبٌ... إلخ؛ فالشغل بها دائرٌ بين هذه الأمور الخمسة، قال عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ: (لا تحزن على الدنيا؛ فإن الدنيا ستّة أشياء: مأكول، ومشروب، وملبوس، ومشموم، ومركوب، ومنكوح؛ فأحسن طعامها العسل، وهو بركة ذبابة، وأكثر شرابها الماء، وهو يستوي فيه جميع الحيوان، وأفضل ملبوسها الديباج، وهو نسج دودة، وأفضل مشمومها المسك، وهو دم قارة، وأفضل المركوب الفرس، وعليها تُقتل الرجال، وأمّا المنكوح.. فهو النساء، وهُنَّ مَبَالٌ فِي مَبَالٍ^(٢)).

(١) وهي قراءة السلمي. انظر «الدر المصون» (١٠/٢٥٠).

(٢) ذكره الراغب الأصفهاني في «الذريعة» (ص ٢١٨)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/٢٥٥).

كَمَثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا

﴿كَمَثَلٍ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثلي ﴿غَيْثٍ﴾: مطر ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾: الزَّرَّاعَ ﴿نَبَأُهُ﴾ النَّاشِئُ عَنْهُ، ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ﴾: يَبْسُ ﴿فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَمًا﴾: فُتَاتًا يَضْمَحِلُّ بِالرِّيَّاحِ، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ﴾ لِمَنْ آثَرَ عَلَيْهَا الدُّنْيَا، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لِمَنْ لَمْ يُؤْثِرْ عَلَيْهَا الدُّنْيَا، ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾: مَا التَّمَتُّعُ فِيهَا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿كَمَثَلٍ غَيْثٍ﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا سَادِسًا لَهٗ (أَنْ)، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لِمَحذُوفٍ، وَعَلَيْهِ اقْتَصَرَ الْمَفْسَّرُ، وَ(الْمَثَلُ) بِمَعْنَى: (الْصِفَةُ)، وَالْمَعْنَى: صِفَتُهَا كَصِفَةِ غَيْثٍ... إلخ.
قوله: (مَطَرٍ) أي: حَصَلَ بَعْدَ جَذْبٍ وَيَأْسٍ.

قوله: (الزَّرَّاع) إِنَّمَا سُمُّوا كُفَّارًا؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَرُونَ الْأَرْضَ بِالزَّرْعِ بِسَبَبِ الْحَرِّ وَالْبَذْرِ؛ كَمَا سُمِّيَ مَنْ سَتَرَ الْإِيمَانَ بِالطَّغْيَانِ وَالْجُحْدِ كَافِرًا، وَيَصُحُّ أَنْ يَبْقَى (الْكُفَّار) عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُفَّارَ يَفْتَخِرُونَ وَيُعْجِبُونَ فِي السَّرَاءِ، وَيَسْخَطُونَ فِي الضَّرَاءِ، فَإِذَا كَانُوا زُرَّاعًا.. افْتَخَرُوا بِالزَّرْعِ إِذَا ظَهَرَ، وَسَخَطُوا إِذَا ضَاعَ، فَصِفَةُ الدُّنْيَا كَصِفَةِ كُفَّارٍ زُرَّاعٍ تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ وَحَرَثُوهَا وَبَذَرُوهَا، فَظَهَرَ زَرْعُهَا، فَفَرَحُوا بِهِ فَرَحَ بَطْرِ وَخِيَلَاءٍ، ثُمَّ يَجِفُّ بَعْدَ خُضْرَتِهِ وَنَضَارَتِهِ، فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا، وَعِبَارَةُ الْمَفْسَّرِ مُحْتَمَلَةٌ لِلْمَعْنَيْنِ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: (الزَّرَّاع) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ تَفْسِيرًا لِّلْكُفَّارِ)، أَوْ صِفَةً لَهُمْ.

قوله: (يَبْسُ) تَفْسِيرٌ لَّـ﴿يَهِيْجُ﴾، وَالْحَامِلُ لَهُ عَلَى ذَلِكَ تَفْرِيعُ قَوْلِهِ: ﴿فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا﴾ عَلَيْهِ، وَإِلَّا.. فـ﴿يَهِيْجُ﴾ مَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ: يَطُولُ جَدًّا.

قوله: ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ﴾ لَمَّا ذَكَرَ أَحْوَالَ الدُّنْيَا الزَّائِلَةَ.. ذَكَرَ مَا يَكُونُ عَقَبَ زَوَالِهَا، وَقَسَّمَهُ إِلَى قَسَمَيْنِ: عَذَابٌ شَدِيْدٌ، وَمَغْفِرَةٌ وَرِضْوَانٌ، وَفِي الْآيَةِ بَشَارَةٌ عَظِيمَةٌ؛ حَيْثُ قَابِلُ الْعَذَابِ بَشِيَّتَيْنِ: الْمَغْفِرَةُ، وَالرِّضْوَانُ، فَهُوَ مِنْ بَابِ: (لَنْ يَغْلِبَ عَسْرٌ يُسْرَيْنِ)^(١).

قوله: (مَا التَّمَتُّعُ فِيهَا) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ مُبْتَدَأٌ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ.

(١) مِنْ كَلَامِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ مَالِكٌ فِي «الْمَوْطَأِ» (٢/٤٦٦).

إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

﴿إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ﴾.

﴿٢١﴾ ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لَوْ وُصِّلَتْ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى، وَالْعَرْضُ السَّعَةُ، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿إِلَّا مَتَّعَ الْغُرُورِ﴾ هو بالضَّم: ما اغترَّ به الشَّخص من مَتَاع الدنيا.

قوله: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي: سَارِعُوا مُسَارِعَةَ الْمُتَسَابِقِينَ إِلَى مَا يُوجِبُ الْمَغْفِرَةَ، وهي التَّوْبَةُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَإِلَى مَا يُوجِبُ الْجَنَّةَ، وهو فِعْلُ الطَّاعَاتِ.

قوله: ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ؛ لَوْ جُعِلَتْ صَفَائِحُ وَأُلُرُقُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.. لَكَانَ عَرْضُ الْجَنَّةِ فِي عَرْضِ جَمِيعِهَا. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَرِيدُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُطِيعِينَ جَنَّةً بِهَذِهِ السَّعَةِ، وَقِيلَ: إِنَّ ذَٰلِكَ تَمَثِيلٌ لِلْعِبَادِ بِمَا يَعْقِلُونَهُ وَيَعْرِفُونَهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ فِي نُفُوسِهِمْ مِقْدَارُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَشَبَّهَ عَرْضُ الْجَنَّةِ بِمَا تَعْرِفُهُ النَّاسُ.

رُوي: أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالُوا لَهُ: إِذَا كَانَتِ الْجَنَّةُ عَرْضُهَا ذَٰلِكَ.. فَأَيْنَ النَّارُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ؛ أَيْنَ يَكُونُ النَّهَارُ؟ وَإِذَا جَاءَ النَّهَارُ؛ أَيْنَ يَكُونُ اللَّيْلُ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَمَثَلُهَا فِي التَّوْرَةِ^(١).

قوله: (وَالْعَرْضُ: السَّعَةُ) جَوَابٌ عَمَّا يُقَالُ: إِنَّهُ ذَكَرَ الْعَرْضَ وَلَمْ يَذْكُرِ الطَّوْلَ، فَأَجَابَ الْمَفْسِّرُ: بِأَنَّهُ لَمْ يُرَدْ بِالْعَرْضِ مَا قَابَلَ الطَّوْلَ، بَلْ أَرَادَ بِهِ السَّعَةُ، وَأَجِيبَ أَيْضاً: بِأَنَّهُ تَرَكَ ذَكَرَ الطَّوْلَ؛ تَعْظِيماً لِّشَأْنِهَا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ هَذَا شَأْنُ الْعَرْضِ.. فَالطَّوْلُ أَعْظَمُ؛ لِأَنَّ الْعَرْضَ أَقَلُّ مِنَ الطَّوْلِ.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ أي: الْمَوْعُودُ بِهِ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَالْجَنَّةِ.

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٧/٢١١)، ومعناه: أَنَّهُ حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ، وَقَدْ رَوَى مِثْلَهُ مَرْفُوعاً الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»

(٧٥/٤) فِي حَدِيثِ رَسُولِ قَيْصَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا

﴿٢٢﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ بِالْجَدْبِ ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ كَالْمَرَضِ وَفَقْدِ الْوَلَدِ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يَعْنِي اللَّوْحَ الْمَحْفُوظَ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: نَخْلُقُهَا، وَيُقَالُ فِي النُّعْمَةِ كَذَلِكَ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿٢٣﴾ لِكَيْلَا - (كَي) نَاصِبَةٌ لِلْفِعْلِ بِمَعْنَى (أَنْ) - أَي: أَخْبَرَ تَعَالَى بِذَلِكَ لِيُنْزِلَ

حَاشِيَةُ الصَّادِي

قوله: ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ (مِنْ): زائدة في فاعِلِ ﴿أَصَابَ﴾، وَعُهْدَ زِيَادَتِهَا حَيْثُ وَقَعَتْ فِي جُمْلَةٍ مَنفِيَّةٍ وَمَجْرُورِهَا نَكْرَةً.

قوله: ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ (فِي): يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِ﴿أَصَابَ﴾، أَوْ بِمَحذُوفِ صِفَةٍ لـ ﴿مُصِيبَةٍ﴾، أَوْ بِنَفْسِ ﴿مُصِيبَةٍ﴾.

قوله: (بِالْجَدْبِ) أَي: وَغَيْرِهِ كَالْعَاهَةِ وَالزَّلْزَلَةِ.

قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ (إِلَّا فِي كِتَابٍ): حَالٌ مِنْ ﴿مُصِيبَةٍ﴾؛ لِتَخْصُصِهَا بِالْوَصْفِ، وَالْمَعْنَى: إِلَّا مَكْتُوبَةٌ فِي كِتَابٍ.

قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا): الضَّمِيرُ عَائِدٌ عَلَى الْمُصِيبَةِ.

قوله: (وَيُقَالُ فِي النُّعْمَةِ كَذَلِكَ) أَي: مَا حَصَلَ لِلْخَلْقِ نِعْمَةٌ فِي الْأَرْضِ كَالْمَطَرِ، وَلَا فِي أَنْفُسِهِمْ كَالصِّحَّةِ وَالْوَلَدِ إِلَّا مَكْتُوبَةٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَهَا اللَّهُ، وَأَشَارَ الْمَفْسِّرُ بِهَذِهِ الْعِبَارَةِ إِلَى أَنَّ فِي الْآيَةِ حَذْفَ الْوَائِضِ مَا عَطَفْتَ؛ بِدَلِيلِ التَّعْلِيلِ الْآتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

وَيَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِالْمُصِيبَةِ جَمِيعُ الْحَوَادِثِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَعَلَى مَا مَشَى عَلَيْهِ الْمَفْسِّرُ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُصِيبَةِ: الشَّرُّ، فَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا أَهَمُّ عَلَى الْبَشَرِ.

قوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (أَي: سَهْلٌ لَا مَشَقَّةَ فِيهِ وَلَا تَعَبَ، بَلْ هُوَ بِقَوْلِ: (كُن)).

قوله: (كَي) نَاصِبَةٌ لِلْفِعْلِ (أَي: يَنْفُسُهَا؛ لِدُخُولِ اللَّامِ عَلَيْهَا؛ وَلِذَا قَالَ: (بِمَعْنَى «أَنْ»)).

قوله: (أَي: أَخْبَرَ تَعَالَى) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ اللَّامَ حَرْفُ جَرٍّ، مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحذُوفٍ.

تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾

﴿تَأْسَوْا﴾: تَحْزَنُوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فَرَحَ بَطَرَ بَلْ فَرَحَ شُكْرٍ عَلَى النِّعْمَةِ ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ - بِالْمَدِّ: أَعْطَاكُمْ، وَبِالْقَصْرِ: جَاءَكُمْ مِنْهُ - ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾: مُتَكَبِّرٍ بِمَا أُوتِيَ، ﴿فَخُورٍ﴾ بِهِ عَلَى النَّاسِ.

حاشية الصاوي

قوله: ﴿تَأْسَوْا﴾ مضارع منصوب بحذف النون، والواو فاعل، وأصله: (تَأْسِيُونَ) تحرّكت الياء، وانفتح ما قبلها، قُلِبَتِ الْفَاءُ فَصَارَ (تَأْسَاوُنَ)، فالتقى ساكنان: الألف، والواو التي هي الفاعل، حُذِفَتِ الْأَلْفُ لِالتِّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، فَصَارَ وَزْنُهُ (تَعْفُونُ)، ومصدره: (أَسَى)، وفعله: (أَسَيْ) ك: (جَوِيَ جَوًى)، فَقَوْلُ بَعْضِ النُّحَاةِ: (وَالْتَقْدِيرُ: لِأَجْلِ عَدَمِ إِسَاءَتِكُمْ) ^(١) صَوَابُهُ: (أَسَاكُمْ)؛ لِأَنَّ مَصْدَرَهُ (أَسَى)، لَا (إِسَاءَةُ).

قوله: (تَحْزَنُوا) أَي: حُزْنًا يُوجِبُ الْقَنُوطَ، وَإِلَّا.. فَالْحُزْنُ الطَّبِيعِيُّ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ الْإِنْسَانُ؛ كَالْفَرَحِ الطَّبِيعِيِّ.

قوله: (بَلْ فَرَحَ شُكْرٍ عَلَى النِّعْمَةِ) أَي: فَالْمُنْهِي عَنْ الْحُزْنِ الْمَوْجِبِ لِلْجُزَعِ وَالْقَنُوطِ، وَالْفَرَحُ الْمَوْجِبُ لِلْبَطَرِ وَالشَّرِّهِ وَعَدَمِ شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَأَمَّا الْفَرَحُ وَالْحُزْنُ الطَّبِيعِيَّانِ.. فَلَا مَحِيصَ لِلشَّخْصِ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ يُسَلِّمُ أَمْرَهُ لِلَّهِ، وَيَرْجِعُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ لِمَالِكِهِ وَسَيِّدِهِ، فَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: بَيَانُ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِيَدِ اللَّهِ، مَقْدَرٌ كُلُّ مَنَّهُمَا فِي الْأَزَلِّ، يَجِبُ الرِّضَا بِهِ.

قوله: ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أَي: لِأَنَّهُ مَقْدَرٌ لَكُمْ.

قوله: (وَبِالْقَصْرِ) هُمَا قَرَأَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ ^(٢).

قوله: (جَاءَكُمْ مِنْهُ) أَي: مِنْ اللَّهِ.

قوله: ﴿كُلُّ مُخْتَالٍ﴾ أَي: مُعْجَبٍ بِنِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ.

قوله: (بِمَا أُوتِيَ) أَي: مِنَ النِّعَمِ.

قوله: ﴿فَخُورٍ﴾ بِهِ عَلَى النَّاسِ أَي: كَثِيرِ الْفَخْرِ بِمَا أُعْطِيَهُ مِنَ النِّعَمِ عَلَى النَّاسِ.

(١) انظر «شرح الأزهري» (ص ٤٦).

(٢) قرأ أبو عمرو: (بِمَا أَتَاكُمْ) مقصوداً من: الإتيان، وبأقي السبعة: (آتاكم) ممدوداً من: الإيتاء. انظر «الدر المصون»

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا

﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ ﴿﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به لهم وعيد شديد، ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ - ضمير فصل، وفي قراءة بسقوطه - ﴿الْغَنِيُّ﴾ عن غيره، ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأوليائه.

﴿٢٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا:

حاشية الصاوي

قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ (مبتدأ، خبره محذوف، قدره المفسر بقوله: (لهم وعيد شديد)، ويصح أن يكون خبراً لمحذوف، تقديره: هم الذين يبخلون، أو بدل من قوله: ﴿كُلُّ مُخَالٍ فَخُورٍ﴾^(١).

قوله: (بما يجب عليهم) أي: من المال؛ كزكاة وكفارة، ومن تعليم العلم ونشره، ومن بيان صفة النبي ﷺ التي هي في الكتب القديمة.

قوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ﴾ (أي: مَنْ يَعْرِفُونَهُ).

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ (أي: يُعْرَضُ، و(مَنْ): شرطية، وجوابها محذوف، تقديره: فالوبال عليه. قوله: (وفي قراءة بإسقاطه) أي: وهي سبعة أيضاً، وهي تُعَيَّنُ أنه ضمير فصل؛ إذ لو صح أن يجعل ضميراً منفصلاً.. كما حسن إسقاطه من غير دليل؛ لأنه عمدة^(٢).

قوله: ﴿الْغَنِيُّ﴾ (أي: المستغني عما سواه).

قوله: ﴿الْحَمِيدُ﴾ (لأوليائه) أي: المُنِّي عليهم بالإحسان، المنعم عليهم بجزيل الإنعام.

قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف^(٣)؛ أي: والله لقد أرسلنا... إلخ.

(١) وعليه اقتصر في «الكشاف» (٤/٤٧٧)، كأنه قال: لا يحب الذين يبخلون، يريد الذين يفرحون الفرح المُنْطِنِي إذا رَزَقُوا مالا وحظاً من الدنيا، فليحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله، ويبخلون به، ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل، ويُرغبوهم في الإمساك، ويُزيئوهم لهم، وذلك كله نتيجة فرحهم به، وبطهرهم عند إصابته.

(٢) قرأ نافع وابن عامر: (فإن الله الغني) بإسقاط (هو)، وهو ساقط في مصاحف المدينة والشام، والباقون بإثباته، وهو ثابت في مصاحفهم؛ فقد وافق كلُّ مُصحفه. انظر «الدر المصون» (١٠/٢٥٢).

(٣) اللام واقعة في جواب قسم؛ كما قدره المصنف رحمه الله تعالى.

بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ

الملائكة إلى الأنبياء ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بِالْحُجَجِ الْقَوَاطِعِ، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بِمَعْنَى الْكِتَابِ، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: الْعَدْلَ؛ ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾: أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَعَادِنِ،

حاشية الصاوي

قوله: (الملائكة إلى الأنبياء) تبع في ذلك الزمخشري^(١)، ولم يسبقه إليه أحد، والحامل له على ذلك التفسير تصحيح المعية في قوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾؛ لأنَّ الكتاب إنما تنزل مع الملائكة، والمناسب أن يُفسَّرَ الرسل بالبشر كما عليه الجمهور؛ لأنه لم ينزل بالكتب والأحكام على الرسل إلا جبريل فقط، وحينئذٍ فقوله: ﴿مَعَهُمُ﴾ ظرف متعلق بمحذوف حال مُنتظرة، والتقدير: وأنزلنا الكتاب حال كونه آيلاً وصائراً لأن يكون منهم إذا وصل إليهم، أو (مع) بمعنى (إلى).

قوله: (العدل) أي: فليس المراد بـ(الميزان) حقيقة فقط، بل ما يشملها وغيره، والمراد بالعدل: التوسط في الأمور؛ فلا يحصل منهم تفريط ولا إفراط.

قوله: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ علة لإرسال الرسل وإنزال الكتاب والميزان.

قوله: (أخرجناه من المعادن) هذا أحد قولين في تفسير الإنزال، والآخر إبقاؤه على حقيقته؛ لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (نزل آدم من الجنة معه خمسة أشياء من حديد - وروي: من آلة الحدادين - السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة)^(٢)، وروي: (ومعه المبرد والمسحاة)^(٣)، وروي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله تعالى أربع بركات من السماء: الحديد، والنار، والماء، والملح»^(٤)، وعن ابن عباس أيضاً قال: (أنزل الله ثلاثة أشياء مع آدم: الحجر الأسود، وعصا موسى، والحديد) انتهى^(٥).

والسندان: بكسر السين وفتحها، والكلبتان: آلة يؤخذ فيها الحديد المحمى، والميقعة:

المبرد.

(١) انظر «الكشاف» (٤/٤٧٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٢٠١)، وفيه: (السندان) بدل (السندان)، وليس فيه ذكر الإبرة.

(٣) انظر «السراج المنير» (٤/٢١٤).

(٤) رواه الديلمي في «الفردوس» (٦٥٦).

(٥) أورده الماوردي في «تفسيره» (٥/٤٨٣).

فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يُقَاتَلُ بِهِ ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ عِلْمٌ مُشَاهِدَةٌ - معطوف على ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ - ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ بِأَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ بِآلَاتِ الْحَرْبِ مِنَ الْحَدِيدِ وَغَيْرِهِ ﴿وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ﴾ - حال من هاء ﴿يَنْصُرُهُ﴾ - أي: غائباً عنهم في الدنيا، قال ابن عباس: يَنْصُرُونَهُ وَلَا يُبْصِرُونَهُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى النَّصْرَةِ لَكِنَّهَا تَنْفَعُ مَنْ يَأْتِي بِهَا. ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ الجملة حالية من ﴿الْحَدِيدِ﴾.

قوله: ﴿يُقَاتَلُ بِهِ﴾ أي: فَمِنْهُ التُّرْسُ، وَمِنْهُ السِّلَاحُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

قوله: ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ أي: فَمَا مِنْ صَنْعَةٍ إِلَّا وَالْحَدِيدُ لَهُ دَخْلٌ فِي آلَتِهَا.

قوله: ﴿عِلْمٌ مُشَاهِدَةٌ﴾ أي: لِلْخَلْقِ، وَالْمَعْنَى: لِيُظْهَرَ مُتَعَلِّقٌ عِلْمُهُ لِعِبَادِهِ، فَاَنْدَفَعُ مَا يُقَالُ: إِنَّ هَذَا التَّعْلِيلَ يُوْهِمُ حَدُوثَ الْعِلْمِ مَعَ أَنَّهُ قَدِيمٌ.

قوله: ﴿مَعْطُوفٌ عَلَى ﴿لِيَقُومَ﴾﴾ أي: لَكِنْ الْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ عِلَّةٌ لِلْإِرْسَالِ وَالْإِنْزَالِ، وَالْمَعْطُوفُ عِلَّةٌ لِلْإِنْزَالِ الْحَدِيدِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ قَوْلُهُ: (لِيَعْلَمَ) عِلَّةٌ لِلثَّلَاثَةِ.

قوله: ﴿بِآلَاتِ الْحَرْبِ... إلخ﴾ إِنَّمَا خَصَّ النَّصْرَ بِذَلِكَ؛ لِكُونَ الْمَقَامِ وَالسِّيَاقِ يَقْتَضِيهِ.

قوله: ﴿مِنْ هَاءِ ﴿يَنْصُرُهُ﴾﴾ أي: الْوَاقِعَةُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

قوله: ﴿غَائِبًا عَنْهُمْ﴾ أي: مُتَحَجِّبًا بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

قوله: ﴿وَلَا يُبْصِرُونَهُ﴾ أي: فِي الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ رُؤْيِيَّهَ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لَمْ تَثْبُتْ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قوله: ﴿لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى النَّصْرَةِ﴾ أي: وَإِنَّمَا هُوَ سَعَادَةٌ لِمَنْ يَحْصِلُ النَّصْرُ عَلَى يَدَيْهِ، وَشَقَاوَةٌ لِمَنْ لَمْ يَحْصِلْ.

قوله: ﴿لَكِنَّهَا تَنْفَعُ مَنْ يَأْتِي بِهَا﴾ أي: فَتَنْفَعُ التَّكَالِيفَ عَائِدَةً عَلَى ذَوَاتِ الْمَكْلُوفِينَ، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

قوله: ﴿﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾... إلخ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾﴾، وَكَرَّرَ الْقِسْمَ؛

إِظْهَاراً لِمَزِيدِ الْإِعْتِنَاءِ وَالتَّعْظِيمِ، وَخَصَّ هَذَيْنِ الرُّسُولَيْنِ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ نُوحًا هُوَ الْأَبُ الثَّانِي لِجَمِيعِ الْبَشَرِ، وَإِبْرَاهِيمُ أَبُو الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَآثِرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً

يَعْنِي الْكُتُبَ الْأَرْبَعَةَ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ؛ فَإِنَّهَا فِي ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَآثِرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً﴾ هِيَ رَفْضُ النِّسَاءِ وَاتِّخَاذُ الصَّوَامِ،

حاشية الصاوي

قوله: (يعني: الكتب الأربعة) أشار بذلك إلى أنَّ (أل) في (الكتاب) للجنس، وخصَّ هذه الأربعة؛ لأنها أصول الكتب.

قوله: (والفرقان) في نسخة: (القرآن).

قوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾ أي: من الذرية، أو من المرسل إليهم.

قوله: ﴿فَاسِقُونَ﴾ أي: كافرون؛ بدليل مُقابَلته بالمهتدي.

قوله: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَآثِرِهِم﴾ الضمير عائدٌ على نوح وإبراهيم ومن عاصَرهما من الرسل، وليس عائدًا على الذرية؛ فإنَّ الرسل المقفَى بهم من جُملة الذرية، والمعنى: ثُمَّ اتَّبَعْنَا رَسُولًا بَعْدَ رَسُولٍ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى﴾ أي: جعلناه تابعاً لهم ومتأخراً عنهم في الزمان، وخصَّه بالذكر؛ للردِّ على اليهود المنكرين لنبوته ورسالته.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ أي: من الحوارين وغيرهم.

قوله: ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: شدة لين وشفقة.

قوله: ﴿وَرَهَابَانِيَّةً﴾ يصح أن يكون بالنصب عطفاً على ﴿رَأْفَةً﴾، وجُملة ﴿اتَّبَعُوهُمَا﴾ صفة لـ (رهبانية)، و(جعل) إمَّا بمعنى (خلق) أو (صير)؛ وذلك لأنَّ الرأفة والرحمة أمرٌ غريزيٌّ، لا كسبٌ للإنسان فيه، بخلاف الرهبانية فإنَّها من أفعال البدن، وللإنسان فيها تكسُّبٌ، ويصحُّ أن تكون منصوبةً بفعل مُقدَّر يفسره الظاهر، فهو من باب الاشتغال.

قوله: (هي رفض النساء... إلخ) أي: المبالغة في العبادة والرياضة، والانقطاع عن الناس، والتقشف في المأكل والملبس والمشرب مع التقليل من ذلك.

أَبَدَعُوهَا مَا كَتَبَتْهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا

﴿أَبَدَعُوهَا﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ، ﴿مَا كَتَبَتْهَا عَلَيْهِمْ﴾: مَا أَمَرْنَاهُمْ بِهَا، ﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ فَعَلُوهَا
﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ﴾: مَرْضَاةِ ﴿اللَّهِ﴾ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا إِذْ تَرَكَهَا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَكَفَرُوا بِدِينِ
حَاشِيَةِ الصَّاوِي

روي عن ابن عباس قال: (كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدّلوا التوراة والإنجيل، وكان
فيهم جماعة مؤمنون، يقرؤون التوراة والإنجيل، ويدعونهم إلى دين الله، فقبل لملوكهم: لو جمعتم
هؤلاء الذين شقوا عليكم، فقتلتموهم أو دخلوا فيما نحن فيه، فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل
أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدّلوا منها، فقالوا: ما تريدون منا إلا ذلك؟ دعونا نحن
نكفيكم أنفسنا، فقالت طائفة منهم: ابثوا لنا أسطوانة ثم ارفعونا فيها، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا
وشرابنا؛ فلا نرد عليكم، وطائفة قالت: دعونا نسيح في الأرض ونهيم، ونشرب كما يشرب
الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم.. فاقتلونا، وقالت طائفة: ابثوا لنا دُوراً في الفيافي، ونحتفر
الآبار، ونخترق البقول، ولا نرد عليكم، ولا نمزّبكم، وليس أحدٌ من القبائل إلا وله حميمٌ فيهم،
قال: ففعلوا ذلك، فمضى أولئك على منهاج عيسى، وخلف قومٌ من بعدهم ممن غيروا الكتاب،
فجعل الرجل يقول: نكون في مكان فلان نتعب فيه كما تعب فلان، ونسيح كما ساح فلان، ونأخذ
دوراً كما اتخذ فلان، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، فذلك قوله تعالى:
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ أي: ابتدعها الصالحون، ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ يعني: الآخرين الذين جاؤوا
من بعدهم، ﴿فَنَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ يعني: الذين ابتدعوها ابتغاء رِضْوَانِ اللَّهِ، ﴿وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ
فَسَقُوتٌ﴾ هم الذين جاؤوا من بعدهم، فلما بعث النبي ﷺ ولم يبقَ منهم إلا القليل.. انحطَّ رجلٌ
من صومعته، وجاء سائح من سياحته، وصاحب ديرٍ من ديرهِ، فآمنوا به وصدّقوه، فقال تعالى فيهم:
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْتَقُوا اللَّهَ﴾... إلخ انتهى^(١).

قوله: ﴿إِلَّا﴾ (لكن) أشار المفسر إلى أن الاستثناء مُنْقَطِعٌ، وإلى هذا ذهب جماعة، وقيل: إنَّ
الاستثناء مُتَّصِلٌ من عموم الأحوال، والمعنى: ما كتبناها عليهم لشيءٍ من الأشياء إلا لابتغاء
مرضات الله، ويكون (كُتِبَ) بمعنى (قضى).

قوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ (أي: ما قاموا بها حق القيام، بل غلّوا في دينهم غير الحق،
وقالوا بالتثليث، وكفروا بدِينِ عيسى من قبل ظهور محمّد).

(١) رواه النسائي في «المجتبى» (٢٣١/٨)، وفيه: (نحترث البقول) بدل (نخترق البقول).

فَقَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ

عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين عيسى كثيرٌ منهم فآمنوا بنبيِّنا، ﴿فَقَاتِنَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعيسى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَعَامِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ وعيسى
﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾: نصيبين

حاشية الصاوي

قوله: ﴿فَقَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (به) أي: بنبيِّنا، وقوله: ﴿وَكثيرٌ مِنْهُمْ﴾ أي: من هؤلاء الذين
ابتدعوها وضيعوها.

قوله: ﴿فَلَسِقُونَ﴾ (أي: لم يؤمنوا بنبيِّنا، بل داموا على الكفر والقول بالتثليث، واقتدى بهم
أمةٌ من بعد أمةٍ إلى نزول عيسى عليه السلام، فيمحوه، وما مشى عليه المفسر خلاف ما تُفيدة رواية
ابن عباس المتقدمة؛ فإن مقتضاها حملُ قوله: ﴿فَقَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ على مَنْ آمن بعيسى، وقوله:
﴿وَكثيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾ على من غيّر وبدّل قبل بعثته نبينا، وهم الذين لم يرعوها حق رعايتها، فتدبر.

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾... إلخ) لما قدّم أنّ أمة عيسى بعد رفعه إلى السماء افترقوا؛
فمنهم مَنْ تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها إلى أن ظهر محمد ﷺ، ومنهم مَنْ غيّر وبدّل..
شرع يبين المطلوب منهم بعد ظهوره ﷺ.

قوله: (آمنوا بعيسى) هذا أحد قولين للمفسرين، ويشهد له سياق الكلام، والثاني: أنّ الخطاب
عامٌ لكلِّ مَنْ آمن بالرسول المتقدمين، فيشمل المؤمنين بعيسى وبمن قبله من الرسل.

إن قلت: إنّ هذا ظاهرٌ فيمن كانت ملّتهم صحيحة، فُنسخَتْ بملّة محمد ﷺ، وأمّا فيمن نُسخَتْ
ملّته بملّة عيسى كاليهود.. فلا يظهر إثابَتُهُمْ على التمسك بها.

أجيب: بأنّ إثابَتَهُمْ على تلك الملّة المنسوخة من خصائص دخولهم في ملّة الإسلام؛ ولذلك
كان الإسلام يصحّ أنكحتهم الفاسدة.

قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: امثلوا أوامرهُ، واجتنبوا نواهيه.

قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ أي: يُبْنِكُمْ على اتّباعه.

قوله: ﴿كِفْلَيْنِ﴾ (كِفْل)، وهو في الأصل: كساء يُعَقَّدُ على ظهر البعير، فيُلْقَى مقدّمه

مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ
الْكِتَابِ

﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنبیین، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصُّراطِ، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ﴾ أي: أعلمكم بذلك لِيَعْلَمَ ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾: التَّوَرَةِ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ

حاشية الصاوي

على الكاهل، ومؤخره على العُجْزِ، يحفظ الراكب ويمنعه من السقوط، والمراد هنا: نصيبان عظيمان من الرحمة، يمتنعان الشخص من العذاب كما يمنع الكفل الراكب من السقوط، وهذان الكفلان لا يخصَّان مَنْ ذُكِرَ، بل وردَ في الحديث: «ثلاثة لهم أجران: رجلٌ من أهل الكتاب آمنَ بِنبيِّه وآمنَ بمحمد ﷺ، والعبد المملوك الذي أدَّى حقَّ مَوالِيه وحقَّ الله، ورجلٌ كانت عنده أمة يطؤها، فأدبها وأحسنَ تأديبها، وعلمها فأحسنَ تعليمها، ثمَّ أعتقها فترَوَّجها، فله أجران»^(١).

قوله: (إيمانكم بالنبیین) أي: فاستحقاقهم الكفلين ظاهرٌ؛ لأنهم آمنوا بـعيسى، واستمروا على دينه إلى أن بُعثَ نبيُّنا ﷺ فآمنوا به، فكفَّلُ لإيمانهم بـعيسى، وكفَّلُ لإيمانهم بـنبيِّنا.

قوله: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾ قيل: هو القرآن، وقيل: هو الهدى والسَّيْلُ الواضح في الدين.

قوله: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ أي: ما سبق من ذنوبكم قبل الإيمان بمحمد ﷺ.

قوله: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ سببُ نزولها: أنه لما سمع مَنْ لم يؤمن من أهل الكتاب هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ قالوا للمسلمين: أمَّا مَنْ آمَنَ مِنَّا بِكتابكم.. فله أجره مرتين؛ لإيمانه بكتابنا وكتابكم، وَمَنْ لم يؤمن مِنَّا بِكتابكم.. فله أجرٌ كأجركم، فبأيِّ شيءٍ فَضَّلْتُمْ علينا؟ فنزلت هذه الآية؛ ردًّا عليهم^(٢).

قوله: (أي: أعلمكم بذلك... إلخ) أشار بذلك إلى أَنَّ (لا) زائدة، واللام مُتعلقة بمحذوف، والمعنى: إن تتقوا وتؤمنوا برسوله.. يُؤتكم كَفْلَيْنِ؛ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ عَدَمَ قدرتهم على شيءٍ من فضل الله، وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ.

(١) رواه البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) عن سيدنا أبي موسى الأشعري ؓ.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٢٠٩)، وانظر «زاد المسير» (٤/٢٤٠).

أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿أَنَّ﴾ - مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، واسمُهَا ضَمِيرُ الشَّانِ - وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾ خِلَافَ مَا فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ أَحِبَّاءُ اللَّهِ وَأَهْلُ رِضْوَانِهِ، ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾: يُعْطِيهِ ﴿مَن يَشَاءُ﴾ فَآتَى الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.



حاشية الصاوي

قوله: (والمعنى: أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾) أي: لا يملكونه ولا يتصرفون فيه؛ بحيث يجعلونه لأنفسهم، ويمنعونه من غيرهم، ومن جملة فضل الله: الكفلان، والمغفرة، والنور.
قوله: (خلاف) بالرفع، خبرٌ لمحدوفٍ؛ أي: وعدمٌ قدرتهم خلاف - أي: مخالفٌ - لما في زعمهم.

قوله: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ معطوف على قوله: ﴿أَلَا يَقْدِرُونَ﴾.
قوله: ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ جملةٌ مستأنفة، أو خبرٌ ثانٍ لـ ﴿أَنَّ﴾^(١).



(١) وقيل: هو الخبر وحده، والجاء قبله حال، وهي حال لازمة؛ لأنَّ كونه بيد الله تعالى لا ينتقل البتة. انظر الدر المصون، (١٠/٢٦٠).

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا.....﴾



مدنيّة، اثنتان وعشرون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾: تُرَاجِعُكُ أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ الْمُظَاهِرِ مِنْهَا،

حاشية الصاوي

سُورَةُ الْجَمَادِلَةِ

هي في الأصل: المحاورّة في الكلام والمغالبة فيه بحق أو باطل، والمراد هنا: المحاورّة في الكلام لطلب الفرج من الله على لسان رسوله؛ فإنّ تلك المرأة أصابها من ألم الفراق ما حملها على إكثار الكلام مع رسول الله، وترديد الكلام معه.

قوله: (مدنيّة) أي: كلها، وهو قول الجمهور، وقيل: مدنيّة إلا قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ نزلت بمكة، وقيل غير ذلك.

وهذه السورة أوّل النصف الثاني من القرآن باعتبار عدد سورته، وأوّل عُشره الأخير باعتبار أجزائه، وليس فيها آية إلا وفيها ذكر الجلالة مرّة أو مرتين أو ثلاثاً، وجملة ما فيها من الجلالات خمس وثلاثون.

ومن فوائدها: أن تُكتب حجاباً للقرينة، ويجعل ما فيها من الجلالة سطرّاً واحداً كهيئة النقطة الحمراء التي تُجعل وسط القصيدة، ويكون حملها قبل نفخ الروح في الجنين، وبعد الولادة تُنقل إليه.

قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ...﴾ (إلخ) ﴿قَدْ﴾: للتحقيق، والمراد بسماع قولها: إجابة مطلوبها؛ بأن أنزل حكم الظهار على ما يُوافق مرادها.

قوله: ﴿فِي زَوْجِهَا﴾ أي: شأنه.

وكان قال لها: أنت عليّ كظهر أمي،

حاشية الصاوي

قوله: (وكان قال لها: «أنت عليّ كظهر أمي») شروع في سبب نزول هذه الآيات، وأجمل المفسر في القصة، وحاصلها تفصيلاً: أنه روي أنها كانت حسنة الجسم، فدخل عليها زوجها مرةً فرآها ساجدة في الصلاة، فنظر إلى عجيزتها، فأعجبه أمرها، فلما انصرفت من الصلاة.. طلب وقاعها، فأبت، فغضب عليها، وكان به لَمَمٌ فأصابه بعض لَمَمه، فقال لها: أنت عليّ كظهر أمي، ثم ندم على ما قال، وكان الظهار والإيلاء من طلاق أهل الجاهلية، فقال: ما أظنك إلا قد حرمت عليّ، فقالت: والله ما ذاك طلاق، فأنت رسول الله ﷺ وعائشة تغسل شقّ رأسه، فقالت: يا رسول الله؛ إن زوجي أوس بن الصامت تزوّجني وأنا شابة غنيّة ذات أهل ومال، حتى إذا أكل مالي، وأفنى شبابي، وتفرّق أهلي وكبر سنّي.. ظاهر منّي، وقد ندم؛ فهل من شيء يجمعني وإيّاه تُنْعِشُنِي به؟ فقال رسول الله ﷺ: «حرمت عليه»، فقالت: يا رسول الله؛ والذي أنزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وإنه أبو ولدي وأحبّ الناس إليّ، فقال رسول الله ﷺ: «حرمت عليه»، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي، قد طالت له صُحْبتي ونَفَضْتُ له بطني، فقال رسول الله ﷺ: «ما أراك إلا قد حرمت عليه، ولم أومر في شأنك بشيء»، فجعلت تُراجع رسول الله ﷺ، وإذا قال لها رسول الله ﷺ: «حرمت عليه».. هتفت وقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وشِدَّةَ حالي، وإنّ لي صبيّة صغاراً؛ إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا، وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم؛ أشكو إليك، اللهم؛ فأنزل على لسان نبيّك فرجي، فكان هذا أول ظهار في الإسلام. فقامت عائشة تغسل شقّ رأسه الآخر، فقالت: انظر في أمري، جعلني الله فداك يا رسول الله، فقالت عائشة: أقصيري حديثك ومُجادَلَتِكَ، أما رأيت وجه رسول الله ﷺ؟ وكان إذا نزل عليه الوحي.. أخذه مثلُ السبات - أي: النوم - فلما قُضِيَ الوحي.. قال: «ادعي لي زوجك»، فدعته، فتلا عليه رسول الله ﷺ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَاللَّكَفِيرِينَ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^(١).

وروى الشيخان عن عائشة قالت: (الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/٢١٠)، وأصل حديثها ﷺ في «سنن أبي داود» (٢٢١٤)، و«سنن النسائي الكبرى» (١١٥٧٠)، و«سنن ابن ماجه» (٣٠٦٣)، ومعنى (ونفضت له بطني): ولدت منه؛ كما في «الصحيح»، مادة (ن ف ض).

وقد سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عن ذلك فأجَابَهَا بِأَنَّهَا حَرُمَت عَلَيْهِ على ما هو المَعَهُودُ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنَّ الظَّهَارَ مُوجِبُهُ فُرْقَةٌ مُؤَبَّدَةٌ، وهي خَوْلَةٌ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ وهو أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ،
حاشية الصاوي

خولة إلى رسول الله ﷺ وكَلَّمْتَهُ وأنا في جَانِبِ الْبَيْتِ وما أَسْمَعُ ما تقول، فأنزل الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ...﴾ (الآيات) (١).

فقال ﷺ لزوجها: «هل تستطيع العتق؟»، فقال: لا والله، فقال: «هل تستطيع الصوم؟»، فقال: لا والله، إني إن أخطأني الأكلُ في اليوم مرَّةً أو مرَّتين.. كَلَّ بَصْرِي، وظننتُ أنني أموت، قال: «فأطعم ستين مسكيناً»، قال: ما أجد، إلا أن تُعينني منك بِمُعُونَةٍ وَصِلَةٍ، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشرة صاعاً، فتصدَّقَ بها على ستين مسكيناً (٢).

وروي: أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بها في زمن خلافته، وهو على حِمَارٍ والناس حوله، فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر؛ قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك: يا عمر، ثم قيل لك: يا أمير المؤمنين، فأتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت.. خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب.. خاف العذاب، وهو واقفٌ يسمع كلامها، ف قيل له: يا أمير المؤمنين؛ أتقف لهذه العجوز هذا الموقف؟ فقال: والله؛ لو حبستني من أوَّلِ النهار إلى آخره.. لا زِلْتُ إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون مَنْ هذه العجوز؟ هي خولة بنت ثعلبة، سمع الله قولها من فوق سبع سماوات؛ أيسمع ربُّ العالمين قولها ولا يسمعه عمر؟! (٣)

قوله: (عن ذلك) أي: عن حكمه؛ هل هو فراق أو لا؟

قوله: (فأجابها بأنها حرمت عليه) أي: وجوابه بالتحريم دالٌّ على استمرار الحرمة التي كانت في الجاهلية؛ لأنه لا ينطق عن الهوى.

قوله: (وهي خولة بنت ثعلبة) أي: ابن مالك الخزرجية.

قوله: (وهو أوس بن الصامت) أي: أخو عبادة بن الصامت.

(١) رواه البخاري تعليقاً، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

(٢) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢٥٧٤)، والدارقطني في «سننه» (٣٨٥٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣٩٤/٢)، وانظر «تفسير القرطبي» (٢٧٠/١٧).

وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ

﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وَحَدَّثَهَا وَفَاقَتْهَا وَصِيَّةٌ صِغَاراً إِنْ ضَمَّتْهُمْ إِلَيْهِ ضَاعُوا أَوْ إِلَيْهَا جَاعُوا، ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾: تَرَاوَعَكُمَا، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: عَالِمٌ.

﴿٢﴾ ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ﴾ - أَصْلُهُ: يَتَظَاهَرُونَ، أُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الظَّاءِ، وَفِي قِرَاءَةِ بِأَلْفٍ بَيْنَ الظَّاءِ وَالْهَاءِ الْخَفِيفَةِ، وَفِي أُخْرَى كـ (يُقَاتِلُونَ)، وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي كَذَلِكَ - ﴿مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: تتضرع إلى الله.

قوله: (وفاقتها) أي: فقرها، وقوله: (وصية) الجمع لما فوق الواحد؛ لأنهما كانا ولدين.

قوله: (ضاعوا) أي: من عدم تعهد الخدمة، وقوله: (جاعوا) أي: من عدم النفقة؛ لفقرها، ولعل نفقة الأولاد لم تكن إذ ذاك واجبة على أبيهم.

قوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ استئناف جارٍ مجرى التعليل لما قبله.

قوله: (تراجعكما) أي: فالمحاورَةُ: المراجعة في الكلام.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ تعليل لما قبله.

قوله: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ﴾ شروع في بيان حكم الظهار، وهو الحرمة بالإجماع، ومن استحله.. فقد كفر. وحقيقة الظهار: تشبيهه بظهر حلالٍ يظهر محرم، فمن قال لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي.. فهو ظهارٌ بإجماع الفقهاء، وقاس مالك وأبو حنيفة غير الأم من ذوات المحارم عليها، واختلف القول عن الشافعي؛ فروي عنه مثل مالك، وروي عنه: أن الظهار لا يكون إلا بالأم وحدها.

قوله: (وفي قراءة بألف... إلخ) في كلامه التنبيه على ثلاث قراءات سبعيات^(١).

قوله: (الخفيفة) نعت للهاء، وأما الظاء فمُشَدَّدة.

قوله: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ أي: حقيقة.

(١) قرأ عاصم في الموضعين بضم الياء وتخفيف الظاء، وبعدها ألف، وتخفيف الهاء مكسورة، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح الياء وتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع فتحها، وبين الظاء والهاء ألف، والباقون بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء ولا ألف بينهما. انظر «السراج المنير» (٤/٢٢١).

إِنْ أَمَّهُتْهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا

إِنْ أَمَّهُتْهُمْ إِلَّا الَّتِي - بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ وَبِلَا يَاءٍ - ﴿وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ﴾ بِالظَّهَارِ ﴿لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾: كَذِبًا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ﴾ لِلْمُظَاهِرِ بِالْكَفَّارَةِ.

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أَي: فِيهِ؛ بِأَن يُخَالِفُوهُ بِإِمْسَاكِ الْمُظَاهِرِ مِنْهَا الَّذِي هُوَ خِلَافُ مَقْصُودِ الظَّهَارِ مِنْ وَصْفِ الْمَرْأَةِ بِالتَّحْرِيمِ، ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أَي: إِعْتَاقُهَا عَلَيْهِ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ بِالْوَطْءِ،

حاشية الصاوي

قوله: (وبلا ياء) أي: فالقراءتان سبعيتان، وبقي قراءتان سبعيتان أيضاً، وهما تسهيل الهمزة، وقلبها ياء ساكنة^(١).

قوله: ﴿مُنْكَرًا﴾ أي: فظيلاً من القول، لا يُعْرَفُ فِي الشَّرْعِ.

قوله: (بالكفارة) أي: فالمغفرة سببها الكفارة، وفيه إشارة إلى أَنَّ الحدودَ جَوَابُ.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾ تفصيلٌ لِلْحُكْمِ الْمَتَرْتَّبِ عَلَى الظَّهَارِ إِثْرَ بَيَانِ التَّوْبِخِ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ أي: لقولهم؛ فـ(ما) مصدرية، والعَوْدُ عِنْدَ مَالِكٍ: بِالْعَزْمِ عَلَى الْوَطْءِ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: يَحْصُلُ بِإِمْسَاكِهَا زَمناً يُمْكِنُهُ مُفَارَقَتُهَا فِيهِ، وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ: يَحْصُلُ بِاسْتِباحَةِ اسْتِمَاعِهَا.

قوله: (مَقْصُودِ الظَّهَارِ) الْكَلَامُ إِمَّا عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَي: ذِي الظَّهَارِ، أَوِ الْمَعْنَى: الْمَقْصُودُ بِالظَّهَارِ.

قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مَبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، قَدَرَهُ بِقَوْلِهِ: (عَلَيْهِ)، وَالْجُمْلَةُ خَبَرُ الْمَبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ الْمَوْصُولُ.

قوله: (بِالْوَطْءِ) هَذَا قَوْلٌ لِلشَّافِعِيِّ قَدِيمٌ، وَفِي الْجَدِيدِ: أَنَّهُ الْاسْتِمْتَاعُ بِمَا بَيْنَ الشُّرَةِ وَالرَّكْبَةِ، وَعِنْدَ مَالِكٍ: بِالْوَطْءِ وَمُقَدِّمَاتِهِ.

(١) قَرَأَ قَالُونَ وَقَبِلَ بِالْهَمْزَةِ الْمَكْسُورَةِ وَلَا يَاءَ بَعْدَهَا، وَقَرَأَ وَرَشَ وَالبِزْيَ وَأَبُو عَمْرٍو بِتَسْهِيلِ الْهَمْزَةِ مَعَ الْمَدِّ وَالْقَصْرِ، وَلِلْبِزْيِ وَأَبِي عَمْرٍو أَيْضاً مَوْضِعَ الْهَمْزَةِ يَاءَ سَاكِنَةً مَعَ الْمَدِّ، وَالباقون بِهَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ وَبَعْدَهَا يَاءٌ، وَهُمْ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فِي الْمَدِّ. انْظُرْ «السَّراجُ الْمُنِيرُ» (٤/٢٢١).

ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَحِذْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ

﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

﴿٤﴾ ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِذْ﴾ رَقَبَةً ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾
 أي: الصَّيَامَ ﴿فَاِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه، أي: مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا حَمَلًا لِلْمُطْلَقِ
 عَلَى الْمُقَيَّدِ؛ لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدٌّ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التَّخْفِيفُ فِي الْكَفَّارَةِ ...
 حاشية الصاوي

قوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ إشارة إلى الحكم المذكور، وهو مبتدأ، خبره ﴿تُوعَظُونَ بِهِ﴾ أي: تُزَجَرُونَ بِهِ
 عَلَى ارْتِكَابِ الْمُنْكَرِ الْمَذْكُورِ.

قوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِذْ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿فَصِيَامَ﴾ مبتدأ ثانٍ، خبره محذوف، قدره المفسر بقوله:
 (عليه)، والجُمْلَةُ خَبَرُ الْأَوَّلِ.

قوله: ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ أي: فَإِنْ أَفْطَرَ فِيهَا وَلَوْ لَعَذِرَ.. انْقَطَعَ التَّتَابُعُ، وَوَجِبَ
 اسْتِنَافُهُمَا.

قوله: (عليه) أي: عَلَى مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ، وَهُوَ خَبَرٌ عَنْ كُلِّ مَنْ قَوْلُهُ: ﴿فَصِيَامَ﴾،
 وَقَوْلُهُ: ﴿فَاِطْعَامَ﴾.

قوله: (حَمَلًا لِلْمُطْلَقِ) أي: الَّذِي هُوَ وَجُوبُ الْإِطْعَامِ، أُطْلِقَ فِي الْآيَةِ عَنِ التَّقْيِيدِ بِكَوْنِهِ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ يَتِمَّاسًا، (عَلَى الْمُقَيَّدِ) الَّذِي هُوَ وَجُوبُ الصَّيَامِ، وَوَجُوبُ الرَّقَبَةِ، قُيِّدَ كُلُّ بَكَوْنِهِ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ يَتِمَّاسًا. وَالْحَمْلُ مَعْنَاهُ: تَقْيِيدُ الْمَطْلُوقِ بِالْقَيْدِ الَّذِي فِي الْمُقَيَّدِ.

قوله: (لِكُلِّ مِسْكِينٍ مُدٌّ) ظَاهِرُهُ: أَنَّهُ مُدُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَقَالَ مَالِكٌ: إِنَّهُ مُدُّ هِشَامِ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ يَزِيدُ عَلَى مُدِّ النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثًا؛ تَشْدِيدًا عَلَى الْمَظَاهِرِ، بِخِلَافِ بَاقِي الْكُفَّارَاتِ
 فَالْمُرَادُ بِهِ: مُدُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدَّرُ الْجَمِيعُ تَقْرِيْبًا عِنْدَ الشَّافِعِيِّ فِي زَمَانِنَا: ثَلَاثُونَ قَدْحًا بِالمَصْرِيِّ، لِكُلِّ
 مِسْكِينٍ نِصْفَ قَدْحٍ، وَعِنْدَ مَالِكٍ: أَرْبَعُونَ قَدْحًا، لِكُلِّ مِسْكِينٍ ثَلَاثًا قَدْحٍ، فَتَدْبَرْ.

قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ إشارة إلى ما مرَّ من البيان والتعليم للأحكام والتَّنبِيهِ عَلَيْهَا، وَقَوْلُهُ:
 ﴿لِتُؤْمِنُوا...﴾ إلخ أي: لِتَسْتَمِرُّوا عَلَى الْإِيمَانِ، وَتَعْمَلُوا بِشَرَائِعِهِ، وَتَرْفُضُوا مَا كَانَ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ.

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: مؤلم.

(٥ - ٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾: يُخَالِفُونَ ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا﴾: أَذْلُوا ﴿كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ في مُخَالَفَتِهِمْ رُسُلَهُمْ، ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾: دَالَّةٌ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ، ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: ذُو إِهَانَةٍ. ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ أي: المنكرين لتلك الأحكام.

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هذه الآية نزلت في أهل مكة عام الأحزاب حين أرادوا التحزب على رسول الله وأصحابه، وكانت في السنة الرابعة، وقيل: في الخامسة، والمقصود منها: تسليّة رسول الله ﷺ، وبشارته بأن أعداءهم المتحزبين القادمين عليهم يُكَبَّتُونَ، أو يَذْلُونَ وَيَفْتَرِقُونَ جَمْعُهُمْ؛ فلا تخشوا بأسهم^(١).

قوله: ﴿يُخَالِفُونَ اللَّهَ﴾ أي: يُعَادُونَهُ وَرَسُولَهُ، فَسَمِيَ الْمُحَادَّةَ مُخَالَفَةً؛ لِأَنَّ الْمُحَادَّةَ أَنْ تَكُونَ فِي حَدٍّ يُخَالِفُ حَدَّ صَاحِبِكَ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ الْمَعَادَاةِ.

قوله: ﴿كُبِتُوا﴾ أي: يَكْبَتُونَ، وَعَبَّرَ بِالْمَاضِي؛ لِتَحَقُّقِ الْوُقُوعِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ قُدُومِهِمْ.

قوله: ﴿أَذْلُوا﴾ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَهْلِكُوا، وَقِيلَ: أَخَذُوا، وَقِيلَ: عَذَّبُوا، وَقِيلَ: لُعِنُوا، وَقِيلَ: أُغِيْظُوا، وَكُلُّهَا مُتَقَارِبَةٌ فِي الْمَعْنَى.

قوله: ﴿فِي مُخَالَفَتِهِمْ﴾ أي: بِسَبَبِهَا.

قوله: ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾... إلخ) الجملة حالية من الواو في ﴿كُبِتُوا﴾.

قوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ﴾ ظرف لـ ﴿مُهِينٌ﴾، أو لـ ﴿عَذَابٌ﴾، أو لمحذوف، تقديره: اذكر.

جَمِيعًا فَيَنْتِثُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ

جَمِيعًا فَيَنْتِثُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

﴿٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ : تَعْلَمُ ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ بِعِلْمِهِ،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿جَمِيعًا﴾ أي: بحيث لا يبقى أحدٌ غير مبعوث، أو المعنى: مُجتمعين في حالة واحدة.
قوله: ﴿فَيَنْتِثُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: من القبائح، إما ببيان صدورها منهم، أو بتصويرها بصورة قبيحة هائلة على رؤوس الأشهاد؛ تخجيلاً لهم، وتشهيراً لحالهم.

قوله: ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ أي: لم يَفُتْهُ منه شيءٌ، بل أحاط بجميع ما صدر من خلقه.
قوله: ﴿وَنَسُوهُ﴾ حال من مفعول (أحصى)، والمعنى: ذُهِلُوا عنه لِكَثْرَتِهِ، أو تهاونهم به واعتقادهم أن لا حِسَابَ عليه.

قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ استثناءٌ مَسْئُوقٌ لبيان أن علمه وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ، و﴿يَكُونُ﴾: تَامَةٌ، و﴿مِنْ نَجْوَى﴾: فاعلها بزيادة (من)، ونجوى: مصدر، معناه: التَّحَدُّثُ سِرًّا، وإضافتها إلى ﴿ثَلَاثَةٍ﴾ من إضافة المصدر إلى فاعله.

قوله: ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الاستثناء في هذا وما بعده مُفَرَّغٌ، واقعٌ في موضع نصبٍ على الحال، والمعنى: ما يوجد شيءٌ من هذه الأشياء إلا في حالٍ من هذه الأحوال. وخصَّ الثلاثة والخمسة بالذكر؛ إمَّا لأنَّ الله وترٌ يحب الوترَ، فالعدد المفرد أشرف من الزوج، أو لأنَّ قومًا من المنافقين كانوا يَتَحَلَّقُونَ للتناجي، وكانوا بهذا العدد؛ زيادة في الاختفاء، فنزلت الآية بصفة حالهم.

قوله: ﴿بِعِلْمِهِ﴾ أي: وَسَمِعَهُ وبصره، ومتعلِّقٌ بهم قدرته وإرادته، ولأهل الله المقربين في سرِّ المعية مُشاهداتٌ وتجلياتٌ ومقاماتٌ يَذُوقُهَا مَنْ شَرِبَ مِنْ مَشَارِبِهِمْ.

وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَبَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

﴿وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنْظُرُ ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَبَّجُونَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

حاشية الصاوي

قوله: ﴿﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾﴾ أي: من العدد المذكور، فالأدنى من الخمسة الأربعة، والأدنى من الثلاثة الاثنان، والواحد في خاصّة نفسه^(١).

قوله: ﴿﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾﴾ بالجرّ في قراءة العامّة، عطف على لفظ ﴿نَجْوَى﴾، وقرئ شذوذاً بالرفع، معطوف على محلّ ﴿نَجْوَى﴾^(٢).

قوله: ﴿﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾﴾ أي: من الأماكن؛ فإنّ علمه تعالى بالأشياء لا يتفاوت بقرب الأمكنة ولا بُعْدِهَا.

قوله: ﴿﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ ثم عادوا لِمِثْلِ فعلهم^(٣).

قوله: ﴿﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾﴾ التّعبير بالمضارع؛ استحضاراً للصورة العجيبة، ويُقال في قوله: ﴿﴿وَيَتَنَبَّجُونَ﴾﴾ مثله.

قوله: ﴿﴿وَالْعُدْوَانِ﴾﴾ أي: عداوة الرسول والمؤمنين.

(١) لأنّ الواحد قد يناجي نفسه، فلا يقال: إن الواحد لا يتأتى؛ لأنّ النجوى لا تقع إلا من مُتَعَدِّد. وانظر «الفتوحات» (٣١٤/٤).

(٢) قرأ الحسن والأعمش وابن أبي إسحاق وأبو حيوة ويعقوب: (ولا أكثر) بالرفع، والوجه الثاني في توجيه الرفع: أن يكون ﴿أَدْنَى﴾ مبتدأ، و﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ خبره، فيكون ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ عطفًا على المبتدأ، وحينئذ يكون ﴿وَلَا أَدْنَى﴾ من باب: عطف الجُمْلِ، لا المفردات، وقرأ الحسن ويعقوب أيضاً ومجاهد والخليل: (ولا أكبر) بالياء الموحدة والرفع. انظر «الدر المصون» (٢٦٩/١٠).

(٣) انظر «زاد المسير» (٢٤٥/٤).

وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ

وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ﴿هُمْ الْيَهُودُ نَهَاَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنْ تَنَاجِيهِمْ - أَي: تَحَدُّثِهِمْ سِرًّا - نَاطِرِينَ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيُوقِعُوا فِي قُلُوبِهِمُ الرِّيبَةَ، ﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ أَيُّهَا النَّبِيُّ ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وَهُوَ قَوْلُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ أَي: الْمَوْتُ، ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾: هَلَّا ﴿يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ مِنَ التَّحِيَّةِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِنَبِيِّ إِنْ كَانَ نَبِيًّا،

حاشية الصاوي

قوله: ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ رُسِمَتْ هُنَا وَفِيمَا يَأْتِي بِالتَّاءِ الْمَجْرُورَةِ، وَإِذَا وَقَفَ عَلَيْهَا.. فَبَعْضُ الْقَرَاءِ يَقْفُونَ بِالْهَاءِ، وَبَعْضُهُمْ بِالتَّاءِ، وَأَمَّا الْوَصْلُ.. فَاتَّفَقُوا عَلَى التَّاءِ^(١).

قوله: (لِيُوقِعُوا فِي قُلُوبِهِمُ الرِّيبَةَ) أَي: فَيُوهِمُوهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَغَهُمْ خَبْرُ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي السَّرَايَا، وَأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَوْ مَاتُوا أَوْ هَزَمُوا، فَيَقَعُ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَحْزَنُهُمْ.

قوله: ﴿حَيَّوْكَ﴾ أَي: خَاطَبُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَحْيِكَ بِهِ اللَّهُ؛ أَي: لَمْ يَشْرَعْهُ، وَلَمْ يَأْذَنْ فِيهِ أَنْ يَقُولَهُ لَكَ.

قوله: (وَهُوَ قَوْلُهُمْ: السَّامُ عَلَيْكَ) أَي: وَكَانَ يَرُدُّ فَيَقُولُ: «عَلَيْكُمْ»، فِي «الْبَخَارِيِّ»: (أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهَّمَتَهَا، فَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ السَّامُ، وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ، وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ، وَإِيَّاكَ وَالْعَنْفَ وَالْفَحْشَ»، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟ رَدَدَتْ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»^(٢).

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي رَدِّ السَّلَامِ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَ مَالِكٌ: إِنْ تَحَقَّقَ نُطْقُهُمْ بِالسَّلَامِ.. وَجِبَ الرَّدُّ عَلَيْهِمْ، وَإِلَّا.. فَلَا يَجِبُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: يَجِبُ الرَّدُّ بِأَنْ يَقُولَ: وَعَلَيْكَ.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أَي: فِيمَا بَيْنَهُمْ.

قوله: (إِنْ كَانَ نَبِيًّا) مُرْتَبِطٌ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾، وَالْمَعْنَى: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لَعَجَّلَ اللَّهُ لَنَا الْعَذَابَ بِسَبَبِ قَوْلِنَا.

(١) وَقَفَ عَلَيْهِ بِالْهَاءِ الْمَكِّي وَالْبَصْرِيَّانِ وَالْكَسَائِيُّ، وَغَيْرُهُمْ بِالتَّاءِ. انظر «الْبُذُورُ الزَّاهِرَةُ» (ص ٣١٦).

(٢) «صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ» (٦٠٣٠) عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

حَسَبْتُهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا تَنْجِيْتُمْ فَلَا تَنْتَجِرُوا بِالْإِثْمِ
وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجِرُوا بِالْإِيمَانِ وَالنَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ
مِنَ الشَّيْطَانِ

﴿حَسَبْتُهُمْ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسَ الْمَصِيرُ﴾ هي .

(٩ - ١٠) ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا تَنْجِيْتُمْ فَلَا تَنْتَجِرُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنْجِرُوا
بِالْإِيمَانِ وَالنَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ بِالْإِثْمِ وَنَحْوِهِ ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بِغُرُورِهِ؛

حاشية الصاوي

قوله: ﴿حَسَبْتُهُمْ جَهَنَّمَ﴾ أي: كافيههم في العذاب، وقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ حال، وأما إمهالهم
في الدنيا . . فمن كراماته على ربه؛ لكونه يُعِثُّ رحمةً.

قوله: (هي) قدره؛ إشارةً إلى أنَّ المخصوص بالذم محذوف.

قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا تَنْجِيْتُمْ﴾ يحتمل أن يكون الخطاب للمؤمنين الصادقين، قصد به
الزجر والتنفير من فعل اليهود، ويحتمل أن الخطاب للمؤمنين ظاهراً وهم المنافقون.

قوله: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ﴾ بِالْإِثْمِ وَنَحْوِهِ أي: فالغيبَةُ والتكلم في أعراض المؤمنين سببها الشيطان؛
ليُدخل بها الحزن على المؤمن المتكلم في عرضه، وليس بضاراً له في الواقع، وإنما الوبال على المتناجين
بذلك، قال العارفون: (من أسباب سوء الخاتمة عند الموت الخوض في أعراض المؤمنين).

وتشمل الآية بعمومها ما روي عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة . .
فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه؛ فإنَّ ذلك يُحزنه»^(١)، وعن عبد الله بن مسعود: أن
رسول الله ﷺ قال: «إذا كان ثلاثة . . فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل
أن يحزنه»^(٢)، فبيّن في الحديث غاية المنع. قال العلماء: ولا مفهوم لتناجي اثنين دون ثالث، بل
المدار على ترك واحد، كان المتناجي اثنين أو أكثر.

قوله: ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ نُسِبَتْ إليه؛ لكونه المزيّن لها، والحامل عليها.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٤٦/٢).

(٢) رواه البخاري (٦٢٩٠)، ومسلم (٢١٨٤)، وقوله: «فلا يتناجى» بألف لفظاً مقصورة ثابتة في الكتابة تحتية، وتسقط
في الدرج للساكنين، بلفظ الخبر ومعناه النهي، وللكتبيين: «فلا يتناجى» بإسقاطها، بلفظ النهي ومعناه. انظر
«إرشاد الساري» (١٦٧/٩).

لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾
يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا

﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ﴾ هو ﴿بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إرادته، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾: تَوَسَّعُوا

حاشية الصاوي

قوله: ﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بضم الياء وكسر الزاي، من: أحزنه، أو بفتح الياء وضم الزاي، من: حزن، فهما قراءتان سبعيتان، والموصول على الأولى مفعول، وعلى الثانية فاعل^(١).
قوله: ﴿وَلَيْسَ﴾ (هو) أي: الشيطان.

قوله: ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: فيحصل منه الضرر؛ لإرادة الله إيّاه، ففي الحقيقة الخير وضده من الله، وهذه الآية مخوفة لأهل الغيبة والتميمة من المؤمنين في كل زمن.

قوله: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾... إلخ) لما نهى الله تعالى المؤمنين عما يكون مسبباً للتباغض والتنافر، وهو التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول.. أمرهم الآن بما يكون سبباً لزيادة المحبة والمودة بقوله: ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ...﴾ إلخ، وسبب نزولها: أن رسول الله ﷺ كان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار، فجاء ناسٌ منهم يوماً وقد سُبِقُوا إلى المجلس، فقاموا حيال النبي ﷺ، فسَلَّمُوا، فردَّ عليهم السلام، ثم سَلَّمُوا على القوم، فردُّوا عليهم السلام، ثم سَلَّمُوا على النبي ﷺ، فردَّ عليهم، ثم سَلَّمُوا على القوم، فردُّوا عليهم، ثم قاموا على أرجلهم ينتظرون أن يُوسع لهم، فلم يُفَسَّحُوا، فشَقَّ ذلك على رسول الله ﷺ، فقال لِمَنْ حوله من غير أهل بدر: «قُمْ يا فلان، وأنت يا فلان»، فأقام من المجلس بِقَدَرِ أولئك نفر الذين قاموا بين يديه من أهل بدر، فشَقَّ ذلك على مَنْ أقيم من مجلسه، وعَرَفَ النبي ﷺ الكراهية في وجوههم، فأنزل الله هذه الآية^(٢).

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ القوم مجالسهم،

(١) قرأ نافع بضم الياء وكسر الزاي، والباقون بفتح الياء وضم الزاي، والقراءة الأولى أشد في المعنى على ما في «القاموس». انظر «السراج المنير» (٤/٢٢٨).

(٢) انظر «تفسير البغوي» (٨/٥٧) من حديث مقاتل بن حيان.

فِ الْمَجْلِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا.....

﴿فِ الْمَجْلِسِ﴾: مَجْلِسُ النَّبِيِّ ﷺ والذِّكْرُ حَتَّى يَجْلِسَ مَنْ جَاءَكُمْ، - وفي قِرَاءَةِ: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ - ﴿فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ في الْجَنَّةِ، ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾: قُومُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْخَيْرَاتِ

حاشية الصاوي

وكان يُريد القرب من رسول الله ﷺ؛ لِلصَّمِّ الذي كان في أُذُنِهِ، فوسَّعُوا له حتى قرب من رسول الله ﷺ، ثُمَّ ضَايَقَهُ بعضهم، وجرى بينه وبينهم كلام، فنزلت^(١).

وعلى كلِّ حالٍ فالعبرة بِعموم اللفظ، لا بخصوص السبب، فَيَتَنَاوَلُ أَيَّ مَجْلِسٍ كان؛ سواء كان مَجْلِسَ عِلْمٍ، أو ذِكْرٍ، أو صَلَاةٍ، أو قِتَالٍ، أو غير ذلك؛ لِما ورد «لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ الرَّجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَفْسَحُوا وَتَوَسَّعُوا»^(٢)، و«لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَلَكِنْ لِيُقَلَّ: اِفْسَحُوا»^(٣).

وقوله في الحديث: «لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ... إلخ» استُفِيدَ مِنْهُ: أَنَّ الْقَادِمَ لَا يُقِيمُ الْجَالِسَ، وَأَمَّا قِيَامُ الْجَالِسِ مِنْ نَفْسِهِ لَهُ تَوَاضَعٌ وَأَدَبٌ، أو كِبَرُ الْمَجْلِسِ يُقِيمُ أَحَدًا مِنَ الْجَالِسِينَ لِمَصْلَحَةٍ.. فلا بأس بذلك.

قوله: (مجلس النبي) أي: فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَضَامُّونَ فِيهِ؛ حِرْصًا عَلَى الْقَرَبِ مِنْهُ، وَاسْتِمَاعَ كَلَامِهِ. قوله: (وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾) أي: وَالْجَمْعُ بِاعْتِبَارِ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مَجْلِسًا، وَالْقِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ^(٤).

قوله: ﴿يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مجزومٌ في جواب الأمر الواقع جواباً لِلشَّرْطِ.

قوله: (في الجنة) أي: والدنيا، والقبر، والقيامة.

قوله: (وغيرها) أي: كالجهاد وكلِّ خيرٍ، وقيل: معنى ﴿انْشُرُوا﴾: ارْتَفَعُوا عَنْ مَوَاضِعِكُمْ

(١) انظر «السراج المنير» (٧٢/٤) من حديث سيدنا ابن عباس ؓ.

(٢) رواه البخاري (٦٢٧٠)، ومسلم (٢١٧٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر ؓ.

(٣) رواه مسلم (٢١٧٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله ؓ بلفظ: «لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ لِيُخَالَفَ إِلَى مَقْعَدِهِ، فَيَقْعَدَ فِيهِ، وَلَكِنْ يَقُولُ: اِفْسَحُوا».

(٤) قرأ عاصم: (المجالس) جمعاً، والباقون بالإنفراد. انظر «الدر المصون» (٢٧٢/١٠).

فَإَنْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرُّسُولَ

﴿فَإَنْشُرُوا﴾ - وفي قراءة بِضَمِّ الشَّيْنِ فِيهِمَا - ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ﴾ بِالطَّاعَةِ فِي ذَلِكَ، ﴿و﴾ يَرْفَعُ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فِي الْجَنَّةِ، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرُّسُولَ﴾:

حاشية الصاوي

حتى تُوسَّعُوا لِإِخْوَانِكُمْ، وقيل: كان رجال يتثاقلون عن الصلاة في الجماعة إذا نُودي لها، فنزلت هذه الآية^(١)، والمقصود: العموم في كلِّ ما يطلب فيه النهوض والإسراع، ففيه حثٌّ على التَّشْمِيرِ عن ساعد الجَدِّ والاجتهاد في الطاعات، وترك التَّكاسل.

قوله: (وفي قراءة) أي: وهي سبعة أيضاً، وكلاهما لُغتان فصيحتان، من بابي (ضرب) و(نصر)^(٢).

قوله: (في ذلك) أي: القيام إلى الصلاة ونحوها.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ معطوفٌ على ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ عطْفٌ خاصٌّ على عامٍّ؛ لأنَّ الذين أُوتُوا العلم بعضُ المؤمنين، لكنَّ كما جمع العلماء بين العلم والعمل.. استَحَقُّوا رفعَ الدرجات، والافتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم.

قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْتُمْ الرُّسُولَ فَقَدْ تَمَّ﴾... إلخ) الحكمة في هذا الأمر: تعظيمُ رسول الله ﷺ، وانتفاع الفقراء، أو النهي عن الإفراط في السؤال، والتمييز بين المخلص والمنافق، ومحَبُّ الدنيا ومحَبُّ الآخرة.

واختلف في هذا الأمر؛ فقليل: للندب، وقيل: للوجوب، رُوي عن علي كرم الله وجهه أنه قال: (إنَّ في كتاب الله آيةً ما عمل بها أحدٌ غيري، كان لي دينار فصرفتُه بعشرة دراهم، وناجيتُ رسول الله ﷺ عشر مرات، أتصدَّق في كلِّ مرَّةٍ بِدِرْهَمٍ)، وكان يقول: (آية في كتاب الله لم يعمل بها أحدٌ قبلي، ولا يعمل بها أحدٌ بعدي، وهي آية المناجاة)^(٣).

(١) انظر «زاد المسير» (٤/٢٨٤).

(٢) قرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو بكر بخلاف عنه بضمَّ شين (انشُرُوا) في الحرفين، والباقون بكسرها. انظر «الدر المصون» (١٠/٢٧١).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرک» (٢/٤٨٣).

فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ بِحَبْلِكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾
ءَأَشْفَقْتُمْ

أَرَدْتُمْ مُنَاجَاتَهُ ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ بِحَبْلِكُمْ﴾ قَبْلَهَا ﴿صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لِذُنُوبِكُمْ، ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا﴾ مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لِمُنَاجَاتِكُمْ، ﴿رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ، يَعْنِي فَلَا عَلَيْكُمْ فِي الْمُنَاجَاةِ مِنْ غَيْرِ صَدَقَةٍ، ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ ﴿١٣﴾

حاشية الصاوي

وَرُوي عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَجَيَّءُ الرَّسُولُ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ بِحَبْلِكُمْ صَدَقَةً﴾ فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَرَى دِينَاراً؟» قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: «فَنَصِفْ دِينَاراً؟» قُلْتُ: لَا يُطِيقُونَهُ، قَالَ: «فَكَمْ؟» قُلْتُ: شَعِيرَةٌ، قَالَ: «إِنَّكَ لَزَهيدٌ»^(١) أَي: قَلِيلُ الْمَالِ.

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنَقِبَةٌ عَظِيمَةٌ لِعَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَلَيْسَ فِيهَا ذَمٌّ لغيره مِنَ الصَّحَابَةِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَّسِعِ الْوَقْتُ لِيَعْمَلُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَلَوْ اتَّسَعَ الْوَقْتُ.. لَمْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ الْعَمَلِ بِهَا، وَعَلَى الْقَوْلِ بِاتِّسَاعِهِ.. فَلَعَلَّ الْأَغْنِيَاءَ كَانُوا غَائِبِينَ، وَالْفُقَرَاءَ لَمْ يَكُنْ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ.

قَوْلُهُ: (أَرَدْتُمْ مُنَاجَاتَهُ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْمَاضِي لَيْسَ عَلَى حَقِيقَتِهِ؛ أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ بِحَبْلِكُمْ﴾.

قَوْلُهُ: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أَي: التَّقْدِيمُ خَيْرٌ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَوْلُهُ: (يَعْنِي: فَلَا عَلَيْكُمْ) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ جَوَابَ الشَّرْطِ مَحْذُوفٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تَعْلِيلٌ لِلْمَحْذُوفِ، وَدَلِيلٌ عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ نُسِخَ ذَلِكَ) أَي: الْأَمْرُ بِتَقْدِيمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَ أَنْ اسْتَمَرَ زَمَنًا، قِيلَ: هُوَ سَاعَةٌ، وَقِيلَ: يَوْمٌ، وَقِيلَ: عَشْرَةُ أَيَّامٍ، وَاخْتَلَفُوا فِي النَّاسِخِ لِلْأَمْرِ، فَقِيلَ: هُوَ الْآيَةُ بَعْدَهُ، وَعَلَيْهِ الْمَفْسَرُ تَبَعًا لِلْجُمْهُورِ، وَقِيلَ: هُوَ آيَةُ الزَّكَاةِ.

قَوْلُهُ: (بِقَوْلِهِ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾...) (إِلَخ) مُرَادُهُ الْآيَةُ بِتَمَامِهَا.

(١) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٠٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٨٥٣٧)، وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (شَعِيرَةٌ) يَعْنِي: وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ ذَهَبٍ.

أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَأَذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا

- بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألفٍ بين المُسَهَّلَةِ والأخرى وتركه - أي: أَخِفْتُمْ مِنْ ﴿أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيَّ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ﴾ الْفَقْرَ، ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ الصَّدَقَةَ ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾: رَجَعَ بِكُمْ عَنْهَا، ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: دُومُوا عَلَى ذَلِكَ، ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تَنْظُرُ ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ هُمُ الْمُنَافِقُونَ ﴿قَوْمًا﴾ هُمُ الْيَهُودُ،

حاشية الصاوي

قوله: (بتحقيق الهمزتين... إلخ) ^(١) أشار بذلك لأربع قراءات سبعيات، وبقي قراءة خامسة سبعية، وذلك أَنَّ التحقيق إمَّا مع إدخال ألفٍ أو بدونه.

قوله: (الفقر) أشار بذلك إلى أَنَّ مفعول (أشفقتم) محذوف، والمعنى: أَخِفْتُمْ مِنْ تقديم الصَّدَقَةِ الاحتياج؟

قوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ (يَحْتَمِلُ أَنْ (إِذْ) بَاقِيَّةٌ عَلَى بَابِهَا مِنَ الْمَضِيِّ، والمعنى: إِنْ تَرَكْتُمْ ذَلِكَ فِيمَا مَضَى.. فتداركوه بإقامة الصلاة... إلخ، ويحتمل أنها بمعنى (إِنْ) الشرطيَّة.

قوله: ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ الجملة حالَّة، أو مُسْتَأْنَفَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ.

قوله: (رجع بكم عنها) أي: عَنْ وُجُوبِهَا، فنسخها تخفيفاً عليكم.

قوله: (أي: دُومُوا عَلَى ذَلِكَ) أي: الْمَذْكُورِ مِنْ إِمَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا﴾... إلخ) المقصودُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: التَّعْجِيبُ مِنْ حَالِ الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّخِذُونَ الْيَهُودَ أَوْلِيَاءَ، وَيُنَاصِحُونَهُمْ، وَيَنْقَلِبُونَ إِلَيْهِمْ أَسْرَارَ الْمُؤْمِنِينَ.

وسبب نزولها: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ نُبَيْلٍ الْمُنَافِقَ كَانَ يَجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَرْفَعُ حَدِيثَهُ إِلَى الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُجْرَةٍ مِنْ حُجَرِهِ إِذْ قَالَ: «يَدْخُلُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ قَلْبُهُ قَلْبُ جَبَّارٍ، وَيَنْظُرُ

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام، وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو وهشام، والباقون بتحقيقهما ولا إدخال، والأولى محققة بلا خلاف. انظر «السراج المنير» (٤/٢٣٢).

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾

﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾: أي: المنافقون ﴿مِنْكُمْ﴾: من المؤمنين ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾: من اليهود، بل هم مُدْبِذُونَ، ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾: أي: قولهم: إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيهِ.

(١٥ - ١٧) ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: مِنَ الْمَعَاصِي، ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: سِتْرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، ﴿فَصَدُّوا﴾: بِهَا الْمُؤْمِنِينَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، أي: الْجِهَادِ فِيهِمْ بِقَتْلِهِمْ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ، ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: ذُو إِهَانَةٍ،
حاشية الصاوي

بعيني شيطان»، فدخل عبد الله بن نبتل، وكان أزرق العين، فقال له النبي ﷺ: «علام تشتمني أنت وأصحابك؟» فحلف بالله ما فعل، وجاء بأصحابه، فحلفوا بالله ما سبوه، فنزلت الآية^(١).

قوله: ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾: إخبار عنهم بأنهم ليسوا من المؤمنين الخُلص، ولا من الكافرين الخُلص، لا ينتسبون إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، وهذه الجملة إمَّا مستأنفة، أو حال من فاعل ﴿تَوَلَّوْا﴾.

قوله: (بل هم مُدْبِذُونَ) أي: مُتَرَدِّدُونَ بَيْنَ الْإِيمَانِ الْخَالِصِ وَالْكَفْرِ الْخَالِصِ؛ لِأَنَّ فِيهِمْ طَرَفًا مِنَ الْإِيمَانِ بِحَسَبِ ظَاهِرِهِمْ، وَطَرَفًا مِنَ الْكُفْرِ بِحَسَبِ بَاطِنِهِمْ.

قوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: الجملة حَالِيَّةٌ مِنْ فَاعِلٍ (يَحْلِفُونَ)، والمعنى: يَحْلِفُونَ كَاذِبِينَ وَالحَالُ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، فَيَمِينُهُمْ عَمُوسٌ لَا عَذْرَ لَهُمْ فِيهَا، وَهَذِهِ الْيَمِينُ تُوجِبُ لِمُصَاحِبِهَا الْغَمْسَ فِي النَّارِ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا خَالِصًا، فَمَا بَالُكَ إِنْ كَانَ كَافِرًا؟ وَفَائِدَةُ الْإِخْبَارِ عَنْهُمْ بِذَلِكَ: بَيَانُ ذَمِّهِمْ عَلَيْهِ.

قوله: ﴿أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: مَفْعُولَانِ لـ ﴿اتَّخَذُوا﴾، والمعنى: جَعَلُوا أَيْمَانَهُمُ الْكَاذِبَةَ وَقَايَةً لِنَفْسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، فَلَوْلَا ذَلِكَ.. لَقُوتَلُوا، وَأُخِذَ مَالُهُمْ.

قوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: أي: فِي الْآخِرَةِ، وَالْعَذَابُ الْأَوَّلُ فِي الدُّنْيَا، أَوِ الْقَبْرِ.

(١) أوردته بلفظه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/٢٥٠)، ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١/٢٤٠) عن سبلنا ابن عباس ؓ، وليس فيه تعيين اسم المنافق.

لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَأَنفُسُهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِهِ ﴿شَيْئًا﴾ مِنَ الْإِغْنَاءِ، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(١٨ - ١٩) اذْكَرَ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِنْ نَفْعِ حَلِفِهِمْ فِي الْآخِرَةِ كَالدُّنْيَا، ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ﴿اسْتَحْذَرُوا﴾: اسْتَوَلَى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بِطَاعَتِهِمْ لَهُ، ﴿فَأَنفُسُهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾: أَتْبَاعُهُ، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

(٢٠ - ٢١) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ﴾: يُخَالِفُونَ

حاشية الصاوي

قوله: (مِنْ عَذَابِهِ) أشار بذلك إلى أَنَّ الكلام على حذف مضاف.

قوله: ﴿شَيْئًا﴾ مفعول مطلق كما أشار له بقوله: (مِنْ الْإِغْنَاءِ).

قوله: ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ أي: في الدنيا.

قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ (يَحْلِفُونَ)، والمعنى: يَحْلِفُونَ والحال أَنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَن حَلِفَهُمْ فِي الْآخِرَةِ يَنْفَعُهُمْ وَيُنْجِيهِمْ مِنْ عَذَابِهَا كَمَا نَفَعَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِدَفْعِ الْقِتَالِ عَنْهُمْ.

قوله: ﴿اسْتَحْذَرُوا﴾ هذا الفعل ممَّا جاء على الأصل، وخُولِفَ فِيهِ الْقِيَاسُ؛ إِذْ قِيَاسُهُ: (اسْتَحَازَ) بَقَلْبِ الْوَائِلِ الْفَاءِ ك: اسْتَعَاذَ، وَاسْتَقَامَ.

قوله: ﴿فَأَنفُسُهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ﴾ أي: فلا يذكرونه بِأَلْسِنَتِهِمْ وَلَا بِقُلُوبِهِمْ، وَمَا يَقَعُ مِنْهُمْ مِنْ صُورَةِ الذِّكْرِ بِاللِّسَانِ.. فَهُوَ كَذِبٌ.

قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) أي: لأنَّهُمْ فَوَّتُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ النَّعِيمَ الدَّائِمَ، وَعَرَّضُوهَا لِلْعَذَابِ الْمَقِيمِ.

(١) كذا في الأصول وفي نسخة «الفتوحات»، وسياق الآية بدون (أولئك).

حاشية الصاوى

(١) رواه البخاري تعليقاً من كلام سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه، في كتاب (الأدب)، باب: المُدَاراة مع الناس (٣١/٨)، وفيه: (لنكثيرُ) بدل (لنبشُّ)؛ أي: نضحك ونبتسم.

مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ
أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ

﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا﴾ أي: المُحَادُّون ﴿أَبَاءَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾؛ بَلْ يَقْصِدُونَهُمْ بِالسُّوءِ وَيُقَاتِلُونَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ كَمَا وَقَعَ لَجْمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عليهم السلام، ﴿أُولَئِكَ﴾ الَّذِينَ لَا يُوَادُّونَهُمْ ﴿كَتَبَ﴾: أَثَبَتْ ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾: بِنُورٍ ﴿مِّنْهُ﴾ تَعَالَى،

حاشية الصاوي

قوله: (كما وقع لجماعة من الصحابة) رُوي عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية قال: ﴿وَلَوْ كَانُوا أَبَاءَهُمْ﴾ يعني: أبا عبيدة بن الجراح، قتل أباه عبد الله بن الجراح، ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ يعني: أبا بكر الصديق، دعا ابنه يوم بدر للبراز، وقال: يا رسول الله؛ دعني أَكُنْ فِي الرَّعْلَةِ^(١) الأولى، فقال له رسول الله ﷺ: «مَتَّعْنَا بِنَفْسِكَ يَا أبا بكر»، ﴿أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ يعني: مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ يعني: عمر بن الخطاب، قتل خاله العاصم بن هشام بن المغيرة يوم بدر، وعلي بن أبي طالب وحمزة وأبو عبيدة^(٢) قتلوا بني عَمَّهم عُتْبَةَ وشيبة بني ربيعة، والوليد بن عُتْبَةَ يوم بدر^(٣).

ورُوي أيضاً: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي هَمٍّ بَقَلَ أَبِيهِ، فَمَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَوَقَعَ لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ أَنَّهُ صَلَّى أَبَاهُ أَبَا قَحَافَةَ حَيْثُ سَمِعَهُ يَسُبُّ النَّبِيَّ ﷺ^(٤).

قوله: ﴿بِرُوحٍ﴾ بنور، وقيل: الرُّوحُ: النَّصْرُ، وقيل: القرآن والحجج، وقيل: هو جبريل عليه السلام، يَأْتِيهِمْ عِنْدَ الْمَوْتِ، فَيَطْرُدُ الْفِتَنَاتِ عَنْهُمْ^(٥).

(١) كذا في الأصول، ولعلها: (الرَّعْلَةُ) وهي القطعة مِنَ الْقُرْصَانِ. انظر «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/٢٣٥).

(٢) كذا في الأصول، والصواب: (عبدة) وهو ابن الحارث بن عبد المطلب. انظر «دلائل النبوة» لليبهي (٣/٧١).

(٣) انظر «تفسير البغوي» (٨/٦٣).

(٤) انظر الحادِثَينِ في «زاد المسير» (٤/٢٥٢).

(٥) كذا جمعه في الأصول، ولعل الأولى (فُتَّان) كـ(رُمَّان)، وفي الحديث عند أبي داود في «سُنَنِهِ» (٣٠٧٠): «المسلم أخو المسلم يَتَعَاوَنَانِ عَلَى الْفُتَّانِ» يُرَوَّى بِضَمِّ الْفَاءِ وَفَتْحِهَا، فَالضَّمُّ: جَمْعُ فَاتْنٍ؛ أَي: يُعَاوَنُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ عَلَى الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ عَنِ الْحَقِّ وَيَقْتَتِلُونَهُمْ، وَبِالْفَتْحِ هُوَ الشَّيْطَانُ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَتِلُ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ. انظر «تاج العروس»، مادة (ف ت ن)، و«النهاية» لابن الأثير (٣/٤١٠).

وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

﴿وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بِطَاعَتِهِ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بِشَوَابِهِ، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ يَتَّبِعُونَ أَمْرَهُ وَيَجْتَنِبُونَ نَهْيَهُ، ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾: الْفَائِزُونَ.



حاشية الصاوي

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: عاملهم معاملة الراضي؛ بأن وفقهم للطاعات، وقبلها منهم، وأثابهم عليها.

قوله: (الفائزون) أي: بخيري الدنيا والآخرة.



فهرس السور



٥	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ
٥٥	سُورَةُ اَعْلٰی
١٠٣	سُورَةُ فُصِّلَتْ
١٤١	سُورَةُ الشُّرٰی
١٨٥	سُورَةُ الْاَحْزَابِ
٢٢٥	سُورَةُ الدُّخَانِ
٢٤٨	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ
٢٦٩	سُورَةُ الْاَحْقَافِ
٣٠١	سُورَةُ مُحَمَّدٍ
٣٢٩	سُورَةُ الْفَتْحِ
٣٦٣	سُورَةُ الْمَجْدَلِ
٣٨٧	سُورَةُ الْاَنْشٰتِ
٤١١	سُورَةُ الْاَنْشٰتِ
٤٣١	سُورَةُ الطُّوْرِ
٤٤٧	سُورَةُ الْاَنْشٰتِ
٤٧٣	سُورَةُ الْاَنْشٰتِ

٤٩٥	سورة الرحمن
٥١٩	سورة الواقعة
٥٤٣	سورة الحديد
٥٧٣	سورة المجادلة

